الكامل في اللغة والأدب

للعلامة أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد
النحوي المتوفى سنة ٢٨٥ هـ

١ و ٢

الكامل في اللغة والأدب

للعلامة أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد
النحوي المتوفى سنة ٢٨٥ هـ

سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين وهي كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها اهـ

ابن خلدون

الجزء الأول

روجعت وقوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية بمعرفة لجنة من العلماء

يطلب من
المكتبة التجارية الكبرى
بمصر ص. ب ٥٧٨

مطبعة الاستقامة بالقاهرة
شارع كرباسة باشا نمرة ١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال حدثنا أبو عثمان سعيد بن جابر قال حدثنا أبو الحسن علي بن سليمان الاخفش قراءة عليه قال قرئ على هذا الكتاب على أبي العباس محمد بن يزيد المُبرِّد

الحمد لله حمدا كثيرا يبلغُ رضاه ويوجب مزيده ويُجيرُ من سَخَطِه وصلى الله على محمد خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلاة تامة زاكية تُؤدّي حقه وتُزلِفُه عند ربه (قال أبو العباس) هذا كتاب ألّفناه يجمع ضروبا من الآداب ما بين كلام منثور وشعر مَرصوف ومَثَل سائر وموعظة بالغة واختيار من خُطبة شريفة ورسالة بليغة والنية فيه أن نفسّر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مُستَغلِق وأن نشرح ما يَعرِض فيه من الإعراب شرحا شافيا حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا وعن أن يُرجَع إلى أحد في تفسيره مستغنيا وبالله التوفيق والحول والقوة وإليه مَفزَعُنا في دَرْك كل طَلِبة والتوفيق

لما فيه صلاح أمورنا من عمل بطاعته وعقد يرضاه وقول صادق يرفعه عمل صالح انه على كل شئ قدير * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار فى كلام جرى انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع الفزع فى كلام العرب على وجهين أحدهما ما تستعمله العامة تريد به الذعر والآخر الاستنجاد والاستصراخ من ذلك قول سلامة بن جندل

كنا اذا ما أتانا صارخ فزع * كان الصراخ له قرع الظنابيب

يقول اذا أتانا مستغيث كانت اغاثته الجد فى نصرته يقال قرع لذلك الامر ظنبوبه اذا جد فيه ولم يفتر ويشتق من هذا المعنى ان يقع فزع فى معنى أغاث كما قال الكلحبة اليربوعى

(قال أبو الحسن الكلحبة لقبه واسمه هبيرة وهو من بنى عرين بن يربوع والنسب اليه عرينى وكثير من الناس يقول عرنى ولا يدرى وعرينة من اليمن قال جرير يهجو عرين ابن يربوع

عرين من عرينة ليس منا * برئت الى عرينة من عرين)

فقلت لكأس ألجميها فانما * حللت الكثيب من زرود لافزعا

يقول لاغيث وكأس اسم جارية وانما أمرها بالجام فرسه ليغيث والظنبوب مقدم عظم الساق * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأحبكم الى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤن أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ألا أخبركم بأبغضكم الى وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون قوله صلى الله عليه وسلم الموطؤن أكنافا مثل وحقيقته ان التوطئة هى التذليل والتمهيد يقال دابة وطىء يا فتى وهو الذى لا يحرك راكبه فى مسيره وفراش وطىء اذا كان وثيرا لا يؤذى جنب النائم عليه فأراد القائل بقوله موطأ الاكناف ان ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مؤذى ولا ناب به موضعه (قال أبو العباس) حدثنى العباس بن الفرج الرياشى قال حدثنى الاصمعى قال قيل لاعرابى وهو المنتجع بن نبهان ما السميدع فقال السيد الموطأ الاكناف وتأويل

الاكناف الجوانب يقال في المثل فلان في كنف فلان كما يقال فلان في ظل فلان وفي ذرى فلان وفي ناحية فلان وفي حيز فلان وقوله صلى الله عليه وسلم الثرثارون يعني الذين يكثرون الكلام تكلفا وتجاوزا وخروجا عن الحق وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء يقال عين ثرثارة وكان يقال لنهر بعينه الثرثار وانما سمي به لكثرة مائه قال الاخطل (واسمه غياث بن غوث يكنى أبا مالك ويلقب بدوبل والدوبل الخنزير)

لعمري لقد لاقت سليم وعامر * على جانب الثرثار راغية البكر

قوله راغية البكر أراد ان بكر ثمود رغا فيهم فأهلكوا فضربته العرب مثلا وأكثرت فيه قال علقمة بن عبدة الفحل

رغا فوقهم سقب السماء فداحض * بشكته لم يستلب وسليب

(قال أبو الحسن الداحض الساقط والداحض أيضا الزالق) وكذلك اذا لم تضعف الثاء فقلت عين ثرة فانما معناها غزيرة واسعة قال عنترة

جادت عليها كل عين ثرة * فتركن كل حديقة كالدرهم

(قال أبو العباس) وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظة الثرثارة ولكنها في معناها ويجب أن يكون من الثرة ثرارة وقوله صلى الله عليه وسلم المتفيهقون انما هو بمنزلة قوله الثرثارون توكيد له ومتفيهق متفيعل من قولهم فهق الغدير يفهق اذا امتلأ ماء فلم يكن فيه موضع مزيد كما قال الاعشى

نفى الذم عن رهط المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقي تفهق

كذا ينشده أهل البصرة وتأويله عندهم ان العراقي اذا تمكن من الماء ملأ جابيته لانه حضري فلا يعرف مواقع الماء ولا محالة (قال أبو العباس) وسمعت اعرابية تنشد (قال أبو الحسن هي أم الهيثم الكلابية من ولد المحلق وهي راوية أهل الكوفة) كجابية السيح تريد

النهر الذى يجرى على جانبيه فماؤها لا ينقطع لان النهر يمده ومثل قول البصريين فيما ذكروا به العراقي الشيخ قول الشاعر (قال أبو الحسن هو ذو الرمة)

لها ذنب ضاف وذفرى أسيلة * وخد كمرآة الغريبة أسجح

يقول ان الغريبة لا ناصح لها فى وجهها لبعدها عن أهلها فمرآتها أبدا مجلوة لفرط حاجتها اليها وتصديق ما فسرناه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يريد الصدق فى المنطق والقصد وترك ما لا يحتاج اليه قوله لجرير بن عبد الله البجلى يا جرير اذا قلت فأوجز واذا بلغت حاجتك فلا تتكلف (قال أبو العباس) ومما يؤثر من حكيم الأخبار وبارع الآداب ما حدثنا به عن عبد الرحمن بن عوف وهو انه قال دخلت يوما على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى علته التى مات فيها فقلت له أراك بارئا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما انى على ذلك لشديد الوجع ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد على من وجعى انى وليت أموركم خيركم فى نفسى فكلكم ورم أنفه أن يكون له الامر من دونه والله لتتخذن نضائد الديباج وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف الاذربى كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان والذى نفسى بيده لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه فى غير حد خير له من ان يخوض غمرات الدنيا يا هادى الطريق جرت انما هو والله الفجر أو البحر فقلت خفض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا يهيضك الى ما بك فوالله ما زلت صالحا مصلحا لا تأس على شئ فاتك من أمر الدنيا ولقد تخليت بالامر وحدك فما رأيت الا خيرا قوله نضائد الديباج واحدتها نضيدة وهى الوسادة وما ينضد من المتاع قال الراجز

وقربت خدامها الوسائدا * حتى اذا ما علوا النضائدا

سبحت ربى قائما وقاعدا

وقد تسمى العرب جماعة ذلك النضد والمعنى واحد انما هو ما نضد فى البيت من متاع قال

النابغة * ورفّعته الى السجفين فالنضد * ويقال نضدت المتاع اذا ضممت بعضه الى بعض فهذا أصله قال الله تبارك وتعالى لها طلع نضيد وقال عز وجل فى سدر مخضود وطلح منضود ويقال نضدت اللبن على الميت وقوله على الصوف الأذربى فهذا منسوب الى أذربيجان وكذلك تقول العرب قال الشماخ

تذكرتها وهنا وقد حال دونها * قرى أذربيجان المسالح والجال

وقوله على حسك السعدان فالسعدان نبت كثير الحسك تأكله الابل فتسمن عليه ويغذوها غذاء لا يوجد فى غيره فمن أمثال العرب مرعى ولا كالسعدان تفضيلا له قال النابغة

الواهب المائة الابكار زينها * سعدان توضح فى أوبارها اللبد

ويروى فى بعض الحديث انه يؤخر بالكافر يوم القيامة فيسحب على السعدان والله أعلم بذلك (قال أبو الحسن السعدان نبت كثير الشوك كما ذكر أبو العباس ولاساق له انما هو منفرش على وجه الارض حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى الشيبانى عن ابن الاعرابى قال قيل لرجل من أهل البادية وخرج عنها أترجع الى البادية فقال أمّا ما دام السعدان مستلقيا فلا يريد انه لا يرجع الى البادية أبدا كما ان السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبدا وقال أبو على البصير واسمه الفضل بن جعفر وان لم يكن بحجة ولكنه أجاد فذكرنا شعره هذا لجودته لا للاحتجاج به يمدح عبيد الله بن يحيى بن خاقان وآله فقال

يا وزراء السلطان * أنتم وآل خاقان

كبعض ما روينا * فى سالفات الازمان

ماء ولا كصداء * مرعى ولا كالسعدان

وهذه الامثال ثلاثة منها قولهم مرعى ولا كالسعدان وفتى ولا كمالك وماء ولا كصداء تضرب هذه الامثال للشئ الذى فيه فضل وغيره أفضل منه كقولهم ما من طامة الا وفوقها طامة أى ما من داهية الا وفوقها داهية ويقال طما الماء وطم اذا ارتفع وزاد ومالك الذى

ذكروا هو مالك بن نُوَيْرة أخو مُتَمِّم بن نويرة وصَدَّاء عَمَدٌ وبعضهم يقول صُدَّى فيضم أوله ويقصُر فأما أبو العباس محمد بن يزيد فانه قال لم أسمع من أصحابنا الا صَدْآء يافتى وهو اسم لماء معرفة وهما همزتان بينهما ألف والالف لا تكون الا ساكنة كانك قلت صَدْعاع يا هذا) وقوله انما هو والله الفجر أو البجر يقول ان انتظرت حتى يُضيء لك الفجرُ الطريقَ أبصرتَ قصدك وان خبطت الظلماء وركبت العشواء هجما بك على المكروه وضرب ذلك مثلا لغمرات الدنيا وتحييرها أهلها وقوله يهيضك مأخوذ من قولهم هيض العظمُ اذا جُبِرَ ثم أصابه شيءٌ يُعنته فآذاه فكسره ثانية أو لم يكسره وأكثر ما يستعمل في كسره ثانية ويقال عظم مَهيض وجناح مَهيض في هذا المعنى ثم يشتق لغير ذلك وأصله ما ذكرت لك فمن ذلك قول عمر ابن عبد العزيز رحمه الله لما كسر يزيد بن المُهلَّب سجنه وهرب فكتب اليه لو علمتُ انك تبقى ما فعلتُ ولكنك مسموم ولم أكن لأضع يدي في يد ابن عاتكة (هو يزيد بن عبد الملك بن مروان وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية تولى الملك بعد عمر بن عبد العزيز ولا يعلم أحد أعرق في الملك منه) فقال عمر اللهم انه قد هاضني فهضه فهذا معناه وقوله فكلكم ورم انفه يقول امتلأ من ذلك غضبا وذكر انفه دون سائره كما يقال فلان شامخ بانفه يريد رافع رأسه وهذا يكون من الغضب كما قال الشاعر * ولا يُهاجُ اذا ما أنفُه ورِما * أي لا يكلم عند الغضب ويقال للمائل برأسه كبرا متشاوس وثاني عطفه وثاني جيده انما هذا كله من الكبرياء قال الله عز وجل ثانيَ عطفه ليُضلَّ عن سبيل الله وقال الشمّاخُ (يهجو الربيع بن عَلْباء السُلَمي)

نُبِّئْتُ أن رَبيعا أن رعى ابلا * يُهدي الى خَنَاه ثانيَ الجيد

وقوله أراك بارئا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من برِئْتُ من المرض وبرَأْتُ كلاهما يقال فمن قال برِئتُ قال أبرَأُ يا فتى لا غير ومن قال برَأْتُ قال في المضارع ابرأُ وابرُؤُ

يافتى مثل فرغ يفرغ ويفرغ والآية تقرأ على وجهين سنفرغ لكم أيها الثقلان وسنفرغ والمصدر فيهما الفروغ يافتى * ومما روى لنا عنه رضى الله عنه حيث عهد عند موته وهو بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويتقى فيها الفاجرانى استعملت عليكم عمر بن الخطاب فان بر وعدل فذلك علمى به ورأيى فيه وان جار وبدل فلا علم لى بالغيب والخير أردت ولكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون نصب أى بقوله ينقلبون ولا يكون نصبا بسيعلم لان حروف الاستفهام اذا كانت أسماء امتنعت مما قبلها كما يمتنع ما بعد الالف من أن يعمل فيه ما قبله وذلك نحو قولك علمت زيدا منطلقا فان أدخلت الالف قلت علمت أزيد منطلق أم لا فأى بمنزلة زيد الواقع بعد الالف الا ترى ان معناها أذا أم ذا وقال الله عز وجل لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا لان معناها أهذا أم هذا وقال تعالى فلينظر أيها أزكى طعاما على ما فسرت لك وتقول اعلم أيهم ضرب زيدا واعلم أيهم ضرب زيد تنصب أيا بضرب لان زيدا فاعل فانما هذا لما بعده وكذلك ما أضيف الى اسم من هذه الاسماء المستفهم بها نحو قد علمت غلام أيهم فى الدار وقد عرفت غلام من فى الدار وقد علمت غلام من ضربت فتنصبه بضربت فعلى هذا مجرى الباب * ومما يؤثر من هذه الآداب ويقدم قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى أول خطبة خطبها حدثنا العتبى قال لم أر أقل منها فى اللفظ ولا أكثر فى المعنى حمد الله وأثنى عليه وهو أهله وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس انه والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه ثم نزل وانما حسن هذا القول مع ما يستحقه من قبل الاختيار بما عضده به من الفعل المشاكل له (قال أبو الحسن قد روينا هذه الخطبة التى عزاها الى عمر بن الخطاب عن أبى بكر رضى الله عنهما وهو الصحيح) قال أبو العباس ومن ذلك رسالته فى القضاء الى أبى موسى الاشعرى وهى التى

جمع فيها جل الأحكام واختصرها بأجود الكلام وجعل الناس بعده يتخذونها اماما ولا يجد
محق عنها معدلا ولا ظالم عن حدودها محيصا وهي بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن
الخطاب أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس سلام عليك أما بعد فان القضاء فريضة محكمة
وسنة متبعة فافهم اذا أدلي اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس في الناس بين وجهك
وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على
من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا
لا يمنعنك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع الى الحق فان
الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما
ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الاشباه والامثال فقس الامور عند ذلك واعمد الى أقربها الى
الله وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهي اليه فان أحضر بينته
أخذت له بحقه والا استحللت عليه القضية فانه أنفى للشك وأجلى للعمى المسلمون عدول
بعضهم على بعض الا مجلودا في حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو نسب فان الله
تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والايمان واياك والغلق والضجر والتأذي بالخصوم
والتنكر عند الخصومات فان الحق في مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذخر
فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه
ليس من نفسه شانه الله فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام
(قال أبو العباس) قوله آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك يقول سو بينهم وتقديره
اجعل بعضهم أسوة بعض والتآسي من ذا أن يرى ذو البلاء من به مثل بلائه فيكون قد ساواه
فيه فيسكن ذلك من وجده قالت الخنساء

فلولا كثرة الباكين حولي * على اخوانهم لقتلت نفسي

وما يكون مثل أخي ولكن * أعزي النفس عنه بالتأسي

يذكرني طلوع الشمس صخرا * وأذكره لكل غروب شمس

تقول أذكره في أول النهار للغارة وفي آخره للضيفان وقتل مصعب بن الزبير يوم قتل بهذا البيت وان الأولى بالطف من آل هاشم * تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

وقوله حتى لا يطمع شريف في حيفك يقول في ميلك معه لشرفه وقوله فيما تلجلج في صدرك يقول تردد وأصل ذلك المضغة والأكلة يرددها الرجل في فيه فلا تزال تتردد الى أن يسيغها أو يقذفها والكلمة يرددها الرجل الى ان يصلها بأخرى يقال للعي لجلاج وقد يكون من الآفة تعتري اللسان قال زهير

تلجلج مضغة فيها أنيض * أصلت فهي تحت الكشح داء

وقوله أنيض أي لم تنضج ومن أمثال العرب الحق أبلج والباطل لجلج أي يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مخرجا وقوله أو ظنينا في ولاء أو نسب فهو المتهم وأصله مظنون وهي ظننت التي تتعدى الى مفعول واحد تقول ظننت بزيد وظننت زيدا أي اتهمت ومن ذلك قول الشاعر وأحسبه عبد الرحمن بن حسان

فلا ويمين الله ما عن جناية * هجرت ولكن الظنين ظنين

وفي بعض المصاحف وما هو على الغيب بظنين وانما قال عمر رضي الله عنه ذلك لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ملعون ملعون من انتمى الى غير أبيه أو ادعى الى غير مواليه فلما كانت معه الاقامة على هذا لم يره للشهادة موضعا وقوله ودرأ بالبينات والأيمان انما هو دفع من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات وقال الله عز وجل قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين وقال فادارأتم فيها أي تدافعتم وأما قوله واياك والغلق والضجر فانه ضيق الصدر وقلة الصبر يقال في سوء الخلق رجل غلق

وأصل ذلك من قولهم أُغْلِقَ عليه أمرُه اذا لم يتّضح ولم ينفتح من ذلك قولهم غَلِقَ الرَّهْنُ أى لم يوجد له تَخَلُّص وأغلقتُ الباب من هذا قال زُهير

وفارقتْك برَهْنٍ لا فَكَاكَ له * يومَ الوداعِ فأمسى الرَّهْنُ قد غَلِقا

وقوله ومن تَخَلَّقَ للناس يقول أظهر للناس فى خُلُقه خلافَ نيّته وقوله تَخَلَّقَ يريد أظهر خُلُقًا مثل تَجَمَّلَ يريد أظهر جمالا وتَصَنَّعَ وكذلك تَجَبَّرَ اغما تأويله الاظهار أى أظهر جَبَرِيَّةً (وان شئت جَبَرُوَّة وان شئت جَبَرُوتا وان شئت جَبَرُوتى ومن كلام العرب على هذا الوزن رَهَبُوتى خير لك من رَحَمُوتى أى لأَنْ تُرْهَبَ خيرٌ لك من أن تُرْحَم) قال أبو العباس وأنشدونا عن أبى زيد (الشعر لسالم بن وابصةَ الاسَدىّ)

يا أيها المُتَحَلِّى غيرَ شيمته * (ومن سَجِيَّته الاِكْثارُ والمَلَقُ

دَعْ التَخَلُّقَ يبعُدْ عنك أوّلُه) * ان التَخَلُّقَ يأتى دونه الخُلُقُ

ولا يُؤاتيكَ فيما نابَ من حَدَثٍ * الا أخو ثقةٍ فانظُرْ بمن تَثِقُ

قال وأنشدتنى أمُّ الهيثم الكلابيّة

ومن يَتَّخِذْ خيما سوى خيم نفسه * يدَعْهُ ويَغْلِبْهُ على النفس خيمُها

وقال ذو الاصبع العَدْوانىّ (ذو الاصبع اسمه حُرْثان بن الحرث بن مُحَرِّث وقيل له ذو الاصبع لان أفعى نهشت اصبعه)

كُلُّ امرئٍ راجعٌ يومًا لشيمته * وان تَخَلَّقَ أخلاقًا الى حين

وأما قوله ثواب فاشتقاقه من ثاب يثوب اذا رجع وتأويله ما يثوب اليك من مكافأة الله وفضله

* وكتب عثمان بن عفّان الى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما حين أُحيط به أما بعد فانه قد جاوز الماءُ الزُّبى وبلغ الحزامُ الطُبْيَيْن وتجاوز الامرُ بى قدرَه وطمع فىّ من لا يدفع عن نفسه

فان كنتُ مأكولا فكن خيرَ آكلٍ * والا فأدركنى ولمّا أُمَزَّقِ

قوله قد جاوز الماء الزبى فالزبية مصيدة الاسد ولا تتخذ الا فى قلة أو رابية أو هضبة قال الراجز

(فانت والامر الذى قد كيدا) * كالذ تزبى زبية فاصطيدا

وقال الطرماح يا طيئ السهل والاجبال موعدكم * كمبتغى الصيد أعلى زبية الاسد

(ويروى فى عريسة الاسد) وتقول العرب قد علا الماء الزبى وقد بلغ السكين العظم و بلغ الحزام الطبيين وقد انقطع السلى فى البطن فالسلى من المرأة والشاة ما يلتف فيه الولد فى البطن قال العجاج * فقد علا الماء الزبى فلا غير * أى قد جل الامر عن ان يغير و يصلح وقوله و بلغ الحزام الطبيين فان السباع والخيل يقال لمواضع الاخلاف منها أطباء يا فتى واحدها طبى كما يقال فى الظلف والخف خلف هذا مكان هذا فاذا بلغ الحزام الطبيين فقد انتهى فى المكروه ومثل هذا من أمثالهم التقت حلقتا البطان و يقولون التقت حلقتا البطان والحقب و يقال حقب البعير اذا صار الحزام فى الحقب قال الشاعر (قال أبو بكر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأوله سليمى تلك فى العير * قفى ان شئت أو سيرى

فلما أن بدا الصبح * بأصوات العصافير

خرجنا نبتغى الصيد * بأمثال اليعافير)

اذا ما حقب جال * شددناه بتصدير

(زجرنا العيس فارمدت * باهذاب وتشمير)

وقال أوس بن حجر وازدحمت حلقتا البطان بأقوا * م وطارت نفوسهم جزعا

وتمثله بالبيت يشاكل قول القائل

فان أك مقتولا فكن أنت قاتلى * فبعض منايا القوم أكرم من بعض

** وروى عن قنبر مولى على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال دخلت مع على بن أبى طالب على عثمان بن عفان رضى الله عنهما فأحبا الخلوة فأومأ الى على بالتنحى فتنحيت غير بعيد

فجعل عثمان يعاتب عليا وعلي مطرق فاقبل عليه عثمان فقال مالك لا تقول فقال ان قلت لم اقل الا ما تكره وليس لك عندي الا ما تحب تأويل ذلك ان قلت اعتددت عليك بمثل ما اعتددت به علي فلذعك عتابي وعقدي ألا افعل وان كنت عاتبا الا ما تحب * وتحدث ابن عائشة في اسناد ذكره ان عليا رضي الله عنه انتهى اليه أن خيلا لمعاوية وردت الانبار فقتلوا عاملا له يقال له حسان بن حسان فخرج مغضبا يجر ثوبه حتى أتى النخيلة واتبعه الناس فرقي رباوة من الارض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل وسيما الخسف وديث بالصغار وقد دعوتكم الى حرب هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا وقلت لكم اغزوهم من قبل أن يغزوكم فوالذي نفسي بيده ماغزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا فتخاذلتم وتواكلتم وثقل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شنت عليكم الغارات هذا أخو غامد قد وردت خيله الانبار وقتلوا حسان بن حسان ورجالا منهم كثيرا ونساء والذي نفسي بيده لقد بلغني انه كان يدخل على المرأة المسلمة والمعاهدة فتنتزع أحجالهما ورعثهما ثم انصرفوا موفورين لم يكلم منهم أحد كلما فلوان امرأ مسلما مات من دون هذا أسفا ما كان عندي فيه ملوما بل كان به عندي جديرا ياعجبا كل العجب عجب يميت القلب ويشغل الفهم ويكثر الاحزان من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقكم حتى أصبحتم غرضا ترمون ولا ترمون ويغار عليكم ولا تغيرون ويعصى الله عز وجل فيكم وترضون اذا قلت لكم اغزوهم في الشتاء قلتم هذا أوان قر وصر وان قلت لكم اغزوهم في الصيف قلتم هذه حمارة القيظ أنظرنا ينصرم الحر عنا فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون فانتم والله من السيف أفر يا أشباه الرجال ولا رجال ويا طغام الاحلام ويا عقول ربات الحجال والله لقد أفسدتم على رأيي بالعصيان ولقد ملأتم جوفي غيظا حتى قالت قريش ابن أبي طالب رجل

شجاع ولكن لا رأى له فى الحرب لله درهم ومن ذا يكون أعلم بها منى أو أشد لها مراسا فو الله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ولقد نيفت اليوم على الستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع يقولها ثلاثا فقام اليه رجل ومعه أخوه (الرجل وأخوه يعرفان بابنى عفيف من الانصار) فقال يا أمير المؤمنين أنا وأخى هذا كما قال الله تعالى رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فمرنا بامرك فوالله لننتهين اليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضى وشوك القتاد فدعا لهما بخير ثم قال لهما وأين تقعان مما أريد ثم نزل (قال) أبو العباس قوله سيما الخسف قال هكذا حدثوناه وأظنه سيم الخسف يا هذا من قول الله عز وجل يسومونكم سوء العذاب ومعنى قوله سيما الخسف تأويله علامة هذا أصل ذا قال الله عز وجل سيماهم فى وجوههم من أثر السجود وقال عز وجل يعرف المجرمون بسيماهم وقال أبو عبيدة فى قوله عز وجل مسومين قال معلمين واشتقاقه من السيما التى ذكرنا ومن قال مسومين فانما أراد مرسلين من الابل السائمة أى المرسلة فى مراعيها وانما أخذ هذا من التفسير وقال المفسرون فى قوله تعالى والخيل المسومة القولين جميعا من العلامة والارسال وأما قوله عز وجل حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك فلم يقولوا فيه الا قولا واحدا قالوا معلمة وكان عليها أمثال الخواتيم ومن قال سيما قصر ويقال فى هذا المعنى سيمياء ممدود قال الشاعر (وهو ابن عنقاء الفزارى فى عميلة الفزارى) غلام رماه الله بالحسن يافعا * له سيمياء لا تشق على البصر

(كأن الثريا علقت فى جبينه * وفى أنفه الشعرى وفى جيده القمر)

وقوله وقتلوا حسان بن حسان من أخذ حسانا من الحسن صرفه لان وزنه فعال فالنون منه فى موضع الدال من حماد ومن أخذه من الحس لم يصرفه لانه حينئذ فعلان فلا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة لانه ليست له فعلى فهو بمنزلة سعدان وسرحان وقوله وديث بالصغار تأويله ذلل يقال للبعير اذا ذللته الرياضة بعير مديث أى مذلل وقوله فى عقر دارهم

أي في أصل دارهم والعُقْرُ الاصل ومن ثَمَّ قيل لفلان عقار أي أصل مال و يروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال مَنْ باع دارًا أو عقارًا فلم يَرُدَّ ثمنه في مثله فذلك مال قَمِنٌ ألّا يبارَك له فيه وقوله قَمَنٌ يريد خليق و يقال أيضا قَمِين وقَمِنٌ (قال أبو الحسن من قال قَمَنٌ لم يثنّ ولم يجمع ومن قال قَمِنٌ وقَمِين ثنّى وجمع) و يقال للرجل اذا اتخذ ضيعة أو دارًا تأثّل فلانٌ أي اتّخذ أصل مال

وقوله وتواكلتم انما هو مشتق من وكلت الامر اليك ووكلته الى أي لم يتوله واحدٌ منا دون صاحبه ولكن أحال به كلٌّ واحد منا على الآخر ومن ذلك قول الحطيئة

فلا يا قصرت الطرف عنهم بجسرة * أمون اذا واكلتها لا تواكل

وقوله واتخذتموه وراءكم ظِهْرِيًّا أي رميتم به وراء ظهوركم أي لم تلتفتوا اليه و يقال في المثل لا تجعل حاجتي منك بظهر أي لا تطرحها غير ناظر اليها وقوله حتى شُنَّت عليكم الغارات يقول صُبّت يقال شَنَنْتُ الماء على رأسه أي صببته وشننت الشراب في الاناء أي صببته ومن كلام العرب فلما لقي فلان فلانا شَنَّه السيف أي صبّه عليه صبًّا وقوله هذا أخو غامد فهو رجل مشهور من أصحاب معاوية من بني غامد بن نصر بن الازد بن الغوث وفي هذه القبيلة يقول القائل

الا هل أتاها على نأيها * بما فضحت قومها غامدُ

تمنيتم مائتي فارس * فردكم فارس واحد (هو ربيعة بن مكدم)

فليت لنا بارتباط الخيو * ل ضأنا لها حالب قاعد

وقوله فتنتزع أحجالهما يعني الخلاخيل واحدها حِجْل ومن هذا قيل للدابة مُحَجَّل و يقال للقيد حِجْل لانه يقع في ذلك الموضع قال جرير يعير الفرزدق حين قيّد نفسه وأقسم ألا يحلّها حتى يحفظ القرآن فلما هاجى جرير البعيث هجا الفرزدق جريرا معونة للبعيث وذبًّا عن عشيرته فقال جرير

ولما اتقى القين العراقي باسته * فرغت الى العبد المقيد في الحِجْل

(يعني بقوله ولما اتقى القين العراقي باسته البعيث وسمّاه القين لانه من رهط الفرزدق)

ومعنى فرغت عمدت قال الله عز وجل سنفرغ لكم أيها الثقلان أي سنعمد (تميم تقول فرغ يفرغ فراغا وأهل العالية وهم قريش ومن والاها يقولون فرغ يفرغ فروغا) وقوله ورعثهما الواحدة رعثة وجمعها رعاث وجمع الجمع رعث وهي الشنوف وقوله ثم انصرفوا موفورين من الوفر أي لم ينل أحد منهم بان يرزأ في بدن ولا مال يقال فلان موفور وفلان ذو وفر أي ذو مال و يكون موفورا في بدنه اذا ذكر ما أصيب به غيره في بدنه قال حاتم الطائي

وقد علم الاقوام لو أن حاتما * أراد ثراء المال كان له وفر

و يروى أمسى له وفر وقوله لم يكلم أحد منهم كلما يقول لم يخدش أحد منهم خدشا وكل جرح صغر أو كبر فهو كلم قال جرير

تواصت من تكرمها قريش * برد الخيل دامية الكلوم

وقوله مات من دون هذا أسفا يقول تحسرا فهذا موضع ذا وقد يكون الأسف الغضب قال الله عز وجل فلما آسفونا انتقمنا منهم والأسيف يكون الاجير و يكون الأسير فقد قيل في بيت الاعشى

أرى رجلا منهم أسيفا كأنما * يضم الى كشحيه كفا مخضبا

المشهور انه من التأسف لقطع يده وقيل بل هو أسير قد كبلت يده و يقال قد جرحها الغل والقول الاول هو المجتمع عليه و يقال في معنى أسيف عسيف أيضا وقوله من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم يقول من تعاونهم وتظاهرهم وقوله وفشلكم عن حقكم يقال فشل فلان عن كذا اذا هابه فنكل عنه وامتنع من المضي فيه وقوله قلتم هذا أوان قر وصر فالصر شدة البرد قال الله عز وجل كمثل ريح فيها صر وقوله هذه حمارة القيظ فالقيظ الصيف وحمارته اشتداد حره واحتدامه وحمارة مما لا يجوز أن يحتج عليه ببيت شعر لان كل ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وزن الشعر الا في ضرب منه يقال له المتقارب فانه يجوز فيه على بعد التقاء الساكنين وهو قوله

فذاك القصاص وكان التقا * ص فرضا وحتما على المسلمينا

ولو قال وكان القصاص فرضا كان أجود وأحسن ولكن قد أجازوا هذا في هذه العروض ولا نظير له في غيرها من الأعاريض وقوله ويا طغام الأحلام فجاز الطغام عند العرب من لا عقل له ولا معرفة عنده وكانوا يقولون طغام أهل الشأم كما قال

(اذا ما كان مثلهم رجالا) * فما فضل اللبيب على الطغام

وقوله ويا عقول ربات الحجال ينسبهم الى ضعف النساء وهو السائر في كلام العرب قال الله تعالى يذكر البنات أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين

١ـ باب

قال أبو العباس من كلام العرب الاختصار المفهم والاطناب المفخم وقد يقع الايماء الى الشئ فيغني عند ذوي الألباب عن كشفه كما قيل لمحة دالة وقد يضطر الشاعر المفلق والخطيب المصقع والكاتب البليغ فيقع في كلام أحدهم المعنى المستغلق واللفظ المستكره فان انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عواره وسترتا من شينه وان شاء قائل أن يقول بل الكلام القبيح في الكلام الحسن أظهر ومجاورته له أشهر كان ذلك له ولكن يغتفر السيئ للحسن والبعيد للقريب فمن ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة الحسنة الوصف الجميلة الرصف قول الحطيئة

وذاك فتى ان تأته في صنيعة * الى ماله لا تأته بشفيع

وكذلك قول عنترة

يخبرك من شهد الوقيعة أنني * أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وكما قال زهير على مكثريهم حق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

ومما وقع كالايماء قول الفرزدق

ضربت عليك العنكبوت بنسجها * وقضى عليك به الكتاب المنزل

فتأويل هذا إن بيت جرير في العرب كالبيت الواهي الضعيف فقال وقضى عليك به الكتاب المنزل يريد به قول الله تبارك وتعالى وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ومن كلامه المستحسن قوله لجرير

فهل ضربة الرومي جاعلة لكم * أبا عن كليب أو أبا مثل دارم

ومن أقبح الضرورة وأهجن الالفاظ وأبعد المعاني قوله

وما مثله في الناس الا مملكا * أبو أمه حي أبوه يقاربه

مدح بهذا الشعر ابراهيم بن هشام بن اسمعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو خال هشام بن عبد الملك فقال وما مثله في الناس الا مملكا يعني بالمملك هشاما أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحا وكان يكون اذا وضع الكلام في موضعه أن يقول وما مثله في الناس حي يقاربه الا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح فدل على انه خاله بهذا اللفظ البعيد وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول

تصرم مني ود بكر بن وائل * وما كاد مني ودهم يتصرم

قوارص تأتيني وتحتقرونها * وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

(القارصة الكلمة المؤذية) وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول

والشيب ينهض في السواد كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

فهذا أوضح معنى وأعرب لفظ وأقرب مأخذ وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ما يستحق ألا ترى كيف يفضل قول عمارة على قرب عهده

تبجحتم سخطي فغير بحثكم * نخيلة نفس كان نصحا ضميرها

ولن يلبث التخشين نفسا كريمة * عريكتها أن يستمر مريرها

وما النفس الا نطفة بقرارة * اذا لم تكدر كان صفوا غديرها

فهذا كلام واضح وقول عذب وكذلك قوله أيضا

بنى دارم ان يفن عمرى فقد مضى * حياتى لكم منى ثناء مخلد

بدأتم فأحسنتم فأثنيت جاهدا * وان عدتم أثنيت والعود أحمد

ومما يفضل لتخلصه من التكلف وسلامته من التزيد وبعده من الاستعانة قول أبى حية النميرى

رمتنى وستر الله بينى وبينها * عشية آرام الكناس رميم

(قيل فى ستر الله الاسلام وقيل فيه انه الشيب وقيل ما حرم الله عليهما)

ألا رب يوم لو رمتنى رميتها * ولكن عهدى بالنضال قديم

(يرى الناس أنى قد سلوت وانني * لمرمى احناء الضلوع سقيم)

يقول رمتنى بطرفها وأصابتنى بمحاسنها ولو كنت شابا لرميت كما رميت وفتنت كما فتنت ولكن قد تطاول عهدى بالشباب فهذا كلام واضح (قال أبو الحسن أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى البيتين عن عبد الله بن شبيب وروى * عشية أحجار الكناس رميم * وزاد فيه

رميم التى قالت لجارات بيتها * ضمنت لكم أن لا يزال يهيم

الكناس والمكنس الموضع الذى تأوى اليه الظباء وجمع الكناس كنس وجمع المكنس مكانس ورميم اسم جارية مأخوذ من العظام الرميم وهى البالية وكذلك الرمة والرمة القطعة البالية من الحبل وكل ما اشتق من هذا فاليه يرجع) قال أبو العباس وأما ما ذكرناه من الاستعانة فهو أن يدخل فى الكلام ما لا حاجة بالمستمع اليه ليصحح به نظما أو وزنا ان كان فى شعر أو ليتذكر به ما بعده ان كان فى كلام منثور كنحو ما تسمعه فى كثير من كلام العامة مثل قولهم ألست تسمع أفهمت أين أنت وما أشبه هذا وربما تشاغل العيى بفتل اصبعه ومس لحيته

وغير ذلك من بدنه وربما تنحنح وقد قال الشاعر يعيب بعض الخطباء في شعره

مليء ببهر والتفات وسعلة * ومسحة عثنون وفتل الاصابع

وقال رجل من الخوارج يصف خطيبا منهم بالجبن وأنه مجيد لولا أن الرعب أذهله

نحنح زيد وسعل * لما رأى وقع الاسل

ويله اذا ارتجل * ثم أطال واحتفل

(وقال رجل يصف رجلا من اياد بالعي وكان أبوه خطيبا وخاله

جمعت صنوف العي من كل وجهة * وكنت مليئا بالبلاغة من كثب

أبوك معم في الكلام ومخول * وخالك وثاب الجراثيم في الخطب)

ومما يشاكل هذا المعنى ويجانس هذا المذهب ما كان من خالد بن عبد الله القسري فانه كان متقدما في الخطابة ومتناهيا في البلاغة فخرج عليه المغيرة بن سعيد بالكوفة في عشرين رجلا فعطعطوا به فقال خالد أطعموني ماء وهو على المنبر فعير بذلك فكتب به هشام اليه في رسالة يوبخه فيها وسنذكرها في موضعها ان شاء الله وعيره يحيى بن نوفل فقال

لأعلاج ثمانية وعبد * لئيم الاصل في عدد يسير

هتفت بكل صوتك أطعموني * شرابا ثم بلت على السرير

فهذا عارض وقال آخر يعيره

بل المنابر من خوف ومن وهل * واستطعم الماء لما جد في الهرب

وألحن الناس كل الناس قاطبة * وكان يولع بالتشديق في الخطب

*ومما يستحسن لفظه ويستغرب معناه ويحمد اختصاره قول أعرابي من بني كلاب

فمن يك لم يغرض فاني وناقتي * بحجر الى أهل الحمى غرضان

(هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى * واني واياها لمختلفان)

تحن فتبدي ما بها من صبابة * وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني

(أنشد صاعد بعدهما زيادة فيهما

فيا كبدينا أجلا قد وجدتما * بأهل الحمى ما لم يجد كبدان

اذا كبد انا خافتا وشك نية * وعاجل بين ظلتا تجبان)

يريد لقضى علي فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسن مخرج قال الله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون والمعنى اذا كالوا لهم أو وزنوا لهم ألا ترى أن أول الآية الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون فهؤلاء أخذوا منهم ثم أعطوهم وقال الله تبارك وتعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا أي من قومه وقال الشاعر

(هو أعشى طرود واسمه اياس بن عامر)

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * فقد تركتك ذا مال وذا نشب

أي أمرتك بالخير ومن ذا قول الفرزدق

ومنا الذي اختير الرجال سماحة * وجودا اذا هب الرياح الزعازع

أي من الرجال فهذا الكلام الفصيح وتقول العرب أقمت ثلاثا ما أذوقهن طعاما ولا شرابا أي ما أذوق فيهن وقال الشاعر

ويوما شهدناه سليما وعامرا * قليلا سوى الطعن النهال نوافله

(قال أبو الحسن قوله لم يغرض أي لم يشتق يقال غرضت الى لقائك وجنفت الى لقائك وعطشت الى لقائك وجعت الى لقائك أي اشتقت أخبرنا بذلك أبو العباس أحمد بن يحيى عن ابن الاعرابي وأنشدنا عنه

من ذا رسول ناصح فمبلغ * عني علية غير قول الكاذب

أني غرضت الى تناصف وجهها * غرض المحب الى الحبيب الغائب

التناصف الحسن وأما قوله لقضاني فانما يريد لقضى على الموت كما قال الله تبارك وتعالى فلما قضينا عليه الموت فالموت في النية وهو معلوم بمنزلة ما نطقت به فلهذا ناسب هذا قوله عز وجل واختار موسى قومه وكذلك قوله تعالى كالوهم فالشيء المكيل معلوم فهو بمنزلة ما ذكر في اللفظ ولا يجوز مررت زيدا وأنت تريد مررت بزيد لانه لا يتعدى الا بحرف جر وذلك انه فعل الفاعل في نفسه وليس فيه دليل على المفعول وليس هذا بمنزلة ما يتعدى الى مفعولين فيتعدى الى أحدهما بحرف جر والى الآخر بنفسه لان قولك اخترت الرجال زيدا قد علم بذكرك زيدا أن حرف الجر محذوف من الاول فأما قول الشاعر وهو جرير وانشاد أهل الكوفة له وهو قوله

تمرون الديار ولم تعوجوا * كلامكم على اذا حرام

ورواية بعضهم له أتمضون الديار فليسا بشيء لما ذكرت لك والسماع الصحيح والقياس المطرد لا تعترض عليه الرواية الشاذة أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال قرأت على عمارة بن عقيل ابن بلال بن جرير * مررتم بالديار ولم تعوجوا * فهذا يدلك على ان الرواية مغيرة فأما قولهم أقمت ثلاثا ما أذوقهن طعاما ولا شرابا وقول الراجز

قد صبحت صبحها السلام * بكبد خالطها سنام * في ساعة يحبها الطعام

يريد في ساعة يحب فيها الطعام وكذلك الاول معناه ما أذوق فيهن فليس هذا عندي من باب قوله جل وعلا واختار موسى قومه الا في الحذف فقط وذلك أن ضمير الظرف تجعله العرب مفعولا على السعة كقولهم يوم الجمعة سرته ومكانكم قمته وشهر رمضان صمته فهذا يشبه في السعة بقولك زيد ضربته وما أشبهه فهذا بين) * قال أبو العباس ومما يستحسن ويستجاد قول أعرابي من بني سعد بن زيد مناة بن تميم وكان مملكا فنزل به أضياف فقام الى الرحى فطحن لهم فمرت به زوجته في نسوة فقالت لهن أهذا بعلي فأعلم بذلك فقال (قال أبو الحسن أخبرنا

به عن أبي محلم له يعني السعدي)

تقول وصكت صدرها بيمينها * أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

فقلت لها لا تعجبي وتبيني * بلائي اذا التفت على الفوارس

ألست أرد القرن يركب ردعه * وفيه سنان ذو غرار ين يابس

اذا هاب أقوام تجشمت هول ما * يهاب حمياه الالد المداعس

لعمر أبيك الخير اني لخادم * لضيفي واني ان ركبت لفارس

قوله المتقاعس انما هو الذي يخرج صدره ويدخل ظهره ويقال عزة قعساء وانما هذا مثل أي لا تضع ظهرها الى الارض وقوله بالرحى المتقاعس لو أراد الذي يتقاعس بالرحى لم يجز لان قوله بالرحى من صلة الذي والصلة من تمام الموصول فلو قدمها قبله لكان لحنا وخطأ فاحشا وكان كمن جعل آخر الاسم قبل أوله ولكنه جعل المتقاعس اسما على وجهه وجعل قوله بالرحى تبيينا بمنزلة لك التي تقع بعد قولك سقيا وبمنزلة بك التي تقع بعد مرحبا فان قدمتها قبل سقيا ومرحبا فذلك جيد بالغ تقول بك مرحبا وأهلا وتقول لك حمدا ولزيد سقيا فأما قول الله عز وجل وأنا على ذلكم من الشاهدين وكذلك وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فيكون تفسيره على وجهين أحدهما أن يكون وأنا ناصح لكما وأنا شاهد على ذلكم ثم جعل من الشاهدين ولمن الناصحين تفسير الشاهد وناصح ويكون على ما فسرنا يراد به التبيين فلا يدخل في الصلة ويكون على مذهب المازني وقال أبو العباس وهو الذي أختار على أن الالف واللام للتعريف لا على معنى الذي ألا ترى أنك تقول نعم القائم زيد ولا يجوز نعم الذي قام زيد فانما هو بمنزلة قولك نعم الرجل زيد وهذا الذي شرحناه متصل في هذا الباب كله مطرد على القياس وقوله * ألست أرد القرن يركب ردعه * فانما اشتقاقه من السهم يقال ارتدع السهم اذا رجع النصل متأخرا في السنخ ويقال ركب البعير ردعه اذا سقط فدخلت عنقه في جوفه

فالكلام مشتق بعضه من بعض ومبين بعضه بعضاً فيقال من هذا في المثل ذهب فلان في حاجتي فارتدع عنها أي رجع وكذلك فلان لا يرتدع عن قبيح والاصل ما ذكرت لك أولاً ومثل هذا قولهم فلان على الدابة وعلى الجبل أي فوق كل واحد منهما ثم تقول فلان عليه دين تمثيلا وكذلك ركبه دين وانما تريد أن الدين علاه وقهره وكذلك فلان على الكوفة اذا كان والياً عليها وكذلك علا فلان القوم اذا علاهم بأمره وقهرهم أو جعل في هذا الموضع وقوله *وفيه سنانٌ ذو غرارين يابس* فالغرار ههنا الحدّ وللغرار مواضع قال أبو العباس وحدثني الرياشي في اسناد له قال قال جبر بن حبيب وذكر الراعي أخطأ الأعور قال ولم نعلم أحداً الحاكي عنه أن الراعي كان أعور الا من هذا الخبر في قوله

فصادف سهمه أحجار قفّ * كسرن العير منه والغرارا

وجبر بن حبيب هو المخطئ لان الغرار ههنا هو الحد وذهب جبر الى أنه المثال وقد يكون المثال وليس ذلك بمانعه من أن يحتمل معاني يقال بنوا بيوتهم على غرار واحد أي على مثال واحد كما قال عمرو بن أحمر الباهلي

وضعن وكلهن على غرار * هجان اللون قد وسقت جنينا

(الرواية عن أبي العباس وضَعَن بفتح الضاد والواو والصحيح وُضِعْنَ بضم الواو وكسر الضاد)

ويقال للسوق درة وغرار أي نفاق وكساد فهذا معنى آخر وانما تأويل الغرار في هذا المعنى الاخير أنه شئ بعد شئ ومن هذا غار الطائر فرخه لانه انما يعطيه شيئاً بعد شئ وكذلك غارت الناقة في الحلب ويقال من هذا ما نمت الا غراراً قال الشاعر

ما أذوق النوم الا غراراً * مثل حسو الطير ماء الثماد

فكشف في هذا البيت معنى الغرار وأوضحه وقوله *يهاب حمياه الألد المداعس* فأصل الحميا انما هي صدمة الشئ يقال فلان حامي الحميا ويقال صدمته حميا الكاس يراد بذلك

سورتها وقوله الالدّ فأصله الشديد الخصومة يقال خصمٌ ألدُّ أي لا ينثني عن خصمه قال الله عز وجل وتُنذر به قوماً لدّاً كما قال بل هم قوم خصمون وقال مهلهل

ان تحت الاحجار حزماً وجوداً * وخصيماً ألدَّ ذا معلاق

ويروى مغلاق فمن روى ذلك فتأويله أنه يغلق الحجة على الخصم ومن قال ذا معلاق فانما يريد أنه اذا علق خصماً لم يتخلص منه وجعل السعديُّ الالدَّ الذي لا ينثني عن الحرب تشبيهاً بذلك والمداعس المطاعن يقال دعسه بالرمح اذا طعنه قال عُمير بن الحُباب السُلميُّ

أنا عُميرٌ وأبو المُغلّس * وبالقناة مازني مدعس

(قال أبو الحسن تأويل قوله أي قول السعدي *أبعلي هذا بالرحى المتقاعس* بالرحى تبيين ولم يوضحه فان تقدير ما كان من هذا الضرب أنه اذا قال أبعلي هذا بالرحى المتقاعس فان المتقاعس يدل على أن تقاعساً وقع فكأنه قال وقع التقاعس بالرحى ولم يرد ان يعمل المتقاعس في قوله بالرحى لانه في الصلة والصلة من الموصول بمنزلة الدال من زيد أو الياء فكما لا يجوز أن يتقدم حروف الاسم بعضها على بعض لم يجز أن تتقدم الصلة على الموصول فاما قول الله عز وجل وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين وكذلك وأنا على ذلكم من الشاهدين فانه يكون على التبيين الذي قدمنا ذكره وهو قول البصريين أجمعين الا أن أبا عمر الجرمي أجاز أن يجعل لكما وعلى ذلكم معلقين بشيئين محذوفين دلّ عليهما من الناصحين ومن الشاهدين لان من مبعّضة فكأنه قال والله أعلم وقاسمهما اني ناصحٌ لكما من الناصحين وأنا شاهد على ذلكم من الشاهدين وأما اختياره وذكره أنه قول المازني وجعله الالف واللام للعهد مثلهما في الرجل وما أشبهه فان هذا القول غير مرضيّ عندي لانك اذا قلت نعم القائم زيدٌ فجعلت الالف واللام كالالف واللام الداخلتين على ما لم يؤخذ من الفعل كالانسان والفرس وما أشبهه فانه اذا كان هكذا دخل في باب الاسماء الجامدة وهي التي لم تؤخذ من أمثلة الفعل وامتنع من أن

يعمل مؤخرا الاعلى حيلة ووجه بعيد من التبيين الذى ذكرنا واذا كان فى التأخير لا يعمل بنفسه فكيف يعمل اذا تقدم عليه الظرف وهذا مستحيل لا وجه له وأما انشاده * لا أذوق النوم الا غرارا * فان هذه أبيات أربعة أنشدناها عن الزيادى وذكر أنه كان يستحسنها وهى لاعرابى قال

مالعينى كحلت بالسهاد * ولجنبى نابيا عن وسادى
لا أذوق النوم الا غرارا * مثل حسو الطير ماء الثماد
أبتغى اصلاح سعدى بجهدى * وهى تسعى جهدها فى فسادى
فتتاركنا على غير شئ * ربما أفسد طول التمادى

وأما انشاده * وضعن وكلهن على غرار * فان البيت لعمرو بن أحمر بن العمرد الباهلى) قال أبو العباس ومن سهل الشعر وحسنه قول طخيم بن أبى الطخماء الاسدى يمدح قوما من أهل الحيرة من بنى امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ثم من رهط عدى بن زيد العبادى قال

كأن لم يكن يوم بزورة صالح * وبالقصر ظل دائم وصديق
ولم أرد البطحاء يمزج ماءها * شراب من البروقتين عتيق
معى كل فضفاض القميص كأنه * اذا ما سرت فيه المدام فنيق
بنو السمط والحداء كل سميدع * له فى العروق الصالحات عروق
وانى وان كانوا نصارى أحبهم * ويرتاح قلبى نحوهم ويتوق

قال أبو العباس أنشدنى هذا الشعر أبو محلم ثم أنشدنيه رجل نصرانى يكنى أبا يحيى شاعر من هؤلاء القوم الذين مدحوا به وذكر أنه يذكر طخيما وهو يتردد اليهم ويظل عندهم قال هذا النصرانى وهو رجل من بنى الحداء قال أذكره وأنا صغير جدا والسلطان يطلبه لقوله * له فى العروق الصالحات عروق * يقول أتقول هذا القوم من النصارى وكان هذا النصرانى

قد قارب مائة سنة فيما ذكر وقوله مس كل فضفاض القميص يريد أن قميصه ذو فضول وانما يقصد الى ما فيه من الخيلاء كما قال زهير

يجرون الذيول وقد تمشت * حميا الكأس فيهم والغناء

ويقال ان تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الازار في النار انما أراد معنى الخيلاء وقال الشاعر

ولا ينسيني الحدثان عرضي * ولا أرخي من المرح الازارا

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لابي تميمة الهجيمي اياك والمخيلة فقال يا رسول الله نحن قوم عرب فما المخيلة فقال صلى الله عليه وسلم سبل الازار والحديث يعرض لما يجري في الحديث قبله وان لم يكن من بابه ولكن يذكر به قال أبو العباس روى لنا ان رجلا من الصالحين كان عند ابراهيم بن هشام فأنشد ابراهيم قول الشاعر

اذ أنت فينا لمن ينهاك عاصية * واذ أجر اليكم سادرا رسني

فقام ذلك الرجل (هو ابن أبي عتيق) فرمى بشق ردائه وأقبل يسحبه حتى خرج من المجلس ثم رجع على تلك الحال فجلس فقال له ابراهيم بن هشام ما بلك فقال اني كنت سمعت هذا الشعر فاستحسنته فآليت ألا أسمعه الا جررت ردائي كما ترى كما سحب هذا الرجل رسنه وأما الفنيق فانه الفحل وانما أراد خطرانه بذنبه من الخيلاء فشبه الرجل من هؤلاء اذا انتشى بالفحل وهو اذا خطر ضرب بذنبه يمنة وشأمة قال ذو الرمة

وقربن بالزرق الجمائل بعدما * تقوب من غربان أوراكها الخطر

ومن حسن الشعر وما يقرب مأخذه قول محيس بن أرطاة الاعرجي والاعرج الحرث بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم لرجل من بني حنيفة يقال له يحيى وكان يصير الى امرأة في قرية من قرى اليمامة يقال لها بقعاء (قال أبو الحسن أنشدته عن الرياشي نقعاء بالنون وسألت

رجلا من أهل اليمامة فصيحا من بنى حنيفة عن هذا فقال ما أعرفه الا بقعاء بالباء)

عرضت نصيحة منى ليحيى * فقال غششتنى والنصح مر

وما بى أن أكون أعيب يحيى * ويحيى طاهر الأخلاق بر

ولكن قد أتانى أن يحيى * يقال عليه فى بقعاء شر

فقلت له تجنب كل شئ * يعاب عليك ان الحر حر

فهذا كلام ليس فيه فضل عن معناه وقوله ان الحر حر انما تأويله أن الحر على الاخلاق التى عهدت فى الاحرار ومثل ذلك * أنا أبو النجم وشعرى شعرى * أى شعرى كما بلغك وكما كنت تعهد وكذلك قولهم الناس للناس أى الناس كما كنت تعهدهم (قال أبو الحسن ومنه قول الله عز وجل فغشيهم من اليم ما غشيهم) وقوله فقلت له تجنب كل شئ يعاب عليك كقول عمرو بن العاص لمعاوية حين وصف عبد الملك بن مروان فقال آخذ بثلاث تارك لثلاث آخذ بقلوب الرجال اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر الامرين عليه اذا خولف تارك للمراء تارك لمقاربة اللئيم تارك لما يعتذر منه كقوله

تجنب كل شئ * يعاب عليك ان الحر حر

* ومما يستحسن انشاده من الشعر لصحة معناه وجزالة لفظه وكثرة تردده من المعانى بين الناس قول ابن ميادة لرياح بن عثمان بن حيان المرى من مرة غطفان وكلاهما من مرة غطفان بقوله فى فتنة محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن وكان أشار عليه بأن يعتزل القوم فلم يفعل فقتل فقال ابن ميادة

أمرتك يا رياح بأمر حزم * فقلت هشيمة من أهل نجد

نهيتك عن رجال من قريش * على محبوكة الأصلاب جرد

ووجدا ما وجدت على رياح * وما أغنيت شيأ غير وجدى

فقوله فقلت هشمة من أهل نجد تأويله ضعفة وأصل الهشيم النبت اذا ولى ويجف وتكسر فذرته الرياح يمينا وشمالا قال الله تعالى فأصبح هشيما تذروه الرياح والنجد أعالى الارض وقوله على محبوكة الاصلاب جرد فالمحبوك الذى فيه طرائق واحدها حباك والجماعة حبك يقال لطرائق الماء حبك وكذلك الطرائق التى على جناح الطائر من ذلك قول الله تبارك وتعالى والسماء ذات الحبك (قال أبو الحسين ابن ميادة اسمه الرماح وأمه ميادة وأبوه أبرد وكان عاقا بأمه ولها يقول

اعرنزمى ميادللقوافى * واستمعيهن ولا تخافى * ستجدين ابنك ذا قذاف

وأصل الاعرنزام التجمع والتقبض يقول استعدى لها وتهيئى وأنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد له

وقواعم قد قلن يوم ترحلى * قول المجد وهن كالمزاح
ياليتنا من غير أمر فادح * طلعت علينا العيس بالرماح

فى أبيات له يعنى نفسه قال أبو الحسن وتمام الابيات

بينا كذاك رأيتنى متعصبا * بالخز فوق جلالة سرداح
فيهن صفراء المعاصم طفلة * بيضاء مثل غريضة التفاح
فيشرن حين أردن أن يرمينى * نبلا بلا ريش ولا بقداح
ونظرن من خلل الستور باعين * مرضى مخالطها السقام صحاح)

قال أبو العباس ثم نذكر من كلام الحكماء وأمثالهم وآدابهم صدرا ثم نعود الى المقطعات ان شاء الله يروى عن ابن عمر أنه كان يقول انا معشر قريش كنا نعد الجود والحلم السودد ونعد العفاف واصلاح المال المروءة قال الاحنف بن قيس كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزح تذهب المروءة ومن لزم شيأ عرف به وقيل لعبد الملك بن مروان ما المروءة فقال موالاة الاكفاء ومداجاة الاعداء وتأويل المداجاة المداراة أى لا تظهر لهم ما عندك من العداوة

وأصله من الدجى وهو ما ألبسك الليل من ظلمته وقيل لمعاوية ما المروءة فقال احتمال الجزيرة واصلاح أمر العشيرة فقيل له وما النبل فقال الحلم عند الغضب والعفو عند القدرة

وكان أبو سفيان اذا نزل به جار قال له يا هذا انك قد اخترتني جارا واخترت داري دارا فجناية يدك على دونك وان جنت عليك يد فاحتكم على حكم الصبي على أهله وذلك أن الصبي قد يطلب ما لا يوجد الا بعيدا او يطلب ما لا يكون البتة قال الشاعر (هو الأعرج المعني)

ولا تحكما حكم الصبي فانه * كثير على ظهر الطريق مجاهله

ويروى أن معاوية بن أبي سفيان لما نصب يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون الى يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها والأحنف جالس فقال له معاوية ما بالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله عن الطاعة خيرا وأمر له بألوف فلما خرج الاحنف لقيه الرجل بالباب فقال يا أبا بحر اني لأعلم أن شر من خلق الله هذا وابنه ولكنهم قد استوثقوا من هذه الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع في استخراجها الا بما سمعت فقال له الاحنف يا هذا أمسك فان ذا الوجهين خليق ألا يكون عند الله وجيها وقال رجل يهجو بلال بن البعير المحاربي (الشاعر الرماح ابن ميادة)

يقولون أبناء البعير وماله * سنام ولا في ذروة المجد غارب

أرادت وذاكم من سفاهة رأيها * لاهجوها لما هجتني محارب

معاذ الهي انني بعشيرتي * ونفسي عن ذاك المقام لراغب

وقال أبو الطمحان القيني (اسمه حنظلة بن الشرقي والطمحان فعلان من طمح بأنفه وبصره اذا تكبر والقين الحداد وكل صانع قين والقين أيضا موضع القيد من البعير)

واني من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه

نجوم سماء كلما غار كوكب * بدا كوكب تأوي اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
ومازال منهم حيث كانوا مسود * تسير المنايا حيث سارت كتائبه

وقال اياس بن الوليد يمدح قومه

اني وجدك من قوم اذا طلبوا * بعد النسيئة دينا أحسنوا الطلبا
لا تحسبوا هجم أبياتي علانية * ولا استلاب سلاحي ذاهبا لعبا
تبقى المعاير بعد القوم باقية * ويذهب المال فيما كان قد ذهبا

وقال آخر
ليسوا لعمرو غيرنا شيب نسبة * ولكن عمرا غيبته المقابر
اذا عيروا قالوا مقادير قدرت * وما العار الا ما تجر المقادر

وقال رجل من بني نهشل بن دارم

اذا مولاك كان عليك عونا * أتاك القوم بالعجب العجيب
فلا تخنع اليه ولا ترده * ورام برأسه عرض الجبوب
فبالشافه من غير ذنب * اذا ولى صديقك من طبيب

قوله ورام برأسه عرض الجبوب يريد الارض وهو اسم من أسمائها أنشدني التوزي لرجل من بني مرة يرثي ابنه

بني على عيني وقلبي مكانه * ثوى بين أحجار ورهن جبوب

وقوله فبالشافه يقول لبغض يقال شنفت الرجل أشافه شافه وشافا مثل شعفا وقد يقال في هذا المعنى شنفته قال الراجز

لما رأتني أم عمرو صدفت * ومنعتني خيرها وشنفت

وقال آخر * ولم تداو علة القلب الشنف * وقال نبهان بن عكي العبشمي

يقر بعيني أن أرى من مكانه * ذرا عقدات الابرق المتقاود

وأن أرد الماء الذى شربت به * سليمى وقد مل السرى كل واجد

وألصق أحشائى ببرد ترابه * وان كان مخلوطا بسم الاساود

قوله ذرا عقدات فالذروة من كل شئ أعلاه فذروة السنام أعلاه وذروة المجد أرفعه وأسناه ويقال فلان فى ذروة قومه اذا كان فى الموضع الرفيع منهم وأما قول لبيد

مذ من يجلو بأطراف الذرا * دنس الاسوق عن عضب أفل

فانما يقول هذا رجل يعرقب الابل لينحرها ثم يمسح ذرا أسنمتها بسيفه ليجلو ما عليه من دم الاسوق وقوله عضب أى قاطع ومن ذلك رجل عضب اللسان وجعله أفل لكثرة ما يقارع به الحروب كما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وقوله عقدات فهو ما انعقد وصلب من الرمل الواحدة عقدة والجمع عقد وأعقاد أيضا وعقدات قال ذو الرمة لهلال بن أحوز المازنى يمدحه

رفعت مجد تميم يا هلال لها * رفع الطراف على العلياء بالعمد

حتى نساء تميم وهى نازحة * بقلة الحزن فالصمان فالعقد

لو يستطعن اذا ما قتلك مجحفة * وقينك الموت بالآباء والولد

وقوله الابرق فالابرق حجارة يخالطها رمل وطين يقال لتلك برقة وأبرق وبرقاء يا فتى كما يقال الأمعز والمعزاء وهى الارض الكثيرة الحصباء ومثل ذلك الابطح والبطحاء وهو ما انبطح من الارض فمن قال أبرق فانما أراد المكان ومن قال برقاء فانما أراد البقعة وقوله المتقاود يريد المنقاد المستقيم ومن ذلك قولهم قد تنه أى بجريته على استقامة وكذلك طريق منقاد وفلان قائد الجيش قال حاتم بن عبد الله الطائى يضرب هذا مثلا

إن الكريم من تلفت حوله * وإن اللئيم دائم الطرف أقود

وقوله ولو كان مخلوطا بسم الأساود يريد جمع أسود سالخ وجمعه على أساود لأنه يجري مجرى الأسماء وما كان من باب أفعل اسما فجمعه على أفاعل نحو أفكل وأفاكل والأكبر والأكابر وكذلك كل ما سميت به رجلا تقول أحمد وأحامد وأسلم وأسالم فإن كان نعتا فجمعه على فُعْل نحو أحمر وحمر وأصفر وصفر ولكن أسود إذا عنيت به الحية وأدهم إذا عنيت به القيد وأبطح إذا عنيت به المكان المنبطح وأبرق إذا عنيت به المكان مضارعة للأسماء لأنها تدل على ذات الشيء وإن كانت في الأصل نعتا تقول في جمعها الأباطح والأبارق والأداهم والأساود فإن أردت نعتا محضا يتبع المنعوت قلت مررت بثياب سود وبخيل دهم وكل ما أشبه هذا فهذا مجراه قال جرير

هو القين وابن القين لا قين مثله * لفطح المساحي أو لجدل الأداهم

وقال الأشهب ابن رميلة (قال أبو الحسن رميلة اسم أمه)

أسود شرى لاقت أسود خفية * تساقوا على حرد دماء الأساود

قوله على حرد يقول على قصد فأما قول الله عز وجل وغدوا على حرد قادرين فإن فيه قولين أحدهما ما ذكرنا من القصد قال الشاعر

قد جاء سيل جاء من أمر الله * يحرد حرد الجنة المغله

(قال أبو حاتم هذه صنعة من لا أحسن الله ذكره يعني قطربا) وقالوا على حرد أي على منع من قولهم حاردت السنة إذا منعت قطرها وحاردت الناقة إذا منعت درها (قال أبو الحسن رواية أبي العباس يقر بعيني يريد يقر عيني ثم أتى بالباء توكيدا وقال لنا هكذا سمعته و يقال أقر الله عينه يقرها وقرت عينه تقر وقررت بالمكان أقر وقال الأصمعي قرت عينه من القر وهو البرد أي جمدت فلم تدمع وهو بحذاء سخنت عينه وأجود مما روي عندي يقر بعيني

وهو الاصل والباء في موضعها غير مؤكدة وقال أبو العباس الذي رويت وقد مل السري كل واحد وهو المنفرد في السير المتوحد به وروى غيره كل واحد أي عاشق وروى أيضا كل واخد وهو من الوخد والوخدان وهو السير الشديد والوخد المصدر والوخدان الاسم) قال أبو العباس وقال القتال الكلابي واسمه عبيد بن المضرحي

أنا ابن أسماء أعمامي لها وأبي * اذا ترامى بنو الاموان بالعار

لا أرضع الدهر الا ثدي واضحة * لواضح الخد يحمي حوزة الجار

من آل سفيان أو ورقاء يمنعها * تحت العجاجة ضرب غير عوار

يا ليتني والمنى ليست بنافعة * لمالك أو لحصن أو لسيار

طوال أنضية الاعناق لم يجدوا * ريح الاماء اذا راحت بأزفار

قوله اذا ترامى بنو الاموان بالعار فالاموان جمع أمة وأصل أمة فعلة متحركة العين وليس شيء من الاسماء على حرفين الا وقد سقط منه حرف يستدل عليه بجمعه أو بتثنيته أو بفعل ان كان مشتقا منه لان أقل الاصول ثلاثة أحرف ولا يلحق التصغير ما كان أقل منها فأمة قد علمنا أن الذاهب منها واو بقولهم اموان كما علمنا أن الذاهب من أب وأخ الواو بقولهم أبوان وأخوان وعلمنا أن أمة فعلة متحركة بقولهم في الجمع آم فوزن هذا أفعل كما قالوا أكمة وآكم ولا تكون فعلة على أفعل ثم قالوا اموان كما قالوا في المذكر الذي هو منقوص مثله اخوان واستوى المذكر والمؤنث لان الهاء زائدة كما استويا في فعل الساكن العين تقول كلب وكلاب وكعب وكعاب كما تقول في المؤنث طلحة وطلاح وجفنة وجفان وصحفة وصحاف ونظير ذلك من غير المعتل ورل وورلان وبرق وبرقان وخرب وخربان وهو ذكر الحبارى والبرق الحمل ومن أنشد أموان فقد غلط لانه يحتج بقولهم حمل وحملان وفلق وفلقان وهذا انما يحمل على ما كان معتلا مثله نحو أخ واخوان وقد روى أبو زيد أخوان فالى هذا ذهبوا

والقياس المطرد لا تعترض عليه الرواية الضعيفة وقوله لا أرضع الدهر فهذا على لغته لان قيسا تقول رضع يرضع وأهل الحجاز يقولون رضع يرضع وينشدون بيت عبد الله بن همام السلولي على وجهين وهو

اذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا * ولكن حسن القول خالفه الفعل
وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها * أفاويق حتى ما يدر لها ثعل

وبعضهم يقول يرضعونها وقوله لا أرضع الدهر الا ثدى واضحة يقول انما أرضعني أمي وليست غير كريمة كما قال الاعشى

يا خير من يركب المطى ولا * يشرب كأسا بكف من بخلا

يقول انما تشرب بكفك ولست ببخيل ومثل هذا قول التميمي لنجدة بن عامر الحنفي الخارجي

متى تلق الحريش حريش سعد * وعبادا يقود الدارعينا
تبين أن أمك لم تورك * ولم ترضع أمير المؤمنينا

وقوله واضحة أي خالصة في نسبها وليست بأمة وهذا توكيد لبيته الاول وقد أنشد بعضهم لواضح الجد والمعنى قريب وقوله يحمي حوزة الجار أي ما يحوزه يقال فلان مانع لحوزته أي لما صار في حيزه ويروى عن على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال للازد أربع ليست لحى بذل لما ملكت أيديهم ومنع لحوزتهم وحى عمارة لا يحتاجون الى غيرهم وشجعان لا يجبنون وقوله لما البث أو لحصن أو لسيار فهؤلاء بيت فزارة وبيوتات العرب في الجاهلية ثلاثة فبيت تميم بنو عبد الله بن دارم ومركزه بنو زرارة وبيت قيس بنو فزارة ومركزه بنو بدر وبيت بكر بن وائل بنو شيبان ومركزه بنو ذى الجدين وقوله طوال أنضية الاعناق فالنضى مركب النصل في السنخ وضربه مثلا وانما أراد طوال الاعناق كما قال الاعشى

الواطئين على صدور نعالهم * يمشون في الدفنى والابراد

يريد السودد والنعمة ولم يخصص الصدور وانما أراد النعال كلها وقال الشاعر (هو الشمردل ابن شريك اليربوعي عن ابن قتيبة)

يشبهون ملوكا فى تجلتهم * وطول أنضية الاعناق واللمم

اذا بدا المسك يندى فى مفارقهم * راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(قال أبو الحسن وغيره يروى يشبهون قريشا فى تجلتهم) وقوله بأزفار الزفر الحمل ويضرب مثلا للرجل فيقال انه لزفر أى حمال للاثقال ويقال أى حمله فازدفره قال أبو قحافة أعشى باهلة

أخو رغائب يعطيها ويسئلها * يأبى الظلامة منه النوفل الزفر

وانما يريده بعينه كقولك لئن لقيت فلانا ليلقينك منه الاسد وقوله النوفل من قولهم انه لذو فضل ونوافل وقال رجل من بنى عبس (قال أبو الحسن يقوله لعروة بن الورد)

لا تشتمنى يا ابن ورد فاننى * تعود على مالى الحقوق العوائد

ومن يؤثر الحق النؤوب تكن به * خصاصة جسم وهو طيان ماجد

وانى امرؤ عافى انائى شركة * وأنت امرؤ عافى انائك واحد

أقسم جسمى فى جسوم كثيرة * وأحسو قراح الماء والماء بارد

قوله النؤوب يريد الذى ينوبه وكل واو انضمت لغير علة فأنت فى همزها وتركها بالخيار تقول فى جمع دار أدؤر وان شئت لم تهمز وكذلك النؤوب والقؤول لانضمام الواو فأما الواو الثانية فانها ساكنة وقبلها ضمة وهى مدة فلا يعتد بها ولو التقت واوان فى أول كلمة وليست احداهما مدة لم يكن بد من همز الاولى تقول فى تصغير واصل وواقد أويصل وأويقد لا بد من ذلك فأما وجوه فان شئت همزت فقلت أجوه وان شئت لم تهمز قال الله عز وجل واذا الرسل أقتت والاصل وقتت ولو كان فى غير القرآن لجاز اظهار الواو ان شئت وقوله تعالى ما ووري عنهما الواو الثانية مدة فلا يعتد بها ولو كان فى غير القرآن لجاز الهمز لانضمام الواو

وقولي اذا انضمت من غير علة فالعلة أن تكون ضمتها اعرابا نحو هذا غزو يا فتى ودلو كما ترى فهذا مما لا يجوز همزه لان الضمة للاعراب فليست بلازمة أو تنضم لالتقاء الساكنين فذلك أيضا غير لازم فلا يجوز همزه نحو اخشوا الرجل ولتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولترون الجحيم ومن همز من هذا شيأ فقد أخطأ وقال رجل من بنى تميم

ألبان ابل تعلة بن مسافر * مادام يملكها على حرام
وطعام عمران بن أوفى مثلها * مادام يسلك فى البطون طعام
ان الذين يسوغ فى أعناقهم * زاد يمن عليهم للئام
لعن الاله تعلة بن مسافر * لعنا يشن عليه من قدام

وهذا كلام فصيح جدا قوله يسوغ فى أعناقهم يريد حلوقهم لان العنق يحيط بالحلق و يشبه هذا فى الاتساع فى الفصاحة لا فى المعنى قول القطامى

لم ترقوماهم شر لاخوتهم * منا عشية يجرى بالدم الوادى
نقريهم لهذميات نقد بها * ما كان خاط عليهم كل زراد

لان الخياطة تضم خرق القميص والسرد يضم حلق الدرع فضربه مثلا فجعله خياطة (قال أبو الحسن روى أبو العباس * وطعام عمران بن أوفى مثلها * رد الهاء والالف على الالبان وهذا لا نظر فيه وروى أيضا مثله لان الالبان تجرى مجرى اللبن فحمله على المعنى وقد يجوز أن تجعل الالبان جمعا فتذكر لتذكيرا الجمع وروى أيضا * مادام يسلك فى الحلوق طعام * وروى القراء فى هذا الشعر * ان الذين يسوغ فى أحلاقهم * وانما كان ينبغى أن يكون فى أحلقهم كقولك فلس وأفلس وما أشبهه ولكنه شبه باب فعل بباب فعل كما قالوا زند وأزناد وفرخ وأفراخ قال الحطيئة لعمر رحمه الله تعالى

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ * حمر الحواصل لا ماء ولا شجر

ففعلوا هذا تشبيها بباب فعل كما شبهوا افعلا بفعل فى الجمع فقالوا اجبل وأجبل وزمن وأزمن كما قال

انى لأكنى بأجبال عن اجبلها * وباسم أودية عن ذكر واديها

فأتى به على الاصل وتشبيها بغيره على ما أخبرتك وقال ذو الرمة

أمنزلتى مى سلام عليكما * هل الأزمن اللائى مضين رواجع

والباب أزمان كما قال رؤبة

أزمان لا أدرى وان سألت * ما فرق بين جمعة وسبت

وروى أبو العباس البيت الاخير مقوى وجعله نكرة وهو قوله من قدام كما تقول جئتك من قبل ومن بعد ومن عل وما أشبهه كما قرأ بعضهم لله الامر من قبل ومن بعد كما تقول أولا وآخرا ورواه الفراء من قدام وجعله معرفة وأجراه مجرى الغايات نحو قبل وبعد كما قال طرفة بن العبد

ثم تفرى اللجم من تعدائها * فهى من تحت مشيحات الحزم

وكما قال عقيل بن مالك العقيلى أنشده الفراء أيضا

اذا أنا لم أومن عليك ولم يكن * لقاؤك الا من وراء وراء

فهذا الضرب مما وقع معرفة على غير جهة التعريف وجهة التعريف أن يكون معرفا بنفسه كزيد وعمرو أو يكون معرفا بالالف واللام أو بالاضافة فهذه جهة التعريف وهذا الضرب انما هو معرف بالمعنى فلذلك بنى اذ خرج من الباب وروى لنا يسن عليه بالسين ويسن ويشن واحد أى يصب الا أن بعضهم قال السن الصب على جهة واحدة وقالوا يقال شننت عليه الماء وسننته وسننت عليه الدرع لا غير وقالوا شننت عليه الغارة لا غير) قال أبو العباس وقال القطامى

فمن تكن الحضارة أعجبته * فأى رجال بادية ترانا

ومن ربط الجحاش فان فينا * قنا سلبا وأفراسا حسانا

وكُنَّ اذا أغرن على قبيل * فأعوزهن كون حيث كانا

أغرن من الضباب على حلال * وضبة انه من حان حانا

وأحيانا على بكر أخينا * اذا مالم نجد الا أخانا

قوله الحضارة يريد الامصار وتقول العرب فلان باد وفلان حاضر وفي الحديث ولا يبيعن حاضر لباد وتأويل ذلك أن البادي يقدم وقد عرف أسعار ما معه وما مقدار ربحه فاذا جاءه الحاضر عرفه سنة البلد فأغلى على الناس ومثل ذلك النهي عن تلقي الجلب ومثله دعوا عباد الله يصب بعضهم من بعض ويقال حي حلال اذا كانوا متجاورين مقيمين وأنشد الاصمعي

أقوم يبعثون العير نجرا * أحب اليك أم حي حلال

٢- باب

قيل لمعاوية ما النبل فقال الحلم عند الغضب والعفو عند القدرة ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال من أكل وحده ومنع رفده وضرب عبده ألا أخبركم بشر من ذلكم من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا ألا أخبركم بشر من ذلكم من يبغض الناس ويبغضونه ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم والمرء كثير بأخيه قوله صلى الله عليه وسلم تتكافأ دماؤهم من قولك فلان كفء لفلان أي عديله وموضوع هذا أنه قال الله عز وجل ولم يكن له كفوا أحد ويقال فلان كفاء فلان وكفيء فلان وكفء فلان ويروى أن الفرزدق بلغه أن رجلا من الحبطات بن عمرو بن تميم خطب امرأة من بني دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فقال الفرزدق

بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع * وتنكح في أكفائها الحبطات

قال مسمع بيت بكر بن وائل في الاسلام وهم من بني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل والحبطات هم بنو الحرث بن عمرو بن تميم فقوله أكفاؤهم انما هو جمع كفء يافتي فقال رجل من الحبطات يجيبه

أما كان عباد كفئا لدارم * بلى ولابيات بها الحجرات

يعني بني هاشم من قول الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من لانت كلمته وجبت محبته وقال قيمة كل امرئ ما يحسن وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ثلاث يثبتن لك الود في صدر أخيك أن تبدأه بالسلام وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب الاسماء اليه وقال كفى بالمرء غيا أن تكون فيه خلة من ثلاث أن يعيب شيأ ثم يأتي مثله أو يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه أو يؤذي جليسه فيما لا يعنيه وقال عبد الله بن العباس لبعض اليمانية لكم من السماء نجمها ومن الكعبة ركنها ومن السيوف صميمها يعني سهيلا من النجوم والركن اليماني وصمصامة عمرو بن معدي كرب ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوما من أجود العرب فقيل له حاتم قال فمن شاعرها قيل امرؤ القيس بن حجر قال فمن فارسها قيل عمرو بن معدي كرب قال فأي سيوفها أمضى قيل الصمصامة وقال معاوية بن أبي سفيان للاحنف بن قيس وجارية بن قدامة ورجال من بني سعد معهما كلاما أحفظهم فردوا عليه جوابا مقذعا وابنة قرظة في بيت يقرب منه فسمعت ذلك فلما خرجوا قالت يا أمير المؤمنين لقد سمعت من هؤلاء الاجلاف كلاما تلقوك به فلم تنكر فكدت أخرج اليهم فأسطو بهم فقال لها معاوية ان مضر كاهل العرب وتميما كاهل مضر وسعدا كاهل تميم وهؤلاء كاهل سعد وكان معاوية يقول اني لا أحمل السيف على من لا سيف معه وان لم تكن الا كلمة يشتفي بها مشتف جعلتها تحت قدمي ودبر أذني المقذع الذي فيه اقذاع وهو السيئ من القول

٣- باب

قال أبو العباس قال رجل أحسبه من بني سعد يرثي رجلا

وَمُخْتَصَرِ الْمَنَافِعِ أَرْيَحِيٍّ * نَبِيلٍ فِي مَعَاوِزَةٍ طِوَالِ
عَزِيزٍ عِزَّةً فِي غَيْرِ فُحْشٍ * ذَلِيلٍ لِلذَّلِيلِ مِنَ الْمَوَالِي
جُعِلَتْ وِسَادَهُ إِحْدَى يَدَيْهِ * وَتَحْتَ جِنَانِهِ خَشَبَاتُ ضَالِ
وَرِثْتُ سِلَاحَهُ وَوَرِثْتُ ذَوْدًا * وَحُزْنًا دَائِمًا أُخْرَى اللَّيَالِي

قوله أريحي هو الذي يرتاح للمعروف أي يخف له ويقال أخذت فلانا أريحية أي خفة وحركة لفعل المعروف والمعاوز الثياب التي يتبذل فيها الرجل وهي دون الثياب التي يتجمل بها واحدها معوز قال الشماخ في نعت القوس

اذا سقط الانداء صينت وأشعرت * حبيرا ولم تدرج عليها المعاوز

وقوله في معاوزة فزاد الهاء فانما يفعل ذلك لتحقيق التأنيث لان كل جمع مؤنث كما تقول في جمع صيقل صياقل وصياقلة وكذلك جوارب وجواربة الا أن أكثر الاعجمي يختص بالهاء وهو في العربي جيد وفي العجمي أكثر استعمالا نحو الموازجة فان كان منسوبا كان الباب فيه اثبات الهاء وتركها جائز نحو المهالبة والمسامعة والمناذرة والاحامرة وقالوا السيابجة لانه قد اجتمع فيه النسب والعجمة وقوله تحت جنانه يعني شخصه والضال السدر البري وما كان من السدر على الانهار فليس بضال ولكن يقال له عبري قال ذو الرمة

(قطعت اذا تجوبت العواطي * ضروب السدر) عبريا وضالا

وقوله ورثت سلاحه وورثت ذودا يصف قرب نسبه منه والذود القطعة من الابل وأكثر ما تستعمل ذلك في الاناث ويجوز في السائر ومنه قولهم الذود الى الذود ابل ثم قال

* وحزنا دائما أخرى الليالي * كما قال الاول وغبط عبراث ورثه من أحد أهله

يقول جزء ولم يقل جلالا * أني تروجت ناعما جدلا

ان كنت أزننتني بها كذبا * جزء فلاقيت مثلها عجلا

أغبط أن أرزأ الكرام وأن * أورث ذودا شصائصا نبلا

قوله ولم يقل جللا أي صغيرا والجلل يكون للصغير ويكون للكبير من ذلك قوله

* كل شيء ما خلا الله جلل * أي صغير وقال لبيد في الكبير

وأرى أربد قد فارقني * ومن الأرزاء رزء ذو جلل

وقوله شصائصا يعني حقيرة دميمة وزعم التوزي أن النبل من الاضداد يكون للجليل والحقير واحتج بهذا البيت الذي ذكرناه قال يريد ههنا الحقيرة وقوله أزننتني أي قرفتني ونسبتني اليه يقال فلان يزن بكذا وكذا أي يسمى به وينسب اليه قال امرؤ القيس بن حجر

كذبت لقد أصبي على المرء عرسه * وأمنع عرسي أن يزن بها الخالي

وفي معنى قوله ورثت سلاحه قول الشاعر

يفرح الوارث بالمال اذا * ورث المال ويبكي ان غضب

ومثله قول نعامة الفزاري * يا حبذا التراث لولا الذلة * وقال جميل بن معمر

ما صائب من نابل قذفت به * يد وممر العقدتين وثيق

له من خوافي النسر حم نظائر * ونصل كنصل الزاعبي فتيق

على نبعة زوراء أما خطامها * فمتن وأما عودها فعتيق

بأوشك قتلا منك يوم رميتني * نوافذ لم تعلم لهن خروق

كأن لم نحارب يا بثين لو انها * تكشف غماها وأنت صديق

قوله ما صائب يريد قاصدا يقال صاب يصوب اذا قصد ومن ذلك قوله تعالى أو كصيب من السماء وقد قالوا النازل والقصد أحكم كما قال بشر بن أبي خازم الاسدي

تؤمل أن أؤوب لها بغنم * ولم تعلم بأن السهم صابا

(صدر البيت عن أبي الحسن) وقوله وممر العقدتين يعني وترا ما ممرا الشديد الفتل وقوله من خوافي النسر حم نظائر يريد ريش السهم والحم السود وذلك أخلصه وأجوده وجعلها نظائر في مقاديرها لانه أقصد للسهم واذا كانت الريشات بطن الواحدة منها الى ظهر الاخرى فهو الذي يختار وهو الذي يقال له اللؤام وانما أخذ من قولهم ملتئم وان كان ظهر الواحدة الى ظهر الاخرى وبطنها الى بطن الاخرى فذلك مكروه يقال له اللغاب وقوله كنصل الزاعبي شبه نصل السهم بنصل الرمح الزاعبي وهو منسوب الى رجل من الخزرج يقال له زاعب كان يعمل الاسنة هذا قول قوم وأما الاصمعي فكان يقول الزاعبي هو الذي اذا هز فكأن كعوبه يجري بعضها في بعض للينه وتثنيه يقال مر يزعب بحمله اذا مر به مر اسهلا وقوله فتيق يعني حادا رقيقا يقال فتيق الشفرتين وتأويله انه يفتق ما عمد به له وفعيل يقع اسما للفاعل ويقع للمفعول فاما الفاعل فمثل رحيم وعليم وحكيم وشهيد وأما ما كان للمفعول فنحو جريح وقتيل وصريع وقوله زوراء يريد معوجة وكلما كانت القوس أشد انعطافا كان سهمها أمضى وقوله على تبعة يعني قوسا وأكرم القسي ما كان من النبع وقوله أيما يريد أما واستثقل التضعيف فأبدل الياء من احدى الميمين وينشد بيت ابن أبي ربيعة

رأت رجلا أيما اذا الشمس عارضت * فيضحى وأيما بالعشي فيخصر

وهذا يقع وانما به أن تكون قبل المضاعف كسرة فيما يكون على فعال فيكرهون التضعيف والكسر فيبدلون من المضعف الاول الياء للكسرة وذلك قولهم دينار وقيراط وديوان وما أشبه ذلك فان زالت الكسرة وانفصل أحد الحرفين من الآخر رجع التضعيف فقلت دنانير وقراريط ودواوين وكذلك ان صغرت قلت قريريط ودنينير وقوله وأيما تعودها فعتيق يصف كرم هذه القوس وعتقها ويحمد منها أن تترك وسلاؤها عليها بعد القطع

حتى تشرب ماءه كما قال الشماخ

فظعها حولين ماء لحاتها * وينظر منها أيها هو غامز

مظعها شربها (قوله فظعها حولين أي تركها في الظل حولين حتى تشرب ماء اللحاء يقال تمظع الرجل الظل اذا تحول من مكان الى مكان) وقوله بأوشك قتلا مثل يقول بأسرع يقال أمر وشيك أي سريع ويقال يوشك فلان أن يفعل كذا وكذا أي يقارب ذلك ويوشك يفعل كذا بطرح أن كل ذلك جيد قال الشاعر (هو أمية بن أبي الصلت)

يوشك من فر من منيته * في بعض غراته يوافقها

من لم يمت عبطة يمت هرما * للموت كأس فالمرء ذائقها

(قال أبو الحسن هذه الابيات أربعة وهي لرجل من الخوارج قتله الحجاج أولها

ما رغبة النفس في الحياة وان * عاشت قليلا فالموت لاحقها

وأيقنت أنها تعود كما * كان براها بالأمس خالقها)

قوله عبطة أي شابا يقال اعتبط الرجل اذا مات شابا من غير مرض وأصل العبيط الطري من كل شئ وقوله توافقها لم تعلم لهن خروق معنى طريف وقد أخذه أبو حية منه فكشفه في أبيات مختارة وهي (اسم أبي حية الهيثم بن الربيع)

وان دما لو تعلمين جنيته * على الحي جاني مثله غير سالم

أما انه لو كان غيرك أرقلت * اليه القنا بالراعفات اللهاذم

ولكن لعمر الله ما طل مسلما * كغر الثنايا واضحات الملاغم

اذا هن ساقطن الحديث كأنه * سقاط حصى المرجان من سلك ناظم

رمين فأقصدن القلوب فلم تجد * دما مائرا الا جوى في الحيازم

(الكاف في قوله كغر فاعلة بقوله طل ومنه قول الاعشى

أتنتهون ولن ينهى ذوى شطط * كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وقول امرئ القيس

وانك لم يفخر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

قال أبو الحسن وأول هذه الابيات المختارة أنشدناه غيره

حبرك الواشون أن لن أحبكم * بلى وستور الله ذات المحارم

أصد وما الصد الذى تعلمينه * شفاء لنا الا اجتراع العلاقم

حياء وبقيا أن تشيع غميمة * بنا وبكم أف لاهل النمائم)

قال أبو العباس فهذا مأخوذ من ذلك وقوله ولكن لعمر الله ما طل مسلما يقول ماطل دمه يقال دم مطلول اذا مضى هدرا كما قال الراجز * بغير عقل ودم مطلول * وحدثنى التوزى قال قال يحيى بن يعمر لرجل نازعته امرأته عنده آن طالبتك بثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها قوله ثمن شكرها فانما يعنى الرضاع والشبر النكاح والشكر الفرج وقوله أنشأت تطلها أى تسعى فى بطلان حقها وقوله تضهلها أى تعطيها الشئ بعد الشئ يقال بئر ضهول اذا كان ماؤها يخرج من جرابها شيأ بعد شئ وجرابها جوانبها وانما يغزر ماؤها اذا خرج من قرارتها فتعظم جمتها وقوله واضحات الملاغم يريد العوارض قال الفرزدق

سقتها خروق فى المسامع لم تكن * علاطا ولا مخبوطة فى الملاغم

يقول علم أرباب الماء لمن هى فسقاها ما سمعوه من ذكر أصحابها لعزهم ومنعتهم ولم تحتج أن تكون بها سمة والعلاط وسم فى العنق والخباط فى الوجه

٤ - باب

قال بعض الحكماء من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا وكان يقال من أدب ولده أرغم حاسده

وقال رجل لعبد الملك بن مروان انى أريد أن أسر اليك شيأ فقال عبد الملك لاصحابه اذا شئتم فنهضوا فأراد الرجل الكلام فقال له عبد الملك قف لا تمدحنى فأنا أعلم بنفسى منك ولا تكذبنى فانه لا رأى لمكذوب ولا تغتب عندى أحدا فقال الرجل يا أمير المؤمنين أفتأذن لى فى الانصراف قال له اذا شئت وقال بعض الحكماء ثلاث لا غربة معهن مجانبة الريب وحسن الادب وكف الاذى وقال عمرو بن العاصى لدهقان نهر تيرى بم ينبل الرجل عندكم فقال بترك الكذب فانه لا يشرف الا من يوثق بقوله وبقيامه بأمر أهله فانه لا ينبل من يحتاج أهله الى غيره وبمجانبة الريب فانه لا يعز من لا يؤمن أن يصادف على سوأة وبالقيام بحاجات الناس فانه من رجى الفرج لديه كثرت غاشيته وقال بزرجمهر من كثر أدبه كثر شرفه وان كان قبل وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت الحاجة اليه وان كان مقترا وكان يقال عليكم بالادب فانه صاحب فى السفر ومؤنس فى الوحدة وجمال فى المحفل وسبب الى طلب الحاجة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أفضل ما أعطيته العرب الابيات يقدمها الرجل أمام حاجته فيستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم وكان شعبة بن الحجاج أو سماك بن حرب (قال أبو الحسن هو سماك بلاشك) اذا كانت له الى أمير حاجة استنزله بأبيات يقولها فيه وقال بعض الملوك لبعض وزرائه وأراد محنته ما خير ما رزقه العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه قال فأدب يتحلى به قال فان عدمه قال فمال يستره قال فان عدمه قال فصاعقة تحرقه فتريح منه العباد والبلاد وقيل لرجل من ملوك العجم متى يكون العلم شرا من عدمه قال اذا كثر الادب ونقصت القريحة وقال أزدشير من لم يكن عقله أغلب خلال الخير عليه كان حتفه فى أغلب خلال الخير عليه وقال محمد بن على بن عبد الله بن العباس وذكر رجلا من أهله انى لأكره أن يكون لعلمه فضل على عقله كما أكره أن يكون للسانه فضل على علمه وقال محمد بن على بن الحسين جميع التعايش والتناصف

والتعاشر فى ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلث تغافل فلم يجعل لغير الفطنة نصيب من الخير ولا خطأ فى الصلاح لأن الانسان لا يتغافل الا عن شئ قد عرفه وفطن به

٥ - باب

قال رجل من بنى عبد الله بن غطفان وجاور فى طيء وهو خائف

جزى الله خيرا طيأ من عشيرة * ومن صاحب تلقاهم كل مجمع
هم خلطونى بالنفوس ودافعوا * ورائى بركن ذى مناكب مدفع
وقالوا تعلم أن مالك ان يصب * نفدك وان تحبس نزرك ونشفع

وقال رجل من بنى سلامان بن سعد هذيم من قضاعة وجاور فى طيء

كأن الجار فى شمجى بن جرم * له نعماء أو نسب قريب
يحاط ذماره ويذب عنه * ويحمى سرحه أنف غضوب
ألفت مساكن الجبلين انى * رأيت الغوث يألفها الغريب

(الجبلان سلمى وأجأ وهما لطيء والغوث قبيلة من طيء) وأنشد فى عبد الوهاب بن حنتمة الغنوى لعبيد بن العرندس الكلابى يصف قوما نزل بهم

هينون لينون أيسار ذوو يسر * سواس مكرمة أبناء أيسار
لا ينطقون على العمياء ان نطقوا * ولا يمارون ان ماروا باكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

(قال أبو الحسن حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال حدثت عن أبى الفضل العباس بن الفرج الرياشى قال قصد رجل من الشعراء ثلاثة اخوة من غنى وكانوا مقلين فامتدحهم فجعلوا له عليهم فى كل سنة ذودا فكان يأتى فيأخذ الذود والشعر الذى امتدحهم به قوله

يادارُ بين كُلَيَّات وأظفار * والحَسَّتين سقاكِ الله من دار
على تقادم ما قد مَرَّ من عصر * مع الذى مَرَّ من ريح وأمطار
عنَّا غَنيت بذات الرمث من أجلى * والعهدُ منك قديم مُنذ أعصار

أراد أنّى فقلب الهمز عينا

وقد نرى بك والايّام جامعةٌ * بيضا عقائل من عين وأبكار
فيهن عشمة لا عيلن عشرتها * ولا علمن لها يوما بأسرار
اذ يحسب الناس أن قد نلت نائلها * قدما وأنت عليها عاتب زارى
بل أيها الراكب المُفنى شبيبته * يبكى على ذات خلخال وأسوار
خبر ثناء بنى عمرو فانهم * أولو فضول وأنفال وأخطار
هينون لينون أيسار ذو وكرم * سواس مكرمة أبناء أيسار
فيهم ومنهم يعدّ المجد متلدا * ولا يعدّ نثا خزى ولا عار
لا ينطقون على العمياء ان نطقوا * ولا يمارون ان ماروا باكثار
وان تلينتهم لانوا وان شهموا * كشفت أذمار حرب غير أغمار
ان يسألوا العرف يعطوه وان جهدوا * فالجهد يكشف منهم طيب أخبار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى)

قال أبو العباس وكان قوم نزلوا ببنى العنبر بن عمرو بن تميم والقوم من بنى ضبة فأغير عليهم فاستغاثوا جيرانهم فلم يغيثوهم وجعلوا يدافعونهم حتى خافوا أقوتها فاستغاثوا ببنى مازن بن مالك ابن عمرو بن تميم فركبوا فردوها عليهم فقال المكعبر الضبى فى ذلك (اسمه حريث بن عفوظ)

أبلغ طريفا حيث شطت بها النوى * فليس لدهر الطالبين فناء
كسالى اذا لاقيتهم غير منطق * يلهى به المحسور وهو عناء

وانی لارجوكم على بطء سعيكم * كما فی بطون الحاملات رجاء

أخبر من لاقيت أن قد وفيتم * ولو شئت قال المخبرون أساؤا

فهلا سعيتم سعی أسرة مالك * وهل كفلائی فی الوفاء سواء

كأن دنانيرا على قسماتهم * وان كان قد شف الوجوه لقاء

لهم أذرع بادنواشر لحمها * وبعض الرجال فی الحروب غثاء

قوله حيث شطت بها النوى معنى شطت تباعدت يقال أشط فلان فی الحكم اذا عدل عنه متباعدا قال الله تعالى فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وقال الاحوص

ألا يالقومی قد أشطت عواذلی * ويزعمن أن اودى بحقی باطلی

ويلحينني فی اللهو ألا أحبه * وللهو داع دائب غير غافل

والنوى البعد ويقال شطت بهم نية قذف أی رحلة بعيدة قال الشاعر

* وصحصحان قذف كالترس * وليس بمأخوذ من نأيت فی اللفظ ولكنه مثله فی المعنى

وقوله * فليس لدهر الطالبين فناء * يقول الطالب فی اثر طلبته أبدا وروی أن رجلا من قريش بعث الى رجل منهم وكان أخذ له غلاما يا هذا ان الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الحرب فاما رددته واما عرضت اسمك على الله فی كل يوم وليلة خمس مرات ومن أمثال العرب لا ينام الامن اثأر ويقال لمن أدرك ثأرا نبيلا أصاب ثأرا منيما وأنشد

تقول لی ابنة البكری عمرو * لعلك لست بالثأر المنيم

وقوله وانی لارجوكم على بطء سعيكم * كما فی بطون الحاملات رجاء

يقول هذا رجاء غير صادق ولا موقوف عليه كما أن هذه الحوامل لا يعلم ما فی بطونها وليس بميؤس منه وانما يتهكم بهم وهو يعلم أن سعيهم غير كائن ألا تراه يقول

أخبر من لاقيت أن قد وفيتم * ولو شئت قال المخبرون أساؤا

وقوله كأن دنانيرا على قسماتهم زعم أبو عبيدة أن القسمات مجاري الدموع واحدتها قسمة وقال الأصمعي القسمات أعالي الوجه ولم يبينه بأكثر من هذا وقول أبي عبيدة مشروح ويقال من هذا رجل قسيم ورجل مقسم ووجه قسيم ومقسم قال الشاعر

ويوما توافينا بوجه مقسم * كأن ظبية تعطو الى وارق السلم

قوله تعطو أي تتناول يقال عطا يعطو اذا تناول وأعطيته أنا أي ناولته قال امرؤ القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه * أساريع ظبي أو مساويك اسحل

والسلم شجر بعينه كثير الشوك فاذا أرادوا أن يختطبوه شدوه ثم قطعوه فمن ذلك قول الحجاج والله لأحزمنكم حزم السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الابل قال وحدثني التوزي عن أبي زيد قال سمعت العرب تنشد هذا البيت فتنصب الظبية وترفعها وتخفضها قال أبو العباس أما رفعها فعلى الضمير يريد كأنها ظبية وهذا شرط أن وكأن اذا خففتا انما هو على حذف الضمير وعلى هذا قوله تعالى علم أن سيكون منكم مرضى وهذا الباب قد شرحناه في الكتاب المقتضب في باب أن وان بجميع علله ومن نصب فعلى غير ضمير وعملها مخففة عملها مثقلة لأنها تعمل لشبهها بالفعل فاذا خففت عملت عمل الفعل المحذوف كقولك لم يك زيد منطلقا فالفعل اذا حذف يعمل عمله تاما فيصير التقدير كأن ظبية تعطو الى وارق السلم هذه المرأة وحذف الخبر لما تقدم من ذكره ومن قال كأن ظبية جعل أن زائدة وأعمل الكاف أراد كظبية وزاد أن كما تزيدها في قولك لما أن جاء زيد كلمته ووالله أن لو جئتني لأعطيتك وقوله

* لهم أذرع بادنواشر لحمها * فكل شئ كان على فعال من المؤنث فجمعه أفعل وكذلك فعال تقول ذراع وأذرع وكراع وأكرع لأنهما مؤنثتان ومن أنث اللسان قال ألسن ومن ذكره قال ألسنة وشمال وأشمل كما قال (هو أبو النجم العجلي) * يأتي لها من أيمن وأشمل * فأما المذكر ففعلى أفعلة في أدنى العدد وفعل في الكثير يقال حمار وأحمرة وحمر وفراش

وأفرشة وفرش والنواشر ما ظهر من العروق فى ظهر الذراع مما يلى المعصم وذلك الموضع يقال له أسلة الذراع قال زهير

ودار لها بالرقمتين كأنها * مراجيع وشم فى نواشر معصم

وقوله * وبعض الرجال فى الحروب غثاء * فالغثاء ما يبس من البقل حتى يصير حطاما و ينتهى فى اليبس فيسود فيقال له غثاء وهشيم ودندن وثن على قدر اختلاف أجناسه و يقال له الدرين قال الله عز وجل فجعله غثاء أحوى وقال فأصبح هشيما تذروه الرياح وقال الشاعر يصف سحابا (هو ابن ميادة) وقبله

سحائب لا من صيب ذى صواعق * ولا مخرقات ماؤهن حميم

اذا ما هبطن الارض قدمات عودها * بكين بها حتى يعيش هشيم

وقال الراجز * تكفى الفصيل أكله من ثن * وقد يقال للشئ الذى لا خير فيه هذا غثاء أى قد صار كذلك الذى وصفناه و يضرب هذا مثلا للكلام الذى لا وجه له وقال رجل أحسبه تميميا (هو الفرزدق)

لولم يفارقنى عطيــة لم أهن * ولم أعط أعدائى الذى كنت أمنع

شجاع اذا لاقى ورام اذا رمى * وهاد اذا ما أظلم الليـل مصدع

سأبكيك حتى تنفد العين ماءها * ويشفى منى الدمع ما أتوجع

أحسن الانشادين عندى لم أهن يأخذه من وهن يهن لانه اذا قال لم أهن فهو من الهوان ومن قال لم أهن فانما هو من الضعف وهو أشبه بقوله * ولم أعط أعدائى الذى كنت أمنع * والآخر غير بعيد يقول لم أهن على أعدائى واذا قال لم أهن فالاصل لم أوهن ولكن الواو اذا كانت فى موضع الفاء من الفعل وكان ذلك الفعل على يفعل فالواو محذوفة وانما تحذف الواو لوقوعها بين ياء وكسرة وتصير حروف المضارعة الباقية تابعة للياء لئلا يختلف الباب وهى

التاء من قولك تفعل اذا عنيت مخاطبا أو مؤنثا غائبا نحو أنت تعدو هي تعد والهمزة اذا عنيت نفسك نحو أنا أعد والنون اذا أخبرت عن نفسك ومعك غيرك نحو نحن نعد فان قال قائل انما هذا الان الفعل المتعدي تحذف منه الواو فان كان غير متعد ثبتت فقد قال أقبح قول لان التعدي أو غير التعدي لا يحدث في أنفس الافعال شيأ ولو كان كما يقول لاثبت الواو في وهن يهن لانك لا تقول وهنت زيدا وكذلك ورم يرم ووكف البيت يكف ووثم الذباب يثم وهذا أكثر من أن يحصى فان لم تكن بعد الواو كسرة لم تحذف نحو وحل يوحل ووجل يوجل ووجع الرجل يوجع وقد يجوز ييجع وياجع وييجع لما نذكره اذا جرى ذكر هذه المفتوحة ان شاء الله فأما الحذف فلا يكون فيها فان قال قائل فما بال يطأ ويسع حذفت منهما الواو ومثلهما اثبتت فيه الواو فانما ذلك لانه كان فعل يفعل مثل ولي يلي وورم يرم ففتحته الهمزة والعين والاصل الكسر فانما حذفت الواو ومما يلزم في الاصل ألا ترى أنك تقول ولغ السبع يلغ فهذا فعل يفعل والاصل يفعل ولكن فتحته الغين لان حروف الحلق تفتح ما كان على يفعل ويفعل ولولا ذلك لم تقع فعل يفعل وحروف الحلق ستة الهمزة والهاء والعين والغين والحاء والخاء وهن يفتحن اذا كن في موضع العين واللام فأما العين فنحو سأل يسأل وذهب يذهب وأما اللام فمثل قرأ يقرأ وصنع يصنع وسائر هذا الباب على ما وصفت لك وقوله

* وهاد اذا ما أظلم الليل مصدع * فانه أو بل مصدع أي ماض في الامر قال الله عز وجل فاصدع بما تؤمر ويقال أحزم الناس من اذا وضح له الامر صدع به وقال أعرابي يمدح سوار ابن عبد الله القاضي وسوار أحد بني العنبر بن عمرو بن تميم

وأوقف عند الامر ما لم يضح له * وأمضى اذا ما شك من كان ماضيا

فاستجمع في هذا المدح ركانة الحزم وامضاء العزم ومثله قول النابغة الجعدي

أبى لي البلاء واني امرؤ * اذا ما تبينت لم أرتب

ومن امثال العرب السائرة الجيدة رَوِّ تحزم فاذا استوضحت فاعزم ومن امثالهم قد أحزم لو أعزم وانما يكون هذا بعد التوقّف والتبيّن فقد قال الشعبيّ أصاب متأمّل أو كاد وأخطأ مستعجل أو كاد ومثل قوله * ويشفى منى الدمع ما أتوجّع * قول الفرزدق

ألم ترأنى يوم جو سويقة * بكيت فنادتني هنيدة ماليا
فقلت لها انّ البكاء لراحة * به يشتفى من ظنّ أن لا تلاقيا

(قال أبو الحسن ويتلو هذين البيتين مما يستحسن

قعيدك الله الذى أنتما له * ألم تسمعا بالبيضتين المناديا
حبيب دعا والرمل بينى وبينه * فأسمعنى سقيا لذلك داعيا

يقال قعيدك الله وقعدك الله ونشدك الله أى سألتك بالله كما قال متمّم بن نويرة وهو من بنى يربوع

قعيدك ألّا تسمعيني ملامة * ولا تنكئى قرح الفؤاد فييجعا

ويروى فقعدك ألّا تسمعيني والبيضتان موضع معروف) قال أبو العباس وقال أبو بكر بن عيّاش نزلت بى مصيبة أوجعتنى فذكرت قول ذى الرمّة

لعلّ انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفى نجيّ البلابل

فخلوت فبكيت فسلوت وقال نضلة السلمىّ فى يوم غول وكان حقيرا دميما وكان ذا نجدة وبأس

ألم تسل الفوارس يوم غول * بنضلة وهو موتور مشيح
رأوه فازدروه وهو حرّ * وينفع أهله الرجل القبيح
فشدّ عليهم بالسيف صلتا * كما عضّ الشبا الفرس الجموح
فأطلق غلّ صاحبه وأردى * قتيلا منهم ونجا جريح
ولم يخشوا مصالته عليهم * وتحت الرغوة اللبن الصريح

قوله وهو موتور مشيح فالمشيح الحامل الجادّ يقال أشاح يشيح اذا حمل وأنشد فى التوزىّ قال

أنشدني أبو زيد (وهو لابي العيال الهذلي)

مُشيحٌ فوقَ شيحانٍ * يَشُدُّ كأنَّه كَلْبُ

قال شيحان اسم فرسه (قال أبو الحسن ويروى شِيحانِ بفتح الشين وحقه على رواية أبي زيد أن لا ينصرف لانه فعلان فالالف والنون زائدتان وهو معرفة فضارع عطشان وما جرى مجراه وانما اضطر فصرفه) وقال ابن الاطنابة واسمه عمرو

وإقدامي على المكروه نفسي * وضربي هامةَ البطلِ المُشيحِ

ويقال في هذا المعنى رجل شيحٌ كما يقال ناقة نقضٌ اذا كانت هزيلا قال أبو ذؤيب

* وشايحتَ قبلَ اليوم انَّك شيحُ * وقوله بالسيف صلتا يقول منتضى ورجل صلت الجبين اذا كان نقيه وقوله كما عض الشبا يريد حد اللجام وشبا كل شيء حده وقوله وأردى أي أهلك يقال ردى يردى اذا هلك والردى الهلاك قال الله عز وجل وما يغني عنه ماله اذا تردى قيل فيه قولان احدهما اذا تردى في النار والآخر اذا مات وهو تفعل من الردى وقوله

ولم يخشوا مصالته عليهم فهي مفعلة من صال يصول ويقال صال البعير اذا عض وقيل للمغيرة بن شعبة ان بوابك يأذن لاصحابه قبل أصحابك فقال ان المعرفة لتنفع عند الكلب العقور والجمل الصؤول فكيف بالرجل الكريم وقوله * وتحت الرغوة اللبنُ الصريحُ * يقول اذا رأيت الرغوة وهو ما يرغو كالجلدة في أعلى اللبن لم تدر ما تحتها فربما صادفت اللبن الصريح اذا كشفتها أي انهم رأوني فازدروني لدمامتي فلما كشفوا عني وجدوا غير ما رأوا والصريح المحض الخالص من ذلك قولهم عربي صريح أي خالص ومولى صريح ومن أمثال العرب انه ليسر حسوا في ارتغاء ومعنى ذلك أنه يوهمك أنه يأخذ بفيه تلك الجلدة عن اللبن ليصلحه لك وانما يحسو من تحتها يضرب هذا المثل لمن يريك أنه يعينك وانما يجتر النفع الى نفسه وقال أعرابي خبرت أنه من بني سعد وقد تمثل بهذا الشعر الحنوت وهو توبة بن مضرس احد بني مالك

ابن سعد بن زيد مناة بن تميم فى خلاف الدمامة

ولما التقى الصفان واختلف القنا * نهالا وأسباب المنايا نهالها

تبين لى أن القماءة ذلة * وأن أشداء الرجال طوالها

دعوا يا لسعد وانتمينا لطيئ * أسود الشرى اقدامها ونزالها

قوله نهالا فانما يريد أنها قد وردت الدم مرة ولم تثن وذلك أن الناهل الذى يشرب أول شربة فاذا شرب ثانية فهو عال يقال سقاه علا بعد نهل وعللا بعد نهل وفى المثل سمته سوم عالة اذا عرضت عليه عرضا يستحيى من أن يقبل معه والعالة لا حاجة بها الى الشرب وانما يعرض عليها تعزيرا قال * وأسباب المنايا نهالها * أى أول ما يقع منها يكون سببا لما بعده وأنشدنى غير واحد * وأن أشداء الرجال طيالها * وليس هذا بالجيد وانما قلب الواو ياء لوقوعها بين كسرة وألف كقولهم ثياب وحياض وسياط والواحد ثوب وحوض وسوط وهذا جيد لسكون الواو فى الواحد فأما فى مثل طوال فانما يجوز على التشبيه بهذا وليس بجيد لتحرك الواو فى الواحد وأنشدنى مسعود بن بشر المازنى

لهم أوجه بيض حسان وأذرع * طيال ومن سيما الملوك نجار

ومجاز هذا فى النحو ما وصفت لك والعرب تمدح بالطول وتضع من القصر فلا يذكره منهم الا محتج عن نفسه ولا يمدح به غيره قال عنترة

بطل كأن ثيابه فى سرحة * يحذى نعال السبت ليس بتوأم

يقول لم يشاركه فى الرحم وقال جرير

تعالوا ففاتونا ففى الحكم مقنع * الى الغر من أهل البطاح الاكارم

فانى لأرضى عبد شمس وما قضت * وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

وقال حسان بن ثابت

وقد كنا نقول اذا رأينا * لذى جسم يعد وذى بيان

كأنك أيها المعطى بيانا * وجسما من بنى عبد المدان

ويقال ان على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان الى منكب عبد الله وكان عبد الله الى منكب العباس وكان العباس الى منكب عبد المطلب وحدثنى التوزى قال طاف على ابن عبد الله بالبيت وهناك عجوز قديمة وعلى قد فرع الناس كأنه راكب والناس مشاة فقالت من هذا الذى فرع الناس فقيل على بن عبد الله بن العباس فقالت لا اله الا الله ان الناس ليرذلون عهدى بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فسطاط أبيض وحدثنى على بن القاسم بن على بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس قال كان يقال صار شبه على بن عبد الله فى عظم الاجسام فى العليين يعنى على بن أمير المؤمنين المهدى المنسوب الى أمه ريطة وعلى بن سليمان بن على ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الأسوة والقدوة كان فوق الربعة ولم يكن بالطويل المشذب وكان اذا مشى مع الطوال طالهم ولم يختلف أهل الحكمة والنظر من العرب والعجم أن الكمال فى الاعتدال ولا يقال غير هذا عن حكيم وأبين ما فيه ما اختاره الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد يقال الكيس فى القصر وقد قيل فى خبر قصير وكيده ومكره ما قد سار به المثل واستغنى عن الاعادة وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى قال حدثنى أبو عثمان المازنى قال كان اعرابى يختلف الى مغنية لآل سليمان فأشرفت عليه ذات مرة فأومأت اليه بيدها ايماء عائب له بالقصر فأنشأ يقول

يا جعفر يا جعفر يا جعفر * ان أك ربعة فأنت أقصر

أو أك ذا شيب فأنت أكبر * غرك سربال عليك أحمر

ومقنع من الحرير أصفر * وتحت ذاك سوأة لو تذكر

(قال أبو الحسن أنشدنى أبو العباس محمد بن الحسن الوراق الشعر الذى فيه قوله

* ولمّا التقى الصفّان واختلف القنا * بتمامه وهو شعر مختار لرجل من طيء ويدل على ذلك ما تسمعه في الشعر وهو قوله

جمعنا لهم من حيّ غوث ومالك * كتائب يُردي المقرفين نكالها
لهم عجز بالحزن فالرمل فاللوى * وقد جاوزت حيّ جديس رعالها
وتحت نحور الخيل حرشف رجلة * تتاح لحبات القلوب نبالها
أبى لهم أن يعرفوا الضيم أنهم * بنو ناتق كانت كثيراً عيالها
فلما أتينا السفح من بطن حائل * بحيث تناصى طلحها وسيالها
دعوا لنزار وانتمينا لطيّئ * كأسد الشرى اقدامها ونزالها
فلما التقينا بيّن السيف فيهم * لسائلة عنّا حفيّ سؤالها
ولما عصينا بالرماح تضلّعت * صدور القنا منهم وعلّت نهالها
ولما تداعوا بالسيوف تقطعت * وسائل كانت قبل سلماً حبالها
فولّوا وأطراف الرماح عليهم * قوادمها مربوعها وطوالها

الكتائب جمع كتيبة سميت كتيبة لاجتماعها وانضمام بعضها الى بعض يقال تكتّب القوم اذا تضامّوا ومنه أخذ الكتاب لانضمام حروفه ولذلك قالوا بغلة مكتوبة اذا شدّ حياؤها وضمّ ويردى يهلك يقال ردى الرجل اذا هلك والردى الهلاك والارداء الاهلاك والمقرفون الذين دخلوا في الفساد والعيب وهو في الاصل الهجنة يقال فرس مقرف اذا كان هجيناً ثم يشيع في الفساد والعجز مؤخّر العسكر ههنا وهو مستعار والحزن مكان غليظ من الارض وغلظ واللوى مستدقّ الرملة حيث ينقطع يقال ألويتم فانزلوا أي صرتم الى آخر الرمل وهو اللوى وجديس قبيلة معرفة فلذلك لم يصرفها والرعال الجماعات المتفرقة واحدها رعلة والحرشف نبت يكثر في البادية وانما شبه النبل به في الكثرة

والرجلة الرجالة وتماح تقدر يقال أتاح الله له كذا وكذا أى قدّره والنبال جمع نبل والنائق الولود فإذا أسرفت فى ذلك وكثر ولدها جدا قيل منتاق والسفح أصل الجبل من الوادى وحائل موضع وتناصى تقابل وتقرب حتى يعلق هذا بهذا وهذا بهذا عند هبوب الرياح يقال تناصى الرجلان نصاء وتناصيا اذا اقتتلا فأخذ كل واحد منهما بناصية صاحبه والطلح والسيال ضربان من الشجر معروفان وانتمى وغمى انتسب والشرى موضع كثير السباع وانما يريد كأقدام أسد الشرى اقدامها ثم حذف لعلم السامع وعصينا جعلنا الرماح كالعصي والعلل الشرب الثانى والنهل الاول يريد أنا أعدناها الى الطعن مرة بعد أخرى وقوادم ذات اقدام فجاء به على الاصل كما قال

* يخرجن من أجواز ليل غاضى * أى مغض فجاء به على الاصل وهو كثير والمربوعات المعتدلة التى لم تبلغ أن تكون رمحا وهو رفع كأنه قيل له ماهى فقال هى مربوعاتها وطوالها ولو خفض وجعله بدل البعض من الكل لكان حسنا وكان يكون مقوى ولكن هكذا أنشدناه مرفوعا على التقدير الذى ذكرناه)

٦ - باب

قال أبو العباس حدثت أن صبرة بن شيمان الحدانى دخل على معاوية والوفود عنده فتكلموا فأكثروا فقام صبرة فقال يا أمير المؤمنين انا حي فعال ولسنا حي مقال ونحن بأدنى فعالنا عند أحسن مقالهم فقال صدقت وحدثت أن أبا بكر رضى الله عنه ولى يزيد ابن أبى سفيان ربعا من أرباع الشأم فرقى المنبر فتكلم فارتج عليه فاستأنف فارتج عليه فقطع الخطبة فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عي بيانا وأنتم الى أمير فعال أحوج منكم الى أمير قوال فبلغ كلامه عمرو بن العاصى فقال هن مخرجاتى من الشام استحسانا لكلامه

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لعامر بن عبد قيس العنبري ورآه ظاهر الأعرابية يا أعرابي أين ربك فقال بالمرصاد وقال قائل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض فقال علي أين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان وحدثت أن راهبين دخلا البصرة من ناحية الشام فنظرا الى الحسن البصري فقال أحدهما لصاحبه مل بنا الى هذا الذي كأن سمته سمت المسيح فعدلا اليه فألفياه مفترشا بذقنه ظاهر كفه وهو يقول يا عجبا لقوم قد أمروا بالزاد وأوذنوا بالرحيل وأقام أولهم على آخرهم فليت شعري ما الذي ينتظرون ونظر الحسن الى الناس في مصلى البصرة يضحكون ويلعبون في يوم عيد فقال الحسن ان الله جعل الصوم مضمارا لعباده ليستبقوا الى طاعته فسبق أقوام ففازوا وتخلف آخرون فخابوا ولعمري لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسيء باساءته عن تجديد ثوب أو ترطيل شعر قوله ترطيل شعر انما هو تليين الشعر بالدهن وما أشبهه ويقال للرجل اذا كان فيه لين وتوضيع رجل رطل والذي يوزن به ويكال يقال له رطل بكسر الراء وكان الحسن يقول اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها قوله القنطرة يعني هذه المعقودة المعروفة عند الناس والعرب تسمي كل أزج قنطرة قال طرفة بن العبد

كقنطرة الرومي أقسم ربها * لتكتنفا حتى تشاد بقرمد

قوله حتى تشاد يقول تطلى وكل شيء طليت به البناء من جص أو جيار وهو الكلس فهو الشيد يقال دار مشيدة وقصر مشيد قال الله عز وجل ولو كنتم في بروج مشيدة وقال الشماخ

لا تحسبني وان كنت امرأ غمرا * كحية الماء بين الطين والشيد

وقال عدي بن زيد العبادي

شاده مرمرا وجلله كلـ * ـسا فللطير في ذراه وكور

والمقرمد المطلي أيضا فن ثم قال حتى نشاد بقرمد في معنى حتى تطلى ومن ذلك قول النابغة

* رابي المجسة بالعبير مقرمد * وقال الحسن تلقى أحدهم أبيض بضا يملخ في الباطل ملخا ينفض مذرويه ويضرب أصدريه يقول ها أناذا فاعرفوني قد عرفناك فمقتك الله ومقتك الصالحون قوله أبيض بضا فالبض الرقيق اللون الذي يؤثر فيه كل شيء وفي الحديث ان معاوية قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الشام وهو أبض الناس فضرب عمر بيده على عضده فاقلع عن مثل الشراب أو مثل الشراك فقال هذا والله لتشاغلك بالحمامات وذووا الحاجات تقطع أنفسهم حسرات على بابك وقال حميد بن ثور الهلالي

منعمة بيضاء لو دب محول * على جلدها بضت مدارجه دما

وقوله يملخ في الباطل ملخا يقول يمر مرا سريعا يقال بكرة ملوخ اذا كانت سهلة المر وقوله يضرب أصدريه وأزدريه فانما يقال ذلك للفارغ يقال جاء فلان يضرب أصدريه وأزدريه ولا يتكلم منه بواحد ويقال فلان ينفض مذرويه وهما ناحيتاه وانما يوصف بالخيلاء قال عنترة

أحولي تنفض استك مذرويها * لتقتلني فها أناذا عمارا

ولا واحد لهما ولو أفردت لقلت في التثنية مذريان لان ذوات الواو اذا وقعت فيهن الواو رابعة رجعت الى الياء كما تقول في ملهى ملهيان وهو من لهوت وفي مغزى مغزيان وهو من غزوت وانما فعلت ذلك لان فعله ترجع فيه الواو الى الياء اذا كانت رابعة فصاعدا نحو غزوت فاذا ادخلت فيه الالف قلت أغزيت وكذلك غازيت واستغزيت وانما وجب هذا الانقلاب في المضارع نحو يغزي ويستغزي ويغازي وانما انقلبت لانكسار ما قبلها فان قال قائل فما بال يترجى ويتغازى يكونان بالياء نحو هما يتغازيان ويترجيان فانما ذلك لانهما في الاصل رجي يرجي وغازى يغازي ثم لحقت التاء بعد ثبات الياء والدليل على ذلك أن التاء انما تلحقه على معناه فقولك مذروان لا واحد له لما أعلمتك وثبات الواو دليل على

أن أحدهما لا ينفرد من الآخر فلذلك جاء على أصله

٧- باب

قال أبو العباس قال يزيد بن الصقيل العقيلي وكان يسرق الإبل ثم تاب وقتل في سبيل الله

ألا قل لأرباب المخائض أهملوا * فقد تاب مما تعلمون يزيد

وإن امرأ ينجو من النار بعدما * تزود من أعمالها لسعيد

وفي هذا الشعر

إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت * حميمك فاعلم أنها ستعود

قوله ألا قل لأرباب المخائض فإن الناقة إذا لقحت قيل لها خلفة وللجميع المخاض وهذا جمع على غير واحده إنما هو بمنزلة امرأة ونساء ثم جمع الجمع فقال مخائض كقولك في رسالة رسائل وكما تقول في قوم أقوام فتجمع الاسم الذي هو للجمع وكذلك أعراب وأعاريب وأنعام وأناعيم وقوله أهملوا أي اسرحوا إبلكم والهمل ما كان غير محظور وهو السدى

ويروى في مثل قوله إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت * حميمك

عن بعض الصالحين (هو محمد بن الحنفية) أنه كان يقول إذا ماتت له جار أو حميم أولى لي كدت والله أكون السواد المخترم وقال ابن حبناء التميمي

أعوذ بالله من حال تزين لي * لوم العشيرة أو تدني من النار

لا أقرب البيت أحبو من مؤخره * ولا أكسر في ابن العم أظفاري

إن يحجب الله أبصارا أراقبها * فقد يرى الله حال المدلج الساري

قوله لا أقرب البيت أحبو من مؤخره يقول لا آتيه لريبة ومثل ذلك قول الشاعر (وهو عقيل ابن علفة) ولست بصادر من بيت جاري * كفعل العير غمره الورود

يقول لا أخرج خروج الخائف لأنه إنما يقال تغمر الشارب إذا لم يرو ويقال للقدح الصغير

الغمر من هذا وقوله ولا أكسر في ابن العم أظفاري يقول لا أغتابه وهذا مثل كما قال الحطيئة

ملوا قراه وهرته كلابهم * وجرحوه بأنياب وأضراس

وقوله فقد يرى الله حال المدلج الساري فالمدلج الذي يسير من أول الليل يقال أدلجت أي سرت من أول الليل وادلجت أي سرت في السحر قال زهير

* بكرن بكورا وادلجن بسحرة * والسرى لا يكون الا سير الليل قال الله عز وجل فأسر بأهلك من قولك أسريت وهي اللغة القرشية وغيرهم من العرب يقول سريت وقد جاءت هذه اللغة في القرآن قال الله عز وجل والليل اذا يسرى فهذا من سرى ولو كان من أسرى لكان يسرى كما قال (هو لبيد بن ربيعة)

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم * وما كان وقافا بغير معصر

والمعصر الملجأ والساري انما هو من قولك سرى كقولك قضى فهو قاض ومن أسرى يقال للفاعل مسر كما تقول أعطى فهو معط كما قال الأخطل

نازعتهم طيب الراح الشمول وقد * صاح الدجاج وحانت وقعة الساري

والدجاج ههنا الديوك يريد وقت السحر لانه يقال للديك هذا دجاجة فان أردت الانثى قلت هذه وكذلك هذا بقرة وهذا بطة وهذا حمامة اذا أردت الذكر ولهذا باب يذكر فيه ان شاء الله قال جرير لما تذكرت بالديرين أرقني * صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

(قال أبو الحسن أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى الابيات الرائية المتقدمة بتمامها على ما أذكره لك عن أبي عبد الله بن الاعرابي وهي لاحد ابني حبناء أحسبه صخرا وهما من بني تميم وكانا من الازارقة قال

اني هزئت من ام الغمر اذ هزئت * بشيب رأسي وما بالشيب من عار

ما شقوة المرء بالاقتار يقتره * ولا سعادته يوما باكثار

بقترة الهاء تعود على الاقتار

ان الشقى الذى فى النار منزله * والفوز فوز الذى ينجو من النار

أعوذ بالله من أمر يزين لى * لوم العشيرة أو يدنى من العار

وخير دنيا ينسى شر آخرة * وسوف ينبئنى الجبار أخبارى

ثم ينفقان بعد فى الرواية وكان ربما أنشدنا * انى هززت من ام الغمر) * قال أبو العباس وقال اعرابى من بنى الحرث بن كعب

رئمت لسلمى بو ضيم وانني * قديما لآبى الضيم وابن أباة

فقد وقفتنى بين شك وشبهة * وما كنت وقافا على الشبهات

فيا بعل سلمى كم وكم باذاتها * عد مثلث من بعل تطيل أذاتى

بنفسى حبيب حال بابك دونه * تقطع نفسى دونه حسرات

ووالله لولا أن يساء ارعتها * بما ليس بالمأمون من فتكاتى

قوله رئمت لسلمى بو ضيم فانما هذا مثل وأصله أن الناقة اذا ألقت سقبها خيف انقطاع لبنها أخذوا جلد حوار فحشوه تبنا ولطخوه بشئ من سلاها ثم حشوا أنفها بخرقة فتجد لذلك كربا ويقال للخرقة التى تجعل فى أنفها الغمامة ثم تسل تلك الخرقة من أنفها فتجد روحا وترى ذلك البو تحتها وهو جلد الحوار المحشو فترأمه فان درت عليه قيل ناقة درور وترأمه تشمه ويقال فى هذا المعنى ناقة ظؤور فيتنفع بلبنها ويقال ناقة رائم ورؤوم اذا كانت ترأم ولدها أو بوها فان رئمت ولم تدر عليه فتلك العلوق ولا خير عندها وأنشدونا عن أبى عمرو وكان يقرأ ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى على فعلى (الشعر لأفنون التغلبى)

أنى جزوا عامرا سوأى بفعلهم * أم كيف يجزوننى السوأى من الحسن

أم كيف ينفع ما تعطى العلوق به * رئمان أنف اذا ما ضن باللبن

فقوله رعيتُ لسلمى بوضيم أى أقمت لها على الضيم ويقال فلان رؤومٌ للضيم اذا كان ذليلا راضيا بالخسف وقال اعرابى أحسبُه تميميا

وداهية داهى بها القوم مفلقٌ * شديدٌ بعوراتِ الكلام أرومُها

أصخت لها حتى اذا ما وعيتها * رميت بأخرى يستدير أميمها

ترى القوم منها مطرقين كأنما * تساقوا عقارا لا يبل سليمها

فلم تلقنى فهّا ولم تلق حجتى * ملجلجة أبغى لها من يقيمها

قوله وداهية يعنى حجة داهى بها القوم مفلق يريد بعجيبة والفلق اسم من أسماء الدواهى ويقال فَلْقٌ فى هذا المعنى ويقال داهية فليق وجاء القوم بالفليق وهذا مشهور كثير فى الكلام ومنه قول خلف الاحمر * موتُ الامام فلقةٌ من الفلق * وأنشدنى منشدٌ

(اذا عرضت داويّةٌ مدلهمةٌ) * وغرد حاديها عملن بنا فلقا

بفتح الفاء وقوله شديدٌ بعورات الكلام العوراء هى القبيحة قال حاتم بن عبد الله الطائىُّ

وعوراء قد أعرضتُ عنها فلم تضر * وذى أود قومته فتقوما

وأرومها امساكها يقال أرَم به اذا عض به فأمسكه بين ثنيّتيه وفى الحديث ان أبا بكر رضى الله عنه قال فى يوم أحد فنظرت الى حلقة من درع قد نشبت فى جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكببت لانزعها فأقسم على أبو عبيدة فأزم بها أبو عبيدة بثنيّتيه فجذبها جذبا رفيقا فانتزعها وسقطت ثنيته ثم نظرت الى أخرى فأردتها فأقسم على أبو عبيدة ففعل فيها ما فعل فى الاولى وكان مشفقا من تحريكها لئلا يؤذى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبو عبيدة أهتم وقوله فأزم بها يقال أزم يأزم وأزم يأزم وقوله أصخت لها يقول استمعت لها قال العبدىُّ (وهو المثقب)

يصيخ للنبأة أسماعه * اصاخة الناشد للمنشد

والاصاخة الاستماع والناشد الطالب والمنشد المعرّف يقال نشدت الضالة أنشدها نشدانا اذا طلبتها وأنشدتها اذا عرّفتها والنبأة الصوت قال ذو الرمّة

وقد توجس ركزا مقفر ندس * بنبأة الصوت ما في سمعه كذب

وقوله حتى اذا ما أوعيتها يقول جمعتها في معى يقال وعيت العلم وأوعيت المتاع في الوعاء قال الله عز وجل وجمع فأوعى وقال الشاعر (عبيد بن الابرص)

الخير يبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

وقوله رميت بأخرى يستدير أميمها يريد يستدير من الدوار ويقال في هذا المعنى يستديم ومنه سميت الدوّامة وفي الحديث كره البول في الماء الدائم لانه كالمستدير في موضعه قال جرير

عوى الشعراء بعضهم لبعض * على فقد أصابهم انتقام

اذا أرسلت صاعقة عليهم * رأوا أخرى تحرّق واستداموا

وقوله أميمها يريد المأموم بها يقال أميم ومأموم كقولك قتيل ومقتول وجريح ومجروح ويقال للشجة التي قد وصلت الى أم الدماغ وأم الدماغ جليدة رقيقة تحيط بالدماغ فاذا وصل الى ذلك فالشجة آمّة ومأمومة قال الشاعر

يحج مأمومة في قعرها لجف * فاست الطبيب قذاها كالمغاريد

المغاريد صغار من الكمأة وقوله في قعرها لجف أي تقلّع يقال تلجّفت البئر اذا انقلع طيّها من أسفلها ولجّف القوم مكيالهم اذا أوسعوه من أسفله وقوله تساقوا عقارا يريد كأنهم سكارى لما نالهم من تلك الجنة والعقار اسم من أسماء الخمر وانما سميت عقارا لمعاقرتها الدنّ وقوله ما يبلّ يقال بلّ وأبلّ من مرضه وكذلك استبل والسليم الملسوع وقيل له سليم على جهة التفؤل كما يقال للمهلكة مفازة وللغراب الاعور على الطيرة منه لصحة بصره وقوله فلم تلفني فهّا يقول ضعيفا يقال فهّ فلان عن حجته اذا ضعف عنها ويقال رجل مفهّة

اذا كان عاجزا وقوله مُلَجْلَجَةً وهو ان يُرَدِّدَها في فيه وقد مضى تفسيره وقال رجل يُكْنَى أبا مَخْزُوم من بني نَهْشَل بن دارم (هو بَشامة بن حَزْن النَهْشَلي عن أبي رياش)

إنّا بني نَهْشَلٍ لاندّعي لأبٍ * عنه ولا هو بالأبناء يَشرينا
ان تُبتَدَرْ غايةٌ يومًا لمَكْرُمةٍ * تَلْقَ السوابِقَ منّا والمُصَلّينا
وليس يَهلِكُ منّا سيّدٌ أبدًا * الا افتَلينا غلامًا سيّدًا فينا
انّي لَمِنْ مَعشرٍ أفنى أوائلَهم * قيلُ الكُماةِ ألا أينَ المُحامونا
لو كان في الألف منّا واحدٌ فَدَعَوا * مَنْ فارسٌ خالَهم اياهُ يَعنونا
ولا تَراهُم وان جلّتْ رَزِيّتُهم * مع البُكاةِ على مَن مات يَبكونا
انّا لَنُرْخِصُ يومَ الرَوْعِ أنفسَنا * ولو نُسامُ بها في الأمْنِ أُغلينا
اذا الكُماةُ تَنَحَّوا أنْ يَنالَهم * حَدُّ الظُباتِ وَصَلْناها بأيدينا
قُرْضٌ على مُكثِرينا نَيلُ بَذْلِهم * والجودُ والبَذْلُ في طَبْعِ المُقِلّينا
انّي ومَنْ كأبي يحيى وعِترته * لا نَخْسَرُ الّا لنا أمَّنْ يُوازينا

قوله انا بني نهشل يعني نَهْشَلَ بن دارم بن مالك بن حَنْظَلَةَ بن مالك بن زَيْدِ مَناةَ بن تَميم ومن قال انّا بنو نهشل فقد خَبَّرَ وجعل بنو خبرانّ ومن قال بني فانما جعل الخبرَ تُبتَدَرْ غايةٌ يومًا لمَكْرُمةٍ تَلْقَ السوابق منا والمصلينا ونَصَبَ بَني على فعل مضمر للاختصاص وهذا أمدح ومثله * نحنُ بني ضَبّةَ أصحابُ الجَمَلْ * أراد نحن أصحاب الجمل ثم أبانَ مَنْ يَخُصُّ بهذا فقال أعني بني ضبة وقرأ عيسى بن عمر وامرأتُه حَمّالةَ الحطب أراد وامرأتُه في جيدها حَبْلٌ من مَسَدٍ ثم عرّفها بحمّالة الحطب وقوله عز وجل والمُقيمين الصلاةَ بعد قوله لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون انما هو على هذا وهو أبلغ في التعريف

وسنشرحه على حقيقة الشرح فى موضعه ان شاء الله وانشدنا ابو العباس عن ابن الاعرابى (هو لعمرو بن الاهتم المنقرى)

انا بنى منقر قوم ذوو حسب * فينا سراة بنى سعد وناديها

وقرأ بعض القراء فتبارك الله أحسن الخالقين وقوله يشرى بنا برد يبيعنا يقال شراه يشريه اذا باعه فهذه المعروفة قال الله عز وجل وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وقال ابن مفرغ الحميرى

شريت بردا ولولا ما تكنفنى * من الحوادث ما فارقته أبدا

(يا برد ما مسنا دهر أضر بنا * من قبل هذا ولا بعنا له ولدا)

ويكون شريت فى معنى اشتريت وهو من الاضداد وأنشد فى التوزى

اشروا لها خاتنا وابغوا الختنتها * مواسيا أربعا فيهن تذكير

(كان ابن جابر يروى لختنتها ويقول الختنة العقل) وقوله تلقى السوابق منا والمصلينا فالمصلى الذى فى اثر السابق وانما سمى مصليا لانه مع صلوى السابق وهما عرقان فى الردف قال الشاعر تركت الرمح يعمل فى صلاه * كان سنانه خرطوم نسر

وقوله الا افتلينا غلاما سيدا فينا مأخوذ من قولهم فلوت الفلو يا فتى اذا أخذته عن أمه قال الاعشى ملمع لاعة الفؤاد الى جحـ * ـش فلاه عنها فبئس الفالى

وأخذ هذا المعنى من قول أبى الطمحان القينى * اذا مات منهم سيد قام صاحبه *

وقوله لو كان فى الالف منا واحد فدعوا * من فارس خالهم اياه يعنونا

مأخوذ من قول طرفة بن العبد

اذا القوم قالوا من فتى خلت اننى * عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

ومن قول متمم بن نويرة

اذا القوم قالوا من فتى لعظيمة * فما كلهم يدعى ولكنه الفتى

وقوله حد الظبات والظبة الحد بعينه يقال أصابته ظبة السيف وظبة المنصل وجمعه ظبات وأراد بالظبة ههنا موضع المضرب من السيف وأخذ هذا المعنى من قول كعب بن مالك بن أبي كعب الانصارى

نصل السيوف اذا قصرن بخطونا * قدما ونلحقها اذا لم تلحق

وقوله انا لنرخص يوم الروع أنفسنا أخذه من قول الهمدانى وهو الأجدع أبو مسروق ابن الاجدع الفقيه

لقد علمت نسوان همدان انني * لهن غداة الروع غير خذول
وأبذل في الهيجاء وجهي وانني * له في سوى الهيجاء غير بذول

ومن القتال الكلابي حيث يقول

أنا ابن الأكرمين بني قشير * وأخوالي الكرام بنو كلاب
نعرض للطعان اذا التقينا * وجوها لا تعرض للسباب

٨- باب

قال أبو العباس قال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ثلاث من كن فيه فقد كمل من لم يخرجه غضبه عن طاعة الله ولم يستنزله رضاه الى معصية الله واذا قدر عفا وكف وقال الحسن نعم الله أكثر من ان تشكر الا ما أعان عليه وذنوب ابن آدم أكثر من ان يسلم منها الا ما عفا الله عنه وقال عمر بن ذر ودخل على ابنه وهو يجود بنفسه فقال يا بني انه ما علينا من موتك غضاضة ولا بنا الى أحد سوى الله حاجة فلما قضى وصلى عليه وواراه وقف على قبره فقال يا ذر انه قد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك لانا لا ندري ما قلت وما قيل

لك اللهم انی قد وهبت له ماقصر فيه مما افترضت عليه من حق فهب له ماقصر فيه من حقك واجعل ثوابي عليه له وزدني من فضلك اني اليك من الراغبين وسئل ما بلغ من بره بك فقال ما مشى معي بنهار قط الا قدمني ولا بليل الا تقدمني ولا رقى سطحا وانا تحته وماتت بنت عم للمنصور فحضر جنازتها وجلس لدفنها واقبل ابو دلامة الشاعر فقال له المنصور ويحك ما اعددت لهذا اليوم فقال يا امير المؤمنين ابنة عمك هذه التي واريتها قبيل قال فضحك المنصور حتى استغرب ودخل لبطة بن الفرزدق على ابيه وهو محبوس في سجن مالك بن المنذر بن الجارود ومالك عامل على البصرة لخالد بن عبد الله القسري فقال يا ابت هذا عمر ابن يزيد الاسيدي ضرب آنفا الف سوط فمات فشد على حمار فقال الفرزدق كانك والله يا بني بمثل هذا الحديث قد تحدث به عن ابيك والحسن اذ ذاك عند محبوس له فقال يا ابا فراس ما عندك ان كان ذلك فقال والله يا ابا سعيد لله احب الي من سمعي وبصري ومن مالي وولدي ومن اهلي وعشيرتي افتراه يخذلني فقال الحسن لا وكان عمر بن يزيد الاسيدي شريفا حدثني التوزي عن ابي عبيدة قال كان رجل اهل البصرة عمر بن يزيد الاسيدي ورجل اهل الشام عمر بن هبيرة الفزاري ورجل اهل الكوفة بلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري فقيل ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال اجل لولا خب في بلال فقال بلال لما بلغه ذلك رمتني بدائها وانسلت وقتله مالك بن المنذر تعصبا فيما تذكره المضرية فلما دخل مالك على هشام اقبل على اصحابه فقال اما رأيتم عمر بن يزيد اما اني ما تمنيت ان تكون امي ولدت رجلا من العرب غيره ثم قال لمالك قتلت والله خيرا منك حسبا ونسبا ودينا وعقبا فقال وكيف يا امير المؤمنين ألست ابن المنذر بن الجارود وابن مالك بن مسمع وكان جده ابا امه وجعل عمر والسياط تأخذه ينادي يا هشاماه ففي ذلك يقول الفرزدق

ألم يك مقتل العبدي ظلما * ابا حفص من النكر العظام

قَتِيلُ جماعةٍ في غيرِ حقٍّ * يُقَطَّعُ وهو يدعو يا هشام

والتقى الحسنُ والفرزدق في جنازة فقال الفرزدق للحسن أتدرى مايقول الناس يا أبا سعيد قال ومايقولون قال يقولون اجتمع في هذه الجنازة خيرُ الناس وشرُّ الناس فقال الحسن كلّا لستُ بخيرهم ولستَ بشرهم ولكن ما أعددتَ لهذا اليوم فقال شهادةَ أن لا اله الا الله منذ سبعون سنة وخمس نجائب لايدركن يعنى الصلوات الخمس فيزعم بعض التميميّة انه رُئِيَ في النوم فقيل له ماصنع بك ربّك فقال غفر لى فقيل له بأيّ شئ فقال بالكلمة التى نازعنى فيها الحسنُ وحدثنى العباس بن الفرج الرياشيّ في اسناد له ذكره قال كان الفرزدق يخرج من منزله فيرى بنى تميم والمصاحفُ في حجورهم فيسرّ بذلك ويجذلُ به و يقول ايه فدًا لكم أبى وأمّى كذا والله كان آباؤكم (قال أبو الحسن انما هو فداءٌ لكم فمن فتح قصر لا غير ومن كسر مدّ لكنه قصر الممدود على هذه الرواية) قال أبو العباس ونظر اليه أبو هريرةَ الدوسيُّ فقال له مهما فعلتَ فقنّطك الناسُ فلا تقنط من رحمة الله ثم نظر الى قدميه فقال انى أرى لك قدمين لطيفتين فابتغ لهما موقفا صالحا يوم القيامة يقال قنَط يقنِط وقنِط يقنَطُ وكلاهما فصيح فاقرأ بايهما شئت وكذلك نقَم ينقِم ونقِم ينقَمُ والفرزدق يقول في آخر عمره حين تعلّق بأستار الكعبة وعاهد الله أن لا يكذب ولا يشتم مسلما

أَلَمْ تَرَنى عاهدتُ ربّى واننى * لبين رِتاجٍ قائما ومَقام

على حلفةٍ لا أشتمُ الدهرَ مسلما * ولا خارجا من فىَّ زورُ كلام

وفى هذا الشعر

أطعتُكَ يا ابليسُ تسعين حجّةً * فلما انقضى عُمرى وتمّ تمامى

رجعتُ الى ربى وأيقنتُ أننى * مُلاقٍ لأيام المنون حِمامى

قوله لبين رتاج فالرتاج غلقُ الباب و يقال باب مُرْتَج أى مُغلق و يقال أُرْتِجَ على فلان أى

أُغلِقَ عليه الكلام وقولُ العامة أُرتِجَ عليه ليس بشئ الا ان التوزي حدثنى عن أبى عبيدة قال يقال أُرتِجَ عليه ومعناه وقع فى رَجَّة أى فى اختلاط وهذا معنى بعيد جدا وقوله ولا خارجا انما وَضَعَ اسم الفاعل فى موضع المصدر أراد لا أشتُمُ الدهر مُسلما ولا يخرُجُ خروجا من فىَّ زُورُ كلام لانه على ذا أقسَمَ والمصدر يقع فى موضع اسم الفاعل يقال ماءٌ غَورٌ أى غائر كما قال الله عز وجل ان أصبحَ ماؤكم غَوراً ويقال رجل عَدْلٌ أى عادل ويوم غَمٌّ أى غامّ وهذا كثير جدا فعلى هذا جاء المصدر على فاعِل كما جاء اسم الفاعل على المصدر يقال قُمْ قائما فيوضع فى موضع قولك قُم قياما وجاء من المصدر على لفظ فاعِل حروفٌ منها فُلِجَ فالجا وعُوفِىَ عافيةً وأحرفٌ سوى ذلك يسيرة وجاء على مَفعول نحو رجل ليس له مَعقولٌ وخذ مَيسوره ودَعْ مَعسوره لدخول المفعول على المصدر يقال رجل رِضًا أى مَرضىٌّ وهذا درهم ضَرْبُ الامير أى مضروبٌ وهذه دراهم وزنُ سَبعة أى موزونةٌ وكان عيسى بن عمر يقول انما قوله لا أشتُمُ حالٌ فاراد عاهدتُ ربى فى هذه الحال وانا غير شاتمٍ ولا خارجٍ من فىَّ زُورُ كلام ولم يذكر الذى عاهد عليه وقال الفرزدق فى أيام نُسكه

أخافُ وراء القبر ان لم يُعافنى * أشدَّ من القبر التهابا وأضيقا

اذا قادنى يومَ القيامة قائدٌ * عنيفٌ وسوّاقٌ يسوقُ الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى * الى النار مغلولَ القلادة مُوثَقا

اذا شربوا فيها الحميمَ رأيتهم * يذوبون من حرّ الحميم تمزّقا

وحدثنى بعض أصحابنا عن الاصمعى عن المُعتمِر بن سليمان عن أبى مخزوم عن أبى شَفقل راوية الفرزدق قال قال لى الفرزدق يوما امضِ بنا الى حلقة الحسن فانى أريد أن أُطلِّقَ النَّوارَ فقلتُ انى أخاف عليك أن تَتبَعها نفسُك ويَشهدَ عليك الحسنُ وأصحابه فقال امضِ بنا فجئنا حتى وقفنا على الحسن فقال كيف أصبحتَ يا أبا سعيد فقال بخير كيف أصبحتَ يا أبا

فراس قال تعلمن أن النوار مني طالق ثلاثا فقال الحسن وأصحابه قد سمعنا قال فانطلقنا قال فقال لي الفرزدق يا هذا ان في قلبي من النوار شيأ فقلت قد حذرتك فقال

ندمت ندامة الكسعي لما * غدت مني مطلقة نوار

(وكنت كفاقئ عينيه عمدا * فأصبح لا يضيء له النهار

وما فارقتها شبعا ولكن * رأيت الزهد يأخذ ما أعار)

وكانت جنتي فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار

ولو أني ملكت يدي ونفسي * لكان علي للقدر الخيار

قال الاصمعي ما روى المعتمر هذا الشعر الا من أجل هذا البيت

٩ - باب

قال لقيط بن زرارة

شربت الخمر حتى خلت أني * أبو قابوس أو عبد المدان

أمشي في بني عدس بن زيد * رخي البال منطلق اللسان

وحدثني أبو عثمان المازني قال أسر رجل يوم الحسين بن علي رضي الله عنه فأتي به يزيد بن معاوية فقال له أليس أبوك القائل

أرجل جمتي وأجر ذيلي * وتحمل شكتي أفق كميت

أمشي في سراة بني غطيف * اذا ما ساءني ضيم أبيت

قال بلى فأمر به فقتل قال أبو العباس وعمي الى أن معاوية ولى كثير بن شهاب المذحجي خراسان فاختان مالا كثيرا ثم هرب فاستتر عند هاني بن عروة المرادي فبلغ ذلك معاوية فنذر دم هاني فخرج هاني فكان في جوار معاوية ثم حضر مجلسه ومعاوية لا يعرفه فلما

نهض الناس ثبت مكانه فسأله معاوية عن أمره فقال أنا هانئ بن عروة فقال ان هذا اليوم ليس بيوم يقول فيه أبوك أرجل جمتى الشعر فقال له هانئ أنا اليوم أعز منى ذلك اليوم فقال له بم ذاك فقال بالاسلام يا أمير المؤمنين فقال له أين كثير بن شهاب قال عندى فى عسكرك يا أمير المؤمنين فقال له معاوية انظر الى ما اختانه فخذ منه بعضا وسوغه بعضا

وقال أعرابى

ولقد شربت الراح حتى خلتنى * لما خرجت أجر فضل المئزر
قابوس أو عمرو بن هند ماثلا * يجبى له مادون دارة قيصر

وقال آخر

شربنا من الداذى حتى كأننا * ملوك لهم بر العراقين والبحر
فلما انجلت شمس النهار رأيتنا * تولى الغنى عنا وعاودنا الفقر

وقال آخر وهو عبد الرحمن بن الحكم

وكأس ترى بين الاناء وبينها * قذى العين قد نازعت أم أبان
ترى شاربيها حين يعتورانها * يميلان أحيانا ويعتدلان
فما ظن ذا الواشى بأروع ماجد * وبداء خود حين يلتقيان

وقال آخر

دعتنى أخاها أم عمرو ولم أكن * أخاها ولم أرضع لها بلبان
دعتنى أخاها بعدما كان بيننا * من الأمر مالا يفعل الأخوان

وقال آخر (أنشده أبو على لام ضيغم البلوية)

فبتنا فويق الحى لا نحن منهم * ولا نحن بالأعداء مختلطان
وبات يقينا ساقط الطل والندى * من الليل بردا يمنة عطران
نذود بذكر الله عنا من الصبا * اذا كان قلبانا بنا يردان

(قال أبو الحسن وزادنى فيه غير أبى العباس

ونصدر عن رى العفاف وربما * نقعنا غليل النفس بالرشفان)

قال أبو العباس نَعَدَّى أى نصرِفْ الشر بذكر الله يقال فعدّ عما ترى أى فانصرف عنه الى غيره ويقال لا يعدونّك هذا الحديث أى لا يتجاوزنّك الى غيرك. قال أبو العباس وقال رجل من قريش

مَن تقرع الكأس اللئيمة سِنّه * فلا بدّ يوما ان يسئ ويجهلا
ولم أر مطلوبا أخس غنيمة * وأوضع للأشراف منها وأخملا
وأجدر ان تلقى كريما يذمها * ويشربها حتى يخرّ مجدّلا
فوالله ما أدرى أخبلُ أصابهم * أم العيش فيها لم يلاقوه أشكلا

وقال آخر

اذا صدمتنى الكأس أبدت محاسنى * ولم يخش ندمانى أذاتى ولا بخلى
ولست بفحّاش عليه وان أسا * وما شكل من آذى نداماه من شكلى

وقال آخر

كُلْ هنيأ وما شربت مريأً * ثم قم صاغرا فغير كريم
لا أحب النديم يومض بالعين * اذا ما انتشى لعرس النديم

الايماض نفتح البرق ولمحه يقال أومضت المرأة اذا ابتسمت وانما ذلك تشبيه للمع ثناياها بتبسم البرق فاراد انه فتح عينه ثم غمضها بغمز وقال حسان بن ثابت

كأن سبيئة من بيت رأس * يكون مزاجها عسل وماء
اذا ما الأشربات ذكرن يوما * فهن لطيب الراح الفداء
نولّيها الملامة ان ألمنا * اذا ما كان مغث أو لحاء
ونشربها فتتركنا ملوكا * وأسدا ما ينهنهنا اللقاء

المغث المماغثة باليد واللحاء الملاحاة باللسان يقول يعتذر المسىء بأن يقول كنت سكران فيعذر وقوله كأن سبيئة يقال سبأتها اذا اشتريتها سباء يعنى الخمر والسابئ الخمار وقوله من

بيت رأس يعني موضعا كما يقال حارث الجولان

١٠ - باب

قال أبو العباس قال الأحنف بن قيس ألا أدلّكم على المحمدة بلا مرزئة الخُلُق السجيح والكفّ عن القبيح ألا أخبركم بأدوا الداء الخُلُق الدنيء واللسانُ البذيء • وقال الأحنف ثلاثٌ فيَّ ما أقولهنّ الا ليعتبر معتبرٌ ما دخلت بين اثنين حتى يُدخلاني بينهما ولا أتيت باب أحد من هؤلاء مالم أُدعَ اليه يعني السُّلطان ولا حللت حَبوتي الى ما يقوم اليه الناس تكسر الحاء وتضمها اذا أردت الاسم وتفتحها اذا أردت المصدر أنشدني عمارة بن عقيل لجرير

قتل الزُّبير وأنت عاقد حُبوةٍ * قُبِّحتِ الحُبوة التي لم تُحلَل

ويقال في جمع حُبوة حِبا وحُبا مقصوران وقال عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ما أحسن الحسنات في آثار السيّئات وأقبح السيّئات في آثار الحسنات وأقبح من ذا وأحسن من ذاك السيّئات في آثار السيّئات والحسنات في آثار الحسنات والعرب تلفّ الخبرين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملةً ثقةً بأن السامع يردّ الى كلٍّ خبرَه وقال الله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وقال رجل لسَلْم بن نوفل ما أرخص السُّودد فيكم فقال سَلْم أمّا نحن فلا نسوّد الا من بذل لنا ماله وأوطأنا عرضه وامتهن في حاجتنا نفسه فقال الرجل ان السُّودد فيكم لغالٍ ولسَلْم يقول القائل

يسوَّد أقوامٌ وليسوا بسادةٍ * بل السيّد المعروف سَلْم بن نوفل

قال معاوية لعَرابة بن أوس بن قيظي الأنصاري بم سُدت قومك فقال لستُ بسيّدهم ولكنّي رجلٌ منهم فعزم عليه فقال أعطيتُ في نائبهم وحلمت عن سفيههم وشددت على يدي حليمهم فمن فعل منهم مثل فعلي فهو مثلي ومن قصّر عنه فأنا أفضل منه ومن تجاوزه فهو

أفضل مني وكان سبب ارتفاع عرابة انه قدم من سفر فجمعه الطريق والشماخ بن ضرار المزني فتحادثا فقال له عرابة ما الذي أقدمك المدينة قال قدمت لأمتار منها فملأ له عرابة رواحله براً وتمراً واتحفه بغير ذلك فقال الشماخ

رأيت عرابة الأوسي يسمو * الى الخيرات منقطع القرين

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

اذا بلغتني وحملت رحلي * عرابة فاشرقي بدم الوتين

ومثل سراة قومك لم يجاروا * الى ربع الرهان ولا الثمين

قوله تلقاها عرابة باليمين قال أصحاب المعاني معناه بالقوة وقالوا مثل ذلك في قول الله عز وجل والسموات مطويات بيمينه وقد أحسن كل الاحسان في قوله

اذا بلغتني وحملت رحلي * عرابة فاشرقي بدم الوتين

يقول لست احتاج الى ان أرحل الى غيره وقد عاب بعض الرواة قوله فاشرقي بدم الوتين وقال كان ينبغي أن ينظر لها مع استغنائه عنها فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصارية المأسورة بمكة وقد نجت على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني نذرت ان نجوت عليها ان أنحرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبئس ما جزيتها وقال لا نذر في معصية ولا نذر للانسان في غير ملكه ومما لم يعب في هذا المعنى قول عبد الله بن رواحة الانصاري لما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زيد وجعفر على جيش مؤتة

اذا بلغتني وحملت رحلي * مسيرة أربع بعد الحساء

فشأنك فانعمي وخلاك ذم * ولا أرجع الى أهلي ورائي

الحساء جمع حسي وهو موضع رمل تحته صلابة فاذا مطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فمنعته الصلابة ان يغيض ومنع الرمل السمائم أن تنشفه فاذا بحث ذلك الرمل

أصيب الماء يقال حشي وأحشاء وحشاء ممدودة وقوله ولا أرجع الى أهلي ورآني مجزوم لانه دعاء فقوله لا هي الجازمة له ومعناه اللهم لا أرجع كما تقول زيد لا يغفر الله له فهذا الدعاء يجزم بما يجزم به الامر والنهي كما تقول زيد ليقم وزيد لا يبرح وقد اتبع ذو الرمة الشماخ في قوله

اذا ابن أبي موسى بلالا بلغته * فقام بفأس بين وصليك جازر

الوصل المفصل بما عليه من اللحم يقال قطع الله أوصاله ويقال وصل وكسر وجدل في معنى واحد

١١ - باب

قال أبو العباس أنشدني التوزي لرجل من رجاز بني تميم في وقعة الجفرة

نحن ضربنا الازد بالعراق * والحي من ربيعة المراق

وابن سهيل قائد النفاق * بلا معونات ولا أرزاق

الا بقايا كرم الاعراق * لشدة الخشية والاشفاق

* من المخازي والحديث الباقي *

الاعراق جمع عرق يقال فلان كريم العرق ولئيم العرق أي الاصل وقال آخر يصف ابنه

أعرف منه قلة النعاس * وخفة في رأسه من راسي * كيف ترين عنده مراسي

يخاطب أم ابنه فقوله أعرف منه قلة النعاس أي الذكاء والحركة وكان عبد الملك بن مروان يقول لمؤدب ولده علمهم العوم وخذهم بقلة النوم وكذا قال أبو كبير الهذلي

فأتت به حوش الجنان مبطنا * سهدا اذا ما نام ليل الهوجل

وقال الآخر

فجاءت به حوش الفؤاد مسهدا * وأفضل أولاد الرجال المسهد

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال عروة بن الورد

العبسي وهو عروة الصعاليك

لحا الله صعلوكا اذا جن ليله * مصافي المشاش آلفا كل مجزر

(يعد الغنى من نفسه كل ليلة * أصاب قراها من صديق ميسر)

ينام ثقيلا ثم يصبح قاعدا * يحت الحصى عن جنبه المتعفر

يعين نساء الحي ما يستعنه * فيضحي طليحا كالبعير المحسر

ولكن صعلوكا صفيحة وجهه * كضوء سراج القابس المتنور

مطلا على أعدائه يزجرونه * بساحتهم زجر المنيح المشهر

وان بعدوا لا يأمنون اقترابه * تشوف أهل الغائب المنتظر

فذلك ان يلق المنية يلقها * حميدا وان يستغن يوما فأجدر

(يريح على الليل أضياف ماجد * كريم ومالي سارحا مال مقتر

قال أبو الحسن كذا أنشده فذلك لانه لم يرو أول الشعر والصواب كسر الكاف لانه يخاطب امرأة ألا تراه قال

أقلي على اللوم يا ابنة مالك * ونامي وان لم تشتهي ذاك فاسهري)

قوله * يحت الحصى عن جنبه المتعفر * يريد المترب والعفر والعفر اسمان للتراب من ذلك قولهم عفر الله خده ويقال للظبية عفراء اذا كانت تضرب بياضها الى حمرة وكذلك الكثيب الأعفر وقوله كالبعير الحسر هو المعيي يقال جمل حسير وناقة حسير قال الله عز وجل ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وقوله * وان بعدوا لا يأمنون اقترابه * على التقديم والتأخير أراد لا يأمنون اقترابه وان بعدوا وهذا حسن في الاعراب اذا كان الفعل الاول في المجازاة ماضيا كما قال زهير

وان أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

فان كان الفعل الاول مجزوما ولم يجزم رفع الثانى الاضرورة فسيبويه يذهب الى انه على التقديم والتأخير وهو عندى على ارادة الفاء لعلة تلزمه فى مذهبه نذكرها فى باب المجازاة اذا جرى فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله

يا أقرع بن حابس يا أقرع * انك ان يصرع أخوك تصرع

أراد سيبويه انك تصرع ان يصرع أخوك وهو عندى على قوله ان يصرع أخوك فأنت تصرع يافتى ونستقصى هذا فى بابه ان شاء الله تعالى وقوله * كيف ترين عنده مرامى *

يقول للمرأة عززتك على شبهه و يقال أنجب الاولاد ولد الفارك وذلك لانها تبغض زوجها فيسبقها ماؤه فيخرج الشبه اليه فيخرج الولد مذكرا وكان بعض الحكماء يقول اذا أردت ان تطلب ولد المرأة فأغضبها ثم قع عليها فانك تسبقها بالماء وكذلك ولد الفزعة كما قال أبو كبير الهذلى

ممن حملن به وهن عواقد * حبك النطاق فشب غير مهبل

(المهبل الكثير اللحم ومهبل غير مدعو عليه بالهبل)

حملت به فى ليلة مزؤودة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

مزؤودة ذات زؤد وهو الفزع فمن نصب مزؤودة فانما أراد المرأة ومن خفض فانه أراد الليلة وجعل الليلة ذات فزع لانه يفزع فيها كما قال الله عز وجل بل مكر الليل والنهار والمعنى بل مكركم فى الليل والنهار وقال جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى * ونمت وما ليل المطى بنائم

وقال آخر * فنام ليلى وتجلى همى * وهذا الرجز ضد ما قال الآخر فى ولده فانه أقر بان امرأته غلبته على شبهه وذلك قوله

والله ما أشبهنى عصام * لا خلق منه ولا قوام * نمت وعرق الخال لا ينام

يقول عزّتني أمّه على الشّبه فذهبتْ به الى أخواله وقال آخر.

لقد بعثتُ صاحبا من العجم * بين ذوي الاحلام والبيض اللّمم * كان أبوه غائبا حتى فطم

يقول لم يُسْق غيلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هممتُ ان أنهى أمّتي عن الغيلة حتى علمتُ ان فارس والرّوم تفعل ذلك باولادها فلا تضير أولادها والغيلة ان ترضع المرأة وهي حامل أو ترضع وهي تغشى ويزعم أهل الطبّ من العرب والعجم ان ذلك اللّبن داء وقالت أمّ تأبّط شرّا والله ما حملته تضعا ووضعا أيضا ولا وضعته يتنا ولا سقيته غيلا ولا أبتّه مئقا وقال الاصمعي ولا أبتّه على مأقة قولها ما حملته تضعا يقال اذا حملت المرأة عند مقبل الحيض حملته وضعا وتضعا واذا اخرجت رجلا المولود من قبل رأسه قيل وضعته يتنا قال الشاعر فجاءت به يتنا يجرّ مشيمة * تسابق رجلاه هناك الاناملا

ويقال للرجل اذا اقلب الشيء عن جهته جاء به يتنا قال عيسى بن عمر سألت ذا الرّمّة عن مسئلة فقال لي أتعرف اليتن قلتُ نعم قال فمسئلتك هذه يتن قال وكنت قد قلبت الكلام والغيل ما فسرناه واما قولها ولا ابتّه مئقا تقول لم ابته مغيظا وذلك ان الخرقاء تبيت ولدها جائعا مغموما لحاجته الى الرضاع ثم تحركه في مهده حتى يغلبه الدوار فينومه والكيسة تشبعه وتغنيه في مهده فيسري ذلك الفرح في بدنه من الشبع كما سرى ذلك الغمّ والجوع في بدن الآخر ومن أمثال العرب أنا تئق وصاحبي مئق فكيف نتفق التئق المملوء غيظا وغضبا والمئق القليل الاحتمال فلا يقع الاتفاق

١٢ - باب

قال أبو العباس قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يزهدنّك في المعروف كفر من كفره فانه يشكرك عليه من لم تصطنعه اليه وأنشد عبد الله بن جعفر قول الشاعر

انّ الصّنيعة لا تكون صنيعة * حتى تصيب بها طريق المصنع

فقال هذا رجل يريد أن يَتَحَلَّ الناسَ أمْطرا المعروف مَطَرًا فان صادف موضعا فهو الذى قصدتَ له والا كنتَ أحقَّ به (قال أبو الحسن الاخفش حدثنا المبرد فى غير الكامل قال قال الحسَن والحُسَينُ رضوان الله عليهما لعبد الله بن جعفر انك قد أسرفتَ فى بذل المال قال بأبى أنتما وأمّى ان الله عوّدنى أن يفضل علىّ وعوّدتُه أن أفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى) ومرّ يزيدُ بن المهلّب باعرابية فى خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز يريد البصرة فقرَتْه عنزًا فقبلها وقال لابنه معاوية ما معك من النفقة فقال ثمانى مائة دينار قال فادفَعْها اليها قال له ابنه انك تريد الرجالَ ولا يكون الرجالُ الا بالمال وهذه يُرْضيها اليسير وهى بعدُ لا تعرفُكَ فقال له ان كانت ترضى باليسير فانا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفنى فانا أعرف نفسى ادفَعْها اليها وزعم الاصمعى ان حربا كانت بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الامر فيها ثم مُشِىَ بين الناس بالصُلْح فاجتمعوا فى المسجد الجامع قال فبُعِثْتُ وأنا غلام الى ضرار بن القعقاع من بنى دارم فاستأذنتُ عليه فأذن لى فدخلتُ فاذا به فى شَمْلة يخلط بَزْرًا لعنزٍ له حلوب فخبّرته بمجتمع القوم فأمهلَ حتى أكلت العنز ثم غسل الصحفة وصاح يا جارية غدّينا قال فأتته بزيت وتمر قال فدعانى فقَذِرْتُه أن آكل معه حتى اذا قضى من أكله حاجةً وثب الى طين مُلْقًى فى الدار فغسل به يده ثم صاح يا جارية اسقينى ماء فأتته بماء فشربه ومسح فَضْلَه على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفُرات بتمر البصرة بزيت الشام متى نُؤَدِّى شُكْرَ هذه النعم ثم قال يا جارية علىَّ بردائى فأتته برداء عَدَنى فارتدى به على تلك الشَّمْلة قال الاصمعى فتجافيتُ عنه استقباحًا لزِيّه فلما دخل المسجد صلى ركعتين ثم مشى الى القوم فلم تبق حُبْوة الا حُلَّت اعظاما له ثم جلس فتحمّل جميع ما كان بين الاحياء فى ماله وانصرف وحدثنى أبو عثمان بكر بن محمد المازنىُّ عن أبى عبيدة قال لما أتى زيادَ بن عمرو المِرْبَدِىّ فى عَقِب قتل مسعود بن عمرو العتكى جعل فى الميمنة بكرَ بن وائل وفى الميسرة

عبد القيس وهم لكيز بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة وكان زياد بن عمرو العتكى فى القلب فبلغ ذلك الاحنف فقال هذا غلام حدث شأنه الشهرة وليس يبالى أين قذف بنفسه فندب أصحابه فجاءه حارثة بن بدر الغدانى وقد اجتمعت بنو تميم فلما طلع قال قوموا الى سيدكم ثم أجلسه فناظره فجعلوا سعدا والرباب فى القلب ورئيسهم عبس بن طلق الطعان المعروف بأخى كهمس وهو أحد بنى صريم بن يربوع فجعل فى القلب بحذاء الازد وجعل حارثة بن بدر فى بنى حنظلة بحذاء بكر بن وائل وجعلت عمرو بن تميم بحذاء عبد القيس فذلك حيث يقول حارثة بن بدر للاحنف

سيكفيك عبس أخو كهمس * مقارعة الازد بالمربد

وتكفيك عمرو على رسلها * لكيز بن أفصى وما عددوا

وتكفيك بكرا اذا أقبلت * بضرب يشيب له الامرد

فلما توافقوا بعث اليهم الاحنف يامعشر الازد وربيعة من أهل البصرة أنتم والله أحب الينا من تميم الكوفة وأنتم جيراننا فى الدار ويدنا على العدو وأنتم بدأتمونا بالامس ووطئتم حريمنا وحرقتم علينا فدفعنا عن أنفسنا ولا حاجة لنا فى الشر ما أصبنا فى الخير مسلكا فتيمموا بنا طريقة قاصدة فوجه اليه زياد بن عمرو تخير خلة من ثلاث ان شئت فانزل أنت وقومك على حكمنا وان شئت فخل لنا عن البصرة وارحل أنت وقومك الى حيث شئتم والا فدوا قتلانا واهدروا دماءكم وليود مسعود دية المشعرة قال أبو العباس وتأويل قوله دية المشعرة يريد أمر الملوك فى الجاهلية وكان الرجل اذا قتل وهو من أهل بيت المملكة ودى عشر ديات فبعث اليه الاحنف سنختار فانصرفوا فى يومكم فهز القوم راياتهم وانصرفوا فلما كان الغد بعث اليهم انكم خيرتمونا خلالا ليس فيها خيار أما النزول على حكمكم فكيف يكون والكلم يقطر دما وأما ترك ديارنا فهو أخو القتل قال الله عز وجل

ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل ولكن الثالثة انما هي حمل على المال فنحن نبطل دماءنا وندى قتلاكم وانما مسعود رجل من المسلمين وقد أذهب الله أمر الجاهلية فاجتمع القوم على أن يقفوا أمر مسعود وتغمد السيف ويودى سائر القتلى من الأزد وربيعة فتضمن ذلك الاحنف ودفع اياس بن قتادة المجاشعى رهينة حتى يؤدى هذا المال فرضى به القوم ففخر بذلك الفرزدق فقال

ومنا الذى أعطى يديه رهينة * لغارى معد يوم ضرب الجماجم

عشية سال المربدان كلاهما * عجاجة موت بالسيوف الصوارم

هنالك لو تبغى كليبا وجدتها * أذل من القردان تحت المناسم

(قال أبو الحسن وكان أبو العباس ربما رواه لغازى معد) ويقال ان تميما فى ذلك الوقت مع باديتها وحلفائها من الأساورة والزط والسيابجة وغيرهم كانوا زهاء سبعين ألفا ففى ذلك يقول جرير

سائل ذوى يمن ورهط محرق * والأزد اذ ندبوا لنا مسعودا

فأتاهم سبعون ألف مدجج * متسربلين يلامقا وحديدا

قال الاحنف بن قيس فكثرت على الديات فلم أجدها فى حاضرة تميم فخرجت نحو يبرين فسألت عن المقصود هنالك فأرشدت الى قبة فاذا شيخ جالس بفنائها مؤتزر بشملة محتب بحبل فسلمت عليه وانتسبت له فقال مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت توفى صلوات الله عليه قال فما فعل عمر بن الخطاب الذى كان يحفظ العرب ويحوطها فقلت له مات رحمه الله تعالى قال فأى خير فى حاضرتكم بعدهما قال فذكرت له الديات التى لزمتنا للأزد وربيعة قال فقال لى أقم فاذا راع قد أراح ألف بعير فقال خذها ثم أراح عليه آخر مثلها فقال خذها فقلت لا أحتاج اليها قال فانصرفت بالألف عنه و والله ما أدرى من هو

الى الساعة قوله المناسم واحدها منسم وهو ظفر البعير فى مقدم الخف وهو من البعير كالسنبك من الفرس وقوله عشية سال المربدان كلاهما يريد المربد وما يليه مما جرى مجراه والعرب تفعل هذا فى الشيئين اذا جريا فى باب مجرى واحد قال الفرزدق

أخذنا بآفاق السماء عليكم * لنا قمراها والنجوم الطوالع

يريد الشمس والقمر لانهما قد اجتمعا فى قولك النيران وغلب الاسم المذكر وانما يؤثر فى مثل هذا الخفة وقالوا العمران لابى بكر وعمر فان قال قائل انما هو عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز فلم يصب لان أهل الجمل نادوا بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أعطنا سنة العمرين فان قال قائل فلم لم يقولوا أبوى بكر وأبو بكر أفضلهما فلان عمرا اسم مفرد وانما طلبوا الخفة وأنشدنى التوزى عن أبى عبيدة لجرير

وما لتغلب ان عدوا مساعيهم * نجم يضىء ولا شمس ولا قمر

ما كان يرضى رسول الله فعلهم * والعمران أبو بكر ولا عمر

هكذا أنشدنيه (انما قال هكذا أنشدنيه لان غير التوزى يرويه والطيبان أبو بكر ولا عمر) وقال آخر (هو حميد الارقط) * قدنى من نصر الخبيبين قدى * يريد عبد الله ومصعبا ابنى الزبير وانما أبو خبيب عبد الله وقرأ بعض القراء سلام على الياسين فجمعهم على لفظ الياس ومن ذا قول العرب المسامعة والمهالبة والمناذرة فجمعهم على اسم الاب والمشعرة اسم لقتلى الملوك خاصة كانوا يكبرون أن يقولوا اقتل فلان فيقولون أشعر فلان من اشعار البدن ويروى أن رجلا قال حضرت الموقف مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فصاح به صائح ياخليفة رسول الله ثم قال ياأمير المؤمنين فقال رجل من خلفى دعاه باسم ميت مات والله أمير المؤمنين فالتفت فاذا رجل من بنى لهب وهم من بنى نصر بن الازد وهم أزجر قوم قال كثير

سألتُ أخا لهبٍ ليزجر زجرة * وقد صار زجر العالمين الى لهب

قال فلما وقفنا لرمى الجمار اذا حصاة قد صكت صلعة عمر فادمته فقال قائل أشعر والله أمير المؤمنين لا يقف هذا الموقف أبدا فالتفت فاذا بذلك اللهبي بعينه فقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل الحول

١٣- باب

قال أبو العباس أنشدني رجل من أصحابنا من بنى سعد قال أنشدني اعرابي في قصيدة ذي الرمة ألا يا اسلمى يا دارمىّ على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

بيتين لم تأت بهما الرواة وهما

رأيتُ غرابا ساقطا فوق قضبة * من القضب لم ينبت لها ورق نضر

فقلت غراب لاغتراب وقضبة * لقضب النوى هذى العيافة والزجر

وقال آخر (قال أبو الحسن هو جحدر العكلى وكان لصا)

وقد ما هاجني فازددت شوقا * بكاء حمامتين تجاوبان

(وقدما عن أبى الحسن)

تجاوبتا بلحن أعجمى * على عودين من غرب وبان

فكان البان أن بانت سليمى * وفى الغرب اغتراب غير دان

وأنشدني أبو محلم لرجل من ولد طلبة بن قيس بن عاصم

وكنت اذا خاصمت خصما كببته * على الوجه حتى خاصمتني الدراهم

فلما تنازعنا الخصومة غلبت * علىّ وقالوا قم فانك ظالم

وقرأت على أبى الفضل العباس بن الفرج الرياشي عن أبى زيد الانصارى

ولقد بغيتُ المالَ من مَبغاته * والمالُ وجهٌ للفتى معروضُ

طَلَبَ الغنى عن صاحبي ليُحِبَّني * انّ المفقرَ الى الغنى بغيضُ

وقال آخر أنشدنيه التَّوَّزيُّ عن أبي زيد

وصاحبٍ نبّهتُه لينهضا * اذا الكرى في عينه تَمضمضا

فقام عجلانَ وما تأرّضا * يمسح بالكفّين وجهًا أبيضا

قوله وما تأرّضا أي لم يلزم الارض وأنشدني التَّوَّزيُّ عن أبي زيد الانصاري (قال أبو الحسن هو شبيبُ ابن البرصاء)

لقد علمتْ أمُّ الصبيّين انّني * الى الضيف قوّامُ السِّنات خروجُ

اذا المُرغِثُ العوجاءُ بات يعزُّها * على ضرعها ذو تومتين لهوجُ

وانّي لأغلي اللحمَ نيًّا وانّني * لممن يهين اللحمَ وهو نضيجُ

قوله قوّامُ السِّنات يريد سريعَ الانتباه والسِّنةُ شدّةُ النعاس وليس بالنوم بعينه قال الله عزّ وجلّ لا تأخذه سِنةٌ ولا نومٌ وقال ابن الرِّقاع العامليُّ

لولا الحياءُ وانّ رأسيَ قد عسا * فيه المشيبُ لزرتُ أمَّ القاسمِ

وكأنّها بين النساء أعارها * عينيه أحورُ من جآذر جاسمِ

وسنانُ أقصده النعاسُ فرنّقتْ * في عينه سِنةٌ وليس بنائمِ

معنى رنّقت تهيأت يقال رنّق النسرُ اذا مدَّ جناحيه ليطير قال ذو الرُّمّة

(اذا ضربتْه الريحُ رنّق فوقنا) * على حدّ قوسينا كما رنّق النسرُ

وقوله المُرغِثُ يعني التي ترضع ترغث ولدها ويقال لها رَغوثٌ قال طرفة

ليتَ لنا مكانَ الملك عمرو * رَغوثًا حولَ قبّتنا تخورُ

وقوله يعزها أي يغلبها وقال الله عز وجل وعزني في الخطاب يقول غلبني في المخاطبة وأصله من قوله كان أعز مني فيها ومن أمثال العرب من عز بز وتأويله من غلب استلب وقال زهير

* وعزته يداه وكاهله * يقول كان ذلك أعز ما فيه ويقال لهج الفصيل فهو لهوج إذا لزم الضرع ويقال رجل ملهج إذا لهجت فصاله فيتخذ خلالا فيشده على الضرع أو على أنف الفصيل فإذا جاء ليرضع أوجعها بالخلال فضرحته عنها برجلها قال الشماخ يصف الحمار

رعى بارض الوسمي حتى كأنما * يرى بسفا البهمى أخلة ملهج

البارض أول ما يبدو من النبت والبهمى يشبه السنبل يقول فهو لما اعتاد هذا المرعى اللذين استخشن البهمى وسفاها شوكها فيقول كانه مخاول عن البهمى أي يراها كالأخلة وقوله ذو تومتين فالتومة في الأصل الحبة ولكنها في هذا الموضع التي تعلق في الأذن (وقوله الحبة انما معناه من حبات النظم) وكالبيت الأخير قوله

وإني لأغلي لحمها وهي حية * ويرخص عندي لحمها حين تذبح

بذا فانديني وامدحيني فإنني * فتى تعتريه هزة حين يمدح

١٤ - باب

قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أي الجهاد أفضل فقال جهادك هواك وقال رجل من الحكماء اعص النساء وهواك واصنع ما شئت وقال محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم مالك من عيشك إلا لذة تزدلف بك إلى حمامك وتقربك من يومك فأية أكلة ليس معها غصص أو شربة ليس معها شرق فتأمل أمرك فكأنك قد صرت الحبيب المفقود والخيال المخترم أهل الدنيا أهل سفر لا يحلون عقد رحالهم إلا في غيرها قوله تزدلف بك إلى حمامك يقول تقربك ولذلك سميت المزدلفة وقوله عز وجل وزلفا من الليل إنما هي

ساعات يقرب بعضها من بعض قال العجاج

ناجٍ طواه الأين مما وجفا * طيَّ الليالي زُلَفاً فزُلَفا * سماوة الهلال حتى احقوقفا

ناجٍ سريع والأين الاعياء والوجيف ضرب من السير ونصب طيَّ الليالي لانه مصدر من قوله طواه الأين وليس بهذا الفعل ولكن تقديره طواه الأين طيّاً مثل طيّ الليالي كما تقول زيد يشرب شربَ الابل انما التقدير يشرب شرباً مثل شرب الابل فمثل نعت ولكن اذا حذفت المضاف استغنى بان الظاهر يبينه وقام ما أضيف اليه مقامه في الاعراب من ذلك قول الله تبارك وتعالى واسئل القرية نصب لانه كان واسئل أهل القرية وتقول بنو فلان يطؤهم الطريق تريد أهل الطريق فحذفت أهل فرفعت الطريق لانه في موضع مرفوع فعلى هذا فقس ان شاء الله وقوله سماوة الهلال انما هو أعلاه ونصب سماوة بطيّ يريد طواه الأين كما طوت الليالي سماوة الهلال والشاهد على انه يريد أعلاه قول طفيل

سماوته أسمال برد محبّر * وسائره من أتحمي مشرعب

ويروى معصّب وانما سماوته من قولك سماء فاعلم فاذا وقع الاعراب على الهاء أظهرت ما تبنيه على التأنيث على أصله فان كان من الياء أظهرت الياء وان كان من الواو أظهرت فيه الواو وتقول شقاوة لانها من الشقوة وتقول هذه امرأة سقّاية اذا أردت البناء على غير تذكير فان بنيته على التذكير قلبت الياء والواو همزتين لان الاعراب عليهما يقع فقلت سقّاء وغزّاء يا فتى فان أنثت قلت سقّاءة وغزّاءة والاجود فيما كان له تذكير الهمز وفيما لم يكن له تذكير الاظهار وانما السماء من الواو لان الاصل سما يسمو اذا ارتفع وسماء كل شيء سقفه وقوله حتى احقوقفا يريد اعوجّ وانما هو افعوعل من الحقف والحقف النقا من الرمل يعوج ويدق قال الله عز وجل اذ أنذر قومه بالأحقاف أي بموضع هو هكذا وقال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو في خطبة يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا فقال

ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من صح فيها أمن ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن وقال الربيع ابن زياد الحارثي كنت عاملا لأبي موسى الأشعري على البحرين فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وأن يستخلفوا جميعا قال فلما قدمنا أتيت يرفأ فقلت يا يرفأ مسترشد وابن سبيل أي الهيآت أحب إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله فأومأ إلي بالخشونة فاتخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولثت عمامتي على رأسي فدخلنا على عمر فصفنا بين يديه فصعد فينا وصوب فلم تأخذ عينه أحدا غيري فدعاني فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثي قال وما تتولى من أعمالنا قلت البحرين قال كم ترتزق قلت ألفا قال كثير فما تصنع به قلت أتقوت منه شيئا وأعود به على أقارب لي فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا بأس ارجع إلى موضعك فرجعت إلى موضعي من الصف فصعد فينا وصوب فلم تقع عينه إلا علي فدعاني فقال كم سنك قلت خمس وأربعون سنة قال الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابي حديث عهدهم بلين العيش وقد تجوعت له فأتي بخبز وأكسار بعير فجعل أصحابي يعافون ذلك وجعلت آكل فأجيد فجعلت أنظر إليه يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت أني سخت في الأرض فقلت يا أمير المؤمنين إن الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عمدت إلى طعام ألين من هذا فزجرني ثم قال كيف قلت فقلت أقول يا أمير المؤمنين أن تنظر إلى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل إرادتك إياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز لينا واللحم غريضا فسكن من غربه وقال أههنا غرت قلت نعم فقال يا ربيع إنا لو نشاء ملأنا هذه الرحاب من صلائق وسبائك وصناب ولكني رأيت الله عز وجل نعى على قوم شهواتهم فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ثم أمر أبا موسى بإقراري وأن يستبدل بأصحابي قوله فلثتها على رأسي يقول أدرت بعضها على بعض على غير استواء يقال

رجل ألوث اذا كان شديدا وذلك من اللوث ورجل ألوث اذا كان أهوج وهو مأخوذ من اللوثة وحدثني عبد الصمد بن المعذل قال سئل الاصمعي عن المجنون المسمى قيس بن معاذ فثبته وقال لم يكن مجنونا ولكن كانت به لوثة كلوثة أبي حية الشاعر وقيل للاشعث بن قيس ابن معديكرب الكندي بم كنتم تعرفون السودد في الصبي منكم قال اذا كان ملوث الازرة طويل الغرلة سائل الغرة كان به لوثة قلنا نشك في سودده وقوله تؤتى باللحم غريضا يقول طريا يقال لحم غريض وشواء غريض يراد به الطراء قال الغساني (هو السموءل)

اذا ما فاتني لحم غريض * ضربت ذراع بكري فاشتويت

وقوله صلائق فمعناه ما عمل بالنار طبخا وشيا يقال صلقت الجنب اذا شويته وصلقت اللحم اذا طبخته على وجهه وقوله سبائك يريد ما يسبك من الدقيق فيؤخذ خالصه يريد الحوارى وكانت العرب تسمي الرقاق السبائك وأصله ماذكرنا والصناب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب ومن ذلك قيل للفرس صنابي اذا كان في ذلك اللون وكان جرير اشترى جارية من رجل يقال له زيد من أهل اليمامة ففركت جريرا وجعلت تحن الى زيد فقال جرير

تكلفني معيشة آل زيد * ومن لي بالمرقق والصناب
وقالت لا تضم كضم زيد * وما ضمي وليس معي شبابي

فقال الفرزدق يجيبه

فان تفركك علجة آل زيد * ويعوزك المرقق والصناب
فقدما كان عيش أبيك مرا * يعيش بما تعيش به الكلاب

وأما قوله أكسار بعير فان الكسر والجذل والوصل العظم ينفصل بما عليه من اللحم وأما قوله نعى على قوم فمعناه انه عابهم بها ووبخهم قال أبو عبيدة اجمع العكاظيون على ان فرسان العرب ثلاثة ففارس تميم عتيبة بن الحرث بن شهاب أحد بني ثعلبة بن يربوع بن

حنظلة صياد الفوارس وسم الفرسان وفارس قيس عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وفارس ربيعة بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد أحد بنى شيبان بن ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل قال ثم اختلفوا فيهم حتى نعوا عليهم سقطاتهم وأما قوله أهبها غرت يقول ذهبت يقال غار الرجل اذا أتى الغور وناحيته مما انخفض من الارض وأنجد اذا أتى نجدا وناحيته مما ارتفع فى الارض ولا يقال أغار اغا يقال غار وأنجد وبيت الاعشى ينشد على هذا

نبى يرى مالا ترون وذكره * لعمرى غار فى البلاد وأنجدا

وقوله سكن من غرب يقول من حده وكذلك يقال فى كل شئ فى السيف والسهم والرجل وغير ذلك وقوله خفين مطارقين تأويله مطبقين يقال طارقت نعلى اذا أطبقتها ومن قال طرقت أو أطرقت فقد أخطأ ويقال لكل ماضوعف فقد طورق قال ذو الرمة (يصف سقرا)

طراق الخوافى واقع فوق ريعة * ندى ليله فى ريشه يترقرق

قوله ريعة موضع ارتفاع قال الله عز وجل أتبنون بكل ريع آية تعبثون وهو جمع ريعة وقال الشماخ

تعن له بمذنب كل واد * اذا ما الغيث أخضل كل ريع

قال أبو العباس وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى عن الاصمعى قال قال عدى بن الفضيل خرجت الى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز استحفره بئرا بالعذيبة فقال لى وأين العذيبة فقلت على ليلتين من البصرة فتأسف ألا يكون بمثل هذا الموضع ماء فأحفرنى واشترط على أن أول شارب ابن السبيل قال فحضرته فى جمعة وهو يخطب فسمعته وهو يقول يا أيها الناس انكم ميتون ثم انكم مبعوثون ثم انكم محاسبون فلعمرى لئن كنتم صادقين لقد قصرتم ولئن كنتم كاذبين لقد هلكتم أيها الناس انه من يقدر له رزق برأس جبل أو بحضيض أرض يأته

فاتقوا الله واجملوا في الطلب قال فاقمت عنده شهرا ما بي الا استماع كلامه قوله بحضيض يعني المستقر من الارض اذا انحدر عن الجبل ولا يقال حضيض الا بحضرة جبل يقال حضيض الجبل وبطرح الجبل فيستغنى عنه لان هذا لا يكون الا له ومن ذلك قول امرئ القيس * نظرت اليه فانما بالحضيض * وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه يا ابن آدم لا تحمل هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي انت فيه فانه ان يعلم من اجلك يأت فيه رزقك واعلم انك لا تكسب من المال شيأ فوق قوتك الا كنت خازنا لغيرك فيه وروى للنابغة

(هذا من شعر اوس بن حجر مثبت فيه في كلمة لم يعرفها الاصمعي)

ولست بخابئ ابدا طعاما * حذار غد لكل غد طعام

وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه كان كمن حيزت له الدنيا بحذافيرها (كذا وقعت الرواية بفتح السين عن ابي العباس والصواب كسرها وانما السرب بفتح السين المال الراعي) قوله صلى الله عليه وسلم في سربه يقول في مسلكه يقال فلان واسع السرب وخلي السرب يريد المسالك والمذاهب وانما هو مثل مضروب للصدر والقلب يقال خل سربه اي طريقه حتى يذهب حيث شاء ويقال ذلك للابل لانها تتسرب في الطرقات ويقال سرب على الابل اي ارسلها شيأ بعد شئ فاذا قلت سرب بكسر السين فانما هو قطيع من ظباء او بقر او شاء او نساء او قطا قال امرؤ القيس

فعن لنا سرب كان نعاجه * عذارى دوار في الملاء المذيل

دوار نسك ينسكون عنده في الجاهلية ودوار ما استدار من الرمل ودوار سجن اليمامة قال بعض اللصوص (واسمه جحدر)

كانت منازلنا التي كنا بها * شتى فألف بيننا دوار

وقال عمر بن ابي ربيعة

فلم تَرَ عيني مثلَ سِربٍ رأيتُه * خرجنَ علينا من زُقاقِ ابنِ واقفِ

وكان الحسن يقول ليس العجبُ ممن عَطِبَ كيف عَطِبَ انما العَجَبُ ممّن نجا كيف نجا

وكان الحجّاجُ بن يوسف يقول على المنبر أيها الناس اقدَعوا هذه الأنفُسَ فانها أسأَلُ شيءٍ اذا أُعطِيَتْ وأَمنَعُ شيءٍ اذا اسئِلَتْ فرحِمَ اللهُ امرءاً جعلَ لنفسه خطاماً وزماماً فقادها بخطامها الى طاعة الله وعطفها بزمامها عن معصية الله فاني رأيتُ الصبرَ عن محارم الله أيسرَ من الصبر على عذابه قوله اقدعوا يقول امنَعوا يقال قدَعتُهُ عن كذا أي منعته عنه ومنه قول الشمّاخ

اذا ما استافَهُنَّ ضرَبنَ منه * مكانَ الرُّمحِ من أنفِ القَدُوعِ

قوله استافهنّ يعني حماراً يستافُ أُتُناً يقول يمتحنه اذا اشتمّهنّ والسَّوفُ الشمّ وقوله مكان الرمح من أنفِ القَدُوعِ يريد بالقَدُوعِ المقدوع وهذا من الاضداد يقال طريقٌ رَكوبٌ اذا كان يُركَبُ ورجلٌ رَكوبٌ للدوابّ اذا كان يركَبُها ويقال ناقةٌ رَغوثٌ اذا كانت تُرضِعُ وحُوارٌ رَغوثٌ اذا كان يَرضَعُ ومثل هذا كثير يقال شاة حَلوبٌ اذا كانت تُحلَبُ ورجلٌ حَلوبٌ اذا كان يحلُبُ الشاةَ والقَدُوعُ ههنا البعير الذي يُقدَعُ وهو ان يريد الناقةَ الكريمةَ ولا يكون كريماً فيضرب أنفه بالرمح حتى يرجع يقال قدَعتُه وقدعتُ أنفه ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطبَ خديجةَ بنت خُوَيلدِ بن أسدِ بن عبد العزّى بن قُصَيّ ذُكِرَ ذلك لورقةَ بن نوفل فقال محمد بن عبد الله يخطب خديجة بنت خويلد الفحلُ لا يُقدَعُ أنفه وكان الحجاج يقول انّ امرأً أتَت عليه ساعةٌ من عُمره لم يذكُر فيها ربَّه أو يستغفر من ذنبه أو يفكر في معاده لجديرٌ أن تطول حسرته يوم القيامة

١٥ - باب

قال أبو العباس أنشدني عُمارةُ بن عقيل لنفسه يحضُّ بني كعب وبني كلاب ابني ربيعة

ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن على بنى نمير بن عامر بن صعصعة وبينهم مطالبات وترات وكانت بنو نمير أعداء عمارة فكان يحض عليهم السلطان ويغرى بهم اخوتهم ويجار بهم فى عشيرته فقال

رأيناكما يا ابنى ربيعة خرعا * لعض الحروب والعديد كثير

وصدقتما قول الفرزدق فيكما * وكذبتما ما كان قال جرير

اصابت نمير منكم فوق قدرها * فكل نميرى بذاك أمير

فان تفخروا بما مضى من قديمكم * فقد هدمت مدائن وقصور

رمتها مجانيق العدو وقوضت * مدائن منها كالجبال وسور

وشيدها الاملاك كسرى وهرمز * وآل هرقل حقبة ونصير

فان تعمر والمجد القديم فلم يزل * لكم فى مضرات الحروب ضرير

خبطتم ليوث الشام حتى تنازرت * حماكم وحتى لايهر عقور

فكيف باكناف الشريف تصيبكم * ثعالب يحثن الحصى وأبور

قوله فقد هدمت مدائن وقصور مثل يريد أن مجدكم الذى بناه آباؤكم متى لم تعمروه بافعالكم خرب وذهب وهذا كما قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب

لسنا وان كرمت أوائلنا * يوما على الاحساب نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

وكما قال الآخر

ألهى بنى جشم عن كل مكرمة * قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يفاخرون بها مذ كان أولهم * يا للرجال لفخر غير مسؤوم

ان القديم اذا ما ضاع آخره * كساعد فله الايام محطوم

وكما قال عامر بن الطفيل العامرى

انى وان كنت ابن فارس عامر * وفى السر منها والصريح المهذب
فما سودتنى عامر عن وراثة * أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكننى أحمى حماها وأتقى * أذاها وأرمى من رماها بمقنب

(قال أبو الحسن أنشدنى هذه الابيات محمد بن الحسن المعروف بابن الحرون ويكنى أبا عبد الله لعامر بن الطفيل العامرى قال أبو الحسن قال الاصمعى وكان عامر بن الطفيل يلقب محبرا لحسن شعره وأولها

تقول ابنة العمرى مالك بعدما * أراك صحيحا كالسليم المعذب
فقلت لها همى الذى تعلمينه * من الثأر فى حيى زبيد وأرحب
ان اغز زبيدا أغز قوما أعزة * مركبهم فى الحى خير مركب
وان أغز حيى خثعم فدماؤهم * شفاء وخير الثأر للمتأوب
فما أدرك الأوتار مثل محقق * بأجرد طاو كالعسيب المشذب
وأسمر خطى وأبيض باتر * وزغف دلاص كالغدير المثوب
سلاح امرئ قد يعلم الناس انه * طلوب لثأرات الرجال مطلب

ثم نأتى بانشاد أبى العباس على وجهه الا انه روى من رماها بمنكب السليم الملدوغ وقيل لسليم تفؤلا له بالسلامة وزبيد وأرحب حيان من اليمن والثأر ما يكون لك عند من أصاب حميمك من الترة ومن قال ثار فقد أخطأ والمتأوب الذى يأتيك لطلب ثأره عندك يقال آب يؤوب اذا رجع والتأويب فى غير هذا السير فى النهار بلا توقف والاوتار الاحقاد واحدهما وتر وحقد والاجرد الفرس المتحسر الشعر والاجرد الضامر أيضا والعسيب السعفة والمشذب الطويل الذى قد أخذ ما عليه من العقد والسلاء والخوص ومنه قيل للطويل المعرق

مشذب وخطى رمح منسوب الى الخط وهى جزيرة بالبحرين يقال انها تنبت عصى الرماح وقال الاصمعى ليست بها رماح ولكن سفينة كانت وقعت اليها فيها رماح وأرفئت بها فى بعض السنين المتقدمة فقيل لتلك الرماح الخطية ثم عم كل رمح هذا النسب الى اليوم والزغف الدرع الرقيقة النسج والمثوب الذى تصفقه الرياح فيذهب ويجىء وهو من ثاب يثوب اذا رجع وانما سمى الغدير غديرا لان السيل غادره أى تركه) قال أبو العباس وقوله لكم فى مضرات الحروب ضرير يقال رجل ذو ضرير اذا كان ذا مشقة على العدو وقال مهلهل ابن ربيعة التغلبى

قتيل ما قتيل المرء عمرو * وهمام بن مرة ذو ضرير

(ما زائدة وفيها معنى التعظيم) وقوله خبطتم ليوث الشام يريد ما كان من نصر بن شبث العقيلى وهو عقيل بن كعب بن ربيعة وقوله وأبوا رجع ويروا اذا انضمت الواو من غير علة فهمزها جائز وقد ذكرنا ذلك قبل وقال عمارة أيضا لهم أنشدنيه

ألا لله در الحى كعب * ذوى العدد المضاعف والخيول

أما فيهم كريم مثل نصر * يورع عنهم سنن الفحول

تنوخهم غميركل يوم * كفعل أخى العزازة بالذليل

وليسوا مثل عشرهم ولكن * يضيع القوم من قبل العقول

فاين فوارس السلمات عنهم * وجعدة والحريش ذوو الفضول

وأين عبادة الخشناء عنهم * اذا ما ضاق مطلع السبيل

قوله الا لله در الحى كعب يريد كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر وقوله أما فيهم كريم مثل نصر يعنى نصر بن شبث أحد بنى عقيل بن كعب بن ربيعة وقوله يورع عنهم سنن

الفحول هو مثل ضربه لجعلهم لامساكهم عن الحرب بمنزلة النوق التي يقرعها الفحل ويورع يكف ويمنع ويدفع والورع في الدين انما هو الكف عن اخذ الحرام وجاء في الحديث لا تنظروا الى صومه ولا الى صلاته ولكن انظروا الى ورعه اذا أشفى ومعناه اذا أشرف على الدينار والدرهم والسنن القصد ثم أبان ذلك بقوله تنوخهم غير كل يوم يقال ساف الفحل الناقة فتنوخها وذلك اذا ركبها من غير أن توطأ له ولكن يعترضها اعتراضا وتقول العرب ان ذلك أكرم النتاج وذلك لان الولد يخرج صليبا مذكرا ويقال لذلك الحمل الذي يقع من التنوخ والاعتراض يعارة وعراض يقال حملته عراضا وحملته يعارة يافتى قال الراعي

قلائص لا يلقحن الا يعارة * عراضا ولا يشرين الا غواليا

وقال الطرماح

سوف تدنيك من لميس سبندا * ة أمارت بالبول ماء الكراض

نضجته عشرين يوما ونيلت * حين نيلت يعارة في عراض

قوله سبنداة فهي الجريئة الصدر يقال للجرىء الصدر سبنتاة وسبنداه وأصل ذلك في النمر وزعم الاصمعي أن الكراض حلق الرحم قال ولم أسمعه الا في هذا الشعر وقوله نضجته عشرين يوما انما هو ان تزيد بعد الحول من حيث حملت أياما نحو الذي عد فلا يخرج الولد الا محكما قال الحطيئة

لادماء منها كالسفينة نضجت * به الحول حتى زاد شهرا عديدها

والعزازة العز والمصادر تقع على فعالة للمبالغة يقال عز عزا وعزازة كما يقال الشراسة والصرامة قال الله تعالى قال يا قوم ليس بي سفاهة وفي موضع آخر ليس بي ضلالة وقوله فاين فوارس السلمات يريد بني سلمة الخير وبني سلمة الشر ابني قشير بن كعب وجمع لانه يريد الحي أجمع كما تقول المهالبة والمسامعة فتجمعهم على اسم الاب على المهلب ومسمع

وكذلك المَنَاذِرَةُ وقد مرت الحجة فى هذا وجَعْدَةُ بن كَعْب والحَرِيشُ بن كعب وبنو عُبادة من بني عُقَيل بن كَعْب وقال الخَشْنا ، يريد القبيلة وذكرها بالخشونة على الأعداء ويروى ان معاوية بن أبي سُفيان رحمه الله تعالى قال لدَغْفَل بن حَنْظَلَة النَسَّابة ما تقول فى بنى عامر ابن صَعْصَعة فقال أعناق ظباء وأعجازُ نساء قال فما تقول فى بنى تميم قال حَجَرٌ أخشنُ ان صادمته آذاك وان تركته تركك قال فما تقول فى اليمن قال سَيّدٌ وأنوكُ قال أبو العباس وأنشدنى عُمارةُ لنفسه وسبب هذا الشعر الذى نذكره ان رجلا من بنى تميم يكنى أبا سعد كان منقطعا الى أبى نصر بن حُمَيد الطائى ثم أحد بنى نبهان وكان أبو نصر واليا على العرب وكتب أبو سعد الى عُمارة يأمره أن يضع يده فى يد أبى نصر فقال عُمارة

دعانى أبو سَعْد وأهْدَى نَصيحةً * الىّ ومِمّا أن تَغُرَّ النَصائحُ

(مما بمعنى رُبَّما)

لأُجْزِرَ لحمى كلبَ نَبهانَ كالذى * دعا القاسطىَّ حَتْفُهُ وهو نازحُ

أو البُرجمىّ حين أهداه حَينُه * لنارٍ عليها مُوقدان وذابحُ

ورأى أبى سَعْدٍ وان كان حازمًا * بصيرًا وان ضاقت عليه المَسارحُ

أعار به مَلْعونَ نَبهانَ سَيْفَهُ * على قومه والقولُ عافٍ وجارحُ

ونَصْرُ الفتى فى الحرب أعداءَ قومه * على قومه للمرءِ ذى الطَعْمِ فاضحُ

قوله لاجزر لحمى كلب نبهان أى لأكون جَزَرةً له والجَزَرةُ البَدَنةُ تُنحَرُ يقال أجزَرْتُ فلانا وتركتُ فلانا جَزَرًا قال عَنْتَرةُ العَبْسىُّ

ان تَشْتُما عِرضى فانّ أباكما * جَزَرُ السِباعِ وكُلِّ نَسرٍ قَشْعَمِ

وقوله كالذى دعا القاسطىّ حَتْفُهُ وهو نازح فهذا رجل من النَمِر بن قاسط خرج يبتغى قَرَظًا من بُعْدٍ فنَهَشَتْهُ حَيَّةٌ فمات فهو أحد القارظَين والقارظُ الاوّل من عَنَزَةَ كان خرج مع ابن عم

له فى طلب القرظ فقتله ابن عمه لانه كان يريد ابنته فمنعه منها قال أبو خراش الهذلى (الصحيح أن الشعر لابى ذؤيب)

وحتى يؤوب القارظان كلاهما * وينشر فى القتلى كليب لوائل

وقوله كالذى دعا القاسطى حتفه الهاء فى حتفه ترجع على الذى وتقديره كالسبب الذى دعا القاسطى حتفه وقوله أو البرجمى فهذا رجل من البراجم وهم بنو مالك بن حنظلة كان عمرو بن هند لما قتل بنى دارم بأوارة وكان سبب ذلك ان أخاه أسعد بن المنذر وكان مسترضعا فى بنى دارم فى حجر حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم انصرف ذات يوم من صيده وبه نبيذ فعبث كما تعبث الملوك فرماه رجل من بنى دارم بسهم فقتله (رمى ناقة بسهم فقتلها والرجل الذى قتله سويد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم) ففى ذلك يقول القائل وهو عمرو بن ملقط الطائى لعمرو بن هند

فاقتل زرارة لا أرى * فى القوم أوفى من زراره

فغزاهم عمرو بن هند فقتلهم يوم القصيبة ويوم أوارة ففى ذلك يقول الاعشى

وتكون فى الشرف المواز * ى منقرا وبنى زراره

أبناء قوم قتلوا * يوم القصيبة والاواره

ثم أقسم عمرو بن هند ليحرقن منهم مائة فبذلك سمى محرقا فأخذ تسعة وتسعين رجلا فقذفهم فى النار ثم أراد أن يبر قسمه بعجوز منهم لتكمل بها العدة فلما أمر بها قالت العجوز (على ما ذكر أصحاب الاخبار اسمها الحمراء بنت ضمرة) ألا فتى يفدى هذه العجوز بنفسه ثم قالت هيهات صارت الفتيان حمما ومر وافد البراجم وهو الذى ذكرنا فاشتم رائحة اللحم فظن أن الملك يتخذ طعاما فعرج اليه فأتى به اليه فقال له من أنت فقال أبيت اللعن أنا وافد البراجم فقال عمرو ان الشقى وافد البراجم ثم أمر به فقذف فى النار ففى ذلك يقول جرير يعير الفرزدق

أينَ الذينَ بنارِ عمرٍو حُرِّقوا * أم أينَ أسعدُ فيكمُ المسترضَعُ

وقال أيضا

وأخزاكُمُ عمرٌو كما قد خزيتم * وأدركَ عمّارًا شقيُّ البراجمِ

وقال الطِّرِمّاحُ

ودارمٌ قد قذفنا منهمُ مائةً * في جاحمِ النارِ اذ ينزونَ بالجَدَدِ

ينزونَ بالمشتوى منها ويوقدُها * عمرٌو ولولا شحومُ القومِ لم تقدِ

ولذلك عُيِّرَتْ بنو تميم بحب الطعام يعني لطمع البُرْجُمي في الاكل قال يزيد بن عمرو بن الصعق أحد بني عمرو بن كلاب

ألا أبلغْ لديكَ بني تميمٍ * بآيةِ ما يُحبّونَ الطعاما

وقال آخر (ذكر ابن حبيب أن هذا الشعر لابي مُهَوِّش الفقعسي وذكر دعبل أنه لابي المهوس الاسدي)

اذا ما ماتَ ميْتٌ من تميمٍ * فسرَّكَ أن يعيشَ فجئْ بزادِ

بخبزٍ أو بتمرٍ أو بلحمٍ * أو الشيءِ الملفَّفِ في البجادِ

تراهُ ينقبُ البطحاءَ حولًا * ليأكلَ رأسَ لقمانَ بنِ عادِ

وقوله للمرء ذي الطعم يعني الراجع الى عقل يقال فلان ليس بذي طَعْمٍ وفلان ليس بذي نَزَلٍ أي ليس بذي عقل ولا معرفة وانما يقال هذا طعام ليس له نَزَلٌ اذا لم يكن ذا رَيْعٍ ومن قال نُزْلٌ في هذا المعنى فقد أخطأ وقال اعرابي يهجو قوما من طيّئ

ولمّا أن رأيتُ بني جُوَيْنٍ * جُلوسًا ليسَ بينهمُ جليسُ

يئستُ من التي أقبلتُ أبغي * لديهمْ انني رجلٌ يؤوسُ

اذا ما قلتُ أيُّهمُ لأيٍّ * تشابهتِ المناكبُ والرؤوسُ

قوله جلوسا ليس بينهم جليس [illegible] الناس [illegible] فليس فيهم غيرهم

وهذا من أقبح الهجاء ومن أمثال العرب «منهم في أدمهم» ومعناه في مأدومهم وقيل أديم ومأدوم مثل قتيل ومقتول وتقول الحكماء من كثر خيره كثر زائره وقال المهلب بن أبي صفرة لبنيه يا بني اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا وقال الآخر

أروح لتسليم عليك وأغتدي * وحسبك بالتسليم مني تقاضيا

كفى بطلاب المرء ما لا يناله * عناء وباليأس المصرح ناهيا

(وربما قال أبو العباس هو مصرح بكسر الراء قال أبو الحسن والكسر أجود) ومن أحسن المديح قول زهير

قد جعل الطالبون الخير في هرم * والسائلون الى أبوابه طرقا

وقال رؤبة (ليس لرؤبة وهو لابن أبي نخيلة) * ان الندى حيث ترى الضغاطا * وقال آخر

يزدحم الناس على بابه * والمشرب العذب كثير الزحام

وقال أشجع في محمد بن منصور

على باب ابن منصور * علامات من البذل

جماعات وحسب البا * ب نبلا كثرة الأهل

وقوله تشابهت المناكب والرؤس اغاضربه مثلا للأخلاق والأفعال أي ليس فيهم مفضل ويقال ان الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم آذته عشيرته من بني سعد فخرج عنهم فجعل لا يأتي قوما الا آذوه فقال أينما أذهب ألق سعدا أي أفر من الأذى الى مثله

١٦ - باب

قال أبو العباس قال أبو ادريس الخولاني المساجد مجالس الكرام وقيل للأحنف بن قيس

أحد بني مرة بن عبيد بن الحرث بن كعب بن سعد أى المجالس أطيب فقال ماسافر فيه البصر واتدع فيه البدن اتدع افتعل من التوديع والاصل اوتدع فتقلب الواو ياء لانكسار ماقبلها وهذا القول مذهب أهل الحجاز يقولون ايتزر ياتزر وهو رجل موتزر والاجود أن تقلب ما كان أصله الواو والياء فى باب افتعل تاء وتدغمها فى التاء من افتعل فتقول اتدع يتدع وهو متدع ومتزر ومتعد من الوعد ومتئس من اليأس تكون الياء كالواو لانها ان أظهرت انقلبت على حركة ماقبلها فصارت كالواو وتكونان واوين عند الضمة نحو موعد وموتعد وموئس وموتئس وياءين للكسرة والواو قد تقلب الى التاء ولا تاء بعدها نحو تراث من ورثت وتجاه من الوجه وتكأة واغما ذلك كراهية الضمة فى الواو وأقرب حروف الزوائد والبدل منها التاء فقلبت اليها وقد تقلب للبدل فى غير ضم نحو هذا أتقى من هذا وضربته حتى أتكأته فلما كانت بعدها تاء افتعل كان الوجه القلب ليقع الادغام وقد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء فى الكتاب المقتضب وقيل للمهلب بن أبى صفرة ما خير المجالس فقال مابعد فيه مدى الطرف وكثرت فيه فائدة الجليس ويروى عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه يابنى اذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الاسلام ثم اجلس فان أفاضوا فى ذكر الله فأجل سهمك مع سهامهم وان أفاضوا فى غيره فخلهم وانهض قوله فارمهم بسهم الاسلام يعنى السلام وقوله فأجل سهمك مع سهامهم يعنى ادخل معهم فى أمرهم فضربه مثلا من دخول الرجل فى قداح الميسر وقال وهب بن عبد مناف بن زهرة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمه

واذا أتيت جماعة فى مجلس ✻ فاختر مجالسهم ولما تقعد
ودع الغواة الجاهلين وجهلهم ✻ والى الذين يذكرونك فاعمد

وقال ابن عباس رحمه الله لجليسى على ثلاث أن أرميه بطرفى اذا أقبل وأوسع له اذا جلس

وأُصغى اليه اذا احدّث وكان القعقاع بن شَوْر أحد بنى عمرو بن شيبان بن ذُهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل اذا جالسه جليسٌ فعرفه بالقصد اليه جعل له نصيبا فى ماله وأعانه على عدوّه وشفع له فى حاجته وغدا اليه بعد المجالسة شاكرا له حتى شُهر بذلك وفيه يقول القائل

وكُنْتُ جليسَ قعقاعِ بن شَوْرٍ * ولا يَشْقَى بقعقاعٍ جليسُ
ضَحوكُ السِنِّ ان أَمَرُوا بخيرٍ * وعند السُّوء مِطْراقٌ عَبوسُ

وحدثنى التَوَّزىُّ ان رجلا جالس قوما من بنى مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فأساؤا عشرته وسعوا به الى معاوية فقال

شَقيتُ بكم وكُنْتُ لكم جليسا * فلستُ جليسَ قعقاعِ بن شَوْرِ
ومن جهلٍ أبو جهلٍ أخوكم * غزا بدرا بمِجْمَرَةٍ وتَوْرِ

نسبه الى التوضيع كقول عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف لحكيم بن حزام لما بلغه قول أبى جهل بن هشام انتفخ والله سَحْره وفخره سيعلم مصفّرُ استه من انتفخ سَحره اليومَ وقال رجل من بنى مخزوم للاحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الانصارى ليؤذيه أتعرف الذى يقول

ذهبتْ قريشٌ بالمكارمِ كلِّها * واللؤمُ تحت عمائمِ الانصار

فقال الاحوص لا أدرى ولكنى أعرف الذى يقول

الناسُ كنّوه أبا حَكَمٍ * واللهُ كنّاهُ أبا جهلِ
أبقتْ رياستُه لأسرتِه * لؤمَ الفروعِ ودقّةَ الأصلِ

وهذا الشعر لحسّان بن ثابت والبيت الذى أنشده المخزومى للاخطل وكان يزيد بن

معاوية عتب على قوم من الانصار فامر كعب بن جعيل التغلبي بهجائهم فقال له كعب أأهجو الانصار أراذى أنت الى الكفر بعد الاسلام ولكني أدلك على غلام من الحي نصراني كان لسانه لسان ثور يعني الاخطل قال فلما قال هذا البيت دخل النعمان بن بشير ابن سعد الانصاري على معاوية فحسر عمامته عن رأسه ثم قال يا معاوية أترى لؤما فقال ما أرى الا كرما فقال النعمان

معاوي ان لا تعطنا الحق تعترف * لحى الازد مسدولا عليها العمائم
أيشتمنا عبد الاراقم ضلة * فماذا الذي تجدي عليك الاراقم
فمالي ثأر دون قطع لسانه * فدونك من ترضيه عنه الدراهم

وكان الاحنف بن قيس يقول لا تزال العرب عزبا ما لبست العمائم وتقلدت السيوف ولم تعد الحلم ذلا ولا التواهب فيما بينها ضعة وقالوا في تأويل قوله ما لبست العمائم يقول ما حافظت على زيها وقوله وتقلدت السيوف يريد الامتناع من الضيم وقوله ولم تعد الحلم ذلا يقول ما عرفت موضع الحلم وتأويل ذلك أن الرجل اذا أغضى السلطان أو أغضى عن الجواب وهو مأسور لم يقل حلم وانما يقال حلم اذا ترك أن يقول الشئ لصاحبه منتصرا ولا يخاف عاقبة يكرهها فهذا الحلم المحض فاذا لم يفعل ذلك ورأى أن ترك الحلم ذل فهو خطأ وسفه وقوله ولم تر التواهب بينها ضعة نحو من هذا وهو أن يهب الرجل من حقه ما لا يستكره عليه وكان يقال أحيوا المعروف باماتته وتأويل ذلك أن الرجل اذا امتن بمعروفه كدره وقيل المنة تهدم الصنيعة وكان يقال تمام المعروف من المنعم عليه بتذكره وذكره من المنعم تكدير له وقال قيس بن عاصم يا بني تميم اصحبوا من يذكر احسانكم اليه وينسى أياديه اليكم

١٧- باب

قال أبو العباس قال عبد الملك بن مروان لأسيلم بن الأحنف الأسدي ما أحسن ما مُدحتَ به فاستعفاه فأبى أن يُعفيه وهو معه على سريره فلما أبى الا أن يُخبره قال قول القائل

أَلا أيها الرَّكبُ المُخِبّون هل لكم * بسيّد أهل الشام تُحبَوا وتَرجعوا

من النفر البيض الذين اذا اعتَزَوا * وهابَ الرجالُ حَلقةَ البابِ قَعقَعوا

اذا النفرُ السُّودُ اليمانون نَمنَموا * له حَوكَ بُرديه أجادوا وأوسعوا

جَلا المِسكُ والحَمّامُ والبيضُ كالدُّمى * وفَرقُ المَداري رأسَهُ فهو أنزعُ

فقال له عبد الملك ما قال أخو الأوس أحسنُ مما قيل لك (قال أبو الحسن هو أبو قيس بن الأسلت) قد حَصَّت البيضةُ رأسي فما * أطعمُ نوماً غيرَ تَهجاعِ

وحُدّثتُ أن كُثيّراً كان يقول لوددتُ أني كنتُ سبقتُ الأسودَ أو العبدَ الاسود الى هذين البيتين يعني نُصيباً في قوله

من النفر البيض الذين اذا انتجَوا * أقرّت لنجواهم لؤيُّ بن غالب

يُحيّون بسّامين طوراً وتارةً * يُحيّون عبّاسين شُوسَ الحواجب

والمختار من الشعر الاول قوله

من النفر البيض الذين اذا اعتَزَوا * وهابَ الرجالُ حَلقةَ البابِ قَعقَعوا

يُخبر بجلالتهم ومعرفتهم بأقدارهم وثقتهم بان مثلهم لا يُرَدّ وقد قال جرير للتيم خلاف هذا وهو قوله قومٌ اذا حَضَرَ الملوكَ وفودُهم * نُتِفَت شَوارِبُهم على الأبواب

وحُدّثتُ أن جريرا كان يقول وددتُ ان هذا البيت من شعر هذا العبد كان لي بكذا وكذا بيتا من شعري يعني قول نُصيب

بزينب ألمم قبل ان يرحل الركب * وقل ان تملينا فما ملك القلب

وأما قول نصيب

أهيم بدعد ما حييت وان أمت * أوكل بدعد من يهيم بها بعدى

فلم تجد الرواة ولا من يفهم جواهر الكلام له مذهبا حسنا وقد ذكر عبد الملك ذلك لجلسائه فكل عابه فقال عبد الملك فلو كان اليكم كيف كنتم قائلين فقال رجل منهم كنت أقول

أهيم بدعد ما حييت وان أمت * فواحزنا من ذا يهيم بها بعدى

فقال عبد الملك ما قلت والله أسوأ مما قاله فقيل له فكيف كنت قائلا فى ذلك يا أمير المؤمنين فقال كنت أقول

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

فقالوا أنت والله أشعر الثلاثة يا أمير المؤمنين وقد فضل نصيب على الفرزدق فى موقفه عند سليمان بن عبد الملك وذلك انهما حضرا فقال سليمان للفرزدق أنشدنى وانما أراد أن ينشده مدحا له فانشده

وركب كأن الريح تطلب عندهم * لها ترة من جذبها بالعصائب

سروا يخبطون الريح وهى تلفهم * الى شعب الأكوار ذات الحقائب

اذا آنسوا نارا يقولون ليتها * وقد خصرت أيديهم نار غالب

فاعرض سليمان كالمغضب فقال نصيب يا أمير المؤمنين ألا أنشدك فى رويها ما لعله لا يتضع عنها فقال هات ذا فأنشده

أقول لركب صادرين لقيتهم * قفا ذات أوشال ومولاك قارب

قفوا خبرونى عن سليمان اننى * لمعروفه من أهل ودان طالب

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وهذا فى باب المدح حسن ومتجاوز ومبتدع لم يسبق اليه على ان الشاعر وهو أخو همدان قد قال فى عصره فى غير المدح

يمرون بالدهنا خفافا عيابهم * ويخرجن من دارين بجر الحقائب

على حين ألهى الناس جل أمورهم * فندلا زريق المال ندل الثعالب

وليس شعر نصيب هذا الذى ذكرناه فى المدح بأجود من قول الفرزدق فى الفخر وانما يفاضل بين الشيئين اذا تناسبا وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نصيب كيف تراه قال هو أشعر أهل جلدته فقام الفرزدق وهو يقول

وخير الشعر أشرفه رجالا * وشر الشعر ما قال العبيد

ثم نرجع الى تفسير الشعر قوله يمرون بالدهنا خفافا عيابهم يعنى قوما تجارا وقد قالوا انما ذكر لصوصا والاول أثبت وذلك أن دارين سوق من أسواق العرب وقوله بجر الحقائب يقول عظام ويقال للرجل اذا اندلقت سرته فنتأت متقدمة رجل أبجر ويقال لها البجرة والبجرة وفعلة وفعلة تقعان فى الشئ يقال قلفة وقلفة وصلعة وصلعة ومثل هذا كثير وقوله على حين ألهى الناس ان شئت خفضت حين وان شئت نصبته أما الخفض فلانه مخفوض وهو اسم منصرف وأما الفتح فلاضافتك اياه الى شئ غير معرب فبنيته على الفتح لان المضاف والمضاف اليه اسم واحد فبنيته من أجل ذلك ولو كان الذى أضفته اليه معربا لم يكن الا مخفوضا وما كان سوى ذلك فهو لحن تقول جئتك على حين زيد وجئتك فى حين إمرة عبد الملك وكذلك قول النابغة

على حين عاتبت المشيب على الصبا * وقلت ألما أصح والشيب وازع

ان شئت فتحت حين وان شئت خفضت لانه مضاف الى فعل غير متمكن وكذلك قولهم يومئذ تقول عجبت من يوم عبد الله لا يكون غيره فاذا أضفته الى اذ فان شئت فتحت على

ماذكرتُ لك في حين وان شئتَ خفضتَ لمّا كان يستحقه اليومُ من التمكُّن قبل الاضافة

تقرأ ان شئتَ من عذاب يومَئذ وان شئت من عذاب يومئذ على ما وصفتُ لك ومن خفض

بالاضافة قال سيرَ بزيد يومئذ فأعربته في موضع الرفع كما فعلت به في الخفض ومن قال من

خزي يومَئذ فبناه قال سيرَ بزيد يومَئذ يكون على حالة واحدة لانه مبني كما تقول دُفعَ الى زيد

خمسةَ عشرَ درهمًا وكما قال الله عزّ وجل عليها تسعةَ عشرَ وأما قوله فندلاً زُرَيقُ المالَ ندلَ

الثعالب فزُرَيقٌ قبيلة وقوله ندلاً مصدر يقول اندلي ندلاً يا زُرَيقُ المالَ والندلُ أن

تجذبه جذباً يقال ندلَ الرجلُ الدلوَ ندلاً اذا كان يجذبها مملوءة من البئر فنصب ندلاً بفعل

مضمر وهو اندلي وهذا في الامر تقول ضربًا زيدًا وشتمًا عبدَ الله لان الامر لا يكون الا بفعل

فكان الفعلُ فيه أقوى فلذلك أضمرته ودلّ المصدر على الفعل المضمر ولو كان خبرا لم يجز

فيه الاضمارُ لان الخبر يكون بالفعل وغيره والامر لا يكون الا بالفعل قال الله عزّ وجل

فاذا لقيتُمُ الذين كفروا فضربَ الرقابِ فكان في موضع اضربوا حتى كأنّ القائل قال

فاضربوا ألا ترى أنه ذكر بعده الفعل فقال حتى اذا أثخنتموهم فشدّوا الوثاق

ولو نوّن منوّن في غير القرآن لنصبَ الرقابَ وكذلك كل موضع هو بالفعل أولى وقوله ندل

الثعالب يريد سرعة الثعالب يقال في المثل أكسبُ من ثعلب وأما قوله تغيب ولو سكتوا

أثنت عليك الحقائب فانما يريد انهم يرجعون بملوءة حقائبهم من رفده فقد أثنت عليه

الحقائب قبل أن يقولوا فأما قول الأعشى

وانّ عتاقَ العيس سوفَ يزوركم ✽ ثناءٌ على أعجازهنّ معلّقُ

فانما أراد المدح الذي يحدين به والحادي من ورائها كأن الهادي أمامها وأما قول أبي

وجزة واحتَ بستّين وستّا في حقيبتها ✽ ما حمّلت حملها الأدنى ولا السَّددا

فانما أراد ما يوجب ستين وسقًا الا أن الناقة حملت ستين وسقًا وكان من حديث ذلك أن أبا وجزة السلمى المعروف بالسعدى لنزوله فيهم ومحالفته اياهم كان شخص الى المدينة يريد آل الزبير وشخص أبو زيد الاسلمى يريد ابراهيم بن هشام بن اسمعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو والى المدينة فاصطحبا فقال أبو وجزة هلم فلنشترك فيما نصيبه فقال أبو زيد الاسلمى كلا أنا أمدح الملوك وأنت تمدح السوق فلما دخلا المدينة صار أبو زيد الى ابراهيم بن هشام فأنشده * يا ابن هشام يا أخا الكرام * فقال ابراهيم وانما أنا أخوهم وكأنى لست منهم ثم أمر به فضرب بالسياط وامتدح أبو وجزة آل الزبير فكتبوا اليه بستين وسقًا من تمر وقالوا هى لك عندنا فى كل سنة فانصرفا فقال أبو زيد

مدحت عروقًا للندى مصت الثرى * حديثًا فلم تهمم بأن تترعرعا
نقائذ بؤس ذاقت الفقر والغنى * وحلبت الايام والدهر أضرعا
سقاها ذوو الارحام سجلًا على الظما * وقد كربت أعناقها أن تقطعا
بفضل سجال لو سقوا من مشى بها * على الارض أرواهم جميعًا وأشبعا
فضمت بأيديها على فضل مائها * من الرى لما أوشكت أن تضلعا
وزهدها أن تفعل الخير فى الغنى * مقاساتها من قبله الفقر جوعا

وقال أبو وجزة

راحت رواحًا قلوصى وهى حامدة * آل الزبير ولم تعدل بهم أحدا
راحت بستين وسقًا فى حقيبتها * ما حملت حملها الادنى ولا السددا
ما ان رأيت قلوصًا قبلها حملت * ستين وسقًا ولا جابت به بلدا
ذاك القرى لا قرى قوم رأيتهم * يقرون ضيفهم الملوية الجددا

أما قول أبي زيد لابراهيم مدحتُ عروقاً للندى مصت الثرى حديثا فانما عنى أن ابراهيم وأباه محمدا انما تطعما بالعيش ودخلا في النعمة وخرجا من حدّ السُّوق الى حدّ الملوك حديثا وذلك بهشام بن عبد الملك لانهما كانا خاليه فانما ولاّهما عن خُولٍ وقوله فلم تهمم بان تترعرعا فانما هذا مثلٌ يقال فلان يهتزُّ للندى ويرتاح لفعل الخير كما قال مُتمم بن نويرة

تراه كنصل السيف يهتزُّ للندى * اذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

وتأويل ذلك أنه يتحرك تحرُّكَ سرورٍ لفعل الخير قال أبو العباس وأنشدني التوّزيُّ لابي رباط يقول لابنه

رأيتُ رباطاً حين تمّ شبابُهُ * وولّى شبابي ليس في برِّه عتْبُ
اذا كان أولادُ الرجال مرارةً * فأنت الحلالُ الحلوُ والباردُ العذبُ
لنا جانبٌ منه أنيقٌ وجانبٌ * شديدٌ على الاعداء مركبه صعبُ
وتأخذه عند المكارم هزّةٌ * كما اهتزّ تحت البارح الغصنُ الرطْبُ

قال وحدثني علي بن عبد الله قال حدثني العُتْبيُّ قال أشرف عمر بن هُبيرة الفزاريُّ من قصره يوما فاذا هو باعرابي يرقص جمله الآل فقال لحاجبه ان أرادني هذا فأوصله الي فلما دنا الاعرابيُّ سأله فقال قصدتُ الامير فأدخله اليه فلما مثل بين يديه قال له عمر ما خطبك فقال الاعرابي

أصلحكَ الله قلّ ما بيدي * فما أُطيقُ العيالَ اذ كثُروا
ألحّ دهرٌ ألقى بكلكله * فأرسلوني اليكَ وانتظروا
(رجوكَ للدهر أن تكون لهم * غيثَ سحابٍ ان خانهم مطر)

قال فأخذت عمر الاريحية فجعل يهتزُّ في مجلسه ثم قال أرسلوكَ اليَّ وانتظروا اذا والله لا تجلس حتى ترجع اليهم غانما فأمر له بألف دينار وردَّه على بعيره قال أبو العباس وحدثني

أبو اسحق اسمعيل بن اسحق القاضي أن الخبر لمعن بن زائدة وصح ذلك عندي وقوله نقائذ بؤس واحدتها نقيذة ونأويله أنهم أنقذوا من بؤس يقال للرجل والمرأة ذلك على لفظ واحد تقول هذا نقيذة بؤس تقع الهاء للمبالغة لان أصله كالمصدر كقولك زيد مكرمة لاهله وزيد كريمة قومه أي يحل محل العقدة الكريمة والخصلة الكريمة وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم جرير بن عبد الله البجلي لما ورد عليه فبسط له رداءه وعممه بيده وقال اذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه هكذا روى فصحاء أصحاب الحديث وقد قال صلى الله عليه وسلم قبل وروده عليه يطلع عليكم من هذا الفج خير ذي يمن عليه مسحة ملك وقال صخر بن عمرو بن الشريد يعني معاوية أخاه وكان قتله هاشم ودريد ابنا حرملة المريان من غطفان فقيل لصخر اهجهم فقال ما بيني وبينهم أقذع من الهجاء ولو لم أمسك عن هجائهم الا صونا لنفسي عن الخنى لفعلت ثم قال

وعاذلة هبت بليل تلومني * ألا لا تلوميني كفى اللوم ما بيا
تقول ألا تهجو فوارس هاشم * ومالي اذ أهجوهم ثم ماليا
أبى الشتم أني قد أصابوا كريمتي * وأن ليس اهداء الخنى من شماليا
(اذا ذكر الاخوان رقرقت عبرة * وحييت رسما عند لية ثاويا
اذا ما امرؤ أهدى لميت تحية * فحياك رب العرش عني معاويا
وهون وجدي أنني لم أقل له * كذبت ولم أبخل عليه بماليا

قال الاخفش وأنشدني الاحول * ومالي ان أهجوهم ثم ماليا *) وتقول العرب للرجل راوية ونسابة فتزيد الهاء للمبالغة وكذلك علامة وقد تلزم الهاء في الاسم فتقع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد نحو ربعة ويفعة وصرورة وهذا كثير لا تنزع الهاء منه فأما راوية وعلامة ونسابة فحذف الهاء جائز فيه ولا يبلغ في المبالغة ما تبلغه الهاء وقوله

* وحلبت الايام والدهر أضرعا * فانه مَثَلٌ يقال للرجل المُجَرَّب للامور فلان قد حَلَبَ الدَهْرَ أَشْطُرَه أى قد قاسى الشدَّةَ والرَخاءَ وتَصَرَّفَ فى الفقر والغنى كما قال القائل

قد عشتُ فى الناس أطواراً على طُرُقٍ * شتَّى وقاسيتُ فيها اللِّينَ والفَظَعا

كُلّاً بلوتُ فلا النَعْماءُ تُبطِرُنى * ولا تَخَشَّعتُ من لأْوائها جَزَعا

لا يَمْلَأُ الهولُ صدرى قبل مَوْقعه * ولا أضيقُ به ذَرْعاً اذا وَقَعا

ومعنى قوله أَشْطُرَه فانما يريد خُلوفَه يقال حَلَبتُها شَطْراً بعد شَطْرٍ وأصل هذا من التَنَصُّف لان كل خِلْف عَديلٌ لصاحبه وللشَطْر وجهان فى كلام العرب فاحدهما النصف كما ذكرنا من ذلك قولهم شاطَرْتُكَ مالى والوجه الآخر القَصْدُ يقال خُذْ شَطْرَ زيد أى قصدَه قال الله عز وجل فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرامِ أى قصده وحَيْثُ ما كُنْتُم فَوَلُّوا وُجوهَكُمْ شَطْرَه قال أبو العباس وأنشدنى التَوَّزىُّ عن أبى عُبيدة قول الشاعر

انَّ العَسيرَ بها داءٌ مُخامِرُها * فَشَطْرَها نَظَرُ العَيْنَيْنِ مَحْسور

يريد ناحيتها وقصدها والعَسيرُ التى تَعسِرُ بذَنَبها اذا حَمَلَتْ أى تَشُولُه وترفعه ومنه سمى الذَنَبُ عَوْسَراً أى تضرب بذنبها ومعنى ذلك انه ظهر من جَهْدها وسُوء حالها ما أُطيلَ معه النظر اليها حتى تَحْسَرَ العينان والحَسيرُ المُعيِى وفى القرآن يَنْقَلِبْ اليكَ البَصَرُ خاسِئاً وهو حَسيرٌ وقوله * سقاها ذوو الارحام سَجْلاً على الظَما * فالسَجْلُ فى الاصل الدَلْوُ وانما ضربه مَثَلاً لما فاضَ عليها من نَدَى أقاربها يقال للدلو وهى مؤنثة سَجْلٌ وذَنوبٌ وهما مُذَكَّران والغَرْبُ مذكر وهو الدلو العظيمة ويقال فلان يُساجِلُ فلاناً أى يُخْرِجُ من الشرف مثل ما يُخْرِجُ الآخر وأصل المُساجلة أن يَسْتَقِيَ ساقيان فيُخْرِجَ كلٌّ واحد منهما فى سَجْله مثلَ ما يُخْرِجُ الآخر فأيُّهما نَكَلَ فقد غُلِبَ فضربته العرب مثلاً للمفاخرة والساماة وبَيَّنَ ذلك

الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب في قوله

من يساجلني يساجل ماجدا * يملأ الدلو الى عقد الكرب

ويقال ان الفرزدق مر بالفضل وهو يستقي وينشد هذا الشعر فسر الفرزدق ثيابه عنه ثم قال أنا أساجلك ثقة منه بنسبه فقيل له هذا الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب فرد الفرزدق ثيابه عليه ثم قال ما يساجلك الا من عض بأير أبيه يقال سراثوبه ونضا ثوبه في معنى واحد اذا نزعه ويقال سرى عليه الهم اذا أتى ليلا وأنشد

سرى همي وهم المرء يسري * (وغار النجم الا قيد فتر

البيت لعروة بن أذينة الليثي شيخ مالك بن أنس) وسرى همه اذا ذهب عنه والمواضخة مثل المساجلة قال العجاج * تواضخ التقريب قلوا مخلجا * أي تخرج من العدو مثل ما يخرج قال الله عز وجل على مخرج كلام العرب وأمثالهم فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم وأصل الذنوب الدلو كاد كربت لك وقال علقمة بن عبدة للحرث بن أبي شمر الغساني (قال أبو الحسن غير أبي العباس يقول شمر وبعضهم يقول شمر) وكان أخوه أسيرا عنده وهو شأس ابن عبدة أسره في وقعة عين أباغ (قال أبو الحسن غيره يقول اباغ) في الوقعة التي كانت بينه وبين المنذر بن ماء السماء في كلمة له مدحه فيها

وفي كل حي قد خبطت بنعمة * فحق لشأس من نداك ذنوب

فقال الملك نعم وأذنبة وقوله وقد كربت أعناقها أن تقطعا يقول سقيت هذا السجل وقد دنت أعناقها من أن تقطع عطشا وكرب في معنى المقاربة يقال كاد يفعل ذلك وجعل يفعل ذلك وكرب يفعل ذلك أي دنا من ذلك ويقال جاء زيد والخيل كاربته أي قد دنت منه وقربت فاما أخذ يفعل وجعل يفعل فمعناهما انه قد صار يفعل ولا تقع بعد واحدة منهما أن واما كاد وكرب فأن لا تستعمل بعد واحدة منهما الا ان يضطر شاعر قال الله عز وجل اذا

أخرج يده لم يكد يراها أي لم يقرب من رؤيتها وايضاحه لم يرها ولم يكد وكذلك يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار وكذلك كاد تزيغ قلوب فريق منهم بغير أن ومن أمثال العرب كاد النعام يطير وكاد العروس يكون أميرا وكاد المنتعل يكون راكبا وقد اضطر الشاعر فأدخل أن بعد كاد كما أدخلها هذا بعد كرب فقال * وقد كربت أعناقها ان تقطعا * وقال رؤبة * قد كاد من طول البلى ان يمصحا * فكاد بمنزلة كرب في الاعمال والمعنى قال الشاعر

أغثني غياثا يا سليمان انني * سبقت اليك الموت والموت كاربي

خشية جور من أمير مسلط * ورهطي وما عادالك مثل الأقارب

وقوله لما أوشكت ان تضلعا يقول لما قاربت ذلك والوشيك القريب من الشيء والسريع اليه يقال يوشك فلان أن يفعل كذا وكذا والماضي منه أوشك ووقعت بأن وهو أجود وبغير أن كما كان ذلك في لعل تقول لعل زيدا يقوم فهذه الجيدة قال الله عز وجل لعل الساعة تكون قريبا ولعله يتذكر أو يخشى ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وقال متمم بن نويرة

لعلك يوما أن تلم ملمة * عليك من اللائي يدعنك أجدعا

وعسى الاجود فيها أن تستعمل بأن كقولك عسى زيد ان يقوم كما قال الله عز وجل فعسى الله أن يأتي بالفتح وقال جل ثناؤه عسى الله أن يتوب عليهم ويجوز طرح أن وليس بالوجه الجيد قال هدبة

عسى الكرب الذي أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

وقال آخر

عسى الله يغني عن بلاد بن قادر * بمنهمر جون الرباب سكوب

وحروف المقاربة لها باب قد ذكرنا هافيه على مقاييسها في الكتاب المقتضب بغاية الاستقصاء وقوله أن تضلعا معناه ان تمتلئ وأصله ان الطعام والشراب يبلغان الاضلاع

فيكظانها كذلك قال الاصمعي في قولهم أكل حتى تضلع وأما قول أبي وجزة راحت بستين

وسقا فالوسق خمسة أقفزة بملجم البصرة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيما

دون خمسة أوسق صدقة فما كان أقل من خمسة وعشرين قفيزا بالقفيز الذي وصفنا وهو

نصف القفيز البغدادي في أرض الصدقة فلا صدقة فيه وانما أراد أنه أخذ الكتاب بهذه

الاوسق فلذلك قال

مالت رأيت قلوصا قبلها حملت * ستين وسقا ولا جابت به بلدا

واما قوله يقرون ضيفهم الملوية الجددا فانما اراد السياط وجمع جديد جدد وكذلك باب

فعيل الذي هو اسم أو مضارع للاسم نحو قضيب وقضب ورغيف ورغف وكذلك سرير

وسرر وجديد وجدد لانه يجري مجرى الاسماء وجرير وجرر فما كان من المضاعف جاز فيه

خاصة أن تبدل من ضمته فتحة لان التضعيف مستثقل والفتحة أخف من الضمة فيجوز

أن يمال اليها استخفافا فيقال جدد وسرر ولا يجوز هذا في مثل قضيب لانه ليس بمضاعف

وقد قرأ بعض القراء على سرر موضونة ويقال للسوط الاصبحي ينسب الى ذي أصبح

الحميري وكان أول من اتخذ هذه السياط التي يعاقب بها السلطان ويقال له العرفاص

والقطيع وقال الشماخ *تكاد تطير من رأى القطيع* وقال الصلتان العبدي

أرى أمة شهرت سيفها * وقد زيد في سوطها الاصبحي

وقال الراعي أخذوا العريف فقطعوا حيزومه * بالاصبحية قائما مغلولا

وقال الراجز * حتى تردى طرف العرفاص * وقوله ولا جابت به بلدا يقول ولا قطعت به

يقال جبت البلاد قال الله عز وجل وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ويقال رجل جواب جوال

وأنشدني علي بن عبد الله قال أنشدني القعذمي

ما من أنت من دون مولده * خمسون بالمعذور بالجهل

فاذا مضت خمسون عن رجل * ترك الصبا ومشى على رسل

وأمر مصعب بن الزبير رجلا من بنى أسد بن خزيمة بقتل مرة بن محكان السعدى فقال مرة فى ذلك

بنى أسد ان تقتلونى تحاربوا * تميما اذا الحرب العوان اشمعلت

ولست وان كانت الى حبيبة * بباك على الدنيا اذا ما تولت

قوله اذا الحرب العوان فهى التى تكون بعد حرب قد كانت قبلها وكذلك أصل العوان فى المرأة انما هى التى قد تزوجت ثم عاودت فخرجت عن حد البكر وقول الله عز وجل فى كتابه العزيز لا فارض ولا بكر هو تمام الكلام ثم استأنف فقال عوان بين ذلك والفارض ههنا المسنة والبكر الصغيرة ويقال لهاة فارض أى واسعة وفرض القوس موضع معقد الوتر وكل حز فرض والفرضة متطرق الى النهر قال الراجز * لها زجاج ولهاة فارض * وقوله اشمعلت انما هو ثارت فاسرعت قال الشماخ

ورب ابن عم لسليمى مشمعل * أروع فى السفر وفى الحى غزل

* طباخ ساعات الكرى زاد الكسل *

وقوله ولست وان كانت الى حبيبة بباك على الدنيا انما هو على التقديم والتأخير اراد ولست بباك على الدنيا وان كانت الى حبيبة ولولا هذا التقدير لم يجز أن يضمر قبل الذكر ومثله

ان تلق يوما على علاته هرما * تلق السماحة منه والندى خلقا

وكذلك قول حسان بن ثابت

قد ثكلت أمه من كنت واحده * أو كان منتشبا فى برثن الأسد

يقول من كنت واحده قد ثكلت أمه وكذلك قوله

شر يوميها وأغواه لها * ركبت هند بحدج جملا

يقول ركبت هند بحدج جملا فى شر يوميها وقال رجل من مزينة

خليلي بالبوباة عوجا فلا أرى * بها منزلا الا جديب المقيد

نذق برد نجد بعد ما لعبت بنا * تهامة في حمامها المتوقد

قوله بالبوباة فهي المتسع من الارض وبعضهم يقول هي الموماة بعينها قلبت الميم باء لانهما من الشفة ومثل ذلك كثير يقولون ما اسمك وباسمك ويقولون ضربة لازم ولازب ويقولون هذا ظأمي وظأبي يعنون السلف (قال أبو الحسن الجيد سلف وما قال ليس بممتنع) ويقولون زكبة سوء وزكمة سوء أي ولد سوء ويقولون عجم الذنب وعجب الذنب ويقولون رجل أخرم وأخرب وهذا كثير وقال عمر بن أبي ربيعة

عوجا نحيي الطلل المحولا * والربع من أسماء والمنزلا

بجانب البوباة لم يعده * تقادم العهد بأن يؤهلا

وقوله الا جديب المقيد يقال بلد جدب وجديب وخصب وخصيب والاصل في النعت خصيب ومخصب وجديب ومجدب والخصب والجدب انما هما ما حل فيه وقيل خصيب وأنت تريد مخصب وجديب وأنت تريد مجدب كقولك عذاب أليم وأنت تريد مؤلم قال ذو الرمة

ونرفع من صدور شمردلات * يصك وجوهها وهج أليم

ويقال رجل سميع أي مسمع قال عمرو بن معد يكرب

أمن ريحانة الداعي السميع * يؤرقني وأصحابي هجوع

وأما قوله المقيد فهو موضع التقييد وكل مصدر زيدت الميم في أوله اذا جاوزت الفعل من ذوات الثلاثة فهو على وزن المفعول وكذلك اذا أردت اسم الزمان واسم المكان تقول أدخلت زيدا مدخلا كريما وسرحته مسرحا حسنا واستخرجت الشيء مستخرجا قال جرير

ألم تعلم مسرحي القوافي * فلا عيا بهن ولا اجتلابا

أي تسريحي وقال عز وجل وقل رب أنزلني منزلا مباركا ويقال قمت مقاما وأقمت مقاما

وقال عز وجل انها ساءت مستقرا ومقاما أي موضع اقامة وقال الشاعر (حميد بن ثور الهلالي

تطول القصار والطوال يطلنها * فمن برها الا ينسها ما تكلما)

وما هي الا في ازار وعلقة * مغار ابن همام على حي خثعما

يريد زمن اغارة ابن همام وأما قوله تذق برد نجد فذاك لان نجدا مرتفعة وتهامة غور منخفض فنجد باردة ويروى عن الاصمعي أنه قال هجم علي شهر رمضان وأنا بمكة فخرجت الى الطائف لأصوم بها هربا من حر مكة فلقيني اعرابي فقلت له أين تريد فقال أريد هذا البلد المبارك لاصوم هذا الشهر المبارك فيه فقلت له أما تخاف الحر فقال من الحر أفر وهذا الكلام نظير كلام الربيع بن خثيم فان رجلا قال له وقد صلى ليلة حتى أصبح أتعبت نفسك فقال راحتها أطلب ان أفره العبيد أكيسهم ونظير هذا الكلام قول روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ونظر اليه رجل واقفا بباب المنصور في الشمس فقال قد طال وقوفك في الشمس فقال روح ليطول وقوفي في الظل ومثله من الشعر قوله (قال أبو الحسن هو عروة بن الورد العبسي)

تقول سليمى لو أقمت بأرضنا * ولم تدر أني للمقام أطوف

(لعل الذي خوفتنا من ورائنا * سيدركه من بعدنا المتخلف)

ويروى لتسرنا وقال آخر

سأطلب بعد الدار منكم لتقربوا * وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

وهذا معنى كثير حسن جميل وقال حبيب بن أوس الطائي

أآلفة النحيب كم افتراق * أجد فكان داعية اجتماع

وليست فرحة الأوبات الا * لموقوف على ترح الوداع

وقال رجل واعتل في غربة فتذكر أهله

لو أن سلمى أبصرت تخددي * ودقة في عظم ساقي ويدي

وبَعْدَ أهلي وجَفاءِ عُوَّدِي * عَضَضْتُ من الوَجْدِ بأطرافِ اليدِ

قوله أبصرتِ تَخَدُّدِي يريد ما حَدَثَ في جسمه من النُحول وأصل الخَدِّ ما شققته في الارض قال الشَّمَّاخُ

فقلتُ لهم خُدُّوا له برماحِكُمْ * بطامسةِ الأعلامِ خفّاقةِ الآلِ

ويقال للشيخ قد تَخَدَّدَ يراد قد تَشَنَّجَ جِلْدُه وقال الله عز وجل قُتِلَ أصحابُ الأُخدود وقيل في التفسير هؤلاء قوم خَدُّوا أخاديدَ في الارض وأشعلوا فيها نيرانًا تحرّقوا بها المؤمنين وقوله عَضَضْتُ من الوَجْدِ بأطرافِ اليد فان الحزين والمَغيظ والنادمَ والمُتأسّفَ يَعَضُّ أطرافَ أصابعه جزعًا قال الله عز وجل عَضُّوا عليكم الأناملَ من الغَيْظ وفي مثل ما ذكرنا من تَخَدُّدِ لحمِ الشيخ يقول القائل

(ذهبَ الشبابُ فلا شبابَ جُمانا * وكأنَّ ما قد كانَ لم يكُ كانا

وطوَيْتُ كفِّي يا جُمانَ على العصا * وكَفَى جُمانَ بطَيِّها حَدَثانا)

يا مَنْ لشيخٍ قد تَخَدَّدَ لحمُهُ * أفْنَى ثلاثَ عمائمٍ ألوانا

(ألوانا صفة لثلاث على المعنى كأنه قال مختلفات)

سوداءَ حالكةً وسَحْقَ مُفَوَّفٍ * وأجَدَّ لونًا بعدَ ذاكَ هِجانا

(صَحِبَ الزمانَ على اختلافِ فُنونِه * فأراهُ منه كراهةً وهَوانا)

قَصَرَ الليالي خَطْوَهُ فتدانَى * وحَنَوْنَ قائمَ صُلْبِه فتَحانَى

والموتُ يأتي بعدَ ذلكَ كُلِّه * وكأنَّما يُعنَى بذاكَ سِوانا

قوله أفنى ثلاثَ عمائمٍ ألوانا يعني ان شعره كان أسود ثم حدث فيه شيب مع السواد فذلك قوله مُفَوَّفٌ والتَفْويفُ التنقيشُ وانما أُخذ من الفُوف وهي النكتة البيضاء التي تحدث في أظفار الأحداث وسميت بذلك لشَبَهها بشجرة يقال لها الفُوفة وجمعها فُوفٌ والسَّحْقُ

الخلق يقال عنده سحق ثوب وجرد ثوب وسمل ثوب وقوله أجد أى استجد لونا والهجات الا بيض وهى العمامة الثالثة يعنى حيث شمله الشيب

١٨ - باب

قال أبو العباس من أمثال العرب لم يذهب من مالك ما وعظك يقول اذا ذهب من مالك شئ فحذرك أن يحل بك مثله فتأديبه اياك عوض من ذهابه ومن أمثالهم رب عجلة تهب ريثا وتأويله ان الرجل يعمل العمل فلا يحكمه للاستعجال به فيحتاج الى أن يعود فينقضه ثم يستأنف والريث الابطاء وراث عليه أمره اذا تأخر ومن أمثال العرب عش ولا تغتر وأصل ذلك ان يمر صاحب الابل بالارض المكلئة فيقول ادع أن أعشى ابلى منها حتى أرد على أخرى ولا يدرى ما الذى يرد عليه وقريب منه قولهم أن ترد الماء بماء اكيس وتأويله أن يمر الرجل بالماء فلا يحمل منه اتكالا على ماء آخر يصير اليه فيقال له أن تحمل معك ماء أحزم لك فان أصبت ماء آخر لم يضرك وان لم تحمل نخففت من الماء عطبت ومن أمثالهم قد أحزم لو أعزم يقول أعرف وجه الحزم فان عزمت فامضيت الرأى فانا حازم وان تركت الصواب وأنا أراه وضيعت العزم لم ينفعنى حزمى ومثله قول النابغة الجعدى

أبى لى البلاء وانى امرؤ * اذا ما تبينت لم أرتب

وقال اعرابى يمدح سوار بن عبد الله

وأوقف عند الامر ما لم يضح له * وأمضى اذا ما شك من كان ماضيا

فالذى يحمد امضاء ما تبين رشده فاما الاقدام على الغرور وركوب الامر على الخطر فليس بمحمود عند ذوى الالباب وقد يحسن بمثله القتال كما قال (هو سعد بن ناشب المازنى عن الرياشى وغيره)

عليكم بداري فاهدموها فانها * تراث كريم لا يخاف العواقبا

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه * وأعرض عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستشر في رأيه غير نفسه * ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

فهذا شأن القتال وقال الآخر

غلام اذا ما هم بالفتك لم يبل * ألا مت قليلا أم كثيرا عواذله

وقال آخر وما العجز الا ان تشاور عاجزا * وما الحزم الا أن تهم فتفعلا

فاما قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أكثر الفكرة في العواقب لم يشجع فتأويله انه من فكر في ظفر قرنه به وعلوه عليه لم يقدم وانما كان الحزم عند علي رضي الله عنه أن يحظر أمر الدين ثم لا يفكر في الموت وقد قيل له أتقتل أهل الشام بالغداة وتظهر بالعشي في ازار ورداء فقال أبالموت أخوف والله ما أبالي أسقطت على الموت أم سقط الموت علي وقال للحسن ابنه لا تبدأ بدعاء الى مبارزة فان دعيت اليها فأجب فان طالبها باغ والباغي مصروع وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يلتف في كسائه وينام في ناحية المسجد فلما أورد بالمرزبان عليه (كذا وقعت الرواية المرزبان والصواب الهرمزان وكان صاحب تستر) جعلوا يسألون عنه فيقال مر ههنا آنفا فيصغر في قلب المرزبان اذ رآه كبعض السوقة حتى انتهى اليه وهو نائم في ناحية المسجد فقال المرزبان هذا والله الملك الهنيء يقول لا يحتاج الى أحراس ولا عدد فلما جلس عمر امتلأ قلب العلج منه هيبة لما رأى عنده من الجد والاجتهاد وألبس من هيبة التقوى وقال الكلبي قال لي خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد ابن كرز القسري ما تعدون السودد فقلت أما في الجاهلية فالرياسة وأما في الاسلام فالولاية وخير من ذا وذاك التقوى فقال لي صدقت كان أبي يقول لم يدرك الاول الشرف الا بالفعل ولا يدركه الآخر الا بما أدرك به الاول قال فقلت صدق أبوك ساد الاحنف بحلمه

وساد مالك بن مسمع بمحبة العشيرة له وساد قتيبة بدهائه وساد المهلب بجميع هذه الخلال فقال لي صدقت كان أبي يقول خير الناس للناس خيرهم لنفسه وذلك أنه اذا كان كذلك اتقى على نفسه من السرق لئلا يقطع ومن القتل لئلا يقاد ومن الزنا لئلا يحد فسلم الناس منه باتقائه على نفسه قال أبو العباس وكان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرجال قال له عبد الملك يوما ما مالك فقال شيآن لا عيلة علي معهما الرضا عن الله والغنى عن الناس فلما نهض من بين يديه قيل له هلا خبرته بمقدار مالك فقال لم يعد أن يكون قليلا فيحقرني أو كثيرا فيحسدني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أعز الناس فليتق الله ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من سره الغنى بلا مال والعز بلا سلطان والكثرة بلا عشيرة فليخرج من ذل معصية الله الى عز طاعته فانه واجد ذلك كله وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فحمد الله بما هو أهله ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم فان العبد بين مخافتين أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه وأجل باق لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني ربي بتسع الاخلاص في السر والعلانية والعدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى وأن أعفو عمن ظلمني وأصل من قطعني وأعطي من حرمني وأن يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة وحدثت أنه التقى حكيمان فقال أحدهما للآخر اني لأحبك في الله فقال له الآخر لو علمت مني ما أعلمه من نفسي لأبغضتني في الله فقال له صاحبه لو علمت منك

ما تعلمه من نفسك لكان لي فيما أعلمه من نفسي شغل وكان مالك بن دينار يقول جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم وكان يقول ما أشد فطام الكبير وقيل لعمر بن عبد العزيز أي الجهاد أفضل فقال جهادك هواك وكان الحسن يقول حادثوا هذه القلوب فانها سريعة الدثور واقدعوا هذه الأنفس فانها طلعة وانكم الا تقدعوها تنزع بكم الى شر غاية قوله حادثوا امثل ومعناه اجلوا واشحذوا تقول العرب حادث فلان سيفه اذا جلاه وشحذه وقال زيد الخيل

وقد علمت سلامة أن سيفي * كريه كلما دعيت نزال

أحادثه بصقل كل يوم * وأعجمه بهامات الرجال

قوله أعجمه بهامات الرجال أي أعضه يقال عجمه اذا عضه والدثور والدرس يقال دثر الربع اذا انمحى ومعناه تعهدوها بالفكر والذكر وقوله فانها طلعة يقول كثيرة التشوف والتنزي الى ما ليس لها وأنشد الأصمعي

ولا تملت من مال ولا عمر * الا بما ساء نفس الحاسد الطلعة

(الرواية الصحيحة بكسر التاء لا غير لانه يخاطب امرأة تقدم ذكرها في الشعر يدعو عليها)

قال ويقال للجارية اذا كانت تبرز وجهها لترى حسنها ثم تخفيه لتوهم الحياء خباة طلعة وكان عمر بن عبد العزيز رحمة الله يقول أيها الناس انما خلقتم للابد ولكنكم تنقلون من دار الى دار ويروى عن المسيح صلوات الله عليه وسلامه انه كان يقول ان احببتم الى الناس فكلوا اقصدوا وامشوا جانبا ولما احتضر قيس بن عاصم قال لبنيه يا بني احفظوا عني ثلاثا فلا أحد أنصح لكم مني اذا أنا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيحقر الناس كباركم وتهونوا عليهم وعليكم بحفظ المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم واياكم والمسئلة فانها آخر كسب الرجل (آخر بقصر الهمزة لا غير ومن رواه بالمد فقد أخطأ ومعنى

آخرُ أدْنى وأرْذَلُ)

١٩ - باب

قال أبو العباس أُنشدتُ لرجل من الأعراب يرثى رجلا منهم

فلو كان شيئا قد لبسنا شبابَهُ * ولكنّه لم يعدُ أن طرّ شاربُه

وقالَ الرَّدَى مَن ودَّ أنَّ ابنَ عمِّه * يُرَى مُقْتِرا أو أنّه ذلَّ جانبُه

وقال الآخر (حسّانُ بن ثابت) لامرأته

فاما هلكتُ فلا تَنْكحي * ظلومَ العشيرة حسّادَها

يَرَى مجدَهُ ثَلْبَ أعراضها * لديهِ ويُبغِضُ مَنْ سادَها

وقال آخر (قال أبو الحسن هو ليزيد بن حَبْناء أو لصخر بن حَبْناء يقوله لاخيه)

لَحَى اللهُ أكبانا زِنادا وشرَّنا * وأيسرَنا عن عرضِ والده ذَبّا

وأيسَنا لمّا تَلتَ مالا ومسّنا * زمانٌ ترى في حدِّ أنيابه شغبا

جعلتَ لنا ذنبا لتمنع نائلا * فأمسِكْ ولا تجعلْ غِناكَ لنا ذنبا

قوله أكبانا زِنادا الزنادُ التي تُقدَح بها النار ويقال أورَى القادحُ اذا اخرجتْ له النارُ وأكبى اذا أخفق منها هذا أصله يُضرَبُ للرجل الذي ينبعثُ الخيرُ على يديه ويُضرَبُ الاكباءُ للذي يمتنع الخيرُ على يديه قال الأعشى

وزَندُكَ خيرُ زِنادِ الملو * كِ صادفَ منهنّ مَرْخٌ عَفارا

ولو بتَّ تقدحُ في ظُلمةٍ * صَفاةً بنَبْعٍ لأوريتَ نارا

والمَرْخُ والعَفار شجر تُسرِع فيه النار ومن أمثالهم في كلّ شجرٍ نارٌ واستمجدَ المرخُ والعفارُ واستمجدا استكثرَا يقال أمجدتُه سبّا وأمجدتُه ذمّا اذا أكثرتَ من ذلك ومن أمثالهم أرْخ

بديلٌ واسترخاء الزناد من مرخ ويقال رجل ذو شغب اذا كان يشغب على خصمه ضربه مثلاً للزمان الذى يهرّ على أربابه أي يمسّهم بالفقر والجدب وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

رأيت فضيلاً كان شيأ ملفّفا * فكشّفه التمحيص حتى بداليا

أأنت أخي مالم تكن لى حاجة * فان عرضت أيقنت أن لا أخاليا

فلا زاد مابيني وبينك بعدما * بلوتك فى الحاجات الاّ تماديا

فلست براءٍ عيب ذى الود كله * ولا بعض مافيه اذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلةٌ * ولكنّ عين السخط تبدى المساويا

كلانا غنيٌّ عن أخيه حياته * ونحن اذا متنا أشدّ تغانيا

قوله كان شيأ ملففا يقول كان أمرا مغطّى والتمحيص الاختبار يقال أدخلت الذهب فى النار فمحصته أى خرج عنه مالم يكن منه وخلص الذهب قال الله عز وجل وليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ويقال محّص فلانٌ من ذنوبه وقوله أأنت أخي مالم تكن لى حاجة تقرير وليس باستفهام ولكنّ معناه انى قد بلوتك تظهر الاخاء فاذا بدت الحاجة لم أر من اخائك شيأ. قال الله عز وجل أأنت قلت للناس اتخذونى وأمّى الهين من دون الله انما هو توبيخ وليس باستفهام وهو جل وعز العالم بأنّ عيسى لم يقله وقد ذكرنا التقرير الواقع بلفظ الاستفهام فى موضعه من الكتاب المقتضب مستقصى ونذكر منه جملة فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه ثلاثة لا يعرفون الا فى ثلاث لا يعرف الشجاع الا فى الحرب ولا الحليم الا عند الغضب ولا الصديق الا عند الحاجة وقال عبد الله بن معاوية أيضا (ذكر دعبل فى أخبار الشعراء له أن هذا الشعر لعبد الله ابن الزبير الاسدى)

أَنَّى يكون أخاً أو ذا محافظة * من كنت في غيبه مستشعرا وجلا
اذا تغيب لم تبرح تظن به * سوأً وتسأل عما قال أو فعلا

وقال آخر

سأشكر عمرا ما تراخت منيتي * أيادي لم تمنن وان هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فكانت قذى عينيه حتى تجلت

وتمثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه * اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر
فتى لا يعد المال ربا ولا ترى * به جفوة ان نال مالا ولا كبر
فتى كان يعطي السيف في الروع حقه * اذا ثوب الداعي وتشقى به الجزر
وهون وجدي انني سوف أغتدي * على اثره يوما وان نفس العمر

(قال أبو الحسن بعضهم يقول هو للأبيرد الرياحي وبعد البيت الثالث

فلا يبعدنك الله اما تركتنا * حميدا وأودى بعدك المجد والفخر)

قال أبو العباس حدثني التوزي قال حدثني محمد بن عباد بن حبيب بن المهلب أحسبه عن أبيه قال لما انقضى يوم الجمل خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ليلة ذلك اليوم ومعه قنبر وفي يده مشعلة من نار يتصفح القتلى حتى وقف على رجل قال التوزي فقلت أهو طلحة قال نعم فلما وقف عليه قال اعزز علي أبا محمد ان أراك معفرا تحت نجوم السماء وفي بطون الاودية شفيت نفسي وقتلت معشري الى الله أشكو عجري وبجري قوله معفرا أي ملصق الوجه بالتراب ويقال للتراب العفر والعفر يقال ما مشى على عفر التراب مثل فلان وقوله الى الله أشكو عجري وبجري يقول ما أسر من أمري قال الاصمعي وهو قول

سائر في أمثال العرب لقي فلان فلانا فأبثه عجره وبجره وقال النمر بن تولب (كل نمر في العرب كالنمر بن قاسط وغيره مكسور النون مجزوم الميم الا النمر بن تولب عن ابن دريد قال أبو حاتم يقال النمر بفتح النون وتسكين الميم ولا يقال النمر)

تدارك ما قبل الشباب وبعده * حوادث أيام تمر وأغفل

يسر الفتى طول السلامة والبقا * فكيف يرى طول السلامة يفعل

يرد الفتى بعد اعتدال وصحة * ينوء اذا رام القيام ويحمل

قصر البقاء ضرورة وللشاعر اذا اضطر أن يقصر الممدود وليس له أن يمد المقصور وذلك ان الممدود قبل آخره ألف زائدة فاذا احتاج حذفها لانها ألف زائدة فاذا حذفها رد الشئ الى أصله فلو مد المقصور لكان زائدا في الشئ ما ليس منه قال الشاعر وهو يزيد بن عمرو بن الصعق فرغتم لتمرين السياط وأنتم * يثن عليكم بالفنا كل مربع

فقصر الفناء وهو ممدود وقال الطرماح

وأخرج أمه لسواس سلمى * لمعفور الضرا ضرم الجنين

قوله وأخرج يعني رمادا والاخرج الذي في لونه سواد وبياض يقال نعامة خرجاء وقوله لسواس سلمى فان أجأ وسلمى جبلا طيئ وسواس سلمى الموضع الذي بحضرة سلمى يقال هذا من سوس فلان ومن توس فلان أي من طبعه وأمه يعني الشجرة التي هي أصله وقوله لمعفور الضرا فالضرا ما واراك من شجر خاصة والخمر ما واراك من شئ والمعفور ما سقط من النار من الزند وقوله ضرم الجنين يقول مشتعل والجنين ما لم يظهر بعد يقال للقبر جنن والجنين الذي في بطن أمه والمجن الترس لانه يستر والمجنون المغطى العقل وسمي الجن جنا لاختفائهم وتسمى الدروع الجنن لانها تستر من كان فيها وقصر الضراء وهو ممدود ومثل هذا كثير في الشعر جدا وقوله ينوء اذا رام القيام يقول ينهض في تثاقل قال الله عز

وجل ما انَّ مفاتحه لتنوء بالعُصبة والمعنى أن العُصبة تنوء بالمفاتيح ولشرح هذا موضع آخر وقال آخر (لعمر بن قميئة)

عَلى الراحتين مرةً وعلى العصا) * أنوءُ ثلاثاً بعدهنّ قيامى

ويُروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كفى بالسلامة داءً وقال حُميد بن ثور الهلاليُّ

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة * وحسبكَ داءً أن تصحّ وتسلما

ولا يلبثُ العصران يومٌ وليلةٌ * اذا طلبا أن يدركا ما تيمّما

وقال أبو حيّة النميرى

ألا حيِّ من أجلِ الحبيب المغانيا * لَبِسنَ البلَى ممّا لبسنَ اللياليا

اذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ * تقاضاه شئٌ لا يملُّ التقاضيا

وقال بعض شعراء الجاهلية

كانت قناتى لا تلينُ لغامزٍ * فألانها الإصباحُ والإمساء

ودعوتُ ربّى فى السلامة جاهداً * ليُصحّنى فاذا السلامةُ داءُ

وقال عنترةُ بن شدّاد

فما أوهى مِراسُ الحرب رُكنى * ولكن ما تقادمَ من زمانى

ومن أمثال العرب اذا طال عمر الرجل أن يقولوا لقد أكلَ عليه الدهرُ وشرِبَ انما يريدون انه أكل هو وشرب دهراً طويلاً قال الجعديُّ

(كم رأينا من أناسٍ هلكوا) * أكلَ الدهرُ عليهم وشربْ

والعرب تقول نهارُكَ صائم وليلك قائم أى أنت قائم فى هذا وصائم فى ذاك كما قال الله عز وجل بل مكرُ الليل والنهار والمعنى والله أعلم بل مكركُم فى الليل والنهار وقال جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى * ونمت وما ليل المطي بنائم

وقال الفرزدق

تبكي على المنتوف بكر بن وائل * وتنهى عن ابني مسمع من بكاهما

غلامان شبا في الحروب وأدركا * كرام المساعي قبل وصل لحاهما

وابنا مسمع كان قتلهما معاوية بن يزيد بن المهلب مع عدي بن أرطاة لما أتاه خبر قتل أبيه وكان ابنا مسمع ممن خالف على يزيد بن المهلب والمنتوف كان مولى لبني قيس بن ثعلبة بن عكابة وابنا مسمع من بني قيس بن ثعلبة وكان المنتوف كالخليفة ليزيد بن المهلب وفي ذلك يقول جرير

والأزد قد جعلوا المنتوف قائدهم * فقتلتهم جنود الله وانتفوا

وتمام شعر الفرزدق

ولو قتلا من جذم بكر بن وائل * لكان على الناعي شديدا بكاهما

ولو كان حيا مالك وابن مالك * اذا أوقدا نارين يعلو سناهما

السنا ضوء النار وهو مقصور قال الله عز وجل يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار والسناء من الشرف ممدود قال حسان بن ثابت

وإن لنا خير عثمان بن عمرو * وأسناها اذا ذكر السناء

والبكاء يمد ويقصر فمن مده فإنما جعله كسائر الاصوات ولا يكون المصدر في معنى الصوت مضموم الاول الا ممدودا لانه يكون على فعال وقلما يكون المصدر على فعل وقد جاء في حروف نحو الهدى والسرى وما أشبهه وهو يسير فأما الممدود فنحو العواء والدعاء والرغاء والثغاء فكذلك البكاء ونظيره من الصحيح الصراخ والنباح ومن قصر فإنما جعل البكاء كالحزن وقد قال حسان فقصر ومد

بَكَتْ عيني وحُقَّ لها بُكاها * وما يُغني البكاءُ ولا العويلُ

وقال جرير

قالوا نصيبكَ من أجرٍ فقلتُ لهم * كيف العزاءُ وقد فارقتُ أشبالي
هذا اسوادةُ يجلو مُقلتَي لَحِمٍ * بازٍ يُصرصِرُ فوق المرقبِ العالي
فارقتُه حين غضَّ الدهرُ من بصري * وحين صرتُ كعظمِ الرِّمَّةِ البالي

(نصيبك بالنصب لا غير لانه مفعول باضمار فعل تقديره احفظ نصيبكَ او احرز نصيبك) قوله يجلو مقلتي لحم شبّه مُقلتيه بمُقلتَي البازي ويقال طائر لَحِمٌ من هذا وقوله يُصرصِرُ يعني يُصوِّتُ يقال صرصَرَ البازي والصقرُ وما كان من سباع الطير ويقال صرصَرَ العصفورُ وأحسبُه مستعاراً لان الاصل فيه ان يستعمل في الجوارح من الطير قال جرير

* بازٍ يُصرصِرُ بالسهبي قطاً جُونا * وقال آخر * كما صرصَرَ العصفورُ في الرُّطَبِ الثَّعْدِ *

وأنشدني عُمارةُ بازٍ يُصعصِعُ وهو أصح (قال أبو الحسن يُصعصِعُ وهو الصواب ولكن هكذا وقع في كتابه ويُصرصِرُ لا يتعدَّى) وقوله كعظم الرِّمَّةِ فهي الباليةُ الذاهبةُ والرَّميمُ مشتق من الرِّمَّةِ وانما هو فعيل وفعلة وليس بجمع له واحد ومما كفّرتْ به الفقهاءُ الحجّاجَ بن يوسف قوله والناس يَطوفون بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره وان شئت قلت يُطيفون قال أبو زيد تقول العرب طُفتُ وأطفتُ به ودُرتُ وأدرتُ به ويقال حدقَ وأحدقَ قال الاخطل

المنعمون بنو حربٍ وقد حدقتْ * بي المنيَّةُ واستبطأتُ أنصاري

انما يطوفون بأعوادٍ ورِمَّةٍ ومن أمثال العرب لولا أن تُضيِّعَ الفتيانُ الذِّمَّةَ لخبَّرتُها بما تجدُ الابلُ في الرِّمَّةِ يقول لولا أن تدعَ الاحداثُ التمسُّكَ بالوفاء والرعاية للحرمة لاعلمتها أن الابل تتناول العظم البالي وهو أقل الاشياء فتجد له لذَّةً ومثل بيت جرير الاخير قول أبي الشغب يرثي ابنه شغباً

قد كان شعب لو ان الله عمره * عــز تزاد به فى عــزها مضر

ليت الجبال تداعت قبل مصرعه * دكا فلم يبق من أحجارها حجر

فارقت شعبا وقد قوست من كبر * بئس الحليفان طول الحزن والكبر

قوله قوست يقول انحنيت كالقوس قال امرؤ القيس

أراهن لا يحببن من قل ماله * ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

وقال سليمان بن قتة يرثى الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما

مررت على أبيات آل محمد * فلم أرها كعهدها يوم حلت

فلا يبعد الله الديار وأهلها * وان أصبحت من أهلها قد تخلت

وان قتيل الطف من آل هاشم * أذل رقاب المسلمين فذلت

وكانوا رجاء ثم صاروا رزية * فقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وعند غنى قطرة من دمائنا * سنجزيهم يوما بها حيث حلت

اذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها * وتقتلنا قيس اذا النعل زلت

وسليمان بن قتة رجل من بنى تيم بن مرة بن كعب بن لؤى وكان منقطعا الى بنى هاشم

وقال الفرزدق يرثى ابنيه

بفى الشامتين الترب ان كان مسنى * رزية شبلى مخدر فى الضراغم

وما أحد كان المنايا وراءه * ولو عاش أياما طوالا بسالم

أرى كل حى ما تزال طليعة * عليه المنايا من ثنايا المخارم

يذكرنى ابنى السماكان موهنا * اذا ارتفعا فوق النجوم العواتم

وقد رزئ الاقوام قبلى بنيهم * واخوانهم فاقنى حياء الكرائم

ومات أبى والمنذران كلاهما * وعمرو بن كلثوم شهاب الأراقم

وقد كان مات الاقرعان وحاجب * وعمرو وأبو عمرو وقيس بن عاصم

وقد مات بسطام بن قيس بن خالد * ومات أبو غسان شيخ اللهازم

وقد مات خيراهم فلم يهلكاهم * عشية بانا رهط كعب وحاتم

فما ابناك الا من بنى الناس فاصبرى * فلن يرجع الموتى حنين المآتم

وأنشدنى التوزى عن أبى زيد خنين المآتم بالخاء معجمة (الخنين بالخاء صوت من الخيشوم) قوله ما زال طليعة يريد طالعة والثنايا جمع ثنية وهى الطريق فى الجبل من ذلك (الشعر لسحيم بن وثيل الرياحى)

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

والمخارم جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل وقوله فوق النجوم العواتم يعنى المتأخرة يقال فلان يأتينا ولا يعتم أى لا يتأخر وعتمة اسم للوقت فلذلك سميت الصلاة بذلك الوقت وكل صلاة مضافة الى وقتها تقول صلاة الغداة وصلاة الظهر وصلاة العصر وأما قولك الصلاة الاولى فالاولى نعت لها اذ كانت أول ما صلى وقيل أول ما أظهر وقوله فاقنى حياءك الكرائم يقول فالزمى وأصل القنية المال اللازم تقول اقتنى فلان مالا اذا اتخذ أصل مال وقيل فى قول الله عز وجل وأنه هو أغنى وأقنى أى جعل لهم أصل مال وأنشد أبو عبيدة (الشعر لابى المثلم الهذلى يرثى صخرا)

لو كان للدهر عز يطمئن به * لكان للدهر صخر مال قنيان

والكرائم جمع كريمة والاسم من فعيلة والنعت يجمعان على فعائل فالاسم نحو صحيفة وصحائف وسفينة وسفائن والنعت نحو عقيلة وعقائل وكريمة وكرائم وقوله ومات أبى يريد التأسى بالاشراف وأبوه غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع وكان أبوه شريفا وأجداده الى حيث انتهوا ولكل واحد منهم قصة يطول الكتاب بذكرها

والمُنذران المُنذر بن المنذر بن ماء السماء اللخمى يريد الابن والاب وعمرو بن كلثوم التغلبى قاتل عمرو بن هند وكان أحد أشراف العرب وفتّاكهم وشعرائهم والاراقم قبيلة من بنى تغلب بنت وائل من بنى جشم بن بكر وزعم أهل العلم انهم انما سمّوا الاراقم لان عيونهم شبهت بعيون الحيّات والاراقم واحدها أرقم فكانوا معروفين بهذا قال الفرزدق يردّ على جرير فى هجائه له وللاخطل

انّ الاراقم لن ينال قديمها * كلبٌ عوى متهتّم الاسنان

وجعله شهابا لهم لشهرته وبهائه وضيائه تقول العرب انما فلان نجم أهله وكذلك قالت الخنساء * كأنّه علم فى رأسه نار * والاقرعان الاقرع بن حابس وابنه الاقرع من بنى مجاشع بن دارم وكان الاقرع فى صدر الاسلام سيّد خندف وكان محلّه فيها محلّ عيينة بن حصن فى قيس وحاجب بن زرارة بن عدس سيّد بنى تميم فى الجاهلية غير مدافع وعمرو أبو عمرو يريد عمرو بن عدس وكان شريفا وكان ابنه عمرو شريفا قتل يوم جبلة قتلته بنو عامر ابن صعصعة وقتلوا لقيط بن زرارة وكان الذى ولى قتله عمارة الوهّاب العبسى وينسب الى بنى عامر لان بنى عبس كانوا فيهم مع قيس بن زهير وعمارة هذا هو الذى كان يقال له دالق وقتله شرحاف الضبّى ولذلك يقول الفرزدق

وهنّ بشرحاف تداركن دالقا * عمارة عبس بعدما جنح العصر

وزعم أبو عبيدة أن فاطمة بنت الخرشب الانمارية أريت فى منامها قائلا يقول أعشرة هدرة أحبّ اليك أم ثلاثة كعشرة (هدرة بالدال غير معجمة قال أبو الحسن هم الساقط من الناس) فلم تقل شيأ فعاد لها فى الليلة الثانية فلم تقل شيأ ثم قصّت ذلك على زوجها فقال ان عاد لك الثالثة فقولى ثلاثة كعشرة وزوجها زياد بن عبد الله بن ناشب العبسى فلما عاد لها قالت ثلاثة كعشرة فولدتهم كلهم غاية ولدت ربيع الحفّاظ وعمارة الوهّاب وأنس

الفوارس وهى احدى المنجبات من العرب وأسروا حاجبا فذلك حيث يقول جرير يعير الفرزدق ويغلبه بفخر قيس عليه

تحضض يا ابن القين قيسا ليجعلوا * لقومك يوما مثل يوم الاراقم

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا * وعمرو بن عمرو اذ دعوا يا آل دارم

ولم تشهد الجونين والشعب ذا الصفا * وشدات قيس يوم دير الجماجم

الجونان معاوية وحسان ابنا الجون الكنديان أسرا فى ذلك اليوم فقتل حسان وفودى معاوية بسبب يطول ذكره والشعب شعب جبلة وقوله وشدات قيس يوم دير الجماجم هذا فى الاسلام يعنى وقعة الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى بعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس بن معديكرب الكندى بدير الجماجم وقوله وقدمات بسطام بن قيس بن خالد يعنى الشيبانى وهو فارس بكر بن وائل وابن سيدها وقتل بالحسن وهو جبل (كذا وقعت الرواية بالحسن وهو جبل بالجيم والصحيح حبل بالحاء قال ابن سراج رحمه الله تعالى الحسن والحسين حبلا رمل) قتله عاصم بن خليفة الضبى وكان عاصم أسلم فى أيام عثمان رحمه الله فكان يقف ببابه فيستأذن عليه فيقول عاصم بن خليفة الضبى قاتل بسطام بن قيس بالباب (قال أبو الحسن الوجه عندى فى بسطام أن لا ينصرف لأنه أعجمى) وكان سبب قتله اياه أن بسطاما أغار على بنى ضبة وكان معه حاز (قال أبو الحسن حاز بالزاى زاجر) يحزوله فقال له بسطام انى سمعت قائلا يقول * الدلو تأتى الغرب المزله * فقال الحازى فهلا قلت * ثم تعود بادنا مبتله * قال ماقلت فاكتسح ابلهم فتنادوا واتبعوه فنظرت أم عاصم اليه وهو يقع حديدة له أى يحدها والميقعة المطرقة فقالت له ما تصنع بهذه وكان عاصم منقوصا فقال لها أقتل بها بسطام بن قيس فنهرته وقالت است أمك أضيق من ذلك فنظر الى فرس لعمه موثقه الى شجرة فاعروراها أى ركبها عريا ثم أقبل به الريح

فنظر بسطام الى الخيل قد لحقته فجعل يطعن الابل فى اعجازها فصاحت به بنو ضبة يا بسطام ماهذا السفه دعها ابالنا وامالك وانحط عليه عاصم فطعنه فرمى به على الالاءة وهى شجرة ليست بعظيمة وكان بسطام نصرانيا وكان مقتله بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فأراد أخوه الرجوع الى القوم فصاح به بسطام أنا حنيف ان رجعت ففى ذلك يقول ابن عنمة الضبى وكان فى بنى شيبان

نخر على الالاءة لم يوسد * كأن جبينه سيف صقيل

ولما قتل بسطام لم يبق فى بكر بن وائل بيت الا هجم أى هدم وقوله ومات أبو غسان شيخ اللهازم يعنى مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب أحد بنى قيس بن ثعلبة واليه تنسب المسامعة وكان سيد بكر بن وائل فى الاسلام وهو الذى قال لعبيد الله بن زياد بن ظبيان أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة وكان حين حدث أمر مسعود بن عمرو المعنى من الازد فلم تعلمه به فقال له عبيد الله وهو أحد فتاك العرب وهو قاتل مصعب بن الزبير أيكون مثل هذا الحدث ولا تعلمنى به لهممت أن أضرم دارك عليك نارا فقال له مالك اسكت أبا مطر فوالله ان فى كنانتى سهم أنا أوثق به منى بك فقال له عبيد الله أو أنا فى كنانتك فوالله لو قعدت فيها لطلتها ولو قمت فيها لخرقتها فقال له مالك وأعجبه ما سمع منه أكثر الله فى العشيرة مثلك قال لقد سألت شططا وفى مالك بن مسمع يقال

اذا ما خشينا من أمير ظلامة * دعونا أبا غسان يوما فعسكرا

قوله وقد مات خيراهم تثنية كقولك مات أحمراهم ولم يخرج مخرج النعت ألا ترى أنك تقول هذا أحمر القوم اذا أردت هذا الاحمر الذى للقوم فاذا أردت الذى يفضلهم فى باب الحمرة قلت هذا أشدهم حمرة ولم تقل هذا أحمرهم وكذلك خيراهم وانما أردت هذا خيرهم ثم ثنيت أى هذا الخير الذى هو فيهم وقوله عشية بانا مردود على قوله خيراهم وقوله رهط

كعب وحاتم انما خفضت رهطا لانه بدل من هم التي أضفت اليها الخيرين والتقدير وقد مات خير رهط كعب وحاتم فلم يهلكاهم عشية بانا فاما كعب فهو كعب بن مامة الايادي وكان أحد أجواد العرب الذي آثر على نفسه وكان مسافرا ورفيقه رجل من النمر بن قاسط فقل عليهما الماء فتصافناه والتصافن أن يطرح في الاناء حجر (هذا الحجر الذي يقسم به الماء يقال له المقلة بفتح الميم) ثم يصب فيه من الماء ما يغمره لئلا يتغابنوا وكذلك كل شئ وقف على كيله أو وزنه والاصل ماذكرنا فجعل النمري يشرب نصيبه فاذا أخذ كعب نصيبه قال اسق أخاك النمري فيؤثره حتى جهد كعب ورفعت له أعلام الماء فقيل له رد كعب ولا ورود به فمات عطشا ففي ذلك يقول أبو دواد الايادي

أوفى على الماء كعب ثم قيل له * رد كعب انك وراد فما وردا

فضرب به المثل فقال جرير في كلمته التي مدح فيها عمر بن عبد العزيز

يعود الفضل منك على قريش * وتفرج عنهم الكرب الشدادا

وقد أمنت وحشهم برفق * ويعيي الناس وحشك أن تصادا

وتبني المجد يا عمر بن ليلى * وتكفي الممحل السنة الجمادا

وتدعو الله مجتهدا ليرضى * وتذكر في رعيتك المعادا

وما كعب بن مامة وابن سعدى * بأجود منك يا عمر الجوادا

تعود صالح الاخلاق اني * رأيت المرء يلزم ما استعادا

هذا كعب بن مامة الذي ذكرناه وأما ابن سعدى فهو أوس بن حارثة بن لأم الطائي وكان سيدا مقدما فوفد هو وحاتم بن عبد الله الطائي على عمرو بن هند وأبوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء فدعا أوسا فقال له أأنت أفضل أم حاتم فقال أبيت اللعن لو ملكني حاتم وولدي ولحمتي لوهبنا في غداة واحدة ثم دعا حاتما فقال له أنت أفضل أم أوس فقال أبيت اللعن انما

ذكرت بأوس ولأحد ولده أفضل منى وكان النعمان بن المنذر دعا بحلة وعنده وفود العرب من كل حى فقال احضروا فى غد فانى ملبس هذه الحلة أكرمكم فحضر القوم جميعا الا أوسا فقيل له لم تخلفت فقال ان كان المراد غيرى فأجمل الاشياء أن لا أكون حاضرا وان كنت أنا المراد فسأطلب ويعرف مكانى فلما جلس النعمان لم ير أوسا فقال اذهبوا الى أوس فقولوا له احضر آمنا مما خفت فحضر فألبس الحلة فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة اهجه ولك ثلثمائة ناقة فقال الحطيئة كيف أهجو رجلا لا أرى فى بيتى أثاثا ولا مالا الا من عنده ثم قال

كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من آل لأم بظهر الغيب تأتينى

فقال لهم بشر بن أبى خازم أحد بنى أسد بن خزيمة أنا أهجوه لكم فأخذ الابل وفعل فأغار أوس على الابل فاكتسحها فجعل لا يستجير حيا الا قال قد أجرتك الا من أوس وكان فى هجائه اياه قد ذكر أمه فأتى به فدخل أوس على أمه فقال قد أتينا ببشر الهاجى لك ولى فما ترى فيه فقالت له أوتطيعنى فيه قال نعم قالت أرى أن ترد عليه ماله وتعفو عنه وتحبوه وأفعل مثل ذلك فانه لا يغسل هجاءه الا مدحه فخرج اليه فقال ان أمى سعدى التى كنت تهجوها قد أمرت فيك بكذا وكذا فقال لا جرم والله لا مدحت أحدا حتى أموت غيرك ففيه يقول

الى أوس بن حارثة بن لأم * ليقضى حاجتى فيمن قضاها

وما وطئ الثرى مثل ابن سعدى * ولا لبس النعال ولا احتذاها

وأما حاتم الذى ذكره الفرزدق فهو حاتم بن عبد الله الطائى جواد العرب وقد كان الفرزدق صافن رجلا من بنى العنبر بن عمرو بن تميم اداوة فى وقت فرامه العنبرى وسامه ان يؤثره وكان الفرزدق جوادا فلم تطب نفسه عن نفسه فقال الفرزدق

فلما تصافنا الاداوة أجهشت * الى غضون العنبرى الجراضم

فجاء بجلمود له مثل رأسه * ليشرب ماء القوم بين الصرائم

على ساعة لو أن فى القوم حاتما * على جوده ضنت به نفس حاتم

قوله أجهشت فهو التسرع وما زاحى نحوه من مقاربة الشئ يقال أجهش بالبكاء والغضون التكسير فى الجلد والجراضم الأحمر الممتلئ وقوله لتشرب ماء القوم بين الصرائم فهى جمع صريمة وهى الرملة التى تنقطع من معظم الرمل وقوله صريمة تريد مصرومة والصرم القطع وأنشد الأصمعى

فبات يقول أصبح ليل حتى * تجلى عن صريمته الظلام

يعنى ثورا وصريمته رملته التى هو فيها وقال المفسرون فى قول الله عز وجل فأصبحت كالصريم قولين قال قوم كالليل المظلم وقال قوم كالنهار المضىء أى بيضاء لا شئ فيها فهو من الاضداد ويقال للشيء اذا الارض وبياضها أى عامرها وغامرها فهذا ما يحتج به لاصحاب القول الآخير ويحتج لاصحاب القول الاول فى السواد بقول الله عز وجل فجعله غثاء أحوى وانما سمى السواد سواد العمارة وكل خضرة عند العرب سواد ويروى

على ساعة لو أن فى القوم حاتما * على جوده ما جاد بالماء حاتم

جعل حاتم تبيينا للهاء فى جوده وهو الذى يسميه البصريون البدل أراد على جود حاتم

٢٠ - باب

قال أبو العباس كان يقال اذا رغبت فى المكارم فاجتنب المحارم وكان يقال أنعم الناس عيشا من عاش غيره فى عيشه وقيل فى المثل السائر من كان فى وطن فليوطن غيره وطنه لير تع فى وطن غيره فى غربته قال وانتبه معاوية من رقدة له فأنبه عمرو بن العاصى فقال له عمرو ما بقى من لذتك يا أمير المؤمنين قال عين خرارة فى أرض خوارة وعين ساهرة لعين نائمة فما بقى من لذتك يا أبا عبد الله قال أن أبيت معرسا بعقيلة من عقائل العرب ثم نبهاورد ان فقال له

معاوية ما بقي من لذتك فقال الافضال على الاخوان فقال له معاوية اسكت فأنا أحق بها منك فقال له قد أمكنك فافعل ويروى ان عمرا لما سئل قال أن أستتم بناء مدينتي بمصر وانه وردان لما سئل قال أن ألقى كريما فادرا في عقب احسان كان مني اليه وانه معاوية سئل عن الباقي من لذته فقال محادثة الرجال ويروى عن عبد الملك أنه قال وقد سئل عن الباقي من لذته فقال محادثة الاخوان في الليالي القمر على الكثبان العفر وقال سليمان بن عبد الملك قد أكلنا الطيب ولبسنا اللين وركبنا الفاره وامتطينا العذراء فلم يبق من لذتي الا صديق أطرح بيني وبينه مؤنة التحفظ وقال رجل لرجل من قريش اني والله ما أمل الحديث قال انما يمل العتيق وقال المهلب بن أبي صفرة العيش كله في الجليس الممتع وقال معاوية الدنيا بحذافيرها الخفض والدعة وقال يزيد بن المهلب ما يسرني اني كفيت أمر الدنيا كله قيل له ولم أيها الامير قال أكره عادة العجز ويروى عن بعض الصالحين أنه قال لو أنزل الله كتابا انه معذب رجلا واحدا لخفت أن أكونه أو أنه راحم رجلا واحدا لرجوت أن أكونه ولو علمت أنه معذبي لا محالة ما ازددت الا اجتهادا لئلا أرجع على نفسي بلائمة ويروى أن عمر بن عبد العزيز كان يدخل اليه سالم مولى بني مخزوم وقالوا ابل زياد وكان عمر أراد شراءه وعتقه فأعتقه مواليه وكان عمر يسميه أخي في الله فكان اذا دخل وعمر في صدر مجلسه تنحى عن الصدر فيقال له في ذلك فيقول اذا دخل عليك من لا ترى لك عليه فضلا فلا تأخذ عليه شرف المجلس وهم السراج ليلة بأن يخمد فوثب اليه رجاء بن حيوة ليصلحه فأقسم عليه عمر فجلس ثم قام عمر فأصلحه فقال له رجاء أتقوم يا أمير المؤمنين قال قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا ترفعوني فوق قدري فتقولوا في ما قالت النصارى في المسيح فان الله اتخذني عبدا قبل أن يتخذني رسولا ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مرضته التي مات فيها فقال ألا توصي

يا أمير المؤمنين فقال فيم أوصي فوالله ان لي من مال فقال هذه مائة ألف فرقها بما أحببت فقال أو تقبل قال نعم قال ترد على من أخذت منه ظلما فبكى مسلمة ثم قال يرحمك الله لقد ألنت منا قلوبا قاسية وأبقيت لنا في الصالحين ذكرا وقيل لعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم انك من أبر الناس بأمك ولسنا نراك تأكل مع أمك في صحفة فقال أخاف أن تسبق يدي الى ما قد سبقت عينها اليه فأكون قد عققتها وقيل لعمر بن ذر حيث نظر الى تعزيه عن ابنه كيف كان بره بك فقال ما مشيت بنهار معه قط الا مشى خلفي ولا بليل الا مشى أمامي ولا رقى سطحا وأنا تحته وقال أبو المخش كانت لي تجلس معي على المائدة فتبرز كفا كأنها طلعة في ذراع كأنها جمارة فلا تقع عينها على أكلة نفيسة الا خصتني بها فزوجتها وصار يجلس معي على المائدة ابن لي فيبرز كفا كأنها كرنافة في ذراع كأنها كربة فوالله ان تسبق عيني الى لقمة طيبة الا سبقت يده اليها وقال الاصمعي قيل لابي المخش أما كان لك ابن فقال المخش وما كان المخش كان والله أشدق خرطمانيا اذا تكلم سال لعابه كأنما ينظر من قلتين وكأن ترقوته بوان أو خالفة وكأن مشاش منكبيه كركرة جمل فقأ الله عيني هاتين ان كنت رأيت بهما أحسن منه قبله ولا بعده قوله بوان أو خالفة فهما عمودان من عمد البيت البوان في مقدمه والخالفة في مؤخره والكرنافة طرف الكربة العريض الذي يتصل بالنخلة كأنه كتف حدثني بهذا الحديث العباس بن الفرج الرياشي عن الاصمعي وحدثني عمن حدثه قال مر بنا أعرابي ينشد ابناله فقلنا صفه فقال دنينير قلنا لم نره فلم نلبث ان جاء يحمل على عنقه فقلنا لو سألت عن هذا الارشد نالك ما زال منذ اليوم بين أيدينا وأنشدني منشد وأنشدني الرياشي أحد البيتين

نعم ضجيع الفتى اذا برد الـ * ـليل سحيرا وقرقف الصرد
زينها الله في الفؤاد كما * زين في عين والد ولد

وقالت أم ثواب الهزانية من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار تعني ابنها

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه * أم الطعام ترى في ريشه زغبا

حتى اذا آض كالفحال شذبه * أباره ونفى عن متنه الكربا

أنشا يخرق أثوابي ويضربني * أبعد ستين عندي تبتغي الأدبا

اني لأبصر في ترجيل لمته * وخط لحيته في وجهه عجبا

قالت له عرسه يوما لتسمعني * رفقا فان لنا في أمنا أربا

ولو رأتني في نار مسعرة * من الجحيم لزادت فوقها حطبا

قولها أباره فهو الذي يصلحه يقال أبرت النخل وأبرته خفيفة اذا لقحته وروى أن مالك بن العجلان أو غيره من الأنصار كان يتحف أبا جبيلة الملك حيث نزل بهم بتمر من نخلة لهم شريفة فغاب يوما فقال أبو جبيلة ان مالكا كان يقوت علينا جنى هذه النخلة فجدوها فجاء مالك وقد جدت فقال من سعى على عذق الملك فجده فأعلموه أن الملك أمر بذلك فجاء حتى وقف عليه فقال

جدوت جنى نخلتي ظالما * وكان الثمار لمن قد أبر

فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أطرفوه بهذا الحديث فقال صلى الله عليه وسلم الثمر لمن أبر الا أن يشترطه المشتري والفحال فحل النخل ولا يقال لشيء من الفحول فحال غيره وأنشدني المازني

يطفن بفحال كأن ضبابه * بطون الموالي يوم عيد تغدت

وضبابه طلعه وآض عاد ورجع وقولها شذبه تقول قطع عنه الكرب والعثاكيل وكل مشذب مقطوع ويقال للرجل الطويل النحيف مشذب يشبه بالجذع المحذوف عنه الكرب وأصل التشذيب القطع وقال الفرزدق

عضت سيوف تميم حين أغضبها * رأس ابن عجل فأضحى رأسه شذبا

أراد عضّت سيوف تميم رأس ابن عجلى حين أغضبها وابن عجلى عبد الله بن خازم السلمي وأمه عجلى وكانت سوداء وهو أحد غربان العرب في الاسلام وسئل المهلب من أشجع الناس فقال عبّاد بن حصين وعمر بن عبيد الله بن معمر والمغيرة بن المهلب فقيل له فأين ابن الزبير وابن خازم وعمير بن الحباب فقال انما سئلت عن الانس ولم أسئل عن الجن

٢١- باب

روى شعبة عن واقد بن محمد عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد قال قالت عائشة رضي الله عنها من أرضى الله باسخاط الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن أرضى الناس باسخاط الله وكله الله الى الناس ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته وروى أن الحسن بن زيد لما ولي المدينة قال لابن هرمة اني لست كمن باع لك دينه رجاء مدح أو خوف ذم قد أفادني الله بولادة نبيه الممادح وجنبني المقابح وان من حقه على الا أغضي على تقصير في حقه وأنا أقسم بالله لئن أتيت بك سكران لأضربنك حدين حد الخمر وحد السكر ولأزيدن لموضع حرمتك بي فليكن تركك لها لله تعن عليه ولا تدعها للناس فتوكل اليهم فنهض ابن هرمة وهو يقول

نهاني ابن الرسول عن المدام * وأدبني بآداب الكرام

وقال لي اصطبر عنها ودعها * لخوف الله لا خوف الأنام

وكيف تصبري عنها وحبي * لها حب تمكن في عظامي

أرى طيب الحلال علي خبثاً * وطيب النفس في خبث الحرام

وقال الحسن لمطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي يا مطرف عظ أصحابك فقال مطرف اني أخاف أن أقول ما لا أفعل فقال الحسن يرحمك الله وأينا يفعل ما يقول لود الشيطان انه ظفر بهذه منكم فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر وقال مطرف بن عبد الله لابنه يا عبد الله العلم أفضل من العمل والحسنة بين السيئتين وشر السير الحقحقة قوله الحسنة بين

السيئتين يقول الحق بين فعل المقصر والغالي ومن كلامهم خير الامور أوساطها وقوله وشر السير الحقحقة وهو ان يستفرغ المسافر جهده ظهره فيقطعه فيهلك ظهره ولا يبلغ حاجته يقال حقحق السير اذا فعل ذلك وقال الراجز * وأنبت فعل السائر المحقحق * (فعل بالنصب الرواية الصحيحة لانه مصدر معنى) وحدثت أن الحسن لقي سابق الحاج وقد أسرع بفعل يومئ اليه باصبعه فعل الغازلة وهو يقول خرقا وجدت صوفا وهذا مثل من أمثال العرب يضربونه للرجل الاحمق الذي يجد مالا كثيرا فيعيث فيه وشبيه بهذا المثل قوله عبد وخلا في يديه ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة ربك فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى قوله متين المتين الشديد قال الله عز وجل وأملي لهم ان كيدي متين وقوله فأوغل فيه برفق يقول ادخل فيه هذا أصل الوغول ويقال مشتقا من هذا للرجل الذي يأتي شراب القوم من غير أن يدعى اليه واغل ومعناه أنه وغل في القوم وليس منهم قال امرؤ القيس

حلت لي الخمر وكنت امرأ * عن شربها في شغل شاغل

فاليوم أسقى غير مستحقب * اثما من الله ولا واغل

والمنبت مثل المحقحق واشتقاقه من الانقطاع يقال انبت فلان من فلان أي انقطع منه وبت الله ما بينهم أي قطع قال محمد بن نمير

تواعد للبين الخليط لينبتوا * وقالوا الراعي الذود موعدك السبت

وفي النفس حاجات اليهم كثيرة * وموعدها في السبت لو قد دنا الوقت

(روى الاخفش البيت الاخير وروى * الا قرب الحي الجمال لينبتوا *) وحدثت أن ابن السماك كان يقول اذا فعلت الحسنة فافرح بها واستقلها فانك اذا استقللتها زدت عليها واذا فرحت بها عدت اليها ويروى عن أويس القرني أنه قال ان حقوق الله لم تترك عند مسلم

درهما ودخل يزيد بن عمر بن هبيرة على أمير المؤمنين المنصور فقال يا أمير المؤمنين توسع توسعا قرشيا ولا تضق ضيقا حجازيا أو روى انه دخل عليه يوما فقال له المنصور حدثنا فقال يا أمير المؤمنين ان سلطانكم حديث وامارتكم جديدة فأذيقوا الناس حلاوة عدلها وجنبوهم مرارة جورها فوالله يا أمير المؤمنين لقد محضت لك النصيحة ثم نهض فنهض معه سبعمائة من قيس فأتأره المنصور بصره ثم قال لا يعز ملك يكون فيه مثل هذا قوله محضت لك النصيحة يقول أخلصت لك وأصل هذا من اللبن والمحض منه الخالص الذى لا يشوبه شئ وأنشد الاصمعي

امتحضا وسقياني ضيحا * وقد كفيت صاحبي الميحا

(الميح طلب الشئ ههنا وههنا) ويقال حسب محض وقوله أتأره بصره يقول أتبعه بصره وحدد اليه النظر وأنشد الاصمعي (وهو للكميت بن زيد)

مازلت أرمقهم والآل يرفعهم * حتى اسمدر بطرف العين اتآرى

ويروى عن أسماء بن خارجة أنه قال لا أشاتم رجلا ولا أرد سائلا فانما هو كريم أسد خلته أو لئيم أشترى عرضي منه ويروى عن الاحنف بن قيس أنه قال ماشاتمت رجلا مذ كنت رجلا ولا زحمت ركبتاى ركبتيه واذا لم أصل مجتدى حتى ينتح جبينه عرقا كما ينتح الحميت فوالله ما وصلته قوله مجتدى يريد الذى يأتيه يطلب فضله يقال اجتداه يجتديه واعتفاه يعتفيه واعتراه يعتريه واعتره يعتره وعراه يعروه اذا قصده يتعرض لنائله وأصل ذلك مأخوذ من الجدى مقصور وهو المطر العام النافع يقال أصابتنا مطرة كانت جدى على الارض فهذا الاسم فاذا أردت المصدر قلت فلان كثير الجداء ممدود كما تقول كثير الغناء عنك ممدود هذا المصدر فاذا أردت الاسم الذى هو خلاف الفقر قلت الغنى بكسر أوله وقصرت قال خفاف ابن ندبة يمدح أبا بكر الصديق رضي الله عنه

ليس لشيء غير تقوى جداء * وكل شيء عمره للفناء
ان أبا بكر هو الغيث اذ * لم تشمل الارض سحاب بماء
تالله لا يدرك أيامه * ذو طرة حاف ولا ذو حذاء
من يسع كي يدرك أيامه * يجتهد الشد بأرض فضاء

وهذا من طريف الشعر لانه ممدود فهو بالمد الذى فيه من عروض السريع الاولى و بيته في العروض أزمان سلمى لا يرى مثلها الـ * ـراؤن فى شام ولا فى عراق

ثم نرجع الى تأويل قول الاحنف قوله حتى ينتح جبينه عرقا فهو مثل الرشح وحدثنى أبو عثمان المازنى فى اسناد له ذكره قال قال رؤبة بن العجاج خرجت مع أبى تريد سلمان ابن عبد الملك فلما صرنا فى الطريق أهدى لنا جنب من لحم عليه كرافئ الشحم ونحريطة من كمأة و وطب من لبن فطبخنا هذا بهذا فما زالت ذفرياى تنتحان منه الى أن رجعت وقوله الحيت فالحيت والزق اسمان له واذا زفت أو كان مربوبا فهو الوطب واذا لم يكن مربوبا ولا مزفتا فهو سقاء ونحى والوطب يكون للبن والسمن والسقاء يكون للبن والماء قالت هند بنت عتبة لابى سفيان بن حرب لما رجع مسلما من عند النبى صلى الله عليه وسلم الى مكة فى ليلة الفتح فصاح يا معشر قريش ألا انى قد أسلمت فاسلموا فان محمدا قد أتاكم بما لا قبل لكم به فاخذت هند رأسه وقالت بئس طليعة القوم أنت والله ما خدشت خدشا يا أهل مكة عليكم الحيت الدسم فاقتلوه وأما قول رؤبة كرافئ الشحم يريد طبقات الشحم وأصل ذلك فى السحاب اذا ركب بعضه بعضا يقال له كرفئ والجميع كرافئ (قال أبو الحسن الاخفش واحد الكرافئ كرفئة وهاء التأنيث اذا جمعت جمع التكسير حذفت لانها زائدة بمنزلة اسم ضم الى اسم وأحسب ان أبا العباس لم يسمع الواحد من هذا فقاسه والعرب تجترئ على حذف هاء التأنيث اذا احتاجت الى ذلك وليس هذا موضع حاجة

اذ كانت قد استعملت الواحدة بالهاء ونظير هذا قولهم ما في السماء كِرْفِئَةٌ وما في السماء قَذَعْمِلَةٌ وقُذَعْمِيلَةٌ وما في السماء طُحْرُبَةٌ وطِحْرِبَةٌ وما في السماء قِرْطَعْبَةٌ وما في السماء كَنَهْوَرَةٌ وهي القطعة من السحاب العظيمة كالجبل وما أشبهه)

٢٢ - باب

قال أبو العباس قال حسّان بن ثابت يهجو مُسافع بن عياض التيمي من تيم بن مرة بن كعب ابن لؤي رهط أبي بكر الصديق رضي الله عنه

لو كنتَ من هاشمٍ أو من بني أسدٍ * أو عبدِ شمسٍ أو اصحابِ اللوا الصِيدِ
أو من بني نوفلٍ أو رهطِ مُطّلبٍ * لله درّك لم تهمم بتهديدي
أو في الذؤابة من قومٍ ذوي حسبٍ * لم تُصبح اليوم نِكسًا ثانيَ الجيد
أو من بني زُهرةَ الأخيار قد علموا * أو من بني جُمَحَ البيضِ المناجيد
أو في السَّرارة من تيمٍ رضيتُ بهم * أو من بني خلفِ الخُضْرِ الجلاعيد
يا آلَ تيمٍ ألا تنهوا سفيهكمُ * قبلَ القِذافِ بقولٍ كالجلاميد
لولا الرسولُ فإني لستُ عاصيَه * حتى يغيّبني في الرمس مَلحودي
وصاحبُ الغار إني سوف أحفظُه * وطلحةُ بن عبيد الله ذي الجود
لقد رُميتَ بها شنعاءَ فاضحةً * يظلُّ منها صحيحُ القوم كالمُودي

قوله لو كنت من هاشم يريد هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة والنضر أبو قريش ومن كان من بني كنانة لم يلده النضر فليس بقرشي وبنو أسد بن عبد العزى بن قصي وعبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأصحاب اللواء بنو عبد الدار بن قصي واللواء ممدود واذا أردت به لواء الامير ولكنه احتاج اليه فقصره وقد بيّنّا جواز ذلك فاما اللوى من الرمل فمقصور قال امرؤ

القيس * بسقط اللوى بين الدخول فحومل * كذا رويه الاصمعى وهذه أصح الروايات وقوله أو من بنى نوفل فهو نوفل بن عبد مناف بن قصى والمطلب الذى ذكره هو ابن عبد مناف بن قصى وقوله لم تصبح اليوم نكسا فالنكس الدنىء المقصر ويقول بعضهم ان أصل ذلك فى السهام وذلك ان السهم اذا ارتدع أونالته آفة نكس فى الكنانة ليعرف من غيره قال الحطيئة

قد ناضلوك فابدوا من كنانتهم * مجدا تليدا ونبلا غير أنكاس

قوله مجدا تليدا قالوا نواصى الفرسان الذين كان عسن عليهم وقوله ثانى الجيد قد مر تفسيره فى قول الله عز وجل ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله وقوله أو من بنى زهرة فهو زهرة ابن كلاب بن مرة ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلقت من خير حيين من هاشم وزهرة وبنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى وقوله الماجيد مفاعيل من من التمجدة والواحد مجاد وانما يقال ذلك فى تكثير الفعل كما تقول رجل مطعان بالرمح ومطعام للطعام وقوله أو فى السرارة من تيم رضيت بهم يقول فى الصميم منهم والموضع المرضى وأصل ذلك فى التربة تقول العرب اذا غرست فاغرس فى سرارة الوادى ويقال فلان فى سر قومه والسرة مثل ذلك قال القرشى

هلا سألت عن الذين تبطحوا * كرم البطاح وخير سرة واد
وعن الذين أبوا فلم يستكرهوا * أن ينزلوا الوجات من أجياد
يخبرك أهل العلم أن بيوتنا * منها بخير مضارب الاوتاد

وقوله أو من بنى خلف الخضر فانه حذف التنوين لالتقاء الساكنين وليس بالوجه وانما يحذف من الحروف لالتقاء الساكنين حروف المد واللين وهى الالف المفتوح ماقبلها والياء المكسور ماقبلها والواو المضموم ماقبلها نحو قولك هذا قفا الرجل وقاضى الرجل

ويغزو القومُ فاما التنوين فجاز هذا فيه لانه نون في اللفظ والنون تُدغَمُ في الياء والواو وتزاد كما تزاد حروف المدّ واللين ويُبدَلُ بعضها من بعض فتقول رأيتُ زيدًا فتُبدِلُ الالف من التنوين وتقول في النسب الى صنعاء وبهراءَ صنعانيٌّ وبهرانيٌّ فتُبدِلُ النونَ من ألف التأنيث وهذه جملةٌ وتفسيرها كثير فلذلك حذفته ومثل هذا من الشعر

عمرُو الذى هشم الثريدَ لقومه * ورجالُ مكةَ مُسنتون عجاف

(صوابه عَمرُو العُلى) وقال آخر

حُميدُ الذى أَمَجٌ دارُه * أخوا الخمرِ ذوا الشيبةِ الاصلعُ

وقرأ بعض القُرّاء قل هو الله أحدُ الله الصمدُ وسمعت عُمارةَ بن عقيل يقرأ ولا الليلُ سابقُ النهارَ وكلٌّ في فلكٍ يسبحون فقلتُ ما تريد فقال سابقُ النهارِ وقوله أو اصحاب اللوا خفّف الهمزةَ وتُخفَّفُ اذا كان قبلها ساكنٌ فتُطرَحُ حركتها على الساكن وتُحذَفُ كقولك منَ اولكَ وقوله عز وجل الذى يُخرِجُ الخبَ في السموات والارض وخلفُ الذى ذكره من بنى جُمَح بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لُؤَيّ وقوله الخُضْرِ الجلاعيد يقال فيه قولان أحدهما أنه يريد سوادَ جلودهم كما قال الفضلُ بن العبّاسِ بن عُتبةَ بن أبى لهب

وأنا الاخضرُ من يعرفنى * أخضرُ الجلدةِ في بيت العرب

فهذا هو القول الاول وقال آخرون شبههم في جُودهم بالبحور وقوله الجلاعيد يريد الشِّدادَ الصلابَ واحدهم جَلْعَدٌ وزاد الياء للحاجة وهذا جمع يجيء كثيرًا وذلك أنه موضع تلزمه الكسرةُ فتُشبَعُ فتصير ياء يقال في خاتَمٍ خواتيمُ وفي دانقٍ دوانيقُ وفي طابَقٍ طوابيقُ قال الفرزدقُ

تنفى يداها الحصى في كلّ هاجرةٍ * نفىَ الدراهيمِ تنقادُ الصياريفِ

وقوله قبل القِذاف يريد المُقاذَفةَ وهذه تكون من اثنين فما فوقهما نحو المُقاتَلة والمُشاتَمة فباب فاعلتُ انما هو للاثنين فصاعدًا نحو قاتلتُ وضاربتُ وقد تكون الالف زائدةً في

فاعلتُ فبُنى للواحد كما زيدت الهمزة أولاً فى أفعلتُ فسكون للواحد نحو عاقبتُ اللّص وعافاه الله ورافقتُ نعلى وقوله وصاحب الغار يعنى أبا بكر رضى الله عنه لمصاحبته النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الغار وهذا مشهور لا يحتاج الى تفسير وطلحة بن عبيد الله ذو الجود نسبه الى الجود لانه كان من أجود قريش وحدّثنى التَوَّزىّ قال كان يقال لطلحة بن عبيد الله طلحة الطلحات وطلحة الخير وطلحة الجود وذكر التوّزىّ عن الاصمعى أنه باع ضيعة له بخمسة عشر ألف درهم فقسمها فى الاطباق وفى بعض الحديث انه منعه أن يخرج الى المسجد أن لفق له بين ثوبين وحدثنى العُتبى فى اسناد ذكره قال دعا طلحة بن عبيد الله أبا بكر وعمر وعثمان رحمة الله عليهم فابطأ عنه الغلام بشئ أراده فقال طلحة يا غلام فقال الغلام لبيك فقال طلحة لا لبيك فقال أبو بكر ما يسرّنى أنى قلتها وأن لى الدنيا وما فيها وقال عمر ما يسرّنى أنى قلتها وأن لى نصف الدنيا وقال عثمان ما يسرّنى أنى قلتها وأن لى حمر النعم قال وصمت عليها أبو محمد فلما خرجوا من عنده باع ضيعة بخمسة عشر ألف درهم فتصدق بثمنها وقوله يظل منها صحيح القوم كالمودى فالمودى فى هذا الموضع الهالك وللمودى موضع آخر يكون فيه القوىّ الجادّ حدّثنى بذلك التوّزىّ فى كتاب الاضداد وأنشدنى

* مُودون يحمون السبيل السابلا * (المُؤدى بالهمز التامّ الأداة والسلاح وبغير الهمز الهالك) وقال رجل من العرب

خليلىّ عوجا بارك الله فيكما * على قبر أهبان سقته الرواعد

فذاك الفتى كلّ الفتى كان بينه * وبين المزجّى نفنف متباعد

اذا نازع القوم الاحاديث لم يكن * عيبًّا ولا عبئًا على من يقاعد

قوله على قبر أهبان فهذا اسم علم كزيد وعمرو واشتقاقه من وهب يهب وهمز الواو لانضمامها كقوله تعالى واذا الرسل أقتت فهو فعلت من الوقت وقد مضى تفسير همز الواو اذا

انصرفت وهو لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة وكل شئ لا ينصرف فصرفه فى الشعر جائز لان أصله كان الصرف فلما احتيج اليه رد الى أصله فهذا قول البصريين وزعم قوم ان كل شئ لا ينصرف فصرفه فى الشعر جائز الا أفعل الذى معه منك نحو أفضل منك وأكرم منك وزعم الخليل وعليه أصحابه أن هذا اذا كانت معه منك بمنزلة أحمر لانه انما كمل أن يكون نعتا بمنك وأحمر لا يحتاج اليها فهو مع منك بمنزلة أحمر وحده قال والدليل على أن منك ليست بمانعته من الصرف أنه اذا زال عن بناء أفعل انصرف نحو قولك مررت بخير منك وشر منك فلو كانت منك هى المانعة لمنعت ههنا فهذا قول بين جدا وقوله المزجى فهو الضعيف يقال زجى فلان حاجتى أى خف عليه تعجيلها والمزجاة من البضائع اليسيرة الخفيفة المحمل والنفنف وجمعه النفانف كل ما كان بين شيئين عال ومنخفض قال ذو الرمة

(ترى قرطها فى واضح الليت مشرفا * على هلك) فى نفنف يتطوح

وقوله ولا عبئا على من يقاعد فالعبء الثقل يقال حمل عبئا ثقيلا وكده بقوله ثقيلا ولو لم يقله لم يحتج اليه وقال آخر يذكر ابنه

ألا يا سمية شبى الوقودا * لعل الليالى تؤدى يزيدا

فنفسى فداؤك من غائب * اذا ما المسارح كانت جليدا

كفانى الذى كنت أسعى له * فصار أبالى وصرت الوليدا

قوله شبى يقال شببت النار والحرب اذا أوقدتهما يقال شب يشب شبا قال الأعشى

تشب لمقرورين يصطليانها * وبات على النار الندى والمحلق

وقوله اذا ما المسارح كانت جليدا فالمسارح الطرق التى يسرحون فيها واحدها مسرح والجليد يقع من السماء وهو ندى فيه جمود فتبيض له الأرض وهو دون الثلج يقال له الجليد والضريب والسقيط والصقيع وقالوا فى قوله * رجلا عقاب يوم دجن تضرب * أى

يصيبها الضريب وقوله وكنت الوليد انا الوليد الصغير وجمعه ولدان وهو في القرآن (قوله عز وجل يطوف عليهم ولدان مخلدون) ونظير وليد وولدان ظليم وظلمان وقضيب وقضبان وباب فعال فعلان نحو عقبان وذبان وغربان وقوله أمر لا يناديى وليده يقال فيه قولان متقاربان فأحدهما انه لا يدعى له الصغار والوجه الآخر لأصحاب المعاني يقولون ليس فيه وليد فيدعى ونظير ذلك قول النابغة الجعدي

سبقت صياح فراريجها * وصوت نواقيس لم تضرب

أي ليست ثم ولكن هذا من أوقاتها وقالت أخت طرفة بن العبد

عددنا له ستا وعشرين حجة * فلما توفاها استوى سيدا ضخما

فجعنا به لما رجونا ايابه * على خير حال لا وليدا ولا قحما

الوليد ما ذكرنا والقحم الرجل المتناهي سنا ويقال ذلك في البعير قحم وقحر ومقلحم ويقال للبعير خاصة قحارية بوزن قراسية وأنشد الاصمعي

رأين قحما شاب واقلحما * طال عليه الدهر فاسلهما

المسلهم الضامر وقال آخر لابنه يرثيه

ومن عجب أن بت مستشعر الثرى * وبت بما زودتني متمتعا

ولو أنني أنصفتك الود لم أبت * خلافك حتى ننطوي في الثرى معا

وقال ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن يرثي أخاه محمدا

أبا المنازل يا عبر الفوارس من * يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا

الله يعلم أني لو خشيتهم * أو آنس القلب من خوف لهم فزعا

لم يقتلوك ولم أسلم أخي لهم * حتى نعيش جميعا أو نموت معا

قوله يا عبر الفوارس يصفه بالقوة منهم وعليهم كما يقال ناقة عبر الهواجر وعبر السرى وقوله

أو آنس القلب من خوف لهم فزعا يقول أحس وأصل الايناس في العين يقال آنست شخصا أي أبصرته من بعد وفي كتاب الله عز وجل آنس من جانب الطور نارا وقال متمم ابن نويرة (يرثي أخاه)

وقالوا أتبكي كل قبر رأيته * لميت ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت لهم ان الأسى يبعث البكى * ذروني فهذا كله قبر مالك

الأسى الحزن وقد مر تفسيره وقال علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رحمه الله

أبي العباس قرم بني قصي * وأخوالي الملوك بنو وليعه

هم منعوا ذماري يوم جاءت * كتائب مسرف وبنو اللكيعه

أرادوا بي التي لا عز فيها * فحالت دونه أيد منيعه

قوله بنو وليعه فهم أخواله من كندة وأمه زرعة بنت مشرح الكندية ثم أحد بني وليعة وقوله كتائب مسرف يعني مسلم بن عقبة المري صاحب الحرة وأهل الحجاز يسمونه مسرفا وكان أراد أهل المدينة جميعا على أن يبايعوا يزيد بن معاوية على أن كل واحد منهم عبد قن له الا علي بن الحسين فقال حصين بن نمير السكوني من كندة ولا يبايع ابن أختنا علي بن عبد الله الا على ما يبايع عليه علي بن الحسين على أنه ابن عم أمير المؤمنين والا فالحرب بيننا فأعفي علي بن عبد الله وقبل منه ما أراد فقال هذا الشعر لذلك وقوله بنو اللكيعه فهي اللئيمة ويقال في النداء للئيم يا لكع وللأنثى يا لكاع لانه موضع معرفة كما يقال يا فسق ويا خبيث فان لم ترد أن تعدله عن جهته قلت للرجل يا ألكع وللأنثى يا لكعاء وهذا موضع لا تقع فيه النكرة وقد جاء في الحديث والاصل ما ذكرت لك لا تقوم الساعة حتى يلي أمور الناس لكع بن لكع فهذا كناية عن اللئيم بن اللئيم وهذا بمنزلة عمر ينصرف في النكرة ولا

ينصرف في المعرفة ولكاع يبنى على الكسر وسنشرح باب فعال للمؤنث على وجوهه الخمسة عند أول ما يجري من ذكره ان شاء الله وقد اضطر الحطيئة فذكر لكاع في غير النداء فقال يهجو امرأته

أطوف ما أطوف ثم آوي * الى بيت قعيدته لكاع

قعيدة البيت ربة البيت وانما قيل قعيدة لقعودها وملازمتها ويقال للفرس قعدة من هذا وهو الذي يرتبطه صاحبه فلا يفارقه قال الجعفي

لكن قعيدة بيتنا محفوة * باد جناجن صدرها ولها غنا

الجناجن ما ظهر عند الهزال من أطراف ضلع الصدر واحدها جنجن وقال هشام أخو ذي الرمة

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده * عزاء وجفن العين بالماء مترع

ولم تنسني أوفى المصيبات بعده * ولكن نكء القرح بالقرح أوجع

غيلان هو ذو الرمة وكان هشام من عقلاء الرجال حدثني العباس بن الفرج في اسناد ذكره يعزوه الى رجل أراد سفرا فقال قال لي هشام بن عقبة ان لكل رفقة كلبا يشركهم في فضلة الزاد ويهر دونهم فان قدرت ألا تكون كلب الرفقة فافعل واياك وتأخير الصلاة عن وقتها فانك مصليها لا محالة فصلها وهي تقبل منك وقال حسان بن ثابت الانصاري

تقول شعثاء لو صحوت عن الـ * ـكأس لأصبحت مثري العدد

(هي امرأته وهو اسمها)

أهوى حديث الندمان في فلق الـ * ـصبح وصوت المسامر الغرد

لا أخدش الخدش بالجليس ولا * يخشى نديمي اذا انتشيت يدي

يأبى لي السيف واللسان وقو * م لم يضاموا كلبدة الاسد

لبدة الاسد ما تطارق من شعره بين كتفيه ويقال أسد ذو لبدة وذو لبد وحدثني عمارة قال مرض جرير مرضة شديدة فعاده قيس فقال

تفسي الفداء لقوم زينوا حسبي * وان مرضت فهم أهلي وعوادي
لو خفت ليثاً أبا شبلين ذا لبد * ما أسلموني لليث الغابة العادي
ان تجر طير بأمر فيه عافية * أو بالرحيل فقد أحسنتم زادي

وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام وهو يهاجي عبد الرحمن بن الحكم ابن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس

فأما قولك الخلفاء منا * فهم منعوا وريدك من وداج
ولولاهم لكنت كحوت بحر * هوى في مظلم الغمرات داجي
وكنت أذلّ من وتد بقاع * يشجج رأسه بالفهر واجي

فكتب معاوية الى مروان أن يؤدبهما وكانا قد تقاذفا فضرب عبد الرحمن بن حسان ثمانين وضرب أخاه عشرين فقيل لعبد الرحمن بن حسان قد أمكنك في مروان ما تريد فأشد بذكره وارفعه الى معاوية فقال اذاً والله لا أفعل وقد حدني كما تحد الرجال الاحرار وجعل أخاه كنصف عبد فأوجعه بهذا القول ويروى أن عبد الرحمن بن حسان لسعه زنبور فجاء أباه يبكي فقال له مالك فقال لسعني طائر كأنه ملتف في بردي حبرة قال قلت والله الشعر ويروى أن معلماً عاقب الصبيان على ذنب وأراد معاقبته فقال

الله يعلم أني كنت منتبذاً * في دار حسان أصطاد اليعاسيبا

وأعرق قوم كانوا في الشعر آل حسان فانهم يعدون ستة في نسق كلهم شاعر وهم سعيد ابن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام وبعد هؤلاء في الوقت آل أبي حفصة فانهم أهل بيت كلهم شاعر يتوارثونه كابراً عن كابر ويروى أن ابنة لابن الرقاع وقف بباب

أيها قوم يسألون عنه فقالت ما تريدون اليه فقالوا جئنا نهاجيه فقالت وهي صبية

تجمعتم من كل أوب ووجهة * على واحد لازلتم قرن واحد

فهذه بلغت بطبعها على صغرها مبلغ الأعشى في قلب هذا المعنى حيث يقول لهوذة بن علي

يرى جمع ما دون الثلاثين قصرة * ويعدو على جمع الثلاثين واحدا

٢٣ - باب

قال أبو العباس قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه علموا أولادكم العوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا ورووهم ما يجمل من الشعر وفي حديث آخر وخير الخلق للمرأة المغزل ويروى عن الشعبي أنه قال قال عبد الله بن العباس قال لي أبي يا بني اني أرى أمير المؤمنين قد اختصك دون من ترى من المهاجرين والانصار فاحفظ عني ثلاثا لا يجربن عليك كذبا ولا تغتب عنده مسلما ولا تفشين له سرا قال فقلت له يا أبه كل واحدة منها خير من ألف فقال كل واحدة منها خير من عشرة آلاف وحدثني العباس بن الفرج في اسناد ذكره قال نظر الى عمرو بن العاصي على بغلة قد شمط وجهها هرما فقيل له أتركب هذه وأنت على أكرم ناخرة بمصر فقال لا ملل عندي لدابتي ما حملت رحلتي ولا لامرأتي ما أحسنت عشرتي ولا لصديقي ما حفظ سري ان الملل من كواذب الاخلاق قوله على أكرم ناخرة يريد الخيل يقال للواحد ناخر وقيل ناخرة يراد جماعة كما تقول رجل بغال وحمار والجماعة البغالة والحمارة وكذلك تقول أتتني عصبة نبيلة وقبيلة شريفة والواحد نبيل وشريف وشاور معاوية عمرا في أمر عبد الله بن هاشم بن عتبة بن مالك بن أبي وقاص وكان هاشم بن عتبة أحد فرسان علي رضي الله عنه (وهو المرقال) فأتي بابنه معاوية فشاور عمرا فيه فقال أرى أن تقتله فقال له معاوية اني لم أر في العفو الا خيرا فمضى عمرو مغضبا وكتب اليه

أمرتك أمرا حازما فعصيتني * وكان من التوفيق قتل ابن هاشم

أليس أبوه يا معاوية الذي * أعان علينا يوم حز الغلاصم
فقتلنا حتى جرى من دمائنا * بصفين أمثال البحور الخضارم
وهذا ابنه والمرء يشبه عيصه * ويوشك أن تلقى به جد نادم

فبعث معاوية بابياته الى عبد الله بن هاشم فكتب اليه عبد الله بن هاشم

معاوي ان المرء عمرا أبت له * ضغينة صدر غشها غير نائم
يرى لك قتلى يا ابن هند وانما * ترى ما يرى عمرو ملوك الاعاجم
على أنهم لا يقتلون أسيرهم * اذا كان منه بيعة للمسالم
فان تعف عني تعف عن ذي قرابة * وان ترقتلي تستحل محارمي

فصفح عنه وقال عمرو لعائشة رحمها الله لوددت أنك كنت قتلت يوم الجمل فقالت ولم لا أبا لك فقال كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة ونجعلك أكبر التشنيع على علي وحدثني العباس ابن الفرج الرياشي في اسناد ذكره آخره ابن عباس قال دخلت على عمرو بن العاصي وقد احتضر فدخل عليه عبد الله بن عمرو فقال له يا عبد الله خذ ذلك الصندوق فقال لا حاجة لي فيه قال انه مملوء مالا قال لا حاجة لي به فقال عمرو ليته مملوء بعرا قال فقلت يا أبا عبد الله انك كنت تقول أشتهي أن أرى عاقلا يموت حتى أسأله كيف يجد فكيف تجدك قال أجد السماء كأنها مطبقة على الارض وأنا بينهما وأراني كأنما أتنفس من خرت ابرة ثم قال اللهم خذ مني حتى ترضى ثم رفع يديه فقال اللهم أمرت فعصينا ونهيت فركبنا فلا برئ فأعتذر ولا قوي فأنتصر ولكن لا اله الا الله ثلاثا ثم فاظ وقد روينا هذا الخبر من غير ناحية الرياشي بأتم من هذا ولكن اقتصرنا على هذا الثقة اسناده قوله من خرت ابرة يعني من ثقب ابرة يقال للدليل خريت وزعم الاصمعي أنه أريد به أنه يهتدي لمثل خرت الابرة وقوله فاظ أي مات يقال فاظ وفاد وفطس وفاز وفوز كل ذلك في معنى الموت ولا يقال فاض بالضاد الا للاناء

قال رؤبة * لا يدفنون منهم من فاظا * وقال ابن جريج * أما رأيت الميت حين فوظه * ومن قال ذلك للنفس قال فاضت نفسه شبهها بالاناء وحدثني أبو عثمان المازني أحسبه عن أبي زيد قال كل العرب يقولون فاضت نفسه الا بني ضبة فانهم يقولون فاظت نفسه وانما الكلام الصحيح فاظ بالظاء اذا مات وفي الحديث ان امرأة سلام بن أبي الحقيق قالت فاظ واله يهود وحدثني مسعود بن بشر قال قال زياد الامرة تذهب الحفيظة وقد كانت من قوم الي هنات جعلتها تحت قدمي ودبر أذني فلو بلغني أن أحدكم قد أخذه السل من بغضي ما هتكت له سترا ولا كشفت له قناعا حتى يبدي لي عن صفحته فاذا فعل لم أناظره وسمع زياد رجلا يسب الزمان فقال لو كان يدري ما الزمان لضربت عنقه ان الزمان هو السلطان وفي عهد أزدشير وقد قال الاولون منا عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان وقال المهلب ابن أبي صفرة لبنيه اذا وليتم فلينوا للمحسن واشتدوا على المريب فان الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن قوله يزع أي يكف يقال وزع يزع اذا كف وكان أصله يوزع مثل يعد فذهبت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة واتبعت حروف المضارعة الياء لئلا يختلف الباب وهي الهمزة والنون والتاء والياء نحو أعد ونعد وتعد ويعد ولكن انفتحت في يزع من أجل العين لان حروف الحلق اذا كن في موضع عين الفعل أو لامه فتحن في الفعل الذي ماضيه فعل وان وقعت الواو مما هي فيه فاء في يفعل المفتوحة العين في الاصل صح الفعل نحو وحل يوحل ووجل يوجل ويجوز في هذه المفتوحة ياحل وياجل ويحل وييجل وكل هذا كراهية للواو بعد الياء تقول وزعته كففته وأوزعته حملته على ركوب الشيء وهيأته له وهو من الله عز وجل توفيق ويقال أوزعك الله شكره أي وفقك الله لذلك وقال الحسن مرة ما حاجة هؤلاء السلاطين الى الشرط فلما ولي القضاء كثر عليه الناس فقال لا بد للناس من وزعة

وخطب الحجاج بن يوسف ذات يوم يوم جمعة فلما توسط كلامه سمع تكبيرا عاليا من ناحية السوق فقطع خطبته التى كان فيها ثم قال يا أهل العراق ويا أهل الشقاق و يا أهل النفاق ومساوى الاخلاق يابنى اللكيعة وعبيد العصا وأولاد الاماء انى لاسمع تكبيرا ما يراد الله به انما يراد به الشيطان وان مثلى ومثلكم قول ابن براقة الهمدانى

وكنت اذا قوم رمونى رميتهم * فهل أنا فى ذا يال همدان ظالم

متى تجمع القلب الذكى وصارما * وأنفا حميا تجتنبك المظالم

ثم نزل فصلى بهم قوله يا أهل الشقاق فالمشاقة المعاداة وأصله أن يركب ما يشق عليه و يركب منه مثل ذلك والنفاق أن يسر خلاف ما يبدى هذا أصله وانما أخذ من النافقاء وهو أحد أبواب جحرة اليربوع وذلك انه أخفاها فانما يظهر من غيره ولجحره أربعة أبواب النافقاء والراهطاء والداماء والسابياء وكلها ممدودة و يقال للسابياء القاصعاء وانما قيل له السابياء لانه لا ينفذه فيبقى بينه و بين انفاذه هنة من الارض رقيقة وأخذ من سابياء الولد وهى الجلدة الرقيقة التى يخرج فيها الولد من بطن أمه قال الاخطل يضرب ذلك مثلا ليربوع بن حنظلة لانه سمى باليربوع

تسد القاصعاء عليك حتى * تنفق أو تموت بها هزالا

والعرب تزعم انه ليس من ضب الا وفى جحره عقرب فهو لا يأكل ولد العقرب وهى لا تضربه فهى مسالمة له وهو مسالم لها وأنشد

وأخدع من ضب اذا خاف حارشا * أعد له عند الذنابة عقربا

(كلها بالمد و يقال بالقصر و يقال أيضا فيها على وزن فعلة نفقة و رهطة ودممة وقصعة وحكى ابن القوطية فى المقصور والممدود له الرهطاء كالراهطاء والنفقاء كالنافقاء والقصعاء كالقاصعاء وحكى أيضا زيادة فقال العانقاء جحر الارنب واليربوع والغابياء أيضا من جحرة

اليربوع وأما قول أبي العباس في السابياء فهو مما قد رد عليه فيه وقد تبعه ابن ولاد وكلاهما غير مصيب وانما السابياء وعاء فيه ماء صاف يخرج مع الولد وهو القىء وليس يخرج الولد فيه وقال الكميت

وفقأ فيها الغيث من سابيائه * دوالح وافقن النجوم البواجسا

فشبه ماء الغيث بماء السابياء وانما الجلدة التي يكون فيها الولد الغرس وقد تبع ابن القوطية أبا العباس في السابياء في أنه من أسماء جحرة اليربوع وذلك غلط) وقوله بنو اللكيعة يريد اللئيمة وقد مر تفسير هذا في موضعه قال ابن قيس الرقيات يذكر قتل مصعب بن الزبير

ان الرزية يوم مسكن والمصيبة والفجيعه

بابن الحوارى الذى * لم يعده أهل الوقيعه

غدرت به مضر العرا * ق وأمكنت منه ربيعه

فأصبت وترك يا ربيع * وكنت سامعة مطيعه

يالهف لو كانت له * بالطف يوم الطف شيعه

أولم يخونوا عهده * أهل العراق بنو اللكيعه

لوجدتموه حين يغضب لا يعرج بالمضيعه

وقوله عبيد العصا يريد انهم لا ينقادون الا بالاذلال كما قال ابن مفرغ الحميرى

العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامه

وقال جرير يهجو التيم

ألا انما تيم لعمرو ومالك * عبيد العصا لم يرج عتقا قطينها

وخطب الناس عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بالمربد عند ظهور أمر الحجاج عليه فقال أيها الناس انه لم يبق من عدوكم الا كما يبقى من ذنب الوزغة تضرب به يمينا وشمالا فلا تلبث

أن تموت فسمعه رجل من بنى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فقال قبح الله هذا يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ويعدهم الغرور وروت الرواة ان الحجاج لما أخذ رأس ابن الاشعث وجه به الى عبد الملك بن مروان مع عرار بن عمرو بن شأس الاسدى وكان أسود دميما فلما ورد به عليه جعل عبد الملك لا يسأل عن شئ من أمر الوقيعة الا أنبأه به عرار فى أصح لفظ وأشبع قول وأجزأ اختصار فشفاه من الخبر وملأ أذنه صوابا وعبد الملك لا يعرفه وقد اقتحمته عينه حيث رآه فقال عبد الملك متمثلا

أرادت عرارا بالهوان ومن يرد * لعمرى عرارا بالهوان فقد ظلم

وان عرارا ان يكن غير واضح * فانى أحب الجون ذا المنكب العمم

فقال له عرار أتعرفنى يا أمير المؤمنين قال لا قال فانا والله عرار فزاده فى سروره وأضعف له الجائزة وكتب صاحب اليمن الى عبد الملك بن مروان فى وقت محاربته ابن الاشعث انى قد وجهت الى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم ولم ير مثلها قط فلما دخل بها عليه رأى وجها جميلا وخلقا نبيلا فالقى اليها قضيبا كان فى يده فنكست لتأخذه فرأى منها جسما بهره فلما هم بها أعلمه الآذن أن رسول الحجاج بالباب فأذن له ونحى الجارية فأعطاه كتابا من عبد الرحمن فيه سطور أربعة يقول فيها

سائل مجاور جرم هل جنيت لها * حربا تزيل بين الجيرة الخلط

وهل سموت بجرار له لجب * جم الصواهل بين الجم والفرط

وهل تركت نساء الحى ضاحية * فى ساحة الدار يستوقدن بالغبط

وتحتها (بيت آخر على غير الروى من الابيات الاول وهو)

قتل الملوك وسار تحت لوائه * شجر العرى وعراعر الاقوام

قال فكتب اليه عبد الملك كتابا وجعل فى طيه جوابا لابن الاشعث

مابال من أسعى لأجبر عظمه * حفاظا وينوي من سفاهته كسري

أظن خطوب الدهر بيني وبينهم * ستحملهم مني على مركب وعر

واني واياهم كمن نبه القطا * ولولم تنبه باتت الطير لاتسري

أناة وحلما وانتظارا بهم غدا * فما أنا بالواني ولا الضرع الغمر

وينشد بالفاني ثم بات يقلب كف الجارية ويقول ما أفدت فائدة أحب الي منك فتقول فما بالك يا أمير المؤمنين وما يمنعك فقال يمنعني ما قاله الاخطل لاني ان خرجت منه كنت ألأم العرب

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت بأطهار

فما اليك سبيل أو يحكم الله بيني وبين عدو الرحمن بن الاشعث فلم يقربها حتى قتل عبد الرحمن قوله فرأى منها جسما بهره يقال بهر الليل اذا اسود الافق بظلمته وبهر القمر اذا ملأ الارض بهائه ومن ثم قيل للقمر الباهر أنشدني المازني لرجل من بني الحارث بن كعب

والقمر الباهر السماء لقد * زرناهلا لا يجحفل لجب

تسمع زجر الكماة بينهم * قدم وأخر وأرحبي وهبي

من كل هداءة كعاليه الشرح أمون وشيظم سلب

وقال طفيل الغنوي يصف كيف تزجر الخيل يجمعه في بيت واحد

وقيل اقدمي واقدم وأخ وأخري * وها وهلا واضبر وقادعها هبي

(قال أبو الحسن وأج) ومن زجر الخيل أيضا هقب وهقط وأنشدني أبو عثمان المازني

لما سمعت زجرهم هقط * علمت أن فارسا منحط

(قال الفسراه هقط بالكسر والفتح ويروى مختط بدل منحط) وقوله بين الجم والفرط هما موضعان بأعيانهما وقوله في ساحة الدار تستوقدن بالغبط يقال فيه قولان متقاربان

أحدهما انهن قد يئسن من الرحيل فجعلن مراكبهن حطبا هذا قول الاصمعي وقال غيره بل قد منعهن الخوف من الاحتطاب والغبيط من مراكب النساء وكذلك الهودج قال امرؤ القيس

تقول وقد مال الغبيط بنا معا * عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

فأعلمك أن الغبيط لها والمحامل انما أول من اتخذها الحجاج ففي ذلك يقول الراجز

أول عبد عمل المحاملا * أخزاه ربي عاجلا وآجلا

وقوله بشجر العراء فالعراء نبت بعينه ان ضم العين والعراء ممدود وجه الارض قال الله عز وجل لنبذ بالعراء وهو مذموم وقال الهذلي

رفعت رجلا ما أخاف عثارها * ونبذت بالبلد العراء ثيابي

وهذا التفسير والانشاد عن أبي عبيدة وقوله دون النساء ولو باتت باطهار ومعناه انه يجتنبها في طهرها وهو الوقت الذي يستقيم له غشيانها فيه وأهل الحجاز يرون الاقراء الطهر وأهل العراق يرونها الحيض وأهل المدينة يجعلون عدد النساء الاطهار ويحتجون بقول الأعشى

وفي كل عام أنت جاشم غزوة * تشد لاقصاها عزيم عزائكا

مورثة مالا وفي الحي رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسائكا

وقوله ولو باتت باطهار فلو أصلها في الكلام أن تدل على وقوع الشئ لوقوع غيره تقول لو جئتني لاعطيتك ولو كان زيد هناك لضربته ثم تتسع فتصير في معنى ان الواقعة للجزاء تقول أنت لا تكرمني ولو أكرمتك تريد وان أكرمتك قال الله عز وجل وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين فأما قوله عز وجل فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به فان تأويله عند أهل اللغة لا يقبل به أن يتبرأ وهو مقيم على الكفر ولا يقبل ان افتدى به فلو في معنى ان وانما منع لو أن تكون من حروف المجازاة فتجزم كما تجزم ان أن حروف المجازاة انما تقع

لما لم يقع ويصير الماضي معها في معنى المستقبل تقول إن جئتني أعطيتك وإن قعدت عني زرتك فهذا لم يقع وإن كان لفظه لفظ الماضي لما أحدثته فيه إن وكذا متى أتيتني أتيتك ولو تقع في معنى الماضي تقول لو جئتني أمس لصادفتني ولو ركبت إلى أمس لأتيتني فلذلك خرجت من حروف الجزاء فإذا أدخلت معها لا صار معناها أن الفعل يمتنع لوجود غيره فهذا خلاف ذلك المعنى ولا تقع إلا على الأسماء ويقع الخبر محذوفا لأنه لا يقع فيها الاسم إلا وخبره مدلول عليه فاستغني عن ذكره لذلك تقول لولا عبد الله لضربتك والمعنى في هذا المكان من قرابتك أو صداقتك أو نحو ذلك فهذا معناها في هذا الموضع ولها موضع آخر تكون فيه على غير هذا المعنى وهي لولا التي تقع في معنى هلا التي للتحضيض ومن ذلك قوله لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا أي هلا وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم فهذه لا يليها إلا الفعل لأنها للأمر والتحضيض مظهرا أو مضمرا كما قال (نسب لجرير وقيل للأشهب بن رميلة)

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم * بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

أي هلا تعدون الكمي المقنعا ولولا الأولى لا يليها إلا الاسم على ما ذكرت لك ولا بد في جوابها من اللام أو معنى اللام تقول لولا زيد لفعلت والمعنى لفعلت وزعم سيبويه أن زيدا من حديث لولا واللام والفعل حديث معلق بحديث لولا وتأويله أنه للشرط الذي وجب من أجلها وامتنع لحال الاسم بعدها ولو بغير لا لا يليها إلا الفعل مضمرا أو مظهرا لأنها تشارك حروف الجزاء في ابتداء الفعل وجوابه تقول لو جئتني لأعطيتك فهذا ظهور الفعل وإضماره قوله عز وجل قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي والمعنى والله أعلم لو تملكون أنتم فهذا الذي رفع أنتم ولما أضمر ظهر بعده ما يفسره ومثل ذلك لو ذات سوار لطمتني أراد لو لطمتني ذات سوار ومثله (قول المتلمس)

ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي * جعلت لهم فوق العرانين ميسما

وكذلك قول جرير

لو غيركم علق الزبير بحبله * أدى الجوار الى بني العوام

فنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده لانه للفعل وهو في التمثيل لو علق الزبير غيركم وكذلك كل شيء للفعل نحو الاستفهام والامر والنهي وحروف الفعل نحو اذ وسوف (كذا وقع هنا اذ وسوف ولم يذكر سيبويه مع سوف الا قد وهو الصحيح) وهذا مشروح في الكتاب المقتضب على حقيقة الشرح وأما قوله وعراعر الاقوام فمعناه رؤس الاقوام الواحد عرعرة وعرعرة كل شيء أعلاه ومن ذلك كتاب يزيد بن المهلب الى الحجاج بن يوسف وان العدو نزل بعرعرة الجبل ونزلنا بالحضيض فقال الحجاج ليس هذا من كلام يزيد فمن هناك قيل يحيى بن يعمر فكتب الى يزيد أن يشخصه اليه وزعم التوزي قال قال الحجاج ليحيى بن يعمر يوما أتسمعني ألحن قال الامير أفصح من ذلك قال فاعاد عليه القول وأقسم عليه فقال يحيى نعم تجعل أن مكان ان فقال له ارحل عني ولا تجاورني قال أبو العباس هذا على أن يزيد لم تؤخذ عليه زلة في لفظ الا واحدة فانه قال على المنبر وذكر عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فقال هذه الضبعة العرجاء فاعتدت عليه لحنا لان الانثى انما يقال لها الضبع ويقال للذكر الضبعان فاذا جمع قيل ضبعان وانما جمع على التأنيث دون التذكير والباب على خلاف ذلك لان التأنيث لا زيادة فيه وفي التذكير زيادة الالف والنون فثني على الاصل وأصل التأنيث أن يكون زائدا على بناء التذكير لانه منه يخرج مثل قائم وقائمة وكريم وكريمة فمن حيث غلبت الذكر والانثى في التثنية كرعبان على حذف الزيادة قلت ضبعان وتقول له ابنان اذا أردت له ابن وابنة ولا تقول في الدار رجلان اذا أردت رجلا وامرأة الا على قول من قال للانثى رجلة فقد جاء ذلك وقال الشاعر

كلُّ جارٍ ظلَّ مغتبطاً * غيرَ جيرانى بنى جبله

خرَّقوا جيبَ فتاتهمِ * لم يبالوا حرمةَ الرجله

ولا يقال للناقة والجمل جملان ولا يقال للبقرة والثور ثوران لاختلاف الاسمين انما يكون ذلك فيما ذكرنا الا فى قول من قال للانثى ثورة قال الشاعر

جزى اللّهُ فيها الاعورَين ملامةً * وعبدةَ ثفرَ الثورةِ المتضاجمِ

(قال أبو الحسن المتضاجم المتّسع)

٢٤- باب

قال أبو العباس قال الراعى

ومُرسَلٍ ورسولٍ غيرِ متَّهمٍ * وحاجةٍ غيرِ مُزجاةٍ من الحاجِ

طاوعتُه بعدما طال النجىُّ بنا * وظنَّ أنى عليه غيرُ منعاجِ

مازال يفتح أبواباً ويغلقها * دونى وأفتحُ باباً بعد ارتاجِ

حتّى أضاء سراجٌ دونه بقرٌ * حمرُ الأنامل عينٌ طرفُها ساجى

يا نعمَها ليلةً حتى تخوَّنها * داعٍ دعا فى فروع الصبحِ شحّاجِ

لمّا دعا الدعوةَ الأولى فأسمعنى * أخذتُ بردىَ واستمررتُ أدراجى

قوله وحاجة غير مزجاة من الحاج المزجاة اليسيرة الخفيفة المحمل قال اللّه عزّ وجلّ وجئنا ببضاعة مزجاة والحاج جمع حاجة وتقديره فعلة وفعل كما تقول هامة وهامٌ وساعة وساعٌ قال القطامىّ

وكنّا كالحريق أصاب غاباً * فيخبو ساعةً ويشبُّ ساعا

فاذا أردت أدنى العدد قلت ساعات فأما قولهم فى جمع حاجة حوائج فليس من كلام العرب على كثرته على ألسنة المولَّدين ولا قياس له ويقال فى قلبى منك حوجاء أى حاجة ولو جمع على

هذا المكان الجمع حواج يافتى وأصله حواجى يافتى ولكن مثل هذا يخفف كما تقول فى صحراء
صحار يافتى وأصله صحارى وقوله طاوعته بعد ما طال النجى بنا يريد المناجاة فأخرجه على
فعيل ونظيره من المصادر الصهيل والنهيق والشحيج ويقال شب الفرس شبيبا ولذلك كان
النجى يقع على الواحد والجماعة نعتا كما تقول امرأة عدل ورجل عدل وقوم عدل لانه
مصدر قال الله عز وجل وقربناه نجيا أى مناجيا وقال للجماعة فلما استيأسوا منه خلصوا
نجيا أى متناجين وقوله منعاج أى منعطف تقول عجت عليه أى عرجت عليه وعجت اليه
أى عولت عليه وقوله بعد ارتاج أى بعد اغلاق يقال أرتجت الباب ارتاجا أى أغلقته
اغلاقا ويقال لغلق الباب الرتاج ويقال للرجل اذا امتنع عليه الكلام أرتج عليه وقوله
أضاء سراج دونه بقر يعنى نساء والعرب تكنى عن المرأة بالبقرة والنعجة قال الله عز وجل
ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة وقال الأعشى

فرميت غفلة عينه عن شاته * فأصبت حبة قلبها وطحالها

وقوله عين انما هو جمع عيناء وهى الواسعة العين وتقديره فعل ولكن كسرت العين لتصح
الياء ونحو ذلك بيضاء وبيض وتقديره حمراء وحمر ولو كان من ذوات الواو لكان مضموما على
أصل الباب لانه لا اخلال فيه تقول سوداء وسود وعوراء وعور وقوله طرفها ساج ولم يقل
أطرافها لان تقديرها تقدير المصدر من طرفت طرفا قال الله عز وجل ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم لان السمع فى الاصل مصدر قال جرير

ان العيون التى فى طرفها مرض * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وقوله ساج أى ساكن قال الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى وقال جرير

ولقد رمينك يوم رحن بأعين * ينظرن من خلل الستور سواجى

وقال الراجز يا حبذا القمراء والليل الساج * وطرق مثل ملاء النساج

وقوله حتى تخونها أى تنقصها يقال تخونني السفر أى تنقصني والداعي المؤذن وقوله شحاج انما هو استعارة في شدة الصوت وأصله للبغل والعرب تستعير من بعض لبعض قال العجاج

ينعت حمارا كأن في فيه اذا ما شحجا * عودا دوين اللهوات مولجا

وقال جرير ان الغراب بما كرهت لمولع * بنوى الاحبة دائم التشحاج

وقوله واستمررت ادراجي أى فرجعت من حيث جئت تقول العرب رجع فلان ادراجه ورجع في حافرته ورجع عوده على بدئه وان شئت رفعت فقلت رجع عوده على بدئه أما الرفع فعلى قولك رجع وعوده على بدئه أى وهذه حاله والنصب على وجهين أحدهما أن يكون مفعولا كقولك رد عوده على بدئه والوجه الآخر أن يكون حالا في قول سيبويه لان معناه رجع ناقضا مجيئه ووضع هذا في موضعه كما تقول كلمته فاه الى في أى مشافهة وبايعته يدا بيد أى نقدا وقد يجوز أن تقول فوه الى في أى وهذه حاله ومن نصب فمعناه في هذه الحال فاما بايعته يدا بيد فلا يكون فيه الا النصب لانك لست تريد بايعته ويده بيد كما كنت تريد في الاول وانما تريد النقد ولا تبالى أقريبا كان أم بعيدا وقال اعرابي

شكوت فقالت كل هذا تبرما * بحبي أراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الحب قالت لشد ما * صبرت وما هذا بفعل شجي القلب
وأدنو فتقصيني فأبعد طالبا * رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواى تؤذيها وصبرى يسوءها * وتجزع من بعدى وتنفر من قربي
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها * أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربي

قوله كل هذا تبرما مردود على كلامه كانها تقول له أتشكوني كل هذا تبرما ولو رفع كلا لكان جيدا يكون كل هذا مبتدأ وتبرم خبره وشجي مخفف الياء ومن شددها فقد أخطأ والمثل ويل للشجي من الخلي الياء في الشجي مخففة وفي الخلي مثقلة وقياسه انك اذا قلت فعل يفعل فعلا

فالاسم منه على فعل نحو فرق يفرق فرقاً فهو فرق وحذر يحذر حذراً فهو حذر و بطر يبطر بطراً فهو بطر فعلى هذا شجى يشجى شجى فهو شج يا فتى كما تقول هوى يهوى هوى فهو هو يا فتى وقوله فيا قوم هل من حيلة تعرفونها موضع تعرفونها خفض لانه نعت الحيلة وليس بجواب ولو كان ههنا شرط يوجب جواباً لانجزم تقول ائتنى بدابة أركبها أى بدابة مركوبة فاذا أردت معنى فانك ان أتيتنى بدابة ركبتها قلت أركبها لانه جواب الامر كما أن الاول جواب الاستفهام وفى القرآن خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها أى مطهرة لهم وكذلك أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً أى كائنة لنا عيداً وفى الجواب قذرهم يخوضوا ويلعبوا أى ان تركوا خاضوا ولعبوا وأما قوله عزوجل فذرهم فى خوضهم يلعبون فانما هو فذرهم فى هذه الحال لانهم كانوا يلعبون وكذلك ولا تمنن تستكثر انما هو ولا تمنن مستكثراً يعنى ذا هل من حيلة معروفة عندكم وقال اعرابى أنشدنيه أبو العالية

ألا تسأل المكى ذا العلم ما الذى * يحل من التقبيل فى رمضان

فقال لى المكى أما لزوجة * فسبع وأما خلة فثمانى

قوله خلة يريد ذات خلة ويكون سماها بالمصدر كما قالت الخنساء * فانما هى اقبال وادبار * ويجوز أن تكون نعتتها بالمصدر لكثرته منها ويجوز أن تكون أرادت ذات اقبال وادبار فحذفت المضاف وأقامت المضاف اليه مقامه كما قال عزوجل ولكن البر من آمن بالله فجائز أن يكون بر من آمن بالله وجائز أن يكون لكن ذا البر من آمن بالله والمعنى يؤول الى شئ واحد وفى هذا الشعر عيب وهو الذى يسميه النحويون العطف على عاملين وذلك أنه عطف خلة على اللام الخافضة لزوجة وعطف ثمانيا على سبع ويلزم من قال هذا أن يقول مر عبد الله بزيد وعمرو خالد فيه هذا القبح وقد قرأ بعض القراء وليس بجائز عندنا واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيهما من كل دابة

وتصريفها الرياح آيات فجعل آيات في موضع نصب وخفضها التاء الجميع فحملها على ان وعطفها بالواو وعطف اختلافاً على في ولا أرى ذا في القرآن جائزاً لانه ليس بموضع ضرورة وأنشد سيبويه لعدي بن زيد العبادي (الصحيح انه لابي دواد الايادي)

أكل امرئ تحسبين امرأً * ونار توقد بالليل نارا

فعطف على امرئ وعلى المنصوب الاول (قال أبو الحسن وفيه عيب آخر ان أمّا ليست من العطف في شيء وقد أجرى خلة بعدها مجراها بعد حروف العطف حملاً على المعنى فكأنه قال زوجة كذا وخلّة كذا) وقوله امّا زوجة فهذه مفتوحة وهي التي تحتاج الى جزاء ومعناها اذا قلت اما زيد فمنطلق مهما يكن من شيء فزيد منطلق وكذلك فاما اليتيم فلا تقهر انما هي مهما يكن من شيء فلا تقهر اليتيم وتكسر اذا كانت في معنى أو ويلزمها التكرير تقول ضربت امّا زيداً واما عمراً فمعناه ضربت زيداً أو عمراً وكذلك اما شاكراً واما كفوراً وكذلك امّا العذاب واما الساعة واما ان تعذب واما أن تتخذ فيهم حسناً وانما كررتها لانك اذا قلت ضربت زيداً أو عمراً أو قلت اضرب زيداً أو عمراً فقد ابتدأت بذكر الاول وليس عند السامع انك تريد غير الاول ثم جئت بالشك أو بالتخيير واذا قلت ضربت امّا زيداً واما عمراً واضرب امّا زيداً واما عمراً فقد وضعت كلامك بالابتداء على التخيير أو على الشك واذا قلت ضربت امّا زيداً واما عمراً فالاولى وقعت لبنية الكلام عليها والثانية للعطف لانك تعدل بين الاول والثاني فانما تكسر في هذا الموضع وزعم سيبويه انها ان ضمت اليها ما فان اضطر شاعر فحذف ما جاز له ذلك لانه الاصل وأنشد في مصداق ذلك (هو دريد بن الصمة الجشمي)

لقد كذبتك نفسك فاكذبنها * فان جزعاً وان اجمال صبر

و يجوز في غير هذا الموضع أن تقع امّا مكسورة ولكن ما لا تكون لازمة ولكن تكون زائدة في ان التي هي للجزاء كما تزاد في سائر الكلام نحو أين تكن أكن وأينما تكن أكن وكذلك

مَتَى تَأْتِني آتِكَ ومَتَى ما تأْتِني آتِكَ فتقول ان تأْتِني آتِكَ وامّا تأْتِني آتِكَ تُدْغِمُ النونَ في الميم لاجتماعهما في الغُنَّة وسنذكر الادغام في موضع نُفْرِدُه به ان شاء الله كما قال امرُؤ القيس

فإمّا تَرَيْني لا أُغمِّضُ ساعةً * من الليل الّا أن أُكِبَّ فأنعَسا

فيا ربَّ مكروبٍ كَرَرْتُ وراءه * وطاعنتُ عنه الخيلَ حتّى تنفَّسا

وفي القرآن فإمّا تَرَيِنَّ من البشر أحدا وقال وإمّا تُعْرِضَنَّ عنهم ابتغاءَ رحمةٍ من ربّك ترجوها فأنت في زيادة ما بالخيار في جميع حروف الجزاء الا في حرفين فانّ ما لا بُدَّ منها لعلّة نذكرها اذا أفردنا بابا للجزاء ان شاء الله والحرفان حيثما تكن أكن كما قال الشاعر

حيثما تستقم يقدِّرْ لك اللهُ نجاحا في غابر الأزمان

والحرف الثاني اذما كما قال العبّاس بن مرداس

اذما أتيتَ على الرسول فقُلْ له * حقّا عليك اذا اطمأنَّ المجلسُ

لا يكون الجزاء في حيث واذ الّا بما وأنشدني أبو العالية

سَلِ المُفتي المكّيَّ هل في تزاوُرٍ * ونظرةِ مشتاقِ الفؤادِ جُناحُ

فقال معاذَ الله أن يُذهِبَ التُّقى * تلاصُقُ أكبادٍ بهنّ جِراحُ

(وأُنشد لبعض العرب المحدَثين

تلاصقْنا وليس بنا فسوقٌ * ولم يَرِدِ الحرامَ بنا الّتوقُ

ولكنّ التباعدَ طال حتّى * توقّدَ في الضلوع له حريقُ

فلمّا أن أُتيحَ لنا التلاقي * تعانقْنا كما اعتنقَ الصديقُ

وهل حرجٌ تراه أو حراما * مشوقٌ ضمّه كلِفٌ مشوقُ)

وأنشدني غيره

وما هجرتُكِ النفسُ يا ميُّ أنّها * قلتْكِ ولا أنْ قلَّ منكِ نصيبُها

ولكنهم بالأطيبين أولعوا * يقول اذا ما جئت هذا حببها

أنها في موضع نصبه وكان التقدير لأنها فلما حذفت اللام وصل الفعل فعمل تقول جئتك أنك تحب الخير فمعناه لأنك وكذلك أنه يسئل أن تأمر لي بشئ أي لأن وتقديره في النصب أن أن الخفيفة والفعل مصدر نحو أريد أن تقوم يافتى أي قيامك وأن الثقيلة واسمها وخبرها مصدر تقول بلغني أنك منطلق أي انطلاقك فاذا قلت جئتك أنك تريد الخير فمعناه ارادتك الخير أي تجيئني لأنك تريد الخير ارادة يافتى كما قال الشاعر (هو حاتم الطائي)

وأغفر عوراء الكريم ادخاره * وأعرض عن ذم اللئيم تكرما

قوله وأغفر عوراء الكريم ادخاره أي أدخره ادخارا وأضافه اليه كما تقول ادخارا له وكذلك قوله تكرما انما أراد لتكرم فأخرجه مخرج أتكرم تكرما وأنشدني أبو العالية (قيل ان الشعر لعروة بن أذينة)

مازلت أبغي الحي أتبع ظلهم * حتى دفعت الى ربيبة هودج

قالت وعيش أبي وأكبر اخوتي * لأنبهن الحي ان لم تخرج

فخرجت خيفة قولها فتبسمت * فعلمت أن يمينها لم تحرج

فلثمت فاها آخذا بقرونها * شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وزاد فيها الجاحظ عمرو بن بحر

ونتاولت رأسي لتعرف مسه * بمخضب الأطراف غير مشنج

تقول العرب هودج وبنو سعد بن زيد مناة ومن وليهم يقولون فودج وقوله فعلمت أن يمينها لم تحرج يقول لم تضق عليها يقال حرج يحرج اذا دخل في مضيق والحرجة الشجر الملتف المتضايق مابينه قال الله عز وجل فلا يكن في صدرك حرج منه وقال تعالى يجعل صدره ضيقا حرجا وقرئ حرجا فمن قال حرجا أراد التوكيد للضيق كأنه قال ضيق شديد الضيق ومن قال

حرجاً جعله مصدراً مثل قولك ضيق ضيقاً وقوله ببرد ماء الحشرج فهو الماء الجاري على الحجارة وقال قيس بن معاذ أحد بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهو المجنون وحدثني عبد الصمد بن المعذل قال سمعت الاصمعي يثبته ويقول لم يكن مجنوناً انما كانت به لوثة كلوثة أبي حية (النميري وهو من أشعر الناس ومن شعره)

ولم أر ليلى بعد موقف ساعة * ببطن منى ترمي جمار المحصب

ويبدي الحصا منها اذا قذفت به * من البرد أطراف البنان المخضب

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر * مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

ألا انما غادرت يا أم مالك * صدى أينما تذهب به الريح يذهب

هذا البيت من أعجب ما قيل في النحافة ومما يستطرف في هذا الباب قول عمر بن ابي ربيعة

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت * فيضحى واما بالعشي فيخصر

أخا سفر جواب أرض تقاذفت * به فلوات فهو أشعث أغبر

قليلا على ظهر المطية ظله * سوى ما نفى عنه الرداء المحبر

ومن هذا الباب قول القائل (هو قيس بن معاذ مجنون بني عامر الذي تقدم ذكره لابن الابرش) فأصبحت في أقصى البيوت يعدنني * بقية ما أبقين نصلا يمانيا

(بقية بدل من اليا في يعدنني بدل الاشتمال

تجمعن من شتى ثلاث وأربع * وواحدة حتى كملن ثمانيا)

يعدن مريضاً هن هيجن ما به * ألا انما بعض العوائد دائيا

وفي هذا الباب أشياء كثيرة تأتي في موضعها ان شاء الله تعالى ومن الافراط فيه قوله

فلو أن ما أبقيت مني معلق * بعود ثمام ما تأود عودها

(الثمام نبت ضعيف واحدته ثمامة) وهذا متجاوز كقول القائل

* ويمنعها من أن تطير زمامها * وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبه وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عن غيره وساقه برصف قوي واختصار قريب قال قيس بن معاذ

وأخرج من بين الجلوس لعلني * أحدث عنك النفس في السر خاليا
واني لأستغشي ومابي نعسة * لعل خيالا منك يلقى خياليا

وفي هذا الشعر

أشوقا ولما تمض لي غير ليلة * رويد الهوى حتى يغب لياليا

هذا من أجود الكلام وأوضحه معنى ويستحسن لذي الرمة قوله في مثل هذا المعنى

أحب المكان القفر من أجل انني * به أتغنى باسمها غير معجم

وأنشدني ابن عائشة لبعض القرشيين

وقفوا ثلاث منى بمنزل غبطة * وهم على غرض هناك ماهم
متجاورين بغير دار اقامة * لو قد أجد تفرق لم يندموا

(يعني طواف الوداع وقوله ثلاث منى أراد أيام النفر وأخرجه على الليالي وقوله لم يندموا لانهم يرجعون الى أوطانهم)

ولهن بالبيت العتيق لبانة * والركن يعرفهن لو يتكلم
لو كان حيا قبلهن ظعائنا * حيا الحطيم وجوههن وزمزم
وكأنهن وقد صدرن لواغبا * بيض بأفنية المقام مركم

اللاغب المعيي قال الله عز وجل وما مسنا من لغوب والمركم الذي بعضه على بعض والمرأة تشبه ببيضة النعامة كما تشبه بالدرة قال الله عز وجل كأنهن بيض مكنون والمكنون المصون والمكن المستور يقال أكننت السر قال الله عز وجل أو أكننتم في أنفسكم

وقال أبو دهبل وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حسان (بن ثابت الانصاري)

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون

وقال ابن الرقيات

واضح لونها كبيضة أدحي * لها في النساء خلق عميم

العميم التام والأُدحي موضع بيض النعامة خاصة وشعر عبد الرحمن هذا شعر مأثور مشهور عنه وروى بعض الرواة أن أبا دهبل الجمحي كان تقيا وكان جميلا فقفل من الغزو ذات مرة فمر بدمشق فدعته امرأة الى أن يقرأ لها كتابا وقالت ان صاحبته في هذا القصر وهي تحب أن تسمع ما فيه فلما دخلت به برزت له امرأة جميلة وقالت له انما احتلت لك بالكتاب حتى أدخلتك فقال لها أما الحرام فلا سبيل اليه قالت فلست تراد حراما فتزوجته وأقام عندها دهرا حتى نعي بالمدينة ففي ذلك يقول وقد استأذنها ليلم بأهله ثم يعود فجاء وقد اقتسم ميراثه فلما هم بالعود اليها نعيت له فهذا ما روي من هذا الوجه والذي كأنه اجماع الناس انه لعبد الرحمن بن حسان وهو في بنت معاوية (بن أبي سفيان)

صاح حيا الاله أهلا ودارا * عند أصل القناة من جيرون

عن يساري اذا دخلت من البا * ب وان كنت خارجا فيميني

فبتلك اغتربت بالشأم حتى * ظن أهلي مرجمات الظنون

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون

واذا ما نسبتها لم تجدها * في سناء من المكارم دون

ثم خاصرتها الى القبة الخضـ * ـراء تمشي في مرمر مسنون

تجعل المسك واليلنجوج والند * صلاء لها على الكانون

قبة من مراجل ضربتها * عند برد الشتاء في قيطون

المسنون المصبوب على استواء والمراحل ثياب من ثياب اليمن قال العجاج

* بشية كشية المرحل * والقيطون البيت فى جوف بيت وقال آخر

وأبصرت سعدى بين ثوبى مراحل * وأثواب عصب من مهلهلة اليمن

ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية أما سمعت قول عبد الرحمن بن حسان فى ابنتك قال وما الذى قال قال قال

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون

قال معاوية صدق فقال يزيد وقال

واذا ما نسبتها لم تجدها * فى سناء من المكارم دون

قال معاوية صدق فقال يزيد انه قال

ثم خاصرتها الى القبة الخضـ * ـراء تمشى فى مرمر مسنون

قال معاوية كذب

٢٥- باب

قال أبو العباس حدثنى مسعود بن بشر قال حدثنى محمد بن حرب قال اتى عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساه حلة واقعده الى جانبه ثم قال انه ابن أمى وكان أبوه برحمنى (الزبير أخو عبد الله بن عبد المطلب شقيقه) وأنشدنى مسعود قال أنشدنى طاهر بن على بن سليمان قال أنشدنى منصور بن المهدى لرجل من بنى ضبة بن أد يقوله لبنى تميم بن مر بن أد

أبنى تميم اننى أنا عمكم * لا تحرمن نصيحة الأعمام

انى أرى سبب الفناء وانما * سبب الفناء قطيعة الأرحام

فتداركوا بأبى وأمى أنتم * أرحامكم برواجح الأحلام

(كذا أنشد أرحامكم ويروى أحسابكم) ويروى أنه لما أتى عبد الله بن الزبير خبر قتل مصعب بن الزبير خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انه أتانا خبر قتل المصعب فسررنا به واكتأبنا له فاما السرور فلما قدر له من الشهادة وخيرله من الثواب وأما الكآبة فلوعة يجدها الحميم عند فراق حميمه وانا والله ما نموت حبجا كميتة آل أبي العاصي انما نموت والله قتلا بالرماح وقعصا تحت ظلال السيوف فان يهلك المصعب فان في آل الزبير منه خلفا قوله حبجا يقال حبج بطنه اذا انتفخ وكذلك حبط بطنه والمقعص المقتول واللوعة الحرقة يقال لاع يلاع لوعة يافتى فهو لائع ويقال لاع يافتى على القلب وأنشد أبو زيد

ولا فرح بخيرات أتاه * ولا جزع من الحدثان لاعي

قال وحدثني مسعود بن بشر في اسناد ذكره قال قال زياد لحاجبه يا عجلان اني وليتك هذا الباب وعزلتك عن أربعة عزلتك عن هذا المنادي اذا دعا بالصلاة فلا سبيل لك عليه وعن طارق الليل فشر ما جاء به ولو جاء بخير ما كنت من حاجته وعن رسول صاحب الثغر فان ابطاء ساعة يفسد تدبير سنة وعن هذا الطباخ اذا فرغ من طعامه قال وحدثني مسعود قال قال زياد يعجبني من الرجل اذا سيم خطة الضيم أن يقول لا بملء فيه واذا أتى نادي قوم علم أين ينبغي لمثله أن يجلس فجلس واذا ركب دابة حملها على ما يحب ولم يبعثها الى ما تكره وكتب الى جعفر بن يحيى ان صاحب الطريق قد اشتط فيما يطلب من الاموال فوقع جعفر هذا رجل منقطع عن السلطان وبين ذؤبان العرب بحيث العدد والعدة والقلوب القاسية والانوف الحمية فليمدد من المال بما يستصلح به من معه ليدفع به عدوه فان نفقات الحروب يستظهر لها ولا يستظهر عليها وأكثر الناس شكية عامل فوقع اليه في قصته يا هذا قد كثر شاكوك وقل حامدوك فاما عدلت واما اعتزلت وزعم الجاحظ قال قال ثمامة بن أشرس النميري ما رأيت رجلا أبلغ من جعفر بن يحيى والمأمون وقال موسى بن عمران

ما رأيت رجلا أبلغ من يحيى بن خالد وأيوب بن جعفر وقال جعفر بن يحيى لكتابه إن قدرتم أن تكون كتبكم كلها توقيعات فافعلوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تكاشفتم ما تدافنتم يقول لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييعه ودفنه وقال عليه الصلاة والسلام اجتنبوا القعود على الطرقات الا ان تضمنوا أربعا رد السلام وغض الابصار وارشاد الضال وعون الضعيف وقالت هند بنت عتبة انما النساء أغلال فليتخير الرجل غلا ليده وذكرت هند بنت المهلب بن أبي صفرة النساء فقالت ما زين بشئ كأدب بارع تحته لب ظاهر وقالت هند بنت المهلب بن أبي صفرة أيضا اذا رأيتم النعم مستدرة فبادروا بالشكر قبل حلول الزوال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افصلوا بين حديثكم بالاستغفار وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله قيدوا النعم بالشكر وقيدوا العلم بالكتاب وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه العجب لمن يهلك والنجاة معه فقيل ماهي يا أمير المؤمنين قال الاستغفار وقال الخليل بن أحمد كن على مدارسة ما في قلبك أحرص منك على حفظ ما في كتبك وقال ابن أحمد يعني الخليل اجعل ما في كتبك رأس مال وما في صدرك للنفقة وقيل لنصر بن سيار ان فلانا لا يكتب فقال تلك الزمانة الخفية وقال نصر بن سيار لولا أن عمر بن هبيرة كان بدويا ما ضبط أعمال العراق وهو لا يكتب وفادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى فداءه من أسرى بدر فمن لم يكن له فداء أمره أن يعلم عشرة من المسلمين الكتابة ففشت الكتابة بالمدينة ومن أمثال العرب خير العلم ما حوضر به يقول ما حفظ فكان للمذاكرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتي صالحا أمرها ما لم تر الفئ مغنما والصدقة مغرما وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه الا الماحل ولا يظرف فيه الا الفاجر ولا يضعف فيه الا المنصف يتخذون الفئ مغنما والصدقة مغرما وصلة الرحم منا والعبادة استطالة على الناس فعند ذلك يكون سلطان

النساء ومشاورة الاماء وامارة الصبيان (الماحل الواشي يقال محل فلان بفلان اذا وشى به ومكر) ويروى عن محمد بن المنتشر بن الاجدع الهمداني قال دفع الى الحجاج ازاذمرد بن الهربذ وأمرني ان أستخرج منه وأغلظ عليه فلما انطلقت به قال لي يا محمد ان لك شرفا ودينا واني لا أعطي على القسر شيأ فاستأدني وارفق بي قال ففعلت فادى الي في أسبوع خمسمائة ألف قال فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه وانتزعه من يدي ودفعه الى رجل كان يتولى له العذاب فدق يديه ورجليه ولم يعطهم شيأ قال محمد بن المنتشر فاني لأمر يوما في السوق اذا صائح بي يا محمد فالتفت فاذا به معرضا على حمار مدقوق اليدين والرجلين فخفت الحجاج ان أتيته وتذممت منه فملت اليه فقال لي انك وليت مني ما ولي هؤلاء فأحسنت وانهم صنعوا بي ما ترى ولم أعطهم شيأ وههنا خمسمائة ألف عند فلان فخذها فهي لك قال فقلت له ما كنت لآخذ منك على معروفي أجرا ولا لآخذ على هذه الحال شيأ قال فأما اذا أبيت فاسمع أحدثك حدثني بعض أهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا رضي الله عن قوم أمطرهم المطر في وقته وجعل المال في سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم واذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم وجعل المال عند بخلائهم وأمطرهم المطر في غير حينه قال فانصرفت فما وضعت ثوبي حتى أتاني رسول الحجاج فأمرني بالمسير اليه فألفيته جالسا على فرشه والسيف منتضى في يده فقال لي ادن فدنوت شيأ ثم قال ادن فدنوت شيأ ثم صاح الثالثة ادن لا أبالك فقلت ما بي الى الدنو من حاجة وفي يد الامير ما أرى فأضحك الله سنه وأغمد سيفه عني فقال لي اجلس ما كان من حديث الخبيث فقلت له أيها الامير والله ما غششتك منذ استنصحتني ولا كذبتك منذ استخبرتني ولا خنتك منذ ائتمنتني ثم حدثته الحديث فلما صرت الى ذكر الرجل الذي المال عنده أعرض عني بوجهه وأومأ الي بيده وقال لا تسمه ثم قال ان للخبيث نفسا وقد سمع الاحاديث ويقال كان الحجاج اذا استغرب ضحكا والى بين الاستغفار وكان اذا

صعد المنبر تلفع بمطرفه ثم تكلم رويدا فلا يكاد يسمع ثم يتزيد فى الكلام حتى يخرج يده من مطرفه و يزجر الزجرة فيفزع بها أقصى من فى المسجد وكان يطعم فى كل يوم على ألف مائدة على كل مائدة ثريد وجنب من شواء وسمكة طرية ويطاف به فى محفة على تلك الموائد ليتفقد امور الناس وعلى كل مائدة عشرة ثم يقول يا أهل الشام اكسروا الخبز لئلا يعاد عليكم وكان له ساقيان أحدهما يسقى الماء والعسل والآخر يسقى اللبن ويروى أن ليلى الاخيلية قدمت عليه فأنشدته

اذا ورد الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العقام الذى بها * غلام اذا هز القناة ثناها

(العقام بالفتح والضم والضم أفصح) فقال لها لا تقولى غلام قولى همام ثم قال لها أى نسائى أحب اليك أن أنزلك عندها الليلة قالت ومن نساؤك أيها الامير قال أم الجلاس بنت سعيد ابن العاصى الأموية وهند بنت أسماء بن خارجة الفزارية وهند بنت المهلب بن أبى صفرة العتكية فقالت القيسية أحب الى فلما كان الغد دخلت عليه فقال يا غلام أعطها خمسمائة فقالت أيها الامير اجعلها أدما فقال قائل انما أمر لك بشاء قالت الامير أكرم من ذلك فجعلها ابلا اناثا استحياء وانما كان أمر لها بشاء أولا والأدم البيض من الابل وهى أكرمها ويروى عن بعض الفقهاء (هو الشعبى) قال دعانى الحجاج فسألنى عن الفريضة المخمسة وهى أم وجد وأخت فقال لى ما قال فيها الصديق رحمه الله قلت أعطى الأم الثلث والجد ما بقى لانه كان يراه أبا قال فما قال فيها أمير المؤمنين يعنى عثمان رحمه الله قلت جعل المال بينهم أثلاثا قال فما قال فيها ابن مسعود قال قلت أعطى الاخت النصف والام ثلث ما بقى والجد الثلثين لانه كان لا يفضل أما على جد قال فما قال فيها زيد بن ثابت قال قلت أعطى الام الثلث وجعل ما بقى بين الاخت والجد للذكر مثل حظ الانثيين لانه كان يجعل الجد كاحد الاخوة

الى الثلاثة قال فزم بأنفه ثم قال هـا قال فيها أبو ثراب قال قلت أعطى الام الثلث والاخت النصف والجد السدس فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال فانه المرء يرغب عن قوله وجلس الحجاج يوما يأكل ومعه جماعة على المائدة منهم محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة وحجار بن أبجر بن بجير العجلى فاقبل فى وسط من الطعام على محمد بن عمير بن عطارد فقال يا محمد أيدعوك قتيبة بن مسلم الى نصرتى يوم رستقباذ فتقول هذا أمر لا ناقة لى فيه ولا جمل لا جعل الله لك فيه ناقة ولا جملا يا حرسى خذ بيده وجرد سيفك فاضرب عنقه فنظر الى حجار ابن أبجر وهو يتبسم فدخلته العصبية وكان مكان حجار من ربيعة كمكان محمد بن عمير من مضر وأتى الخباز بقرنية فقال اجعلها مما يلى محمد فان اللبن يعجبه يا حرسى شم سيفك وانصرف وكان محمد شريفا وله يقول الشاعر

علم القبائل من معد وغيرها * أن الجواد محمد بن عطارد

وذكرت بنو دارم يوما بحضرة عبد الملك فقالوا قوم لهم حظ فقال عبد الملك أتقولون ذلك وقد مضى منهم لقيط بن زرارة ولا عقب له ومضى القعقاع بن معبد بن زرارة ولا عقب له ومضى محمد بن عمير بن عطارد ولا عقب له والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبدا قوله شم سيفك يقول اغمده ويقال شمت السيف اذا سللته وهو من الاضداد ويقال شمت البرق اذا نظرت من أى ناحية يأتى قال الاعشى

فقلت للشرب فى درنى وقد ثملوا * شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل

وقال الفرزدق

بأيدى رجال لم يشيموا سيوفهم * ولم تكثر القتلى بها حين سلت

وهذا البيت طريف عند أصحاب المعانى وتأويله لم يشيموا لم يغمدوا ولم تكثر القتلى أى لم يغمدوا سيوفهم الا وقد كثرت القتلى حين سلت وحدثنى الحسن بن رجاء قال قدم علينا

علي بن جبلة الى عسكر الحسن بن سهل والمأمون هناك بأنيا على خديجة بنت الحسن بن سهل المعروفة ببوران فقال الحسن ونحن اذ ذاك نجري على نيف وسبعين ألف ملاح وكان الحسن بن سهل يسهر مع المأمون وكان المأمون يتصبح فيجلس الحسن للناس الى وقت انتباهه فلما ورد علي قلت قد ترى شغل الامير قال اذا لا أضيع معك قلت أجل فدخلت على الحسن بن سهل في وقت ظهوره فأعلمته مكانه فقال ألا ترى ما نحن فيه قلت لست بمشغول عن الامر له فقال يعطى عشرة آلاف درهم الى أن نتفرغ له فأعلمت ذلك علي بن جبلة فقال في كلمة له

أعطيتني يا ولي الحق مبتدئا * عطية كافأت مدحي ولم ترني

ما شمت برقك حتى نلت ريقه * كأنما كنت بالجدوى تبادرني

٢٦- باب

قال أبو العباس قال المفضل بن المهلب بن أبي صفرة (يصف الشجاعة والنجدة)

هل الجود الا أن تجود بأنفس * على كل ماضي الشفرتين قضيب

وما خير عيش بعد قتل محمد * وبعد يزيد والحرون حبيب

ومن هز أطراف القنا خشية الردى * فليس لمجد صالح بكسوب

وما هي الا رقدة تورث العلى * لرهطك ما حنت روائم نيب

قوله ومن هز أطراف القنا خشية الردى يقول من كره قال عنترة بن شداد

حلفت لهم والخيل تردي بنا معا * نفارقهم حتى يهروا العواليا

عوالي زرقا من رماح ردينة * هرير الكلاب يتقين الأفاعيا

والردى الهلاك وأكثر ما يستعمل في الموت يقال ردي يردى ردى قال الله عز وجل وما يغني عنه ماله اذا تردى وهو تفعل من الردى في احد التفسيرين وقيل اذا تردى في النار أي اذا سقط فيها وقوله الحرون فان حبيب بن المهلب كان ربما انهزم عنه أصحابه فلا يريم

مكانه فكان يلقب الحرون وقوله وما هى الا رقدة تورث العلى فهذا مأخوذ من قول أخيه يزيد بن المهلب وذلك انه قال فى يوم العقر وهو اليوم الذى قتل فيه قاتل الله ابن الاشعث ما كان عليه لو غمض عينيه ساعة للموت ولم يكن قتيل نفسه وذلك ان ابن الاشعث قام فى الليل وهو فى سطح البول فزعموا انه ردّى نفسه وغير أهل هذا القول يقولون بل سقط منه بسنة النوم وقوله تورث العلى لرهطك فالمعنى تورث العلى رهطك وهذه اللام تزاد فى المفعول على معنى زيادتها فى الاضافة تقول هذا ضاربٌ زيداً وهذا ضاربٌ لزيد لانها لا تغير معنى الاضافة اذا قلت هذا ضاربُ زيد وضاربٌ له وفى القرآن وأُمرتُ لأن أكون أول المسلمين وكذلك ان كنتم للرؤيا تعبرون ويقول النحويون فى قوله تعالى قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون انما هو ردفكم والنيب جمع ناب وهى المسنة من الابل وتقديرها فُعْلٌ ساكنةٌ وابدلت من الضمة كسرةٌ لتصح الياء كما قلت فى أبيض بيض وانما هو مثل أحمر وحُمر وكذلك أشيب وشيب فتقدير ناب ونيب اذا جاء على فَعَل وفُعْل تقدير أسد وأُسْد ووَثَن ووُثْن وناب تقديرها فَعَلٌ وانما انقلبت الياء ألفا فسكنت وانما تنقلب اذا كانت قبلها فتحة وكانت فى موضع حركة والرّوائم قد مضى تفسيرها وأنشدنى الزيادىّ قال أنشدنى أبو زيد قال نظر شيخ من الاعراب الى امرأته تتصنّع وهى عجوز فقال

عجوز تُرجّى أن تكون فتيّةً * وقد لحب الجنبان واحدودب الظهرُ
تدسّ الى العطّار سلعة بيتها * وهل يصلحُ العطارُ ما أفسد الدهرُ

(قال أبو الحسن وزادنى غير أبى العباس فى شعر هذا الاعرابى

وما غرّنى الاخضاب بكفّها * وكحل بعينيها وأثوابها الصفر
وجاؤا بها قبل المحاق بليلة * فكان محاقا كلّه ذلك الشهرُ)

قال فقالت له امرأته

ألم تر أن الناب تحلب علبة * ويترك ثلب لا ضراب ولا ظهر

قال ثم استغاثت بالنساء وطلب الرجال فاذا هم خلوف فاجتمع النساء عليه فقصر نمه قوله قد لحب الجنبان يقول قل لحمهما يقال بعير ملحوب وقد لحب مثل عرق وقوله تدس الى العطار سلعة بيتها اريد السويق والدقيق وما أشبه ذلك وكل عرض فالعرب تقول له سلعة أنشدنى عمارة بن عقيل شعرا يمدح به خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى ويذم تميم بن خزيمة بن حازم النهشلى أأترك ان قلت دراهم خالد * زيارته انى اذا للئيم

وقد يسلع المرء اللئيم اصطناعه * ويعتل نقد المرء وهو كريم

(من رفع المرء نصب اصطناعه ومن نصب المرء رفع اصطناعه وأما على تفسير أبى العباس فنصب اصطناعه لا غير)

فتى واسط فى ابنى نزار محبب * الى ابنى نزار فى الخطوب عميم

فليت بسرديه لنا كان خالد * وكان لبكر فى الثراء غميم

فيصبح فينا سابق متمهل * أغر وفى بكر أغم بهيم

قوله وقد يسلع المرء اللئيم اصطناعه أى تكثر سلعته لاصطناعه وقوله أغم بهيم والغمم كثرة شعر الوجه والقفا قال هدبة بن خشرم العذرى

فلا تنكحى ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

والعرب تكره الغمم والبهيم الذى لا يخلط لونه غيره من أى لون كان وقولها ألم تر أن الناب تحلب علبة تقول فيها منفعة على حال والعلبة إناء لهم من جلود يحلبون فيه من ذلك قوله

لم تتقنع بفضل مئزرها * دعد ولم تغذ دعد بالعلب

ومن أمثال العرب قد تحلب الضجور العلبة يضربون ذلك للرجل البخيل الذى لا يزال ينال منه الشئ القليل والضجور الناقة السيئة الخلق انما تحلب حين تطلع عليها الشمس فتطيب

نفسها والثلب الذى قد انتهى فى السن من الابل وقال آخر

لم أر مثل الفقر أوضع للفتى * ولم أر مثل المال أرفع للرذل

ولم أر عزا لامرئ كعشيرة * ولم أر ذلا مثل نأى عن الاصل

ولم أر من عدم أضر على امرئ * اذا عاش بين الناس من عدم العقل

وقال آخر

لعمرى لقوم المرء خير بقية * عليه وان عالوا به كل مركب

من الجانب الاقصى وان كان ذا غنى * جزيل ولم يخبرك مثل مجرب

(وان خبرتك النفس أنك قادر * على ماحوت أيدى الرجال فكذب)

اذا كنت فى قوم عدا لست منهم * فكل ماعلفت من خبيث وطيب

العدا الغرباء فى هذا الموضع ويقال للاعداء عدا والعداة الاعداء لا غير وقال اعرابى من باهلة

سأعمل نص العيس حتى يكفنى * غنى المال يوما أو غنى الحدثان

فللموت خير من حياة يرى لها * على المرء ذى العلياء مس هوان

متى يتكلم يلغ حكم مقاله * وان لم يقل قالوا عديم بيان

كأن الغنى فى أهله بورك الغنى * بغير لسان ناطق بلسان

ونظير هذا الشعر ماحدثنا به فى أمر حارثة بن بدر الغدانى فانا حدثنا عن حارثة بن بدر وكان رجل بنى تميم فى وقته وكان قد غلب على زياد وكان الشراب قد غلب عليه فقيل لزياد ان هذا قد غلب عليك وهو مستهتر بالشراب فقال زياد كيف لى باطراح رجل هو يسايرنى منذ دخلت العراق لم يصككنى ركابى ركابه ولا تقدمنى فنظرت الى قفاه ولا تأخر عنى فلويت عنقى اليه ولا اخذ على الشمس فى شتاء قط ولا الروح فى صيف قط ولا سألته عن علم الا ظننت أنه لم يحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله فقال له حارثة أيها الامير ماهذا الجفاء مع معرفتك

بالحال عند أبي المغيرة فقال له عبيد الله ان أبا المغيرة كان قد برع بروعاً لا يلحقه معه عيب وأنا حدث وانما أنسب الى من يغلب علي وأنت رجل نديم الشراب فمتى قربتك فظهرت رائحة الشراب منك لم آمن ان يظن بي فدع النبيذ وكن أول داخل علي وآخر خارج عني فقال له حارثة أنا لا أدعه لمن يملك ضري ونفعي أفأدعه للحال عندك قال فاختر من عملي ما شئت قال توليني رام هرمز فانها أرض عذاة وسرق فان بها شراباً وصف لي فولاه اياها فلما خرج شيعه الناس فقال أنس بن أبي أنيس

أحار بن بدر قد وليت امارة * فكن جرذاً فيها تخون وتسرق
ولا تحقرن يا حار شيئاً وجدته * فحظك من ملك العراقين سرق
وباه تميماً بالغنى ان للغنى * لساناً به المرء الهيوبة ينطق
فان جميع الناس اما مكذب * يقول بما يهوى واما مصدق
يقولون أقوالاً ولا يعلمونها * ولو قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

ورثى حارثة بن بدر زياداً وكان زياد مات بالكوفة ودفن بالثوية فقال

صلى الاله على قبر وطهره * عند الثوية يسفي فوقه المور
زفت اليه قريش نعش سيدها * فثم كل التقى والبر مقبور
أبا المغيرة والدنيا مفجعة * وان من غرت الدنيا لمغرور
قد كان عندك بالمعروف معرفة * وكان عندك للنكراء تنكير
وكنت تغشى وتعطي المال من سعة * ان كان بيتك أضحى وهو مهجور
الناس بعدك قد خفت حلومهم * كأنما نفخت فيها الأعاصير

ونظير هذا قول مهلهل يرثي أخاه كليباً وكان كليب اذا جلس لم يرفع بحضرته صوت ولم تستب بفنائه اثنان

ذهب الخيار من المعاشر كلهم * واستب بعدك يا كليب المجلس

وتقاولوا فى أمر كل عظيمة * لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا

قول حارثة الثويّة فهى بناحية الكوفة ومن قال الثويّة فهو تصغير الثويّة وكل ياء اتصلت بها ياء اخرى فوقعت معتلة طرفا فى التصغير وقبلها ياء التصغير فهى محذوفة وذلك قولك فى عطاء عطىّ وكان الاصل عطيّى كما تقول فى سحاب سحيّب ولكنها تحذف لاعتلالها واجتماع ياءين معها وتقول فى تصغير أحوى أحىّ فى قول من قال فى أسود أسيّد وهو الوجه الجيد لان الياء الساكنة اذا كانت بعدها واو متحركة قلبتها ياء كقولك أيام والاصل أيوام وكذلك سيد والاصل سيود ومن قال فى تصغير أسود أسيود فهو جائز وليس كالاول قال فى تصغير أحوى أحيو يا فتى فتثبت الياء لانه ليس فيه ما يمنعها من اجتماع الياآت ومن قال أسيود فانما أظهر الواو لانها كانت فى التكبير متحركة ولا تقول فى عجوز الاعجيّز لانها ساكنة وانما يجوز هذا على بعد اذا كانت الواو فى موضع العين من الفعل أو ملحقة بالعين نحو واو جدول وانما استجاز والاظهار ها فى التصغير للتشبيه بالجمع لان ما جاوز الثلاثة فتصغيره على مثال جمعه ألا تراهم يقولون فى الجمع أساود وجداول فهذا على التشبيه بهذا فان كانت الواو فى موضع اللام كانت منقلبة على كل حال تقول فى غزوة غزيّة وفى عروة عريّة فهذا شرح صالح فى هذا الموضع وهو مستقصى فى الكتاب المقتضب وقوله يسفى فوقه المور فمعناه ان الريح تسفيه وجعل الفعل للمور وهو التراب وتقول سقاك الله الغيث ثم يجوز أن تجعل الفعل للغيث فتقول سقاك الغيث يا فتى وقال علقمة بن عبدة

سقاك يمان ذو حبىّ وعارض * تروح به جنح العشىّ جنوب

وقوله زفت اليه قريش نعش سيدها يقال زففت السرير وزففت العروس وحدثنى أبو عثمان المازنى قال حدثنى الزيادى قال سمعت قوما من العرب يقولون أزففت العروس وهى

لغة وقوله نعش سيدها يريد موضعه من النسب لانه نسبه الى أبي سفيان وكان رئيس قريش قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وله يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الصيد في بطن الفرا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفرش فراشا في بيته في وقت خلافته فلا يجلس عليه الا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب و يقول هذا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا شيخ قريش وكان حرب بن أمية رئيس قريش يوم الفجار فكان آل حرب اذا ركبوا في قومهم من بني أمية قدموا في المواكب واخليت لهم صدور المجالس الا رهط عثمان رضي الله عنه فان التقديم لهم في الاسلام بعثمان وكان أبو سفيان صاحب العير يوم بدر وصاحب الجيش يوم احد وفي يوم الخندق واليه كانت تنظر قريش في يوم فتح مكة وجعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من دخل في داره فهو آمن في حديث مشهور وقوله كانما نفخت فيها الاعاصير هذا مثل وانما يراد خفة الحلوم والاعصار فيما ذكر أبو عبيدة ريح تهب بشدة فيما بين السماء والارض ومن أمثال العرب ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا يضرب للرجل يكون جلدا فيصادف من هو أجلد منه قال الله عز وجل فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الصيد في بطن الفرا يعني الحمار الوحشي وذلك أن أجل شيء يصيده الصائد الحمار الوحشي فاذا ظفر به فكأنه قد ظفر بجملة الصيد والعرب تختلف فيه فبعضهم يهمزه فيقول هذا فرأ كما ترى وهو الاكثر وبعضهم لا يهمزه ومن أمثالهم أنكحنا الفرا فسنرى أي زوجنا من لا خير فيه فسنعلم كيف العاقبة وجمعه في القولين جميعا فراء كما ترى ونظيره جمل وجمال وجبل وجبال قال الشاعر

بضرب كآذان الفراء فضوله * وطعن كايزاغ المخاض تبورها

الايزاغ دفع الناقة ببولها يقال أوزغت به ايزاغا وازغلت به ازغالا وذلك حين تلقح فهمذ ذلك

يقال انها خلفة وللجميع المخاض وقدم هذا والبور أن تعرض على الفحل ليعلم أهي حامل أم حائل وقال ضابئ بن الحرث البرجمي (من السجين)

ومن يك أمسى بالمدينة رحله * فانى وقيارا بها لغريب

وما عاجلات الطير تدنى من الفتى * نجاحا ولا عن ريثهن تخيب

ورب أمور لا تضيرك ضيرة * وللقلب من مخشاتهن وجيب

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب

قوله فانى وقيارا بها لغريب أراد فانى لغريب بها وقيارا ولو رفع لكان جيدا تقول ان زيدا منطلق وعمرا وعمرو فمن قال عمرا فانما رده على زيد ومن قال عمرو فله وجهان من الاعراب أحدهما جيد والآخر جائز فاما الجيد فأن تحمل عمرا على الموضع لانك اذا قلت ان زيدا منطلق فمعناه زيد منطلق فرددته على الموضع ومثل هذا لست بقائم ولا قاعدا والباء زائدة لان المعنى لست قائما ولا قاعدا ويقرأ على وجهين ان الله برىء من المشركين ورسوله ورسوله والوجه الآخر أن يكون معطوفا على المضمر في الخبر فان قلت ان زيدا منطلق هو وعمرو حسن العطف لان المضمر المرفوع انما يحسن العطف عليه اذا أكدته كما قال الله تعالى اذهب أنت وربك فقاتلا واسكن أنت وزوجك الجنة وانما قبح العطف عليه بغير تأكيد لانه لا يخلو من ان يكون مستكنا في الفعل بغير علامة أو في الاسم الذي يجري مجرى الفعل نحو ان زيدا ذهب وان زيدا ذاهب فلا علامة له أو تكون له علامة يتغير لها الفعل عما كان عليه نحو ضربت سكنت الباء التي هي لام الفعل من أجل الضمير لان الفعل والفاعل لا ينفك أحدهما من صاحبه فهما كالشيء الواحد ولكن المنصوب يجوز العطف عليه ويحسن بلا تأكيد لانه لا يغير الفعل اذ كان الفعل قد يقع ولا مفعول فيه نحو ضربتك وزيدا فاما قول الله عز وجل لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانما يحسن بغير توكيد لان لا صارت عوضا

والشاعر اذا احتاج اجراه بلا توكيد لاحتمال الشعر ما لا يحسن فى الكلام قال عمر بن أبى ربيعة

قلت اذ أقبلت وزهر تهادى * كنعاج الملا تعسفن رملا

وقال جرير

وربما الأخيطل من سفاهة رأيه * ما لم يكن وأب له لينالا

وهذا كثير فاما النعت اذا قلت ان زيدا يقوم العاقل فانت مخير ان شئت قلت العاقل فجعلته نعتا لزيد أو نصبته على المدح وهو باضمار أعنى وان شئت رفعت على ان تبدله من المضمر فى الفعل وان شئت كان على قطع وابتداء كأنك قلت ان زيدا قام فقيل من هو فقلت العاقل كما قال الله عز وجل قل هل أنبئكم بشر من ذلكم النار أى هو النار والآية تقرأ على وجهين على ما فسرنا قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب وعلام الغيوب وقوله وما عاجلات الطير تدنى من الفتى نجاحا يقول اذا لم تعجل له طير سانحة فليس ذلك بمبعد خيرا عنه ولا اذا أبطأت خاب فعاجلها لا يأتيه بخير وآجلها لا يدفعه عنه ان ناله ما قدر له والعرب تزجر على السانح وتتبرك به وتكره البارح وتتشاءم به والسانح ما أراك مياسره فأمكن الصائد والبارح ما أراك ميامنه فلم يمكن الصائد الا أن ينحرف له وقد قال الشاعر

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه * الا كواذب مما يخبر الفال

والفال والزجر والكهان كلهم * مضللون ودون الغيب أقفال

وقوله

ورب أمور لا تضيرك ضيرة * وللقلب من مخشاتهن وجيب

فان العرب تقول ضاره يضيره ضيرة ولا ضير عليه وضره يضره ولا ضر عليه ويقال أصابه ضر وأصابه ضر بمعنى والضر مصدر والضر اسم وقد يكون الضر من المرض والضر عاما وهذا معنى حسن وقد قال أحد المحدثين وهو اسمعيل بن القاسم أبو العتاهية

وقد يهلك الانسان من باب أمنه * وينجو باذن الله من حيث يحذر

وقال الله عز وجل وعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وقال رجل لمعاوية

والله لقد بايعتك وأنا كاره فقال معاوية قد جعل الله فى الكره خيرا كثيرا وقوله

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب

نظيره قول كثير

أقول لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

وكان عبد الملك بن مروان يقول لو كان قال هذا البيت فى صفة الحرب لكان أشعر الناس

وحكى عن بعض الصالحين ان ابناله مات فلم ير به جزع فقيل له فى ذلك فقال هذا امر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره

٢٧ - باب

قال أبو العباس وجه على بن أبى طالب رضى الله عنه جرير بن عبد الله البجلى الى معاوية رحمه الله يأخذه بالبيعة له فقال له ان حولى من ترى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار ولكنى اخترتك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك خير ذى يمن ائت معاوية فخذه بالبيعة فقال جرير والله يا أمير المؤمنين ما أدخرك من نصرتى شيأ وما أطمع لك فى معاوية فقال على رضى الله عنه انما قصدى حجة أقيمها عليه فلما أتاه جرير دافعه معاوية فقال له جرير ان المنافق لا يصلى حتى لا يجد من الصلاة بدا ولا أحسبك تبايع حتى لا تجد من البيعة بدا فقال له معاوية انها ليست بخدعة الصبى عن اللبن انه أمر له ما بعده فأبلعنى ريقى فناظر عمرا فطالت المناظرة بينهما وألح عليه جرير فقال له معاوية ألقاك بالفصل فى أول مجلس ان شاء الله تعالى ثم كتب لعمرو بمصر طعمة وكتب عليه ولا ينقض شرط طاعة فقال عمرو يا غلام اكتب ولا تنقض طاعة شرطا فلما اجتمع له أمره رفع عقيرته ينشد ليسمع جريرا

تطاول ليلى واعترتنى وساوسى * لآت أتى بالترهات البسابس

أتاني جرير والحوادث جمة * بتلك التي فيها اجتداع المعاطس
أكايده والسيف بيني وبينه * ولست لأثواب الدني بلابس
ان الشأم أعطت طاعة يمنية * تواصفها أشياخها في المجالس
فان يفعلوا أصدم عليا بجبهة * تفت عليه كل رطب ويابس
(الجبهة جماعة الخيل)
واني لأرجو خير ما نال نائل * وما أنا من ملك العراق بيائس

وكتب الى علي رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن صخر الى علي بن أبي طالب أما بعد فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الانصار فأطاعك الجاهل وقوي بك الضعيف وقد أبى أهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شورى بين المسلمين ولعمري ما حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير لانهما بايعاك ولم أبايعك وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة لان أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام وأما شرفك في الاسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعك من قريش فلست أدفعه ثم كتب اليه في آخر الكتاب بشعر كعب ابن جعيل وهو

أرى الشأم تكره ملك العراق * وأهل العراق لهم كارهينا
وكلا لصاحبه مبغضا * يرى كل ما كان من ذاك دينا
اذا ما رمونا رميناهم * ودناهم مثل ما يقرضونا
فقالوا علي امام لنا * فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى أن تدينوا له * فقلنا ألا لا نرى أن ندينا

ومن دون ذلك خرط القتاد * وضرب وطعن يقصر العيونا

وأحسن الروايتين يقض الشؤونا وفى آخر هذا الشعر ذم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه امسكنا عن ذكره قوله ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين فهو من الاغراء وهو التحضيض عليه يقال أغريته به وآسدته عليه وآسدت الكلب على الصيد أوسده ايسادا ومن قال أشليت الكلب فى معنى أغريت فقد أخطأ انما أشليته دعوته الى وآسدته أغريته وقول ابن جعيل وأهل العراق لهم كارهينا محمول على أرى ومن قال وأهل العراق لهم كارهونا فالرفع من وجهين أحدهما قطع وابتداء ثم عطف جملة على جملة بالواو ولم يحمله على أرى ولكن كقولك كان زيد منطلقا وعمرو منطلق الساعة خبرت بخبر بعد خبر والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها حالا فيكون معناها اذ كما تقول رأيت زيدا قائما وعمرو منطلق تريد اذ عمرو منطلق وهذه الآية تحمل على هذا المعنى وهو قول الله عز وجل يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم والمعنى والله أعلم اذ طائفة فى هذه الحال وكذلك قراءة من قرأ ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر أى والبحر هذه حاله ومن قرأ والبحر فعلى أن وقوله ودناهم مثل ما يقرضونا يقول جزيناهم وقال المفسرون فى قوله عز وجل مالك يوم الدين قالوا يوم الجزاء والحساب ومن أمثال العرب كما تدين تدان وأنشد أبو عبيدة (الشعر ليزيد بن الصعق الكلابى وله خبر)

واعلم وأيقن أن ملكك زائل * واعلم بأن كما تدين تدان

وللدين مواضع منها ما ذكرنا ومنها الطاعة ودين الاسلام من ذلك يقال فلان فى دين فلان أى فى طاعته ويقال كانت مكة بلدا لقاحا أى لم يكونوا فى دين ملك وقال زهير

لئن حللت بجو فى بنى أسد * فى دين عمرو وحالت بيننا فدك

فهذا يريد فى طاعة عمرو بن هند والدين العادة يقال ما زال هذا دينى ودأبى وعادتى وديدنى

واجريّاي قال المثقب العبدى

تقول اذا درأت لها وضينى * أهذا دينه أبدا ودينى
أكل الدهر حل وارتحال * اما تبقى على وما يقينى

وقال الكميت بن زيد

على ذاك اجرياى وهى ضريبتى * وان أجلبوا طرا على واجلبوا

وقوله فقلنا رضينا ابن هند رضينا يعنى معاوية بن أبى سفيان وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس بن عبد مناف وقوله أن تدينوا له اى أن تطيعوه وتدخلوا فى دينه أى فى طاعته وقوله ومن دون ذلك خرط القتاد فهذا مثل من امثال العرب والقتاد شجيرة شاكة غليظة أصول الشوك فلذلك يضرب خرطه مثلا فى الامر الشديد لانه غاية الجهد ومن قال يفض الشؤون فيفض يفرق تقول فضضت عليه المال والشؤون واحدها شأن وهى مواصل قبائل الرأس وذلك ان للرأس أربع قبائل اى قطع مشعوب بعضها الى بعض فموضع شعبها يقال له الشؤون واحدها شأن وزعم الاصمعى قال يقال ان مجارى الدموع منها فلذلك يقال استهلت شؤونه وانشد قول أوس بن حجر

لا تحزنينى بالفراق فاننى * لا تستهل من الفراق شؤونى

ومن قال يقر العيون ففيه قولان أحدهما للاصمعى وكان يقول لا يجوز غيره يقال قرت عينه وأقرها الله وقال انما هو بردت من القر وهو خلاف قولهم سخنت عينه وأسخنها الله وغيره يقول قرت هدأت وأقرها الله أهدأها الله وهذا قول حسن جميل والاول أغرب وأطرف فكتب اليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه جواب هذه الرسالة بسم الله الرحمن الرحيم من على بن أبى طالب الى معاوية بن صخر امابعد فانه أتانى منك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فأجابه وقاده فاتبعه زعمت أنك انما أفسد

عليك بيعتي خطيئتي في عثمان ولعمري ما كنت الا رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمى وبعد فما أنت وعثمان انما أنت رجل من بني أمية وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه فان زعمت انك اقوى على ذلك فادخل فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكم القوم الي واما تمييزك بينك وبين طلحة والزبير وأهل الشام وأهل البصرة فلعمري ما الامر فيما هنالك الا سواء لانها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار ولا يستأنف فيها النظر وأما شرفي في الاسلام وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من قريش فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته ثم دعا النجاشي احد بني الحرث بن كعب فقال له ان ابن جعيل شاعر أهل الشام وانت شاعر أهل العراق فاجب الرجل فقال يا امير المؤمنين أسمعني قوله قال اذا أسمعك شعر شاعر فقال النجاشي يجيبه

دعايا معاوي ما لن يكونا * فقد حقق الله ما تحذرونا

أتاكم علي بأهل العراق * وأهل الحجاز فما تصنعونا

وبعد هذا ما غسلت عنه قوله ليس له بصر يهديه فمعناه يقوده والهادي هو الذي يتقدم فيدل والحادي الذي يتأخر فيسوق والعنق يسمى الهادي لتقدمه قال الاعشى

اذا كان هادي الفتى في البلا * د صدر القناة أطاع الاميرا

يصف انه قد عمي فانما تهديه عصاه الا تراه يقول

وهاب العثار اذا ما مشى * وخال السهولة وعثا وعورا

وقال القطامي

اني وان كان قومي ليس بينهم * وبين قومك الا ضربة الهادي

وقال أيضا قربن بقصرتن من بزل مخيسة * ومن عراب بعيدات من الحادي

وقوله ولا قائد يرشده فقد أبان به الاول وقوله دعاه الهوى فالهوى من هويت مقصور وتقديره

فعل فانقلبت الياء ألفا فلذلك كان مقصورا وانما كان كذلك لانك تقول هوى يهوى كما تقول فرق يفرق وهو هو كما تقول هو فرق كما ترى وكان المصدر على فعل بمنزلة الفرق والحذر والبطر لان الوزن واحد في الفعل واسم الفاعل فاما الهواء من الجو فممدود يدلك على ذلك جمعه اذا قلت أهوية لان أفعلة انما تكون جمع فعال وفعال وفعول وفعيل كما تقول قذال واقذلة وحمار واحمرة فهواء كذلك والمقصور جمعه أهواء فاعلم لانه على فعل وجمع فعل أفعال كما تقول جمل واجمال وقتب واقتاب قال الله عز وجل واتبعوا أهواءهم وقوله هذا هواء يافتى في صفة الرجل انما هو ذم يقول لاقلب له قال الله عز وجل وأفئدتهم هواء أى خالية وقال زهير كان الرحل منها فوق صعل * من الظلمان جؤجؤه هواء وهذا من هواء الجو قال الهذلى

هواء مثل بعلك مستميت * على ما في وعائك كالخيال

وكل واو مكسورة وقعت أولا فهمزها جائز ينشد على ما في اعائك ويقال وسادة واسادة ووشاح واشاح وأما قوله فما أنت وعثمان فالرفع فيه الوجه لانه عطف اسما ظاهرا على اسم مضمر منفصل وأجراه مجراه وليس ههنا فعل فيحمل على المفعول فكانه قال فما أنت وما عثمان هذا تقديره في العربية ومعناه لست منه في شئ قد ذكر سيبويه رحمه الله النصب وجوزه جوازا حسنا وجعله مفعولا معه وأضمر كان من أجل الاستفهام فتقديره عنده ما كنت وفلانا وهذا الشعر كما أصف لك ينشد

وانت امرؤ من أهل نجد واهلنا * تهام وما النجدى والمتغور

وكذلك قوله (هوزياد الاعجم)

تكلفني سويق الكرم جرم * وما جرم وماذاك السويق

فان كان الاول مضمرا متصلا كان النصب لئلا يحمل ظاهر على مضمر تقول مالك وزيدا

وذلك أنه أضمر الفعل فكأنه قال في التقدير وملابستك زيدا وفي النحو تقديره مع زيد
وإنما صلح الإضمار لأن المعنى عليه إذا قلت مالك وزيدا فإنما تنهاه عن ملابسته إذ لم يجز
وزيد وأضمرت لأن حروف الاستفهام للأفعال فلو كان الفعل ظاهرا لكان على غير إضمار
نحو قولك مازلت وعبد الله حتى فعل لأنه ليس يريد مازلت ومازال عبد الله ولكنه أراد
مازلت بعبد الله فكان المفعول مخفوضا بالباء فلما زال ما يخفضه وصل الفعل إليه فنصبه
كما قال تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا فالواو في معنى مع وليست بخافضة فكان
ما بعدها على الموضع فعلى هذا ينشد هذا الشعر (هو لمسكين الدارمي)

فمالك والتلدد حول نجد * وقد غصت تهامة بالرجال

ولو قلت ما شأنك وزيدا لاختير النصب لأن زيدا لا يلتبس بالشأن لأن المعطوف على الشيء
أبدا في مثل حاله ولو قلت ما شأنك وشأن زيد لرفعت لأن الشأن يعطف على الشأن وهذه
الآية تفسر على وجهين من الإعراب أحدهما هذا وهو الأجود فيها وهو قوله عز وجل
فأجمعوا أمركم وشركاءكم فالمعنى والله أعلم مع شركائكم لأنك تقول جمعت قومي وأجمعت
أمري ويجوز أن يكون لما أدخل الشركاء مع الأمر حمله على مثل لفظه لأن المعنى يرجع
إلى شيء واحد فيكون كقوله (هو عبد الله بن الزبعرى)

يا ليت زوجك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا

وقال آخر * شراب ألبان وتمر وأقط * وهذا بين ويروى أن عبد الله بن يزيد بن معاوية
أتى أخاه خالدا فقال يا أخي لقد هممت اليوم أن أفتك بالوليد بن عبد الملك فقال له خالد بئس
والله ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين فقال إن خيلي مرت به فعبث بها
وأصغرني فقال له خالد أنا أكفيك فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال يا أمير
المؤمنين الوليد ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين مرت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد

فعبث بها واصغره وعبد الملك مطرق فرفع رأسه فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون فقال خالد واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا فقال عبد الملك أفي عبد الله تكلمني والله لقد دخل علي فما اقام لسانه لحنا فقال له خالد أفعلى الوليد تعول فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان اخاه سليمان فقال خالد وان كان عبد الله يلحن فان اخاه خالد فقال له الوليد اسكت يا خالد فوالله ما تعد في العير ولا في النفير فقال خالد اسمع يا امير المؤمنين ثم اقبل عليه وقال ويحك فمن العير والنفير غيري جدي ابو سفيان صاحب العير وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت اما قوله في العير فهي عير قريش التي اقبل بها ابو سفيان من الشأم فنهد اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وندب اليها المسلمين وقال لعل الله ينفلكموها فكانت وقعة بدر وساحل ابو سفيان بالعير فكانت الغنيمة ببدر كما قال الله عز وجل واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اي غير الحرب فلما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل بدر قال المسلمون انهد بنا يا رسول الله الى العير فقال العباس رحمه الله انما وعدكم الله احدى الطائفتين واما النفير فمن نفر من قريش ليدفع عن العير فجاؤا فكانت وقعة بدر وكان شيخ القوم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وهو جد خالد من قبل جدته هند ام معاوية بنت عتبة ومن امثال العرب

لست في العير يوم تحدون بالعيـ ـر ولا في النفير يوم النفير

ثم اتسع هذا المثل حتى صار يقال لمن لا يصلح لخير ولا لشر ولا يحفل به لا في العير ولا في النفير وقوله غنيمات وحبيلات يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اطرد الحكم بن أبي العاصي بن امية وهو جد عبد الملك بن مروان لجأ الى الطائف فكان يرعى غنيمات ويأوي

الى خُبيلة وهي الكرمة وقوله رحم الله عثمان أي لرَدّه اياه وقولنا أطرده أي جعله طريدا وطرده نحّاه كما تقول حمدته أي شكرته وأحمدته أي صادفته محمودا وكان عثمان رحمه الله استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رَدّه متى أفضى الامر اليه روى ذلك الفقهاء

٢٨- باب

قال أبو العباس قال رجل من بني اسد بن خزيمة يمدح يحيى بن حيان أخا النخع بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج وهو مالك

ألا جعل الله اليمانين كلهم * فدى لفتى الفتيان يحيى بن حيان
ولولا عروق في من عصبية * لقلت وألفا من معد بن عدنان
ولكن نفسي لم تطب بعشيرتي * وطابت له نفسي بأبناء قحطان

وهذا من التعصب المفرط وحدثني شيخ من الأزد ثقة عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبيت وهو يدعو لابيه فقيل له ألا تدعو لأمك فقال انها تميمية وسمع رجل يطوف بالبيت وهو يدعو لأمه ولا يذكر اباه فعوتب فقال هذه ضعيفة وأبي رجل يحتال لنفسه وحدثني المازني عمن حدثه قال رأيت رجلا يطوف بالبيت وامه على عنقه وهو يقول

أحمل امي وهي الحماله * ترضعني الدرة والعلاله * ولا يجازى والد فعاله

قوله الدرة فهو اسم مايدر من ثديها ابتداء كان ذلك أو غير ذلك والعلالة لا تكون الا بعد يقال عله يعله ويعله علا والاسم العلالة وكل شيء كان على فعلت من المدغم فمضارعه اذا كان متعديا الى مفعول يكون على يفعل نحو رده يرده وشجه يشجه وفره يفره فاذا قلت فر يفر فاعلم ذلك لانه غير متعد الى مفعول ولكن تقول فررت الدابة أفره وجاء فعل يفعل من المتعدي في ثلاثة أحرف يقال عله يعله ويعله وهره يهره ويهره اذا كرهه ويقال أحبه يحبه وحبه يحبه ولا يكون فيه يفعل قال الشاعر

لعمرك انني وطلاب مصر * لكالمزداد مما حب بعدا

وقال آخر واقسم لولا تمره ما حببته * وكان عياض منه ادنى ومشرق

وقرأ ابو رجاء العطاردي فاتبعوني يحببكم الله ففعل في هذا شيئين أحدهما أنه جاء به من حببت والآخر أنه ادغم في موضع الجزم وهو مذهب تميم وقيس واسد وجماعة من العرب يقولون ردُّ يافتى يدغمون ويحركون الدال الثانية لالتقاء الساكنين فيتبعون الضمة الضمة ومنهم من يفتح لالتقاء الساكنين فيقول ردَّ يافتى لان الفتح أخف الحركات ومنهم من يقول ردِّ يافتى فيكسر لان حق التقاء الساكنين الكسر فاذا كان الفعل مكسورا ففيه وجهان تقول فرِّ يافتى للاتباع وللاصل في التقاء الساكنين وتفتح لان الفتح أخف الحركات واذا كان مفتوحا فالفتح للاتباع ولانه اخف الحركات والكسر على أصل التقاء الساكنين نحو عضَّ يافتى وعضِّ يافتى فاذا القيته ألف ولام فالاجود الكسر من أجل ما بعده وهي لام المعرفة نحو

فغضِّ الطرف انك من نمير * (فلا كعبا بلغت ولا كلابا)

ومنهم من يجريه مجرى الاول فتقع لام المعرفة بعد انقضاء الحركة في الاول فيقول (هو جرير)

ذمَّ المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الايام

ومن كان من شأنه أن يتبع أو يكسر فعلى ذلك ومما جاء في القرآن على لغة من يكسر قوله عز وجل ومن يشاقِّ الله فان الله شديد العقاب واما أهل الحجاز فيجرونه على القياس الاصلي فيقولون اردد واغضض ويقولون افرر من زيد واعضض لما سكن الثاني ظهر التضعيف لانه لا يلتقي ساكنان وكل ذلك من قولهم وقول التميميين قياس مطرد بين وقد شرحناه في الكتاب المقتضب على حقيقة الشرح وقال الآخر

اذا ضيقت أمرا اضاق جدا * وان هونت ما قد عز هانا

فلا تهلك لشئ فات بأسا * فكم أمر تصعب ثم لانا

سأصبر من رفيقي إن جفاني * على كل الأذى إلا الهوانا

فإن المرء يجزع في خلاء * وإن حضر الجماعة أن يهانا

وقال آخر أحسبه من لصوص بني سعد (قال أبو الحسن هو عبيد بن أيوب العنبري وأنشد هذا الشعر ثعلب)

فإني وتركي الإنس من بعد حبهم * وصبري عمن كنت ما إن أزايله

لكالصقر جلى بعد ما صاد قنية * قديراً ومشوياً عبيطاً خراذله

أهابوا به فازداد بعداً وصدّه * عن القرب منهم ضوء برق ووابله

ألم ترني صاحبت صفراء نبعة * لها ربذي لم تفلل معابله

وطال احتضاني السيف حتى كأنما * يلاط بكشحي جفنه وحمائله

أخو فلوات صاحب الجن وانتحى * عن الإنس حتى قد تقضت وسائله

له نسب الإنسي يعرف نجره * وللجن منه شكله وشمائله

قوله وصبري عمن كنت ما إن أزايله إن زائدة وهي تزاد مغيرة للإعراب وتزاد توكيداً وهذا موضع ذلك فالموضع الذي تغير فيه الإعراب هو وقوعها بعد ما الحجازية تقول ما زيد أخاك وما هذا بشراً فإذا أدخلت إن هذه بطل النصب بدخولها فقلت ما إن زيد منطلق قال الشاعر (هو فروة بن مسيك المرادي)

وما إن طبنا جبن ولكن * منايانا ودولة آخرينا

فزعم سيبويه أنها منعت ما العمل كما منعت ما إن الثقيلة أن تنصب تقول إن زيداً منطلق فإذا أدخلت ما صارت من حروف الابتداء ووقع بعدها المبتدأ وخبره والأفعال نحو إنما زيد أخوك وإنما يخشى الله من عباده العلماء ولولا ما لم يقع الفعل بعد إن لأن إن بمنزلة الفعل ولا يلي فعل فعلاً لأنه لا يعمل فيه فأما كان يقوم زيد وكاد تزيغ قلوب فريق منهم ففي كان

وكاد فاعلان مكنيات وما تزاد على ضربين فاحدهما أن يكون دخولها في الكلام كالغائها نحو فيما رحمة من الله لنت لهم أي فبرحمة وكذلك مما خطيئاتهم أغرقوا وكذلك مثلا ما بعوضة وتدخل لتغيير اللفظ فتوجب في الشيء مالولاهي لم يقع نحو ربما ينطلق زيد وربما يود الذين كفروا ولولا ما لم تقع رب على الافعال لانها من عوامل الاسماء وكذلك جئت بعد ماقام زيد كما قال المرار (هو المرار الفقعسي)

أعلاقة أم الوليد بعدما * أفنان رأسك كالثغام المخلس

فلولا ما لم يقع بعدها الا اسم واحد وكان مخفوضا باضافة بعد اليه تقول جئتك بعد زيد وقوله كالصقر جلى تأويل التجلي أن يكون يحس شيأ فيتشوف اليه فهذا معنى جلى قال العجاج

* تجلى البازي اذا البازي كسر * أي نظر ويقال تجلى فلان فلانة تجليا واجتلاها اجتلاء أي نظر اليها وتأملها والاصل واحد وقوله قدرا هو ما يطبخ في القدر يقال قدير ومقدور كقولك قتيل ومقتول وقوله عبيطا خرادله فالعبيط الطري يقال لحم عبيط اذا كان طريا وكذلك دم عبيط ويقال اعتبط فلان بكرته اذا نحرها شابة من غير علة وكذلك اعتبط فلان اذا مات شابا قال أمية (بن أبي الصلت الصحيح أنه لرجل من الخوارج عن الاصمعي)

من لم يمت عبطة يمت هرما * للموت كأس فالمرء ذائقها

وحدثني الزيادي ابراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد قال تحدث رجل من الاعراب قال نزلت برجل من طيئ فنحر لي ناقة فأكلت منها فلما كان الغد نحر أخرى فقلت ان عندك من اللحم ما يغني ويكفي فقال اني والله لا أطعم ضيفي الا لحما عبيطا قال وفعل ذلك في اليوم الثالث وفي كل ذلك آكل شيأ ويأكل الطائي أكل جماعة ثم نؤتى باللبن فأشرب شيأ ويشرب عامة الوطب فلما كان في اليوم الثالث ارتقبت غفلته فاضطجع فلما امتلأ نوما استقت قطيعا من ابله فاقبلته الفج فانتبه واختصر على الطريق حتى وقف

لى فى مضيق منه فالقم وتره فوق سهمه ثم نادى بى لتطب نفسك عنها قلت أرنى آية فقال انظر الى ذلك الضب فانى واضع سهمى فى مغرز ذنبه فرماه فاندر ذنبه فقلت زدنى فقال انظر الى أعلى فقاره فرماه فاثبت سهمه فى الموضع ثم قال لى الثالثة والله فى كبدك قال فقلت شأنك بابلك فقال كلا حتى تسوقها الى حيث كانت قال فلما انتهيت بها قال فكرت فيسك فلم أجد لى عندك ترة تطالبنى بها وما احسب الذى حملك على أخذ ابلى الا الحاجة قال قلت هو والله ذاك قال فاعمد الى عشرين من خيارها فخذها فقلت اذا والله لا أفعل حتى تسمع مدحك والله ما رأيت رجلا اكرم ضيافة ولا أهدى لسبيل ولا أرمى كفا ولا أوسع صدرا ولا أرغب جوفا ولا اكرم عفوا منك قال فاستحيا فصرف وجهه عنى ثم قال انصرف بالقطيع مباركا لك فيه وقوله خرادله يعنى قطعه يقال ضربه ضربا خرادله وتاويله قطعه كما قال

* والضرب يمضى بيننا خرادلا * وقوله أهابوا به يقول دعوه يقال أيه به وأهاب به أى ناداه قال القرشى

أهاب بأحزان الفؤاد مهيب * وماتت نفوس للهوى وقلوب

وقوله ضوء برق ووابله أراد صدّه عنهم ضوء برق ووابله فأضاف الوابل من المطر الى البرق وانما الاضافة الى الشئ على جهة التضمين ولا يضاف الشئ الى الشئ الا وهو غيره أو بعضه فالذى هو غيره غلام زيد ودار عمرو والذى هو بعضه ثوب خز وخاتم حديد وانما أضاف الوابل الى البرق وليس هو له كما قلت دار زيد على جهة المجاورة وانهما راجعان الى السحابة وقد يضاف ما كان كذا على السعة كما قال الشاعر

حتى أنخت قلوصى فى دياركم * بخير من يحتذى نعلا وحافيها

فاضاف الحافى الى النعل والمقصد بحاف منها وقوله ألم تر فى صاحبت صفراء نبعة فالنبع خير الشجر للقسى ويقال ان النبع والشوحط والشريان شجرة واحدة ولكنها تختلف أسماؤها

وتكرم وتحسن عنسابتها فما كان فى قلة الجبل منها فهو النبع وما كان فى سفحه فهو الشوحط وما كان فى الحضيض فهو الشريان وقوله لها ربذى يريد وترا شديد الحركة عند دفع السهم يقال رجل ربذ اليد اذا كان يكثر التحريك ليديه والعبث بهما ويوصف به الفرس لكثرة حركة قوائمه وكان الاصل ربذيا لانه ربذ ولكن ما كان من فعل فنسبت اليه فتح موضع العين منه استثقالا لاجتماع ياءى النسب وكسرة اللام لان ياءى النسب تكسران ما تليانه فلم يدعوا مع ذلك العين مكسورة تقول فى النسب الى النمر بن قاسط نمرى والى الحبطات حبطى والى شقرة وهو الحرث بن تميم بن مر شقرى وفى النسب الى عم عموى يا فتى وقوله لم تفلل معابله يريد لم ينكسر حدها من الفلول وروى أن عروة بن الزبير سأل عبد الملك أن يرد عليه سيف أخيه عبد الله بن الزبير فاخرجه اليه فى سيوف منتضاة فاخذه عروة من بينها فقال له عبد الملك بم عرفته فقال بما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

والمعبلة واحدة المعابل وهى سهم خفيف قال عنترة

وآخر منهم اجررت رمحى * وفى البجلى معبلة وقيع

باسكان الجيم لاغير (قال أبو الحسن بجيلة قبيلة من بنى الهجيم من اليمن)

٢٩- باب

قال أبو العباس تزوج خالد بن يزيد بن معاوية نساء هن شرف من هن منه منهن أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وآمنة بنت سعيد بن العاصى بن امية ورملة بنت الزبير ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ففى ذلك يقول بعض الشعراء يحرض عليه عبد الملك

عليك أمير المؤمنين بخالد * ففى خالد عما تحب صدود

اذا ما نظرنا فى مناكح خالد * عرفنا الذى ينوى وأين يريد

فطلق آمنة بنت سعيد فتزوجها الوليد بن عبد الملك ففي ذلك يقول خالد

فتاة أبوها ذو العصابة وابنه * وعثمان ما أكفاؤها بكثير

فان تفتلتها والخلافة تنقلب * بأكرم علقي منبر وسرير

قوله أبوها ذو العصابة يعني سعيد بن العاصي بن أمية وذلك أن قومه يذكرون انه كان اذا اعتم لم يعتم قرشي اعظاما له وينشدون

أبو احيحة من يعتم عمته * يضرب وان كان ذا مال وذا عدد

ويزعم الزبيريون ان هذا البيت باطل موضوع وقوله فان تفتلتها يقول تأخذها فجاءة ومن ذلك قول الشاعر من يأمن الأيام بعد صبيرة القرشي ماتا

سبقت منيته المشيب * وكان ميتته افتلاتا

(صبيرة بالصاد مهملة في الرواية المشهورة وبالضاد معجمة رواية عاصم على الشرط وكسر النون لالتقاء الساكنين ورواية ابن سراج برفع يأمن على الاستفهام) وفي الحديث أن رجلا قال يا رسول الله ان أمي افتلتت أي ماتت فجاءة ويروى ان آمنة لبثت عند الوليد فلما هلك عبد الملك سعى بها ساع الى الوليد قال أبو العباس وبلغني أنها سعت بها احدى ضراتها الى الوليد بانها لم تبك على عبد الملك كما بكى نظائرها فقال لها الوليد في ذلك فقالت صدق القائل أكنت قائلة ماذا أقول باليته كان بقي حتى يقتل أخالي آخر كعمرو بن سعيد وفي رملة بنت الزبير يقول خالد

تجول خلاخيل النساء ولا أرى * لرملة خلخالا يجول ولا قلبا

فلا تكثروا فيها الملام فانني * تخيرتها منهم زبيرية قلبا

أحب بني العوام طرا لحبها * ومن أجلها احببت أخوالها كلبا

وزيد فيها فان تسلمي أسلم وان تتنصري * يعلق رجال بين أعينهم صلبا

ويروي ان عبد الملك ذكر له هذا البيت فقال له يا خالد أتروي هذا البيت فقال يا امير المؤمنين
علي قائله لعنة الله وذكر العتبي ان الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي لما اكره عبد الله بن
جعفر على أن زوجه ابنته استأجله في نقلها سنة ففكر عبد الله بن جعفر في الانفكاك منه
فالقي في روعه خالد بن يزيد فكتب اليه يعلمه ذلك وكان الحجاج تزوجها باذن عبد الملك فورد
على خالد كتابه ليلا فاستأذن من ساعته على عبد الملك فقيل له أفي هذا الوقت فقال انه أمر
لا يؤخر فاعلم عبد الملك بذلك فأذن له فلما دخل عليه قال له عبد الملك فيم السرى يا ابا هاشم
قال أمر جليل لم آمن ان أؤخره فتحدث على حادثة فلا أكون قضيت حق بيعتك قال وما هو
قال أتعلم انه ما كان بين حيين من العداوة والبغضاء ما كان بين آل الزبير وآل أبي سفيان
قال لا قال فان تزويجي الى آل الزبير حلل ما كان لهم في قلبي فما أهل بيت أحب الي منهم
قال فان ذلك ليكون قال فكيف أذنت للحجاج أن يتزوج في بني هاشم وأنت تعلم ما يقولون
ويقال فيهم والحجاج من سلطانك حيث علمت قال فجزاه خيرا وكتب الى الحجاج بعزمة أن
يطلقها فطلقها فغدا الناس عليه يعزونه عنها فكان فيمن أتاه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان
فأوقع الحجاج بخالد فقال كان الامر لآبائه فعجز عنه حتى انتزع منه فقال له عمرو بن عتبة
لا تقل ذا أيها الامير فان لخالد قديما سبق اليه وحديثا لم يغلب عليه ولو طلب الامر لطلبه
بجد وجد ولكنه علم علما فسلم العلم الى أهله فقال الحجاج يا آل أبي سفيان انتم تحبون أن
تحلموا ولا يكون الحلم الا عن غضب فنحن نغضبكم في العاجل ابتغاء مرضاتكم في الآجل
ثم قال الحجاج والله لأتزوجن من هو أمس به رحما ثم لا يمكنه فيه شيء فتزوج أم الجلاس
بنت عبد الله بن خالد بن أسيد اما قوله ألقي في روعه فان العرب تقول ألقي في روعي وفي قلبي
وفي بجيني وفي تاموري كذا وكذا ومعناه كله واحد الا أن لهذه الاشياء مواضع مختصة وفي
الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي فالروع والجميف

غير مختلفين والعرب تقول أذهب الله قلبه ولا قلب له ولا تقول لا روع له فكأن الروع هو متصل بالقلب وعنه يكون الفهم خاصة ويقال رأيت قلب الطائر ولا يقال رأيت روع الطائر والتامور عند العرب بقية النفس عند الموت وبعضهم تفصح عنه فيجعله دم القلب خاصة الذي يبقى للانسان ما بقى يقال ضعه في تامورك وفي قلبك وفي روعك وفي تخيفك والذماء ممدود مثل التامو رسواء تقول العرب ليس في الحيوان أطول ذماء من الضب وذلك أنه يذبح ثم يطرح في النار بعد ان ظن أنه قد برد فربما سعى من النار وقال رجل لابراهيم بن أدهم عظني فقال اتخذ الله صاحبا وذر الناس جانبا وقال سعيد بن المسيب كنت بين القبر والمنبر مفكرا فسمعت قائلا يقول ولم أره اللهم انى أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا قال سعيد فلزمتهن فلم أر الا خيرا وقال الاصمعي كان من دعاء أبي المجيب اللهم اجعل خير عملي ما قارب أجلي قال وكان يقول في دعائه اللهم لا تكلنا الى أنفسنا فنعجز ولا الى الناس فنضيع قال وحدثني أبو عثمان المازني قال حدثني أبو زيد قال وقف علينا أعرابي في حلقة يونس النحوي فقال الحمد لله كما هو أهله وأعوذ بالله ان أذكر به وأنساه خرجنا من المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين رجلا ممن أخرجته الحاجة وحمل على المكروه لا يمرضون مريضهم ولا يدفنون ميتهم ولا ينتقلون من منزل الى منزل وان كرهوه والله يا قوم لقد جعت حتى اكلت النوى المحرق ولقد مشيت حتى انتعلت الدم وحتى خرج من قدمي بخص ولحم كثير أفلا رجل يرحم ابن سبيل وفل طريق ونضو سفر فانه لا قليل من الأجر ولا غنى عن ثواب الله عز وجل ولا عمل بعد الموت وهو الذي يقول جل ثناؤه من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ملي وفي ماجد واجد جواد لا يستقرض من عوز ولكنه يبلو الأخيار قال فبلغني انه لم يبرح حتى أخذ ستين دينارا قوله بخص يريد اللحم الذي يركب القدم هذا قول الاصمعي وقال غيره هو لحم يخلطه بياض من فساد يحل

فيه ويقال بخصت عينه بالصاد ولا يجوز الا ذلك ويقال بخسته حقه بالسين اذا ظلمته ونقصته كما قال الله عز وجل ولا تبخسوا الناس أشياءهم وفى المثل تحسبها حمقاء وهى باخس ويدل على انه اللحم الذى قد خالطه الفساد قول الراجز (قال أبو الحسن على بن سليمان الاخفش الراجز هو أبو شراعة)

يا قدمى لا أرى لى مخلصا * مما أراه أو تعود ابخصا

وقوله فل فالفل فى أكثر كلامهم المنهزم الذاهب وفى خبر كعب بن معدان الاشعرى (الاشقرى بالقاف لاغير) انا آثرنا الحد على الفل يعنى مجاهد تهم عبد ربه الصغير لانه كان مقبلا على حربهم وتركهم قطريا لانه كان منهزما وفى حديث الحجاج بن علاط السلمى وكان قد أسلم ولم تعلم قريش باسلامه فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر فى ان يصير الى مكة فيأخذ ما كان له من مال وكانت له هناك أموال متفرقة وهو رجل غريب بينهم انما هو احد بنى سليم بن منصور ثم أحد بنى بهز فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى احتاج ان أقول قال فقل قال أبو العباس وهذا كلام حسن ومعنى حسن يقول اقول على جهة الاحتيال غير الحق فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه من باب الحيلة وليس هو من باب الفساد وأكثر ما يقال فى هذا المعنى تقول كما قال الله عز وجل أم يقولون تقوله فصار الى مكة فقالت قريش هذا لعمر الله عنده الخبر قال فقولوا فقالوا بلغنا ان القاطع قد خرج الى أهل خيبر فقال الحجاج نعم فقتلوا أصحابه قتلا لم يسمع بمثله وأخذوه أسيرا وقالوا لا نرى ان نكارم به قريشا فندفعه اليهم فلا تزال لنا هذه اليد فى رقابهم وانما بادرت لجمع مالى لعلى أصيب به من فل محمد وأصحابه قبل ان يسبقنى اليه التجار ويتصل بهم الحديث قال فاجتهدوا فى أن جمعوا الى مالى أسرع جمع وسروا أكثر السرور وقالوا بلا رغم وأتانى العباس وهو كالمرأة الواله فقال ويحك يا حجاج ما تقول قال فقلت أكاتم أنت على

خبري فقال اى والله قال فقلت فالبث على شيأ حتى تخف موضعى قال فسرت اليه فقلت الخبر والله على خلاف ماقلت لهم خلفت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فتح خيبر وخلفته والله معرسا بابنة ملكهم وماجئتك الا مسلما فاطو الخبر ثلاثا حتى اعجز القوم ثم اشعه فانه والله الحق فقال العباس ويحك أحق ماتقول قلت اى والله قال فلما كان بعد ثلاثة تخلق العباس وأخذ عصاه وخرج يطوف بالبيت قال فقالت قريش ياأبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة فقال كلا ومن حلفتم به لقد فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرس بابنة ملكهم فقالوا من أتاك بهذا الحديث فقال الذى أتاكم بخلافه ولقد جاء نا مسلما ثم أتت الاخبار من النواحى بذلك فقالوا أفلتنا الخبيث أولى له وأصل الفل مأخوذ من فللت الحديدة اذا كسرت حدها والنضو البالى المجهود يقال ناقة نضو اذا جهدها السير وجمعه انضاء وفلان نضو من المرض وقوله لا يستقرض من عوز فالعوز تعذر المطلوب يقال أعوز فلان فهو معوز اذا لم يجد والمعاوز فى غير هذا الموضع الثياب التى تبتذل ليصان بها غيرها وقوله ولكن ليبلو الاخبار يقال الله يبلوهم و يبتليهم و يختبرهم فى معنى وتأويله يمتحنهم وهو العالم عز وجل بما يكون كعلمه بما كان قال الله جل ثناؤه ليبلوكم أيكم أحسن عملا قال وحدثنى أبو عثمان المازنى قال رأيت أبا فرعون العدوى ومعه ابنتاه وهو فى سكة العطارين بالبصرة يقول

بنيتى صابرا أباكما * انكما بعين من براكما
الله ربى سيدى مولاكما * ولو يشاء عنهم أغناكما

وكان أبو فرعون وهو من بنى عدى الرباب بن عبد مناة بن أد وقال الزيدى هو مولاهم وكان فصيحا وقدم قوم من الاعراب البصرة من أهله فقيل له تعرض لهم وفهم فقال

ولست بسائل الاعراب شيأ * حمدت الله اذ لم يأكلونى

وروى الاسدى انه افتقر رجل من الصيارفة بالحاح الناس فى أخذ أموالهم التى كانت لديه

وتعذّر أمواله التي كانت له عند الناس فسأل جماعة من الجيران أن يسير واحد معه الى رجل من قريش كان موسرا من أولاد أجوادهم ليسدّ من خلّته فساروا اليه فجلسوا في الصحن فخرج اليهم يخطر بقضيب في يده حتى ثنى وسادة فجلس عليها فذكروا حاجتهم وخلّة صاحبهم مع قديم نعمته وقريب جواره فخطر بالقضيب ثم قال متمثلا (الشعر لنصيب وقيل لكثير والاول أثبت)

اذا المال لم يوجب عليك عطاءه * صنيعة تقوى أو صديق توامقه

بخلت وبعض البخل حزم وقوة * فلم يفتلذك المال الا حقائقه

ثم اقبل على القوم فقال انا والله ما نجمد عن الحق ولا نتدفق في الباطل وان لنا لحقوقا تشغل فضول أموالنا وما كل من أفلس من الصيارفة احتملنا له جبره فقوموا رحمكم الله قال فابتدر القوم الابواب قوله فلم يفتلذك المال يقول لم يقتطع منك يقال فلذ له من العطاء أي قطع له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين قال الغلامان في القوم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها وقال أبو قحافة أعشى باهلة يعني المنتشر بن وهب الباهلي

تكفيه فلذة كبد ان ألمّ بها * من الشواء ويكفي شربه الغمر

قال عبد الملك بن عمير استعمل عتبة بن أبي سفيان رجلا من آله على الطائف فظلم رجلا من أزدشنوءة فأتى الازدي عتبة فمثل بين يديه فقال

أمرت من كان مظلوما ليأتيكم * فقد أتاكم غريب الدار مظلوم

ثم ذكر ظلامته فقال له عتبة اني أراك أعرابيا جافيا والله ما أحسبك تدري كم تصلي في كل يوم وليلة فقال أرأيت ان أنبأتك ذلك أتجعل لي عليك مسئلة قال نعم فقال الاعرابي

انّ الصّلاة أربع وأربع * ثمّ ثلاث بعدهنّ أربع * ثمّ صلاة الفجر لا تضيع

فقال صدقت فاسئل فقال كم فقار ظهرك فقال لا أدرى فقال أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك قال ردّوا عليه غنيمته قوله فقار انما هو جمع فقارة ويقال فقرة فمن قال فى الواحد فقرة قال فى الجميع فقر كقولك كسرة وكسر ومن قال للواحدة فقارة قال للجميع فقار كقولك دجاجة ودجاج وحمامة وحمام وشهد اعرابى عند معاوية بشئ كرهه فقال له معاوية كذبت فقال الاعرابى الكاذب والله متزمّل فى ثيابك فقال معاوية وتبسّم هذا جزاء من عجل قال أبو العباس قرأت على عبد الله بن محمد المعروف بالتوّزى عن أبى عبيدة معمر بن المثنّى التيمى قال كانت السواقط ترد اليمامة فى الاشهر الحرم لطلب التمر فان وافقت ذلك والا أقامت بالبلد الى أوانه ثم تخرج منه فى شهر حرام فكان الرجل منهم اذا قدم يأتى رجلا من بنى حنيفة وهم أهل اليمامة أعنى بنى حنيفة بن لجيم بن صعب بن على ابن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار فيكتب له على سهم أو غيره فلان جار فلان والسواقط من ورد اليمامة من غير أهلها وقد كان النعمان بن المنذر أراد أن يجليهم منها فأجارهم هزارة بن سلمى الحنفى ثم أحد بنى ثعلبة بن الدول بن حنيفة فسوّغه الملك ذلك فقال أوس بن حجر يحضّ النعمان عليه

زعم ابن سلمى هزارة أنه * مولى السواقط دون آل المنذر

منع اليمامة حزنها وسهولها * من كل ذى تاج كريم المفخر

وذكر أبو عبيدة أن رجلا من السواقط من بنى أبى بكر بن كلاب قدم اليمامة ومعه أخ له فكتب له عمير بن سلمى أنه له جار وكان أخو هذا الكلابى جميلا فقال له قرين أخو عمير لا تردنّ أبياتنا بأخيك هذا فرآه بعد بين أبياتهم فقتله قال أبو عبيدة وأما المولى فذكر أن قرينا أخا عمير كان يتحدث الى امرأة أخى الكلابى فعثر عليه زوجها فخافه قرين عليها فقتله

وكان عمير غائبا فأتى الكلابيُّ فبرسلمى أبي عمير وقرين فاستجار به وقال (قال ابو الحسن الاخفش قال أبو العباس قرينٌ ووجدته بخط دماذ صاحب أبي عبيدة قُرَينٌ)

وإذا استجرت من اليمامة فاستجر * زيد بن يربوع وآل مجمع

وأتيت سلميّا فعُذتَ بقبره * وأخو الزمانة عائذ بالأمنع

أقرين انك لو رأيت فوارسي * بعمايتين الى جوانب ضلفع

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن * للغدر خائنة مغل الاصبع

فلجأ قرينٌ الى قتادة بن مسلمة بن عبيد بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة فحمل قتادةُ الى الكلابي ديات مضاعفة وفعلت وجوه بني حنيفة مثل ذلك فأبى الكلابيُّ أن يقبل فلما قدم عمير قالت له أمه وهي أم قرين لا تقتل أخاك وسق الى الكلابي جميع ماله فأبى الكلابيُّ أن يقبل وقد لجأ قرينٌ الى خاله السمين بن عبد الله فلم يمنع عميرا منه فاخذه عميرٌ فمضى به حتى قطع الوادي فربطه الى نخلة وقال للكلابي أما اذا أبيت الا قتله فأمهل حتى أقطع الوادي وارتحل عن جواري فلا خير لك فيه فقتله الكلابي ففي ذلك يقول عمير

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا * وكان أبونا قد تجير مقابره

وقالت أم عمير تعد معاذرا لا عذر فيها * ومن يقتل أخاه فقد ألاما

قوله ولم تكن للغدر خائنة ولم يقل خائنا فانما وضع هذا في موضع المصدر والتقدير ولم تكن ذا خيانة وقوله للغدر أي من اجل الغدر وقال المفسرون والنحويون في قوله الله عز وجل • انه لحب الخير لشديد أي لشديد من أجل حب الخير والخير ههنا المال من قوله تعالى ان ترك خيرا الوصية وقوله لشديد أي لبخيل والتقدير والله أعلم انه لبخيل من أجل حبه للمال تقول العرب فلان شديد ومتشدد أي بخيل قال طرفة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي * عقيلة مال الفاحش المتشدد

وقلما يجيء المصدر على فاعل فمما جاء على وزن فاعل قولهم عوفي عافية وفلج فالجا وقم قائما أي قم قياما وكما قال * ولا خارجا من في زور كلام * أي ولا يخرج خروجا وقد مضى تفسير هذا والمغل الذي عنده غلول وهو ما يختان ويختبن ويستعمل مستعارا في غير المال يقال غل يغل كقول الله عز وجل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ويقال أغل فهو مغل اذا صودف يغل أو نسب اليه ومن قرأ وما كان لنبي أن يغل فتأويله أن يأخذ ويستأثر ومن قرأ أن يغل فتأويله على ضربين يكون أن يقال ذلك فيه ويكون وهو الذي نختار أن يخون فان قال قائل كيف يكون التقدير وقد قال ما كان لنبي أن يغل فيغل لغيره وأنت لا تقول ما كان لزيد أن يقوم عمرو فالجواب أنه في التقدير على معنى ما ينبغي لنبي أن يخون كما قال وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله ولو قلت ما كان لزيد أن يقوم عمرو اليه لكان جيدا للراجع اليه وكان جيدا على تقديرك ما كان زيد ليقوم عمرو اليه كما قلنا في الآية والاصبع أفصح ما يقال وقد يقال أصبع واصبع وأصبع وموضعها ههنا موضع اليد يقال لفلان عليك يد ولفلان عليك اصبع وكل جيد وانما يعني ههنا النعمة وأما قوله قلنا أنا نا للوفاء بجارنا فيكون على ضربين أحدهما أن يكون فخم نفسه وعظمها فذكرها باللفظ الذي يذكر الجميع به والعرب تفعل هذا ويعد كبرا ولا ينبغي على حكم الاسلام أن يكون هذا مستعملا الا عن الله عز وجل لانه ذو الكبرياء كما قال الله تبارك وتعالى انا أنزلناه في ليلة القدر وانا أوحينا اليك وكل صفات الله أعلى الصفات وأجلها فما استعمل في المخلوقين على تلك الالفاظ وان خالفت في الحكم فحسن جميل كقولك فلان عالم وفلان قادر وفلان رحيم وفلان ودود الا ما وصفنا قبل من ذكر التكبر فانك اذا قلت فلان جبار أو متكبر كان عليه عيبا ونقصا وذلك لمخالفة هاتين الصفتين الحق وبعدهما من الصواب لانهما للمبدئ المعيد الخالق البارئ ولا يليق ذلك بمن تكسره الجوعة وتطغيه الشبعة وتنقصه اللحظة وهو في

كل أموره مدبر وأما القول الآخر في البيت وهو قلنا أخا نا فمعناه أنه له ولمن شايعه من عشيرته وأما قولها ومن يقتل أخاه فقد ألام تقول أتى ما يلام عليه يقال ألام الرجل اذا تعرض لأن يلام

٣٠- باب

قال أبو العباس أنشدني السعدي أبو محلم

أنا سألنا قومنا فخيارهم * من كان أفضلهم أبوه الأول
أعطى الذي أعطى أبوه قبله * وتبخلت أبناء من يتبخل

وأنشدني أيضا

لطلحة بن حبيب حين تسأله * أندى وأكرم من فند بن هطال
وبيت طلحة في عز ومكرمة * وبيت فند الى ربق وأجمال
ألا فتى من بني ذبيان يحملني * وليس يحملني الا ابن حمال
فقلت طلحة أولى من عمدت له * وجئت أمشي اليه مشي مختال
مستيقنا أن حبلي سوف يعلقه * في رأس ذيالة أو رأس ذيال

قوله الى ربق وأجمال انما أراد جمع جمل على القياس كما تقول في جميع باب فعل جمل وأجمال وصنم وأصنام وقوله ألا فتى من بني ذبيان يحملني يعني ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ابن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر وأنشد بعضهم * وليس حاملني الا ابن حمال * وهذا لا يجوز في الكلام لانه اذا نون الاسم لم يتصل به المضمر لان المضمر لا يقوم بنفسه فانما يقع معاقبا للتنوين تقول هذا ضارب زيدا غدا وهذا ضاربك غدا ولا يقع التنوين ههنا لانه لو وقع لانفصل المضمر وعلى هذا قول الله تعالى انا منجوك وأهلك وقد روى سيبويه بيتين محمولين على الضرورة وكلاهما مصنوع وليس أحد من النحويين المفتشين يجيز مثل

هذا فى الضرورة لما ذكرت من انفصال الكناية والبيتان اللذان رواهما سيبويه

هُمُ القائلونَ الخيرَ والآمرونَهُ * اذا ما خَشَوا يوماً من الأمرِ مُعْظَما

وأنشد

ولم يَرْتَفِقْ والناسُ مُحْتَضِرونَهُ * جميعاً وأيدى المُعْتَفِينَ رواهقُهْ

وانما جاز أن تُبَيِّنَ الحركةَ اذا وقفتَ فى نون الاثنين والجمع لانه لا يلتبس بالمضمر تقول هما رَجُلانِهْ وهم ضاربونَهْ اذا وقفتَ لانه لا يلتبس بالمضمر اذ كان لا يقع هذا الموقع ولا يجوز أن تقول ضربتُهْ وأنت تريد ضربتُ والهاء لبيان الحركة لان المفعول يقع فى هذا الموضع فيكون لبساً فاما قولهم ارمِهْ واغزُهْ فتلحق الهاء لبيان الحركة فانما جاز ذلك لما حذفتَ من أصل الفعل ولا يكون فى غير المحذوف وقوله فى رأس ذيالة يعنى فرساً انثى أو حصاناً والذَّيَّالُ الطويل الذَّنَب وانما يُحْمَدُ منه طول شعر الذَّنَب وقِصَرُ العَسِيب واما الطويلُ العَسِيب فمذموم ويقال ذلك للثور أيضاً أعنى ذَيَّالاً قال امرؤُ القيس

بجالَ الصُّوارُ واتَّقَيْنَ بقرهبٍ * طويلِ القَرا والرَّوقِ أخنسَ ذَيَّالِ

ويقال أيضاً للرجل ذَيَّالٌ اذا كان يجرُّ ذيلَهُ اختيالاً ويقال له فَضْفاضٌ فى ذلك المعنى ويروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال لمُؤَدِّبِهِ كيف كانت طاعتى اياك وأنت تُؤَدِّبُنى فقال أحسنَ طاعة قال فأطِعْنى الآن كما كنتُ أُطيعُكَ اذ ذاكَ خُذْ من شاربك حتى تبدُوَ شفتاكَ ومن ثوبكَ حتى تبدُوَ عَقِباكَ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فَضْلُ الازار فى النار وقال آخر

* مالَدَ مالَدَ ومالَهُ * يَبْكى وقد أنعمتُ مابالَهُ

مالى أراهُ مُطْرِقاً سامياً * ذا سَنَةٍ يُوعِدُ أخوالَهُ

وذاكَ منه خُلُقٌ عادةٌ * أن يفعلَ الأمرَ الذى قالَهُ

انّ ابن بيضاءَ وتَرْكَ النَّدَى * كالعبدِ اذ قَيَّدَ أجمالَهُ

البيتَ لا أدفنُ قتلاكُم * فدخنوا المرءَ وسرباله

والدرع لا أبغي بها نثرة * كل امرئ مستودع ماله

والرمح لا أملأ كفي به * واللبد لا أتبع تزواله

قوله ماالدد يعني رجلا وددفي الاصل هو اللهو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست من دد ولا دد مني وقد يكون في غير هذا الموضع مأخوذا من العادة وهذه اللام الخافضة تكون مكسورة مع الظاهر ومفتوحة مع المضمر والفتح أصلها ولكن كسرت مع الظاهر خوف اللبس بلام الخبر تقول ان هذا لزيد فيعلم انه شيء في ملك زيد فان قلت ان هذا لزيد في الوقف علم قبل الادراج انه زيد ولو فتحت المكسورة لم يعلم الملك من المعنى الآخر في الوقف وأما المضمر فبين فيه لأن علامة المخفوض غير علامة المرفوع تقول ان هذا لك وان هذا لأنت وقوله وقد أنعمت ما باله فما زائدة والبال ههنا الحال وللبال موضع آخر وحقيقته الفكر تقول ماخطر هذا على بالي وقوله مطرقا ساميا فالسامي الرافع رأسه يقال سما يسمو اذا ارتفع والمطرق الساكت المفكر المنكس رأسه فانما أراد ساميا بنفسه وقوله ذا سنة يقول كأنه لطول اطراقه في نعسة وقوله كالعبد اذ قيد أجماله يريد أنه غير مكترث لاكتساب المجد والفضل وذلك أن العبد الراعي اذا قيد أجماله لف رأسه ونام حجرة وهذا شبيه بقوله

* واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي * وقوله فسد خنوا المرء وسمر باله يروى أنه طعن فارسا منهم فأحدث فقال نظفوه فاني لا أدفن القتيل منكم الا طاهرا وقوله والدرع لا أبغي بها نثرة فالنثرة الدرع السابغة يقول درعي هذه تكفيني وقوله كل امرئ مستودع ماله أي مسترهن بأجله وهو كقول الأعشى

كنت المقدم غير لابس جنة * بالسيف تضرب معلما أبطالها

وعلمت أن النفس تلقى حتفها * ما كان خالقها المليك قضى لها

وقوله الرمح لا أملأ كفي به يتأول على وجهين أحدهما أن الرمح لا يملأ كفي وحده أنا

أقاتل بالسيف و بالرمح و بالقوس وغير ذلك والقول الآخر أني لا أملأ كفي به انما أختلس به اختلاسا كما قال الشاعر

ومُدَجَّجٍ سبقتْ يداي له * تحتَ الغبار بطعنةٍ خلسِ

وقوله واللبدلا أتبع تزواله يقول ان انحلّ الحزامُ قال اللبدلم أمل معه أي أنا فارس ثبتٌ

وقال الفرزدق ونزل به ذئب فأضافه

وأطلسَ عسّالٍ وما كان صاحبًا * رفعتُ لنارى موهنًا فأتاني

فلما أتى قلتُ ادنُ دونكَ انني * واياك في زادى لمشتركان

فبتُّ أقدُّ الزاد بيني وبينه * على ضوء نارٍ مرةً ودخانِ

وقلتُ له لما تكشّر ضاحكا * وقائمُ سيفي من يدى بمكان

تعشّ فإن عاهدتنى لا تخوننى * نكنْ مثل من يا ذئبُ يصطحبان

وأنت امرؤٌ يا ذئبُ والغدرُ كنتما * أخيين كانا أرضعا بلبان

ولو غيرنا نبّهتَ تلتمسُ القرى * رماكَ بسهمٍ أو شباة سنان

قوله وأطلس عسال فالأطلس الأغبر وحدثني مسعود بن بشر قال أنشدني طاهر بن علي الهاشمي قال سمعت عبد الله بن طاهر بن الحسين ينشد في صفة الذئب

بهم بني محارب مُزدارُه * أطلسُ يخفي شخصَه غبارُه * في شدقه شفرتُه ونارُه

قوله يخفي شخصه غباره يقول هو في لون الغبار فليس يتبيّنُ فيه وقوله عسّال فانما نسبه الى مشيته يقال عسّ الذئبُ يعسلُ وهو مشي خفيف كالهرولة قال الشاعر (هو ساعدة) يصف رمحا

لدنٌ بهزّ الكفِّ يعسلُ متنُه * فيه كما عسلَ الطريقَ الثعلبُ

وقال لبيد

عسلانَ الذئبِ أمسى قاربًا * بردَ الليلُ عليه فنسلْ

قال أبو عبيدة نسلَ في معنى عسلَ وقال الله عز وجل فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون

وخفض بهذه الواو لانها في معنى رُبَّ وانما جاز أن يُخفَض بها لوقوعها في معنى رب لانها حرف خفض وهي أعني الواو تكون بدلا من الباء في القسم لان مخرجها من مخرج الباء من الشفة فاذا قلت والله لافعلنّ فمعناه أُقسم بالله لافعلنّ فان حذفتها قلت اللهَ لافعلنّ لان الفعل يقع على الاسم فينصبه والمعنى معنى الباء كما قال الله عز وجل واختار موسى قومَهُ سبعين رجلا لميقاتنا وصل الفعلُ فعملَ والمعنى معنى من لانها للتبعيض فقد صارت الواو تعمل بلفظها عملَ الباء وتكون في معناها وتعمل عمل رب لاجتماعهما في المعنى للاشتراك في المخرج وقوله رفعتُ لنارى من المقاوب انما أراد رفعتُ له نارى والكلام اذا لم يدخله لبسٌ جاز القلب للاختصار قال الله عز وجل وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوءُ بالعصبة أولى القُوّة والعصبةُ تنوءُ بالمفاتيح أي تستقل بها في ثقل ومن كلام العرب ان فلانة لتنوء بها عجيزتُها والمعنى لتنوءُ بعجيزتها وأنشد أبو عبيدة للاخطل

أماّ كليبُ بن يربوع فليس لها * عند التفاخر ايرادٌ ولا صدرُ

مخلّفون ويقضي الناسُ أمرهُمُ * وهُم بغيبٍ وفي عمياء ما شعروا

مثلُ القنافذ هدّاجون قد بلغتْ * نجرانُ أو بلغتْ سوآتِهم هجرُ

فجعل الفعل للبلدتين على السعة وروى أن يونس بن حبيب قال لابي الحسن الكسائي كيف تُنشدُ بيت الفرزدق فأنشده

غداة أحلّتْ لابن أصرم طعنةٌ * حصينٍ عبيطاتِ السدائفِ والخمرُ

فقال الكسائي لما قال غداة أحلت لابن أصرم طعنة حصين عبيطات السدائف تمَّ الكلام فحملَ الخمر على المعنى أراد وحلّتْ له الخمرُ فقال له يونس ما أحسنَ ما قلتَ ولكن الفرزدق أنشدنيه على القلب فنصب الطعنةَ ورفع العبيطات والخمرَ على ما وصفنا من القلب والذى ذهب اليه الكسائي أحسن في محض العربيّة وان كان انشاد الفرزدق جيّدا وقوله فلما دنا

قلتُ ادنُ دونكَ أمرٌ بعد أمرٍ وحَسُنَ ذلكَ لان قوله ادنُ للتقريب وفى قوله دونكَ أمرُه بالاكل كما قال جرير لعيّاش بن الزبرقان

أعيّاشُ قد ذاقَ القيونُ مَواسمى * وأوقدتُ نارى فادنُ دونكَ فاصْطَلِ

(جمع مِيسَم وهو حديدة تصنَعُها البَيْطارُ) وقوله على ضوء نار مرة ودخان يكون على وجهين أحدهما على ضوء نار وعلى دخان أى على هاتين الحالتين ارتفعت النار أو خبت وجائز أن يعطف الدخان على النار وان لم يكن للدخان ضياءٌ ولكن للاشتراك كما قال الشاعر

يا ليتَ زوجَكِ قد غدا * متقلّدًا سيفًا ورمحا

لان معناهما الحمل وكما قال * شرابُ ألبانٍ وتمرٍ وأقِط * فأدخل التمر فى المشروب لاشتراك المأكول والمشروب فى الحلوق وهذه الآية تحمل على هذا يُرسَلُ عليكما شُواظٌ من نارٍ ونُحاسٌ والشُواظ اللهبُ لادخان له والنُحاسُ الدخان وهو معطوف على النار وهى مخفوضة بالشواظ لما ذكرتُ لك قال النابغةُ الجعدىّ

تُضىءُ كمثلِ سِراجِ الذُبا * لِ لم يجعلِ اللهُ فيه نُحاسا

أى دخانا وقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان (مَن يجوز أن يكون نكرة موصوفة تقديره مثل اثنين يصطحبان وأن يكون بمعنى الذى و يصطحبان صلته) فمَنْ تقع للواحد والاثنين والجميع والمؤنث على لفظ واحد فان شئت حملتَ خبرها على لفظها فقلتَ مَن فى الدار يحبُّكَ عنيتَ جميعًا أو اثنين أو واحدًا أو مؤنثا وان شئت حملته على المعنى فقلت يحبّانكَ وتحبّكَ اذا عنيتَ امرأة ويحبّونكَ اذا عنيت جميعا كل ذلك جائز جيد قال الله عز وجل ومنهم مَن يؤمنُ به ومنهم مَن لا يؤمن به ومنهم مَن يقول ائذن لى ولا تفتنّى وقال فحَمَلَ على المعنى ومنهم مَن يستمعون اليك وقرأ أبو عمرو ومَن يقنتْ منكُنَّ لله ورسوله وتعمل صالحا فحمَلَ الاول على اللفظ والثانى على المعنى وفى القرآن بلى من أسلم وجهه لله وهو محسنٌ فله أجره عند ربه

فهذا كله على اللفظ ثم قال ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون على المعنى. وقوله أوشباة سنان فالشبا والشباة واحد وهو الحدّ وممّا يُستحسَن في وصف الجود والحثّ على المبادرة به وتعريف حمد العاقبة فيه قول النمر بن تولب العكلي أحد بني عكل بن عبد مناة بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر (قال ابن سراج رحمه الله من رواه الياس فقد أخطأ انما هو ابن الياس بوصل الالف وكسر السين والالف واللام للتعريف والاسم يأس مشتق من يئست)

أعاذل ان يُصبح صدای بقفرة * بعيدًا نآني صاحبي وقريبي

ترى أنّ ما أبقيت لم أكُ ربّه * وأنّ الذي انفقت كان نصيبي

وذي ابل يسعى ويحسبها له * أخي نصب في رعيها ودؤوب

غدت وغدا ربٌّ سواه يقودها * وبدّل أحجارًا وجالَ قليب

قوله ان يصبح صداى بقفرة فالصدى على ستة أوجه أحدها ما ذكرنا وهو ما يبقى من الميت في قبره والصدى الذكر من البوم قال ابن مفرّغ (اسمه ربيعة وسمي مفرغا لانه شرب سقاء بن ففرغهما)

وشريت بردًا ليتني * من بعد برد كنت هامه

هامةً تدعو صدى * بين المشقّر واليمامه

ويقال فلان هامةُ اليوم أو غد أي يموت في يومه أو في غده ويقال ذلك للشيخ اذا أسنّ والمريض اذا طالت علّته والمحتقر لمدة الآجال (رواية عاصم بن أيوب رحمه الله برفع المحتقر رفعه بالابتداء ويضمر الخبر فيكون التقدير والمحتقر لمدة الآجال يقال ذلك له ورواية ابن سراج بالخفض على العطف) وفي الحديث أن حسلًا أبا حذيفة بن حسل بن اليمان قال لشيخ آخر تخلّف معه في غزوة أحد انهض بنا ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما نحن هامةُ اليوم أو غد وكانا قد أسنّا (حسلٌ أبو حذيفة هو حسل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان والشيخ الذي تخلف معه ثابت بن وقش الانصاري) والصدى حشوة

الرأس يقال لذلك الهامة والصدى وتأويل ذلك عند العرب فى الجاهلية أن الرجل كان عندهم اذا قتل فلم يدرك به الثأر أنه يخرج من رأسه طائر كالبومة وهى الهامة والذكر الصدى فيصيح على قبره اسقونى اسقونى فان قتل قاتله كف ذلك الطائر قال ذو الاصبع العدوانى أحد بنى عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر (هو حرثان بن محرث سمى بذى الاصبع لانه كان له اصبع زائدة وقيل لان حية عضته فى اصبعه)

يا عمرو الا تدع شتمى ومنقصتى * اضربك حيث تقول الهامة اسقونى

والصدى ما يرجع عليك من الصوت اذا كنت بمتسع من الارض أو بقرب جبل كما قال

انى على كل ايسارى ومعسرتى * أدعو حنيفا كما تدعى ابنة الجبل

يعنى الصدى وتأويله انه يجيبنى فى سرعة اجابة الصدى وقال آخر

كأنى اذ دعوت بنى سليم * دعوت بدعوتى لهم الجبالا

والصدأ مهموز صدأ الحديد وما أشبهه قال النابغة الذبيانى

سهكين من صدإ الحديد كأنهم * تحت السنور جنة البقار

وقال الأعشى فأما اذا ركبوا فالوجو * ه فى الروع من صدإ البيض حم

والصدى مصدر الصدى وهو العطشان يقال صدى يصدى صدى وهو صد قال طرفة

* ستعلم ان متنا صدى أينا الصدى * (ويروى صدى أينا بخفض أينا على الاضافة فصدى على هذه الرواية يرتفع بالابتداء والصدى الخبر) وقال القطامى

فهن ينبذن من قول يصبن به * مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

تأويل قوله تأتينى يكون على ضربين يكون أبعدنى وأحسن ذلك أن يقول أتانى وقد رويت هذه اللغة الاخرى وليست بالحسنة وانما جاءت فى حروف يقال غاض الماء وغضته ونزحت البئر ونزحتها وهبط الشئ وهبطته وبنو تميم يقولون أهبطته وأحرف سوى هذه

يسيرة والوجه فى فعل أفعلته نحو دخل وادخلته ومات وأماته الله فهذا الباب المطرد ويكون نا ٓ نى فى موضع نأى عنى كما قال الله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون أى كالوا لهم أو وزنوا لهم وقوله ودؤوب يقول والحاح عليه تقول دأبت على الشئ قال الشاعر

(هو الراعى) دأبت الى أن ينبت الظل بعدما * تقاصر حتى كاد فى الآل يمصح

وقوله جل ثناؤه كدأب آل فرعون يقول كعادتهم وسنتهم ومثله الدين والديدن وقد مر هذا وقوله ويبدل أحجارا وجال قليب فالجال الناحية يقال لكل ناحية من البئر والقبر وما أشبه ذلك جال وجول وقال مهلهل

كأن رماحهم أشطان بئر * بعيد بين جاليها جرور

ويقال رجل ليس له جول أى ليس له عقل وهذا الشعر نظير قول حاتم الطائى

أماوى ان يصبح صداى بقفرة * من الارض لاماء لدى ولا خمر

ترى أن ما أبقيت لم أك ربه * وان يدى مما بخلت به صفر

وقال الحرث بن حلزة اليشكرى فى هذا المعنى

قلت لعمرو حين أرسلته * وقد حبا من دوننا عالج

لا تكسع الشول بأغبارها * انك لا تدرى من الناتج

واصبب لأضيافك ألبانها * فان شر اللبن الوالج

قوله لا تكسع الشول بأغبارها فان العرب كانت تنضح على ضروعها الماء البارد ليكون أسمن لاولادها التى فى بطونها والغبر بقية اللبن فى الضرع فيقول لا تبق ذلك اللبن لسمن الاولاد فانك لا تدرى من ينتجها فلعلك تموت فتكون للوارث أو يغار عليها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول ابن آدم مالى مالى ومالك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو أعطيت فأمضيت ويروى عن بعضهم انه قال انى أحب البقاء

وكالبقاء عندي حسن الثناء وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

فاذا بلغتم أرضكم فتحدثوا * ومن الحديث متالف وخلود

وأنشد فأتوا علينا لا أبا لأبيكم * بأفعالنا ان الثناء هو الخلد

وقال معاوية لابن الأشعث بن قيس ما كان جدك قيس بن معدي كرب أعطى الأعشى فقال أعطاه مالا وظهرا أو رقيقا وأشياء أنسيتها فقال معاوية لكن ما أعطاكم الاعشى لا ينسى وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنة هرم بن سنان المري ما وهب أبوك زهيرا فقالت أعطاه مالا وأثاثا أفناه الدهر فقال عمر لكن ما أعطاكموه لا يفنيه الدهر وقال المفسرون في قول الله عز وجل عن ابراهيم صلوات الله عليه واجعل لي لسان صدق في الآخرين أي ثناء حسنا وفي قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم أي يقال له هذا في الآخرين والعرب تحذف هذا الفعل من قال ويقول استغناء عنه قال الله عز وجل فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم أي فيقال لهم ومثله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى أي يقولون وكذلك والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم (حدثنا غوث بن المزرع البصري قال حدثنا رقيع بن سلمة المنسبز بدماذ قال حدثنا أبو عبيدة قال قال الحجاج يوما لعمائر العرب وهم في مجلسه ما أحسب هذا المزوني بناصحنا في حربنا يعني المهلب والرأي مشترك فقالوا الرأي للأمير أصلحه الله أن يكتب الى ابن الفجاءة باطعامه بعض الأرضين فاذا هو نخع بطاعته وأظهر الدعوة له سهلت الحيلة فيه فقال وفقكم الله وكتب الى ابن الفجاءة وأنفذه على يد الغضبان بن القبعثرى الشيباني نسخة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى قطري بن الفجاءة سلام عليك الموحد الله والمصلي عليه محمد عليه السلام أما بعد فانك كنت اعرابيا بدويا تستطعم الكسرة وتخف الى التمرة ثم خرجت تحاول ما ليس لك بحق واعترضت على كتاب الله

وعرفت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجع عما أنت عليه مما زين لك وادعى
فقد آن لك فلما أوصل الغضبان الكتاب الى قطرى قال يا غلام ازبر هذه الصحيفة فتلا عليه
ما فيها فتنهد قطرى الصعداء فقال يا غضبان ألفيتنى محزونا وأنشأ يقول

فيا كبدا من غير جوع ولا ظما * ويا كبدا من وجد أم حكيم
فلو شهدتنى يوم دولاب أبصرت * طعان فتى فى الحرب غير لئيم
غداة طفت علماء بكر بن وائل * وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان بعبد القيس أول حدنا * وآب عميد الأزد غير ذميم

يعنى المهلب وأم حكيم هذه امرأة من الخوارج قتلت بين يديه ثم قال يا غلام اكتب بسم الله الرحمن الرحيم من قطرى بن الفجاءة الى الحجاج بن يوسف سلام على من اتبع الهدى ذكرت فى كتابك أنى كنت بدويا أستطعم الكسرة وأبدر الى التمرة وبالله لقد قلت زورا بل الله بصرنى من دينه ما أعماك عنه اذ أنت سائح فى الضلالة غرق فى غمرات الكفر ذكرت أن الضرورة طالت بى فهلا برزلى من حزبك من نال الشبع وانكما فاندعاما والله لئن أبرز الله صفحتك وأظهرلى صلعتك لتنكرن شيعك ولتعلمن أن مقارعة الأبطال ليس كتسطير الأمثال).

٣١ - باب

قال أبو العباس قال على بن أبى طالب رضى الله عنه فى خطبة له أيها الناس اتقوا الله الذى ان قلتم سمع وان أضمرتم علم وبادروا الموت الذى ان هربتم منه أدرككم وان أقمتم أخذكم
قال وحدثنى التوزى فى اسناد ذكره آخره عبد الملك بن عمير الليثى قال بينا نحن فى المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذووحال حسنة يخرج الرجل منهم فى العشرة

والعشرين من مواليه اذ أتى آت فقال هذا الحجاج قد قدم أميرا على العراق واذا به قد دخل المسجد معتما بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه متقلدا سيفا متنكبا قوسا يؤم المنبر فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قبح الله بنى أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق حتى قال عمير بن ضابئ البرجمي ألا أحصبه لكم فقالوا أمهل حتى ننظر فلما رأى عيون الناس اليه حسر اللثام عن فيه ونهض فقال (هو لسحيم بن وثيل الرياحى)

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

ثم قال يا أهل الكوفة انى لأرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها وانى لصاحبها وكأنى أنظر الى الدماء بين العمائم واللحى ثم قال (الشعر لرويشد بن رميض العنبرى)

هذا أوان الشد فاشتدى زيم * قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعى ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

ثم قال

قد لفها الليل بعصلبى * أروع خراج من الدوى * مهاجر ليس بأعرابى

وقال قد شمرت عن ساقها فشدوا * وجدت الحرب بكم فجدوا

والقوس فيها وتر عرد * مثل ذراع البكر أو أشد

(لابد مما ليس منه بد)

انى والله يا أهل العراق ما يقعقع لى بالشنان ولا يغمز جانبى كتغماز التين ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدنى أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرمانى بكم لانكم طال ما أوضعتم فى الفتنة واضطجعتم فى مراقد الضلال والله لأحزمنكم حزم السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الابل فانكم

لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وانى والله ما أقول الا وفيت ولا اهم الا امضيت ولا أخلق الا فريت وان أمير المؤمنين أمرني باعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة وانى أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين الى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل أحد منهم شيأ فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال أسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيأ هذا أدب ابن نهية اما والله لأؤدبنكم غير هذا الادب أو لتستقيمن اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلغ الى قوله سلام عليكم لم يبق في المسجد أحد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام (زعم أبو العباس ان ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج) ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبرا فقال أيها الامير انى من الضعف على ما ترى ولى ابن هو أقوى على الاسفار مني فتقبله بدلا مني فقال له الحجاج نفعل أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل أتدري من هذا أيها الامير قال لا قال هذا عمير بن ضابئ البرجمي الذى يقول أبوه

هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولا فوطئ بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه فقال ردوه فلما رد قال له الحجاج أيها الشيخ هلا بعثت الى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار ان في قتلك أيها الشيخ لصلاحا للمسلمين يا حرسي اضربن عنقه فجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده ففي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدي (الأسدي أسد خزيمة وليس من أسد قريش)

تجهز فاما ان تزور ابن ضابئ * عميرا واما ان تزور المهلبا

هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من الثلج أشهبا

فاضحى ولو كانت خراسان دونه * رآها مكان السوق أو هي أقربا

(دونه الهاء عائدة على المهلب وأقربا ظرف وقيل مفعول ثان) قوله أنا ابن جلا انما يريد المنكشف الامر ولم يصرف جلا لانه أراد الفعل فحكى والفعل اذا كان فاعله مضمرا أو مظهرا لم يكن الا حكاية كقولك تأبط شرا وكما قال الشاعر

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها * بني شاب قرناها تصر وتحلب

وتقول قرأت اقتربت الساعة وانشق القمر لانك حكيت وكذلك الابتداء والخبر تقول قرأت الحمد لله رب العالمين وقال الشاعر

والله ما زيد بنام صاحبه * (ولا مخالط الليان جانبه)

وقوله * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * لسحيم بن وثيل الرياحي وانما قاله الحجاج متمثلا وقوله وطلاع الثنايا الثنايا جمع ثنية والثنية الطريق في الجبل والطريق في الرمل يقال له الخل وانما أراد به انه جلد يطلع الثنايا في ارتفاعها وصعوبتها كما قال دريد بن الصمة يعني أخاه عبد الله كميش الازار خارج نصف ساقه * بعيد من السوآت طلاع انجد

والنجد ما ارتفع من الارض وقد مضى تفسير هذا وقوله اني لأرى رؤسا قد أينعت يريد أدركت يقال أينعت الثمرة ايناعا وينعت ينعا وينعا ويقرأ انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه وينعه كلاهما جائز قال أبو عبيدة هذا الشعر يختلف فيه فبعضهم ينسبه الى الاحوص وبعضهم ينسبه الى يزيد بن معاوية (قال أبو الحسن الصحيح انه ليزيد يصف جارية) وهو

ولها بالماطرين اذا * أكل النمل الذي جمعا

خرفة حتى اذا ربعت * سكنت من جلق بيعا

في قباب حول دسكرة * حولها الزيتون قد ينعا

(قال أبو الحسن أول هذه الابيات

طال هذا الهم فاكتنعا * وأمر النوم فامتنعا

و بعد هذا ما أنشده أبو العباس ويروى بالماطرون الرواية المشهورة بفتح النون ويروى بكسرها) قال أبو العباس وقوله هذا أوان الشد فاشتدى زيم يعني فرسا أو ناقة والشعر للحطم القيسي وقوله قد لفها الليل بسواق حطم فهو الذى لا يبقي من السير شيأ ويقال رجل حطم للذي يأتى على الزاد لشدة أكله ويقال للنار التى لا تبقي حطمة وقوله على ظهر وضم فالوضم كل ما قطع عليه اللحم قال الشاعر (هو عمر بن أبي ربيعة)

وفتيان صدق حسان الوجو * ه لا يجدون لشئ ألم

من آل المغيرة لا يشهدو * ن عند المجاز رلحم الوضم

وقوله قد لفها الليل بعصلبي أي شديد وأروع أي ذكي وقوله خراج من الدوي يقول خراج من كل غماء شديدة (غما مقصور رواية عاصم) ويقال للصحراء دوية وهي التي لا تكاد تنقضي وهي منسوبة الى الدو والدو صحراء ملساء لا علم بها ولا أمارة قال الحطيئة (يصف خيلها وأنث على معنى المرأة)

وانى اهتدت والدو بيني وبينها * وما خلت ساري الليل بالدو يهتدي

والداوية المتسعة التي تسمع لها دويا بالليل وانما ذلك الدوي من أخفاف الابل تنفسح أصواتها فيها وتقول جهلة الاعراب ان ذلك عزيف الجن وقوله والقوس فيها وتر عرد فهو الشديد ويقال عرند في هذا المعنى وقوله انى والله ما يقعقع لى بالشنان واحدها شن وهو الجلد اليابس فاذا قعقع به نفرت الابل منه فضرب ذلك مثلا لنفسه وقال النابغة الذبياني

كأنك من جمال بنى أقيش * يقعقع بين رجليه بشن

(اقيش حى من عكل) وقوله ولقد فررت عن ذكاء يعنى تمام السن والذكاء على ضربين أحدهما تمام السن والآخر الحدة حدة القلب فمما جاء فى تمام السن قول قيس بن زهير جرى المذكيات غلاب (ويروى غلاء) وقال زهير

يفضله اذا اجتهدا عليه * تمام السن منه والذكاء

وقوله فجم عيدانها يقول مضغها لينظر أيها أصلب يقال عجمت العود اذا مضغته وكذلك فى كل شئ قال النابغة

فظل يعجم أعلى الروق منقبضا * فى حالك اللون صدق غير ذى أود

والمصدر العجم يقال عجمته عجما ويقال لنوى كل شئ عجم مفتوح ومن أسكن فقد أخطأ كما قال الأعشى

(جزانك بالحبل أرض العدو) * وجذعانها كلقيط العجم

وقوله طال ما أوضعتم فى الفتنة الايضاع ضرب من السير وقوله فأضحى ولو كانت خراسان دونه يعنى دون السفر رآها مكان السوق للخوف والطاعة وكان من قصة عمير بن ضابئ أن أباه ضابئ بن الحرث البرجمى وجب عليه حبس عند عثمان رحمه الله وأدب وذلك أنه كان استعار من قوم كلبا فأعاروه اياه ثم طلبوه منه وكان فحاشا فرمى أمهم به فقال فى بعض كلامه

وأمكم لا تتركوها وكلبكم * فان عقوق الوالدات كبير

فاضطغن على عثمان ما فعل به فلما دعى به ليؤدب شد سكينا فى ساقه ليقتل بها عثمان فعثر عليه فأحسن أدبه ففى ذلك يقول

وقائلة ان مات فى السجن ضابئ * لنعم الفتى تخلو به وتواصله

وقائلة لا يبعدن ذلك الفتى * ولا تبعدن أخلاقه وشمائله

وقائلة لا يبعد الله ضابئا * اذا الكبش لم يوجد له من ينازله

وقائلة لا يبعد الله ضابئا * اذا الخصم لم يوجد له من يقاوله

فلا تتبعيني ان هلكت ملامة * فليس بعار قتل من لا أقاتله

هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

وما القتل ما آمرت فيه ولا الذي * تخبر من لاقيت أنك فاعله

قال أبو العباس وشبيه بقوله ما حدثنا به عن أبي شجرة السلمي وكان من فتاك العرب (أبو شجرة هو عمرو بن عبد العزى وأمه الخنساء وقال الطبري اسمه سليم بن عبد العزى) فأتى عمر بن الخطاب رحمه الله يستحمله فقال له عمر ومن أنت فقال انا أبو شجرة السلمي فقال له عمر أي عدى نفسه ألست القائل حيث ارتددت

ورويت رمحي من كتيبة خالد * واني لارجو بعدها ان اعمرا

(و يروى أن اعمرا بكسر الميم ومعناه أن افعل ذلك بكتيبة عمر)

وعارضتها شهباء تخطر بالقنا * ترى البيض في حافاتها والسنورا

ثم انحنى عليه عمر بالدرة فسعى الى ناقته فحل عقالها وأقبلها حرة بني سليم باحث السير هربا من الدرة وهو يقول

قد ضن عنا أبو حفص بنائله * وكل مختبط يوما له ورق

مازال يضربني حتى خذيت له * وحال من دون بعض الرغبة الشفق

ثم التفت اليها وهي جانحة * مثل الرتاج اذا ما ازه الغلق

أقبلتها الخل من شوران مجتهدا * اني لأزري عليها وهي تنطلق

و يروى أنه كان يرمي المسلمين يوم الردة فلا يغني شيأ فجعل يقول

هاان رمي عنهم لمعبول * فلا صريح اليوم الا المصقول

قوله وكل مختبط يوما له ورق أصل هذا في الشجرة أن يختبطها الراعي وهو أن يضربها حتى

يسقط ورقها فضرب ذلك مثلاً لمن يطلب فضله وقال زهير

وليس مانع ذى قربى وذى نسب * يوماً ولا معدم من خابط ورقا

(قوله ولا معدم بالخفض عطفه على توهم الباء فى مانع ومثله ما أنشده

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب الا ببين غرابها

على توهم الباء فى مصلحين ومن فى خابط زائدة) وقوله حتى تخذيت له يقول خضعت له وأكثر ما تستعمل العامة هذه اللفظة بالزيادة تقول استخذيت له وزعم الاصمعى أنه شك فيها وأنه احب أن يستثبت أهى مهموزة أم غير مهموزة قال فقلت لاعرابى أتقول استخذيت أم استخذأت قال لا أقولهما قلت ولم فقال لان العرب لا تستخذى وهذا غير مهموز واشتقاقه من قولهم اذن خذواء وبئسة خذواء أى مسترخية (قال أبو الحسن البئمة نبت مسترخ على وجه الارض تأكله الابل فتكثر عنه ألبانها) قال الاصمعى وقلت لاعرابى أتهمز الفارة قال تهمزها الهرة وقوله انى لأزرى عليها يقول أستخفها يقال زرى عليه أى عاب عليه وازرى به أى قصر به فيقول انها المجتهدة وانى لأزرى عليها أى أعيب عليها الطلب النجاء والسرعة وقال الاخطل

فظل يفديها وظلت كأنها * عقاب دعاها جنح ليل الى وكر

وقوله هاان رمثى عنهم لمغسول يقول مخبول مردود والصريح المحض الخالص يقال ذلك للبن اذا لم يشبه ماء ويقال عربى صريح ومولى صريح أى خالص قال وحدثنى محمد بن ابراهيم الهاشمى فى اسناد ذكره قال بلغ عمر بن الخطاب رحمه الله أن قوما يفضلونه على أبى بكر الصديق رحمه الله فوثب مغضبا حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس انى سأخبركم عنى وعن أبى بكر انه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ومنعت شاتها وبعيرها فأجمع رأينا كلنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له يا خليفة رسول الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقاتل العرب

بالوحي والملائكة تمده الله بهم وقد انقطع ذلك اليوم فالزم بيتك ومسجدك فانه لا طاقة لك بقتال العرب فقال أبو بكر الصديق أو كلكم رأيه على هذا فقلنا نعم فقال والله لأن أخر من السماء فتخطفني الطير أحب الي من أن يكون هذا رأيي ثم صعد المنبر فحمد الله وكبره وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت أيها الناس أان كثر أعداؤكم وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب والله ليظهرن الله هذا الدين على الاديان كلها ولو كره المشركون قوله الحق ووعده الصدق بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين والله أيها الناس لو أفردت من جميعكم لجاهدتهم في الله حق جهاده حتى أبلي بنفسي عذراً أو اقتل قتلاً والله أيها الناس لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه واستعنت عليهم الله وهو خير معين ثم نزل فجاهد في الله حق جهاده حتى أذعنت العرب بالحق قوله كم من فئة فهي الجماعة وهي مهموزة وتخفيف الهمز في هذا الموضع أن تقلب الهمزة ياء وان كانت قبلها ضمة وهي مفتوحة قلبتها واوا ونحو جؤن تقول جون (الجؤنة الحقة يجعل فيها الحلي) وقوله لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه على خلاف ما تتأوله العامة ولقول العامة وجه قد يجوز فأما الصحيح فان المصدق اذا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثمنها قيل أخذ عقالا واذا أخذ الثمن قيل أخذ نقداً قال الشاعر

أتانا أبو الخطاب يضرب طبله * فرد ولم يأخذ عقالا ولا نقدا

(كانت الامراء اذا خرجت لاخذ الصدقة تضرب الطبول) والذي تقوله العامة تأويله لو منعوني ما يساوي عقالا فضلا عن غيره وهذا وجه والاول هو الصحيح لانه ليس عليهم عقال يعقل به البعير فيطلبه فيمنعه ولكن مجازه في قول العامة ما ذكرنا ومن كلام العرب أتانا بجفنة يقعد عليها ثلاثة أي لو قعد عليها ثلاثة لصلح وكان ارتداد من ارتد من العرب أن

قالوا نقيم الصلاة ولا نؤتي الزكاة فمن ذلك قول الحطيئة

ألا كل أرماح قصار أذلة * فداء لأرماح نصبن على الغمر

فباست بني عبس وأستاه طيئ * وباست بني دودان حاشا بني نصر

أبوا غير ضرب يجثم الهام وقعه * وطعن كأفواه المزقتة الحمر

(المزقتة المطلية بالزفت وهو القطران يعني الابل وهو أشبه بكلام العرب ومعناه وقيل الزقاق)

أطعنا رسول الله اذ كان بيننا * فيا لهفتا ما بال دين أبي بكر

أيورثها بكرا اذا مات بعده * فتلك وبيت الله قاصمة الظهر

فقوموا ولا تعطوا اللئام مقادة * وقوموا ولو كان القيام على الجمر

فدى لبني نصر طريفي وتالدي * عشية ذادوا بالرماح أبا بكر

(قوله ذادوا بالرماح أبا بكر كذب انما خرجوا على الابل فقعقعوا لها بالشنان فنفرت وفرت)

قوله يجثم الهام وقعه انما هو مثل يقال جثم الطائر كما يقال برك الجمل وربض البعير وكان قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر عاملا على صدقات بني سعد فقسم ما كان في يده من أموال الصدقات على بني منقر وقال

فمن مبلغ عني قريشا رسالة * اذا ما أتتها محكمات الودائع

حبوت بما صدقت في العام منقرا * وأيأست منها كل أطلس طامع

قوله فاجمع رأينا كلنا أصحاب محمد فانما خفض كلا على انه توكيد لاسمائهم المضمرة والظاهرة لا تكون بدلا من المضمر الذي يعني به المتكلم نفسه أو يعني به المخاطب لا يجوز أن تقول مررت بي زيد لان هذه الياء لا يشركه فيها شريك فتحتاج الى التبيين وكذلك لا يجوز ضربتك زيدا لان المخاطب منفرد بهذه الكاف فاما الهاء نحو مررت به عبد الله فيجوز لانا نحتاج الى أن نعرفنا مبينا من صاحب الهاء لانها ليست للذي يخاطبه فلا ينكر نفسه وانما

يحدّث به عن غائب فيحتاج الى البيان وقوله أصحابَ محمد اختصاص و ينتصب بفعل مضمر وهو أعنى ليبين مَنْ هؤلاء الجماعة كما ينشد * نحن بنى ضَبّةَ أصحابَ الجمل * أراد نحن أصحاب الجمل ثم بيّن مَنْ همْ لان هـذا قد كان يقع على مَنْ دون بنى ضَبّةَ معه وعلى من فوقها الى مُضَرونزار ومَعَدّ ومَنْ بعدهم وكذلك نحن العربَ أقرى الناس لضيف ونحن الصعاليكَ لاطاقة بنا على المروءة و يُختار فى هذا الشعر (هو لعمرو بن الاهتم)

انا بنى منقر قوم ذوو حسب * فينا سراة بنى سعد وناديها

وقليل هذا يدل على جميع هذا الباب فافهم

٣٢ - باب

قال أبو العباس هـذه أشـعار اخترناها من أشعار المولدين حكيمة مستحسنة يحتاج اليها للتمثّل لانها اشكل بالدهر و يستعار من ألفاظها فى المخاطبات والخطب والكتب قال عبد الصمد بن المعذّل

تكلفنى اذلال نفسى لعـزها * وهـان عليها أن أهان لتكرما
تقول سل المعروف يحيى بن أكثم * فقلت سليه رب يحيى بن أكثما

(بالثاء مثلثة لاغير وكذلك أكثم بن صيفى و يقال ان يحيى بن أكثم من ولد أكثم بن صيفى)

وقال بشار بن بُرْد يذكر عبيدَ الله بن قزعةَ وهو أبو المغيرة أخو الملوىّ المتكلم قال وقال المازنى لم أر أعلم من الملوىّ بالكلام وكان من أصحاب ابراهيم النظّام

خليلىّ من كعب أعينا أخاكما * على دهره انّ الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه * مخافة أن يرجى نداه حزين
كأنّ عبيد الله لم يلق ماجدا * ولم يدر أنّ المكرمات تكون
فقل لابى يحيى متى تدرك العلى * وفى كلّ معروف عليك يمين

اذا جئته في حاجة سد بابه * فلم تلقه الا وأنت كمين

نظير قوله * وفي كل معروف عليك يمين * قول جرير

ولا خير في مال عليه ألية * ولا في يمين عوقدت بالمآثم

وقال اسمعيل بن القاسم (هو أبو العتاهية)

أطع الله بجهدك * عامدا أو دون جهدك

أعط مولاك كما تطـ * ـلب من طاعة عبدك

وقال محمود تعصي الاله وأنت تظهر حبه * هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وقال أيضا انى شكرت لظالمى ظلمى * وغفرت ذاك له على علمى

ورأيته أسدى الى يدا * لما أبان بجهله حلمى

رجعت اساءته عليه واحـ * ـسانى فعاد مضاعف الجرم

وغدوت ذا أجر ومحمدة * وغدا بكسب الظلم والاثم

فكأنما الاحسان كان له * وأنا المسىء اليه فى الحكم

مازال يظلمنى وارحمه * حتى بكيت له من الظلم

أخذ هذا المعنى من قول رجل من قريش لرجل قال له انى مررت بقوم من قريش من آل الزبير أو غيرهم يشتمونك شتما رحمتك منه قال أفسمعتنى أقول الا خيرا قال لا قال اياهم فارحم وقال أبو بكر الصديق رحمه الله لرجل قال له لأشتمنك شتما يدخل معك فى قبرك قال معك والله يدخل لا معى وقال ابن مسعود ان الرجل ليظلمنى فأرحمه وقال رجل للشعبى كلاما أقذع له فيه فقال له الشعبى ان كنت صادقا فغفر الله لى وان كنت كاذبا فغفر الله لك ويروى انه أتى مسجدا فصادف فيه قوما يغتابونه فأخذ بعضادتى الباب ثم قال

هَنيأً مَريئاً غيرَ داءٍ مُخامرٍ * لعزّةَ من أعراضنا ما استحلّت

وذكر ابن عائشة أن رجلا من أهل الشام قال دخلتُ المدينة فرأيتُ رجلا راكبا على بغلة لم أرَ أحسن وجها ولا سمتا ولا ثوبا ولا دابة منه فمال قلبي اليه فسألت عنه فقيل لي هذا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فامتلأ قلبي له بغضا وحسدتُ عليًّا أن يكون له ابن مثله فصرتُ اليه فقلتُ له أأنتَ ابن أبي طالب فقال أنا ابن ابنه فقلت فبك وبأبيك أسبّهما فلما انقضى كلامي قال لي أحسبكَ غريبا قلت أجل قال فَمِلْ بنا فان احتجتَ الى منزل أنزلناكَ أو الى مال آسيناكَ أو الى حاجة عاونّاكَ قال فانصرفت عنه ووالله ما على الارض أحدٌ أحبُّ الي منه وقال محمود الوراق

يا ناظراً يرنو بعينَي راقدِ * ومُشاهداً للامرِ غيرَ مُشاهدِ

منّيتَ نفسكَ ضلّةً وأبحتَها * طُرقَ الرجاء وهنّ غيرُ قواصدِ

تَصلُ الذنوبَ الى الذنوب وترتجي * دَرَكَ الجِنانِ بها وفوزَ العابدِ

ونسيتَ أن الله أخرجَ آدماً * منها الى الدنيا بذنبٍ واحدِ

وقال الحكميُّ (هو أبو نواس الحسن بن هانئ وهو منسوب الى حَكَم قبيلة من مَذْحِج) للفضل ابن الربيع

ما من يدٍ في الناس واحدةٍ * كيدٍ أبو العباس مولاها

نام الكرامُ على مضاجعهم * وسرى الى نفسي فأحياها

قد كنتُ خفتُكَ ثم أمّنني * من أن أخافكَ خوفُكَ اللهَ

فعفوتَ عني عفوَ مقتدرٍ * حلّت له نقمٌ فألغاها

وقال عبد الله بن محمد بن أبي عُيينة لذي اليمينين (سمي ذا اليمينين لانه ضرب انسانا فجعله قسمين)

لمّا رأيتكَ قاعداً مُستقبلاً * أيقنتُ أنكَ للهموم قرينُ

فارفضْ بها وتعرَّ من أثوابها * ان كان عندكَ للقضاء يقينُ

مالا يكون فلا يكون بحيلة * أبدا وماهو كائن سيكون

يسعى الذكى فلا ينال بسعيه * حظا ويحظى عاجز ومهين

سيكون ماهو كائن فى وقته * وأخو الجهالة متعب محزون

الله يعلم أن فرقة بيننا * فيما أرى شئ على يهون

وقال صالح بن عبد القدوس (صلبه عبد الملك بن مروان على الزندقة أعمى صالحا)

ان يكن مابه اصبت جليلا * فذهاب العزاء فيه أجل

كل آت لا شك آت وذوا الجهل معنى والغم والحزن فضل

وأنشد منشد من الابيات المنفردة القائمة بأنفسها (لهشام بن عبد الملك)

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى بعض مافيه عليك مقال

ومنها قول ابن أبى وهيب

وانى لأرجو الله حتى كأننى * أرى بجميل الظن ماالله صانع

وقال آخر ويعرف وجه الحزم حتى كأنما * تخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال أشجع السلمى

رأى سرى وعيون الناس راقدة * ماأخر الحزم رأى قدم الحذرا

وقال آخر فلله منى جانب لا أضيعه * وللهو منى والبطالة جانب

وقال آخر فلو عاب نفسى غير نفسى لسؤته * فكيف ونفسى قد أتت ما يعيبها

وقال آخر يرى فلتات الرأى والرأى مقبل * كأن له فى اليوم عينا على غد

وقال عبد الصمد بن المعذل

أمن على المجتدى * وما أتبع المن من

كأن لم يزل ما أتى * وما قد مضى لم يكن

أُرَى الناس أُحْدُوثَةً * فكوني حديثاً حَسَنْ

وقال أيضا زَعَمَتْ عاذلتي أنّي لمَا * حَفِظَ البُخْلُ من المال مُضيعُ

كلّفتني عُذْرَةَ الباخل إذْ * طَرَقَ الطارقُ والناسُ هُجوعُ

ليس لي عُذْرٌ وعندي بُلْغَةٌ * إنّما العُذْرُ لِمَنْ لا يستطيعُ

وقال الحسن بن هانئ الحَكَمي

أَلَيْسَكَ غدَتْ بي حاجةٌ لم أَبُحْ بها * أخافُ عليها شامتاً فأُداري

فأَرْخِ عليها سِتْرَ معروفك الذي * سَتَرْتَ به قِدْماً عليَّ عَوَاري

وقال أيضا قد قلتُ للعباس معتذراً * من ضعف شُكْريه ومُعترفا

أنت امرؤٌ جلّلتني نِعَماً * أَوْهَتْ قُوَى شُكْري فقد ضَعُفا

فإليك بعد اليوم تَقْدِمَةً * لاقتك بالتصريح مُنْكَشِفا

لا تُحْدِثَنَّ إليَّ عارفةً * حسبي أقومُ بشُكْرِ ما سَلَفا

وقال دِعْبِلُ بن علي الخُزَاعيّ

أُحِبُّ قومي ولم أَعْدِلْ بحبّهمُ * قالوا تَعَصَّبْتَ جهلاً قولَ ذي بَهَتِ

دعني أَصِلْ رَحِمي إن كنتَ قاطعها * لا بدَّ للرحم الدُّنيا من الصِّلَةِ

فاحفظ عشيرتك الأدنَيْن إنّ لهم * حقّاً يفرّق بين الزوج والمَرَةِ

قومي بنو مَذْحِجٍ والأزدُ إخوتهم * وآلُ كِنْدَةَ والأحياءُ من عَلَتِ

ثُبْتُ الحلوم فإن سُلَّتْ حفائظهم * سَلُّوا السيوفَ فأَرْدَوْا كلَّ ذي عَنَتِ

لا تَعْرِضَنَّ بمزحٍ لامرئٍ طَبِنٍ * ما راضَهُ قلبُهُ أَجْراهُ في الشَّفَةِ

فَرُبَّ قافيةٍ بالمزح جاريةٍ * مشؤومةٍ لم يُرِدْ إنماؤها نَمَتِ

إنّي إذا قلتُ بيتاً مات قائلُهُ * ومَنْ يُقالُ له والبيتُ لم يَمُتِ

وقال أيضا نعوني ولمّا ينعني غير شامت * وغير عدوّ قد أصيبت مقاتله

يقولون ان ذاق الردى مات شعره * وهيهات عمر الشعر طالت طوائله

سأقضي ببيت يحمد الناس أمره * ويكثر من أهل الرواية حامله

يموت ردي الشعر من قبل أهله * وجيّده يبقى وان مات قائله

(البيت الاخير ليس لدعبل وانما هو مضمّن) وقال اسمعيل بن القاسم

يامن يعيب وعيبه متشعب * كم فيك من عيب وأنت تعيب

لله درّك كيف أنت وغاية * يدعوك ربّك عندها فتجيب

وقال أيضا يا علىّ بن ثابت بان مني * صاحب جلّ فقده يوم بنّا

يا علىّ بن ثابت أين أنتا * أنت بين القبور حيث دفنّا

قد لعمري حكيت لي غصص المو * ت وحركتني لها وسكنّا

وقال أيضا صاحب كان لي هلك * والسبيل التي سلك

(والسبيل التي سلك ابتداء وخبر ومن قال غير هذا فقد أخطأ)

يا علىّ بن ثابت * غفر الله لي ولك

كلّ حيّ مملّك * سوف يفنى وما ملك

وقال أيضا طوتك خطوب دهرك بعد نشر * كذاك خطوبه نشرا وطيّا

فلو نشرت قواك لي المنايا * شكوت اليك ما صنعت اليّا

بكيتك يا أخي بدمع عيني * فلم يغن البكاء عليك شيّا

كفى حزنا بدفنك ثم اني * نفضت تراب قبرك عن يديّا

وكانت في حياتك لي عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيّا

وكان اسمعيل بن القاسم لا يكاد يخلي شعره مما تقدم من الاخبار والآثار فينظم ذلك

الكلام المشهور ويتناوله أقرب متناول ويسرقه أخفى سرقة فقوله وأنت اليوم أوعظ منك حيا انما أخذه من قول الموبذ لقباذ الملك حيث مات فانه قال في ذلك الوقت كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس وأخذ قوله

قد لعمري حكيت لي غصص المو * ت وحركتني لها وسكنتا

من قول نادب الاسكندر فانه لما مات بكى من بحضرته فقال نادبه حركنا بسكونه وقال اسمعيل بن القاسم (وهو أبو العتاهية)

يا عجبا للناس لو فكروا * وحاسبوا أنفسهم أبصروا
وعبروا الدنيا الى غيرها * فانما الدنيا لهم معبر

(معبر بفتح الميم وكسرها لابن سراج وبفتح الميم لا غير رواية عاصم)

الخير مما ليس يخفى هو الـ * ـمعروف والشر هو المنكر
والموعد الموت وما بعده الـ * ـحشر فذاك الموعد الأكبر
لا فخر الا فخر أهل التقى * غدا اذا ضمهم المحشر
ليعلمن الناس أن التقى * والبر كانا خير ما يذخر
عجبت للانسان في فخره * وهو غدا في قبره يقبر
ما بال من أوله نطفة * وجيفة آخره يفخر
أصبح لا يملك تقديم ما * يرجو ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الامر الى غيره * في كل ما يقضى وما يقدر

أما قوله يا عجبا للناس لو فكروا * وحاسبوا أنفسهم أبصروا

فمأخوذ من قولهم الفكرة مرآة تريك حسنك من قبيحك ومن قول لقمان لابنه يا بني لا ينبغي لعاقل أن يخلي نفسه من أربعة أوقات فوقت منها يناجي فيه ربه ووقت يحاسب فيه نفسه

ووقت يكسب فيه لمعاشه ووقت يخلي فيه بين نفسه وبين لذتها ليستعين بذلك على سائر الاوقات وقوله

وعبروا الدنيا الى غيرها * فانما الدنيا لهم معبر

مأخوذ من قول الحسن اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها وقوله

الخير مما ليس يخفى هو الـ * ـمعروف والشر هو المنكر

مأخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله كيف بك اذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم وصار الناس هكذا وشبك بين أصابعه فقلت مرني يا رسول الله فقال خذ ما عرفت ودع ما أنكرت وعليك بخويصة نفسك واياك وعوامها قوله صلى الله عليه وسلم في حثالة من الناس أما الحثالة فهو ما يبقى في الاناء من ردي الطعام وضرب به مثلا وقوله مرجت عهودهم يقول اختلطت وذهبت بهم كل مذهب يقال مرج الماء اذا سال فلم يكن له مانع قال الله عز وجل مرج البحرين يلتقيان وقوله

ليعلمن الناس أن التقى * والبر كانا خير ما يذخر

مأخوذ من قول أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا حشر الناس في صعيد واحد نادى مناد من قبل العرش ليعلمن أهل الموقف من أهل الكرم اليوم ليقم المتقون ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقوله

ما بال من أوله نطفة * وجيفة آخره يفخر

مأخوذ من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وما لابن آدم والفخر وانما أوله نطفة وآخره جيفة لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه وقال ابن أبي عيينة

ماراح يوم على حي ولا ابتكرا * الا رأى عبرة فيه ان اعتبرا

ولا أتت ساعة في الدهر فانصرمت * حتى تؤثر في قوم لها أثرا

(فانصرفت أشبه للمطابقة والمشهور انصرمت)

ان الليالى والايام أنفسها * عن غير أنفسها لم تكتم الخبرا

فاخذ هذا المعنى حبيب بن أوس الطائى وجمعه فى ألفاظ يسيرة فقال

عمرى لقد نصح الزمان وانه * لمن العجائب ناصح لا يشفق

فزاد بقوله ناصح لا يشفق على قول ابن أبى عيينة شيأ طريفا وهكذا يفعل الحاذق بالكلام ولو قال قائل ان أقرب ما أخذ منه أبو العتاهية

ليعلمن الناس أن التقى * والبر كانا خير ما يدخر

من قول الخليل بن أحمد (قال أبو الحسن زعم النسابون أنهم لا يعرفون منذ وقت النبى صلى الله عليه وسلم الى الوقت الذى ولد فيه أحمد أبو الخليل أحدا سمى باحمد غيره)

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الأعمال

لكان قد قال قولا وقال العباس بن الفرج

أملى من دونه أجلى * فمتى أفضى الى أملى

وقال الخليل بن أحمد وكان نظر فى النجوم فابعد ثم لم يرضها فقال

أبلغا عنى المنجم أنى * كافر بالذى قضته الكواكب

عالم أن ما يكون وما كا * ن بحتم من المهيمن واجب

وقال محمد بن يسير يعيب المتكلمين أنشدنيه الرياشى

ياسائلى عن مقالة الشيع * وعن صنوف الأهواء والبدع

دع من يقود الكلام ناحية * فما يقود الكلام ذو ورع

كل أناس لديهم حسن * ثم يصيرون بعد للشنع

أكثر ما فيه أن يقال له * لم يك فى قوله بمنقطع

وأنشدني الرياشي لغيره

قد نقّر الناس حتى أحدثوا بدعاً * في الدين بالرأي لم تُبعث بها الرسل
حتى استخفّ بحق الله أكثرهم * وفي الذي حُمّلوا من حقه شغل

وقال محمد بن يسير .

ويلٌ لمن لم يرحم الله * ومن تكون النار مثواه
يا حسرتي في كل يوم مضى * يذكرني الموت وأنساه
من طال في الدنيا به عمره * وعاش فالموت قصاراه
كأنه قد قيل في مجلس * قد كنت آتيه وأغشاه
صار اليسيري الى ربه * يرحمنا الله وإياه

وقال أيضا

أيّ صفو الا الى تكدير * ونعيم الا الى تغيير
وسرور ولذة وحبور * ليس رهنا لنا بيوم عسير
عجبا لي ومن رضاي بدنيا * أنا فيها على شفا تغرير
عالم لا أشك أني الى الله اذا مت أو عذاب السعير
ثم الهو ولست أدري الى أيهما بعده يصير مصيري
أيّ يوم على أقطع من يو * م به تبرز النعاة سريري
كلما مر بي على أهل ناد * كنت حينا بهم كثير المرور
قيل من ذا على سرير المنايا * قيل هذا محمد بن يسير

وقال الحكمي أبو نواس .

أخي ما بال قلبك ليس ينقى * كأنك لا تظن الموت حقا
ألا يا ابن الذين فنوا وبادوا * أما والله ما ذهبوا لتبقى

وما أحد بزادك منك أحظى * وما أحد بزادك منك أشقى
ولا لك غير تقوى الله زاد * اذا جعلت الى اللهوات ترقى

ومما يستحسن من شعره قوله

لا أذود الطير عن شجر * قد بلوت المر من ثمره

فمثل هذا لو تقدم لكان فى صدور الامثال وكذلك قوله أيضا

فامض لا تمنن على يدا * منك المعروف من كدره

وكان يقول ذكر المعروف من المنعم افساد له وكتمانه من المنعم عليه كفر له وفى هذا الشعر أبيات مختارة فمنها

واذا مج القنا علقا * وتراأى الموت فى صوره
راح فى ثنيى مفاضته * أسد يدمى شبا ظفره
تتأبى الطير غدوته * ثقة بالشبع من جزره
فاسأل عن نوء تؤمله * حسبك العباس من مطره
لا تغطى عنه مكرمة * بربا واد ولا خمره
ذللت تلك الفجاج له * فهو مجتاز على بصره

وقد عابوا عليه قوله

كيف لا يدنيك من أمل * من رسول الله من نفره

وهو لعمرى كلام مستهجن موضوع فى غير موضعه لان حق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضاف اليه ولا يضاف الى غيره ولو اتسع متسع فاجراه فى باب الحيلة لخرج على الاحتيال ولكنه عسر موضوع فى غير موضعه وباب الاحتيال فيه أن تقول قد يقول القائل من بنى هاشم لغيره من أفناء قريش منا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق هذا انه من القبيل الذى

أنا منه فقد أضافه الى نفسه وكذلك يقول القرشي لسائر العرب كما قال حسان بن ثابت

وما زال في الاسلام من آل هاشم * دعائم عز لا ترام ومفخر

بهاليل منهم جعفر وابن امه * علي ومنهم أحمد المتخير

فقال منهم كما قال هذا من نفره أراد من النفر الذين العباس هذا الممدوح منهم وأما قول حسان منهم جعفر وابن أمه علي ومنهم أحمد المتخير فان العرب اذا كان العطف بالواو قدمت وأخرت قال الله تبارك وتعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقال يا معشر الجن والانس وقال اسجدي واركعي مع الراكعين ولو كان بثم أو بالفاء لم يصلح الا تقديم المقدم ثم الذي يليه واحدا فواحدا وأما قوله في هذا الشعر

وكريم الخال من يمن * وكريم العم من مضره

فاضاف مضر اليه فهو أجود كلام لا يمتنع منه ممتنع قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يوم الجمل للاشتر وهو مالك بن الحرث أحد النخع بن عمرو بن علة بن جلد وكان على الميمنة احمل فحمل في أصحابه فكشف من بازائه ثم قال لهاشم بن عتبة بن مالك أحد بني زهرة بن كلاب وكان على الميسرة احمل فحمل في المضرية فكشف من بازائه فقال علي رضي الله عنه لاصحابه كيف رأيتم مضري ويمني فاضاف القبيلتين الى نفسه قال جرير

ان الذين ابتنوا مجدا ومكرمة * تلكم قريشي والانصار أنصاري

ومما يستحسن من أشعار المحدثين قول اسحق بن خلف البهراني ونسبه في بني حنيفة لسباء وقع عليه يقوله لعلي بن عيسى بن موسى بن طلحة الاشعري المعروف بالقمي (منسوب الى قمة وهي بلدة أو قرية من خراسان)

والكرد منك اذا زرتهم * بكبدك يوم كيوم الجمل

وما زال عيسى بن موسى له * مواهب غير النطاف المكل

لَسَلُّ السيوف وشَقُّ الصُّفوف * لنقض التراتِ وضَرْبُ القُلَلْ
ولُبْس العَجاجة والخافقات * تُريكَ المَنا بِرُؤس الأَسَـلْ
وقد كَشَرَتْ عن شَباً نابها * عروسُ المنيةِ بين الشُّعَلْ
وجاءت تَهادَى وأبناؤها * كأنّ عليهم شُروقَ الطَّفَـلْ
خَرُوسٌ نطوقٌ اذا اسْتُنْطِقَتْ * جَهولٌ تَطيشُ على مَنْ جَهِلْ
اذا خُطِبَتْ أخذتْ مَهْرَها * رؤساً تحادرُ قبلَ النَقَلْ
أَلَذُّ اليه من المُسمِعات * وحَثِّ الكُؤُسِ في يوم طَلْ
وشُرب المُدام ومَن يشتهيه * مُعاطله عِسزاج القُبَلْ
بعثنا النَواعج تحتَ الرِحال * تسافهُ أشداقُها في الجُدُلْ
اذا ما حُدِينَ بمدح الامير * سَبَقْنَ لِحاظَ المُحِثِّ العَجِلْ

(من كسر الميم فهو من حَثَّ ومن ضم الميم جعله من أَحَثَّ يقال حث وأحث على فَعَلَ وعلى أَفعَلَ لغتان) قوله تريكَ المَنا يريد المنايا وهذه كلمة تَخِفُّ على ألسنتهم فيحذفونها وزعم الاصمعي انه سمع العرب تقول دَرَسَ المَنا يريدون المنازل وجاء في التخفيف أعجب من هذا حدثنا بعض أصحابنا عن الاصمعي وذكره سيبويه في كتابه ولم يذكر قائله ولكن الاصمعي قال كان اخوان متجاوران لا يكلم كل واحد منهما صاحبه سائر سنته حتى يأتي وقت الرعي فيقول أحدهما لصاحبه ألا تا فيقول الآخر بلى فا يريد ألا تنهض فيقول الآخر بلى فانهض وحكى سيبويه في هذا الباب

بالخير خيرات وان شَرّاً فا * ولا أريدُ الشَرَّ الاّ أن تا

يريد وان شرا فشر ولا أريد الشر الا أن تريد (قال ش قول أبي العباس الا أن تريد وهم وانما هو الا أن تشاء ولو كان كما قال أبو العباس كانت التاء مضمومة) وهذا خلاف ما تستعمله الحكماء فانه يقال ان اللسان اذا كثرت حركته رقت عَذَبَتُهُ * وحدثني أبو عثمان

الجاحظ قال لي قال لي محمد بن الجهم لما كانت أيام الزط أدمنت الفكر وأمسكت عن القول فاصابتني حبسة في لساني وقال رجل من الاعراب يذكر آخر منهم

كأن فيه لففا اذا نطق * من طول تحبيس وهم وارق

وقال رجل لخالد بن صفوان انك لتكثر فقال أكثر لضرب بين أحدهما فيما لا تغني فيه القلة والآخر لتمرين اللسان فان حبسه يورث العقلة وكان خالد يقول لا تكون بليغا حتى تكلم أمتك السوداء في الليلة الظلماء في الحاجة المهمة بما تتكلم به في نادي قومك فانما اللسان عضو اذا مرنته مرن واذا أهملته خار كاليد التي تخشنها بالممارسة والبدن الذي تقويه برفع الحجر وما أشبهه والرجل اذا عودت المشي مشت وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تزالون أصحاء ما نزعتم ونزوتم فنزعتم في القسي ونزوتم على ظهور الخيل وقال بعض الحكماء لا ينبغي للعاقل ان يخلي نفسه من ثلاث في غير افراط الاكل والمشي والجماع فاما الاكل فان الأمعاء تضيق لتركه وكان ابن الزبير رحمه الله يواصل فيما ذكروا بين خمس عشرة من يوم وليلة ثم يفطر على سمن وصبر ليفتق امعاءه قال أبو العباس قال الاول والمشي ان لم تتعهده أوشكت ان تطلبه فلا تجده والجماع كالبئر ان نزحت جمت وان تركت تحير ماؤها وحق هذا كله القصد وقوله * كأن عليهم شروق الطفل * يريد تألق الحديد كأنه شمس طالعة عليهم وان لم تكن شمس وأحسن من هذا قول سلامة بن جندل

كأن النعام باض فوق رؤسهم * وأعينهم تحت الحديد جواحم

(أي متقدة) فهذا التشبيه المصيب وأما قوله * أحب اليه من المسمعات * فقد قال مثله القاسم بن عيسى بن ادريس أبو دلف العجلي

يوماي يوم في أوانس كالدمى * لهوى ويوم في قتال الديلم

هذا جليف غلائل مكسوة * مسكا وصافية كنضح العندم

ولذا النخالصة الدروع وضمر * يكسوننا رهج الغبار الاقتم

وليوم هن الفضل لولا انه * سبقت بطعن الديلمي المعلم

وأول هذه القصيدة طريف مستملح وهو

طواه الهوى فطوى من عذل * وحالف ذا الصبوة المختبل

وأما قوله * تسافه أشداقها في الجدل * فتسافه من السفه وانما يصفها بالمرح وأنها

تميل كذا مرة وكذا مرة كما قال رؤبة * يمشي العرضنى في الحديد المتقن * وكما قال

الآخر اذا رأى السوط مشى الهيدبى * ويتقى الارض بعجع رقاق

(الهيدبى بالدال مهملة ومعجمة وقوله بعجع رقاق يريد قليلة اللحم) وكما قال الحطيئة

وان آنست حسا من السوط عارضت * بى الجور حتى تستقيم ضحى الغد

والجدل جمع جديل وهو الزمام المجدول كما تقول قتيل ومقتول وأدنى العدد أجدلة

كقولك قضيب وقضب وأقضبة وكذلك كثيب ورغيف وجريب وفعلان كفعل في الكثير

يقال قضبان ورغفان وجربان ومثل قوله * تسافه أشداقها في الجدل * قول

حبيب بن أوس الطائي

سفيه الرمح جاهله اذا ما * بدا فضل السفيه على الحليم

ومما يستحسن من شعر اسحق هذا قوله في الحسن بن سهل

باب الامير عراء ما به أحد * الا امرؤ واضع كفا على ذقن

قالت وقد أملت ما كنت آمله * هذا الامير ابن سهل حاتم اليمن

كفيتك الناس لا تلقى أخا طلب * بى مدارك تستعدى على الزمن

ان الرجاء الذى قد كنت آمله * وضعته ورجاء الناس في كفن

في الله منه وجدوى كفه خلف * لبس السدى والندى في راحة الحسن

وأحسن هذا هو الذي يقول في صفة السيف

أَلْقَى بجانب خَصْرِه * أَمْضَى من الأجَلِ المُتاحْ
وكأنما ذَرَّ الهَبَا * عليه أنفاسُ الرياحْ

وأحسن هذا هو الذي يقول في مدح العربية

النحوُ يبسطُ من لسان الأَلْكَنِ * والمرءُ تُكْرِمُهُ اذا لم يلحنِ
واذا طلبتَ من العلوم أَجَلَّها * فأَجَلُّها منها مُقيمُ الأَلْسُنِ

قال أبو العباس وأحسبه أخذ قوله * والمرء تكرمه اذا لم يَلْحَنِ * من حديث حدثناه أبو عثمان الخُزاعيُّ عن الاصمعي قال كان يقال ثلاثةٌ تُحكَمُ لهم بالنُّبْلِ حتى يُدْرَى مَنْ هم وهم رجل رأيته راكبا أو سمعته يُعْرِبُ أو شممتَ منه طيبا وثلاثةٌ يُحكَم عليهم بالاستصغار حتى يدرى مَنْ هُمْ وهم رجل شممتَ منه رائحة نبيذ في مَحْفِل أو سمعته في مِصْرٍ عَرَبِيٍّ يتكلم بالفارسية أو رجلٌ رأيته على ظهر طريق يُنازِعُ في القَدَرِ قال أبو العباس أنشدني أحد الامراء لشاعر من أهل الري يُكْنَى أبا زيد شيئا يقوله لعبد الله بن طاهر أَحْسَنَ فيه وأصاب الفَصَّ وقَصَدَ بالمدح الى مَعْدِنِه واختاره لاهله

اشرب هنيئا عليك التاجُ مُرْتفِقا * في شاذمهر ودَعْ غُمْدانَ لليَمَنِ
فأنتَ أَوْلَى بتاج المُلْكِ تَلْبَسُه * من هَوْذَةَ بن عليّ وابن ذي يَزَنِ

فأَحْسَنَ الترتيب جدا وان كانت الملوك كلها تلبس التاج في ذلك الدهر وانما ذكر ابنَ ذي يَزَنٍ لقول أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ الثَّقَفِيِّ حيث يقول

اشرب هنيئا عليك التاجُ مُرْتفِقا * في رأس غُمْدانَ دارا منكَ مِحْلالا

وقال الأعشى في هوذة بن علي وان لم يكن هوذة مَلِكا

مَنْ يَرَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غيرَ مُتَّئِبٍ * اذا تَعَمَّمَ فوق التاج أو وَضَعا

لها أكاليل بالياقوت فصلها * صواغها لا ترى عيبا ولا طبعا

قال أبو العباس وحدثني التوزي قال سمعت أبا عبيدة يقول عن أبي عمرو قال لم يتتوج معدي قط وانما كانت التيجان لليمن فسألته عن هوذة بن علي الحنفي فقال انما كانت خرزات تنظم له قال أبو العباس وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن علي يدعوه كما كتب الى الملوك وكان يجير لطيمة كسرى في البر بجنبات اليمامة واللطيمة الابل تحمل الطيب والبز ووفد هوذة بن علي على كسرى بهذا السبب فسأله عن بنيه فذكر منهم عددا فقال أيهم أحب اليك فقال الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدم والمريض حتى يصح فقال له كسرى ما غذاؤك في بلدك فقال الخبز فقال كسرى لجلسائه هذا عقل الخبز يفضله على عقول أهل البوادي الذين يغتذون اللبن والتمر وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد هممت أن لا أقبل هدية ويروى أن لا أتهب هبة الا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي وروى بعضهم أو دوسي وذلك أن أعرابيا أهدى اليه هدية فمن بها فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الامصار تفضيلا على أهل البوادي وقال عبد الله بن محمد ابن أبي عيينة يعاتب رجلا من الاشراف

أتيتك زائرا لقضاء حق * فحال الستر دونك والحجاب
وعندك معشر فيهم أخ لي * كأن اخاءه الال السراب
ولست بساقط في قدر قوم * وان كرهوا كما يقع الذباب
ورائي مذهب عن كل ناء * بجانبه اذا عز الذهاب

وقال أيضا

كنا ملوكا اذ كان أولنا * للجود والبأس والعلى خلقوا
كانوا جبالا عزا يلاذ بها * وراجحات بالوبل تنبعق

كانوا بهم ترسل السماء على الـ * ـأرض غياثاً وبشرق الافق

لا يرتق الراتقون ان فتقوا * فتقاً ولا يفتقون ما رتقوا

ليسوا كمعزى مطيرة بقيت * فما بها من سحابة لثق

(اللثق البلل)

والضعف والجبن عند نائبة * تنوبهم والحذار والفرق

هذا زمان بالناس منقلب * ظهر البطن جديده خلق

الأسد فيه على براثنها * مستأخرات تكاد تحترق

وكان سبب قوله هذا الشعر أن اسمعيل بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس كان له صديقا وكان عبد الله بن محمد بن أبي عيينة من رؤساء من أخذ البصرة للمأمون في أيام المخلوع وكان معاضداً لطاهر بن الحسين في حروبه وكان اسمعيل بن جعفر جليل القدر مطاعا في مواليه وأهله وكانت الحال بينهما ألطف حال فوصله ابن أبي عيينة بذى اليمينين فولاه البصرة وولى ابن أبي عيينة اليمامة والبحرين وغوص البحر فلما رجعا الى البصرة تنكر اسمعيل لابن أبي عيينة فهاج بينهما من التباعد على مثال ما كان بينهما من المقاربة ثم عزل ابن أبي عيينة فلم يزل يهجو اسمعيل وسأل ذا اليمينين عزله فدافعه وضن بالرجل فكان يهجو من أهله من يواصل اسمعيل وكان أكبر أهله قدرا في ذلك الوقت يزيد بن المنجاب وكان أعور قائم العين لم يطلع على علته الا بشعر ابن أبي عيينة وكان منهم وكان سيد أهل البصرة أجمعين محمد بن عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب ومنهم سعيد بن المهلب بن المغيرة بن حرب بن محمد بن المهلب بن أبي صفرة وكان قصيرا وكان ابن عباد أحول فلذلك حيث يقول ابن أبي عيينة في هذا الشعر الذي أمليناه

تستقدم النخبان والبرق * في زمن سروا أهله الملق

عور وحول وثالث لهم * كأنه بين أسطر الحق

ولهم يقول ولاثنين ظن أنهما معهم وقدموا به يريدون اسمعيل بن جعفر

ألا قل لرهط خمسة أو ثلاثة * يعدون من أبناء آل المهلب
على باب اسمعيل روحوا وبكروا * دجاج القرى مبثوثة حول ثعلب
وأثنوا عليه بالجميل فانه * يسر لكم حبا هو الحب واقلب
يلين لكم عند اللقاء مواربا * ويخلفكم منه بناب ومخلب
ولولا الذي تولونه لتكشفت * سريرته عن بغضة وتعصب
أبعد بلائي عنده اذ وجدته * طريحا كنصل القدح لما يركب
* به صدأ قد جاءبه فجلوته * بكفي حتى ضوءه ضوء كوكب
وركبته في خوط نبع ورشته * بقادمتي نسر ومتن معقب
فما ان أتاني منه الا مبوأ * الى بنصل كالحريق مذرب
ففللت منه حده وتركته * كهدبة ثوب الخز لما يهدب
رضيتم بأخلاق الدني وعفتم * خلائق ماضيكم من العم والاب

وفي هذا يقول لطاهر بن الحسين

مالي رأيتك تدني كل منتكث * اذا تغيب ملتاث اذا حضرا
اذا تنسم ريح الغدر قابلها * حتى اذا نفخت في أنفه غدرا
ومن يجيء على التقريب منك له * وأنت تعرف فيه الميل والصعرا
أحلك الله من قحطان منزلة * في الرأس حيث أحل السمع والبصرا
فلا تضع حق قحطان فتغضبها * ولا ربيعة كلا ولا مضرا
أعط الرجال على مقدار أنفسهم * وأول كلا بما أولى وما صبرا

ولا تقولن انى لست من أحد * لا تمحق النير بين الشمس والقمرا

ويقول له فى أخرى

هو الصبر والتسليم لله والرضا * اذا نزلت بى خطة لا أشاؤها

اذا نحن أبناء سالمين بأنفس * كرام رجت أمرا فخاب رجاؤها

فأنفسنا خير الغنيمة انها * تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها

هى الانفس الكبرى التى ان تقدمت * أو استأخرت فالقتل بالسيف داؤها

سيعلم اسمعيل أن عداوتى * له ربق أفعى لا يصاب دواؤها

ولما حمل اسمعيل مقيدا ومعه ابناه أحدهما فى سلسلة مقرونا معه وكان الذى تولى ذلك أحمد بن أبى خالد فى قصة كانت لاسمعيل أيام الحضرة فقال ابن أبى عيينة فى ذلك

من اسمعيل وابنا * ه معا فى الاسراء

جالسا فى محمل ضنـ * ـك على غير وطاء

يتغنى القيد فى رجـ * ـليه ألوان الغناء

باكيا لا رقأت عيـ * ـناه من طول البكاء

يا عقاب الدجن فى الأمـ * ـن وفى الخوف ابن ماء

وقد كان تطير عليه بمثل ما نزل به فمن ذلك قوله

لا تعدم العزل يا أبا الحسن * ولا هزالا فى دولة السمن

ولا انتقالا من دار عافية * الى ديار البلاء والفتن

ولا خروجا الى القفار من الارض وترك الاحباب والوطن

كم روحة فيك لى مهجرة * ودلجة فى بقية الوسن

فى الحر والقر كى تولى على البـ * ـصرة عين الامصار والمدن

انى أحاجيك يا أبا حسن * ماصورة صورت فلم تكن

وما يهى فى العين منظره * لو وزنوه بالزف لم يزن

ظاهره رائع وباطنه * ملآن من سوأة ومن درن

وهذا الشعر اعترض له فيه عمرو بن زعبل مولى بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم وكان منقطعا الى اسمعيل وولده وكان لا يبلغ ابن أبى عيينة فى الشعر ولا يدانيه ومن أمثل شعره وما اعترض له به قوله

انى أحاجيك ما حنيف على السفطرة باع الرباح بالغبن

وما شيخ من تحت سدرته * معلق نعله على الغصن

وما سيوف حمر مصقلة * قد عريت من مقابض السفن

وما سهام صفر مجوفة * تحشى خيوطا الكتان والقطن

وما ابن ماء ان يخرجوه الى الارض تسل نفسه من الاذن

وما عقاب زوراء تلحسم من * خلف فتهوى قصدا على سنن

لها جناحان يخفزان بها * نبطا اليها بجدول رسن

يا ذا اليمينين اضرب علاوته * بدفع ومانى فى النار فى قرن

(قبل السفينة وقبل الرايه وهو أصح لان جده حبش راية طاهر بن الحسين ثلاثة أعوام وقوله ومانى فى النار فى قرن مانى اسم عـلم وكان رأسا من رؤس الزنادقه) فاجابه ابراهيم السوانى مولى آل المهلب وكان متقدما فى الشعر بابيات لا احفظ أكثرها منها

قد قيل ماقيل فى أبى حسن * فانظروا فى تطاول الزمن

وهذا السوانى هو الذى يقول لبشر بن داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب

معاول تمطر الذهبا * وحربك تلتظى لهبا

وأى كتيبة لاقيت * لم تستحسن الهربا

ومن شعره السائر

هبيني يامعذبتي أسأت * وبالهجران قبلكم بدأت
فأين الفضل منك فدتك نفسي * علي اذا أسأت كما أسأت

ولابن أبي عيينة في هذا المعنى أشعار كثيرة في معاتبات ذي اليمينين وهجاء اسمعيل وغيره سنذكرها بعد في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ومن شعره المستحسن قوله في عيسى بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس وكان تزوج امرأة منهم يقال لها فاطمة بنت عمر بن حفص هزارمرد (وقعت الرواية كما في الاصل وصوابه هزاذمرد بالزاي والذال معجمة ولا خلاف في الزاي) وهو من ولد قبيصة بن أبي صفرة ولم يلده المهلب وكان يقال لابي صفرة ظالم بن سراق

أفاطم قد زوجت عيسى فأيقني * بذل لديه عاجل غير آجل
فانك قد زوجت عن غير خبرة * فتى من بني العباس ليس بعاقل
فان قلت من رهط النبي فانه * وان كان حر الاصل عبد الشمائل
فقد ظفرت كفاه منك بطائل * وما ظفرت كفاك منه بطائل
وقد قال فيه جعفر ومحمد * أقاويل حتى قالها كل قائل
وما قلت ما قالا لانك اختنا * وفي البر منا والذرا والكواهل
لعمري لقد أثبته في نصابه * بأن صرت منه في محل الحلائل
اذا ما بنو العباس يوما تبادروا * عرا المجد وابتاعوا كرام الفضائل
رأيت أبا العباس يسمو بنفسه * الى بيع بياحاته والمباقل
يرخم بيض العام تحت دجاجه * ليخرج بيضا من فراريج قابل

قال أبو العباس وولد عيسى من فاطمة هذه لهم شجاعة ونجدة وشدة أبدان وفاطمة التى ذكرتها هي التى كان ينسب بها أبو عيينة أخو عبد الله ويكنى عنها بدنيا ومن ذلك قوله لها

دعوتك بالقرابة والجوار * دعاء مصرح بادى السرار
لأنى عنك مشتغل بنفسى * ومحترق عليك بغير نار
وأنت توقرين وليس عندى * على نار الصبابة من وقار
فأنت لأن ما بك دون ما بى * تدارين العيون ولا أدارى
ولو والله تشتاقين شوقى * جمحت الى خالعة العذار

وقال عبد الله يعاتب ذا اليمينين

من مبلغ عنى الأمير رسالة * محصورة عندى عن الانشاد
كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الحساد
وأظن لى منها لديك خبيئة * ستكون عند الزاد آخر زاد
مالى أرى أمرى لديك كأنه * من ثقله طود من الأطواد
وأراك ترجيه وتمضى غيره * فى ساعة الاصدار والايراد
الله يعلم ما أتيتك زائرا * من ضيق ذات يد وضيق بلاد
لكن أتيتك زائرا لك راجيا * بك رتبة الآباء والأجداد
قد كان لى بالمصر يوم جامع * لك مصلح فيه لكل فساد
ودعوت منصورا فأعلن بيعة * فى جمع أهل المصر والاجناد
ثارت مسارعتى اليك بطاعتى * كل البوار وآذنت بكساد
فى الأرض منفسح ورزق واسع * لى عنك فى غورى وفى انجادى

وقال أيضا يعاتبه

أياذا اليمنيين ان العتا * ب يغري صدورا ويشفي صدورا
وكنت أرى ان ترك العتا * ب خير واجدر أن لا يضيرا
الى ان ظننت بان قد ظننت * باني لنفسي أرضى الحقيرا
فاضمرت النفس في وهمها * من الهم هما يكد الضميرا
ولابد للماء في مرجل * على النار موقدة أن يفورا
ومن أشرب اليأس كان الغنى * ومن أشرب الحرص كان الفقيرا
علام وفيم أرى طاعتي * لديك ونصري لك الدهر بورا
ألم آل بالمصر أدعو البعيد * اليك وأدعو القريب العشيرا
ألم آل أول آت أتاك * بطاعة من كان خلفي بشيرا
وألزم غرزك في ماقط الـ * ـحروب عليها مقيما صبورا
ففيم تقدم جفالة * اليك أمامي وأدعى أخيرا
كأنك لم تر أن الفتى الشـ * ـحيح اذا زار يوما أميرا
تقدم من دونه قبله * ألست تراه بسخط جديرا
ألست ترى ان سقف التراب * به كان أكرم من ان يزورا
ولست ضعيف الهوى والمدى * أكون الصبا أو أكون الدبورا
ولكن شهاب فان ترم بي * مهما تجد كوكبي مستنيرا
فهل لك في الاذن لي راضيا * فاني أرى الاذن غنما كبيرا
وكان لك الله فيما ابتغيت * له من جهاد ونصر نصيرا
ولا جعل الله في دولة * سبقت اليها وريح فتورا
فان ورائي لي مذهبا * بعيدا من الارض قاعا وقورا

به الضب تحسبه بالفلاة * اذا خفق الآل فيها بعيرا

وما الا ومصرا على أهله * بدا الله من جائران بحورا

واني لمن خسير سكانه * وأكثرهم منفيرى نفيرا

وقال عبيد الله لعلي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وكان دعاه الى نصرته حين ظهرت المبيضة فلم يجبه فتوعده علي فقال عبيد الله

أعلي انك جاهل مغرور * لا ظلمه لك لا ولا لك نور

أكنت توعدني ان استبطأتني * اني بحربك ما حييت جدير

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري * أطنين أجنحة البعوض يضير

واذا ارتحلت فان نصري للأولى * آباؤهم المهدي والمنصور

نبتت عليه لحومنا ودماؤنا * وعليه قدر سعينا المشكور

وقال عبيد الله في قتل داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب من قتل بأرض السند بدم أخيه المغيرة بن يزيد

أفنى تميما سعدها وربابها * بالسند قتل مغيرة بن يزيد

صعقت عليهم صعقة عتكية * جعلت لهم يوما كيوم ثمود

ذاقت تميم عز عتكيين عذابنا * بالسند من عمرو ومن داود

قدنا الجياد من العراق اليهم * مثل القطا مستنة لورود

يحملن من ولد المهلب عصبة * خلقت قلوبهم قلوب أسود

وفي المغيرة يقول في قصيدة مطولة

اذا كر فيهم كرة أفرجوا له * فرار بغاث الطير صادفن أجدلا

وما نيل الامن بعيد بجاصب * من النبل والنشاب حتى تجدلا

وانى لمثن بالذى كان أهله * أبو حاتم ان نأب دهرٌ فأعضلا
فتى كان يستحيى من الذم أن يرى * له مخبرٌ جابوما عليه وصدخلا
وكان يظن الموت عارا على الفتى * بذا الدهر الا أن يصاب فيقتلا
منيته ابناء المهلب انهم * يرون بها حتما كتابا معجلا
وقد أطلق الله اللسان بقتل من * قتلنابه منهم ومن وأفضلا
أناخ بهم داود بصرف نابه * ويلقى عليهم كلكلا ثم كلكلا
يقتلهم جوعا اذا ما تحصنوا * وتقريهم هوج المجانيق جندلا

وهذا شعر عجيب من شعره وفى هذه القصة يقول

أبت الابكاء وانتحابا * وذكرا للمغيرة واكتئابا
ألم تعلم بان القتل ورد * لنا كالماء حين صفا وطابا
وقلت لها قرى ونقى بقولى * كانك قد قرأت به كتابا
فقد جاء الكتاب به فقولى * ألا لا تعدم الرأى الصوابا
جلبنا الخيل من بغداد شعثا * عوابس تحمل الأسد الغضابا
بكل فتى أغر مهلبى * تخال بضوء صورته شهابا
ومن قحطان كل أخى حفاظ * اذا يدعى لنائبة أجابا
فما بلغت قرى كرمان حتى * تخدد لحمها عنها فذابا
وكان لهن فى كرمان يوم * أمر على الشراة بها الشرابا
وانا تاركون غدا حديثا * بأرض السند سعدا والربابا
تفاخر بابن أحوزها تميم * لقد طاش المفاخر لى وخابا

وفى مثل هذا البيت الاخير يقول أخوه أبو عيينة

أعاذلُ صه لستَ من شيمتي * وان كنتَ لي ناصحا مشفقا

أراكَ تفرّقني دائبا * وما ينبغي لي أن أفرقا

أنا ابنُ الذي شادلي منصبا * وكان السماكَ اذا حلّقا

قريعُ العراق وبطريقهم * وعزّهم المرتجى المتّقى

فمن يستطيع اذا ما ذهبتُ أنطق في المجد أن ينطقا

انا ابن المهلّب ما فوق ذا * لعالٍ الى شرفٍ مرتقى

فدعني أغلي ثياب الصبا * جديدتها قبل أن تخلقا

(قال أبو الحسن وهذا شعر حسن وأوله

ألم تنه نفسك أن تعشقا * وما أنت والعشق لولا الشقا

أمن بعد شربك كأس النهى * وشمّك ريحان أهل التقا

عشقتَ فاصبحتَ في العاشقين أشهر من فرس أبلقا

ثم قال * أعاذل صه لست من شيمتي * ثم قال بعد قوله * فدعني أغلي ثياب الصبا *

أدنياي من غمر بحر الهوى * خذي بيدي قبل أن أغرقا

أنا لكِ عبدٌ فكوني كمن * اذا سرّه عبده أعتقا

قال أبو الحسن قوله انا لك عبدٌ فوصل بالالف فهذا انما يجوز في الضرورة والالف تثبت في الوقف لبيان الحركة فلم يحتج الى الالف ومن أثبتها في الوصل قاسه على الوقف للضرورة كقوله

فان يكُ غثّا أو سمينا فانني * سأجعل عينيه لنفسه مقنعا

لانه اذا وقف وقف على الهاء وحذفها فأجرى الوصل على الوقف وأنشدوا قول الاعشى

فكيف أنا وانتحالُ القوا * في بعد المشيب كفى ذاكَ عارا

والرواية الجيدة فكيف يكون انتحالي القوا * في بعد المشيب

سقى الله دنيا على نأيها * من القطر منبعقاً ريقا

ألم أخدع الناس عن حبها * وقد يخدع الكيس الاحمقا

بلى وسبقتهم انني * أحب الى المجد أن أسبقا

ويوم الجنازة اذ أرسلت * على رقبة أن حيّ الخندقا

الى السال فاخترنا مجلساً * قريباً واياك أن تخرقا

هذا مما يغلط فيه عامة أهل البصرة يقولون السالَ بالتخفيف وانما هو السالُّ يا هذا وجمعه سُلّانٌ وهو الغالّ وجمعه غُلّانٌ وهو الشقّ الخفيّ في الوادي

فكنا كغصنين من بانة * وطيبين حدثان ما أورقا

فقالت لترب لها استنشدي * ه من شعره الحسن المنتقى

فقلت أمرت بكتمانه * وحذرت ان شاع ان يسرقا

فقالت بعيشك قولي له * تمتع لعلك أن تنفقا

قوله لعلك ان تنفقا اضطرار وحقه لعلك تنفق لان لعلّ من اخوات انّ فأجريت مجراها ومن أتى بأن فلمضارعتها عسى كما قال متمم بن نويرة

لعلك يوماً ان تلم ملمة * عليك من اللائي يدعنك أجدعا

وهو كثير) قال أبو العباس وزعم أبو معاذ النميري انه كان يعتاد عبد الله بن محمد بن أبي عيينة ويكثر المقام عنده وكان راوية لشعره وأم ابن أبي عيينة بن المهلب يقال لها خيرة وهي من بني سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فابطأت عليه أياماً فكتب اليه

تمادى في الجفاء أبو معاذ * وراوغني ولاذ بلا ملاذ

ولولا حق اخوالي قشير * أتته قصائد غير اللذاذ

كما راح الهلالي بن حرب * به سمة على عنق وحاذ

يعنى محمد بن حرب بن قبيصة بن مخارق الهلالى وكان من أقعد الناس وقبيصة بن المخارق صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سار اليه فأكرمه وبسط له رداءه وقال مرحبا بخالى فقال يا رسول الله رق جلدى ودق عظمى وقل مالى وهنت على أهلى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أبكيت عباد كرت ملائكة السماء ومحمد بن حرب هذا ولى شرطة البصرة سبع مرات وكان على شرطة جعفر بن سليمان على المدينة وكان كثير الادب غزيره فاغضب ابن أبى عيينة فى حكم جرى عليه بحضرة اسحق بن عيسى وكان على شرطته اذ ذاك ففى ذلك يقول عبد الله بن أبى عيينة

باخوالى وأعمامى أقامت * قريش ملكها وبها تهاب

متى ما أدع أخوالى لحرب * وأعمامى لنائبة أجابوا

أنا ابن أبى عيينة فرع قومى * وكعب والدى وأبى كلاب

خلا ابن عكابة الظربان سهل * له فسو تصاد به الضباب

وآخر من هلال قد تداعى * فصار كأنه الشئ الخراب

٣٣ - باب

قال أبو العباس كان ابن شبرمة اذا نزلت به نازلة قال سحابة ثم تنقشع وكان يقال أربع من كنوز الجنة كتمان المصيبة وكتمان الصدقة وكتمان الفاقة وكتمان الوجع قال عمر بن الخطاب رحمه الله لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت وقال العتبى محمد بن عبيد الله يذكر ابنا له مات

أضحت بخدى للدموع رسوم * أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم

والصبر يحمد فى المصائب كلها * الا عليك فانه مذموم

قال أبو العباس واحسب ان حبيبا الطائى سمع هذا فاسترقه فى بيتين أحدهما قوله فى ادريس

ابن بدر الشامي

دموع أجابت داعي الحزن همع * توصل منا عن قلوب تقطع
وقد كان يدعى لابس الصبر حازما * فأصبح يدعى حازما حين يجزع

والآخر قوله

قالوا الرحيل فما شككت بأنها * نفسي عن الدنيا تريد رحيلا
الصبر أجمل غير أن تلددا * في الحب أحرى أن يكون جميلا

وقال سابق البربري

وان جاء ما لا تستطيعان دفعه * فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا

وقال آخر أيضا

اصبر على القدر المجلوب وارض به * وان أتاك بما لا تشتهي القدر
(فما صفا لامرئ عيش يسر به * الا سيتبع يوما صفوه كدر)

وكان خالد بن صفوان يدخل على بلال بن أبي بردة يحدثه فيلحن فلما كثر ذلك على بلال قال له أتحدثني أحاديث الخلفاء وتلحن لحن السقاآت قال التوزي فكان خالد بن صفوان بعد ذلك يأتي المسجد ويتعلم الاعراب وكف بصره فكان اذا مر به موكب بلال يقول ما هذا فيقال له الامير فيقول خالد * سحابة صيف عن قليل تقشع * فقيل ذلك لبلال فأجلس معه من يأتيه بخبره ثم مر به بلال فقال خالد كما كان يقول فقيل ذلك لبلال فأقبل على خالد فقال لا تقشع والله حتى تصيبك منها بشؤبوب برد فضربه مائتي سوط وقال بعضهم بل أمر به فديس بطنه قوله بشؤبوب مهموز وهو الدفعة من المطر بشدة وجمعه شآبيب قال النابغة يخاطب القبيلة

ولا تلاقي كما لاقت بنو أسد * فقد أصابتهم منها بشؤبوب

يريد ما نال بني أسد من غارة النعمان عليهم وضرب الشؤبوب مثلا للغارة والغارة تضرب

لذلك مثلا كما يقال شن عليهم الغارة أى صبها عليهم قال ابن هرمة

كم بازل قد وجأت لبتها * مستهل الشؤبوب أو جمل

يريد ما وجأها به من حديدة يقول لما وجأتها دفعت بشؤبوب من الدم فكأنه قال سنان مستهل الشؤبوب أو ما أشبه ذلك وكان خالد بن صفوان أحد من اذا عرض له القول قال فيقال ان سليمان بن على سأله عن ابنيه جعفر ومحمد فقال كيف احمادك جوارهما يا أبا صفوان فقال

أبو مالك جار لها وابن برثن * فيا لك جارى ذلة وصغار

(ش قوله أبو مالك صوابه أبو نافع وهو مولى لعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه) فأعرض عنه سليمان وكان سليمان من أحلم الناس وأكرمهم وهو فى الوقت الذى أعرض فيه عنه والى البصرة وعم الخليفة المنصور والشعر الذى تمثل به خالد ليزيد بن مفرغ الحميرى قال

سقى الله دارا لى وأرضا تركتها * الى جنب دارى معقل بن يسار

أبو مالك جار لها وابن برثن * فيا لك جارى ذلة وصغار

وكان الحسن يقول لسان العاقل من وراء قلبه فان عرض له القول نظر فان كان له أن يقول قال وان كان عليه القول أمسك ولسان الأحمق أمام قلبه فاذا عرض له القول قال كان عليه أوله وخالد لم يكن يقول الشعر ويروى انه وعد الفرزدق شيأ فأخره عنه وكان خالد أحد البخلاء فمر به الفرزدق فهدده فأمسك عنه حتى جاز الفرزدق ثم أقبل على أصحابه فقال ان هذا قد جعل احدى يديه سطحا وملأ الاخرى سلحا وقال ان عمر تم سطحى والا نضحتكم بسلحى وقال اياس بن معاوية المزنى أبو واثلة وكان أحد العقلاء الدهاة الفضلاء لخالد لا ينبغى ان نجتمع فى مجلس فقال له خالد وكيف يا أبا واثلة فقال لانك لا تحب ان تسكت وأنا لا أحب ان أسمع وخاصم الى اياس رجل رجلا فى دين وهو قاضى البصرة فطلب منه البينة فلم يأته بمقنع فقيل للطالب استجر وكيع بن أبى سود حتى يشهد لك فان اياسا لا يجترئ على رد شهادته

ففعل فقال وكيع والله لا شهدت لك فان رد شهادتى لاعممنه السيف فلما طلع وكيع فهم اياس عنه فاقعده الى جانبه ثم سأله عن حاجته فقال جئت شاهدا فقال له يا أبا المطرف أتشهد كما تفعل الموالى والعجم أنت تجل عن هذا فقال اذن والله لا أشهد فقيل لوكيع بعد اغنا خدعك فقال أولى لابن اللخناء وشهد رجل من جلساء الحسن بشهادة عند اياس فرده فشكا الرجل ذلك الى الحسن فأتاه الحسن فقال يا أبا واثلة لم رددت شهادة فلان فقال يا أبا سعيد ان الله تعالى يقول ممن ترضون من الشهداء وليس فلان ممن أرضى واختلف نصرانى الى أبى دلامة مولى بنى أسد يتطبب لابن له فوعده ان برأ على يديه ان يعطيه ألف درهم فبرأ ابنه فقال للمتطبب ان الدراهم ليست عندى ولكن والله لأوصلنها اليك ادّع على جارى فلان هذه الدراهم فانه موسر وأنا وابنى نشهد لك فليس دون أخذها شئ فصار النصرانى بالجار الى ابن شبرمة فسأله البينة فطلع عليه أبو دلامة وابنه ففهم القاضى فلما جلس بين يديه قال أبو دلامة

ان الناس غطونى تغطيت عنهم * وان بحثونى كان فيهم مباحث

(وان حفروا بئرى حفرت بأرهم * ليعلم قوم كيف تلك النبائث)

فقال ابن شبرمة من ذا الذى يبحثك يا أبا دلامة ثم قال للمدعى قد عرفت شاهديك فخل عن خصمك ورح العشية الى فراح اليه فغرمها من ماله وشهد أبو عبيدة عند عبيد الله بن الحسن العنبرى على شهادة ورجل عدل فقال عبيد الله للمدعى أما أبو عبيدة فقد عرفته فزدنى شاهدا وكان عبيد الله أحد الادباء الفقها الصلحاء وزعم ابن عائشة قال عتبت عليه مرة فى شئ قال فلقينى يدخل من باب المسجد يريد مجلس الحكم وأنا أخرج فقلت معرضا به (للبعيث)

طمعت بليلى أن تريع وانما * تقطع أعناق الرجال المطامع

فأنشدني معرضا تاركا لما قصدت له

وبايعت ليلى في خلاء ولم يكن * شهود على ليلى عدول مقانع

وكان ابن عائشة يحدث عنه حديثا عجيبا ثم عرف مخرج ذلك الحديث ذكر ابن عائشة وحدثني عنه جماعة لا أحصيهم كثرة ان عبيد الله بن الحسن شهد عنده رجل من بني نهشل على أمر أحسبه دينا فقال له أتروي قول الاسود بن

نام الخلي فما أحس رقادي *

فقال له الرجل لا فرد شهادته وقال لو كان في هذا خير لروى شرف أهله فحدثني شيخ من الازد حديثا ظننت ان عبيد الله اياه قصد قال تقدم رجل الى سوار بن عبد الله وسوار ابن عم عبيد الله بن الحسن يدعي دارا وامرأة تدافعه وتقول لسوار انها والله خطة ما وقع فيها كتاب قط فأتى المدعي بشاهدين يعرفهما سوار فشهدا له بالدار وجعلت المرأة تنكر انكارا يعضده التصديق ثم قالت سل عن الشهود فان الناس يتغيرون فرد المسئلة فحمد الشاهدان فلم يزل يبحث أمورهم ويسأل الجيران فكل يصدق المرأة والشاهدان قد ثبتا فشكا ذلك الى عبيد الله فقال له عبيد الله انا أحضر مجلس الحكم معك فآتيك بالجلية ان شاء الله تعالى فقال للشاهدين ليس للقاضي ان يسألكما كيف شهدتما ولكن انا أسألكما قال فقالا أراد هذا ان يحج فأدارنا على حدود الدار من خارج وقال هذه داري فان حدث بي حادث فلتبع ولتقسم على سبيل كذا قال أفعندكما غير هذه الشهادة قالا لا فقال الله أكبر وكذا لو أدرتكما على دار سوار وقلت لكما مثل هذه المقالة أكنتما تشهدان بها لي ففهما انهما قد اغترا فكان سوار اذا سال عن عدالة الشاهد يتبع المسئلة ان يقول أفائز العدالة هو فظننت أن عبيد الله رأى في الشاهد غفلة فاختبره بهذا وما أشبهه وحدثني أحد أصحابنا ان رجلا من الاعراب تقدم الى سوار في أمر فلم يصادف عنده ما يحب فاجتهد فلم يظفر بحاجته قال فقال الاعرابي وكانت في يده عصا

رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا

بأنى أخبط فى ليلتى * كلبا فكان الكلب سوارا

ثم انحنى على سوار بالعصا فضربه حتى منع منه قال فما عاقبه سوار بشئ قال وحدثنا اعرابيا من بنى العنبر سار الى سوار فقال ان أبى مات وتركنى وأخالى وخط خطين فى الارض ثم قال وهجينا وخط خطا ناحية فكيف نقسم المال فقال أههنا وارث غيركم قال لا قال المال بينكم اثلاثا فقال لا أحسبك فهمت عنى انه تركنى وأخى وهجينا لنا فقال سوار المال بينكم اثلاثا قال فقال الاعرابى أيأخذ الهجين كما آخذ وكما يأخذ أخى قال أجل فغضب الاعرابى قال ثم أقبل على سوار فقال تعلم والله انك قليل الخالات بالدهنا فقال سوار اذا لا يضيرنى ذلك عند الله شيأ (قيل انه ليس بالدهنا أمة وانما كان فيها الحرائر) وكان عقيل بن علفة من الغيرة والانفة على ما ليس عليه أحد علمناه خطب اليه عبد الملك بن مروان ابنته على أحد بنيه وكانت لعقيل اليه حاجات فقال أما اذ كنت فاعلا فجنبنى هجناءك وخطب اليه ابنته ابراهيم بن هشام بن اسمعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة وهو خال هشام بن عبد الملك ووالى المدينة وكان أبيض شديد البياض فرده عقيل وقال

رددت صحيفة القرشى لما * أبت اعراقه الا احمرارا

وكانت حفصة بنت عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله قد مات عنها فخطبها جماعة من قريش أحدهم عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب وأحدهم ابراهيم بن هشام فكان أخوها محمد بن عمران اذا دخل الى ابراهيم بن هشام أوسع له وأنشده

وقالوا يا جميل أتى أخوها * فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

أحبك أن نزلت جبال حسمى * وأن ناسبت بثنة من قريب

وهذا الشعر لجميل بن عبد الله بن معمر العذرى فاما جميل بن معمر الجمحى فلا نسب بينه وبين معمر أى ليس بينه وبينه أب آخر وكانت له صحبة وكان ناصحا لعمر بن الخطاب رضى الله

عنه ويروى عن عبد الرحمن بن عوف انه قال أتيت باب عمر بن الخطاب رحمه الله فسمعته ينشد بالركبانية

وكيف ثوائى بالمدينة بعدما * قضى وطراً منها جميل بن معمر

فلما استأذنت عليه قال لى أسمعت ما قلت فقلت نعم فقال انا اذا خلونا قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم (قال ش وهم أبو العباس رحمه الله فى هذا واغنا القصة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى سمع عبد الرحمن بن عوف ينشد) وكان جميل بن معمر الجمحى قتل أخا لابى خراش الهذلى يوم فتح مكة وأتاه من ورائه وهو موثق فضربه ففى ذلك يقول أبو خراش

فأقسم لولاقيته غير موثق * لآبك بالعرج الضباع النواهل

لكان جميل أسوأ الناس صرعة * ولكن اقران الظهور مقاتل

فليس كعهد الدار يا أم مالك * ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل * سوى الحق شيأ فاستراح العواذل

قوله أسوأ الناس صرعة أى الهيئة التى يصرع عليها كما تقول جلست جلسة وركبت ركبة وهو حسن الجلسة والركبة أى الهيئة التى يجلس عليها ويركب عليها وكذلك القعدة والنيمة وقوله لآبك أى لعادك وأصل هذا من الاياب والرجوع قال الله تبارك وتعالى ان الينا ايابهم وقال عبيد بن الابرص

وكل ذى غيبة يؤب * (وغائب الموت لا يؤب)

وقوله بالعرج فهو ناحية من مكة به ولد عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فسمى العرجى ويقال بل كان له مال بذلك الموضع فكان يقيم فيه (قال ش هذا وهم من أبى العباس رحمه الله وأما صوابه فعبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه)

والنواهل فيه قولان أحدهما العطاش وليس بشيء والآخر الذي قد شرب شربة فلم يرو فاحتاج الى ان يعلّ كما قال امرؤ القيس

اذهن أقساط كرجل الدبى * أو كقطا كاظمة الناهل

وقوله أحاطت بالرقاب السلاسل يقول جاء الاسلام فمنع من الطلب بالاوتار الاعلى وجهها وكان يقال ان أول من أظهر الجور من القضاة في الحكم بلال بن أبي بردة وكان أمير البصرة وقاضيها وفي ذلك يقول رؤبة

وأنت يا ابن القاضيين قاضي * (معتزم على الطريق ماضي)

وكان بلال يقول ان الرجلين ليتقدمان الي فأجد أحدهما على قلبي أخف فاقضي له ويروى ان بلالا وفد على عمر بن عبد العزيز بخناصرة فسدك (ش معناه لصق) بسارية من المسجد فجعل يصلي اليها ويديم الصلاة فقال عمر بن عبد العزيز للعلاء بن المغيرة بن البندار ان يكن سره هذا كعلانيته فهو رجل أهل العراق غير مدافع فقال العلاء انا آتيك بخبره فأتاه وهو يصلي بين المغرب والعشاء فقال اشفع صلاتك فان لي اليك حاجة ففعل فقال له العلاء قد عرفت حالي من أمير المؤمنين فان أنا أشرت بك على ولاية العراق فما تجعل لي قال لك عمالتي سنة وكان مبلغها عشرين ألف ألف درهم (العمالة بضم العين أجرة العامل) قال فاكتب لي بذلك قال فارقد (معناه أسرع) بلال الى منزله فأتى بدواة وصحيفة فكتب له بذلك فأتى العلاء عمر بالكتاب فلما رآه كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وكان والي الكوفة أما بعد فان بلالا غرنا بالله فكدنا نغتر فسبكناه فوجدناه خبثا كله والسلام ويروى انه كتب الى عبد الحميد اذا ورد عليك كتابي هذا فلا تستعن على عملك باحد من آل أبي موسى . قال أبو العباس وكان بلال داهية لقنا أديبا ويقال ان ذا الرمة لما أنشده

سمعت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعي بلالا

تُناخي عند خير فتى يمانٍ * اذا النكباء ناوحت الشمالا

فلما سمع قوله * فقلت لصيدح انتجعي بلالا * قال يا غلام مُرْ لها بقتٍ ونوى أراد ان ذا الرمّة لا يُحسن المدح قوله سمعت الناس ينتجعون حكاية والمعنى اذا حُقق انما هو سمعت هذه اللفظة أي قائلا يقول الناس ينتجعون غيثاً ومثل هذا قوله

وجدنا في كتاب بني تميم * أحقُّ الخيل بالركض المعارُ

فعناه وجدنا هذه اللفظة مكتوبة فقوله أحقُّ الخيل ابتداء والمعارُ خبره وكذلك الناسُ ابتداء وينتجعون خبره ومثل هذا في الكلام قرأتُ الحمدُ لله رب العالمين انما حكيت ما قرأت وكذلك قرأتُ على خاتمه اللهُ أكبرُ يا فتى فهذا لا يجوز سواه وقوله اذا النكباء ناوحت الشمالا فان الرياح أربع ونكباواتها أربع وهي الريح التي تأتي من بين ريحين فتكون بين الشمال والصبا أو الشمال والدبور أو الجنوب والدبور أو الجنوب والصبا فاذا كانت النكباء تناوح الشمال فهي آية الشتاء ومعنى تُناوح تُقابل يقال تناوح الشجرُ اذا قابل بعضه بعضاً وزعم الاصمعي ان النائحة بهذا سُميت لانها تقابل صاحبتها وقال يحيى بن نوفل الحميريُّ ويقال انه لم يمدح أحداً قط

فلو كنتُ ممتدحاً للنوال * فتى لامتدحتُ عليه بلالا

ولكنني لستُ ممن يريد * بمدح الرجال الكرام السؤالا

سيكفي الكريمَ اخاءُ الكريم * ويقنع بالودّ منه نوالا

ومن أحسن ما امتدح به ذو الرمّة بلالاً قوله

تقول عجوزٌ مدرجي متروّحا * على بيتها من عند أهلي وغاديا

أذو زوجةٍ بالمصر أم ذو خصومةٍ * أراك لها بالبصرة العامَ ثاويا

فقلتُ لها الا ان أهلي لجيرةٌ * لأكثبة الدهنا جميعاً وماليا

(قوله لا لحن وهذا اللحن راجع على المرأة لان لا لا تقع الا في جواب أو وا غاسأ لته بأم وهي لم تستقر عندها علم)

وما كنتُ مذ أبصرتني في خُصومةٍ * أراجعُ فيها يا ابنةَ الخيرِ قاضيا

ولكنني أقبلتُ من جانبي قسا * ازور فتى نجداً كريماً يمانيا

من آل أبي موسى ترى القومَ حوله * كأنهم الكروانُ أبصرنَ بازيا

مرمين من ليثٍ عليه مهابةٌ * تفادى اسودُ الغاب منه تفاديا

وما الخرقُ منه يرهبون ولا الخنى * عليهم ولكن هيبةٌ هي ماهيا

قوله مذ رجي يقول مروري فاما قولهم في المثل خير من دبَّ ومن درج فمعناه من حيي ومن مات يريدون من دبَّ على وجه الارض ومن درج عنها فذهب وقوله أرال لها بالبصرة العام ثاويا فانه يقال في هذا المعنى ثوى الرجل فهو ثاوٍ يا فتى اذا أقام وهي أكثر ويقال أثوى فهو مثوٍ يا فتى وهي أقلُّ من ذلك قال الاعشى

أثوى وقصر ليلة ليزودا * فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

وقوله قسا فهو موضع من بلاد بني تميم وقوله لا كثبة الدهنا فاكثبة جمع كثيب وهو أقلُّ العدد والكثير كثب وكثبان والدهنا من بلاد بني تميم ولم أسمع الا القصر من أهل العلم والعرب وسمعت بعد من يروي مدها ولا أعرفه قال ذو الرمة

حنّت الى نعم الدهنا فقلتُ لها * أُمّي هلالا على التوفيق والرشد

يعني هلال بن أحوز المازني وقال جرير * باز يصعصع بالدهنا قطا جونا * وقوله كأنهم الكروان أبصرن بازيا فالكروان جماعه كروان وهو طائر معروف وليس هذا الجمع لهذا الاسم بكماله ولكنه على حذف الزيادة فالتقدير كرا وكروان كما تقول أخ واخوان وورل وورلان وبرق وبرقان والبرق أعجمي ولكنه قد أعرب وجمع كما تجمع العربية واستعمل

الكروان جمعا على حذف الزيادة واستعمل فى الواحد كذلك تقول العرب فى مثل من أمثالها

أطرق كرا أطرق كرا * انّ النعام فى القرى

يريدون الكروان وقوله من آل أبى موسى ترى القوم حوله فقال ترى ولم يقل ترين وكانت المخاطبة أوّلا لامرأة ألا تراه يقول

وما كنت مذ أبصرتنى فى خصومة * أراجع فيها يا ابنة الخير قاضيا

ثم حوّل المخاطبة الى رجل والعرب تفعل ذلك قال الله عز وجل حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة فكأنّ التقدير والله أعلم كان للناس ثم حوّلت المخاطبة الى النبى صلى الله عليه وسلم قال عنترة بن شدّاد

شطّت مزار العاشقين فأصبحت * عسرا علىّ طلابك ابنة مخرم

وقال جرير

ما للمنازل لا تجيب حزينا * أصممن أم قدم المدى فبلينا
وترى العواذل يبتدرن ملامتى * واذا أردن سوى هواك عصينا

قال أوّلا للرجل ثم قال سوى هواك وقال آخر

فدى لك والدى وسراة قومى * ومالى انّه منه أتانى

على تحويل المخاطبة وقوله من يزيد سكوتا مطرقين يقال أرمّ اذا أطرق ساكتا وقوله تفادى أسود الغاب معناه تفتدى منه بعضها ببعض وفى الخبر ان سليمان بن عبد الملك أمر بدفع عيال الحجّاج ولحمته الى يزيد بن المهلّب فتفادى منهم تأويله فدى نفسه من ذلك المقام بغيره وقوله

وما الخرق منه يرهبون ولا الخنى * عليهم ولكن هيبة هى ماهيا

اذا رفعت هيبة فالمعنى ولكن أمره هيبة كما قال الله عز وجل لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ

أى ذلك بلاغ ومثله قوله عز وجل طاعةٌ وقولٌ معروف يكون رفعُه على ضربين أحدهما أمرُنا طاعةٌ وقولٌ معروف والوجه الآخر طاعةٌ وقولٌ معروف أمثلُ ومن نصب هيبة أراد المصدر أى ولكن يهابُ هيبةً وأحسن ماقيل فى هذا المعنى

يُغضى حياءً ويُغضَى من مهابته * فما يُكَلَّمُ الاحين يبتسمُ

وقال الفرزدق يعنى يزيد بن المهلب

فاذا الرجالُ رأوا يزيد رأيتهم * خُضُعَ الرقاب نواكسَ الأبصار

وفى هذا البيت شئ يستطرفه النحويون وهو انهم لا يجمعون ما كان من فاعل نعتا على فواعل لئلا يلتبس بالمؤنث لا يقولون ضارب وضوارب وقاتل وقواتل لانهم يقولون فى جمع ضاربة ضواربُ وقاتلة قواتلُ ولم يأت ذلك الا فى حرفين أحدهما فى جمع فارس فوارسُ لان هذا مما لا يستعملُ فى النساء فأمنوا الالتباس ويقولون فى المثل هو هالكٌ فى الهوالك فأجروه على أصله لكثرة الاستعمال لانه مَثَلٌ فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال نواكس الابصار ولا يكون مثلُ هذا أبدًا الا فى ضرورة

٣٤- باب

قال جرير ونزل بقوم من بنى العَنبر بن عمرو بن تميم فلم يقروهُ حتى اشترى منهم القِرَى فانصرف وهو يقول

يامالكُ بن طريفٍ انَّ بيعكمُ * رِفدَ القرى مُفسدٌ للدين والحسَبِ
قالوا نبيعكه بيعا فقلتُ لهم * بيعوا الموالى واستحيوا من العرب
لولا كرامُ طريفٍ ماغفرتُ لكم * بيعى قراىَ ولا انسأتكم غضبى
هل أنتم غيرُ أوشابٍ زعانفةٍ * ريشُ الذُنابى وليس الرأسُ كالذَنَبِ

قوله ياما لك بن طريف فمن نصب فانما هو على انه جعل ابنا تابعا لما قبله كالشيء الواحد وهو أكثر في الكلام اذا كان اسما علما منسوبا الى اسم علم جعل ابن مع ما قبله بمنزلة الشيء الواحد ومثل ذلك * يا حكم بن المنذر بن الجارود * ومن وقف على الاسم الاول ثم جعل الثاني نعتا لم يكن الا الرفع لانه مفرد نعت بمضاف فصار كقولك يا زيد ذا الجمة وقوله ولا أنسأتكم غضبي يقول لم أؤخره عنكم يقال نسأ الله في أجلك وأنسأ الله أجلك والنسيء من هذا ومعناه تأخير شهر عن شهر وكانت النسأة من بني مدلج بن كنانة فانزل الله عز وجل انما النسيء زيادة في الكفر لانهم كانوا يؤخرون الشهور فيحرمون غير الحرام ويحلون غير الحلال لما يقدرونه من حروبهم وتصرفهم فاستوت الشهور لما جاء الاسلام وأبان ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقوله هل أنتم غير أوشاب زعانفة فالأشابة جماعة تدخل في قوم وليست منهم وانما هو مأخوذ من الامر الأشب أي المختلط ويزعم بعض الرواة أن أصله فارسي أعرب يقال بالفارسية وقع القوم في آشوب أي في اختلاط ثم تصرف فقيل تأشب النبت فصنع منه فعل (هذا وهم من أبي العباس ليس الأشابة ولا الأشب من الأوشاب لان فاء الفعل من الأشابة همزة ومن أوشاب واو ولكنه مثله في المعنى يحتمل أن يكون أصله وشابة وأبدلت الواو المضمومة همزة) وأما الزعانف فأصلها أجنحة السمك سمي بذلك الادعياء لانهم التصقوا بالصميم كما التصقت تلك الاجنحة بعظام السمك قال أوس بن حجر

(ومازال يفري الشد حتى كأنما) * قوائمه في جانبيه زعانف

ويزعم الرواة أن ما أنفت منه حلة الموالي هذا البيت يعني قول جرير

* بيعوا الموالي واستحيوا من العرب * لانه حطهم ووضعهم ورأى أن الاساءة اليهم غير محسوبة عيبا ومثل ذلك قول المنتجع لرجل من الاشراف ما علمت ولدك قال الفرائض قال

ذلك علم الموالى لا أبالك عليهم الرجز فانه يهرت أشداقهم ومن ذلك قول الشعبى ومر بقوم من الموالى يتذاكرون النحو فقال لئن أصلحتموه انكم لأول من أفسده ومن ذلك قول عنترة

فما وجدونا بالفروق أشابة * ولا كشفا ولا دعينا مواليا

ومن ذلك قول الآخر

يسموننا الأعراب والعرب اسمنا * وأسماؤهم فينا رقاب المزاود

يريد أسماؤهم عندنا الحمراء وقول العرب ما يخفى ذلك على الأسود والأحمر يريد العربى والعجمى وقال المختار لابراهيم بن الأشتر يوم خازر (وقعت الرواية كما فى الاصل ووجد بخط يد أبى على البغدادى رحمه الله بحازر بالجيم) وهو اليوم الذى قتل فيه عبيد الله بن زياد ان عامة جندك هؤلاء الحمراء وان الحرب ان ضرستهم هربوا فاحمل العرب على متون الخيل وأرجل الحمراء أمامهم ومن ذلك قول الأشعث بن قيس لعلى بن أبى طالب رحمه الله وأتاه يتخطى رقاب الناس وعلى على المنبر فقال يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك قال فركض على المنبر برجله فقال صعصعة بن صوحان العبدى ما لنا ولهذا يعنى الأشعث ليقولن أمير المؤمنين اليوم فى العرب قولا لا يزال يذكر فقال على من يعذرنى من هذه الضياطرة يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار ويهجر قوم للذكر فيأمرنى أن أطردهم ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ليضربنكم على الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدأ قوله الضياطرة واحدهم ضيطر وضيطار وهو الأحمر العضل الفاحش قال خداش بن زهير

وتركب خيل لا هوادة بينها * وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

وانما قال جرير لبنى العنبر * هل أنتم غير أوشاب زعانفة * لان النسابين يزعمون أن العنبر ابن عمرو بن تميم انما هو ابن بهراء وأمهم أم خارجة البجلية التى يقال لها فى المثل

أسرع من نكاح أم خارجة فكانت قد ولدت في العرب في نيف وعشرين حيا من آباء متفرقين وكان يقول لها الرجل خطب فتقول نكح كذلك قال يونس بن حبيب فنظر بنوها الى عمرو بن تميم قد ورد بلادهم فأحسوا بأنه أراد أمهم فبادروا اليه ليمنعوه تزوجها وسبقهم لانه كان راكبا فقال لها ان فيك لبقية فقالت ان شئت فجاؤا وقد بنى عليها ثم نقلها بعد الى بلده فتزعم الرواة أنها جاءت بالعنبر معها صغيرا وأولدها عمرو بن تميم أسيدا والهجيم والقليب فخرجوا ذات يوم يستقون فقل عليهم الماء فأنزلوا مائحا من تميم فجعل المائح يملأ الدلو اذا كانت للهجيم وأسيد والقليب فاذا وردت دلو العنبر تركها تضطرب فقال العنبر

قد رابني من دلوي اضطرابها * والنأي من بهراء واغترابها

* الا تجئ ملأى يجئ قرابها *

فهذا قول النسابين ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لعائشة رحمها الله وقد كانت نذرت أن تعتق قوما من ولد اسمعيل فسبي قوم من بني العنبر فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سرك أن تعتقي الصميم من ولد اسمعيل فأعتقي من هؤلاء فقال النسابون فبهراء من قضاعة وقد قيل قضاعة من بني معد فقد رجعوا الى اسمعيل ومن زعم أن قضاعة من بني مالك بن حمير وهو الحق قال فالنسب الصحيح في قحطان الرجوع الى اسمعيل وهو الحق وقول المبرزين من العلماء انما العرب المتقدمة من أولاد عابر ورهطه عاد وطسم وجديس وجرهم والعماليق فأما قحطان عند أهل العلم فهو ابن الهميسع بن تيمن بن نبت بن قيذار بن اسماعيل صلوات الله عليه فقد رجعوا الى اسمعيل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوم من خزاعة وقيل من الانصار ارموا يا بني اسمعيل فان أباكم كان راميا قال يحيى بن نوفل يهجو العريان بن الهيثم بن الاسود النخعي وكان العريان تزوج زبادة من ولد هانئ بن قبيصة الشيباني وكانت عند الوليد بن عبد الملك فطلقها فتزوجها

العريان وكان ابن نوفل له هجّاء فقال

أعريان ما يدري أمرؤ سيل عنكم * أمن مذحج تدعون أم من إياد

فان قلتم من مذحج ان مذحجا * لبيض الوجوه غير جد جعاد

وأنتم صغار الهام حدل كأنما * وجوهكم مطلية بمداد

فان قلتم الحي اليمانون أصلنا * وناصرنا في كل يوم جلاد

فأطول بأير من معد ونزوة * نزت بإياد خلف دار مراد

لعمر بني شيبان اذ ينكحونه * زياد لقد ما قصروا بزياد

أبعد الوليد أنكحوا عبد مذحج * كمزنية عير اخلاف جواد

وأنكحها لا في كفاء ولا غنى * زياد أضل الله سعى زياد

قوله أمن مذحج تدعون أم من إياد فبنو مذحج بنو مالك بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وإياد ابن نزار بن معد بن عدنان ويقال ان النخع وثقيفا أخوان من إياد فأما ثقيف فهو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر فهذا قول قوم فأما آخرون فيزعمون أن ثقيفا من بقايا ثمود ونسبهم غامض على شرفهم في أخلاقهم وكثرة مناكحهم قريشا وقد قال الحجاج على المنبر تزعمون أنا من بقايا ثمود والله عز وجل يقول وثمود فما أبقى وقال الحجاج يوما لأبي العسوس الطائي أي أقدم أنزول ثقيف الطائف أم نزول طيئ الجبلين فقال أبو العسوس ان كانت ثقيف من بكر بن هوازن فنزول طيئ الجبلين قبلها وان كانت ثقيف من ثمود فهي أقدم فقال الحجاج يا أبا العسوس اتقني فاني سريع الخطفة للاحمق المتهوك فقال أبو العسوس (رواية عاصم رحمه الله العسوس والعسوس وفي رواية ش كما في داخل الكتاب)

يؤدبني الحجاج تأديب أهله * فلو كنت من أولاد يوسف ما عدا

وانى لأخشى ضربة ثقفية * يقد بها من عصاه المقلدا

على أنى مما أحاذر آمن * اذا قيل يوما قد عتا المرء واعتدا

وقد كان المغيرة بن شعبة وهو والى الكوفة صار الى دير هند بنت النعمان بن المنذر وهى فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقيل لها أمير هذه المدرة بالباب فقالت قولوا له أمن ولد جبلة بن الايهم أنت قال لا قالت أفمن ولد المنذر بن ماء السماء قال لا قالت فمن أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفى قالت فما حاجتك قال جئتك خاطبا قالت لو كنت جئتنى لجمال أو لمال لأطلبتك ولكنك أردت أن تتشرف بى فى محافل العرب فتقول نكحت ابنة النعمان بن المنذر والا فأى خير فى اجتماع أعور وعمياء فبعث اليها كيف كان أمركم فقالت سأختصر لك الجواب أمسينا مساء وليس فى الارض عربى الا وهو يرغب الينا ويرهبنا ثم أصبحنا وليس فى الارض عربى الا ونحن نرغب اليه ونرهبه قال فما كان أبوك يقول فى ثقيف قالت اختصم اليه رجلان منهم أحدهما ينميها الى اياد والآخر الى بكر بن هوازن فقضى بها للايادى وقال

ان ثقيفا لم تكن هوازنا * ولم تناسب عامرا ومازنا

يريد عامر بن صعصعة ومازن بن منصور فقال المغيرة أما نحن فمن بكر بن هوازن فليقل أبوك ماشاء وقالت أخت الاشتر وهو مالك بن الحرث النخعى تبكيه وهذا الشعر رواه أبو اليقظان وكان متعصبا

أبعد الاشتر النخعى نرجو * مكاثرة ونقطع بطن واد

ونصحب مذحجا باخاء صدق * وان ننسب فنحن ذرا اياد

ثقيف عمنا وأبو أبينا * واخوتنا نزار أولو السداد

قوله وأنتم صغار الهام حدل فالاحدل المائل العنق يقال قوس حدلاء اذا اعوجت سيتها قال الراجز

لها متاع ولها فارض * حدلاء كالزق نحاه الماخض

(كذا وقعت الرواية لها والصواب له لانه يعنى الفحل من الابل لان الشقشقة لا تكون للانثى قاله ش) وأما قوله زبادياقى فله باب نذكره على وجهه باستقصائه بعد فراغنا من تفسير هذا الشعر وقوله لقد ماقصروا فما زائدة مثل قوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا ولو قال لقد ماقصروا لم يكن جيدا ودخل الوليد فى الذم وقوله كنز به غيرا خلاف جواد يقول بعد جواد قال الله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وقوله لا فى كفاء يقال هو كفؤك وكفؤك وكفيئك وكفاؤك اذا كان عديلك فى شرف أو ما أشبهه كما قال الفرزدق

* وننكح فى أكفائنا الحبطات * (أول هذا البيت * بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع * وآل مسمع بيت بكر بن وائل والحبطات هم بنو الحرث بن عمرو بن تميم وانما قال هذا الفرزدق حين بلغه أن رجلا من الحبطات خطب امرأة من بنى دارم بن مالك فأجابه رجل من الحبطات

أما كان عباد كفيا لدارم * بلى ولأبيات بها الحجرات

عباد يعنى بنى هاشم وقد تقدم هذا البيت للفرزدق فى مواضع) وقال الله عز وجل ولم يكن له كفؤا أحد وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لا منعن النساء الا من الاكفاء وحدثت أصحابنا عن الاصمعى عن اسحق بن عيسى قال قلت لامير المؤمنين الرشيد أو المهدى يا أمير المؤمنين من أكفاؤنا قال أعداؤنا يعنى بنى أمية وزياد الذى ذكر كان أخاها

﴿هذا تفسير ما كان من المؤنث على فعال مكسور الآخر وهو على أربعة أضرب والاصل واحد﴾

قال أبو العباس اعلم انه لا يبنى شئ من هذا الباب على الكسر الا وهو مؤنث معرفة معدول عن جهته وهو فى المؤنث بمنزلة فعل نحو عمر وقثم فى المذكر وفعل معدول فى حال المعرفة عن فاعل وكان فاعل ينصرف فلما عدل عنه فعل لم ينصرف وفعال معدول عن فاعلة وفاعلة لا ينصرف فى المعرفة فعدل الى البناء لانه ليس بعد ما لا ينصرف الا المبنى وبنى على الكسر

لان فى فاعلة علامة التأنيث وكان أصل هذا ان يكون اذا اردت به الامر ساكنا كالمجزوم من الفعل الذى هو فى معناه فكسرته لالتقاء الساكنين مع ماذكرنا من علامة التأنيث والكسر مما يؤنث به فلم تخل من العلامة تقول للمرأة أنت فعلت فالكسر علامة التأنيث وكذلك أنك ذاهبة وضربتك يا امرأة فما لا يكون الا معرفة مكسورا ما كان اسما للفعل نحو نزال يا فتى ومعناه انزل وكذلك تراك زيدا أى اترك فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة وهما مؤنثان معرفتان يدلك على التأنيث القياس الذى ذكرنا قال الشاعر تصديقا لذلك

ولنعم حشو الدرع أنت اذا * دعيت نزال ولج فى الذعر

فقال دعيت لما ذكرته لك من التأنيث وقال الآخر وهو زيد الخيل

وقد علمت سلامة أن سيفى * كريه كلما دعيت نزال

وقال الشاعر

تراكها من ابل تراكها * أما ترى الموت لدى أوراكها

أى اتركها وقال آخر (هو رؤبة) * حذار من أرماحنا حذار * وقال آخر (هو أبو النجم) * نظار كى أركبه نظار * فهذا باب من الاربعة ومنها أن يكون صفة غالبة تحل محل الاسم نحو قولهم للضبع جعار يا فتى وللمنية حلاق يا فتى لانها حالقة والدليل على التأنيث بعد ماذكرنا قوله لحقت حلاق بهم على أكسائهم * ضرب الرقاب ولا يهم المغنم

وتقول فى النداء يا فساق ويا خباث ويا لكاع تريد يا فاسقة ويا خبيثة ويا لكعاء لانه فى النداء فى موضع معرفة كما تقول للرجل يا فسق ويا خبث ويا لكع فهذا باب ثان (حكى ابن السراج عن أبى عبيدة فرس لكع للمذكر ولكعة للمؤنث) ومن ذلك ما عدل عن المصدر نحو قوله (هو المتلمس يذم الحجر)

جماد لها جماد ولا تقولى * طوال الدهر ما ذكرت حماد

وقال النابغة الذبياني

أنا اقتسمنا خطتينا بيننا * فحملت برة واحتملت فجار

يريد قولي لها جودا ولا تقولي لها جمدا هذا المعنى ولكنه عدل مؤنثا وهذا باب ثالث (برة اسم علم لجميع البر وفجار لجميع الفجور لابن جني تخصيصه برة بفعلت وفجار بافتعلت مثل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فكسب للخير واكتسب للشر) والباب الرابع ان تسمي امرأة أو شيئا مؤنثا باسم تصوغه على هذا المثال نحو رقاش وحذام وقطام وما أشبهه فهذا مؤنث معدول عن راقشة وحاذمة وقاطمة اذا سميت به وأهل الحجاز يجرونه على قياس ما ذكرت لانه معدول في الاصل وسمي به فنقل الى مؤنث كالباب الذي كان قبله فلم يغيروه فعلى ذلك قالوا اسق رقاش انها سقاية وقال آخر

اذا قالت حذام فصدقوها * فان القول ما قالت حذام

وينشدون * واقفر من سلمى شراء فيذبل * (كذا وقع والصحيح فقد أقفرت سلمى شراء لأبي قبله * تأبد من أطلال جمرة مأسل * والشعر للنمر بن تولب) وأما بنو تميم فاذا أزالوه عن النعت فسموا به صرفوه في النكرة ولم يصرفوه في المعرفة وسيبويه يختار هذا القول ولا يرد القول الآخر فيقول هذه رقاش قد جاءت وهذه غلاب قد جاءت وهذه غلاب أخرى ولا اختلاف بين العرب في صرفه اذا كان نكرة وفي اعرابه في المعرفة وصرفه في النكرة اذا كان اسما لمذكر نحو رجل تسميه نزال أو رقاش أو حلاق فهو بمنزلة رجل سميته بعناق أو أتان لان التأنيث قد ذهب عنه فاحتج سيبويه في تصحيح هذا القول بانك لو سميت شيئا بالفعل الذي هو مأخوذ منه لاعربته نحو انزل واضرب لو سميت بهما رجلا لجرى مجرى اصبع وأحمد واثمد ونحو ذلك فهذا يحيط بجميع هذا الباب

* قال أبو العباس وقالت امرأة أحسبها من بني عامر بن صعصعة زوجت في طيئ

لا تحمدن الدهر أخت أخالها * ولا ترثين الدهر بنت لوالد
هم جعلوها حيث ليست بحرة * وهم طرحوها فى الأقاصى الاباعد

وبروى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت انما النكاح رق فلينظر امرؤ من يرق كريمته وعلى هذا جاءت اللغة فقالوا كنا فى املاك فلان وفى ملك فلان وفى ملاك فلان وفى ملكة فلان وفى ملكان فلان ويقول الرجل ملكت المرأة وأملكتها وليتها ومن ذلك أن يمين الطلاق اذا وقع فيها حنث انما يكون محلها محل الاقرار بترك ما كان علكه كالعتاق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالنساء فانهن عندكم عوان أى أسيرات ويقال عنى فلان فى بنى فلان اذا أقام فيهم أسيرا ويقال فلان يفك العناة وأصل التعنية التذليل وأصل الاسار الوثاق ويقال للقتب مأسور اذا شد بالقد هذا أصل هذا فاما المثل فى قولهم انما فلان غل قمل فانهم كانوا يتخذون الأغلال من القد فكانت تقمل وقال رجل يذكر امرأة زوجت من غير كفء

لقد فرح الواشون أن نال ثعلب * شبيهة ظبي مقلتاها وجيدها
أضر بها فقد الولى فاصبحت * بكف لئيم الوالدين يقودها

ولما زوج ابراهيم بن النعمان بن بشير الانصارى يحيى بن أبى حفصة مولى عثمان بن عفان ابنته على عشرين ألف درهم قال قائل يعيره

لعمرى لقد جللت نفسك خزية * وخالفت فعل الاكثرين الاكارم
ولو كان جداك اللذان تتابعا * ببدر لما راما صنيع الالائم

فقال ابراهيم بن النعمان يرد عليه

ما تركت عشرون القائل * مقالا فلا تحفل ملامة لائم
وان آل قد زوجت مولى فقد مضت * به سنة قبلى وحب الدراهم

وتزوج يحيى بن أبي حفصة وهو جد مروان الشاعر ويزعم النسابون ان اباه كان يهوديا أسلم على يدى عثمان بن عفان وكان يحيى من أجود الناس وكان ذا يسار فتزوج خولة بنت مقاتل ابن طلبة (الرواية المشهورة باسكان اللام وتسامح ابن سراج فى فتح اللام) ابن قيس بن عاصم سيد أهل الوبر ابن سنان بن خالد بن منقر ومهرها خرقا ففى ذلك يقول القلاخ بن حزن

لم أر أثوابا أجر لخزية * والام مكسوا والام كاسيا
من الخرق اللاتى صببن عليكم * بحجر فكن المبقيات البواليا

فقال يحيى بن أبى حفصة يجيبه

تجاوزت حزنا رغبة عن بنانه * وأدركت قيسا ثانيا من عنانيا

يقال ذلك للسابق اذا تقدم تقدما بينا فبلغ الغاية فمن شأنه ان يثنى عنانه فينظر الى الخيل قال الشاعر

فمن يفخر بمثل أبى وجدى * يجئ قبل السوابق وهو ثانى

يريد ثانى عنانه وقال القلاخ فى هذه القصة

نبئت خولة قالت حين أنكحها * لطالما كنت منك العار أنتظر
أنكحت عبدين ترجو فضل مالهما * فى فيك مما رجوت الترب والحجر
لله در جياد أنت سائسها * برذنتها وبها التحجيل والغرر

وقال جرير يعيرهم

رأيت مقاتل الطلبات حلى * فروج بنانه كمر الموالى
لقد أنكحتم عبد العبد * من الصهب المشوهة السبال
فلا تفخر بقيس ان قيسا * خرئتم فوق أعظمه البوالى

وقال آخر فى مثل هذه القصة

الايا عباد الله قلبى متيم * باحسن من صلى وأقبحهم بعلا

يدبُّ على أحشائها كلَّ ليلة * دبيبَ القرنبى بات يَقْرو نقاً سهلا

القرنبى دويبة على هيئة الخنفس منقطة الظهر وربما كان فى ظهرها نقطةٌ حمراء وفى قوائمها طولٌ على الخنفس وهى ضعيفة المشى قال الفرزدق يعنى عطيةَ أبا جرير

قرنبى يحك قفا مقرف * لئيم مآثره قعدد

(ألف قرنبى ألف الحاق وليست للتأنيث والقعدد اللئيم وجمعه قعاددُ) وفى هذا الشعر يقول

ألم ترَ أنَّا بنى دارم * زرارةُ منَّا أبو معبد

ومنَّا الذى منع الوائدات * وأحيا الوئيد فلم تُوأد

ألسنا بأصحاب يوم النسار * وأصحاب ألوية المربد

(النسارُ جبل تألفه النسور كثيرا فلذلك سُمى بهذا الاسم)

ألسنا الذين تميم بهم * تسامى وتفخر فى المشهد

وناجيةُ الخير والأقرعان * وقبرٌ بكاظمة المورد

اذا ما أتى قبره عائذٌ * أناخ على القبر بالأسعد

أيطلب مجد بنى دارم * عطيةُ كالجعل الأسود

ومجدُ بنى دارم دونه * مكانُ السماكين والفرقد

(الرفع فى مكان أقوى وهو الوجه الجيد فى العربية) قوله ألم ترَ أنا بنى منقر منصوب على الاختصاص وقد مضى تفسيره وزرارةُ الذى ذكر هو زرارة بن عُدس بن زيد بن عبد الله بن دارم وكان زرارة يكنى أبا معبد وكان له بنون معبد ولقيطٌ وحاجبٌ وعلقمةُ والمأموم ويزعم قوم ان المأموم هو علقمةُ ومنهم شيبان بن زرارة وابنه يزيد بن شيبان النسَّابةُ وكان حاجبٌ أذكر القوم ورووا ان عبد الملك ذكر يوما بنى دارم فقال أحد جلسائه يا أمير المؤمنين هؤلاء قوم محظوظون فقال عبد الملك أتقول ذلك وقد مضى منهم لقيط بن زرارة ولم يخلف

عقباً ومضى القعقاع بن معبد بن زرارة ولم يخلف عقباً ومضى محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة ولم يخلف عقباً والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبداً وكان لقيط بن زرارة قتل يوم جبلة وأسر حاجب ففودي فزعم أبو عبيدة انه لم يكن بعكاظ أغلى فداء من حاجب وكان أسره زهدم العبسي (اخو كردم) فلحقه ذو الرقيبة القشيري وبنو عبس يومئذ نازلة في بني عامر بن صعصعة فأخذه ذو الرقيبة بعزه وأنه في محل قومه فقال حاجب لما تنازعني الرجلان خفت ان أقتل بينهما فقلت حكماني في نفسي ففعلا فحكمت بسلاحي وركابي لزهدم وبنفسي لذي الرقيبة وكان حاجب يكنى أبا عكرشة وكان أحلم قومه وفي ذي الرقيبة يقول الشاعر (هو المسيب بن علس واسمه زهير ويكنى أبا الفضة)

ولقد رأيت القائلين وفعلهم * فلذي الرقيبة مالك فضل

كفاه متلفة ومخلفة * وعطاؤه متدفق جزل

ففدى حاجب وقتل في ذلك اليوم لقيط وأسر عمرو بن عمرو بن عدس فلذلك يقول جرير يعير الفرزدق لان الفرزدق من بني مجاشع بن دارم وقد مضى ذكر هذا في الكتاب وبجرير في قيس نخوة ولما هجا الفرزدق قيساً في أمر قتيبة بن مسلم الباهلي قال

أتاني وأهلي بالمدينة وقعة * لآل تميم أقعدت كل قائم

كأن رؤس الناس اذ سمعوا بها * مشدخة هاماتها بالأمائم

(حجارة تشدخ بها الرؤس الواحدة أميمة)

وما بين من لم يعط سمعاً وطاعة * وبين تميم غير حز الحلاقم

أتغضب ان اذنا قتيبة حزتا * جهاراً ولم تغضب لقتل ابن خازم

وما منهما الا نقلنا دماغه * الى الشام فوق الشاحجات الرواسم

تذبذب في المخلاة تحت بطونها * محذفة الأذناب جلح المقادم

وما أنت من قيس فتنبح دونها * ولا من تميم في الرؤس الأعاظم

تخوفنا أيام قيس ولم ندع * لعيلان أنفا مستقيم الخياشم

لقد شهدت قيس فما كان نصرها * قتيبة الا عضها بالأباهم

وقال جرير يجيبه

أباهل ما أحببت قتل ابن مسلم * ولا أن تروعوا قومكم بالمظالم

ثم قال يخوف الفرزدق

تحضض يا ابن القين قيسا ليجعلوا * لقومك يوما مثل يوم الأراقم

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا * وعمرو بن عمرو اذ دعوا يال دارم

ولم تشهد الجونين والشعب ذا الصفا * وشدات قيس يوم دير الجماجم

فيوم الصفا كنتم عبيدا لعامر * وبالحنو أصبحتم عبيد اللهازم

اذا عدت الأيام أخزين دارما * وتخزيك يا ابن القين أيام دارم

أما قول الفرزدق

كأن رؤس الناس اذ سمعوا بها * مشدخة هاماتها بالأمائم

فان الشجاج مختلفة الاحكام فاذا كانت الشجة شقيقا يدمى فهى الدامية واذا أخذت من اللحم شيأ فهى الباضعة واذا أمعنت في اللحم فهى المتلاحمة فاذا هشمت العظم فهى الهاشمة واذا كان بينها وبين العظم جليدة رقيقة فهى السمحاق من أجل تلك الجليدة يقال ما على ثرب الشاة من الشحم الا سماحيق أى طرائق فاذا خرجت منها عظام صغار فهى المنقلة وانما أخذ ذلك من النقل وهى الحجارة الصغار فاذا أوضحت عن العظم فهى الموضحة فاذا خرقت العظم وبلغت أم الدماغ وهى جليدة قد ألبست الدماغ فهى الآمة وبعض العرب يسميها المأمومة واشتقاق ذلك افضاؤها الى أم الدماغ ولا غاية بعدها قال الشاعر

يحجّ مأمومة في قعرها لجف * فاستُ الطبيب قذاها كالمغاريد

وقال ابن غلفاء الهجيمي يردّ على يزيد بن عمرو بن الصعق في هجائه بني تميم

فانك من هجاء بني تميم * كمزداد الغرام الى الغرام

هم تركوك أسلح من حبارى * رأت صقرا وأشرد من نعام

وهم ضربوك أم الرأس حتى * بدت أمّ الشؤن من العظام

اذا يأسوها جشأت اليهم * شرنبثة القوائم أمّ هام

(يريد غليظة القوائم) وابن خازم هو عبد الله بن خازم السلمي وهو أحد غربان العرب في الاسلام وكان من أشجع الناس وقتله بنو تميم بخراسان وكان الذي ولي قتله منهم وكيع ابن الدورقية القريعي وقوله فوق الشاحجات يعني البغال والرسيم ضرب من السير وانما عني ههنا بغال البريد لقوله * محذفة الاذناب جلح المقادم * كما قال امرؤ القيس

على كل مقصوص الذنابى معاود * بريد السرى بالليل من خيل بربرا

وكانت برد ملوك العرب في الجاهلية الخيل وأما قول جرير الجونين فقد مضى ذكرهما ويوم دير الجماجم يريد الحجاج في وقعته بدير الجماجم بعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندي وقوله وبالحنو أصبحتم عبيد اللهازم فاللهازم بنو قيس بن ثعلبة وبنو ذهل بن ثعلبة وبنو تيم اللات بن ثعلبة وبنو عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وبنو مازن بن صعب بن علي ثم تلهزمت حنيفة بن لجيم فصارت معهم وأما علقمة بن زرارة فانه قتلته بنو ضبيعة بن قيس بن ثعلبة فقتل به حاجب أخوه أشيم بن شراحيل القيسي فقال حاجب في ذلك

فان تقتلوا منّا كريما فاننا * أبأنا به مأوى الصعاليك أشيما

قتلنا به خير الضبيعات كلها * ضبيعة قيس لا ضبيعة أضجما

وكان يقال لاشيم مأوى الصعاليك وضبيعة أضجم الذي ذكره ضبيعة بن ربيعة بن نزار

رهط المتلمس هذا القبهم وأما معبد بن زرارة فان قيسا أسرته يوم رحرحان فساروا به الى الحجاز فاتى لقيط فى بعض الاشهر الحرم ليفديه فطلبوا منه ألف بعير فقال لقيط ان أبانا أمرنا أن لا نزيد على المائتين فتطمع فينا ذؤبان العرب فقال معبد يا أخى افدنى بمالى فانى ميت فأبى لقيط وأبى معبد أن يأكل أو يشرب فكانوا يشحون فاه ويصبون فيه الطعام والشراب لئلا يهلك فيذهب فداؤه فلم يزل كذلك حتى مات فقال جرير يعير الفرزدق وقومه بذلك

تركتم بوادى رحرحان نساءكم * ويوم الصفا لاقيتم الشعب أوعرا
سمعتم بنى مجد دعوا يال عامر * فكنتم نعاما عند ذاك منفرا
وأسلمت القلحاء فى الغل معبدا * ولاقى لقيط حتفه فتقطرا

قوله سمعتم بنى مجد دعوا يال عامر يعنى مجد بنت النضر بن كنانة ولدت ربيعة بن عامر بن صعصعة وولده بنو كلاب وبنو كعب وبنو عامر بن ربيعة والقلحاء لقب والقلح ان تركب الاسنان صفرة تضرب الى السواد ويقال لها الحبرة لشدة تأثيرها أنشدنى المازنى

لست بسعدى على فيه حبرة * ولست بعبدى حقيبته التمر

وزعم أبو الحسن الاخفش (سعيد بن مسعدة) ان العرب تقول فى هذا المعنى فى أسنانه حبرة وليس ذلك بمعروف ولم يأت اسم على فعل الا ابل واطل (وامرأة بلز أى ضخمة قاله ابن قتيبة أما بلز فكما ذكروا وأما اطل فليس كما ذكروا واطل أصله اطل ثم حركت الطاء اتباعا لحركة الهمزة كما قالوا فى الجلد الجلد قال سيبويه ليس فى الاسماء والصفات فعل الا ابل) وقوله ولاقى لقيط حتفه فتقطرا يقال قطره لجنبيه وقتره لغتان لان التاء من مخرج الطاء فان رمى به على قفاه قيل سلقه وسلقاه وبطحه لوجهه فان رمى به على رأسه قيل نكته ﴿رجع التفسير الى شعر الفرزدق الاول﴾ أما قوله ومنا الذى منع الوائدات فانه يعنى جده صعصعة بن ناجية ابن عقال وكانت العرب فى الجاهلية تئد البنات ولم يكن هذا فى جميعها انما كان فى تميم بن

مُضَرُ ثم استفاض فى جيرانهم فهذا قول واحد وقال قوم آخرون بل كان فى تميم وقيس وأسد وهذيل وبكر بن وائل لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف وقال بعض الرواة اشدد وطدتك والمعنى قريب يرجع الى الثقل فاجدبوا سبع سنين حتى أكلوا الوبر بالدم فكانوا يسمونه العلهز ولهذا أبان الله عز وجل تحريم الدم ودل على ما من أجله قتلوا البنات فقال ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق وقال ولا يقتلن أولادهن فهذا خبر بين ان ذلك للحاجة وقد روى بعضهم انهم انما فعلوا ذلك أنفة وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن تميما منعت النعمان الاتاوة وهى الاديان فوجه اليهم أخاه الريان بن المنذر وكانت للنعمان خمس كتائب احداها الوضائع وهم قوم من الفرس كان كسرى يضعهم عنده عدة ومددا فيقيمون سنة عند الملك من ملوك لخم فاذا كان فى رأس الحول ردهم الى أهليهم وبعث بمثلهم وكتيبة يقال لها الشهباء وهى أهل بيت الملك وكانوا بيض الوجوه يسمون الاشاهب وكتيبة ثالثة يقال لها الصنائع وهم صنائع الملك أكثرهم من بكر بن وائل وكتيبة رابعة يقال لها الرهائن وهم قوم كان يأخذهم من كل قبيلة فيكونون رهنا عنده ثم يوضع مكانهم مثلهم والخامسة دوسر وهى كتيبة ثقيلة تجمع فرسانا وشجعانا من كل قبيلة فأغزاهم أخاه وجل من معه بكر بن وائل فاستاق النعم وسبى الذرارى وفى ذلك يقول أبو المشمرج اليشكرى

لما رأوا راية النعمان مقبلة * قالوا ألا ليت أدنى دارنا عدن
يا ليت أم تميم لم تكن عرفت * مرا وكانت كمن أودى به الزمن
ان تقتلونا فأعيار مجدعة * أو تنعموا فقديما منكم المنن
منهم زهير وعتاب ومحتضر * وابنا لقيط وأودى فى الوغى قطن

ويقول النعمان فى جواب هذا

لله بكر غداة الروع لو بهم * أرمي ذرا حضن زالت بهم حضن

اذ لا أرى أحدا في الناس أشبههم * الا فوارس خامت عنهم اليمن

وهذا خبر طويل فوفدت اليه بنو تميم فلما رآها أحب البقيا فقال

ما كان ضر تميما لو تغمدها * من فضلنا ما عليه قيس عيلان

فاناب القوم وسألوه النساء فقال النعمان كل امرأة اختارت أباها ردت اليه وان اختارت صاحبها تركت عليه فكلهن اختارت أباها الا ابنة لقيس بن عاصم فانها اختارت صاحبها عمرو بن المشمرج فنذر قيس أن لا تولد له ابنة الا قتلها فهذا شيء يعتل به من وأد و يقول فعلناه أنفة وقد أكذب ذلك بما أنزل الله تعالى في القرآن وقال ابن عباس رحمه الله في تأويل هذه الآية وكانوا الا يورثون ولا يتخذون الا من طاعن بالرمح ومنع الحريم يريد الذكران وروت الرواة ان صعصعة بن ناجية لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم قال يا رسول الله اني كنت أعمل عملا في الجاهلية أفينفعني ذلك اليوم قال وما عملك قال أضللت ناقتين عشراوين فركبت جملا ومضيت في بغائهما فرفع لي بيت حريد فقصدته فاذا شيخ جالس بفناء الدار فسألته عن الناقتين فقال ما نارهما قلت ميسم بني دارم فقال هما عندي وقد أحيا الله بهما قوما من أهلك من مضر فجلست معه ليخرجا الي فاذا عجوز قد خرجت من كسر البيت فقال لها ما وضعت فان كان سقبا شاركنا في أموالنا وان كانت حائلا وأدناها فقالت العجوز وضعت أنثى فقلت أتبيعها قال وهل تبيع العرب أولادها قال قلت انما أشتري منك حياتها ولا اشتري رقها قال فبكم قلت احتكم قال بالناقتين والجمل قال قلت ذلك لك على ان يبلغني الجمل واياها قال ففعل فآمنت بك يا رسول الله وقد صارت لي سنة في العرب على أن اشتري كل موؤدة بناقتين عشراوين وجمل فعندي الى هذه الغاية ثمانون ومائتا موؤدة قد أنقذتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفعك ذلك لانك لم تبتغ به وجه الله وان تعمل في اسلامك عملا صالحا

تُثَبَّ عليه وكان ابن عباس يقرأ وإذا المَوْؤُدَةُ سألَتْ بأيّ ذَنْبٍ قُتِلْتُ وقال أهل المعرفة فى قول الله عز وجل وإذا المَوْؤُدةُ سُئِلَتْ بأيّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ إنما تسئل تبكيتًا لمن فعل ذلك بها كما قال الله تعالى يا عيسى بن مريم أأنتَ قلتَ للناس اتخذونى وأمّى إلهين من دون الله وقوله وُئِدَتْ إنما هو أُثْقِلَتْ بالتراب يقال للرجل اتَّئِدْ أى تَثَبَّتْ وتَثَقَّلْ كما يقال تَوَقَّرْ قال قصير صاحب جذيمة (هذا وَهْمٌ من أبى العباس وإنما هو للزَّبَّاء)

ما للجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا

(أم صرفانا باردا شديدا)

وقوله أضلّتْ ناقةً بن عُشَراوَيْن أضللتُ ضَلَّتا منى وتحقيقه صادفتهما ضالَّتَيْن كما قال (رجل من قُضاعة يقال له مالك بن عمرو وقبله

لا وجدُ ثكلى كما وجدتُ ولا * وجدُ عَجولٍ أضلّها ربع)

أو وجدُ شيخٍ أضلَّ ناقتَهُ * حين تَوَلَّى الحجيجُ فاندفعوا

والعُشَراء الناقةُ التى قد أتى عليها منذ حملت عشرةُ أشهرٍ وإنما حَمْلُ الناقة سنةٌ وقوله ما نارهما يريد ما وَسْمُهما كما قال

قد سُقِيَتْ آبالُهم بالنار * والنار قد تَشْفِى من الأُوار

أى عُرِفَ وَسْمُهُم فلم يُمْنَعوا الماء وقوله فإذا بيت حَرِيدٌ يقول مُتَنَحٍّ عن الناس وهذا من قولهم انحرد الجمل إذا تنحّى عن الإناث فلم يبرك معها ويقال فى غير هذا الموضع حرد حرده أى قصد قصده قال الراجز

قد جاء سيلٌ جاء من أمر الله * يَحْرِدُ حَرْدَ الجنةِ المُغِلَّه

وقالوا فى قوله عز وجل وغَدَوا على حَرْدٍ قادرين أى على قصد كما ذكرنا وقالوا هو أيضا على منع من قولهم حاردت الناقة إذا منعت لبنها وحاردت السنةُ إذا منعت مطرها والبعير

الاسم وهو الذي يضرب بيده وأصله الامتناع من المشي وأما قوله

وقبر بكاظمة المورد * اذا ما أتى قبره خائف * أناخ على القبر بالأسعد

فانه يعني قبر أبيه غالب بن صعصعة بن ناجية وكان الفرزدق يجير من استجار بقبر أبيه وكان أبوه جوادا شريفا وادخل الفرزدق البصرة في امرة زياد فباع ابلا كثيرة وجعل يصر أثمانها فقال له رجل انك لتصر أثمانها ولو كان غالب بن صعصعة ما صرها ففتح الفرزدق تلك الصرر ونثر المال وبلغ الخبر زيادا فطلبه فهرب الفرزدق وله في هربه حديث طويل واستجارته بسعيد بن العاص بالمدينة نذكره بعد هذا ان شاء الله فممن استجار بقبر غالب فأجاره الفرزدق امرأة من بني جعفر بن كلاب خافت لما هجا الفرزدق بني جعفر بن كلاب أن يسميها ويسبها فعاذت بقبر أبيه فلم يذكر لها اسما ولا نسبا ولكن قال في كلمته التي يهجو فيها بني جعفر بن كلاب

عجوز تصلي الخمس عاذت بغالب * فلا والذي عاذت به لا أضيرها

ومن ذلك أن الحجاج لما ولى تميم بن زيد القيني السند دخل البصرة فجعل يخرج من أهلها من شاء فجاءت عجوز الى الفرزدق فقالت انى استجرت بقبر أبيك وأتت منه بحصيات فقال لها وما شأنك فقالت ان تميم بن زيد خرج بابن لي معه ولا قرة لعيني ولا كاسب لي غيره فقال لها وما اسم ابنك فقالت خنيس فكتب الى تميم بن زيد مع بعض من شخص

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي * بظهر فلا يعيا علي جوابها

وهب لي خنيسا واحتسب فيه منة * لعبرة أم ما يسوغ شرابها

أتتني فعاذت يا تميم بغالب * وبالحفرة السافي عليها ترابها

وقد علم الاقوام أنك ماجد * وليث اذا ما الحرب شب شهابها

فلما ورد الكتاب على تميم تشكك في الاسم فقال أحبيش أم خنيس ثم قال انظروا من له مثل

هذا الاسم فى عسكرنا فأصيب سنة ما بين حبيش وخنيس فوجه بهم اليه ومنهم مكاتب لبنى منقر ظلع بمكاتبته فأتى قبر غالب فاستجار به وأخذ منه حصيات فشدهن فى عمامته ثم أتى الفرزدق فأخبره خبره وقال انى قد قلت شعرا فقال هاته فقال

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعد ما * خشيت الردى أو أن أرد على قسر

بقبر امرئ تقرى المئين عظامه * ولم يك الا غالبا ميت يقرى

فقال لى استقدم أمامك انما * فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق ما اسمك قال لهذم قال يا لهذم حكمك مسمطا قال ناقة كوماء سوداء الحدقة قال يا جارية اطرحى الينا حبلا ثم قال يا لهذم اخرج بنا الى المربد فالقه فى عنق ما شئت فتخير العبد على عينه ثم رمى بالحبل فى عنق ناقة وجاء صاحبها فقال له الفرزدق اغد على فى ثمنها فجعل لهذم يقودها والفرزدق يسوقها حتى اذا انفذ بها من البيوت الى الصحراء صاح به الفرزدق يا لهذم قبح الله أخسرنا (قوله تقرى المئين عظامه يريد أنهم كانوا ينحرون الابل عند قبور عظمائهم فيطعمون الناس فى الحياة وبعد الممات وهذا معروف فى أشعارهم) قوله ولم يك الا غالبا ميت يقرى فانه نصب غالبا لانه استثناء مقدم وانما انتصب الاستثناء المقدم لما أذكره لك وذلك أن حق الاستثناء اذا كان الفعل مشغولا به أن يكون جاريا عليه لا يكون فيه الا هذا تقول ما جاءنى الا عبد الله وما رأيت الا عبد الله وما مررت الا بعبد الله فان كان الفعل مشغولا بغيره فكان موجبا لم يكن فى المستثنى الا النصب نحو جاءنى اخوتك الا زيدا كما قال تعالى فشربوا منه الا قليلا منهم ونصب هذا على معنى الفعل والا دليل على ذلك فاذا قلت جاءنى القوم لم يؤمن أن يقع عند السامع أن زيدا أحدهم فاذا قال الا زيدا فالمعنى لا أعنى فيهم زيدا أو أستثنى ممن ذكرت زيدا ولسيبويه فيه تمثيل والذى ذكرت لك أبين منه وهو مترجم عما قال غير مناقض له وان كان الاول منفيا جاز البدل والنصب والبدل

أحسن لان الفعل الظاهر أولى بان يعمل من المختزل الموجود بدليل وذلك قولك ما أتاني أحد الا زيدٌ وما مررت باحد الا زيدٍ والفصل بين المنفي والموجب أن المبدل من الشئ يفرَّغ له الفعلُ فانت في المنفي اذا قلت ماجاءني أحدٌ الا زيدٌ اذا حذفتَ على جهة البدل صار التقدير ماجاءني الا زيدٌ لانه بدل من أحد والموجَبُ لا يكون فيه البدل لانك اذا قلت جاءني اخوتك الا زيدا لم يجز حذف الاول لا تقول جاءني الا زيد وان شئت ان تقول في النفي ماجاءني أحد الا زيدًا جاز ونصبه بالاستثناء الذي شرحتُ لك في الواجب والقراءةُ الجيدةُ مافعلوه الا قليلٌ منهم وقد قرئ الا قليلًا منهم على ماشرحتُ لك في الواجب والقراءةُ الاولى فاذا قدمتَ المستثنى بطل البدل لانه ليس قبله شئ يُبدلُ منه فلم يكن فيه الاوجهُ الاستثناء فتقول ماجاءني الا أباك أحدٌ وما مررت الا أباك بأحدٍ وكذلك تُنشدُ هذه الاشعارُ قال كَعبُ بن مالك الانصاريُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم

الناسُ ألْبٌ علينا فيك ليس لنا * الا السُّيوفَ وأطرافَ القَنا وَزَرُ

وقال الكُميتُ بن زيد

فمالىَ الا آلَ أحمدَ شيعةٌ * ومالى الا مَشْعَبَ الحق مَشْعَبُ

لا يكون الا هذا وليونس قول مرغوب عنه فلذلك لم نذكره وقوله فقال لى اسْتَقْدمْ أمامك مُخْبِرٌ عن الميت بالقول فان العرب وأهل الحكمة من العجم تجعل كلَّ دليل قولا فمن ذلك قول زهير * أمن أمّ أوفى دمنةٌ لم تَكلّمِ * وانما كلامها عنده أن تُبينَ بما يُرى من الآثار فيها من قدم أهلها وحدثان عهدهم ويُروى عن بعض الحكماء أنه قال هلّا وقفتَ على المَعاهد والجنان فقلتَ أيتها الجنانُ مَنْ شَقَّ أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تُجبك حوارًا اجابتك اعتبارا وأهل النظر يقولون في قول الله عز وجل قالتا أتينا طائعين لم يكن كلام انما فعلَ عز وجل ما أراد فوُجدَ قال الراجز

قد خَنَقَ الحوضُ وقال قَطْنِي * سلاًرويداً قد ملأْتَ بطني

ولم يكن كلام انما وجد ذلك فيه وكذلك قوله

فقال لى اسْتَقْدِمْ أمامَكَ انما * فَكاكُكَ ان تلقى الفرزدق بالمصر

أى قد جُرِّبَ مثلُ هذا منك فى المستجير بقبره وحدثنى العباس بن الفَرَج الرِياشىُّ فى اسناد

فَذَهَبَ عنى أكثره قال نزل النُعمان بن المُنذر ومعه عَدىُّ بن زيد فى ظل شجرة مُونِقَة

ليلهوَ النُعمان هنالك فقال له عدىُّ بن زيد أيها الملك أبيتَ اللعنَ أتدرى ماتقول هذه الشجرة

قال وما الذى تقول قال تقول

(مَنْ رآنا فَلْيُحَدِّثْ نفسَهُ * أنه مُوفٍ على قَرْنِ زَوال

وصُروفُ الدهْرِ لايَبْقَى لها * ولِمَا تأتى به صُمُّ الجبال)

رُبَّ رَكْبٍ قد أناخوا حولنا * يَمْزُجُونَ الخمرَ بالماء الزُلال

(والاباريقُ عليها فُدُمٌ * وجيادُ الخيل تَرْدِى فى الجلال

عَمَرُوا الدهْرَ بعيشٍ حَسَنٍ * قَطَعوا دَهْرَهُمُ غيرَ عِجال)

ثم أَضْحَوا عَصَفَ الدهْرُ بهم * وكذاكَ الدهْرُ حالاً بعد حال

قال فتَنَغَّصَ النعمانُ وهذا فى الامثال كثيرٌ وفى الاشعار السائرة وأما قوله حَكَمْتَ مُسَمَّطا

فاعرا به أنه أراد لك حكمك مسمطا واستُعمِلَ هذا فكثر حتى حُذِفَ استخفافا لعلم السامع بما

يريد القائلُ كقولك الهلالُ والله أى هذا الهلال وأغنى عن قوله هذا القصدُ والاشارةُ

وكان يقال لِرُؤْبَةَ كيف أصبحت فيقول خَيْرٍ عافاكَ الله فلم يُضْمِرْ حرف الخفض ولكنه حَذَفَ

بكثرة الاستعمال والمُسَمَّطُ المرسل غير المردود والكَوماءُ العظيمة السنام

٣٥ - باب

قال أبو العباس قال الليثى (هو الجاحظ) أعتق سعيدُ بن العاصى أبا رافع الأسْهُمَا واحدا فيه

من أسهم لم يسم عددها لنا فاشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك السهم فأعتقه وكان لابي رافع بنون أشراف منهم عبيد الله بن أبي رافع وحديثه أثبت الحديث عن علي بن أبي طالب وكان كالكاتب له وكان عبيد الله بن أبي رافع شريفا وكان عبيد الله ينسب الى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ولي عمرو بن سعيد الأشدق المدينة لم يعمل شيأ قبل ارساله الى عبيد الله بن أبي رافع فقال له مولى من أنت فقال له مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبرزه فضربه مائة سوط ثم قال له مولى من أنت فقال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه مائة أخرى فلما رأى عبد الله أخاه غير راجع وأن عمرا قد ألح عليه في ضربه قام الى عمرو فقال له اذكر الملح فأمسك عنه والملح ههنا اللبن يريد الرضاع كما قال أبو الطمحان القيني

وانى لارجو ملحها فى بطونكم * وما بسطت من جلد أشعث أغبرا

(كذا وقعت الرواية والصواب أغبرلان قبله

ولو علمت صرف البيوع لسرها * بمكة أن تبتاع حمضا باذخر

قاله ش) وكما قال الآخر

لا يبعد الله رب العبا * د والملح ما ولدت خالده

ويروى ان عبيد الله بن أبي رافع أتى الحسن بن علي بن أبي طالب فقال انا مولاك فقال في ذلك مولى لتمام بن عباس بن عبد المطلب يعذله ويعيره

جحدت بني العباس حق أبيهم * فما كنت في الدعوى كريم العواقب

متى كان أولاد البنات كوارث * يحوز ويدعى والدا في المناسب

يريد ان العباس أولى بولاء مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان العم مدعو والدا في كتاب الله تعالى وهو يحوز الميراث وقال رجل من الثقفيين أنشدت مروان بن أبي حفصة هذين

البيتين فوقع عندي أنه من هذا أخذ قوله

أنى يكون وليس ذاك بكائن * لبني البنات وراثة الأعمام

ألغى سهامهم الكتاب فحالهم * أن يشتر عوا فيه بغير سهام

وقال طاهر بن علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس للطالبيين

لو كان جدكم هناك وجدنا * فتنازعا فيها لوقت خصام

كان التراث لجدنا من دونه * فحواه بالقربى وبالاسلام

حق البنات فريضة معروفة * والعم أولى من بني الأعمام

وذكر الزبيريون عن ابن الماجشون قال جاءني رجل من ولد أبي رافع فقال اني قد قاولت رجلا من موالي بعض العرب فقلت أنا خير منك فقال بل أنا خير منك فما الذي يجب لي عليه فقلت ليس في هذا شيء فقال أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزعم انه خير مني قال قلت قد يتصرف هذا على غير الحسب قال فلما رآني لا أقضي له بشيء قال لي أنت دافع مغرما لان ولائي عنده ليس في موضع مرضي قال وصدق في بني تميم لتميم من هو أشرف ولاء مني * وحدثت ان أسامة بن زيد قاول عمرو بن عثمان في أمر ضيعة يدعيها كل واحد منهما فلجت بهما الخصومة فقال عمرو يا أسامة أتأنف ان تكون مولاي فقال اسامة والله ما يسرني بولائي من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبك ثم ارتفعا الى معاوية فلجا بين يديه في الخصومة فتقدم سعيد بن العاصي الى جانب عمرو فجعل يلقنه الحجة فتقدم الحسن الى جانب اسامة يلقنه فوثب عتبة بن أبي سفيان فصار مع عمرو ووثب الحسين فصار مع اسامة فقام عبد الرحمن بن أم الحكم فجلس مع عمرو فقام عبد الله بن العباس فجلس مع اسامة فقام الوليد بن عقبة فجلس مع عمرو فقام عبد الله بن جعفر فجلس مع اسامة فقال معاوية أنا الحجة عندي حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أقطع هذه الضيعة أسامة فانصرف

الهاشميون وقد قضى لهم فقال الأمويون لمعاوية هلا اذ كانت هذه القضية عندك بدأت بها قبل التحزب أو أخرتها عن هذا المجلس فتكلم بكلام يدفعه بعض الناس وكان الذى اعتد به الحجاج بن يوسف على سعيد بن جبير لما أتى به اليه بعد انقضاء أمر ابن الأشعث وكان سعيد عبد الرجل من بنى أسد بن خزيمة فاشتراه سعيد بن العاصى فى مائة عبد فأعتقهم جميعا فقال له الحجاج يا شقى بن كسير أما قدمت الكوفة وليس يؤم بها الا عربى فجعلتك اماما قال بلى قال أفما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا لا يصلح القضاء الا لعربى فاستقضيت أبا بردة بن أبى موسى الأشعرى وأمرته ان لا يقطع أمرا دونك قال بلى قال أوما جعلتك فى سمارى وكلهم من رؤس العرب قال بلى قال أوما أعطيتك مائة ألف درهم لتفرقها فى أهل الحاجة ثم لم أسألك عن شىء منها قال بلى قال فما أخرجك على قال بيعة كانت لابن الأشعث فى عنقى فغضب الحجاج ثم قال أفما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك فى عنقك قبل والله لاقتلنك يا حرسى اضرب عنقه ونظر الحجاج فاذا جل من خرج مع عبد الرحمن من الفقهاء وغيرهم من الموالى فأحب ان يزيلهم عن موضع الفصاحة والآداب ويخلطهم باهل القرى والأنباط فقال انما الموالى علوج وانما أتى بهم من القرى فقراهم أولى بهم فامر بتسييرهم من الامصار واقرار العرب بها وأمر بان ينقش على يد كل انسان منهم اسم قريته وطالت ولايته فتوالد القوم هنالك فخبثت لغات أولادهم وفسدت طبائعهم فلما قام سليمان بن عبد الملك أخرج من كان فى سجن الحجاج من المظلومين فيقال انه أخرج فى يوم واحد ثمانين ألفا ورد المنقوشين فرجعوا فى صورة الأنباط ففى ذلك يقول الراجز

جارية لم تدر ما سوق الابل * أخرجها الحجاج من كن وظل

لو كان بدر حاضرا وابن حمل * ما نقشت كفاك فى جلد جمل

وقال شاعر لاهل الكوفة لما استقضى عليها نوح بن دراج (ينسب للفرزدق)

يا أيها الناس قد قامت قيامتكم * اذ صار قاضيكم نوح بن دراج
لو كان حياً له الحجاج ما سلمت * كفاه ناجيه من نقش حجاج

وروى عن حسان المعروف بالنبطي صاحب منارة حسان فى البطيحة قال أريت الحجاج فيما يرى النائم فقلت أصلح الله الامير ما صنع الله بك فقال يا نبطي أهذا عليك قال فرأيتنا لا نفلت من نقشه فى الحياة ومن شتمه بعد الوفاة وروى عن حسان انه قص هذه الرؤيا على محمد بن سيرين فقال له ابن سيرين لقد رأيت الحجاج بالصحة قال أبو العباس وحدثت من ناحية الزبيريين ان الجحاف بن حكيم دخل على عبد الملك والاخطل عنده فلما بصر به الاخطل قال

الا أبلغ الجحاف هل هو ثائر * بقتلى أصيبت من سليم وعامر

فقال الجحاف

بلى سوف نبكيهم بكل مهند * ونبكي عميراً بالرماح الخواطر

ثم قال يا ابن النصرانية ما ظننتك تجترئ على بمثل هذا ولو كنت مأسوراً لك فحم الاخطل خوفاً فقال له عبد الملك أنا جارك منه فقال يا أمير المؤمنين هبك أجرتني منه فى اليقظة فمن يجيرني منه فى النوم ومن هذا أو نحوه أخذ السلمي قوله (قال أبو الحسن هو أشجع السلمي يقوله للرشيد) وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا هدا * سلت عليه سيوفك الاحلام

وكان العديل بن الفرخ العجلي هارباً من الحجاج فجعل لا يحل ببلدة الا ربع لا ترى به من آثار الحجاج فيهرب حتى أبعد ففى ذلك يقول العديل

تخشوني الحجاج حتى كأنما * يحرك عظم فى الفؤاد مهيض
ودون يد الحجاج من أن تنالني * بساط لايدي اليعملات عريض

فلم ينشب أن أتى به الحجاج ففى ذلك يقول العديل

فلو كُنْتُ فى سَلْمَى أَجَاوِشِعَابِهَا * لكان لِحَجَّاجٍ علَىَّ دليلُ

بَنِى قُبَّةَ الاسلام حتى كأنَّمَا * أَتَى الناسَ من بعد الضلال رسولُ

أَجَا وسَلْمَى جبلا طَىٍّ وأَجَأ مهموزا واغاهو أَجا مقصور فاعلم قال زيدُ الخيل

جَلَبْنَا الخيلَ من أَجَاوسَلْمَى * تَخُبُّ نَزَائعًا خَبَبَ الذئاب

والشاعر اذا احتاج الى قلب الهمزة قلبها ان كانت الهمزة مكسورة جعلها ياء أو ساكنة جعلها على حركة ماقبلها وان كانت مفتوحة وقبلها فتحة جعلها ألفا وان كانت مفتوحة وقبلها كسرة جعلها ياء وان كانت قبلها ضمةٌ جعلها واوا قال الفرزدق

راحتْ بمَسْلَمَةَ البغالُ عَشِيَّةً * فارعَىْ فزارةُ لاهَنَاكِ المرتعُ

وقال حسانُ بن ثابت

سالَتْ هذيلٌ رسولَ الله فاحشةً * ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بما سالَتْ ولم تُصِبِ

وقال عبد الرحمن بن حسان

وكنتَ أَذَلَّ من وَتِدٍ بقاعٍ * يُشَجِّجُ رأسَهُ بالفِهْرِ واجى

وأما قول الفرزدق فانه يقول لما عُزِلَ مَسْلَمَةُ بن عبد المَلِك عن العراق بعد قتله يزيد بن المهلب لحاجة الخليفة الى قُرْبِهِ وَوَلِىَ عُمَرُ بن هُبَيْرَةَ فقال

راحتْ بمَسْلَمَةَ البغالُ عشيةً * فارعَىْ فزارةُ لاهَنَاكِ المرتعُ

ولقد علمتُ اذا فزارةُ أُمِّرَتْ * ان سوف تَطْمَعُ فى الامارة أَشجعُ

فارى الامورَ تنكَّرَتْ أعلامُها * حتى أُمَيَّةُ عن فزارةَ تَنْزِعُ

عُزِلَ ابنُ عمرو وابنُ بِشْرٍ قبلَهُ * وأخو هَرَاةَ لمثلها يَتَوَقَّعُ

(تَنْزِعُ رواية عاصم فمن روى تُنْزَعُ بضم التاء يعنى تُعْزَلُ ومن روى بفتح التاء وكسر الزاى فهو من النزع فى القوس وهو الرمى يشير الى أنها محتاجة الى رأيها وأنها ترمى عن قوسها) فقى

جواب هذا يقول الاسدى لما ولى خالد بن عبد الله القسرى

بكت المنابر من فزارة شجوها * فالآن من قسر تضج وتخشع
وملوك خندق أسلمونا للعدى * لله در ملوكنا ما تصنع
(كانوا كتاركة بنيها جانبا * سفها وغيرهم تصون وترضع)

وأما قول حسان سالت هذيل رسول الله فاحشة فليس من لغته سلت أسال مثل خفت أخاف وهما يتساولان هذا من لغة غيره وكانت هذيل سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحل لها الزنا وروى ان أسديا وهذليا تفاخرا فرضيا برجل فقال انى ما أقضى بينكما الا ان تجعلا لى عقدا وثيقا أن لا تضربانى ولا تشتمانى فانى لست فى بلاد قومى ففعلا فقال يا أخا بنى أسد كيف تفاخر العرب وأنت تعلم انه ليس حى أحب الى الجيش ولا أبغض الى الضيف ولا أقل تحت الرايات منكم وأما أنت يا أخا هذيل فكيف تكلم الناس وفيكم خلال ثلاث كان منكم دليل الحبشة على الكعبة ومنكم خولة ذات النحيين وسألتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحل لكم الزنا ولكن اذا أردتما بيتى مضر فعليكما بهذين الحيين من تميم وقيس قوما فى غير حفظ الله وأما بيت عبد الرحمن بن حسان فانه يقوله لعبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاصى وكان يهاجيه فقال له فى كلمته

* وأما قولك الخلفاء منا * فهم منعوا وريدك من وداج
ولولاهم لكنت كحوت بحر * هوى فى مظلم الغمرات داجى
وكنت أذل من وتد بقاع * يشجج رأسه بالفهر واجى

وكان أحد من هرب من الحجاج سوار بن المضرب (بفتح الراء) فى ذلك يقول

أقاتلى الحجاج ان لم أزر له * دراب وأترك عند هند فؤاديا
فان كان لا يرضيك حتى تردنى * الى قطرى ما اخالك راضيا

اذا جاوزت درب المجيز بن ناقتى * فباست أبى الحجاج لما ثنانيا

أيرجو بنو مروان سمعى وطاعتى * وقومى تميم والفلاة ورائيا

(فاعل يرضيك مضمر أو منوى تقديره فان كان لا يرضيك الارضاء ولا يجوز أن يكون ما بعد يرضيك الفاعل لان سيبويه رحمه الله قال الفاعل لا يكون جملة وحتى تردنى جملة قاله ابن الابرش) وورائى ههنا بمعنى أمامى قال الله عز وجل وانى خفت الموالى من ورائى وقال جل ثناؤه وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وممن هرب من الحجاج محمد بن عبد الله بن نمير الثقفى وكان يشبب بزينب بنت يوسف أخت الحجاج وهو القائل فيها

تضوع مسكا بطن نعمان ان مشت * به زينب فى نسوة عطرات

يخبئن أطراف البنان من التقى * ويخرجن شطر الليل معتجرات

فى كلمة له فلما أتى به الحجاج قال

هالك يدى ضاقت بى الارض رحبها * وان كنت قد طوفت كل مكان

فلو كنت بالعنقاء أو بأسومها * لخلتك الا أن تصد ترانى

(من رفع رحبها فعلى البدل ومن نصب فعلى الظرف قاله ش وأسومها بفتح الهمزة وبالضم والفتح أحسن ش) ثم قال والله أيها الامير ان قلت الاخير انما قلت

يخبئن أطراف البنان من التقى * ويخرجن شطر الليل معتجرات

فعفا عنه ثم قال له اخبرنى عن قولك

ولما رأت ركب النميرى أعرضت * وكن من ان يلقينه حذرات

ما كنتم قال كنت على حمار هزيل ومعى صاحب لى على أتان مثله وممن هرب منه مالك بن الريب المازنى أحد بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم وفى ذلك يقول

ان تنصفونا يال مروان نقترب * اليكم والا فأذنوا ببعاد

فان لنا عنكم مزاحا ومرحلا * بعيس الى ريح الفلاة صوادى

ففى الارض عن دار المذلة مذهب * وكل بلاد أوطنت كبلادى

(كذا وقعت الرواية بضم الهمزة وكسر الطاء والاصح أوطنت بفتح الهمزة وفتح الطاء قاله ش)

فماذا ترى الحجاج يبلغ جهده * اذا نحن جاوزنا حفير زياد

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف * كما كان عبدا من عبيد اياد

زمان هو العبد المقر بذلة * يراوح صبيان القرى ويغادى

قال ذلك لان الحجاج كان هو وأخوه معلمين بالطائف وكان لقبه كليبا وفى ذلك يقول القائل

أينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه سورة الكوثر

رغيف له فلكة ما ترى * وآخر كالقمر الازهر

يقول خبز المعلمين يأتى مختلفا لانه من بيوت صبيان مختلفى الاحوال وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

أما رأيت بنى بحر وقد حفلوا * كأنهم خبز بقال وكتاب

هذا طويل وهذا حنبل نجد * يمشون خلف عمير صاحب الباب

وفى لقبه يقول آخر من أهل الطائف

كليب تمكن فى أرضكم * وقد كان فينا صغير الخطر

ولما دخل الحجاج مكة اعتذر الى أهلها القلة ما وصلهم به فقال قائل منهم اذا والله لا نعذرك وأنت أمير العراقين وابن عظيم القريتين وذلك ان عروة بن مسعود ولده من قبل أمه وتأويل قول الله عز وجل وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم مجازه فى العربية على رجل من رجلين من القريتين عظيم والقريتان مكة والطائف والرجلان عروة بن مسعود والاسم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ويروى ان أبا بكر

الصديق رحمه الله من بقصيره ومعه خالد فقال أصبح جمرة في النار فاجابه خالد في ذلك بجواب غير مرضي وأما عروة بن مسعود فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى الطائف يدعوهم الى الاسلام فرقي سطحه فرماه رجل بسهم فقتله فلما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب رحمه الله الى أهل مكة أبطأ عليه فقال ردوا على أبي أما لئن فعلت به قريش مافعلت ثقيف بعروة بن مسعود لأضرمنها عليهم نارا يقال رقيت السطح وما كان مثله أرقاه مثل خشيته أخشاه كما قال الله تبارك وتعالى أو ترقى في السماء ويقال رقيت اللديغ أرقيه مثل رميته أرميه ويقال مارقأت عينه من الدمع مهموز ترقأ يافتى مثل قرأت تقرأ يافتى وكان الحجاج رأى في منامه ان عينيه قلعتا فطلق الهندين هند ابنة المهلب وهند ابنة أسماء بن خارجة فلم يلبث أن جاءه نعي أخيه من اليمن في اليوم الذي مات فيه ابنه محمد فقال هذا والله تأويل رؤياي ثم قال انا لله وانا اليه راجعون محمد ومحمد في يوم واحد

حسبي بقاء الله من كل ميت * وحسبي رجاء الله من كل هالك

اذا كان رب العرش عني راضيا * فان شفاء النفس فيما هنالك

(ويروى فان سرور النفس) وقال من يقول شعرا يسليني به فقال الفرزدق

ان الرزية لا رزية مثلها * فقدان مثل محمد ومحمد

ملكان قد خلت المنابر منهما * أخذ الحمام عليهما بالمرصد

فقال لو زدتني فقال الفرزدق

اني لباك على ابني يوسف جزعا * ومثل فقدهما للدين يبكيني

ماسد حي ولا ميت مسدهما * الا الخلائف من بعد النبيين

فقال له ماصنعت شيأ انما زدت في حزني فقال الفرزدق

لئن جزع الحجاج مامن مصيبة * تكون لمحزون أجل وأوجعا

من المصطفى والمصطفى من خيارهم * جناحيه لما فارقاه فودعا
أخ كان أغنى ايمن الارض كله * وأغنى ابنه أهل العراقين أجمعا
جناحا عقاب فارقاه كلاهما * ولو نزعا من غيره لتضعضعا

فقال الآن أما قوله الا الخلائف من بعد النبيئين فخفض هذه النون وهى نون الجمع وانما فعل ذلك لانه جعل الاعراب فيها لا فيما قبلها وجعل هذا الجمع كسائر الجمع نحو أفلس ومساجد وكلاب فان اعراب هذا كاعراب الواحد وانما جاز ذلك لان الجمع يكون على ابنية شتى وانما يلحق منه بمنهاج التثنية ما كان على حد التثنية لا يكسر الواحد عن بنائه والا فلا فان الجمع كالواحد لاختلاف معانيه كما تختلف معانى الواحد والتثنية ليست كذلك لانها ضرب واحد ولا يكون اثنان أكثر من اثنين عددا كما يكون الجمع أكثر من الجمع فمما جاء على هذا المذهب قولهم هذه سنين فاعلم وهذه عشرين فاعلم قال العدوانى

انى أبى أبى ذو محافظة * وابن أبى أبى من أبيين
وأنتم معشر زيد على مائة * فأجمعوا كيدكم طرا فكيدونى

وقال سحيم بن وثيل

وماذا يدرى الشعراء منى * وقد جاوزت حد الاربعين
أخو خمسين مجتمع أشدى * ونجذنى مداورة الشؤون

وفى كتاب الله عز وجل ولا طعام الا من غسلين فان قال قائل فان غسلينا واحد فانه كل ما كان على بناء الجمع من الواحد فاعرابه كاعراب الجمع ألا ترى ان عشرين ليس لها واحد من لفظها واعرابها كاعراب مسلمين واحدهم مسلم وكذلك جميع الاعراب وتقول هذه فلسطون يا فتى ورأيت فلسطين يا فتى هذا القول الاجود وكذلك يبرين وفى الرفع يبرون يا فتى وكل ما أشبه هذا فهو بمنزلته تقول قنسرون ورأيت قنسرين والاجود فى هذا البيت (هو

(للاعشى) وشاهدنا الجل والياسمو * ن والمسمعات بقصابها

(الجل الورد والقصاب الاوتار وقيل الزمار) وفى القرآن ما يصدق ذلك قول الله عز وجل كلا انّ كتاب الابرار لفى عليين وما أدراك ما عليون فمن قال هذه قنسرون ويبرون فنسب الى واحدة منهما رجلا أو شيأ قال هذا رجل قنسرى ويبرى بحذف النون والواو ولمجىء حرفى النسب ولو أثبتهما لكان فى الاسم رفعان ونصبان وجران لان الياء مرفوعة والواو علامة الرفع ومن قال هذه قنسرين كما ترى قال فى النسب قنسرينى لان الاعراب فى حرف النسب وانكسرت النون كما ينكسر كل ما لحقه النسب وأما قوله وتحدّثنى مداورة الشؤون فمعناه فهمنى وعرفنى كما يقال حنكته التجارب والناجذ آخر الاضراس من ذلك قولهم ضحك حتى بدت نواجذه والشؤون جمع شأن مهموز وهو الامر وقال المفسرون من أهل الفقه وأهل اللغة فى قول الله تبارك وتعالى ولا طعام الا من غسلين هو غسالة أهل النار وقال النحويون هو فعلين من الغسالة ويروى أن عمر بن عبد العزيز خرج يوما فقال الوليد بالشام والحجاج بالعراق وقرة بن شريك بمصر وعثمان بن حيان بالحجاز ومحمد بن يوسف باليمن امتلأت الارض والله جورا وكتب الحجاج الى الوليد بن عبد الملك بعد وفاة محمد بن يوسف أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أنه أصيب لمحمد بن يوسف خمسون ومائة ألف دينار فان يكن أصابها من حلها فرحمه الله وان تكن من خيانة فلا رحمه الله فكتب اليه الوليد أما بعد فقد قرأ أمير المؤمنين كتابك فيما خلفه محمد بن يوسف وانما أصاب ذلك المال من تجارة أحللناها له فترحم عليه رحمه الله ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية فى يوم بويع له على عهده فجعل الناس يمدحونه ويقرظونه يا أمير المؤمنين والله ما ندرى أنخدع الناس أم يخدعوننا فقال له معاوية كل من أردت خديعته فتخادع لك حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته ويروى أن الحجاج كتب الى عبد الملك بن مروان بلغنى أن أمير المؤمنين عطس عطسة

فشمته قوم فقال يغفر الله لنا ولكم فياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما وزعم الاصمعي قال خرج الوليد يوما على الناس وهو مشعان الرأس فقال مات الحجاج بن يوسف وقرة بن شريك وجعل يتفجع عليهما قوله مشعان الرأس يعني منتفخ الشعر متفرقه (الرواية منتفخ والصحيح منتفش قاله ابن سراج) ومثل هذا لا يكون في شعر لان في هذا التقاء ساكنين ولا يقع مثل هذا في وزن الشعر الا فيما تقدم ذكره في المتقارب وليس ذا على ذلك الوزن

وحدثت أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله وجه عبد الله بن عبد الأعلى ومعه رجل من عنس الى أليون فقال العنسي تخلاني عمر دونه وقال لي احفظ كل ما يكون منه فلما صرنا اليه صرنا الى رجل عربي اللسان انما نشأ بجرعش فذهب عبد الله ليتكلم فقلت على رسلك فحمدت الله وصليت على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قلت اني وجهت بالذي وجه به هذا وان أمير المؤمنين يدعوك الى الاسلام فان تقبله تصب رشدك واني لأحسب أن الكتاب قد سبق عليك بالشقاء الا أن يشاء الله غير ذلك فان قبلت والا فاكتب جواب كتابنا قال ثم تكلم عبد الله فحمد الله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب في القول وكان مفوها فقال له اليون ياعبد الله ما تقول في المسيح فقال روح الله وكلمته فقال أيكون ولد من غير فحل فقال عبد الله في هذا نظر فقال أي نظر في هذا اما نعم واما لا فقال عبد الله آدم خلقه الله من تراب فقال ان هذا أخرج من رحم قال في هذا نظر قال له اليون بالرومية اني أعلم أنك لست على ديني ولا على دين الذي أرسلك قال وأنا أفهم بالرومية ثم قال أتعظمون يوما غير يوم الجمعة فقال نعم فقال وما ذلك اليوم أمن أعيادكم هو فقال لا قال فلم تعظمونه قال عيد لقوم كانوا اصالحين قبل أن يصير اليكم قال فقال له اليون بالرومية قد علمت أنك لست على ديني ولا على دين الذي أرسلك فقال له عبد الله أتدري ما يقول أهل السفه قال وما يقولون قال يقولون قال ابليس أمرت أن لا أسجد الا لله ثم قيل لي اسجد لآدم قال فقال له بالرومية الامر فيك أبين من ذلك

قال ثم كتب جواب كتبنا قال فرجعنا الى عمر بها قال فخبرناه بما أردنا ثم نهضنا فردني اليه من باب الدار فخلا بي فأخبرته فقال لعنه الله لقد كانت نفسي تأباه ولم أحسبه يجترئ على مثل هذا قال فلما خرجت قال لي عبد الله ما الذي قال لك قال قلت قال لي أتطمع فيه قلت لا ولما وجه عبد الملك الشعبي الى صاحب الروم فكلمه قال له صاحب الروم بعد انقضاء ما بينهما أمن أهل بيت المملكة أنت قال قلت لا ولكني رجل من العرب قال فكتب معي رقعة وقال لي اذا أديت جواب ما جئت له فأد هذه الرقعة الى صاحبك قال فلما رجعت الى عبد الملك فاعطيته جواب كتابه وخبرته بما دار بيننا نهضت ثم ذكرت الرقعة فرجعت فدفعتها اليه فلما وليت دعاني فقال لي أتدري ما في هذه الرقعة قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف ولوا أمورهم غيره قال فلما وليت دعاني فقال لي أفتدري ما أراد بهذا قلت لا قال حسدني عليك فاراد أن أقتلك قال فقلت انما كثرت عنده يا أمير المؤمنين لانه لم يرك قال فرجع الكلام الى ملك الروم فقال لله أبوه ما عدا ما في نفسي وحدثت ان معاوية كان اذا أتاه عن بطريق من بطارقة الروم كيد للاسلام احتال له فاهدى اليه وكاتبه حتى يغري به ملك الروم فكانت رسله تأتيه فتخبره بان هنالك بطريقا يؤذي الرسل ويطعن عليهم ويسيء عشرتهم فقال معاوية أي ما في عمل الاسلام أحب اليه فقيل له الخفاف الحمر ودهن البان فالطفه بهما حتى عرفت رسله باعتياده ثم كتب كتابا اليه كانه جواب كتابه منه يعلمه فيه انه وثق بما وعده به من نصره وخذلان ملك الروم وأمر الرسول بان يتعرض لان يظهر على الكتاب فلما ذهبت رسله في أوقاتها ثم رجعت اليه قال ما حدث هنالك قالوا فلان البطريق رأيناه مقتولا مصلوبا فقال وانا أبو عبد الرحمن وحدثت أن ملك الروم في ذلك الاوان وجه الى معاوية ان الملوك قبلك كانت تراسل الملوك منا وتجهد بعضهم في ان يغرب على بعض أفتأذن في ذلك فاذن له

فوجه اليه برجلين أحدهما طويل جسيم والآخر أيد فقال معاوية لعمر وأما الطويل فقد أصبنا كفأه وهو قيس بن سعد بن عبادة وأما الآخر الايد فقد احتجنا الى رأيك فيه فقال ههنا رجلان كلاهما اليك بغيض محمد بن الحنفية وعبد الله بن الزبير فقال معاوية من هو أقرب الينا على حال فلما دخل الرجلان وجه الى قيس بن سعد بن عبادة يعلمه فدخل قيس فلما مثل بين يدي معاوية نزع سراويله فرمى بها الى العلج فلبسها فنالت ثندوته (الثندوة ما اسود حول الحلمة) فأطرق معاويا فحدثت ان قيسا ليم في ذلك فقيل له لم تبذلت هذا التبذل بحضرة معاوية هلا وجهت الى غيرها فقال

أردت لكيما يعلم الناس أنها * سراويل قيس والوفود شهود
وان لا يقولوا غاب قيس وهذه * سراويل عادى نمته ثمود
واني من القوم اليمانين سيد * وما الناس الا سيد ومسود
وبذ جميع الخلق أصلي ومنصبي * وجسم به أعلو الرجال مديد

وكان قيس سناطا فكانت الانصار تقول لوددنا أنا اشترينا له لحية بانصاف أموالنا وسنذكر خبره بعد انقضاء الخبر ان شاء الله (السناط والسنوط أن يكون في الذقن شئ من الشعر ولا يكون في العارضين شئ فان لم يكن فيهما جميعا شئ فهو الثط) ثم وجه الى محمد بن الحنفية فدخل فخبر بما دعي له فقال قولوا له ان شاء فليجلس وليعطني يده حتى أقيمه أو يقعدني وان شاء فليكن القائم وأنا القاعد فاختار الرومي الجلوس فأقامه محمد وعجز هو عن اقعاده ثم اختار ان يكون محمد هو القاعد فجذبه فأقعده وعجز الرومي عن اقامته فانصرفا مغلوبين وحدثني أحد الهاشميين ان ملك الروم وجه الى معاوية بقارورة فقال ابعث الي فيها من كل شئ فبعث الى ابن عباس فقال لتملأ له ماء فلما وردها على ملك الروم قال لله أبوه ما أدهاه فقيل لابن عباس كيف اخترت ذلك فقال لقول الله عز وجل وجعلنا من الماء كل شئ حي وقيل

لرجل من بني هاشم وهو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين وكان يقدم في معرفته ما طعم الماء فقال طعم الحياة وأما عبد الله بن الزبير فبنذ كرا هله أنه قال عاجلت حبتي لتتصل لي الى ان بلغت ستين سنة فلما أكلتها ينست منها وكان قيس بن سعد شجاعا جوادا سيدا وجاءته عجوز قد كانت تألفه فقال لها كيف حالك فقالت ما في بيتي جرذ فقال ما أحسن ما سألت أما والله لأكثرن جرذان بيتك وكان سعد بن عبادة حيث توجه الى حوران قسم ماله بين ولده وكان له حمل لم يشعر به فلما ولد له قال له عمر بن الخطاب يعني قيسا لا تنقضن ما فعل سعد فجاء قيس فقال يا أمير المؤمنين نصيبي لهذا المولود ولا تنقض ما فعل سعد قال أبو العباس حدثت بهذا الحديث من حيث أثق به ان أبا بكر وعمر رحمهما الله مشيا الى قيس بن سعد يسألانه في أمر هذا المولود فقال نصيبي له ولا أغير ما فعل سعد وكان معاوية كتب الى قيس بن سعد وهو والي مصر لعلي بن أبي طالب رحمه الله أما بعد فانك يهودي ابن يهودي ان غلب أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان غلب أبغضهما اليك قتلك ومثل بك وقد كان أبوك فوق سهمه ورمى غرضه فأكثر الحز وأخطأ المفصل حتى خذله قومه وأدركه يومه فمات غريبا بحوران والسلام فكتب اليه قيس أما بعد فانك وثن ابن وثن لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك دخلت في الدين كرها وخرجت منه طوعا وقد كان أبي فوق سهمه ورمى غرضه فشعبت عليه أنت وأبوك وتظاولك فلم تشقوا غباره ولم تدركوا شأوه ونحن أنصار الدين الذي خرجت منه وأعداء الدين الذي خرجت اليه والسلام وكان قيس موصوفا مع جماعة قد بذوا الناس طولا وجمالا منهم العباس بن عبد المطلب رحمه الله وولده وجرير بن عبد الله البجلي والأشعث بن قيس الكندي وعدي بن حاتم الطائي وابن جذل الطعان الكناني وأبو زبيد الطائي وزيد الخيل بن مهلهل الطائي وكان أحد هؤلاء يقبل المرأة على الهودج وكان يقال للرجل منهم مقبل الظعن وكان طلحة بن عبيد الله موصوفا بالتمام

٣٦ - باب

قال أبو العباس قال السليك ابن السلكة وهي أمه وكانت سوداء حبشية وكان من غربان العرب وهو السليك بن عمير السعدي

الا عتبت على فصارمتني * وأعجبها ذوو اللمم الطوال
فاني يا ابنة الاقوام أربي * على فعل الوضي من الرجال
فلا تصلى بصعلوك نؤوم * اذا أمسى يعد من العيال
ولكن كل صعلوك ضروب * بنصل السيف هامات الرجال

(كل خبر ابتداء والتقدير همك)

أشاب الرأس أني كل يوم * أرى لي خالة وسط الرحال
يشق على ان يلقين ضيما * ويعجز عن تخلصهن مالي

قوله وأعجبها ذوو اللمم الطوال يعني الجمم وان شئت قلت الجمام يقال جمة وجمم كقولك ظلمة وظلم ويقال جمام كقولك جفرة وجفار (الجفرة هي الحفرة العظيمة) وبرمة وبرام قال الشاعر أما ترى لمتي أودى الزمان بها * وشيب الدهر أصداغي وأفوادي

وقوله على فعل الوضي من الرجال يريد الجميل وهو فعيل من وضؤ يوضؤ يا فتى تقديره كرم يكرم وهو كريم ومصدره الوضاءة وكذلك قبح يقبح قباحة وسمج يسمج سماجة ويقال ما كنت وضيئا ولقد وضؤت بعدنا وقوله فلا تصلى بصعلوك يقول لا تتصلى به كما قال ابن أحمر

ولا تصلى بمطروق اذا ما * سرى في القوم أصبح مستكينا
اذا شرب المرضة قال أوكي * على ما في سقائك قد روينا

(اذا صب لبن حليب على حامض فهي المرضة) والصعلوك الذي لا مال له قال الشاعر (حاتم بن ثعلبة الطائي)

كأن الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى * ولم يك صعلوكا اذا ما تموّلا

وقوله نؤوم يصفه بالبلادة والكسل وكانت العرب تمدح بخفة الرؤس عن النوم وتذم النومة كما قال عبد الملك لمؤدب ولده علّمهم العوم وخذهم بقلة النوم وانما توجع لخالاته لانهن كن اماء ويروى عن رجل من قريش لم يسمّ لنا قال كنت أجالس سعيد بن المسيب فقال لى يوما من أخوالك فقلت أمى فتاة فكأنى نقصت فى عينه فامهلت حتى دخل عليه سالم ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب رحمه الله فلما خرج من عنده قلت يا عم من هذا فقال يا سبحان الله أتجهل مثل هذا من قومك هذا سالم بن عبد الله بن عمر قلت فمن أمه قال فتاة قال ثم أتاه القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رحمه الله فجلس عنده ثم نهض فقلت يا عم من هذا فقال أتجهل من أهلك مثله ما أعجب هذا هذا القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق قلت فمن أمه قال فتاة فأمهلت شيأ حتى جاءه على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه فسلم عليه ثم نهض فقلت يا عم من هذا قال هذا الذى لا يسع مسلما ان يجهله هذا على بن الحسين بن على بن أبى طالب قلت فمن أمه قال فتاة قال قلت يا عم رأيتنى نقصت فى عينك لما علمت انى لأم ولد أفما لى فى هؤلاء اسوة قال فجللت فى عينه جدا وكانت أم على بن الحسين سلافة من ولد يزدجرد معروفة النسب وكانت من خيرات النساء ويروى أنه قيل لعلى بن الحسين رحمه الله انك من أبر الناس ولست تأكل مع أمك فى صحفة فقال أكره أن تسبق يدى الى ما قد سبقت اليه عينها فأكون قد عققتها وكان يقال له ابن الخيرتين (بتحريك الياء أفصح) لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لله من عباده خيرتان فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس وكانت سلافة عمة أم يزيد الناقص أو أختها وقال رجل من ولد الحكم بن أبى العاصى يقال له عبيد الله بن الحر وكان شاعرا متقدما وكان لام ولد وهو من ولد مروان بن الحكم

فان تك أمى من نساء أفاءها * جياد القنا والمرهفات الصفائح

فَنَبا الفضلُ الحَرانُ لم أَنَلْ به * كرائمَ أولادِ النساءِ الصرائح

وانما أخذ هذا من قول عنترة

وأنا امرؤٌ من خيرِ عبسٍ منصِباً * شَطرى وأحمى سائرى بالمُنْصَلِ

(شطرى مبتدأ والخبر فى المجرور قبله) وأنشد لبلال بن جرير وبلغه ان موسى بن جرير كان اذا ذكره نسبه الى أمه لانه ابنُ أم ولد فيقول قال ابنُ أم حكيم فقال بلال

يا ربَّ خالٍ لى أغرَّ أبلجا * من آل كسرى يَعْتَدى متوَّجا

* ليس كخالِك التَّيْدَحَى عَشَنَّجا *

والعَشَنَّجُ المتقبض الوجه السيِّئُ المَنْظَرِ وكان سببُ أمّ بلال عند جرير أن جريرا فى أول دخوله العراقَ دخل على الحكم بن أيوب بن أبى عَقيل الثقفىّ وهو ابن عم الحجاج وعاملُه على البصرة وفى ذلك يقول جرير

أقبلن من ثهلانَ أو وادى خِيَمْ * على قلاصٍ مثلِ خيطان السَّلَمْ

اذا قطعن علما بدا علم * حتى أنخناها الى باب الحكم

خليفةِ الحجاج غيرِ المتّهمْ * فى ضِئْضِئِ المَجْدِ وبُحْبُوحِ الكَرَمْ

فكتب الحكم بعد ان فاطنه الى الحجاج وذلك فى أول سببه انه قدم علىّ اعرابىٌّ باقعةٌ لم أرمثله (يريد داهية والباقعة طائر حذر) فكتب اليه الحجاج ان يحمله معه فلما دخل عليه قال له بلغنى انك ذو بديهة فقل فى هذه الجارية لجارية قائمة على رأسه فقال جرير مالى ان أقول فيها حتى أتأملها ومالى ان أتأمل جارية الامير فقال بلى فتأمَّلها واسألها فقال لها ما اسمُك يا جارية فأمسكت فقال لها الحجاج خبّريه يا خَنَاء فقالت أمامة فقال جرير

ودّع أمامةَ حان منك رحيلُ * انّ الوداعَ لمن تُحِبُّ قليلُ

مثلَ الكثيبِ تمايلت أعطافُه * فالريحُ تجبرُ متنَه وتُهيل

هذى القلوبُ صَوادياً تيمتها * وأرى الشفاءَ وما اليه سبيلُ

فقال له الحجاج قد جعل الله لك السبيل اليها خذها هي لك فضرب بيده الى يدها فتمنعت عليه فقال

ان كان طبكم الدلالُ فانه * حسنٌ دلالكِ يا امامَ جميلُ

(ش بنصب الطب ورفع الدلال و بالعكس برفع الطب ونصب الدلال والطب هنا المذهب والدلال الدالة) فاستضحك الحجاج وأمر بتجهيزها معه الى اليمامة وخبرت انها كانت من أهل الري وكان اخوتها أحرارا فاتبعوه فأعطوه بها حتى بلغوا عشرين ألفا فلم يفعل ففى ذلك يقول

اذا عرضوا عشرين ألفا تعرضت * لام حكيم حاجة هى ماهيا

لقد زدت أهل الري عندى مودة * وحببت أضعافا الى المواليا

فأولدها حكيما و بلالا وحمزة بنى جرير هؤلاء من أذكر من ولدها و يقال ان الحماني قاول بلالا ذات يوم فيما كان بينهما من الشر فقال يا ابن أم حكيم فقال له بلال ماتذكر من ابنة دهقان وآخيذة رماح وعطية ملك ليست كامك التى بالمروت تغدو على أثرضأنها كانما عقباها حافرا حمار فقال له الحماني أنا أعلم بامك انما عتب عليها الحجاج فى أمر الله أعلم به خلف ان يدفعها الى ألأم العرب فلما رأى أباك لم يشكك فيه قال وأنشدت لرجل من رجاز بنى سعد

أنا ابن سعد وتوسطت العجم * فأنا فيما شئت من خال وعم

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله ليس قوم أكيس من أولاد السرارى لانهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم وكتب أمير المؤمنين المنصور الى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رحمهم الله لما كتب اليه محمد واعلم انى لست من أولاد الطلقاء ولا أولاد اللعناء ولا أعرقت فى الاماء ولا حضنتنى أمهات الاولاد ولقد علمت ان هاشما ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد الحسن مرتين وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدنى مرتين من قبل جدى الحسن والحسين يعنى ان أم على فاطمة بنت أسد بن هاشم وأم الحسن فاطمة

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وان أمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم فكتب اليه المنصور اماماذكرت من ولادة هاشم عليا مرتين وولادة عبد المطلب الحسن مرتين فخير الأولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة ولا عبد المطلب الا مرة واحدة وله السبق الى كل خير ولقد علمت انه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمومته أربعة فآمن به اثنان أحدهما أبي وكفر به اثنان أحدهما أبوك وأما ماذكرت انه لم تعرق فيك الاماء فقد تفرقت على بني هاشم طرا أولهم ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علي بن الحسين الذي لم يولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مولود مثله وهذه رسالة للمنصور طريفة مستحسنة جدا سنمليها في موضعها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وأنشد في الرياشي

ان أولاد السراري * كثروا يارب فينا

رب ادخلني بلادا * لا أرى فيها هجينا

والهجين عند العرب الذي أبوه شريف وأمه وضيعة والاصل في ذلك ان تكون أمة وانما قيل هجين من أجل البياض وكانهم قصدوا قصد الروم والصقالبة ومن أشبههم والدليل على أن الهجين الابيض ان العرب تقول ما يخفى ذلك على الاسود والاحمر أي العربي والعجمي ويسمون الموالي وسائر العجم الحمراء وقد ذكرنا ذلك ولذلك قال زيد الخيل

(وأسلم عرسه لما رآنا) * وأيقن اننا صهب السبال

أي كهؤلاء العدو من العجم وقال ابن الرقيات

ان ترني تغير اللون مني * وعلا الشيب مفرقي وقذالي

فظلال السيوف شيبن رأسي * وطعاني في الحرب صهب السبال

فقيل هجين من ههنا واذا كانت الام كريمة والاب خسيسا قيل له المذرع قال الفرزدق

اذا باهلي تحته حنظلية * له ولد منها فذاك المذرع

وقال الآخر

ان المذرع لا تغني خؤولته * كالبغل يعجز عن شوط المحاضير

(جمع محضير وهو الفرس السريع) وانما سمي مذرعا للرقمتين في ذراع البغل وانما صارتا فيه من ناحية الحمار قال هدبة

ورثت رقاش اللؤم عن آبائها * كتوارث الحمرات رقم الأذرع

وقال عبد الله بن العباس في كلام يجيب به ابن الزبير والله انه لمصلوب قريش ومتى كان عوام ابن عوام يطمع في صفية بنت عبد المطلب من أبوك يا بغل فقال خالي الفرس

٣٧ - باب

قال أبو العباس قال اعرابي

كل امرئ ذي لحيـــة عثولنـــة * يقوم عليها ظن ان له فضلا

وما الفضل في طول السبال وعرضها * اذا الله لم يجعل لصاحبها عقلا

ويروى لحاملها عثولية يقول كثيرة والمستعمل يقال رجل عثول اذا كان كثير الشعر وأصل ذلك في الرأس واللحية وبناه الاعرابي بناء جدول كانه عثول ثم نسب اليه والسبلة مقدم اللحية يقال لما أسبل من الشار بين سبلتان وتقول العرب أخذ فلان شفرة فلثم بها سبلة بعيره أي نحره واللثم الشق فهذا ما أسبل من جرانه وقال بعض المحدثين

وما حسن الرجال لهم بحسن * اذا ما أخطأ الحسن البيان

كفى بالمرء عيبا أن تراه * له وجه وليس له لسان

وقال آخر اني على ما تزدري من دمامتي * اذا قيس ذرعي بالرجال طويل

ونظر يزيد بن مزيد الشيباني الى رجل ذى لحية عظيمة وقد تلففت على صدره فاذا هو خاضب فقال انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن فى كل جمعة * وآخر للحناء يبتدران

ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لصوت فى حافاتها الجلمان

وقال اسحق بن خلف يصف رجلا بالقصر وطول اللحية

ماسرنى أننى فى طول داود * وأننى علم فى البأس والجود

ماشيت داود فاستضحكت من عجب * كأننى والد يمشى بمولود

ماطول داود الا طول لحيته * يظل داود فيها غير موجود

تكنه خصلة منها اذا نفحت * ريح الشتاء وجف الماء فى العود

كالاتحمياتى مصقولا عوارضها * سوداء فى لين خد الغادة الرود

أجزى وأغنى من الخز الصفيق ومن * بيض القطائف يوم القر والسود

ان هبت الريح أدته الى عدن * ان كان مالف منها غير معقود

(القر بالقاف يريد البرد وروى بالغين يريد السحائب البيض وجعلها غر البياضها) وفى الحديث من سعادة المرء خفة عارضيه وليس هذا بناقض لما جاء فى اعفاء اللحى واحفاء الشوارب فقد روى أنهم قالوا لا بأس بأخذ العارضين والتبطين وأما الاعفاء فهو التكثير وهو من الاضداد قال الله عز وجل حتى عفوا أى حتى كثروا ويقال عفا وبر الناقة اذا كثر قال الشاعر ولكنا نعض السيف منها * بأسوق عافيات اللحم كوم والكوم العظام الاسنمة واحدتها كوماء ويقال عفا الربع اذا درس ومن ذلك * على آثار من ذهب العفاء * أى الدروس وقال مسلمة بن عبد الملك انى لاعجب من ثلاثة من رجل قصر شعره ثم عاد فأطاله أو شمر ثوبه ثم عاد فأسبله أو تمتع بالسرارى ثم عاد الى

المهيرات واحدة المهيرات مهيرة وهي الحرة المهورة ومفعول يخرج الى فعيل كمقتول وقتيل ومجروح وجريح قال الأعشى

ومنكوحة غير ممهورة * وأخرى يقال لها فادها

(فادها من فديت الاسير وهو يصف سبيا أخذ فيه اماء وحرائر) فهذا المعروف في كلام العرب مهرت المرأة فهي ممهورة ويقال وليس بالكثير أمهرتها فهي ممهرة أنشدني المازني

أخذن اغتصابا خطبة عجرفية * وأمهرن أرماحا من الخط ذبلا

(عجرفية جافية خطبة مصدر معنى) وأهل الحجاز يرون النكاح العقد دون الفعل ولا ينكرونه في الفعل ويحتجون بقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فهذا الاشيع في كلام العرب قال الاعشى

وأمنعت نفسي من الغانيا * ت اما نكاحا واما أزن

ومن كل بيضاء رعبوبة * لها بشر ناصع كاللبن

(قوله أزن أراد أزني ثم حذف الياء وخفف النون فقال أزن) ويكون النكاح الجماع وهو في الاصل كناية قال الراجز

اذا زنيت فأجد نكاحا * وأعمل الغدو والرواحا

والكناية تقع عن هذا الباب كثيرا والاصل ما ذكرنا لك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا من نكاح لا من سفاح ومن خطب المسلمين ان الله عز وجل أحل النكاح وحرم السفاح والكناية تقع عن الجماع قال الله عز وجل أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فهذه كناية عن الجماع قال أكثر الفقهاء في قوله تبارك وتعالى أو لامستم النساء قالوا كناية عن الجماع وليس الامر عندنا كذلك وما أصف مذهب أهل المدينة قد فرغ من النكاح

تصريحا وانما الملامسة أن يلمسها الرجل بيد أو بأى ناحية من جسده فذلك ينقض الوضوء في قول أهل المدينة لانه قال تبارك وتعالى بعد ذكر الجنب أو لامستم النساء وقوله عز وجل كانا يأكلان الطعام كناية بإجماع عن قضاء الحاجة لان كل من أكل الطعام في الدنيا أنجى يقال نجا وأنجى اذا قام لحاجة الانسان وكذلك وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا كناية عن الفروج ومثله أو جاء أحد منكم من الغائط فانما الغائط كالوادى وقال عمرو بن معدى كرب

وكم من غائط من دون سلمى * قليل الانس ليس به كتيع

يقال وهم الرجل يوهم اذا شك وهو الاجود ويجوز يهم وييهم وياهم لعلل وكذلك ما كان مثله نحو وجل يوجل ووحل يوحل ووجع يوجع ويجوز في وهم أن تقول ييهم فان المثل من هذا يجى على مثال حسب يحسب مثل ولى الامير يلى وورم الجرح يرم فهذا جميع ما فى هذا الباب وقال رجل أحسبه من بنى تميم

لا تسألن الخيل يا ابن عدماً لها * ولكن أخريات الخيل علك تجرح

لعلك تحمى عن صحاب بطعنة * لها عاند يشقى الصحاحين ينفح

وأكرم كريماً ان أتاك لحاجة * لعاقبة ان العضاه تروح

(بذا فامدحينى واندبينى فانني * فتى تعتريه هزة حين يمدح

اذا أدبر القيظ وبرد الليل تفطر الشجر وورق رطب فيقال أخلف الشجر وتروح) قوله لا تسألن الخيل يا ابن عدماً لها يقول لا تتخلف عن القتال وتسأل عن أخبار القوم ولكن كن فيهم كما قال مهلهل

ليس مثلى يخبر القوم عن آ * بائهم قتلوا وينسى القتالا

لم أرم حومة الكتيبة حتى * حذى الورد من دماء نعالا

يقول كنت في حومة القتال وصليت الحرب أكثر مما صليها غيري ويروى عن رجل من بنى

أسد بن عبد العزى يقال له فلان (ش هو عبد الله) بن السائب انه زوج ابنته عمرو بن عثمان بن عفان فلما نصت عليه طلقها على المنصة فجاء أبوها الى عبد الله بن الزبير فقال ان عمرو بن عثمان طلق ابنتي على المنصة وقد ظن الناس ان ذلك لعاهة وأنت عمها فقم فادخل اليها فقال عبد الله أو خيرا من ذلك جيئوني بالمصعب فخطب عبد الله فزوجها من المصعب وأقسم عليه ليدخلن بها في ليلته فلا تعرف امرأة نصت على رجلين في ليلتين ولا غيرها فأولدها المصعب عيسى وعكاشة فلما كان يوم مسكن وهرب أكثر الناس عن المصعب دخل الى سكينة ابنة الحسين بن على بن أبي طالب وكانت له شديدة المحبة وكانت تخفي ذلك فلبس غلالة وتوشح عليها وانتضى السيف فلما رأت ذلك علمت انه عزم أن لا يرجع فصاحت من ورائه واحرباه فالتفت اليها فقال أوهذا لي في قلبك فقالت اى والله وأكثر من هذا فقال أما لو علمت لكان لي ولك شأن ثم خرج فقال لابنه عيسى يا بني انج الى مجانك فان القوم لا حاجة بهم الى غيري وستفلت بحيلة أو بقيا فقال يا أبتاه لا أحدث والله عنك أبدا فقال أما والله لئن قلت ذلك لما زلت أتعرف الكرم في أسرارك وأنت تقلب في مهدك (ش الاسرار جمع سر وهي الطرائق في الجبهة) فقتل بين يدى أبيه ففي ذلك يقول شاعر أهل الشام من اليمانية

نحن قتلنا مصعبا وعيسى * وابن الزبير البطل الرئيسا
* عمدا أذقنا مضر التبئيسا *

وقال رجل يعاتب رجلا

فلو كان شهم النفس أو ذا حفيظة * رأى ما رأى في الموت عيسى بن مصعب

وقال بلال بن جرير يمدح عبد الله بن الزبير (يقال ان بلالا لم يلحق ابن الزبير الا ان يكون مدحه ميتا)

مدَّ الزبير عليك اذ يبني العلا * كنفيه حتى نالتا العيوقا

(ويروى كفيه وهو أظهر لقوله حتى نالتا)

ولو ان عبد الله فاخر من ترى * فات السبرية عزة وسموقا

قرم اذا ما كان يوم نفورة * جمع الزبير عليك والصديقا

لو شئت ما فاتوك اذ جاريتهم * ولكنت بالسبق المبرّ حقيقا

لكن أتيت مصليا برائهم * ولقد ترى وترى لذيك طريقا

عاد الحديث الى تفسير الابيات المتقدمة قوله اهلك تحمي عن صحاب بطعنة يقال حميت الناحية أحميها احميا وحماية كما قال الفرزدق

واذا النفوس جشأن طامن جأشها * ثقة لها بحماية الادبار

ومعنى ذلك منعت ودفعت ويقال أحميت الارض أي جعلتها حمى لا تقرب وأحميت الحديد أحميه احماء وحميت أنف تحمية يا فتى اذا أنفت أبيت الضيم وصحاب جمع صاحب وقد يقال هو جمع صحب كما تقول تاجر وتجر وراكب وركب ونحو ذلك ثم تجمع صحبا على صحاب كقولك كلب وكلاب وفرخ وفراخ فهذا مذهب حسن ومن قال هو جمع صاحب فنظيره قائم وقيام وتاجر وتجار وقوله لها عاند ينفي الحصا يعني الدم يقال عند العرق اذا خرج الدم منه بحدة وينفي الحصا يعني الدم بشدة جريه كما قال

منسحبه تنفي الحصا عن طريقها * (يقطع أحشاء الرعيب انتثارها)

يعني طعنة وقال آخر في صفة طعنة

ومستنة كاستنان الخرو * ف قد قطع الحبل بالمرود

والخروف ههنا انما هو الفلو الصغير وقوله

وأكرم كريما ان أتاك لحاجة * لعاقبة ان العضاه تروح

يقول الشجر يصيبه الندى فى آخر الصيف فينشأ له ورق فيقول لعلك تحتاج الى هذا الكريم وقد قدرومثله

ولا تهين الكريم علك ان * تركع يوما والدهر قد رفعه

أراد ولا تهينن بالنون الخفيفة فحذفها لالتقاء الساكنين وهذا الحكم فيها ومثله فى المعنى قول عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب

اذا خلة نابت صديقك فاغتنم * مرمتها فالدهر بالناس قلب

وبادر بمعروف اذا كنت قادرا * زوال اقتدار او غنى عنك يعقب

(زوال مفعول لبادر قاله ش) ومثل هذا كثير وقال جعفر بن محمد بن على بن الحسين رحمهم الله انى لاسارع الى حاجة عدوى خوفا من أن أرده فيستغنى عنى وقال رجل من العرب ماردت رجلا عن حاجة فولى عنى الا رأيت الغنى فى قفاه وقال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب مارأيت أحدا أسعفته فى حاجة الا أضاء ما بينى و بينه ولا رأيت رجلا رددته عن حاجة الا أظلم ما بينى و بينه وقال عمر بن الخطاب رحمه الله من يئس من شئ استغنى عنه وقال عبد الله بن همام السلولى

فاخلف وأتلف انما المال عارة * فكله مع الدهر الذى هو آكله

فاهون مفقود وأيسر هالك * على الحى من لا يبلغ الحى نائله

عارة أى معار ووزنه فعلة وقال أحد المحدثين (هو محمود الوراق) وليس من هذا الباب ولكنا ذكرناه فى الاعارة

أعارك ماله لتقوم فيه * بطاعته وتعرف فضل حقه

فلم تشكره نعمته ولكن * قويت على معاصيه برزقه

فجاهرته به عودا وبدأ * وتستخفى بها من شر خلقه

وقال جرير

وانى لاستحيى أخى ان أرى له * علىّ من الحق الذى لا يرى ليا

هذا بيت يحمله قوم على خلاف معناه وانما تأويله انى لاستحيى أخى أن يكون له علىّ فضل ولا يكون لى عليه فضل ومنى اليه مكافأة فاستحيى أن أرى له علىّ حقا لما فعل الىّ ولا أفعل اليه ما يكون لى به عليه حق وهذا من مذاهب الكرام ومما نأخذ به أنفسنا فاما قول عائذ الكلب الزبيرى (اسمه عبد الله بن مصعب الزبيرى وسمى عائذ الكلب بقوله

مالى مرضت فلم يعدنى عائد * منكم ويمرض كلبكم فأعود

وأشد من مرضى علىّ صدودكم * وصدود كلبكم علىّ شديد)

لعبد الله بن حسن بن حسن

له حقّ وليس عليه حقّ * ومهما قال فالحسن الجميل

وقد كان الرسول يرى حقوقا * عليه لغيره وهو الرسول

فانه ذكره بقلة الانصاف فقال يرى له حقا على الناس ولا يرى لهم عليه حقا من أجل نسبه برسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ذلك بقوله

وقد كان الرسول يرى حقوقا * عليه لغيره وهو الرسول

فالذى يفتخر به عبد الله يرى للناس عليه حقا فالمفتخر به أجدر وقد قيل لعلى بن الحسين وكان بين الفضل رحمه الله مابالك اذا سافرت كتمت نسبك أهل الرفقة فقال أكره ان آخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم مالا أعطى مثله وانما يعترى هذا الباب من الظلم وقلة الانصاف والبعد من الرقة عليهم الجهلة من أهل هذا النسب والله جل ذكره يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال تعالى انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم فاذا كان هو صلى الله عليه وسلم يخاف من المعصية فكيف يأمنها غيره به وأما قول جرير لهشام

ابن

ابن عبد الملك فهو المدح الصحيح على خلاف هذا المعنى قال

وأنت اذا نظرت الى هشام * عرفت نجار منتخب كريم
ولى الحق حين يؤم حجا * صفوفا بين زمزم والحطيم
يرى للمسلمين عليه حقا * كفعل الوالد الرؤف الرحيم
اذا بعض السنين تعرقتنا * كفى الايتام فقد أبى اليتيم

وفى هذا الشعر

أمير المؤمنين على صراط * اذا اعوج الموارد مستقيم
أمير المؤمنين جمعت دينا * وحلما فاضلا لذوى الحلوم
لك المتخيران أبا وخالا * فأكرم بالخؤلة والعموم
فيا ابن المطعمين اذا شتونا * ويا ابن الذائدين عن الحريم
نماك خالد وبنو هشام * الى العلياء فى الحسب الجسيم

(وهم أبو العباس فى قوله وبنو هشام وانما وقع فى شعره وأبو هشام وهو الصحيح يريد اسمعيل ابن هشام وهو جده من قبل أمه)

وتنزل من أمية حيث تلقى * شؤون الرأس مجتمع الصميم
تواصت من تكرمها قريش * برد الخيل دامية الكلوم
فما الام التى ولدت قريشا * بمقرفة النجار ولا عقيم
وما قرم بانجب من أبيكم * ولا خال بأكرم من تميم
نما أولاد برة بنت مر * الى العلياء فى الحسب العظيم
لك الغر السوابق من قريش * فقد عرف الاغر من البهيم

قوله حين يؤم حجا فيكون الحج جمع حاج كما يقال تاجر وتجر وراكب وركب قال العجاج

بواسط أكرم دار دارا * والله سمى نصرك الانصارا

فاخرجه على ناصر ونصر قال ويجوز أن يكون جمع أصحاب كما قال الله عز وجل واسأل القرية يريد أهلها وقوله كفعل الوالد الرؤف الرحيم يقال رؤف على فعل مثل يقظ وحذر ورؤوف على وزن ضروب وقال الانصاري (هو كعب بن مالك)

نطيع نبينا ونطيع ربا * هو الرحمن كان بنا رؤوفا

وقد قرئ ان الله رؤف بالعباد ورؤوف أكثر وانما هو من الرأفة وهي أشد الرحمة ويقال رآفة وقرئ ولا تأخذكم بهما رآفة في دين الله على وزن الصرامة والسفاهة وقوله اذا بعض السنين تعرقتنا يفسر على وجهين أحدهما ان يكون ذهب الى ان بعض السنين سنون كما قال الاعشى

وتشرق بالقول الذي قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

لان صدر القناة قناة ومن كلام العرب ذهبت بعض أصابعه لان بعض الاصابع اصبع فهذا قول والاجود ان يكون الخبر في المعنى عن المضاف اليه فأقحم المضاف اليه توكيدا لانه غير خارج من المعنى وفي كتاب الله عز وجل فظلت أعناقهم لها خاضعين انما المعنى فظلوا لها خاضعين والخضوع بين في الاعناق فأخبر عنهم فأقحم الاعناق توكيدا وكان أبو زيد الانصاري يقول أعناقهم جماعاتهم تقول أتاني عنق من الناس والاول قول عامة النحويين

وقال جرير لما أتى خبر الزبير تواضعت * سور المدينة والجبال الخشع

وقال أيضا رأت مر السنين أخذن مني * كما أخذ السرار من الهلال

وقال ذو الرمة

مشين كما اهتزت رماح تسفهت * أعاليها مر الرياح النواسم

(زعم بعضهم أن البيت مصنوع والصحيح فيه مرضى الرياح النواسم والمرضى التي تهب بلين)

ومثل هذا كثير وعلى مثل هذا القول الثانى تقول يا تيم تيم عدى لانك أردت يا تيم عدى وأقحمت الاول توكيدا (كذا وقع وأقحمت الاول توكيدا وانما الصحيح وأقحمت الثانى توكيدا) وكذلك لا أبالك لان الالف لا تثبت فى الاب فى النصب الا فى الاضافة أو بدلا من التنوين فانما أراد لا أباك ثم أقحم اللام توكيدا للاضافة وأنشد المازنى

وقد مات شماخ ومات مزرد * وأى كريم لا أبالك يخلد

وقال آخر أبالموت الذى لا بد أنى * ملاق لا أبالك تخوفينى

وقوله على صراط فالصراط المنهاج الواضح وكذلك قالت العلماء فى قول الله عز وجل اهدنا الصراط المستقيم وقوله سما بك خالد يريد خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب لان أم هشام بنت هشام بن اسمعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان هشام بن المغيرة أجل قرشى حلما وجودا وكانت قريش تورخ بموته كما كانت تورخ بعام الفيل وبملك فلان قال الشاعر * زمان تناعى الناس موت هشام * ومن أجله يقول القائل

فاصبح بطن مكة مقشعرا * كان الارض ليس بها هشام

يقول هو وان كان مات فهو مدفون فى الارض فقد كان يجب من أجله ان لا ينالها جدب

وقال الآخر ذرينى اصطبح يا بكر انى * رأيت الموت نقب عن هشام

قوله نقب أى طوف حتى أصاب هشاما قال الله عز وجل فنقبوا فى البلاد أى طوفوا ومثله قول امرئ القيس

وقد نقبت فى الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب

فأما التاريخ الذى يورخ به اليوم فاول من فعله فى الاسلام عمر بن الخطاب رحمه الله حيث دون الدواوين فقيل له لو أرخت يا أمير المؤمنين لكنت تعرف الامور فى أوقاتها فقال وما

التاريخ فاعلم ما كانت العجم تفعله فقال ارخوا فقالوا منذ أى سنة فاجمعوا على سنة الهجرة لانه الوقت الذى حكم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير تقية ثم قالوا فى أى شهر فقالوا نستقبل بالناس أمورهم فى شهر المحرم اذا انقضى حجهم وكانت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الآخر (الذى اتفق عليه أن هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى ربيع الاول وفيه مات صلى الله عليه وسلم) فقدم التاريخ على الهجرة هذه الاشهر وجاء فى تصحيح هذا الوقت أعنى المحرم ما روى لنا عن ابن عباس رحمه الله فانه قال فى قول الله عز وجل والفجر وليال عشر قال فاقسم بفجر السنة وهو المحرم وقوله فيا الام التى ولدت قريشا يعنى برة بنت مر كانت أم النضر بن كنانة وهو أبو قريش ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى وتميم بن مر خاله وكان يقال من عرف حق أخيه دام له اخاؤه ومن تكبر على الناس ورجا ان يكون له صديق فقد غر نفسه وقيل ليس للجوج تدبير ولا لسيئ الخلق عيش ولا لمتكبر صديق وقيل من بسط بالخير لسانه انبسطت فى القلوب محبته والمنة تفسد الصنيعة ويروى ان شاعرا أتى أبا البختري (البختري بفتح الباء وبالخاء المعجمة) وهب بن وهب وكان من أجود الناس وكان اذا سمع مدح المادح ضحك وسرى السرور فى جوانحه وأعطى وزاد فاتاه هذا الشاعر فانشده

لكل أخى فضل نصيب من العلا * ورأس العلا طرا عقيد الندى وهب
وما ضر وهبا قول من غمط العلا * كما لا يضر البدر ينبحه الكلب

(غمط كفر النعمة وغمط ويقال أيضا تنقص) فثنى له الوسادة وهش اليه وقربه وحمله وأضافه فلما أن أراد الرجل الرحلة لم يخدمه أحد من غلمان أبى البختري ولا عقد له ولا حل معه فانكر ذلك مع جميل ما فعل به وأنه قد تجاوز به أمله فعاتب بعضهم فقال له الغلام انا انما نعين النازل على الاقامة ولا نعين الراحل على الفراق فبلغ هذا الكلام جليلا من القرشيين فقال والله

لَفعلُ هؤلاء العبيد على هذا القصد أحظّى من رِفْدِ سيدهم

٣٨ - باب

قال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه وكان يجتنب غير الأدباء أيُّ المناديل أفضلُ فقال قائل منهم مناديلُ مصر كأنها غِرْقِئُ البَيْض (الغرقئ يهمز ولا يهمز وكذلك فعيله) وقال آخر مناديلُ اليمن كأنها أنوار الربيع فقال عبدُ الملك ما صنعتما شيأ أفضلُ المناديل ما قال أخو تميم يعني عَبْدَةَ بن الطبيب (عبدة باسكان الباء)

لما نزلنا نصبنا ظلّ أخبيةٍ * وفار للقوم باللحم المَراجيلُ

وردٌ وأشقرُ ما يؤنيه طابخُه * ما غيّر الغليُ منه فهو مأكولُ

ثمّتَ قمنا الى جُردٍ مسوَّمةٍ * أعرافهنّ لأيدينا مناديلُ

قوله غرقئ البيض يعني القشرة الرقيقة التي تركب البيضة دون قشرها الاعلى وقشرُها الاعلى يقال له القَيْضُ وقوله المَراجيلُ انما حدُّه المَراجلُ ولكن لما كانت الكسرة لازمة أشبعها للضرورة كما قال * نفيَ الدراهيمِ تنقادُ الصياريف * (الجيد في الصياريف) وقد مر تفسير هذا وقوله وردٌ وأشقرُ ما يؤنيه طابخُه يقول ما تغير من اللحم قبل نُضجه وقوله ما يؤنيه طابخه يقول ما يؤخره لانه لو آناه لأنضجه لان معنى آناه بلغ به اناه أي ادراكه قال الله عز وجل الى طعام غيرَ ناظرين اناه وتقول أنّى يأني اني اذا أدرك وآن يئين مثله وقوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آنٍ أي قد بلغ اناه وقوله ما غيّر الغلي منه فهو مأكول يقول نحن أصحابُ صَيْدٍ وهذا من فعلهم (العرب لا تُنضج اللحم اما لاستعجالها للضيف واما لان ذلك مستحب عندها فلذلك قال لا يؤنيه وقيل لتعجيل القرى) وقوله مسومة تكون على ضربين أحدهما ان تكون مُعلَّمة والثاني ان تكون قد أُسيمت في المرعى وهي ههنا مُعلَّمة

وقد مضى هذا التفسير وانما أخذ مافى هذه الابيات من بيت امرئ القيس فانه جمع مافى هذه الابيات فى بيت واحد مع فضل التقدم

نَمُشُّ بأعرافِ الجيادِ أكُفَّنا * اذا نحن قمنا عن شِواءٍ مُضَهَّبِ

وهو الذى لم يُدرِكْ ونمش نمسح ويقال للمنديل المَشُوش وكانت العرب تألف الطيب وتطرحه ذلك فى حالتين فى الحرب والصيد قال النابغة

سهكين من صدأ الحديد كأنهم * تحت السنور جِنّةُ البقّار

وقال آخر وأسيافكم مِسكٌ تَحُلُّ أكفَّكم * على أنها ريح الدماء تضوع

(تَضَوَّعُ رواية) معنى تضوع تفوح وروى عن ابنة هانئ بن قبيصة (ذكر يعقوب انها ابنة قيس بن خالد الشيبانى ش) انه لما قُتل عنها لقيطُ بن زُرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حَنظلة فتزوجها رجل من أهلها فكان لا يزال يراها تذكر لقيطا فقال لها ذات مرة ما استحسنت من لقيط فقالت كل أموره كانت حسنة ولكنى أُحدّثك انه خرج مرة الى الصيد وقد انتشى فرجع وبقميصه نَضْخٌ من دم صيده والمسكُ يَضُوعُ من أعطافه ورائحةُ الشراب من فيه فضمّنى ضمّةً وشمّنى شمّةً فليتنى كنت متُّ ثَمّهْ قال ففعل زوجها مثل ذلك ثم ضمها اليه وقال أين انا من لقيط فقالت ماء ولا كصدّاء مثل حمراء ووزنها فعلاء وموضع اللام همزة وهى بئر مقدّمة واسمها ماذكرنا عن الاصمعى وأبى عبيدة وكذلك سمعنا العرب تقوله ومن ثَقّل فقد أخطأ ومثل ذلك رجل ولا كمالك (فما يقال فتى ولا كمالك وقد تقدم لابى العباس فتى وهو الصواب) يعنون مالك بن نُوَيرة ومرعى ولا كالسعدان وحدثنى على بن عبد الله عن ابن عائشة قال كان ذو الاصبع العَدوانىُّ رجلا غَيُورا وكانت له بنات أربعٌ وكان لا يزوجهن غَيرةً فاستمع عليهن يوما وقد خَلَوْنَ يتحدّثن فقالت قائلة منهن لتقل كُلُّ واحدة منكن مافى نفسها ولنصدُقْ جميعا قال فقالت كبراهن

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى * حديث الشباب طيب النشر والذكر
لصوق بأكباد النساء كأنه * خليفة جان لا يقيم على هجر

قال وقالت الثانية

ألا ليته يعطى الجمال بديئة * له جفنة تشقى بها النيب والجزر
له حكمات الدهر من غير كبرة * تشين فلا فان ولا ضرع غمر

(أخذ التجارب وهو مأخوذ من حكمة اللجام ش) فقلن لها أنت تريدين سيدا فقالت الثالثة

ألا هل تراها مرة وحليلها * أشم كنصل السيف عين المهند
عليما بأدواء النساء ورهطه * اذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

(حليلها بفتح اللام وبالضم واشم مثله) فقلن لها أنت تريدين ابن عمك فقد عرفته وقلن للصغرى ما تقولين فقالت لا أقول شيأ فقلن لا ندعك وذاك انك اطلعت على أسرارنا وتكتمين سرك فقالت زوج من عود خير من قعود قال فخطبن فزوجهن جمع ثم أمهلهن حولا ثم زار الكبرى فقال لها كيف رأيت زوجك قالت خير زوج يكرم أهله وينسى فضله قال لها فما مالكم قالت الابل قال وما هي قالت نأكل لحمانها مزعا ونشرب ألبانها جرعا وتحملنا وضعفتنا معا فقال زوج كريم ومال عميم ثم زار الثانية فقال لها كيف رأيت زوجك قالت يكرم الحليلة ويقرب الوسيلة قال فما مالكم قالت البقر قال وما هي قالت تألف الفناء وتملأ الاناء وتودك السقاء ونساء مع نساء قال لها رضيت وحظيت ثم زار الثالثة فقال لها كيف رأيت زوجك فقالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت المعزى قال وما هي قالت لو كنا نولدها فطما ونسلخها أدما لم نبغ بها نعما فقال لها جذوة مغنية ثم زار الرابعة فقال لها كيف رأيت زوجك فقالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال لها فما مالكم قالت شر مال الضأن قال لها وما هن قالت جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن

فقال أشبه امرؤٌ بعض بزّه (أشبه امرأً بعضُ بزّه رواية) فأرسلها مثلا قال علي بن عبد الله قلت لابن عائشة ما قولها وأمر مغويتهن يتبعن فقال اما تراهن يمررن فتسقط الواحدة منهن في ماء أو وحل وما أشبه ذلك فيتبعنها اليه قول الثانية له جفنة تشقى بها النيب والجزر فالنيب جمع ناب وهي المسنّة وانما قيل لها ناب لطول نابها قال أوس بن حجر

* تشبه نابا وهي في السن بكرة * وتقديرنيب من الفعل فُعل ولكن ما كان من ذوات الياء كسر له موضع الفاء من الفعل لتصح الياء لان الياء اذا سكنت وانضم ما قبلها كانت واوا في الاصل نحو موقن وموسر وان فارقتها الضمة عادت الى أصلها نحو قولك مياسير ومثل ذلك أبيض وبيض وانما بيض فُعل كأحمر وحُمر واصفر وصُفر ولكن كسرت النون لتصح الياء ولو كانت واوا في الاصل لم تغير نحو اسود وسود وقوله ناب تقديرها فَعَل متحركة العين ولا تنقلب الياء ولا الواو ألفا الا وهما في موضع حركة وما قبلهما مفتوح نحو باع وقال ورمى وغزا لان التقدير فَعَل ولو كان على فَعْل لصحت الياء والواو كما تقول بيع وقول وفَعَل قد يجمعونه على فُعل كقولهم أسد وأُسد ووثن ووثن وقولها تشقى بها النيب والجزر فانما عطفت أحدهما على الآخر لان من الابل ما يكون جزورا للنحر لا غير وأما قولها ولا ضرع غمر فالضرع الضعيف والغمر الذي لم يجرب الامور ويروى ان الحجاج لما ورد عليه ظفر المهلب بن أبي صفرة وقتله عبد ربه الصغير وهرب قطري عنه تمثل فقال لله در المهلب والله لكأنه ما وصف لقيط الايادي حيث يقول

وقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا مترفا ان رخاء العيش ساعده * ولا اذا عض مكروه به خشعا
ما زال يحلب هذا الدهر أشطره * يكون متبعا طورا ومتبعا
حتى استمرت على شزر مريرته * مر العزيمة لا رثا ولا ضرعا

فقام اليه رجل فقال أيها الامير والله لكأني أسمع هذا التمثيل من قطري في المهلب فسر

الحجاج بذلك سرورا تبين فى وجهه وقولها كنصل السيف عين المهند فالمهند المنسوب الى الهند وقولها من أهل بيتى ومحتدى فالمحتد الاصل قال الشاعر

وفى السر من قحطان أولاد حرة * عظام اللها بيض كرام المحاتد

وقوله مال عميم يقول جامع أخذه من عم يعم وقوله جذو مغنية فالجذو جمع جذوة وهى القطعة وأصل ذلك فى الخشب ما كان منه فيه نار قال الله عز وجل أو جذوة من النار وتجمع أيضا جذا قال ابن مقبل

باتت حواطب سلمى يلتمسن لها * جزل الجذا غير خوار ولا دعر

الخوار الضعيف والدعر الكثير الثقب يقال عود دعر وقولها جوف لا يشبعن تقول عظام الاجواف وهيم لا ينقعن الهيم العطاش يكون الواحد من هيم أهيم ويقال فى هذا المعنى هيمان وقال بعض المفسرين فى قول الله عز وجل فشاربون شرب الهيم قال هى الابل العطاش وقال ذو الرمة (يصف حميرا)

فراحت الحقب لم تقصع صرائرها * وقد نشحن فلا رى ولا هيم

(الحقب البيض الاعجاز من الحمير) ويقال قصع صارته اذا روى والصارة شدة العطش والنشوح ان تشرب دون الرى يقال نشح ينشح ومثله تغمر اذا لم يرو ويقال للقدح الصغير الغمر من هذا وقال بعض المفسرين الهيم رمال بعينها واحدتها هيماء يافتى وقولها لا ينقعن أى لا يروين يقال نقعت ماشيته بنى فلان رى اذا لم تبلغ من الماء حقها ويقال للماء النقع ويقال النقع فى غير هذا الموضع للغبار يقال أثاروا النقع بينهم والنقع اسم موضع بعينه قال الشاعر لقد حببت نعم الينا بوجهها * مساكن ما بين الوتائر والنقع

(الوتائر بالتاء منقوطة باثنتين من فوق) والنقع الصراخ قال لبيد

فمتى ينقع صراخ صادق * يحلبوه ذات جرس وزجل

وقولها وصم لا يسمعن طريف من كلام العرب وذلك انه يقال لكل صحيح البصر ولا يعمل بصره أعمى وانما يراد به انه قد حل محل من لا يبصر البتة اذ لم يعمل بصره وكذلك يقال للسميع الذى لا يقبل أصم قال الله جل ذكره صم بكم عمى كما قال جل ثناؤه أم على قلوب أقفالها وكذلك انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء وقوله عز وجل كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء وتقول العرب ابلد من راعى الضأن ويقال أحمق من راعى ضأن ثمانين (قوله أحمق من راعى ضأن ثمانين المثل لكسرى فى أعرابى خبره فاختار ذلك ذكره أبو عبيد وهذا غير ما أشار اليه أبو العباس) وتحدث عمرو بن بحر قال كان يقال لا ينبغى لعاقل ان يشاور واحدا من خمسة القطان والغزال والمعلم وراعى ضأن ولا الرجل الكثير المحادثة للنساء وقيل فى مثل هذا لا تدع أم صبيك تضرب به فانه أعقل منها وان كان طفلا وقال الاحنف بن قيس انى لأجالس الاحمق الساعة فاتبين ذلك فى عقلى وقال جل ثناؤه فى صفة النساء أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين وحدثت ان عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة أتى المدينة فاقام بها فى ذلك يقول

يا خليلى قد مللت ثوائى * بالمصلى وقد شنئت البقيعا

فلما أراد الشخوص شخص معه الاحوص بن محمد فلما نزلا ودان صار اليهما نصيب فمضى الاحوص لبعض حاجته فرجع الى صاحبيه فقال انى رأيت كثيرا بموضع كذا فقال عمر فابعثوا اليه ليصير الينا فقال الاحوص أهو يصير اليكم هو والله أعظم كبرا من ذلك قال فاذا نصير اليه فصاروا اليه وهو جالس على جلد كبش فوالله ما رفع منهم أحدا ولا القرشى ثم أقبل على القرشى فقال يا أخا قريش والله لقد قلت فاحسنت فى كثير من شعرك ولكن خبرنى عن قولك

قالت لها أختها تعاتبها * لا تفسدن الطواف فى عمر

(كذا وقعت الرواية لا تفسدنّ على النهي والصحيح لتفسدنّ على القسم كأنها قالت والله لتفسدنّ)
قومي تصدّي له ليبصرنا * ثم اغمزيه يا أخت في خفر
قالت لها قد غمزته فأبى * ثم اسبطرّت تشتدّ في أثري
والله لو قلت هذا في هرّة أهلك ما عدا أردت ان تنسب بها فنسبت بنفسك أهكذا يقال للمرأة انما توصف بالخفر وأنها مطلوبة ممتنعة هلا قلت كما قال هذا وضرب بيده على كتف الأحوص
أدور ولولا أن أرى أم جعفر * بأبياتكم ما درت حيث أدور
وما كنت زوّارا ولكن ذا الهوى * اذا لم يزر لا بد أن سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر * واني الى معروفها لفقير
قال فامتلأ الاحوص سرورا ثم أقبل عليه فقال يا أحوص خبرني عن قولك
فان تصلي أصلك وان تعودي * لهجر بعد وصلك لا أبالي
أما والله لو كنت من فحول الشعراء لباليت هلا قلت مثل ما قال هذا وضرب بيده على جنب نصيب
بزينب ألمم قبل ان يظعن الركب * وقل ان تملينا فما ملك القلب
قال فانتفخ نصيب ثم أقبل عليه فقال له ولكن اخبرني عن قولك يا أسود
أهيم بدعد ما حييت وان أمت * فواحزنا من ذا يهيم بها بعدي
كأنك اغتممت ان لا يفعل بها بعدك ولا يكنى فقال بعضهم لبعض قوموا فقد استوت القرقة وهي لعبة على خطوط فاستواؤها انقضاؤها (قال أبو الحسن الطبين هي السدّر فاذا زيد في خطوطه سمته العرب القرقة وتسمية العامة السدّر) قال وحدثت ان كثيرا دخل على عبد الملك بن مروان وعنده الاخطل فانشده فالتفت عبد الملك الى الاخطل فقال كيف ترى فقال حجازي مجوع مقرور دعني أضغمه يا أمير المؤمنين فقال كثير من هذا يا أمير

المؤمنين فقال له هذا الاخطل فقال له كثير مهلا فهلا ضغمت الذي يقول

لا تطلبن خؤولة في تغلب * فالزنج أكرم منهم اخوالا

والتغلبي اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

(أخوالا منصوب على الحال ومن زعم أنه تمييز فقد أخطأ) فسكت الاخطل فما أجابه بحرف

قال أبو العباس سمعت من ينشد هذا الشعر * والتغلبي اذا تنبح للقرى * وهو أبلغ قال وخبرت

ان نصيبا نزل بامرأة تكنى أم حبيب من أهل ملل وكانت تضيف في ذلك الموضع وتقرى

ولا يزال الشريف قد نزل بها فأفضل عليها الفضل الكثير ولا يزال الشريف ممن لم يخلل بها

يتناولها بالبر ليعينها على مروتها فنزل بها نصيب ومعه رجلان من قريش فلما أرادوا الرحلة

عنها وصلها القرشيان وكان نصيب لا مال معه في ذلك الوقت فقال لها ان شئت فلك أن أوجه

اليك بمثل ما أعطاك أحدهما وان شئت قلت فيك شعرا فقرلت أم حبيب (أي مالت الى أن

يتغزل بها) فقالت بل الشعر فقال

ألا حي قبل البين أم حبيب * وان لم تكن منا غدا بقريب

وان لم يكن اني أحبك صادقا * فما أحد عندي اذا بحبيب

تهام أصابت قلبه ملية * غريب الهوى واها لكل غريب

وحدثت أن نصيبا أتى عبد الملك فأنشده فاستحسن عبد الملك شعره وسر به فوصله ثم دعا

بالغداء فطعم معه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فيما يتنادم عليه فقال يا أمير المؤمنين

تأملني قال قد أراك فقال يا أمير المؤمنين جلدي أسود وخلقي مشوه ووجهي قبيح ولست

في منصب وانما بلغ بي مجالستك ومؤاكلتك عقلي وأنا أكره يا أمير المؤمنين أن أدخل

عليه ما ينقصه فأعجبه كلامه فاعفاه وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج في وفدة وفدها

عليه وقد أكلا هل لك في الشراب فقال يا أمير المؤمنين ليس بحرام ما أحللته ولكني أمنع

أهل عمي منه وأكره أن أخالف قول العبد الصالح وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه فاعفاه وقال مسلمة بن عبد الملك يوما لنصيب أمدحت فلانا لرجل من أهله فقال قد فعلت قال أوحرمك قال قد فعل قال فهلا هجوته قال لم أفعل قال ولم قال لاني كنت أحق بالهجاء منه اذ رأيته موضعا للمدح فأعجب به مسلمة فقال اسئلني قال لا أفعل قال ولم فقال لان كفك بالعطية أجود من لساني بالمسئلة فوهب له ألف دينار وحدثت أن الكميت بن زيد أنشد نصيبا واستمع له فكان فيما أنشده

وقد رأينا بها حورا منعمة * بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فثنى نصيب خنصره فقال له الكميت ما تصنع فقال أحصي خطأك تباعدت في قولك تكامل فيها الدل والشنب هلا قلت كما قال ذو الرمة

لمياء في شفتيها حوة لعس * وفي اللثات وفي أنيابها شنب

ثم أنشده في أخرى

كأن الغطامط من جريها * أراجيز أسلم تهجو غفارا

(وقعت الرواية من جريها وصوابه من غليها لانه يصف قدرا فيه لحم فشبه غليان القدر وارتفاع اللحم فيه بالموج الذي يرتفع) فقال له نصيب ما هجت أسلم غفارا قط فاستحيا الكميت فسكت قال أبو العباس والذي عابه نصيب من قوله تكامل فيها الدل والشنب قبيح جدا وذلك أن الكلام لم يجر على نظم ولا وقع الى جانب الكلمة ما يشاكلها وأول ما يحتاج اليه القول أن ينظم على نسق وأن يوضع على رسم المشاكلة وخبرت أن عمر بن لجأ قال لابن عم له انا أشعر منك قال له وكيف قال لاني أقول البيت واخاه وأنت تقول البيت وابن عمه وأنشد عمرو بن بحر

وشعر كبعر الكبش فرق بينه * لسان دعي في القريض دخيل

و بعر الكبش يقع متفرقا فمن ذلك قول ابنة الحطيئة لما نزل فى بنى كليب بن يربوع تركت الثروة والعدد ونزلت فى بنى كليب بعر الكبش يقال بعر وبعر وشعر وشعر وشمع وشمع ويقال للصدر قص وقصص وكذلك نهر ونهر وزعم الاصمعى أنه سال أعرابيا وهو بالموضع الذى ذكره زهير

ثم استمروا وقالوا ان مشربكم * ماء بشرقى سلمى فيد او ركك

قال الاصمعى فقلت لاعرابى أتعرف رككا فقال لا ولكن قد كان ههنا ماء يسمى ركا فهذا ليست فيه لغتان ولكن الشاعر اذا احتاج الى الحركة أتبع الحرف المتحرك الذى يليه الساكن ما يشاكله فحرك الساكن بتلك الحركة قال عبد مناف بن ربع (ش ربعى) الهذلى

اذا تجاوب نوح قامتا معه * ضربا أليما بسبت يلعج الجلدا

يريد الجلد فهذا مطرد (قال ابن القوطية لعج الحب قلبه والصرد جسده أحرقه) ومن مذاهبهم المطردة فى الشعر أن يلقوا على الساكن الذى يسكن ما بعده للتقييد حركة الاعراب كما قال الراجز (قال ابن السيد أحسبه لعبيد بن ماوية)

* أنا ابن ماوية اذ جد النقر * يريد النقر يافتى وهو النقر بالخيل فلما أسكن الراء ألقى حركتها على الساكن الذى قبلها (النقر صويت باللسان يسكن به الفرس اذا اضطرب بفارسه قال امرؤ القيس

أخفضه بالنقر لما علوته * ويرفع طرفا غير جاف غضيض)

وشبيه بهذا قوله

عجبت والدهر كثير عجبه * من عنزى سبنى لم أضربه

أراد لم أضربه يافتى فلما أسكن الهاء ألقى حركتها على الباء وكان ذلك فى الباء أحسن لخفاء الهاء وقال أبو النجم * أقول قرب ذا وهذا أزحله * يريد أزحله يافتى (أقول قرب ذا وهذا الذ

ازجله كذا عن ش) وقال طرفة

حابسي ربع وقفت به * لو أطيع النفس لم أرمه

ولم يلزمه رد الباء لما تحركت الميم لان تحركها ليس لها على الحقيقة وانما هي حركة الهاء

وأما قول الشاعر

حديث بنى بدر اذا ما لقيتهم * كنزو الدبى فى العرفج المتقارب

فليس كقوله وشعر كبعر الكبش ولكنه وصفهم بضؤولة الاصوات وسرعة الكلام وادخال

بعضه فى بعض والذى يحمد الجهارة والفخامة وأنشدت لرجل قال يمدح الرشيد

جهير الكلام جهير العطاس * جهير الرواء جهير النغم

ويخطو على الاين خطو الظليم * ويعلو الرجال بخلق عمم

(الرجل هو العمانى الشاعر وقوله عمم أى جسيم والاين الاعياء ويكون الاين الحية وهى

الايم) ويروى ان الرشيد كان يأتزر فى الطواف فيذنب ازاره ويباعد بين خطاه فاذا رجع

بيده كاد يفتن من رآه فعند ذلك مدح بهذا الشعر ويروى ان عائشة رحمها الله نظرت الى

رجل متماوت فقالت ماهذا فقالوا أحد القراء فقالت قد كان عمر بن الخطاب قارئا فكان

اذا قال أسمع واذا مشى أسرع واذا ضرب أوجع ويروى ان عمر بن الخطاب رحمه الله نظر

الى رجل مظهر للنسك متماوت فخفقه بالدرة وقال لا تمت علينا ديننا أماتك الله ويروى ان

عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس أتته وفود من الروم وقام السماطان فأتى

برجل منهم وعطس أحد من فى السماطين فاخفى عطسته فقال له عبد الملك لما انقضى أمر

الوفد هلا اذ كنت لئيم العطاس أتبعت عطستك صيحة حتى تخلع بها قلب العلج وكان

العباس بن عبد المطلب رحمه الله أجهر الناس صوتا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما انهزم الناس يوم حنين يا عباس اصرخ بالناس ويروى ان غارة أتتهم يوما فصاح العباس

باصباحه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وقد طعن فى قول النابغة الجعدى

(وأزجر الكاشح العدو اذا اغـ * ـتابك عندى زجرا على أضم)

زجر أبى عروة السباع اذا * اشفق ان يختلطن بالغنم

وذلك ان الرواة احملت هذا البيت على انه كان يزجر الذئاب ونحوها مما يغير على الغنم فيفتق مرارة السبع فى جوفه (يروى زجر أبى عروة السباع بخفض السباع كما قيل قيس الرقيات فصار على هذا يعرف بأبى عروة السباع مثل ذلك) فقال من يطعن فى هذا السبع أشد أيدا من الغنم فاذا فعل ذلك بالسبع هلكت الغنم قبله فقال من يحتج له ان الغنم كانت قد آنست بهذا منه والصوت الرائع أنس لمن آنس به كالرعد القاصف الذى لولا خشية صاعقته لم يفزع كبير فزع ولو جاء أقل منه من جوف الارض لذعر ولم يبعد ان يقتل اذا أتى من حيث لم يعتد وجملة هذا البيت انه وصف شدة صوت المذكور وتأويله انه من تكاذيب الأعراب وحدثت ان الحسن نظر الى رجل يجود بنفسه فقال ان أمرا هذا آخره لجدير بان يزهد فى أوله وان أمرا هذا أوله لجدير بان يخاف آخره وقيل لرجل من أشراف العجم فى علته التى مات فيها مابك قال فكر عجيب وحسرة طويلة فقيل مم ذاك فقال ماظنكم بمن يقطع سفرا قفرا بلا زاد ويسكن قبرا موحشا بلا مؤنس ويقدم على حكم عادل بلا حجة وقال بعض المحدثين وهو محمود الوراق

بأى اعتذار أم بأية حجة * يقول الذى يدرى من الامر لا أدرى

اذا كان وجه العذر ليس ببين * فان اطراح العذر خير من العذر

واعتذر رجل الى سلم بن قتيبة من أمر بلغه عنه فعذره ثم قال له ياهذا لا يحملنك الخروج من أمر تخلصت منه على الدخول فى أمر لعلك لا تخلص منه وقيل لخالد بن صفوان أى اخوانك أحب اليك فقال الذى يسد خللى ويغفر زللى ويقبل عللى وافتقد عبد الله بن جعفر بن

ابى

أبي طالب صديقاله من مجلسه ثم جاءه فقال له أين كانت غيبتك فقال خرجت الى عرض من أعراض المدينة مع صديق لي فقال له ان لم تجد من صحبة الرجال بدًّا فعليك بصحبة من ان صحبته زانك وان خففت له صانك وان احتجت اليه مانك وان رأى منك خلة سدها أو حسنة عدها وان وعدك لم يحرضك وان كثرت عليه لم يرفضك وان سألته أعطاك وان أمسكت عنه ابتداك قال أبو العباس وامتدح نصيب عبد الله بن جعفر فامر له بخيل وابل وأثاث ودنانير ودراهم فقال له رجل أمثل هذا الاسود يعطى مثل هذا المال فقال له عبد الله بن جعفر ان كان اسود فان شعره لابيض وان ثناءه لعربي ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه الا ثيابا تبلى ومالا يفنى ومطايا تنضى وأعطانا مدحا تروى وثناء يبقى وقيل لعبد الله بن جعفر انك لتبذل الكثير اذا سئلت وتضيق في القليل اذا توجرت فقال اني أبذل مالي وأضن بعقلي وقيل ليزيد بن معاوية ما الجود فقال اعطاء المال من لا تعرف فانه لا يصير اليه حتى يتخطى من تعرف وخبرت عن رجل من الانصار قال لابن عبد الرحمن بن عوف ما ترك لك أبوك قال ترك لي مالا كثيرا فقال ألا أعلمك شيأ هو خير لك مما ترك أبوك انه لا مال لعاجز ولا ضياع على حازم والرفيق جمال وليس بمال فعليك من المال بما يعولك ولا تعوله وقال معاوية الخفض والدعة سعة المنزل وكثرة الخدم وقيل لخريم المري وهو المنبز بخريم الناعم ما النعمة فقال الامن فانه ليس لخائف عيش والغنى فانه ليس لفقير عيش والصحة فانه ليس لسقيم عيش قيل ثم ماذا قال لا مزيد بعد هذا وقال سلم بن قتيبة الشباب الصحة والسلطان الغنى والمروأة الصبر على الرجال وقال المهلب بن أبي صفرة العجب لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الاحرار بمعروفه وكان يقول لبنيه اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا وقال خالد بن عبد الله القسري محض الجود مالم تسبقه مسئلة ومالم يتبعه من ولم يزر به قصر ووافق موضع الحاجة وقال بعض المحدثين وهو (حبيب) الطائي

أسائل نصر لا تسله فانه * أحن الى الارفاد منك الى الرفد

وقال آخر وهو أبو العتاهية

لا تسألن المرء ذات يديه * فليصغرنك من رغبت اليه
المرء مالم ترزه لك مكرم * فاذا رزأت المرء هنت عليه
وكما يكون لديك من عاشرته * فكذاك فارض بأن تكون لديه

ودخل النخار العذرى على معاوية فى عباءة فاحتقره فرأى ذلك النخار فى وجهه فقال له يا أمير المؤمنين ليست العباءة تكلمك انما يكلمك من فيها ثم تكلم فملأ سمعه ثم نهض ولم يسأله فقال معاوية ما رأيت رجلا أحقر أولا وأجل آخرا منه ودخل محمد بن كعب القرظى على سليمان بن عبد الملك فى ثياب رثة فقال له سليمان ما يحملك على لبس مثل هذه الثياب فقال أكره أن أقول الزهد فأطرى نفسى أو أقول الفقر فأشكو ربى وحدثنى التوزى قال دخل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب على هشام بن عبد الملك فى ثياب وعليه عمامة تخالفها فقال له هشام كأن العمامة ليست من الثياب قال انها مستعارة فقال له كم سنك قال ستون سنة قال ما رأيت ابن ستين أبقى كدنة منك (كدنة قوة الجسم قال ابن القوطية فى الافعال كدن الشفة كدونا اسودت وأكدن البعير كثر لحمه وشحمه) ما طعامك قال الخبز والزيت قال أما تأجمهما قال اذا أجمتهما تركتهما حتى أشتهيهما ثم خرج من عنده وقد صدع فقال أترون الاحول لقعنى بعينه فمات من تلك العلة (قال ابن الاعرابى لقع فلان فلانا بعينه وزلقه وأزلقه وشقذه وشوهه ويقول الرجل اذا أجاد فى عمله لا تشوه على أى لا تقل لى أجدت فتصيبنى بالعين ورجل معين اذا أصيب بالعين وشاه وشائه وشقذ وشقذان) ونظر أعرابى الى رجل جيد الكدنة فقال يا هذا انى لارى عليك قطيفة محكمة من نسج أضراسك ودخل أبو الاسود الدؤلى (اسم أبى الاسود الدؤلى ظالم بن عمرو بن سفيان وقيل

ابن عمرو بن جندل بن سفيان وأمه من بني عبد الدار بصري تابعي ثقة من أصحاب علي من كتابه) على عبيد الله بن زياد في ثياب رثة فكساه ثيابا حسانا فخرج وهو يقول

كساك ولم استكسه فشكرته ✻ أخ لك يعطيك الجزيل وناصر

وان أحق الناس ان كنت مادحا ✻ بمدحك من أعطاك والعرض وافر

وحدثني الرياشي قال دخل أبو الاسود الدؤلي على عبيد الله بن زياد وقد أسن فقال له عبيد الله يهزأ به يا أبا الاسود انك لجميل فلو تعلقت تميمة ترد عنك بعض العيون فقال أبو الاسود

أفنى الشباب الذي أفنيت جدته ✻ كر الجديدين من آت ومنطلق

لم يتركا لي في طول اختلافهما ✻ شيأ أخاف عليه لذعة الحدق

قوله فلو تعلقت تميمة هي المعاذة يعلقها الرجل قال ابن قيس الرقيات

صدروا ليلة انقضى الحج فيهم ✻ طفلة زانها أغر وسيم

يتقي أهلها العيون عليها ✻ فعلى جيدها الرقى والتميم

وقال أبو ذؤيب

واذا المنية أنشبت أظفارها ✻ ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقوله لذعة الحدق فهو من قولك لذعته النار اذا لفحته ويقال لذع فلان فلانا بأدب اذا أدبه أدبا يسيرا كأنه كالمقدار الذي وصفناه من النار وقول ابن قيس الرقيات زانها أغر وسيم فالاغر الابيض يعني الوجه والوسيم الجميل والمصدر الوسامة والوسام وقال بعض المحدثين ذكرناه بقول أبي الاسود

قد كنت أرتاع للبيضاء في سلفي ✻ فصرت أرتاع للسوداء في يقق

من لم يشب ليس مملاقا حليلته ✻ وصاحب الشيب للنسوان ذو ملق

قد كن يفرقن منه في شبيبته ✻ فصار يفرق ممن كان ذا فرق

ان الخضاب تدليس يغش به * كالثوب فى السوق مطويا على حرق

و يروى يطوى لتدليس على حرق وشبيه بهذا المعنى قول أبى تمام

طال أنكارى البياض وان عمرت شيأ أنكرت لون السواد

وحدثنى الزيادى قال قيل لاعرابى ألا تخضب بالوسمة فقال لم ذاك فقال لتصبو اليك النساء

فقال أما نساؤنا فا يردن بنا بديلا وأما غيرهن فما نلتمس صبوتهن وقال العتبى

وقائلة تبيض والغوانى * نوافر عن معالجة القتير

(و يروى معالجة بكسر اللام فمن فتح اللام جعله مصدرا ومن كسر اللام فهى الجماعة التى

تعالج ذلك الشئ)

عليك الخطر علك أن تدنى * الى بيض ترائبهن حور

فقلت لها المشيب نذير عمرى * ولست مسودا وجه النذير

وقال آخر وهو أبو خالد يزيد بن محمد المهلبى

صبغت الرأس ختلا للغوانى * كما غطى على الريب المريب

أغسل مرة وأسله أخرى * ولا تخفى من الكبر العيوب

أسوف توبتى خمسين عاما * وظنى أن مثلى لا يتوب

يقوم بالثقاف العود لدنا * ولا يتقوم العود الصليب

وقال مالك بن دينار جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم وكان يقول ما أشد فطام الكبير

وقال آخر دعى لومى ومعتبتى أماما * فانى لم أعود أن الاما

وكيف ملامتى اذ شاب رأسى * على خلق نشأت به غلاما

وقيل لاعرابى ألا تغير شيبك بالخضاب فقال بلى ففعل ذاك مرة ثم لم يعاود فقيل له لم لا تعاود

الخضاب فقال يا هناه لقد شد لحيياى فظلت انالى ميتا وقال بعض المحدثين وهو محمود الوراق

يا خاضب

يا خاضب الشيب الذى * فى كل ثالثة يعود
ان النصول اذا بدا * فكأنه شيب جديد
وله بديهة لوعة * مكروهها أبدا عتيد
فدع المشيب لما أرا * د فلن يعود كما تريد

وقال محمود أيضا

أليس عجيبا بأن الفتى * يصاب ببعض الذى فى يديه
فمن بين باك له موجع * وبين معز مغذ اليه
ويسلبه الشيب شرخ الشباب * فليس يعزيه خلق عليه

وقال أيضا يا خاضب الشيبة ثم فقدها * فانما تدرجها فى كفن
أما تراها منذ مابنتها * تزيد فى الرأس بنقص البدن

وقال أيضا اغتنم غفلة المنية واعلم * أنما الشيب للمنية جسر
كم كبير يوم القيامة يقصى * وصغير له هنالك قدر

(قال أبو الحسن يقال جسر وجسر وهو مأخوذ من الناقة الكبيرة يقال لها الجسر) وقال أعرابى (هو أبو النجم)

قالت سليمى أنت شيخ أنزع * فقلت ماذاك وانى أصلع
ثم حسرت عن صفاة تلمع * فاقبلت قائلة تسترجع
* ما رأس ذا الاجبين أجمع *

وقال آخر وهو رؤبة

قد ترك الدهر صفاتى صفصفا * فصار رأسى جبهة الى القفا
كأنه قد كان ربا فعفا * يمشى وتمشى للمنايا هدفا

وكان نصر بن حجاج بن علاط السلمي ثم البهزي جميلا فسيّره عمر بن الخطاب رحمه الله في أمر الله أعلم به فحلق رأسه وكان عمر أصلع لم يبق من شعره الا حفاف كذلك قال الاصمعي فقال نصر بن حجاج

لضنّ ابن خطاب علي بجُمّة * اذا رُجّلت تهتز هزّ السلاسل
فصلّع رأساً لم يصلّعه ربه * يرفّ رفيفاً بعد أسود جاثل
لقد حسد الفرعان أصلع لم يكن * اذا ما مشى بالفرع بالمتخايل

قوله بالفرع بالمتخايل ليس أنه جعل بالفرع من صلة المتخايل فيكون معناه بالذي يختال بالفرع فيكون قد قدّم الصلة على الموصول ولكنه جعل قوله بالفرع تبيينا فصار بمنزلة بك التي تقع بعد مرحبا للتبيين وقد مر تفسير هذا مستقصى في الكتاب المقتضب وقال آخر

تُغطّي غُبيرٌ بالعمائم لؤمها * وكيف يغطّي اللؤمَ طيّ العمائم
فان تضربونا بالسياط فاننا * ضربناكم بالمرهفات الصوارم
وان تحلقوا منا الرؤس فاننا * حلقنا رؤسا باللهى والغلاصم
وان تمنعوا منا السلاح فعندنا * سلاحٌ لنا لا يُشترى بالدراهم
جلاميد املاء الاكف كأنها * رؤس رجال حُلّقت بالمواسم

وكان يزيد بن الطثرية غزلا وكان أخوه ثور ذا مال فكان يزيد يأتي العطار فيقول اذهني دهنة بناقة من ابل ثور فيفعل ذلك وكان ذا جمّة حسنة فاذا كثر عليه الدين هرب فتبدّى فاذا ذكر حوشية وهي امرأة كان يشبّب بها (حوشية بنت أبي فديك بن قرة ولها مع يزيد حديث طريف) قدم فاقتطع من ابل أخيه ما يقضي به دينه وفي ذلك يقول

قضى غرماني حبّ أسماء بعدما * تخوّفني ظلم لهم وفجور
فدى لك دا أبي ما حييت وما مشى * لثور على ظهر الفلاة بعير

فاستعدى عليه ثور السلطان فامر بحلق رأسه فقال

أقول لثور وهو يحلق لمتي * بعقفاء مردود عليها نصابها

ترفق بها يا ثور ليس ثوابها * بهذا ولكن عند ربي ثوابها

ألا ربما يا ثور فرق بينها * أنامل رخصات حديث خضابها

فيهلك مذرى العاج في مدلهمة * اذا لم تفرج مات غما صؤابها

فجاء بها ثور ترف كأنها * سلاسل برق لينها وانسكابها

ورحت برأس كالصخيرة أشرفت * عليها عقاب ثم طارت عقابها

خدارية كالشربة الفرد جادها * من الصيف أنواء مطير سحابها

٣٩ - باب

قال رجل من المتقدمين وهو قيس بن عاصم المنقري

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك * ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد

اذا ما أصبت الزاد فالتمسي له * أكيلا فاني لست آكله وحدي

قصيا كريما أو قريبا فانني * أخاف مذمات الاحاديث من بعدي

واني لعبد الضيف مادام ثاويا * ومامن خلالي غيرها شيمة العبد

غيرها استثناء مقدم وقد مضى تفسيره وقوله قصيا كريما من طريف المعاني وذلك انه لم يحتج الى ان يشترط في نسبته الكرم لانه قد ضمن ذلك واشترط في القصي ان يكون كريما لانه كره ان يكون مواكله غير كريم وهذا ليس من الباب الذي ذكره جرير حيث يقول في هجائه بني هزان

ضيفكم جائع ان لم يبت غزلا * وجاركم يا بني هزان مسروق

رأيتُ هزّانَ في أخراحِ نسوتها * رحبٌ وهزّانُ في أخلاقها ضيقُ

وقال آخر من المحدثين وهو يحيى بن نوفل أنشده دعبلُ

كنتُ ضيفاً ببرمنايا لعبد الله والضيفُ حقُّه معلوم

فانبرى يمدح الصيام الى ان * صمتُ يوماً ما كنتُ فيه أصومُ

ثم أنشا يشتام برذونيَ الورْ * دَ ملحاً كما يلحُّ الغريم

(قال الاخفش يروى برذوني الزرد وهو الاصفر)

ولعمري انّ ابن قيلة اذ يشـتام برذون ضيفه للئيم

وقال رجل أنشدنيه السجستاني بقوله لابن دعلج وكان ابن دعلج يتوالى بني غيم

اذا جئتَ الامير فقل سلامٌ * عليكَ ورحمةُ الله الرحيم

وأمّا بعدَ ذاكَ فلي غريمٌ * من الاعراب قُبّحَ من غريم

لزومٌ ما علمتُ بباب داري * لزومَ الكهف أصحابُ الرقيم

له مائة عليّ ونصفُ أخرى * ونصفُ النصف في صكٍّ قديم

دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكن * حبوتُ بها شيوخَ بني تميم

(زاد أبو الحسن

أتوني في العشيرة يسألوني * ولم أكُ في العشيرة بالمليم

قال أبو الحسن لم يعرف أبو العباس هذا البيت الاخير وهو صحيح) وجاور قيسُ بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد تاجراً خمّاراً فشرب شراباً وأخذ متاعه ثم أوثقه فقال اقد نفسك وقال في ذلك

وتاجرٍ فاجرٍ جاء الاله به * كأنّ عثنونه أذنابُ أجمالِ

(قال ذلك لانه تذنّبُ البعير يضرب الى الصهبة وفيه استواء وهو يشبه اللحية) وقال الفرزدق

تولّب اذا كنت في سعد وأمّك منهم * غريبا فلا يغررك خالك من سعد

فان ابن أخت القوم مصغى اناؤه * اذا لم يزاحم خاله باب جلعد

واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن عاصم على صدقات بني سعد فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها قيس بعد في بني منقر وقال

من مبلغ عني قريشا رسالة * اذا ما أتتها محكمات الودائع

حبوت بما صدقت في العام منقرا * وأيأست منها كل أطلس طامع

وجاور عروة بن مرة أخو أبي خراش الهذلي ثمالة من الازد فلبس يوما بقتله يسه آمنا لا يخاف شيأ فاستدبره رجل منهم من بني بلال بسهم فقصم صلبه ففي ذلك يقول أبو خراش

لعن الاله وجوه قوم رضع * غدروا بعروة من بني بلال

وأسر خراش بن أبي خراش أسرته ثمالة فكان فيهم مقيما فدعا آسره يوما رجلا منهم للمنادمة فرأى ابن أبي خراش موثقا في القد فأمهل حتى قام الآسر لحاجته فقال المدعو لابن أبي خراش من أنت قال أنا ابن أبي خراش فقال كيف دليلك قال قطاة قال فقم فاجلس ورائي وألقى عليه رداءه ورجع صاحبه فلما رأى ذلك أصلت بالسيف وقال أسيري فتثل الجير كنانته وقال والله لأرمينك ان رمته فاني قد أجرته فخلى عنه فجاء الى أبيه فقال له من أجارك فقال والله ما أعرفه فقال أبو خراش وقال الرواة لا نعرف أحدا مدح من لا يعرف غير أبي خراش

حمدت الهي بعد عروة اذ نجا * خراش وبعض الشر أهون من بعض

فوالله لا أنسى قتيلا رزئته * بجانب قوسى ما مشيت على الارض

بلى انها تعفو الكلوم وانما * نوكل بالادنى وان جل ما يمضي

ولم أدر من ألقى عليه رداءه * على انه قد سل من ماجد محض

(ولم يك مشلوج الفؤاد مهبجا * أضاع الشباب فى الربيلة والخفض
ولكنه قد لوحته مخامص * على أنه ذوم زة صادق النهض)
كأنهم يسعون فى اثر طائر * خفيف المشاش عظمه غير ذى نحض
يبادر جنح الليل فهو مهابذ * يحث الجناح بالتبسط والقبض

قوله فيح الاله وجوه قوم رضع فهو جماعة راضع وقوم يقولون هو توكيد للشيم كما يقولون جائع نائع وحسن بسن وعطشان نطشان وأجمع أكتع وقوم يقولون الراضع هو الذى يرتضع من الضرع لئلا يسمع الضيف او الجار صوت الحلب فيطلب منه وتصديق ذلك ما أنشدناه أبو عثمان عمرو بن بحر لرجل من الاعراب ينسب ابن عم الى اللؤم والتوحش

أحب شئ اليه أن يكون له * حلقوم واد له فى جوفه غار
لا تعرف الريح مساه ومصبحه * ولا يشب اذا أمسى له نار
لا يحلب الضرع لؤما فى الاناء ولا * يرى له فى نواحى الصحن آثار

وقوله كيف دليلالة فهى كثرة الدلالة والفعيلى انما تستعمل فى الكثرة يقال القتيتى لكثرة النميمة ويقال الهجيرى لكثرة الكلمة المترددة على لسان الرجل يقال ذلك هجيراى أى هو الذى يجرى على لسانى وفى الحديث كان هجيرى أبى بكر الصديق رحمه الله بلا اله الا الله ويقال كان بينهم رميا لكثرة الرمى وكذلك كل ما أشبه هذا وقوله بجانب قومى فهو بلد قحلة ثمالة بالسراة وقوله بلى انها تعفو الكلوم فهى الجراح والآثار التى تشبهها قال جرير

تلقى السليطى والابطال قد كلموا * وسط الرجال سليما غير مكلوم

وينشد وسط الرجال وتعفو تدرس وقوله عظمه غير ذى نحض النحض اللحم يقال يأكل نحضا ويروى الرجال عضا وقوله فهو مهابذ يقول مجتهد وهذيل فيها سعى شديد وفى جماعة من القبائل التى تحل بأكناف الحجاز ولقى الزبرقان بن بدر وهو قاصد بصدقات قومه الى أبى بكر

الصديق

الصديق رحمه الله الحطيئة في طريقه فقال له الزبرقان من أنت فقال انا أبو مليكة انا حسب موضوع فقال له الزبرقان اني أريد هذا الوجه وما لك منزل فامض الى منزلي بهذا السهم فسل عن القمر بن القمر وكن هناك حتى أعود اليك ففعل فأنزلوه وأكرموه فأقام فيهم فحسدهم عليه بنو عمهم من بني قريع وذلك أن الزبرقان من بني بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وحاسدوه بنو قريع بن عوف بن كعب بن سعد ولم يكن لعوف الاقريع وعطارد وبهدلة وكان الذين حسدوه منهم بنو لأي بن شماس بن أنف الناقة بن قريع فدسوا الى الحطيئة أن تحول الينا نعطك مائة ناقة ونشد كل طنب من أطناب بيتك بجلة بحونة قال فأنى لي بذلك قالوا انهم يريدون النجعة فاذا احتملوا فتخلف عنهم ثم دسوا الى امرأة الزبرقان من خبر بأن الزبرقان انما قدم هذا الشيخ ليتزوج ابنته فقدح ذلك في قلبها فلما تحمل القوم تخلف الحطيئة فاحتمله القريعيون فبنوا له ووفوا له فلما جاء الزبرقان صار اليهم فقال ردوا على جاري فقالوا ليس لك بجار وقد طرحته فذلك حيث يقول الحطيئة

وان التي نكبتها عن معاشر * على غضاب ان صددت كما صدوا
أتت آل شماس بن لأي وانما * أتاهم بها الأحلام والحسب العد
فان الشقي من تعادي صدورهم * وذا الجد من لانوا اليه ومن ودوا
يسوسون أحلاما بعيدا أناتها * وان غضبوا جاء الحفيظة والجد
أقلوا عليهم لا أبا لابيكم * من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها * وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وان قال مولاهم على جل حادث * من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا
وتعذلني أفناء سعد عليهم * وما قلت الا بالذي علمت سعد

قوله جلة بحونة أى ضخمة يقال ذلك للناقة والنخلة اذا استفحلت وطالت وقوله نكبت بها يقول عدلت بها وقوله والحسب العدّ معناه الجليل الكثير وأصل ذلك فى الماء يقال بئر عدٌّ اذا كانت ذات مادة من العيون لا تنقطع وكل ماء ثابت فهو عدٌّ وقوله يسوسون أحلاما بعيدا أناتها يقول تقال لا يبلغ آخرها وأصل الاناة من التأنى والانتظار فيقول لا يُبلغ آخرها تَسَفُّه وقوله أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البُنا وان شئت قلت البنا فهما مقصوران يقال بِنْيةٌ وبُنْيةٌ فجمع بِنية بِنًى وجمع بُنْية بُنًى فبنية وبنى ككسرة وكسر وبُنية وبُنى كظلمة وظُلَم فأما المصدر من بنيت فممدود يقال بنيته بناء حسنا وما أحسن بناءك وقوله وان عاهدوا أوفوا أوفى أحسن اللغتين يقال وفى وأوفى قال الشاعر بجمع اللغتين

أما ابن بيض فقد أوفى بذمته * كما وفى بقلاص النجم حاديها

وفى القرآن بلى من أوفى بعهده وقال الله تبارك وتعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وقال عز وجل والموفون بعهدهم اذا عاهدوا فهذا كله على أوفى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى من انه قتل مسلما بمعاهد وقال انا أولى من أوفى بذمته وقال السموأل فى اللغة الاخرى وفيت بأدرع الكندى انى * اذا ما عاهدت أقوام وفيت

وقال المكعبر الضبى (قال أبو الحسن حفظى المكعبر)

وفيت وفاء لم ير الناس مثله * بتعشار اذ تحبو الى الاكابر

وقوله وان كانت النعماء فيهم جزوا بها * وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا

يقول ما قال جرير مثله

وانى لأستحيى أخى أن أرى له * علىّ من الحق الذى لا يرى ليا

يقول استحيى ان أرى نعمته علىّ ولا يرى على نفسه لى مثلها وقوله على جُلّ حادث فهو الجليل من الامر يقال فلان يدعى للجلى قال طرفة * وان أدع للجلى أكن من حماتها *

وفيهم يقول الحطيئة

لقد مريتكم لو أن درتكم * يوما يجيء بها مسحي وإبساسي
لما بدا لي منكم غيب أنفسكم * ولم يكن لجراحي فيكم آسي
أزمعت يأسا مبينا من نوالكم * ولا ترى طاردا للحر كالياس
ما كان ذنب بغيض لا أبا لكم * في بائس جاء يحدو آخر الناس
جار لقوم أطالوا هون منزله * وغادروه مقيما بين أرماس
ملوا قراه وهرته كلابهم * وجرحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

قوله لقد مريتكم أصل المري المسح يقال مريت الناقة اذا مسحت ضرعها لتدر و يقال مرى الفرس والناقة اذا قام أحدهما على ثلاث ومسح الارض بيده الاخرى قال الشاعر

اذا حط عنها الرحل ألقت برأسها * الى شذب العيدان أو صفنت تمري

وهذا من أحسن أوصافها وقال بعض المحدثين يصف برذونا بحسن الأدب (الشعر لمحمد بن يزيد من ولد مسلمة بن عبد الملك يصف فرسه وقبله

عودته فيما أزور حبائبي * اهماله وكذاك كل مخاطر)
واذا احتبى قربوسه بعنانه * علك اللجام الى انصراف الزائر

ويقال مراه مائة سوط ومائة درهم اذا أوصل ذلك اليه ولمراه موضع آخر ومعناه مراه حقه اذا دفعه عنه ومنعه منه وقد قرئ أفتمرونه على ما يرى أي تدفعونه وعلى في موضع عن قال العامري (هو القحيف العقيلي)

اذا رضيت علي بنو قشير * لعمر الله أعجبني رضاها

وبنو كعب بن ربيعة بن عامر يقولون رضى الله عليك وأما الإبساس فان تدعو الناقة باسمها أو تلين لها الطريق الى الحلب بقول أو مسح أو ما أشبه ذلك فاذا كانت الناقة تدر على الدعاء والملق قيل ناقة بسوس وذلك من صفاتها فى حسن الخلق وقوله ولم يكن لجراحى فيكم آسى يقول مداو والآسي الطبيب قال الفرزدق يصف شجة

اذا نظر الآسون فيها تقلبت * حماليقهم من هول أنيابها العصل

والاساء الدوا ممدود قال الحطيئة

هم الآسون أم الرأس لما * تواكلها الأطبة والإساء

وأما الأسى فمقصور وهو الحزن من ذلك قول الله جل ثناؤه فلا تأس على القوم الكافرين وقال العجاج

ياصاح هل تعرف رسما مكرسا * قال نعم أعرفه وأبلسا

* وانحلبت عيناه من فرط الأسى *

فاذا قلت الأسى قصرت أيضا وهو جمع أسوة يقال فلان أسوتى وقدوتى قال الله جل وعز لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة والرمس التراب يقال رمس فلان فى قبره وأشعار الحطيئة فى هذا الباب كثيرة ولولا انها معروفة مشهورة لاتينا على آخرها ولكنا نذكر منها شيأ مختارا فمن ذلك قوله

جزى الله خيرا والجزاء بكفه * على خير ما يجزى الرجال بغيضا

فلو شاء اذ جئناه ضن فلم يلم * وصادف منا فى البلاد عريضا

(كذا وقعت الرواية منا والصواب منأى أى بعدا مأخوذ من نأيت اذا بعدت ومنه النأى)

يقول كثرت محاسنه حتى كذبت أمه فاستغنى عن ان يكثر مادحه ثقة بان هاجيه غير مصدق فاعتبر هذا الكلام فانك تجده رأسا فى بابه ومن ذلك قوله

وانى قد علقت بحبل قوم * أعانهم على الحسب الثراء

اذا نزل الشتاء بجار قوم * تجنب جار بيتهم الشتاء

هم الآسون أم الرأس لما * تواكلها الأطبة والإساء

ثم قال يخاطب الزبرقان ورهطه

ألم أك نائيا فدعوتمونى * فجاءبى المواعد والدعاء

فلما كنت جاركم أبيتم * وشر مواطن الحسب الاباء

ولما كنت جارهم حبونى * وفيكم كان لو شئتم حباء

فلما أن مدحت القوم قلتم * هجوت وهل يحل لى الهجاء

ولم أشتم لكم حسبا ولكن * حدوت بحيث يستمع الحداء

ويروى ان الحطيئة واسمه جرول بن أوس ويكنى أبا مليكة مر بحسان بن ثابت وهو ينشد

(ش أدخله سيبويه رحمه الله على أن الجفنات من الجمع الكثير)

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فالتفت اليه فقال كيف ترى فقال ما أرى بأسا فقال حسان انظروا الى الأعرابى يقول

ما أرى بأسا أبو من قال أبو مليكة قال حسان ما كنت على أهون منك حيث اكتنيت بامرأة

ما اسمك قال الحطيئة قال امض بسلام وكان الحطيئة فى حبس عمر بن الخطاب رحمه الله

باستدعاء الزبرقان عليه فى هذه القصة واعمر يقول

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ * حمر الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله يا عمر

أنت الامام الذى من بعد صاحبه * ألقت اليك مقاليد النهى البشر

ما آثروك بها اذ قدموك لها * لكن بك استأثروا اذ كانت الأثر

وروى عن أبي زيد الانصاري أنه قال ويروى الاثر والواحدة أثرة وأثرة ومعناه الاستئثار فرق له عمر فأخرجه فيروى أن عمر رحمه الله دعا بكرسي فجلس عليه ودعا بالحطيئة فأجلسه بين يديه ودعا باشفى وشفرة يوهمه أنه على قطع لسانه حتى ضج من ذلك فكان فيما قال له الحطيئة يا أمير المؤمنين اني والله قد هجوت أبي وأمي وهجوت امرأتي وهجوت نفسي فتبسم عمر رحمه الله ثم قال فما الذي قلت قال قلت لابي وأمي والمخاطبة للام

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني * وأبا بنيك فساءني في المجلس

وقلت لها

تنحي فاجلسي مني بعيدا * أراح الله منك العالمينا
أغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا

(قوله كانونا قيل الكانون النمام وقيل الثقيل وقيل الذي اذا دخل على القوم كنوا حديثهم منه وقيل هو المصطلي وقيل انه هو كانون النار لانه يؤذي ويحرق) وقلت لامرأتي

أطوف ما أطوف ثم آوي * الى بيت قعيدته لكاع

فقال له عمر رحمه الله فكيف هجوت نفسك فقال اطلعت في بئر فرأيت وجهي فاستقبحته فقلت

أبت شفتاي اليوم الا تكلما * بسوء فما أدري لمن أنا قائله
أرى لي وجها قبح الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

ونزل أعرابي من طيئ يقال له المثنى بن معروف بأبي جبر الفزاري فسمعه يوما يقول والله لوددت أني أبيت الليلة خاليا بابنة عبد الملك بن مروان فقال له المثنى أحلالا أم حراما فقال ما أبالي فوثب عليه فضرب رأسه برحالة ثم انتقل وهو يقول

أبلغ أمير المؤمنين رسالة * على النأي أني قد وترت أبا جبر
كسرت على اليافوخ منه رحالة * لنصر أمير المؤمنين وما يدري
على غير شئ غير أني سمعته * بني بنساء المسلمين بلا مهر

وروى أن الحجاج جلس لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقام رجل منهم فقال أصلح الله الامير ان لى عليك حقا قال وما حقك قال سبك عبد الرحمن يوما فرددت عليه قال من يعلم ذالك قال أنشد الله رجلا سمع ذالك الا شهد به فقام رجل من الأسراء فقال قد كان ذالك أيها الامير قال خلوا عنه ثم قال للشاهد فما منعك أن تنكر كما أنكر قال لقديم بغضى اياك قال ويخلى عنه لصدقه وقال عمر بن الخطاب لرجل وهو أبو مريم السلولى والله لا أحبك حتى تحب الارض الدم قال أفتمنعنى حقا قال لا قال فلا بأس انما يأسف على الحب النساء (وهم أبو العباس رحمه الله فى قوله أبو مريم السلولى انما هو أبو مريم الحنفى وكان سبب بغضه اياه أنه قتل أخاه زيد بن الخطاب وكان أبو مريم صاحب مسيلمة الكذاب واسم أبى مريم اياس بن صبيح ثقة كوفى واسم أبى مريم السلولى مالك بن ربيعة من الصحابة روى عنه ابنه يزيد وغيره) وقال الحجاج لرجل من الخوارج والله انى لأبغضكم فقال له الخارجى أدخل الله أشدنا بغضا لصاحبه الجنة وأتى الحجاج بامرأة من الخوارج فجعلت لا تنظر اليه وكان يزيد بن أبى مسلم يرى رأى الخوارج ويكتم ذالك فأقبل على المرأة فقال انظرى الى الامير فقالت لا أنظر الى من لا ينظر الله اليه فكلمها الحجاج وهى كالساهية فقال لها يزيد اسمعى ويلك من الامير فقالت بل الويل لك أيها الكافر الردى والردى عند الخوارج الذى له عقدهم ويظهر خلافه رغبة فى الدنيا وكان صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وصاحب دواوين العراق والذى قلب الدواوين الى العربية ثم كان على خراج العراق ايام ولى يزيد بن المهلب فأشجى يزيد وقد كان يرى رأى الخوارج فكايده يزيد بن ابى مسلم مولى الحجاج فأشار على الحجاج ان يأمره بقتل حواب الضبى وهو رأس من رؤس الخوارج وقال يزيد ان فعل برئت منه الخوارج وقتلته وان أمسك قتله الحجاج فقتله وخبرت أنه قال والله ما قتلته رغبة فى الحياة ولكنى خفت يسبى الحجاج بناتى وكان يقول انى حين أقتل خوابا لحريص على الدنيا فلما عذبه عمر

ابن هبيرة فى خلافة يزيد بن عاتكة رُمِىَ به على قُمامة وهو لمّا به فسمع بحكم عليها وحكم مالك بن المنذر بن الجارود وهو بآخر رمق فى سجن هشام بن عبد الملك ودخل يزيد بن أبى مسلم على سليمان بن عبد الملك وكان دميمًا فلما رآه قال قبح الله رجلا أجرّك رسنه وأشركك فى أمانته فقال له يزيد يا أمير المؤمنين رأيتنى والأمر لك وهو عنى مُدبر ولو رأيتنى والأمر علىّ مقبل لاستكبرت منى ما استصغرت واستعظمت منى ما استحقرت فقال أترى الحجاج استقر فى قعر الجحيم بعدُ فقال يا أمير المؤمنين لا تقل ذاك فان الحجاج وطّأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابر وهو يجىء يوم القيامة عن يمين أبيك وعن يسار أخيك فحيث كانا كان

٤٠ - باب

قال أبو العباس وهذا باب من تكاذيب الاعراب حدثنى أبو عمر الجرمىّ قال سألت أبا عبيدة عن قول الراجز

أهدموا بيتك لا أبا لكا * وأنا أمشى الدألى حوالكا

فقلت لمن هذا الشعر فقال هذا يقوله الضبُّ للحسل أيام كانت الاشياء تتكلم الدألى مشى كمشى الذئب يقال هو يدأل فى مشيه اذا مشى كمشية الذئب من ذلك قول امرئ القيس

* أقب حثيث الركض والدألان * ومن قال فى بيت ابن عنمة الضبى

(حضيبة رحلها بدن وسرج) * تعارضه مربّبة دؤول

فانما أراد هذا ومن قال ذؤول فانما أراد السرعة يقال مر يذأل اذا مر يسرع وقوله حوالكا يقال هو يطوف حواله وحوله وحواليه ومن قال حواليه بالكسر فقد أخطأ وفى القرآن نُودِىَ أن بُورِكَ من فى النار ومن حولها وحواليه تثنية حوال كما تقول حنانيه الواحد حنان قال الشاعر

فقالت حنان ما أتى بك هاهنا * أذو نسب أم أنت بالحى عارف

والحنان الرحمة قال الله عزّ وجلّ وحنانًا من لدنّا وقال الشاعر (وهو الحطيئة) لعمر بن الخطاب رحمه الله

تحنّن على هداك المليك * فانّ لكلّ مقام مقالا

وقال طرفة

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشرّ أهون من بعض

وحدثني غير واحد من أصحابنا قال قيل لرؤبة ما قولك

لو انّني عمّرت سنّ الحسل * أو عمر نوح زمن الفطحل

* والصخر مبتلّ كمثل الوحل *

ما زمن الفطحل قال أيام كانت السلام رطابًا قوله سنّ الحسل مثل تضرب به العرب في طول العمر (ذكر ابن جني أنّ الحسل يعيش ثلثمائة سنة) وأنشدني رجل من بني العنبر أعرابيّ فصيح لعبيد بن أيوب العنبري

كأنّي وليلى لم يكن حلّ أهلنا * بواد خصيب والسلام رطاب

وحدثني سليمان بن عبد الله عن أبي العيثل مولى العباس بن محمد قال تكاذب أعرابيان فقال أحدهما خرجت مرّة على فرس لي فاذا بظلمة شديدة فيممتها حتى وصلت اليها فاذا قطعة من الليل لم تنتبه فما زلت أحمل بفرسي عليها حتى أنبهتها فانجابت فقال الآخر لقد رميت ظبيًا مرّة بسهم فعدل الظبي يمنة فعدل السهم خلفه فتياسر الظبي فتياسر السهم خلفه ثم علا الظبي فعلا السهم خلفه فانحدر فانحدر عليه حتى أخذه وتزعم الرواة أنّ عروة بن عتبة ابن جعفر بن كلاب قال لابني الجون الكنديّين يوم جبلة انّ لي عليكما حقّا لرحلتي ووفادتي فدعوني أنذر قومي من موضعي هذا فقالوا شأنك فصرخ بقومه بعد أن قالا له شأنك فأسمعهم على مسيرة ليلة ويروى عن حمّاد الراوية قال قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها

أرأيت قول أبيك

بني عامر هل تعرفون اذا غدا * أبو مكنف قد شد عقد الدوابر

بجيش تضل البلق في حجراته * ترى الأكم منه سجدا للحوافر

وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى * كثير تواليه سريع البوادر

أبت عادة للورد أن يكره الوغى * وحاجة رمحي في نمير بن عامر

فقلت لابي أحضرت هذه الوقعة فقال نعم قلت فكم كانت خيلكم قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه قال فذكرت هذا لابن أبي بكر الهذلي فحدثني عن أبيه قال حضرت يوم جبلة قال وكان قد بلغ مائة سنة وكان قد أدرك أيام الحجاج قال فكانت الخيل في الفريقين مع ما كان مع ابني الجون ثلاثين فرسا قال فحدثت بهذا الحديث الخثعمي وكان راوية أهل الكوفة فحدثني ان خثعم قتلت رجلا من بني سليم بن منصور فقالت أخته ترثيه

لعمري وما عمري علي بهين * لنعم الفتى غادرتم آل خثعما

وكان اذا ما أورد الخيل بيشة * الى جنب أشراج أناخ فألجما

فأرسلها رهوا رعالا كأنها * جراد زهته ريح نجد فأتهما

فقيل لها كم كانت خيل أخيك فقالت اللهم انى لا أعرف الا فرسه قوله قد شد عقد الدوابر يريد عقد دوابر الدرع فان الفارس اذا حمى فعل ذلك وقوله تضل البلق في حجراته يقول لكثرته لا يرى فيه الأبلق والابلق مشهور المنظر لاختلاف لونيه من ذلك قوله

فلئن وقفت لتخطفنك رماحنا * ولئن هربت ليعرفن الابلق

وحجراته نواحيه وقوله ترى الاكم منه سجدا للحوافر يقول لكثرة الجيش تطحن الأكم حتى تلصقها بالارض وقوله كمثل الليل يقول كثرة فيكاد يسد سواده الأفق ولذلك يقال كتيبة خضراء أي سوداء وكانت كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هو فيها والمهاجرون

والانصار يقال لها الخضراء والمرتجس الذي يسمع صوته ولا يبين كلامه يقال ارتجس الرعد من هذا والوغى الاصوات والتوالي اللواحق يقال تلاه يتلوه اذا اتبعه وتلوت القرآن أي أتبعت بعضه بعضا والمتلية التي معها أولادها وقوله فأرسلها رهوا يقول ساكنة قال الله جل وعز واترك البحر رهوا ويقال عيش راه يا فتى أي ساكن ورعال جمع رعيل وهو ما تقدم من الخيل يقال جاء في الرعيل الاول قال عنترة

اذ لا أبادر في المضيق فوارسي * ولا أوكل بالرعيل الاول

وقوله زهته ريح نجد فإنهما يقول رفعته واستخفته قال ابن أبي ربيعة

فلما تواقفنا وسلمت أشرقت * وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

ومعنى أتهم أتى تهامة وزعم أبو عبيدة عمن حدثه أن بكر بن وائل أرادت الغارة على قبائل بني تميم فقالوا ان علم بنا السليك أنذرهم فبعثوا فارسين على جوادين بريغان السليك فبصرا به فقصداه وخرج يمحص كأنه ظبي فطارداه سحابة يومهما فقالا هذا النهار ولو جن عليه الليل لقد فتر فجدا في طلبه فاذا بأثره قد بال فرغا في الارض وخدها فقالا قاتله الله ما أشد متنيه ولعل هذا كان من أول الليل فلما امتد به الليل فتر فاتبعاه فاذا به قد عثر بأصل شجرة فندر سهمه فكان تلك وانكسرت قوسه فارتزت قصدة منها في الارض فنشبت فقالا قاتله الله والله لا نتبعه بعد هذا فرجعا عنه وأتم الى قومه (ش يروى أتم بألف وتم بغير ألف ونم بالنون ومعنى تم الى قومه أي نفذ) فانذرهم فلم يصدقوه لبعد الغاية ففي ذلك يقول

يكذبني العمران عمرو بن جندب * وعمرو بن كعب والمكذب أكذب

ثكلتكما ان لم أكن قد رأيتها * كراديس يهديها الى الحي موكب

كراديس فيها الحوفزان وحوله * فوارس همام متى يدع يركب

فصدقه قوم فنجوا وكذبه قوم فورد عليهم الجيش فاكتسحهم وحدثني التوزي قال سألته

أباعبيدة عن مثل هذه الاخبار من أخبار العرب فقال لي ان العجم تكذب فتقول كان رجل ثلثه من نحاس وثلثه من رصاص وثلثه من ثلج فتعارضها العرب بهذا وما أشبهه ومن ذلك قول مهلهل بن ربيعة

فلو نشر المقابر عن كليب * فتخبر بالذنائب أي زير
بيوم الشعثمين لقر عينا * وكيف لقاء من تحت القبور
كأنا غدوة وبني أبينا * بجنب عنيزة رحيا مدير
كأن رماحهم أشطان بئر * بعيد بين جاليها جرور
فلولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

(قال أبو الحسن يقال فلان زير نساء وطلب نساء وتبع نساء وخلب نساء اذا كان صاحب نساء وذلك أن مهلهلا كان صاحب نساء فكان كليب يقول ان مهلهلا زير نساء ولا يدرك بثار فلما أدرك مهلهل بثأر كليب قال أي زير فرفع أيا بالابتداء والخبر محذوف فكأنه قال أي زير أنا في هذا اليوم) قال أبو العباس وحدثني عمرو بن بحر قال أتيت أبا الربيع الغنوي وكان من أفصح الناس وأبلغهم ومعي رجل من بني هاشم فقلت أأبو الربيع ههنا فخرج الي وهو يقول خرج اليك رجل كريم فلما رأى الهاشمي استحيا من فخره بحضرته فقال أكرم الناس رديفا وأشرفهم حليفا فتحدثنا مليا ثم نهض الهاشمي فقلت لأبي الربيع يا أبا الربيع من خير الخلق فقال الناس والله فقلت من خير الناس قال العرب والله قلت فمن خير العرب قال مضر والله قلت فمن خير مضر قال قيس والله قلت فمن خير قيس قال يعصر والله قلت فمن خير يعصر قال غني والله قلت فمن خير غني قال المخاطب لك والله قلت أفأنت خير الناس قال نعم اي والله قلت أيسرك ان تحتك بنت يزيد بن المهلب قال لا والله قلت ولك ألف دينار قال لا والله قلت فألفا دينار قال لا والله قلت ولك الجنة فأطرق ثم قال على ان لا تلد مني وأنشد

تأبى لأعصر أعراقٌ مهذبةٌ * من أن تناسب قوماً غير أكفاء

فإن يكن ذاك حتماً لا مردَّ له * فاذكر حذيفة فإني غير أبّاء

قوله أكرم الناس رديفاً فإن أبا مرثد الغنوي كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وأشرفهم حليفاً كان أبو مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب وقوله فاذكر حذيفة أراد حذيفة بن بدر الفزاري وإنما ذكره من بين الأشراف لأنه أقربهم إليه نسباً وذلك أن يعصر ابن سعد بن قيس وهؤلاء بنو ذبيان بن غطفان بن سعد بن قيس وقد قال عيينة بن حصن يهجو ولد يعصر وهم غنيٌّ وباهلةُ والطفاوة

أباهل ما أدري أمن لؤم منصبي * أحسبكم أم بي جنونٌ وأولق

أسيد أخوالي ويعصر إخوتي * فمن ذا الذي مني مع اللؤم أحمق

فقال الباهلي يجيبه

وكيف تحبّ الدهر قوماً هم الأولى * نواصيكم في سالف الدهر حلّقوا

ألست فزاريّاً عليك غضاضةٌ * وإن كنت كنديّاً فإنك ملصق

وتحدّث الرواة بأن الحجاج رأى محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي وكان ينسب بزينب بنت يوسف فارتاع من نظر الحجاج فدعا به فلما عرفه قال مبتدئاً

هاك يدي ضاقت بي الأرض رحبها * وإن كنت قد طوّفت كلّ مكان

ولو كنت بالعنقاء أو بيسومها * لخلتك إلا أن تصدّ تراني

ثم قال والله إن قلت الأخير إلا ما قلت

يخبّئن أطراف البنان من التقى * ويخرجن جنح الليل معتجرات

قال أجل ولكن أخبرني عن قولك

ولما رأت ركب النميري أعرضت * وكنّ من أن يلقينه حذرات

في كم كنت قال والله ان كنت الا على حمار هزيل ومعي رفيق على أتان مثله ومن ذلك ما يحكون في خبر لقمان بن عاد فانهم يصفون أن جارية له سئلت عما بقي من بصره لدخوله في السن فقالت والله لقد ضعف بصره ولقد بقيت منه بقية انه ليفصل بين أثر الانثى والذكر من الذر اذا دب على الصفا في أشياء نشاكل هذا من الكذب وحدثت أن امرأة عمران ابن حطان السدوسي قالت له أما حلفت أنك لا تكذب في شعر فقال لها أوكان ذاك قالت نعم قلت

فكذاك مجزأة بن ثو * ر كان أشجع من أسامه

أيكون رجل أشجع من أسد فقال لها ما رأيت أسدا فتح مدينة قط ومجزأة بن ثور قد فتح مدينة (مجزأة بن ثور جعل له عمر رحمه الله رئاسة بكر فلما أسن فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه ذلك مع ابنه شقيق بن مجزأة وقتل رحمه الله على تستر هو والبراء بن مالك وكانا من أبطال المسلمين) ومر عمران بن حطان بالفرزدق وهو ينشد فوقف عليه فقال

أيها المادح العباد ليعطى * ان لله ما بأيدي العباد

فاسأل الله ما طلبت اليهم * وارج فضل المقسم العواد

لا تقل للجواد ما ليس فيه * وتسم البخيل باسم الجواد

وأنشد في الحسن بن رجاء لرجل من المحدثين لم يسمه (وهو بكر بن النطاح في أبي دلف)

أبا دلف يا أكذب الناس كلهم * سواي فاني في مديحك أكذب

وأنشد في آخر لرجل من المحدثين (أيضا قال أبو الحسن هو بكر بن النطاح)

اني امتدحتك كاذبا فأثبتني * لما امتدحتك ما يثاب الكاذب

قال الاصمعي قلت لاعرابي كنت أعرفه بالكذب أصدقت قط قال لولا اني أخاف أن أصدق في هذا القلت لك وتحدثوا من غير وجه أن عمرو بن معدي كرب كان معروفا بالكذب وقيل لخلف الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان عمرو بن معدي كرب يكذب فقال كان يكذب

في المقال ويصدق في الفعال وذكروا من غير وجه أن أهل الكوفة من الاشراف كانوا يظهرون بالكناسة فيتحدثون على دوابهم الى أن يطردهم حر الشمس فوقف عمرو بن معدي كرب وخالد بن الصقعب النهدي فأقبل عمرو يحدثه فقال أغرنا مرة على بني نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصقعب فحملت عليه فطعنته فأذريته ثم ملت عليه بالصمصامة وأخذت رأسه فقال له خالد حلاً أبا ثور ان قتيلك هو المحدث فقال يا هذا اذا حدثت فاستمع فانما نتحدث بمثل ما تسمع لنرهب به هذه المعدية قوله مسترعفين يقول مقدمين له يقال جاء فلان يرعف الجيش ويؤم الجيش اذا جاء متقدما لهم ويقال في الرعاف رعف يرعف لا يقال غير رعف ويجوز يرعف من أجل العين وليس من الوجه وسنذكر هذا الباب بعد انقضاء هذه الاخبار ان شاء الله وقوله حلاً أبا ثور يقول استثن يقال حلف ولم يتحلل أي لم يستثن وخبرت أن قاصا كان يكثر الحديث عن هرم بن حيان (الهرم الضب يقال انه في الشتاء يأكل حسوله ولا يخرج قال الشاعر * كما أكب على ذي بطنه الهرم * قيل ان هرم بن حيان حملته أمه أربع سنين ولذلك سمي هرما) فاتفق هرم معه في مسجد وهو يقول حدثنا هرم بن حيان مرة بعد مرة باشياء لا يعرفها هرم فقال له يا هذا أتعرفني أنا هرم ابن حيان ما حدثتك من هذا بشيء قط فقال له القاص وهذا أيضا من عجائبك انه ليصلي معنا في مسجدنا خمسة عشر رجلا اسم كل رجل منهم هرم بن حيان كيف توهمت أنه ليس في الدنيا هرم بن حيان غيرك وكان بالرقة قاص يكنى أبا عقيل يكثر التحدث عن بني اسرائيل فيظن به الكذب فقال له يوما الحجاج بن خنثمة ما كان اسم بقرة بني اسرائيل قال حنتمة فقال له رجل من ولد أبي موسى الاشعري في أي الكتب وجدت هذا قال في كتاب عمرو بن العاص وقال القيني أنا أصدق في صغير ما يضرني ليجوز كذبي في كبير ما ينفعني وأنشد المازني للأعشى وليس مما روت الرواة متصلا بقصيدة

فصدقتهم وكذبتهم * والمرء ينفعه كذابه

و يروى أن رجلا وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله فكذبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أأسألك فتكذبني لولا سخاء فيك ومقك الله عليه لشردت بك من وافد قوم معنى ومقك أحبك يقال ومقته أمقه وهو على فعلت أفعل ونظيره من هذا المثل ورم يرم وولي يلي وكذلك وسع يسع كانت السين مكسورة وانما فتحت للعين ولو كان أصلها الفتح لظهرت الواو نحو وجل يوجل ووحل يوحل والمصدر مقة كقولك وعد يعد عدة ووجد يجد جدة و يروى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم قال يارسول الله انما أوخذ من الذنوب بما ظهر وأنا أستسر بخلال أربع الزنا والسرق وشرب الخمر والكذب فأيهن أحببت تركت لك سرا فقال رسول الله دع الكذب فلما ولى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هم بالزنا فقال يسألني رسول الله فان جحدت نقضت ما جعلت له وان أقررت حددت فلم يزن ثم هم بالسرق ثم هم بشرب الخمر ففكر في مثل ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله قد تركتهن جمع وشهد أعرابي عند معاوية بشهادة فقال له معاوية كذبت فقال له الاعرابي الكاذب متزمل في ثيابك فقال معاوية هذا جزاء من عجل وقال معاوية يوما للاحنف وحدثه حديثا أتكذب فقال والله ما كذبت مذ علمت أن الكذب يشين أهله ودخل عبد الله بن الزبير يوما على معاوية فقال اسمع أبياتا قلتهن وكان واجدا عليه فقال معاوية هات فأنشده

اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل

ويركب حد السيف من أن تضيمه * اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

فقال له معاوية لقد شعرت بعدنا يا أبا بكر ثم لم ينشب معاوية أن دخل عليه معن بن أوس المزني فقال له أقلت بعدنا شيأ قال نعم يا أمير المؤمنين فأنشده

لعمرك ما أدرى وانى لأوجل * على اينا تغدو المنية أول

حتى صار الى الأبيات التى أنشدها ابن الزبير فقال له معاوية يا أبا بكر أما ذكرت آنفا ان هذا الشعر لك قال أنا أصلحت معانيه وهو ألف الشعر وهو بعد ظئرى فما قال من شئ فهو لى وكان عبد الله بن الزبير مسترضعا فى مزينة وحدثت ان عمر بن عبد العزيز كتب فى اشخاص اياس ابن معاوية المزنى وعدى بن ارطاة الفزارى أمير البصرة وقاضيها يومئذ فصار اليه عدى فقرب ان عمزنه عند الخليفة فقال يا أباوا ثلة ان لنا حقا ورحما فقال اياس أعلى الكذب تريدنى والله ما يسرنى أنى كذبت كذبة يغفرها الله لى ولا يطلع عليها الا هذا وأومأ الى أبيه ولى ما طلعت عليه الشمس (قال أبو الحسن التمز بن المدخ ولم أسمع هذه اللفظة الا من أبى العباس وهى عندى مشتقة من المازن وهو النمل وبهذا سميت مازن كأنه أراد منه أن يكثره وبروى يكثره قال القتبى المازن بيض النمل قال الشيخ قوله ان عمزنه عند الخليفة أى كأنه يجعله سيد مزينة لأنه كان مزنيا والصواب عمزره قال الموصلى

* وانى مع ذا الشيب حلو مزير * ولم يكن فى القضاة وانما كان أميرا على البصرة ان مات عمروا كتب عمر الى عدى اجمع ناسا من قبلك وشاورهم فى اياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة واستقض أحدهما فولى عدى اياسا) وبروى أن أخا اياس صار الى ابن هبيرة فقال طرقنى اللصوص فخار بتهم فهزمتهم وظفرت منهم بهذا المغول فجعله ابن هبيرة تحت مصلاه ثم بعث الى الصياقلة فاحضرهم فقال أيعرف منكم الرجل عمله قالوا نعم فاخرج المغول فقال من عمل أيكم هذا فقال قائل منهم انا عملت هذا واشتراه منى هذا أمس (المغول سيف صغير)

كذا بالاصل الاصل فى الموضعين

(٤١) ﴿باب ما يجوز فيه يفعل فيما ماضيه فعل مفتوح العين﴾

اعلم ان كل فعل على فعل فهو غير متعد الى مفعول لانه فعل الفاعل فى نفسه وتأويله

الانتقال وذلك قولك كرم عبد الله وظرف عبد الله وتأويل قولى الانتقال انما هو انتقال من حال الى حال تقول ما كان كريما ولقد كرم وما كان شريفا ولقد شرف فهذا تأويله فاما قولهم كدت أكاد فانما كدت معترضة على أكاد وما كان من فعل الصحيح فانه يفعل نحو شرب يشرب وعلم وفرق ويكون متعديا وغير متعد تقول حذرت زيدا وعلمت عبد الله ويكون فيه مثل سمنت وبخلت غير متعد وكله على يفعل نحو يسمن ويبخل ويعلم ويطرب فاما قولهم فى الاربعة من الافعال يحسب وينئس وينعم وييبس فهى معترضة على يفعل تقول فى جميعها يحسب وينعم وينئس وييئس وما كان على فعل فبابه يفعل ويفعل نحو قتل يقتل وضرب يضرب وقعد يقعد وجلس يجلس فقد أنبأتك انه يكون متعديا وغير متعد فاما أبى ويقلى فلهما علة تبين عند ما أذكره لك ان شاء الله ولا يكون فعل يفعل الا أن يكون يعرض له حرف من حروف الحلق الستة فى موضع العين أو موضع اللام فان كان ذلك الحرف عينا فتح نفسه وان كان لاما فتح العين وحروف الحلق الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء وذلك قولهم قرأ يقرأ قرآ يا فتى وقراءة وسأل يسأل وجبه يجبه وذهب يذهب وتقول صنع يصنع وطعن يطعن وضج يضج وكذلك فرغ يفرغ وسلخ يسلخ وقد يجوز ان يجىء الحرف على أصله وفيه أحد الستة يجوز زأر يزئر وفرغ يفرغ وصبغ يصبغ الا ان الفتح لا يكون فيما ماضيه فعل الا واحد هذه الحروف فيه وأما أبى فله علة وأما يقلى فليس يثبت وسيبويه يذهب فى يأبى الى انه انما انفتح من أجل ان الهمزة فى موضع فائه والقول عندى على ما شرحت لك من انه اذا فتح حدث فيه حرف من حروف الحلق فانما انفتح لانه يصير الى الالف وهى من حروف الحلق ولكن لم نذكرها الانها لا تكون أصلا انما تكون زائدة أو بدلا ولا تكون متحركة فانما هى حرف ساكن ولا يعتمد اللسان به على موضع فهذا الذى ذكرت لك من أن يسع ويطأ أحدهما فعل يفعل فى المعتل كحسب يحسب من

الصحيح ولكن فتحتهما العين والهمزة كما تقول ولغ الكلب يلغ والاصل يلغ فحرف الحلق فتحه

٤٢ - باب

روى عن علىّ بن أبى طالب رحمه الله عليه انه افتقد عبدَ الله بن العباس رحمه الله فقال ما بالُ أبى العباس لم يحضر فقالوا وُلِدَ له مولودٌ فلما صلى علىّ رحمه الله قال امضوا بنا اليه فأتاه فهنّأه فقال شكرتَ الواهبَ وبُورِكَ لك فى الموهوب ما سميته قال أوَ يجوز لى ان أسميه حتى تُسَميه فأمر به فأُخرِجَ اليه فاخذه وحنّكه ودعا له ثم رده اليه وقال خذه اليك أبا الأملاك قد سميته عليا وكنّيتُه أبا الحسن فلما قام معاوية قال لابن عباس ليس لكم اسمه وكنيته قد كنيته أبا محمد فجرتْ عليه وكان علىٌّ سيدا شريفا بليغا وكان له خمسمائة أصل زيتون يصلى فى كل يوم الى كل أصل ركعتين فكان يُدعَى ذا الثفنات وضُرِبَ بالسوط مرتين كلتاهما ضربه الوليد احداهما فى تَزَوُّجه لُبابةَ بنت عبد الله بن جعفر وكانت عند عبد الملك فعض تفاحة ثم رمى بها اليها وكان أبخر فدعت بسكّين فقال ما تصنعين به قالت أُميطُ عنها الأذى فطلقها فتزوجها علىُّ بن عبد الله فضربه الوليد وقال انما تتزوج بأمّهات الخلفاء لتضع منهم لان مروان بن الحكم تزوج أمّ خالد بن يزيد بن معاوية ليضع منه فقال على بن عبد الله انما أرادت الخروج من هذه البلدة وأنا ابنُ عمها فتزوجتها لاكون لها محرما وأما ضربه اياه فى المرة الثانية فانا رويه من غير وجه ومن أتم ذلك ما حدّثنيه أبو عبد الله محمد بن شُجاع البلخىُّ (هو محمد بن شجاع الثلجى كذا صوابه) فى اسناد له متصل لست أحفظه يقول فى آخر ذلك الاسناد رأيت عليا مضروبا بالسوط يُدارُ به على بعير ووجهه مما يلى ذَنَبَ البعير وصائحٌ يصيحُ عليه هذا علىُّ بن عبد الله الكذاب قال فأتيته فقلتُ ما هذا الذى نسبوكَ فيه الى الكذب قال بلغهم قولى ان هذا الامر سيكون فى ولدى والله ليكوننّ فيهم حتى تملكهم عبيدُهم الصغار

العيون العراض الوجوه الذين كان وجوههم المجان المطرقة ومع هذا الحديث آخر فى شبيه باسناده أن على بن عبد الله دخل على سليمان بن عبد الملك ومعه ابنا ابنه الخليفتان أبو العباس وأبو جعفر قال أبو العباس وهذا غلط لما اذكره لك انما ينبغى أن يكون دخل على هشام فأوسع له على سريره وسأله عن حاجته فقال ثلاثون ألف درهم على دين فأمر بقضائها قال له وتستوصى بابنى هذين خيرا فقعل فشكره وقال وصلتك رحم فلما ولى على قال الخليفة لاصحابه ان هذا الشيخ قد اختل وأسن وخلط فصار يقول ان هذا الامر سينتقل الى ولده فسمع ذلك على فالتفت اليه فقال والله ليكونن ذلك وليملكن هذان قال أبو العباس أما قولى ان الخليفة فى ذلك الوقت لم يكن سليمان فلان محمد بن على بن عبد الله كان يمتنع من تزوج الحارثية للحديث المروى فلما قام عمر بن عبد العزيز جاءه محمد فقال له انى أردت أن أتزوج بنت خالى من بنى الحرث بن كعب أفتأذن لى فقال عمر تزوج رحمك الله من أحببت فتزوجها فأولدها أبا العباس أمير المؤمنين وعمر بعد سليمان فلا ينبغى أن يكون تهيأ له أن يدخل على خليفة حتى يترعرع (ش كذا وقع فى الام والرواية والصحيح لهما أن يدخلا على خليفة حتى يترعرعا) فلا يتم مثل هذا الا فى أيام هشام وكان عبد الملك يكرم عليا ويقدمه فحدثنى التوزى قال قال على بن عبد الله سايرت يوما عبد الملك فما جاوزنا الا يسيرا حتى لقيه الحجاج فادماعليه فلما رآه ترجل ومشى بين يديه فغضب عبد الملك فأسرع الحجاج فزاد عبد الملك فهرول الحجاج فقلت لعبد الملك أبك موجدة على هذا فقال لا ولكنه رفع من نفسه فأحببت أن أغض منه وحدثنى جعفر بن عيسى بن جعفر الهاشمى قال حضر على عبد الملك وقد أهدى له من خراسان جارية وفص وسيف فقال يا أبا محمد ان حاضر الهدية شريك فيها فاختر من الثلاثة واحدا فاختار الجارية وكانت تسمى سعدى وهى من سبى الصغد من رهط عجيف بن عنبسة فأولدها سليمان وصالحا ابنى على وذكر جعفر بن عيسى أنه لما أولدها

سليمان اجتنبت فراشه فمرض سليمان من جدري فخرج عليه فانصرف علي من مصلاه فاذا بها على فراشه فقال مرحبا بك يا أم سليمان فوقع بها فأولدها صالحا فاجتنبت بعد فسألها عن ذلك فقالت خفت أن يموت سليمان فينقطع النسب بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فالآن اذ ولدت صالحا فبالحري ان ذهب أحدهما أن يبقى الآخر وليس مثلي اليوم من وطئه الرجال وزعم جعفر أنه كانت فيها رتة والرتة تعذر الكلام اذا أراده الرجل فهي الآن معروفة في ولد سليمان وولد صالح وكان علي يقول أكره أن أوصي الى محمد وكان سيد ولده تخوفا من أن أشينه بالوصية فأوصى الى سليمان فلما دفن علي جاء محمد الى سعدى فقال أخرجي الي وصية أبي فقالت ان أباك أجل من أن تخرج وصيته ليلا ولكنها تأتيك غدا فلما أصبح غدا بها عليه سليمان فقال يا أبي ويا أخي هذه وصية أبيك فقال محمد جزاك الله من ابن وأخ خيرا ما كنت لأثرب على أبي بعد موته كما لم أثرب عليه في حياته قال أبو العباس التمتمة التردد في التاء والفأفأة التردد في الفاء والعقلة التواء اللسان عند ارادة الكلام والحبسة تعذر الكلام عند ارادته واللفف ادخال حرف في حرف والرتة كالرتج تمنع أول الكلام فاذا جاء منه شيء اتصل والغمغمة أن تسمع الصوت ولا يتبين لك تقطيع الحروف والطمطمة أن يكون الكلام مشبها الكلام العجم واللكنة أن تعترض على الكلام اللغة الأعجمية وسنفسر هذا بحجته حرفا حرفا وما قيل فيه ان شاء الله واللثغة أن يعدل بحرف الى حرف والغنة أن يشرب الحرف صوت الخيشوم والخنة أشد منها والترخيم حذف الكلام يقال رجل فأفاء يا فتى تقديره فاعال ونظيره من الكلام ساباط وخاتام قال الراجز

يا مي ذات الجورب المنشق * أخذت خاتامي بغير حق

(كذا ذكره أبو العباس بغير همز الألف الأولى والصحيح أنه بالهمز على فعلال مثل تضحضاح وقمقام فالذي حكى أبو العباس غلط لأن سيبويه رحمه الله قال ليس في الصفات

فاعال قال أبو الحسن يقال خاتم على وزن دانق وخاتم على وزن ضارب وخيتام على وزن ديان وخاتام على وزن ساباط) وقال ربيعة الرقى فى مدحه يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب وربيعة احتج به الاصمعى وذمه يزيد بن أسيد السلمى

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم

فهم الفتى الازدى اتلاف ماله * وهم الفتى القيسى جمع الدراهم

فلا يحسب التمتام أنى هجوته * ولكننى فضلت أهل المكارم

وقال آخر أيضا

ليس بفأفاء ولا تمتام * ولا كثير سقط الكلام

وقال الشاعر

وقد تعتريه عقلة فى لسانه * اذا هز نصل السيف غير قريب

وزعم عمرو بن بحر الجاحظ عن محمد بن الجهم قال أقبلت على الفكر فى أيام محاربة الزط فاعترتنى حبسة فى لسانى وهذا يكون لان اللسان يحتاج الى التمرين على القول حتى يخف له كما تحتاج اليد الى التمرين على العمل والرجل الى التمرين على المشى وكما يعانيه موتر القوس ورافع الحجر ليصلب ويشتد قال الراجز

كأن فيه لففا اذا نطق * من طول تحبيس وهم وأرق

وقال ابن المقفع اذا كثر تقليب اللسان رقت جوانبه ولانت عذبته وقال العتابى اذا حبس اللسان عن الاستعمال اشتدت عليه مخارج الحروف واما الرتة فانها تكون غريزة قال الراجز * يا أيها المخلط الارت * ويقال انها تكثر فى الاشراف ولم توجد تختص واحدا دون واحد واما الغمغمة فقد تكون من الكلام وغيره لانه صوت لا يفهم تقطيع حروفه وحدثنى من لا أحصى من أصحابنا عن الاصمعى عن شعبة عن قتادة قال قال معاوية يوما من أفصح الناس

فقام رجل من السماط فقال قوم تباعدوا عن فراتية العراق وتيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير فقال له معاوية من أولئك فقال قومي يا أمير المؤمنين فقال له معاوية من أنت قال أنا رجل من جرم قال الاصمعي وجرم من فصحاء الناس قوله تيامنوا عن كشكشة تميم فان بني عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شينا لقرب الشين من الكاف في المخرج وأنها مهموسة مثلها فأرادوا البيان في الوقف لان في الشين تفشيا فيقولون للمرأة جعل الله لك البركة في دارش ويحك مالش والتي يدرجونها يدعونها كافا والتي يقفون عليها يبدلونها شينا وأما بكر فتختلف في الكسكسة فقوم منهم يبدلون من الكاف سينا كما يفعل التميميون في الشين وهم أقلهم وقوم يبينون حركة كاف المؤنث في الوقف بالسين فيزيدونها بعدها فيقولون أعطيتكس وأما الغمغمة فاذ كرت لك وقال الهارب لامرأته يوم الخندمة وذلك أنها نظرت اليه يحد حربة في يوم فتح مكة فقالت ما تصنع بهذه قال أعددتها لمحمد وأصحابه فقالت والله ان أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء فقال لها اني لأرجو أن أخدمك بعضهم وأنشأ يقول (الهارب هو أبو عثمان الهذلي ويقال له الرعاش ويقال ان الرجز المذكور بعد هذا لحماس بن قيس أخي بني بكر بن عبد مناة أنشده له أبو اسحق والخندمة جبل دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وقيل الخندمة مشى فيه اسراع فأضيف الى اليوم لما كثر فيه)

ان تقبلوا اليوم فما بي علة * هذا سلاح كامل وألة

* وذو غرارين سريع السلة *

الألة الحربة والغرار ههنا الحد يعني بذي غرارين السيف فلما لقيهم خالد يوم الخندمة انهزم الرجل فلامته امرأته فقال

انك لو شهدت يوم الخندمة * اذ فر صفوان وفر عكرمة

وخفقنا بالسيوف المسلمه * يتلقين كل ساعد وجمجمه

ضربا ولا تسمع الا غمغمه * لهم نهيت حولنا وحمحمه

* لم تنطق في اللوم أدنى كلمه *

وأما الطمطمانية ففيها يقول عنترة

تبري له حول النعام كأنها * حزق يمانية لأعجم طمطم

وكان صهيب أبو يحيى صاحب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يرتضخ لكنة رومية ويذكرون أن نسبه في النمر بن قاسط صحيح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبشة وقال عمر لصهيب في قوله انه من النمر بن قاسط قد سمعت ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن انتمى الى غير نسبه فقال صهيب أنا من القوم ولكن وقع علي سبأ وكان عبد بني الحسحاس يرتضخ لكنة حبشية فلما أنشد عمر بن الخطاب

عميرة ودع ان تجهزت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال عمر لو كنت قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك فقال ما سعرت يريد ما شعرت وكان عبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية وانما أتته من قبل زوج أمه شيرويه الاسواري وقال ان عليا عليه السلام عاد زيادا في منزل شيرويه فقال عبيد الله يوما لرجل كلمه فطن به ورأى انه خوارج (الرجل الذي كلمه عبيد الله بن زياد وظن أنه من الخوارج هانئ بن قبيصه) أهروري منذ اليوم يريد أحروري وهذه الحاء تشترك في قلبها من الحاء أصناف من العجم وكان زياد الأعجم وهو رجل من عبد القيس يرتضخ لكنة أعجمية يذهب فيها الى مذهب قوم من النبط ... أنشد المهلب بن أبي صفرة في مدحه اياه

فتى زاده السلطان في الود رفعة * اذا غير السلطان كل خليل

يريد السلطان وذلك أن بين التاء والطاء نسبا فلذلك قلبها تاء لان التاء من مخرج الطاء فقال السلتان واما الغنة فتستحسن من الجارية الحديثة السن لانها مالم تفرط تميل الى ضرب من النغمة قال ابن الرقاع العاملي يصف الظبية وولدها

تزجي أغن كأن ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

٤٣ - باب

قال محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي

لم ترعيني مثل سرب رأيته * خرجن من التنعيم معتجرات

مررن بفخ ثم رحن عشية * يلبين للرحمن مؤتجرات

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت * به زينب في نسوة عطرات

وقامت ترائي يوم جمع فأفتنت * برؤيتها من راح من عرفات

ولما رأت ركب النميري أعرضت * وكن من ان يلقينه حذرات

دعت نسوة شم العرانين بدنا * نواعم لا شعثا ولا غبرات

(ويروى ولا غفرات بالفاء أخت القاف من الغفر وهو الشعر الذي ينبت في الحيين يقال غفرت المرأة اذا نبت لها ذلك الشعر)

فأدنين لما قمن يحجبن دونها * حجابا من القسي والحبرات

أحل الذي فوق السموات عرشه * أوانس بالبطحاء معتمرات

يخبئن أطراف البنان من التقى * ويخرجن جنح الليل معتجرات

قوله مثل سرب رأيته هو القطعة من النساء أو من الظباء أو من البقر او من الطير كما قال

لم ترعيني مثل سرب رأيته * خرجن علينا من زقاق ابن واقف

فهذا يعني نساء (القطيع من السباع يقال له سرب قاله ابن جني وكذلك من الماشية كلها)

ويقال مرت بنا سربة من الطير في هذا المعنى قال ذو الرمة

سوى ما أصاب الذئب منه وسربة * أطافت به من أمهات الجوازل

ويقال فلان واسع السرب يعني بذلك الصدر ويقال خل لفلان سربه أي طريقه الذي يسرب فيه ويقال للابل كذلك بالفتح لا ذعرت سربك ويقال حذرات وحذرات ويقظ ويقظ قال ابن أحمر

هل ينسئن يومي الى غيره * أني حوالي وأني حذر

وقوله وكن من ان يلقينه حذرات الاصل من أن يلقينه ولكن الهمزة اذا خففت وقبلها ساكن ليس من حروف اللين الزوائد فتخفيفها متصلة كانت أو منفصلة أن تلقي حركتها على ما قبلها وتحذفها تقول من ابوك فتفتح النون وتحذف الهمزة ومن اخوانك ومن ام زيد فتضم النون وتكسرها وتفتحها على ما ذكرت لك وتقول الذي يخرج الخب في السموات وفلان له هيئة وهذه مرأة اذا خففت الهمزة في الخبء والهيئة والمرأة وعلى هذا قوله تعالى سل بني اسرائيل لانها كانت اسئل فلما حركت السين بحركة الهمزة سقطت ألف الوصل لتحرك ما بعدها وانما كان التخفيف في هذا الموضع بحذف الهمزة لان الهمزة اذا خففت قربت من الساكن والدليل على ذلك أنها لا تبتدأ الا محققة كما لا يبتدأ الا بمتحرك فلما التقى الساكن وحروف تجري مجرى الساكن حذفت المعتل منها كما تحذف لالتقاء الساكنين وقوله دعت نسوة شم العرانين فالشماء السابغة الانف والمصدر الشمم وقال أحد الشعراء يمدح قثم بن العباس

نجوت من حل ومن رحلة * يا ناق ان قربتني من قثم

انك ان قربتنيه غدا * عاش لنا اليسر ومات العدم

في باعه طول وفي وجهه * نور وفي العرنين منه شمم

لم يذر مالا وبلى قد درى * فعافها واعتاض منها انم

(قال أبو الحسن أنشدنيه أبي لسليمان بن قتة وزادني

أصم عن ذكر الخنا سمعه * وما عن الخير به من صمم)

والعرنين والمرسن والانف واحد لما يحيط بالجسم والبدن واحدها بادن كقولك شاهد وشهد وضامر وضمر وهو العظيم البدن يقال بدن فلان اذا كثر لحمه وبدن اذا أسن وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد بدنت فلا تسبقوني بالركوع والسجود (من رواه بدنت بضم الدال فقد أخطأ لان بدن بمعنى ضخم ولم يكن صفته عليه السلام أنه ضخم الجسم ولكنه الرجل بين الرجلين ومعنى بدن بالتشديد أسن) والاشعث والشعثاء الخاليان من الدهن وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل

من كان حين تمس الشمس جبهته * أو الغبار يخاف الشين والشعثا

ويألف الظل كي تبقى بشاشته * فسوف يسكن يوما راغما جدثا

(قال أبو الحسن وزادني أبي

في بطن مظلمة غبراء مقفرة * كيما يطيل بها في بطنها اللبثا

تجهزي بجهاز تبلغين به * يا نفس واقتصدي لم تخلقي عبثا)

وقال عمر بن أبي ربيعة ونظر الى أم عمر بنت مروان بن الحكم وكانت صارت اليه متنكرة فرأته وقضت من محادثته وطرا ثم انصرفت فلما رجعت من مني عرفها فعلمت ذلك فبعثت اليه لا ترفع بي صوتا وأهدت له ألف دينار فاشترى بها عطرا وبزا وأهداه لها فأبت أن تقبله فقال اذا والله أنهبه فيكون أذيع له فقبلته وفي ذلك يقول

وكم من قتيل لا يباء به دم * ومن غلق رهنا اذا ضمه منى

وكم مالئ عينيه من شيء غيره * اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

يجررن أذيال المروط بأسوق * خدال اذا ولين أعجازها روى

أوانس يسلبن الحليم فؤاده * فياطول ما حزن ويا حسن مجتلى

فلم أر كالتجمير منظر ناظر * ولا كليالي الحج أفتن ذا هوى

وفيها أيضا يقول

أيها الرائح المجد ابتكارا * قد قضى من تهامة الاوطارا

ليت ذا الحج كان حتما علينا * كل شهرين حجة واعتمارا

قوله وكم من قتيل لا يباء به دم يقول لا يقاد به قاتله وأصل هذا انه يقال أبات فلانا بفلان فباء به اذا اقتلته به ولا يكاد يستعمل هذا الا والثاني كفء للاول فمن ذلك قول مهلهل بن ربيعة حيث قتل بجير بن الحرث بن عباد فقيل للحرث ولم يكن دخل في حربهم ان ابنك قتل فقال ان ابني لأعظم قتيل بركة اذ أصلح الله به بين ابني وائل فقيل له انه لما قتل قال مهلهل بؤ بشسع نعل كليب فعند ذلك أدخل الحرث يده في الحرب وقال

قربا مربط النعامة مني * لقحت حرب وائل عن حيال

لا بجير أغنى قتيلا ولا رهط * كليب تزاجروا عن ضلال

لم أكن من جناتها علم الله * واني بحرها اليوم صالي

وقالت ليلى الاخيلية

فان تكن القتلى بواء فانكم * فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر

وقال عمرو بن حيي التغلبي

ألا تنتهي عنا ملوك وتتقي * محارمنا لا يبوء الدم بالدم

ويقال باء فلان بذنبه أي بخع به وأقر قال الفرزدق لمعاوية

فلو كان هذا الحكم في غير ملككم * لبؤت به أو غص بالماء شاربه

ويقال باء فلان بالشيء من قول أو فعل أي احتمله فصار عليه وقال المفسرون في قول الله جل وعز اني أريد أن تبوء باثمي واثمك أي تجمعا عليك فتحملهما وأما قوله ومن غلق رهن فمن

جر فهو من قولهم رهن غلق فلما قدم النعت اضطرارا أبدل منه المنعوت ولو قال ومن غلق رهنًا فنصب على الحال من المعرفة بقي الاسم المضمر في غلق وقوله اذا ضمه مني فانما سميت مني لما يمنى فيها من الدم يقال في المني وهي النطفة منى الرجل وأمنى والقراءة أفرأيتم ما تمنون ويقال مذى الرجل وأمذى وودى وأودى فقولهم ودى يعني البلة (بكسر الباء رواية عاصم وبفتحها رواية ابن سراج) التي تكون في عقب البول كالمذي واما المذي فيعتري من الشهوة والحركة وقال علي بن أبي طالب رحمه الله كل فحل مذاء ومن كلام العرب كل فحل يمذي وكل أنثى تقذي وهو أن يكون منها مثل المذي ولمنى موضع آخر يقال منى الله لك خيرا أي قدر لك خيرا ويقال منى الله ان ألقى فلانا أي قدر والمنية من ذا يقال لقي فلان منيته أي ما قدر له من الموت فاما المنيئة بالهمز فهي المدبغة وهي المكان الذي يدبغ فيه وقوله اذا راحوا الجمرة البيض كالدمى الجمرة انما سميت لاجتماع الحصى فيها ومن ثم قيل لا تجمروا المسلمين فتفتنوهم وتفتنوا نساءهم أي لا تجمعوهم في المغازي والتجمير التجميع وكذلك قيل في جمرات العرب وهم بنو نمير بن عامر بن صعصعة وبنو الحرث بن كعب بن علة بن جلد وبنو ضبة بن أد بن طابخة وبنو عبس بن بغيض بن ريث لانهم تجمعوا في أنفسهم ولم يدخلوا معهم غيرهم وأبو عبيدة لم يعدد فيهم عبسا في كتاب الديباج ولكنه قال فطفئت جمرتان وهما بنو ضبة لانها صارت الى الرباب فحالفت وبنو الحرث لانها صارت الى مذحج وبقيت بنو نمير الى الساعة لانها لم تحالف وقال النميري يجيب جريرا

نمير جمرة العرب التي لم * تزل في الحرب تلتهب التهابا
واني اذ أسب بها كليبا * فتحت عليهم للخسف بابا

وقال في هذا الشعر

ولولا أن يقال هجا نميرا * ولم نسمع لشاعرها جوابا

رغبنا عن هجاء بنى كليب * وكيف يشاتم الناس الكلابا

وقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة

ليت شعرى هل أقولن لركب * بفلاة هم لديها هجوع
طالما عرستم فاستقلوا * حان من نجم الثريا طلوع
ان همى قد نفى النوم عنى * وحديث النفس شئ ولوع
قال لى فيها عتيق مقالا * فجرت مما يقول الدموع
قال لى ودع سليمى ودعها * فأجاب القلب لا أستطيع
لا تلمنى فى اشتياقى اليها * وابك لى مما تجن الضلوع

قوله حان من نجم الثريا طلوع كناية وانما يريد الثريا بنت على بن عبد الله بن الحرث بن أمية الاصغر وهم العبلات وكانت الثريا وأختها عائشة أعتقتا الغريض المغنى واسمه عبد الملك ويكنى أبا يزيد ويقول اسحق بن ابراهيم الموصلى انما سمى الغريض بالطلع لان الطلع يقال له الاغريض وليس هو عندى كما قال انما سمى الغريض لطراءته يقال لحم غريض وكانت الثريا موصوفة بالجمال وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فنقلها الى مصر فقال عمر يضرب لهما المثل بالكوكبين

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمانى

وقوله قال لى فيها عتيق مقالا يزعم الرواة أن كل شئ ذكر فيه عتيقا أو بكرا فانما يعنى ابن أبى عتيق (ابن أبى عتيق هو عبد الله بن أبى عتيق بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق بن أبى قحافة وأبو عتيق اسمه محمد وهو صحابى وأبوه عبد الرحمن صحابى وجده أبو بكر صحابى وجد أبيه أبو قحافة صحابى ولم يكن أحد من الصحابة كذلك غيرهم وعبد الله بن أبى عتيق غلبت

عليه الدعابة وشهر بها) وكان ابن أبي عتيق من نساك قريش وظرفائهم بل كان قد بذهم ظرفا وله أخبار كثيرة سمر بعضها في الكتاب ان شاء الله فمن طريف أخباره انه سمع وهو بالمدينة قول ابن أبي ربيعة

فقالت منها بحرم ما غير أننا * كلانا من الثوب المطرف لابس

فقال أبنا يلعب ابن أبي ربيعة فأي محرم بقي فركب بغلته متوجها الى مكة فلما دخل أنصاب الحرم قيل له أحرم قال ان ذا الحاجة لا يحرم فلقي ابن أبي ربيعة فقال أما زعمت أنك لم تركب حراما قط قال بلى قال فما قولك * كلانا من الثوب المطرف لابس * فقال له اذا أخبرك خرجت بعلة المسجد فصرنا الى بعض الشعاب فأخذتنا السماء فأمرت بمطرفي فسترنا الغلمان به لئلا يروا بها بلة فيقولوا هلا استترت بسقائف المسجد فقال له ابن أبي عتيق يا عاهر هذا البيت يحتاج الى حاضنة وهو الذي سمع قول عمر بن أبي ربيعة

من رسولي الى الثريا بأني * ضقت ذرعا بهجرها والكتاب

فلبس ثيابه وركب بغلته وأتى باب الثريا فاستأذن عليها فقالت والله ما كنت لنا زوارا فقال أجل ولكني جئت برسالة يقول لك ابن عمك عمر بن أبي ربيعة ضقت ذرعا بهجرك والكتاب فلامه عمر فقال له ابن أبي عتيق انما رأيتك متلددا تلتمس رسولا فخففت في حاجتك فانما كان ثوابي أن أشكر ومن طريف أخباره أن عائشة بنت طلحة عتبت على مصعب بن الزبير فهجرته فقال مصعب هذه عشرة آلاف درهم لمن احتال لي أن تكلمني فقال له ابن أبي عتيق عدل المال ثم صار الى عائشة فجعل يستعتبها لمصعب فقالت والله ما عزمي ان أكلمه أبدا فلما رأى جدها قال لها يا بنت عم انه قد ضمن لي ان كلمته عشرة آلاف درهم فكلميه حتى آخذها ثم عودي الى ما عودك الله ومن أخباره أن مروان بن الحكم قال يوما اني لمشعوف ببغلة الحسن بن علي رحمهما الله فقال له ابن أبي عتيق ان دفعتها اليك أتقضي لي

ثلاثين حاجة قال نعم قال اذا اجتمع الناس عندك العشية فانى آخذ فى مآثر قريش ثم أمسك عن الحسن فلمنى على ذلك فلما أخذ الناس مجالسهم أخذ فى مآثر قريش فقال له مروان ألا تذكر أولية أبي محمد وله فى هذا ماليس لاحد فقال انما كنا فى ذكر الاشراف ولو كنا فى ذكر الانبياء لقدمنا مالابى محمد فلما خرج الحسن ليركب تبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن وتبسم ألك حاجة فقال ذكرت البغلة فنزل الحسن ودفعها اليه ومن طريف أخباره أن عثمان بن حيان المرى لما دخل المدينة واليا عليها اجتمع الاشراف عليه من قريش والانصار فقالوا له انك لاتعمل عملا أجدى ولا أولى من تحريم الغناء والزنا ففعل وأجلهم ثلاثا فقدم ابن أبي عتيق فى الليلة الثالثة فحط رحله بباب سلامة الزرقاء وقال لها بدأت بك قبل أن أصير الى منزلى فقالت أوماتدرى ماحدث وأخبرته الخبر فقال أقيمى الى السحر حتى ألقاه فقالت انا نخاف أن لانغنى شيأ وتنكظ (تعنى تنالنا شدة) فقال انه لا بأس عليك ثم مضى الى عثمان فاستأذن عليه فأخبره أن أحد ما أقدمه عليه حب التسليم عليه وقال له ان من أفضل ما عملت به تحريم الغناء والزنا قال ان أهلك أشاروا على بذلك قال فانك قد وفقت ولكني رسول امرأة اليك تقول قد كانت هذه صناعتي فتبت الى الله منها وأنا أسألك أيها الامير أن لاتحول بينها وبين مجاورة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال عثمان اذن أدعها لك قال اذن لايدعها الناس ولكن تدعو بها فتنظر اليها فان كانت ممن يترك تركتها قال فادع بها قال فامرها ابن أبي عتيق فتقشفت وأخذت سبحة فى يدها وصارت اليه وحدثته عن مآثر آبائه ففكه لها فقال لها ابن أبي عتيق اقرئى للامير ففعلت فأعجب بذلك فقال لها فاحدى للامير فحركه حداؤها ثم قال لها غنى للامير فجعل يعجب بذلك عثمان فقال له ابن أبي عتيق فكيف لو سمعتها فى صناعتها فقال قل لها فلتقل فأمرها فتغنت

سددن خصاص الخيم لما دخلنه * بكل لبان واضح وجبين

فنزل عثمان بن حيّان عن سريره حتى جلس بين يديها ثم قال لا والله ما مثلك يخرج عن المدينة فقال له ابن أبي عتيق اذا يقول الناس أذن لسلامة في المقام ومنع غيرها فقال له عثمان قد أذنت لهم جميعا وقال ابن غير الثقفي

أشاقتك الظعائن يوم بانوا * بذي الزيّ الجميل من الأثاث

ظعائن أسلكت نقب المنقّى * تحث اذا ونت أيّ احتثاث

كأنّ على الظعائن يوم بانوا * نعاجا ترتعي بقل البراث

يهيّجني الحمام اذا تغنّى * كما سجع النوائح بالمراثي

قوله الظعائن واحدتها ظعينة وانما قيل لها ظعينة وهم يريدون مظعونا بها كقولك قتيل في معنى مقتول ثم استعمل هذا وكثر حتى قيل للمرأة المقيمة ظعينة وقوله بذي الزيّ الجميل من الأثاث هي الرواية الصحيحة وقد قيل بذي الريّ الجميل واشتهوا هم اليه قول الله جل ثناؤه هم أحسن أثاثا ورئيا فالأثاث متاع البيت والريّ ماظهر من الزينة وانما أخذ من قولك رأيت فالريّ غير الأثاث والزيّ من الأثاث فمن ههنا غلطوا وقوله أسلكت نقب المنقّى فالمنقّى موضع بعينه والنقب الطريق في الجبل والخلّ الطريق في الرمل فان اتسع الطريق في الجبل وعلا فهو ثنية قال ابن الأيهم التغلبي

وتراهنّ شزّبا كالسعالى * يتطلّعن من ثنايا النقاب

وقوله نعاجا ترتعي بقل البراث فالنعجة عند العرب البقرة الوحشية وحكم البقرة عندهم حكم الضائنة وحكم الظبية عندهم حكم الماعزة والعرب تكنّي بالنعجة عن المرأة وبالشاة قال الله تبارك وتعالى ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة وقال الأعشى

فرميت غفلة عينه عن شاته * فأصبت حبة قلبها وطحالها

يريد المرأة وأما البراث فهي الأماكن السهلة من الرمل واحدها برث مفتوح موضع الفاء

من الفعل وتقديرها كَلْبٌ وكِلابٌ والسجع من الكلام أن يأتلف أواخره على نسق كما تأتلف القوافي وهو في البهائم موالاة الصوت قال ابن الدُمَيْنة

أأن سجعت ورقاء في رونق الضحى * على فَنَنٍ غض النبات من الرَنْد

(الرند صغار الآس) وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة

قال لي صاحبي ليعلم ما بي * أتحبُّ القتولَ أختَ الرَباب

قلت وَجْدي بها كوَجْدِكَ بالما * ء اذا ما مُنِعْتَ بَرْدَ الشراب

مَنْ رسولي الى الثُرَيّا بأني * ضقتُ ذرعا بهجرها والكتاب

سَلَبَتْني مُجاجةُ المسك عقلي * فَسَلوها بما يَحِلُّ اغتصابي

أزهقتْ أمُّ نوفلٍ اذ دعتها * مُهْجَتي ما لقاتلي من مَتاب

حين قالت لها أجيبي فقالت * مَنْ دعاني قالت أبو الخطّاب

فاستجابت عند الدعاء كما لَبَّى * رجالٌ يرجون حُسْنَ الثواب

أبرز وهاشل المهاة تهادى * بين خمس كواعب أتراب

وهي مكنونة تحيّر منها * في أديم الخدّين ماء الشباب

ثم قالوا تُحِبُّها قلتُ بهرًا * عددَ النجم والحصى والتُراب

دُمْيَةٌ عند راهب ذي اجتهاد * صَوَّروها في جانب المحراب

قوله قلت وجدي بها كوجدك بالماء معنى صحيح وقد اعتوره الشعراء وكلهم أجاد فيه وقوله اذا ما منعت برد الشراب يريد عند الحاجة وبذلك صح المعنى ويروى عن علي بن أبي طالب رحمه الله أن سائلا سأله فقال كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان والله أحبَّ الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظَمَا وقال آخر وأحسبه قيس بن ذريح

حلفت لها بالمشعرين وزمزم * وذو العرش فوق المقسمين رقيب

(قال أبو الحسن ويروى والله فوق المقسمين وهو أحب الى)

لئن كان برد الماء حران صاديا * الى حبيبا انها لحبيب

وقال القطامى

يقتلننا بحديث ليس يعلمه * من يتقين ولا مكنونه بادى

فهن ينبذن من قول يصبن به * مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

والقول فيه كثير وقوله ضقت ذرعا بهجرها والكتاب قوله والكتاب قسم وقوله أزهقت أم نوفل اذ دعتها مهجتى تأويله أبطلت وأذهبت قال الله جل وعز فيدمغه فاذا هو زاهق وللزاهق موضع آخر وهو السمين المفرط قال زهير

القائد الخيل منكوبا دوابرها * منها الشنون ومنها الزاهق الزهم

وقوله مالقائلى من متاب يقول من توبة والمصدر اذا كان بزيادة الميم من فعل يفعل فهو على مفعل قال الله جل وعز فانه يتوب الى الله متابا وأما قوله جل ذكره غافر الذنب وقابل التوب فيكون على ضربين يكون مصدرا ويكون جماعا فالمصدر قولك تاب يتوب توبا كقولك قال يقول قولا والجمع توبة وتوب مثل تمرة وتمر وجمرة وجمر وقوله أبرزوها مثل المهاة تهادى المهاة البقرة فى هذا الموضع وتشبه المرأة بالبقرة من الوحش لحسن عينها ولمشيتها والبقرة يقال لها العيناء والجماع العين وكذلك يقال للمرأة وتكون المهاة البلورة فى غير هذا الموضع وقوله تهادى يريد يهدى بعضها بعضا فى مشيتها ومشية البقرة تستحسن قال ابن أبى ربيعة

أبصرتها ليلة ونسوتها * يمشين بين المقام والحجر

يمشين فى الريط والمروط كما * يمشى الهوينا سواكن البقر

وقوله كواعب الواحدة كاعب وهى التى قد كعب ثدياها للنهود وأتراب أقران يقال ترب

فلان والمكورة المكتنزة وقوله ثم قالوا تحبها قلت بهرا قال قوم أراد بقوله تحبها الاستفهام كما قال امرؤ القيس * أحارِ ترى برقا أُريك وميضه * فحذف ألف الاستفهام وهو يريد أترى وقالوا أراد أتحبها وهذا خطأ فاحش انما يجوز حذف الالف اذا كان في الكلام دليل عليها وسنفسر هذا ونذكر الصواب منه ان شاء الله قوله تحبها ايجاب عليه غير استفهام انما قالوا أنت تحبها أي قد علمنا ذاك فهذا معنى صحيح لا ضرورة فيه وأما قول امرئ القيس فانما جاز لانه جعل الالف التي تكون للاستفهام تنبيها للنداء واستغنى بها ودلت على أن بعدها ألفا منوية فحذفت ضرورة لدلالة هذه عليها ونظير قول امرئ القيس أحار ترى برقا فاكتفى بالالف عن أن يعيدها في ترى قول ابن هرمة

ولا أراها تزال ظالمة * تُحدث لي قرحة وتنكؤها

استغنى بلا الاولى عن اعادتها كما قال التميمي وهو اللعين المنقري

لعمرك ما أدري وان كنت داريا * شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر

يريد أشعيث فدلت أم على ألف الاستفهام وقال ابن أبي ربيعة

لعمرك ما أدري وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

مثل ذلك وبيت الاخطل فيه قولان وهو

كذبتك عينك أم رأيت بواسط * غلس الظلام من الرباب خيالا

قال أراد أكذبتك عينك كما قلنا فيما قبله وليس هذا بالاجود ولكنه ابتدأ متيقنا ثم شك فأدخل أم كقولك انها لابل ثم تشك فتقول أم شاء يا قوم وقوله قلت بهرا يكون على وجهين أحدهما عجبا بهرني بهرا أي غلبني ويقال للقمر ليلة البدر باهر أي بهر النجوم أي علاها كما قال ذو الرمة * [illegible] البدر والنجوم [illegible] * وقال الأعشى

حكمتموه فقضى بينكم * أبلج مثل القمر الباهر

والوجه الآخر أن يكون أراد بهر الكم أي تبا لكم حيث تلومونني على هذا كما قال ابن مفرغ

ثما قد قوى اذ يبيعون مهجتي * بجارية بهرا لهم بعدها بهرا

وقوله عدد النجم والحصى والتراب فيه قولان أحدهما انه أراد بالنجم النجوم ووضع الواحد في موضع الجمع لانه للجنس كما تقول أهلك الناس الدرهم والدينار وقد كثرت الشاة والبعير وكما قال الله جل وعز ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال الشاعر

فبات يعد النجم في مستحيرة * سريع بايدي الآكلين جمودها

يريد النجوم ويعني بالمستحيرة اهالة والوجه الآخر أن يكون النجم ما نجم من النبت وهو ما لم يقم على ساق والشجر ما يقوم على ساق واليقطين ما انتشر على وجه الارض قال الله عز وجل والنجم والشجر يسجدان وقال الحرث بن ظالم للاسود بن المنذر بن ماء السماء

أخصيي حمار بات يكدم نجمة * أتؤكل جيراني وجارك سالم

ومن طريف شعره قوله

فلما افتقدت الصوت منهم واطفئت * مصابيح شبت بالعشاء وانور

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه * وروح رعيان ونوم سمر

ونفضت عني العين أقبلت مشية الـ * ـحباب وركني خيفة القوم أزور

فحييت اذ فاجأتها فتولهت * وكادت بمكنون التحية تجهر

وقالت وعضت بالبنان فضحتني * وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر

أريتك اذ هنا عليك ألم تخف * رقيبا وحولي من عدوك حضر

فوالله ما أدري أتعجيل حاجة * سرت بك أم قد نام من كنت تحذر

فقلت لها بل قادني الشوق والهوى * اليك وما عين من الناس تنظر

فيالك من ليل تقاصر طوله * وما كان ليلي قبل ذلك يقصر

وياللّ من ملهى هناك ومجلس * لنا لم يكدره علينا مكدر

يمج ذكي المسك منها مفلج * رقيق الحواشي ذو غروب مؤشر

يرف اذا يفتر عنه كأنه * حصى برد او اقحوان منور

وترنو بعينيها الى كما رنا * الى ربرب وسط الخميلة جؤذر

فلما تقضى الليل الا أقله * وكادت توالى نجمه تتغور

اشارت بان الحي قد حان منهم * هبوب ولكن موعد لك عزور

فما راعني الا مناد برحلة * وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر

فلما رأت من قد تنور منهم * وايقاظهم قالت أشر كيف تأمر

فقلت أباديهم فاما أفوتهم * واما ينال السيف ثأرا فيثأر

فقالت أتحقيقا لما قال كاشح * علينا وتصديقا لما كان يؤثر

فان كان ما لا بد منه فغيره * من الامر أدنى للخفاء واستر

أقص على اختي بدء حديثنا * ومالي من ان تعلما متأخر

لعلهما ان تبغيا لك مخرجا * وان ترحبا سربا بما كنت أحصر

فقامت كئيبا ليس في وجهها دم * من الحزن تذرى عبرة تتحدر

فقالت لاختيها أعينا على فتى * اتى زائرا والامر للامر يقدر

فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا * أقلي عليك الهم فالخطب أيسر

يقوم فيمشي بيننا متنكرا * فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر

فكان مجني دون من كنت أتقي * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فلما أجزنا ساحة الحي قلن لي * ألم تتق الاعداء والليل مقمر

وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا * اما تستحي او ترعوي او تفكر

قوله شبت يقول أوقدت يقال شببت النار والحرب أي أوقدتهما وقوله وانؤر ان شئت همزته وان شئت لم تهمز وانما الهمز لانضمام الواو وقد مضى تفسير هذا وقوله قمير انما صغره لانه ناقص عن التمام وهذا في أول الشهر وكذلك يصغر في آخر الشهر لان النقصان فيهما واحد قال عمر

وقمير بدا ابن خمس وعشر * ين له قالت الفتاتان قوما

وقوله رعيان يريد جمع الراعي ومثله راكب وركبان وفارس وفرسان والسمر جمع السامر وهم الجماعة يتحدثون ليلا والحباب حية بعينه وقوله ونفضت عني العين يقول احترست منها وامنتها والنفضة أمام العسكر القوم يتقدمون فينفضون الطريق وقوله أزور يعني متجافيا يقال تزاور فلان اذا ذهب في شق وقوله ذو غروب غرب كل شيء حده وانما يعني الاسنان وقوله مؤشر يعني له أشر وهو تشريرالاسنان في قول الناس جميعا يقال لاسنانه أشر فهذا الشائع الذائع واما الشنب فهو عندهم جميعا برد في الاسنان وحدثني الرياشي عن ابن عائشة قال اخذ أبي حبة رمان بين اصبعيه فاذا هي ترف فقال هذا الشنب وقوله وكادت توالي نجمه تغور التوالي التوابع وتغور تغور قد ذهب وهو مأخوذ من الغور وقوله اشارت بان الحي قد حان منهم هبوب يقول انتباه يقال هب من نومه يهب قال عمرو بن كلثوم

الا هبي بصحنك فاصبحينا * (ولا تبقي خمور الاندرينا)

وقال الآخر

هبت تلوم وليست ساعة اللاحي * هلا انتظرت بهذا اللوم اصباحي

وعزور موضع بعينه وقوله وأيقاظهم جمع يقظ وقوله فقالت أتحقيقا أي أتفعل هذا تحقيقا ومن كلام العرب أكل هذا بخلا وذلك انه رآه يفعل شيأ أنكره فقال أتفعل كل هذا بخلا وقوله أباديهم أظهر لهم غير مهموز يقال بدا يبدو غير مهموز اذا ظهر وبدأت بهذا مهموز اذا أردت به معنى الاول وقوله بدء حديثنا يريد أول حديثنا وقوله وان ترحبا يريد أن تتسعا أي

تتسع صدورهما من قولهم فلان رحيب الصدر وقوله أحصر أضيق به ذرعا وقد مضى تفسيره وقوله مجنى يريد ترسي وقوله ثلاث شخوص والوجه ثلاثة أشخص ولكنه لما قصد الى النساء انث على المعنى وابان ما أراد بقوله كاعبان ومعصر ومثله قول الشاعر

فان كلابا هذه عشر أبطن * وأنت برئ من قبائلها العشر

فقال عشر أبطن لان البطن قبيلة وابان ذلك فى قوله من قبائلها العشر وقال الله جل وعز من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها لان المعنى حسنات ويروى ان يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عقبة المرى الى المدينة اعترض الناس فمر به رجل من أهل الشام معه ترس قبيح فقال له يا أخا أهل الشام مجن ابن أبي ربيعة أحسن من مجنك يريد قول ابن أبي ربيعة

فكان مجني دون من كنت اتقي * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

وقوله اما تستحي يريد تستحيي وله تفسير يبعد فى العربية قليلا وسنذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى

٤٤ - باب

قال أبو العباس وحدثت ان عمر الوادي قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير فى صرد من الارض فسمعت غناء من القسر الم أسمع مثله فقلت والله لاتوصلن اليه ولو بذهاب نفسي فانحدرت اليه فاذا عبد أسود فقلت له أعد علي ما سمعت فقال لى والله لو كان عندى قرى أقريك مافعلت ولكني أجعله قراك فاني ربما غنيت هذا الصوت وانا جائع فاشبع وربما غنيته وأنا كسلان فانشط وربما غنيته وأنا عطشان فاروى ثم اندفع يغنيني

وكنت اذا مازرت سعدى بأرضها * أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ماقضت احدوثة لو تعيدها

(وبعده تحلل أحقادي اذا ما لقيتها * وتبقى بلا ذنب على حقودها

وكيف يحب القلب من لا يحبه * بلى قد تريد النفس من لا يريدها)

قال عمر ففطنته عنه ثم تغنيت به على الحالات التي وصف فاذا هو كاذكر وتحدث الزبيريون عن خالد صامة انه كان من أحسن الناس ضربا بالعود قال فقدمت على الوليد بن يزيد وهو في مجلس ناهيك به مجلسا فألفيته على سريره وبين يديه معبد ومالك بن أبي السمح وابن عائشة وأبو كامل غزيل الدمشقي فجعلوا يغنون حتى بلغت النوبة الى فغنيته

سرى همي وهم المرء يسري * وغار النجم الا قيس فتر

أراقب في المجرة كل نجم * تعرض أو على المجراة يجري

لهم ما أزال له قرينا * كأن القلب أبطن حر جمر

على بكر أخي فارقت بكرا * وأي العيش يصلح بعد بكر

فقال لي أعد يا صام ففعلت فقال لي من يقول هذا الشعر فقلت هذا يقوله عروة بن أذينة يرثي أخاه بكرا فقال لي الوليد * وأي العيش يصلح بعد بكر * هذا العيش الذي نحن فيه والله قد تحجر واسعا على رغم أنفه وحدثت أن سكينة بنت الحسين أنشدت هذا الشعر فقالت ومن بكر فوصف لها فقالت أذاك الاسيد الذي كان يمر بنا والله لقد طاب كل شيء بعد ذاك حتى الخبز والزيت وروى أصحابنا أن يزيد بن عبد الملك وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية واليها كان ينسب قال يوما يقال ان الدنيا لم تصف لاحد قط يوما فاذا خلوت يومي هذا فاطووا عني الاخبار ودعوني ولذتي وما خلوت له ثم دعا بحبابة فقال اسقيني وغنيني فخلوا في أطيب عيش فتناولت حبابة حبة رمان فوضعتها في فيها فغصت بها فماتت فجزع يزيد جزعا أذهله ومنع من دفنها حتى قال له مشايخ بني أمية ان هذا عيب لا يستقال وانما هذه جيفة فأذن في دفنها وتبع جنازتها فلما واراها قال أمسيت

والله فيك كما قال كثير

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وكل خليل راءني فهو قائل * من اجلك هذا هامة اليوم او غد

فعدّ بينهما خمسة عشر يوما وقوله راءني يريد رآني ولكنه قلب فأخر الهمزة ونظير هذا من الكلام قسيّ في جمع قوس وانما الاصل قووس ولما أخر الواوين أبدل منهما ياءين كما يجب في الجمع تقول دلو ودليّ وعات وعتيّ وان شئت قلت عتيّ ودليّ من أجل الياء فان كان فعول لواحد قلت عتوّ ويجوز القلب والوجه في الواحد اثبات الواو كما تقول مغزوّ ومدعوّ ويجوز مغزيّ ومدعيّ وفي القرآن وعتوا عتوا كبيرا وقال أيهم أشد على الرحمن عتيا وقال ارجعي الى ربك راضية مرضية والاصل مرضوة لانه من الواو من الرضوان ومن القلب قولهم طأمن ثم قالوا اطمأن فأخروا الهمزة وقدموا الميم ومثل هذا كثير جدا وقوله هذا هامة اليوم أو غد يقول ميت في يومه أو في غده يقال انما فلان هامة أي يصير في قبره وأصل ذلك شئ كانت العرب تقوله قد مضى تفسيره وحدثني عبد الصمد بن المعذل قال سمعت اسحق بن ابراهيم الموصلي يحدث قال حججت مع أمير المؤمنين الرشيد فلما قفلنا فنزلنا المدينة أتيت بها رجلا كان له سن ومعرفة وأدب فكان يتمنى فاني ذات ليلة في منزلي اذا أنا بصوته يستأذن عليّ فظننت أمرا اقلقه فخرجت فيه الى فاسرعت نحو الباب فقلت ماجاء بك فقال اذن أخبرك دعاني صديق لي الى طعام عتيد وشراب قد التقى طرفاه وشواء رشراش وحديث ممتع وغناء مطرب فأجبته وأقمت معه الى هذا الوقت فأخذت مني حميا الكأس مأخذها ثم غنيت بقول نصيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب * وقل ان تملينا فما ملك القلب

فكدت أطير طربا ثم وجدت في الطرب نقصا اذ لم يكن معي من يفهم هذا كما فهمته ففزعت

اليك لاصف لك هذه الحال ثم أرجع الى صاحبى وضرب نعليه موليا عنى فقلت قف أكلمك فقال مابى الى الوقوف اليك من حاجة وحدثنى غير واحد من أصحابنا عن أبى زيد سعيد بن أوس الانصارى يسنده قال كانت وليمة فى أخوالنا وهم حى يقال لهم بنو نبيط من الانصار قال فحضر الناس وجاء حسان بن ثابت وقد ذهب بصره ومعه ابنه عبد الرحمن يقوده فلما وضع الطعام وجىء بالثريد قال حسان لابنه يابنى أطعام يد أم طعام يدين فقال بل طعام يد فأكل ثم جىء بالشواء فقال أطعام يد أم طعام يدين فقال طعام يدين فأمسك وفى المجلس قينتان تغنيان بشعر حسان

انظر خليلى بباب جلق هل * تؤنس دون البلقاء من أحد

قال وحسان يبكى يذكر ما كان فيه من صحة البصر والشباب وعبد الرحمن يومئ اليهما أن زيدا قال أبو زيد فلا يعجبنى ما أعجبه من أن تبكيا أباه يقول عجبت ما الذى اشتهى من أن تبكيا اباه فقوله أعجبنى أى تركنى أعجب ومثله قول ابن قيس الرقيات

ألا هزئت بنا قرشية * يهتز موكبها

رأت بى شيبة فى الرأ * س منى ما أغيبها

فقالت ابن قيس ذا * وبعض الشيب يعجبها

أى تعجب منه وحدثنى عبد الصمد بن المعذل قال كان خليلان الأموى يتغنى ويرى ذلك زائدا فى الفتوة وكان خليلان شريفا وذا نعمة واسعة فحضر يوما منزل عقبة بن سلم الهنائى وهو أمير البصرة وكان عاتيا جبارا فلما طعموا وخلوا نظر خليلان الى عود موضوع فى جانب البيت فعلم أنه عرض له به فأخذه فتغنى

يابنة الأزدى قلبى كئيب * مستهام عندها ما يؤوب

ولقد لاموا فقلت دعونى * ان من تلحون فيه حبيب

فجعل وجه عقبة يتغير وخليلان فى سهو مما فيه عقبة يرى انه محسن ثم فطن لتغير وجه عقبة فعلم أنه لما تغنى به فقطع الصوت وجعل مكانه

ألا هزئت بنا قرشية يهتز موكبها

فسرى عن عقبة فلما انقضى الصوت وضع خليلان العود ووكد على نفسه الحلف ألا يغنى عند من يجوز أمره عليه أبدا وحدثت أن رجلا تغنى بحضرة الرشيد بشعر مدح به على بن ريطة وهو على ابن أمير المؤمنين المهدى وتغناه المغنى على جهل وهو

قل لعلى أيا فتى العرب * وخير نام وخير منتسب

أعلاك جداك يا على اذا * قصر جد فى ذروة الحسب

ففتش عن المغنى فوجده لم يدر فيمن الشعر فبحث عن أول من تغنى فيه فاذا هو عبد الرحيم الرقاص فأمر به فضرب أربعمائة سوط * وحدثت أن معاوية استمع على يزيد ذات ليلة فسمع من عنده غناء أعجبه فلما أصبح قال ليزيد من كان ملهيك البارحة فقال له يزيد ذاك سائب خاثر قال اذا فأخثر له من العطاء وحدثت أن معاوية قال لعمرو امض بنا الى هذا الذى قد تشاغل باللهو وسعى فى هدم مروءته حتى تنعى عليه أى نعيب عليه فعله يريد عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب فدخلا اليه وعنده سائب خاثر وهو يلقى على جوار لعبد الله فأمر عبد الله بتنحية الجوارى لدخول معاوية وثبت سائب مكانه وتنحى عبد الله عن سريره لمعاوية فرفع معاوية عمرا فأجلسه الى جانبه ثم قال لعبد الله أعد ما كنت فيه فأمر بالكراسى فألقيت وأخرج الجوارى فتغنى سائب بقول قيس بن الخطيم

ديار التى كادت ونحن على منى * تحل بنا لولا نجاء الركائب

ومثلك قد أصبيت ليست بكنة * ولا جارة ولا حليلة صاحب

وردده الجوارى عليه فحرك معاوية يديه وتحرك فى مجلسه ثم مد رجليه فجعل يضرب بهما

وجه السرير فقال له عمر واتَّئد يا أمير المؤمنين فان الذى جئت لتجفاه أحسنُ منك حالا وأقل حركة فقال معاوية اسكتْ لا أبالكْ فان كل كريم طروبٌ * وحُدِّثتُ من غير وجه أن سفيان ابن عيينة قال لجلسائه يوما انى أرى جارنا هذا السهمىَّ قد أثرى وانفسحت له نعمةٌ وصار ذا جاه عند الامراء ووافدا الى الخلفاء فمن ذاك يعنى يحيى بن جامع فقال له جلساؤه انه يصير الى الخليفة فيتغنى له فقال سفيان فيقول ماذا فقال أحد جلسائه يقول

أَطوفُ نهارى مع الطائفين * وأَرفعُ من مئزرى المُسبلِ

فقال سفيان ما أحسنَ ما قال فقال الرجلُ

وأسهرُ ليلى مع العاكفين * وأتلو من المحكمِ المنزلِ

قال حَسَنٌ والله جميلٌ قال انَّ بعد هذا شيأ قال سفيان وما هو قال

عسى فارجُ الكربِ عن يوسفٍ * يُسخِّرُ لى ربَّةَ المحملِ

فزوى سفيان وجهه وأومأ بيده أن كُفَّ وقال حلا لاحلا لا ولقى ابن أبجرَ عطاء بن أبى رباح وهو يطوف فقال اسمع صوتا للغريض فقال له عطاء يا خبيثُ أفى هذا الموضع فقال ابن أبجر وربِّ هذه البنيةِ لتسمعنّه خفيةً أو لأشيدنَّ به فوقف له فتغنى

عُوجى علينا ربَّةَ الهودجِ * انَّكِ ان لا تفعلى تحرجى

انّى أُتيحتْ لى يمانيةٌ * احدى بنى الحرث من مذحجِ

نلبثُ حولا كاملا كلَّه * لا نلتقى الا على منهجِ

فى الحجِّ ان حجَّتْ وماذا منًى * وأهلُه ان هى لم تحججِ

فقال له عطاء الكثيرَ الطيّبَ يا خبيثُ وسمع سليمانُ بن عبد الملك متغنّيا فى عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أعدْ ما تغنيت فتغنى واحتفل وكان سليمانُ مفرطَ الغَيرة فقال لاصحابه والله لكأنها جرجرةُ الفحل فى الشَّول وما أحسب أنثى تسمع هذا الا صبت ثم أمر به فخُصِى

وحدثت أن الفرزدق قدم المدينة فنزل على الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت ابن أبي الأقلح فقال له الأحوص ألا أسمعك غناء من غناء القرى فأتاه بمغن فجعل يغنيه فكان مما غناه

أتنسى إذ تودعنا سليمى * بفرع بشامة سقى البشام

ولو وجد الحمام كما وجدنا * بسلمانين لاكتأب الحمام

فقال الفرزدق لمن هذا فقالوا لجرير ثم غناه

أسرى لخالدة الخيال ولا أرى * شيئاً ألذ من الخيال الطارق

ان البلية من تمل حديثه * فانقع فؤادك من حديث الوامق

فقال لمن هذا فقيل لجرير ثم غناه

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلاً بعينك ما يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال لمن هذا فقالوا لجرير فقال الفرزدق ما أحوجه مع عفافه الى خشونة شعري وأحوجني مع فسوقي الى رقة شعره وقال الأحوص يوما لمعبد امض بنا الى عقيلة حتى نتحدث اليها ونسمع من غنائها وغناء جواريها فمضيا فألفيا على بابها معاذاً الانصاري ثم الزرقي وابن صائد النجاري فاستأذنوا عليها جميعاً فأذنت لهم الا الأحوص فانها قالت نحن غضاب على الأحوص فانصرف الأحوص وهو يلوم أصحابه على استبدادهم فقال

ضنت عقيلة لما جئت بالزاد * وآثرت حاجة الثاوي على الغادي

فقلت والله لولا أن تقول له * قد باح بالسر أعدائي وحسادي

قلنا لمنزلها حييت من طلل * وللعقيق ألا حييت من وادي

اني جعلت نصيبي من مودتها * لمعبد ومعاذ وابن صياد

لابن اللعين الذي يخبا الدخان له * وللمغني رسول الزور قوادي

أما معاذ فإني لست ذاكره * كذلك أجداده كانوا لأجدادي

قال الزبيري وكان معاذ جلداً فخاف الأحوص أن يضر به فخلف معبد أن لا يكلم الأحوص ولا يغني في شعره فشق ذلك على الأحوص فلما طالت هجرته إياه رحل نجيباً له وجعل طلاء في مذرع (والمذرع زق سلخ حين سلخ مما يلي الذراع) في حقيبة رحله وأعدد نانير ومضى نحو معبد فأناخ ببابه ومعبد جالس بفنائه فنزل اليه الأحوص فكلمه فلم يكلمه معبد فقال يا أبا عباد أتهجرني فخرجت اليه امرأته أم كردم فقالت أتهجر أبا محمد والله لتكلمنه قال فاحتمله الأحوص فأدخله البيت وقال والله لا رمت هذا البيت حتى آكل الشواء وأشرب الطلاء واسمع الغناء فقال له معبد قد أخزى الله الا بعد هذا الشواء اكلته والغناء سمعته فاني لك بالطلاء فقال قم الى ذلك المذرع ففيه طلاء ومعه دنانير فأصلح بها ما تريد من أمرنا فافعل كل ما قال فقالت أم كردم لمعبد أتهجر من ان زارنا أغدر فينا فضلا ونبلا وان فارقنا خلف فينا عقلا ونبلا فانصرف الأحوص مع العصر فسر بين الدارين وهو عيبل بين شعبتي رحله وحدثت ان سعد بن مصعب بن الزبير اتهم بامرأة في ليلة مناحة أو عرس وكانت تحته ابنة حمزة بن عبد الله بن الزبير فقال الأحوص وكان بالمدينة رجل يقال له سعد النار

ليس بسعد النار من تذكرونه * ولكن سعد النار سعد بن مصعب

ألم تر أن القوم ليلة جمعهم * بغوه فألفوه لدى شر مركب

فما يبتغي بالشر لا در دره * وفي بيته مثل الغزال المربب

فأمر سعد بن مصعب بطعام فصنع ثم حمل الى قباب العرب وقال للأحوص وكان له صديقاً تعال نغض فنصيب منه فلما خلا به أمر به فأوثق وأراد ضربه فقال له الأحوص دعني فلا والله لا أهجو زبيرياً أبداً فخلاه ثم قال اني والله ما اجترأت على من حلت ولكني أنكرت قولك

* وفي بيته مثل الغزال المربب * وحدثت ان ابن أبي عتيق ذكر له ان المخنثين بالمدينة

خصوا وانه خصى الدلال فيهم فقال انا نه أما والله لئن فعل ذلك به لقد كان يحسن

لمن ربع بذات الجيش * أمسى دارسا خلقا

ثم استقبل ابن أبي عتيق القبلة يصلي فلما كبر سلم ثم التفت الى أصحابه فقال اللهم انه كان يحسن خفيفه فاما ثقيله فلا الله أكبر وحدثت ان مدنيا كان يصلي مذ طلعت الشمس الى أن قارب النهار ان ينتصف ومن ورائه رجل يتغنى وهما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل من الشرط قد قبض على المغني فقال أترفع عقيرتك بالغناء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه فانفتل المدني من صلاته فلم يزل يطلب اليه فيه حتى استنقذه ثم أقبل عليه فقال أتدري لم شفعت فيك قال لا ولكني اخالك رحمتني قال اذا فلا رحمني الله قال فأحسبك عرفت قرابة بيننا قال اذا فقطعها الله قال فليد تقدمت مني اليك قال لا والله ولا عرفتك قبلها قال فخبرني قال لاني سمعتك غنيت آنفا فأقمت واوات معبد أما والله لو أسأت التأدية لكنت أحد الاعوان عليك والصوت الذي ينسب الى واوات معبد شعر الأعشى الذي يعاتب فيه يزيد بن مسهر الشيباني وهو قوله

هريرة ودعها وان لام لائم * غداة غد أم أنت للبين واجم

لقد كان في حول ثواء ثويته * تقضى لبانات ويسأم سائم

قوله هريرة ودعها وان لام لائم منصوب بفعل مضمر تفسيره ودعها كأنه قال ودع هريرة فلما اختزل الفعل أظهر مايدل عليه وكان ذلك أجود من أن لا يضمر لان الامر لا يكون الا بفعل فأضمر الفعل اذ كان الامر أحق به وكذلك زيدا اضربه وزيدا فأكرمه وان لم تضمر ورفعت جاز وليس في حسن الاول ترفعه على الابتداء وتصير الامر في موضع خبره فأما قول الله عز وجل والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما وكذلك الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فليس على هذا والرفع الوجه لان معناه الجزاء كقوله الزانية أي التي تزني فانما

وجب القطع للسرق والجلد للزنا فهذا مجازاة ومن ثم جاز الذي يأتيني فله درهم فدخلت الفاء لانه استحق الدرهم بالاتيان فان لم ترد هذا المعنى قلت الذي يأتيني له درهم ولا يجوز زيد فله درهم على هذا المعنى ولكن لو قلت زيد فله درهم على معنى هذا زيد فله درهم أو هذا زيد فحسن جميل جاز على ان زيدا خبر وليس بابتداء وللاشارة دخلت الفاء وفي القرآن الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ودخلت الفاء لان الثواب دخل للانفاق وقد قرأت القرّاء الزانية والزاني فاجلدوا والسارق والسارقة فاقطعوا بالنصب على وجه الامر والوجه الرفع والنصب حسن في هاتين الآيتين ومالم يكن فيه معنى جزاء فالنصب الوجه وبروى ان معبدا بلغه ان قتيبة بن مسلم فتح خمس مدائن فقال لقد غنيت خمسة أصوات هن أشد من فتح المدائن التي فتحها قتيبة بن مسلم والاصوات

ودع هريرة ان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وقوله هريرة ودعها وان لام لائم * غداة غد أم أنت للبين واجم

وقوله رأيت عرابة الاوسي يسمو * الى الخيرات منقطع القرين

وقوله ودع لبابة قبل ان تترحلا * واسأل فان قليلة ان تسألا

وقوله لعمري لئن شطت بعثمة دارها * لقد كنت من خوف الفراق الخ

اما قوله ودع هريرة ان الركب مرتحل وقوله هريرة ودعها وان لام لائم فللاعشى يعاتب فيهما يزيد بن مسهر الشيباني يقول

أبلغ يزيد بني شيبان مألكة * أبا ثبيت اما تنفك تأتكل

ألست منتهيا عن نحت أثلتنا * ولست ضائرها ما أطت الابل

كناطح صخرة يوما ليفلقها * فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

ويقول في الاخرى يعاتبه أيضا

يزيد يغض الطرف دوني كأنما * زوى بين عينيه على المحاجم
فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى * ولا تلقني الا وأنفك راغم
فأقسم ان جد التقاطع بيننا * لتصطفقن يوما عليك المآتم
وتلقى حصان تنصف ابنة عمها * كما كان يلقى الناصفات الخوادم
اذا اتصلت قالت أبكر بن وائل * وبكر سبتها والانوف رواغم

فأما الشعر الثالث فللشماخ بن ضرار بن مرة بن غطفان يقوله لعرابة بن أوس بن قيظي الانصارى

رأيت عرابة الأوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين
اذا بلغتني وحملت رحلي * عرابة فاشرقي بدم الوتين

والرابع لعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة يقوله في بعض الروايات

ودع لبابة قبل أن تترحلا * واسأل فان قليله ان تسألا
امكث لعمرك ساعة فتأنها * فعسى الذي بخلت به ان يبذلا
لسنا نبالي حين ندرك حاجة * ان بات أو ظل المطي معقلا

والشعر الخامس لا أعرف قائله ولم يتغن معبد في مدح قط الا في ثلاثة أشعار منها ما ذكرنا في عرابة ومنها قول عبد الله بن قيس الرقيات في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

تقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر * سواء عليها ليلها ونهارها

والثالث قول موسى شهوات في حمزة بن عبد الله بن الزبير

حمزة المبتاع بالمال الثنا * ويرى في بيعه ان قد غبن
وهو ان أعطى عطاء كاملا * ذا اناء لم يكدره بمن

ونحن ذاكرو قصص هذه الاشعار التي جرت في عقب ما وصفنا ان شاء الله تعالى قال أبو العباس كان عبد الله بن قيس الرقيات منقطعا الى مُصْعَب بن الزبير وكان كثير المدح له وكان يقاتل معه وفيه يقول

اِنّما مصعبٌ شهابٌ من الله تجلّت عن وجهه الظلماء

مُلكه مُلكُ قوةٍ ليس فيه * جبروتٌ منه ولا كبرياء

يتّقي الله في الامور وقد أفلح من كان همُّه الاتّقاء

قال أبو العباس وله فيه اشعار كثيرة فلما قتل مصعب كان عبد الملك على قتل عبد الله بن قيس فهرب فلحق بعبد الله بن جعفر فشفع فيه الى عبد الملك فشفّعه في ان ترك دمه فقال ويدخل اليك يا أمير المؤمنين فسمع منه فأبى فلم يزل به حتى أجابه ففي ذلك يقول لعبد الله بن جعفر

أتيناكَ نُثني بالذي أنتَ أهلُه * عليكَ كما أثنى على الارض جارُها

تقدّتْ بي الشهباءُ نحو ابن جعفر * سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

تزورُ فتًى قد يعلمُ الناسُ أنه * تجودُ له كفٌّ قليلٌ غرارُها

فوالله لولا ان تزور ابن جعفر * لكان قليلاً في دمشق قرارُها

والشعر الذي مدح به عبد الملك

عادَ له من كثيرةَ الطربُ * فعينُه بالدموع تنسكبُ

كوفيّةٌ نازحٌ محلّتها * لا أممٌ دارُها ولا صقبُ

والله ما ان صبتْ اليّ ولا * يُعلمُ بيني وبينها سببُ

الا الذي أورثتْ كثيرةُ في الـ * ـقلب وللحب سَوْرةٌ عجبُ

وفيها يقول ما نقموا من بني أميّة الا انهم يحلمون ان غضبوا

وانهم سادةُ الملوكُ فلا * تصلحُ الا عليهم العربُ

أن الفنيق الذى أبوه أبو الـ * عاصى عليه الوقار والحجب

خليفة الله فى رعيته * جفت بذاك الأقلام والكتب

يعتدل التاج فوق مفرقه * على جبين كأنه الذهب

فقال له عبد الملك أتقول لمصعب

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

وتقول لى يعتدل التاج فوق مفرقه * على جبين كأنه الذهب

واما شعر الشماخ فى عرابة فقد ذكر فى موضعه بحديثه واما الشعر فى حمزة بن عبد الله بن الزبير فانه لموسى شهوات وكان موسى قال لعبد أقول شعرا فى حمزة وتتغنى أنت به فما أعطاك من شئ فهو بيننا فقال هذا الشعر

حمزة المبتاع بالمال الثنا * ويرى فى بيعه أن قد غبن

وهو ان أعطى عطاء كاملا * ذا اخاء لم يكدره بمن

واذا ماسنة مجحفة * برت المال كبرى بالسفن

حسرت عنه نقيا لونه * طاهر الاخلاق ما فيه دزن

فأعطاه مالا فقاسمه موسى

٤٥ - باب

قال أبو العباس قال عتبة بن شماس

ان أولى بالحق فى كل حق * ثم أحرى بان يكون حقيقا

من أبوه عبد العزيز بن مروا * ن ومن كان جده الفاروقا

ردّ اموالنا علينا وكانت * فى ذراها شاهق بفوت الأنوقا

يقول هذا الشعر فى عمر بن عبد العزيز بن مروان وأم عمر أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رحمه الله والأنوق الرخمة ولا يقال الانوق الا للرخمة الانثى ومن أمثال العرب هو أعز من بيض الانوق وتقول العرب لمن يطلب الامر العسير سألتنى بيض الأنوق وذلك

انها تبيض في وعوعر الجبال فلا يكاد يوجد بيضها لبعده مطلبه وعسره فان سأله محالا قال سألتني الابلق العقوق وانما هو الذكر من الخيل ويقال فرس عقوق اذا حملت وامتلا بطنها فالابلق العقوق محال ويروى ان رجلا سأل معاوية أمرا لا يوجد فأعله ذلك فسأل أمرا اعسرا بعده فقال معاوية طلب الابلق العقوق فلما * لم ينله أراد بيض الانوق وانما الابلق الذكر من الخيل يقال فرس عقوق اذا حملت فامتلا بطنها فالابلق العقوق محال

وقال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز

ماعدّ قوم كاجداد تعدهم * مروان ذو النور والفاروق والحكم
أشبهت من عمر الفاروق سيرته * قاد البرية وائتمت به الامم
تدعو قريش وانصار الرسول له * ان يمتعوا بابي حفص وما ظلموا

وفيه يقول جرير أيضا

يعود الحلم منك على قريش * وتفرج عنهم الكرب الشدادا
وقد آمنت وحشهم برفق * ويعيي الناس وحشك ان يصادا
(وتبني المجد ياعمر ابن ليلى * وتكفي الممحل السنة الجمادا)
وتدعو الله مجتهدا ليرضى * وتذكر في رعيتك المعادا
(فما كعب بن مامة وابن سعدى * بأجود منك ياعمر الجوادا)

وكان ابن سعد الازدي قد تولى صدقات الاعراب وأعطياتهم فقال جرير يشكوه الى عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه

ان عيالي لا فواكه عندهم * وعند ابن سعد سكر وزبيب
وقد كان ظني بابن سعد سعادة * وما الظن الا مخطئ ومصيب
فان ترجعوا رزقي الي فانه * متاع ليال والاداء قريب
تحنّى العظام الراجفات من البلى * وليس لداء الركبتين طبيب

وفيه يقول أيضا المانى

نَعَى النُّعاةُ أميرَ المؤمنين لنا * يا خيرَ من حجّ بيتَ الله واعتمرا

حملتَ أمرا جسيما فاصطبرتَ له * وقُمتَ فيه بحق الله يا عُمَرا

فالشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ * تبكي عليك نجومَ الليل والقمرا

قوله يا عمرا ندبة أراد يا عمراه وانما الالف للندبة وحدها والهاء تزاد في الوقف لخفاء الالف فاذا وصلت لم تزدها تقول يا عمراه الفضل فاذا وقفت قلت يا عمراه فحذف الهاء في القافية لاستغنائه عنها فاما قوله نجومَ الليل والقمرا ففيه أقاويل كلها جيدٌ فمنها ان تنصب نجوم الليل والقمرا بقوله بكاسفة يقول الشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ نجومَ الليل والقمر يقول انما تكسف النجومَ والقمرَ بافراط ضيائها فاذا كانت من الحزن عليه قد ذهب ضياؤها ظهرت الكواكب ويقال ان الغبار يوم حليمة سدّ عين الشمس فظهرت الكواكب المتباعدةُ عن مطلع الشمس ويوم حليمة هو اليوم الذي سار فيه المنذرُ بن المنذر بعرب العراق الى الحرث الأعرج الغسّاني وهو الاكبر والحرث في عرب الشام وهو أشهر أيام العرب ومن أمثالهم في الامر الفاشي ما يومُ حليمة بسرٍ وفيه يقول النابغة

تُخيّرنَ من أزمان يوم حليمةٍ * الى اليوم قد جُرِّبن كلَّ التجارب

وأظن قول القائل من العرب لأُرينّك الكواكب ظهرا انما أُخذ من يوم حليمة قال طرفة

ان تنوّله فقد تمنعه * وتُريه النجم يجري بالظهر

وقال الفرزدق لخالد بن عبد الله القسري

لعمري لقد سار ابن شيبة سيرةً * أرتك نجومَ الليل مُظهرةً تجري

ويجوز ان يكون نجومَ الليل والقمرَ أراد بهما الظرف يقول تبكي الشمس عليك مدة نجوم الليل والقمر كقولك تبكي عليك الدهرَ والشهرَ وتبكي عليك الليلَ والنهارَ باقي ويكون تبكي عليك الشمسُ النجومَ كقولك بكيتُ زيدا على فلان لما رأيتُ به وقد قال في هذا المعنى

أحد المحدثين شيأ مليحا وهو أحمد أخو أشجع السلمي يقوله لنصر بن شبث العقيلي وكان أوقع بقوم من بني تغلب بموضع يعرف بالسواجير وهو أشبه بالشعر قال

لله سيف في يدي نصر * في حده ماء الردى يجري

أوقع نصر بالسواجير ما * لم يوقع الجحاف بالبشر

أبكى بني بكر على تغلب * وتغلبا أبكى على بكر

و يكون تبكي عليك نجوم الليل والقمر على ان تكون الواو في معنى مع واذا كانت كذلك فكان قبل الاسم الذي يليه أو بعده فعل انتصب لانه في المعنى مفعول وصل الفعل اليه فنصبه وتظير ذلك استوى الماء والخشبة لانك لم ترد استوى الماء واستوت الخشبة ولو أردت ذلك لم يكن الا الرفع ولكن التقدير ساوى الماء الخشبة وكذلك مازلت اسير والنيل يا فتى لانك لست تخبر عن النيل بسير وانما تريد ان سيرك بحذائه ومعه فوصل الفعل وهذا باب يطول شرحه فان قلت عبد الله و زيد اخوك وأنت تريد بالواو معنى مع لم يكن الا الرفع لان قبلها اسما مبتدأ فهي على موضعه وأجود التفسير بن عندنا في قول الله عز وجل فأجمعوا أمركم وشركاءكم ان تكون الواو في معنى مع لانك تقول اجمعت رأيي وأمري وجمعت القوم فهذا هو الوجه وقوم ينصبونه على دخوله بالشركة مع اللام في معنى الاول والمعنى الاستعداد بهما فيجعلونه كقول القائل

ياليت زوجك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا

والرمح لا يتقلد ولكن أدخله مع ما يتقلد فتقديره متقلدا سيفا وحاملا رمحا ويكون تقدير الآية فأجمعوا أمركم وأعدوا شركاءكم والمعنى يؤول الى أمر واحد ومن ذلك قوله

* شراب ألبان وتمر واقط * فأما ما جاء من القرآن على هذا خاصة فقوله عز وجل والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع فأدخل من ههنا لان الناس مع هذه الاشياء فجرت على لفظ واحد ولا تكون من

الا لمن يعقل اذا أفردتها وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله يشكو اليه عماله

انّ الذين أمرتهم أن يعدلوا * نبذوا كتابك واستحل المحرم

وأردت أن يلي الامانة منهم * بر وجيهات الابر المسلم

طلس الثياب على منابر أرضنا * كل بنقص تصيبنا يتكلم

أنشدنيه الرياشي عن الاصمعي ونظير هذا قول ابن همام السلولي

اذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا * ولكن حسن القول خالفه الفعل

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها * أفاويق حتى ما يدر لها ثعل

وقد مر تفسير هذا الشعر والاطلس الاغبر وربما اشتدت غبرته حتى يخفى في الغبار وانما أراد بقوله طلس الثياب انهم يظهرون تقشفا ويكون ان يكون جعلهم بمنزلة الذئاب وهو احسن ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولى رجلا بلدا فوفد عليه فجاءه مدهنا حسن الحال في جسمه عليه بردان فقال له عمر رضي الله عنه أهكذا وليناك ثم عزله ودفع اليه غنيمات يرعاها ثم دعا به بعد مدة فرآه باليا أشعث في ثوبين أطلسين وذكر عند عمر بخير فرده الى عمله وقال كلوا واشربوا وادهنوا فانكم تعلمون الذي تنهون عنه وروي عن الحسن انه قال اقرعوا من هذه الاعواد فانهم اذا رقوها لقنوا الحكمة لتكون عليهم حجة يوم القيامة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز يرثيه أنشدنيه الرياشي

قد غيب الدافنون اللحد اذ دفنوا * بدير سمعان قسطاس الموازين

من لم يكن همه عينا يفجرها * ولا النخيل ولا ركض البراذين

أقول لما أتاني ثم مهلكه * لا يبعدن قوام الملك والدين

يقال هذا قوام الامر وملاكه لا غير وتقول فلان حسن القوام مفتوح تريد بذلك الشطاط لا يكون الا ذلك وقوام اذا كان اسما لم تنقلب واوه ياء من أجل الكسرة لانها متحركة الا ان يكون جمعا فقد كانت الواو في واحده ساكنة فتنقلب في الجمع لان حركتها لعلة تقول سوط

وسياطٌ وثَوب وثِياب وحَوض وحِياض فان قالت الواو في الواحد متحركة تثبت في الجمع نحو طويل وطوالٌ وكذلك فعالٌ اذا كان مصدراً صح اذا صح فعله واعتلّ اذا اعتل فعله فما كان مصدراً لفاعلت فهو فعالٌ صحيح نحو قاولته قِوالاً ولاوذته لِواذاً كقول الله عز وجل قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لِواذاً أي مُلاوذةً واذا كان مصدراً فعلت اعتلّ لاعتلال الفعل نقلت قمت قياماً ونمت نياماً ولذت لياذاً وعذت عياذاً وقال عُوَيف القوافي شعراً يرثي سليمان بن عبد الملك ويذكر عمر بن عبد العزيز رحمه الله هذا ما اخترنا منه

لاح سحابٌ فرأينا برقَهُ * ثم تدانى فسمعنا صَعقَهُ

وراحت الريح تُزجّي بَلَقَهُ * ودَهمَهُ ثم تُزجّي وُرقَهُ

ذاكَ سَقى وَدْقاً فَرَوّى وَدْقَهُ * قبراً مرىءٍ أعظم ربي حقّهُ

قبرَ سليمانَ الذي مَن عقّهُ * وجحدَ الخيرَ الذي قد بقّهُ

في العالمين جِلَّهُ ودِقَّهُ * لما ابتلى اللهُ بخيرٍ خلقَهُ

وكادت النفسُ تُساوي حَلقَهُ * ألقى الى خيرِ قريشٍ وَسْقَهُ

يا عمرَ الخيرِ المُلَقّى وَفقَهُ * سُميتَ بالفاروقِ فافرُق فَرقَهُ

وارزُق عيالَ المسلمين رِزقَهُ * واقصد الى الخيرِ ولا تُوَقّهُ

بحرُكَ عذبُ الماءِ ما أعقّهُ * ربُّكَ والمحرومُ من لم يُسقَهُ

يقال لاح البرق اذا بدا وألاح اذا تلألأ وهذا البيت يُنشَد * من هاجه الليلة برقٌ ألاح *
ويقال شرقت الشمس اذا بدت وأشرقت اذا أضاءت وصفت ويقال صاعقة وصاقعة وبنو تميم تقول صاقعة والصعق شدة الرعد ويعني به في أكثر ذلك ما يعتري من سمع صوت الصاعقة وقوله تزجي يقول تسوقه وتستحثه والابلق من السحاب ما فيه سواد وبياض وفي الخيل كل لون يخالطه بياض فهو بلق والاورق الذي بين الخضرة والسواد وهو الأم ألوان الابل ويقال ان لحم البعير الاورق أطيب لُحمان الابل والودق المطر يقال ودقت السماء

يا فتى تدق ودقا قال الله جل وعز فترى الودق يخرج من خلاله وقال عامر بن جوين الطائى

فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

وأصل العق القطع فى هذا الموضع وللعق مواضع كثيرة يقال عق والديه يعقهما اذا قطعهما وعققت عن الصبى من هذا وقالوا بل هو من العقيقة وهى الشعر الذى يولد الصبى به يقال فلان بعقيقته اذا كان بشعر الصبا لم يحلقه ويقال سيف كأنه عقيقة أى كأنه لمعة برق يقال رأيت عقيقة البرق يا فتى أى اللمعة منه فى السحاب ويقال فلان عقت تميمته ببلد كذا أى قطعت عنه فى ذلك الموضع قال الشاعر

ألم تعلمى يا دار بلجاء أننى * اذا أخصبت أو كان جدبا جنابها

أحب بلاد الله ما بين مشرف * الى وسلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها عق الشباب تميمتى * وأول أرض مس جلدى ترابها

وقوله وبحد الخير الذى قد بقه يقال بق فلان فى الناس خيرا كثيرا وبق ولدا كثيرا وأبق كلاما كثيرا وقوله ألقى الى خير قريش وسقه فهذا مثل يريد قلده أمره والوسق الحمل وقوله الملقى وفقه يقال لقى فلان خيرا أى جعل يلقاه والوسق من الكيل مقدار خمسة أقفزة بقفيز البصرة وهو قفيزان ونصف بقفيز مدينة السلام وقوله ليس فى أقل من خمسة أوسق صدقة انما مبلغ ذلك خمسة وعشرون قفيزا بقفيز البصرى والوفق التوفيق وقوله سميت بالفاروق فتأويل الفاروق هو الذى يفرق بين الحق والباطل وكذلك قال المفسرون فى الفرقان وقد أبان ذلك بقوله فافرق فرقه وقوله وارزق عيال المسلمين رزقه يقال رزقه برزقه رزقا والاسم الرزق وقوله بحرك عذب الماء ما أعقه مقلوب اعقاه وما أقعه ريك يقال ماء قعاع وماء حراق فالقعاع الشديد الملوحة يقول ما أملحه ربك والحراق الذى يحرق كل شئ بملوحته والماء العذب يقال له النقاخ وما دون ذلك شيأ يقال له المسوس أنشد أبو عبيدة

لو كنت ماء كنت لا * عذب المذاق ولا مسوسا

يقال ماء عذب وماء فرات وهو أعذب العذب ويقال ماء ملح ولا يقال مالح وسمك مملوح ومليح

ولا يقال مالح وأنشد الماء ملوحة الأجاج قال الفرزدق

ولو أسقيتهم عسلاً مصفّى * بماء النيل أو ماء الفرات

لقالوا انه ملح أجاج * أراد به لنا احدى الهنات

وقوله ذلك سقى ودقا فروى ودقه يقال فيه قولان أحدهما فروّى الغيم ودقه هذا القبر يريد من ودقه فلما حذف حرف الجر عمل الفعل والآخر كقولك روّيت زيدا ماء وروّى أكثر من أروى لان روّى لا يكون الا مرة بعد مرة يقول فروّى الله ودقه أى جعله رواء فأضمر لعلم المخاطب لأن قوله لاح سحاب اغا معناه ألا حه الله فالفاعل كالمذكور لان المعنى عليه ونظيره قوله جل وعز انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ولم يذكر الشمس وكذلك ما ترك على ظهرها من دابة ولم يذكر الارض وقال قوم ودقه يريد ودقة واحدة وهذا اردى في المعنى ليس بمبالغ قال ابن الموصلى

لعمرى لئن حلئت عن منهل الصبا * لقد كنت ورّاداً لمنهله العذب

ليالى أمشى بين بردىّ لاهيا * أميس كغصن البانة الناعم الرطب

سلام على سير القلاص مع الركب * ووصل الغوانى والمدامة والشرب

سلام امرئ لم تبق منه بقية * سوى نظر العينين أو شهوة القلب

قوله والشرب يريد جمع شارب يقال شارب وشرب وراكب وركب وتاجر وتجر وزائر وزور قال الطرماح حب بالزور الذى لا يرى * منه الا صفحة عن لمام

وهذا باب متصل كثير قال العجاج

بواسط أكرم دار دارا * والله سمى نصرك الانصارا

يريد أنصارك فأخرجه على ناصر ونصر وقوله سلام امرئ على البدل من قوله سلام على سير القلاص وان شئت نصبت بفعل مضمر كانك قلت أسلم سلام امرئ لانك ذكرت سلاما أولا ومثل ذلك له صوت صوت حمار لانك لما قلت له صوت دللت على أنه يصوت كانك قلت

بصوتٍ صوتَ حمارٍ وكذلك له حنينٌ حنينَ ثَكْلَى وله صريفٌ صريفَ الفحلِ بالمصدر أى يصرف صريفا فما كان من هذا نكرة فنصبه على وجهين على المصدر وتقديره يصرف صريفا مثل صريف جَمَلٍ وان شئتَ جعلته حالا وتقديره يخرجه فى هذه الحال وما كان معرفة لم يكن حالا ولكن على المصدر فان كان الاول فى غير معنى الفعل لم يكن النصب ألبتّة ولم يصلح الا الرفع على البدل تقول له رأسٌ رأسُ ثورٍ وله كفٌّ كفُّ أسدٍ فالمرتفع الثانى اذا كان نكرة كان بدلا أو نعتا واذا كان معرفة كان بدلا ولم يكن نعتا لان النكرة لا تُنْعَتُ بالمعرفة وكذلك اذا كان الاول ابتداء لم يجز الا الرفع لان الكلام غير مُسْتَغْنٍ وانما يجوز الاضمار بعد الاستغناء تقول صوتُهُ صوتُ الحمارِ وغناؤُهُ غناءُ المُجيدين وكذلك ان خَبَّرْتَ بأمرٍ مستقرٍّ فيه اختير الرفع تقول له علمٌ علمُ الفقهاء وله رأىٌ رأىُ القضاة لانك انما تمدحه بان هذا قد استقر له وليس الابلغ فى مدحه ان تخبر بانك رأيته فى حال تَعَلُّمٍ ويجوز النصب على انك رأيته فى حال تَعَلُّمٍ فاستدللت بذلك على علمه فهذا يَصْلُحُ والاجودُ الرفع فاذا قلت له صوتٌ صوتَ حمارٍ فانما خَبَّرْتَ أنه يُصَوِّتُ فهذا سوى ذلك المعنى ومما يُختار فيه الرفعُ قولك عليه نوحٌ نوحُ الحَمَامِ وانما اختير الرفع لان الهاء فى عليه اسم المفعول له والهاء فى له اسم الفاعل ويجوز النصب على انك اذا قلت عليه نوح دل النوح على أن معه نائحا فكانك قلت ينوحون نوحَ الحمام فهذا تفسير جميع هذه الابواب وقال ابن الخيّاط المدنىّ يعنى مالك بن أنس

يأبى الجوابَ فما يُراجَعُ هيبةً * والسائلون نواكسُ الأذقانِ

هَدْىُ التقىِّ وعزُّ سلطانِ النُّهى * فهو العزيزُ وليس ذا سلطانِ

أراد له هدىُ التقىّ أو معه هدى التقىّ

((تم الجزء الاول من كتاب الكامل ويليه الجزء الثانى وأوله (باب) قال أبو العباس نذكر فى هذا الباب من كل شئ شيأ الخ))

فهرس

الجزء الأول من الكامل

الكامل في اللغة والأدب

للعلامة أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد
النحوي المتوفى سنة ٢٨٥ هـ

سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين وهي كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها اهـ
ابن خلدون

الجزء الثاني

روجعت وقوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية
بمعرفة لجنة من العلماء

يطلب من
المكتبة التجارية الكبرى
بمصر ص. ب ٥٧٨

مطبعة الاستقامة بالقاهرة
شارع كوبري باشا رقم ١٢

الله

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

٤٦ - باب

قال أبو العباس نذكر في هذا الباب من كل شيء شيئاً لتكون فيه استراحةٌ للقارئ وانتقالٌ ينفي الملل لحسن موقع الاستطراف ونخلطُ ما فيه من الجد بشيء يسير من الهزل ليستريح اليه القلبُ وتسكن اليه النفسُ قال أبو الدرداء رحمه الله اني لأستجمّ نفسي بالشيء من الباطل ليكون أقوى لها على الحق وقال علي بن أبي طالب رحمه الله القلبُ اذا أُكره عمي وقال ابن مسعود رحمه الله القلوب تملّ كما تملّ الابدانُ فابتغوا لها طرائف الحكمة وقال ابن عباس رضي الله عنه العلمُ أكثرُ من أن يُؤتى على آخره فخُذُوا من كل شيء أحسنَهُ وليس هذا الحديث من الباب الذي ذكرنا ولكن نذكر الشيء بالشيء اما لاجتماعهما في لفظ واما لاشتراكهما في معنى وقال الحسن وليس من هذا الباب حادثوا هذه القلوبَ فانها سريعةُ الدثُورِ واقدعوا هذه الانفس فانها طلعةٌ وانكم الا تزعوها تنزع بكم الى شر غاية وقد مضى

تفسير هذا الكلام وقال أردشير بن بابك ان للآذان مجّة وللقلوب مللا ففرقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماما وكان أنوشروان يقول القلوب تحتاج الى أقواتها من الحكمة كاحتياج الابدان الى أقواتها من الغذاء وروي انه أصيب في حكمة آل داود لا ينبغي للعاقل ان يخلي نفسه من واحدة من أربع من غد ولمعاد أو اصلاح لمعاش أو فكر يقف به على ما يصلحه مما يفسده أو لذة في غير محرم يستعين بها على الحالات الثلاث وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لابيه يوما يا أبت انك تنام نوم القائلة وذوا الحاجة على بابك غير نائم فقال له يا بني ان نفسي مطيتي فان حملت عليها في التعب حسرتها أي لم أبلغ قوله حسرتها بلغت بها أقصى غاية الاعياء قال الله جل وعز ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وأنشد أبو عبيدة

ان العسير بها داء مخامرها * فشطرها نظر العينين محسور

قوله فشطرها يريد قصدها ونحوها قال الله جل وعز فول وجهك شطر المسجد الحرام قال الشاعر

لهن الوجا لم كن عونا على النوى * ولا زال منها ظالع وحسير

يعني الابل يقول هي المفرقة كما قال الآخر

ما فرق الالاف بعد الله الا الابل

ولا اذا صاح غرا * ب في الديار احتملوا

وما غراب البين الا ناقة أو جمل

(قال أبو الحسن وزادني فيه غير أبي العباس

والناس يلحون غرا * ب البين لما جهلوا

والبائس المسكين ما * تطوى عليه الرحل

ويقال انه لابي الشيص) قال أبو العباس فمن قال آلف للواحد قال للجميع ألاف كعامل وعمال وشارب وشراب وجاهل وجهال ومن قال الف قال للجميع آلاف وتقديره عدل

واعدال وحل واجمال ونقل واثقال وقد أنصف الابل الذي يقول

ألا فرعى الله الرواحل انها * مطايا قلوب العاشقين الرواحل

على انهن الواصلات عرى النوى * اذا ما نأى بالآلفين التواصل

وقال الآخر

اقول والهوجاء تمشي والفضل * قطعت الاحداج أعناق الابل

الهوجاء التي تجد في السير وتركب رأسها كأن بها هوجا كما قال * لله در اليعملات الهوج *

وكما قال الاعشى

وفيها اذا ما هجرت عجرفية * اذا خلت حرباء الوديقة أصيدا

والفضل مشية فيها اختيال كأن مشيتها تخرج عن خطامها فتفضل عليه والاصل في ذلك ان

يمشي الرجل وقد أفضل من ازاره وتمشي المرأة وقد أفضلت من ذيلها وانما يفعل ذلك من

الخيلاء ولذلك جاء في الحديث فضل الازار في النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي

تميمة الهجيمي واياك والمخيلة فقال يا رسول الله نحن قوم عرب فما المخيلة فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم سبل الازار وقال الشاعر (ويقال انه لقيس بن الخطيم)

ولا ينسيني الحدثان عرضي * ولا أرخي من المرح الازارا

وقال أبو قيس بن الاسلت الانصاري

تمشي الهوينا اذا مشت فضلا * كأنها عود بانة قصف

(قال أبو الحسن علي بن سليمان ما نعرف هذا البيت الا لقيس بن الخطيم الانصاري أعني

تمشي الهوينا) وقال أبو العباس وقال الوليد بن يزيد

أنا الوليد الامام مفتخرا * أنعم بالي وأتبع الغزلا

أنقل رجلي الى مجالسها * ولا أبالي مقال من عذلا

غَرّاءُ فَرْعاءُ يُستضاءُ بها * تمشي الهوينا اذا مشت فُضُلا

ثم نعود الى الباب قال الراجز يعني ابلهُ أو ناقته

انّ لها لَسائقًا خَدَبَّجَا * لم يُدْلِجِ الليلةَ فيمن أدْلجا

الخَدَبَّجُ المُدمَّجُ الساقين واغماغني المرأة التي صافه حبه اليها والكلام يجري على ضروب فمنه

مايكون في الاصل لنفسه ومنه مايكنى عنه بغيره ومنه مايقع مثلاً فيكون ابلغ في الوصف

والكناية تقع على ثلاثة أضرب احدها التَّعميةُ والتَّغطيةُ كقول النابغة الجَعْديّ

أكْني بغير اسمها وقد علِمَ الله خَفِيّاتِ كلِّ مُكْتَتَمِ

وقال ذو الرمة استراحة الى التصريح من الكناية

أُحِبُّ المكانَ القفرَ من اجلِ أنني * به أتَغَنّى باسمها غيرَ مُعْجِمِ

وقال أحد القرشيين هو محمد بن نُمَيْر الثقفي

وقد أرسلتْ في السرِّ ان قد فضحتَني * وقد بُحْتَ باسمي في النسيب وما تَكْني

ويروى ان عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة قال شعرا وكتب به بحضرة ابن أبي عتيق الى امرأة

مُحْرِمَة وهو الَمَّا بذات الخال فاسْتَطْلِعا لنا * على العَهْدِ باقٍ وُدُّها أم تَصَرَّما

وقولا لها انَّ النوى أجنبيةٌ * بنا وبكم قد خِفْتُ ان تَتَيَمَّما

قال فقال له ابن أبي عتيق ماذا تريد الى امرأة مسلمة محرمة تكتب اليها بمثل هذا الشعر قال فلما

كان بعد مُدَيْدَة قال له ابن أبي ربيعة أما علمتَ أن الجواب جاءنا من عند ذلك الانسان

فقال له ما هو فقال كتبت

أَضحى قريضُكَ بالهوى نَمّاما * فاقصِدْ هُدِيتَ وكُنْ له كتّاما

واعلمْ بأنَّ الخالَ حين ذكرتَه * قَعَدَ العدوُّ به عليكَ وقاما

ويكون من الكناية وذلك أحسنها الرغبة عن اللفظ الخسيس المُفْحِشِ الى مايدل على معناه

من غيره قال الله وله المثل الاعلى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم وقال أو لامستم النساء والملامسة في قول أهل المدينة مالك وأصحابه غير كناية انما هو اللمس بعينه يقولون في الرجل تقع يده على امرأته أو على جاريته بشهوة ان وضوءه قد انتقض وكذلك قولهم في قضاء الحاجة جاء فلان من الغائط وانما الغائط الوادي وكذلك المرأة قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي

فكم من غائط من دون سلمى * قليل الانس ليس به كتيع

وقال الله جل وعز في المسيح بن مريم وأمه صلى الله عليهما كانا يأكلان الطعام وانما هو كناية عن قضاء الحاجة وقال وقالوا لجلودهم لما شهدتم علينا وانما هي كناية عن الفروج وهذا كثير والضرب الثالث من الكناية التفخيم والتعظيم ومنه اشتقت الكنية وهو ان يعظم الرجل ان يدعى باسمه ووقعت في الكلام على ضربين وقعت في الصبي على جهة التفاؤل بان يكون له ولد ويدعى بولده كناية عن اسمه وفي الكبير ان ينادى باسم ولده صيانة لاسمه وانما يقال كني عن كذا بكذا أي ترك كذا الى كذا البعض ما ذكرنا وكان خالد بن عبد الله القسري لعنه الله يلعن علي بن أبي طالب رحمة الله عليه ورضوانه على المنبر فيقول فعل الله على علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة وأبي الحسن والحسين ثم يقبل على الناس فيقول أكنيت فهذا تأويل هذا قال أبو العباس ونرجع الى الباب الذي قصدناه قال اعرابي

وحقة مسك من نساء لبستها * شبابي وكاس باكرتني شمولها

جديدة سربال الشباب كأنها * اباءة بردى سقتها غيولها

محملة باللحم من دون خصرها * تطول القصار والطوال تطولها

قوله باكرتني شمولها زعم الاصمعي ان الخمر انما سميت شمولا لان لها عصفة كعصفة

الريح الشمال وقوله اباءة بردي الاباءة القصبة وجمعها الاباء قال كعب بن مالك الانصارى

من مره ضرب يرعبل بعضه * بعضا كمعمعة الاباء المحرق

المعمعة صوت احراقه يقال سمعت معمعة القصب والقوسرة فى النار أى صوت احتراقها

وانما شبه المرأة بالبردية والقصبة لنقاء اللون المستتر منها وماواه ورقته قال حميد بن ثور

الهلالى لم ألق عمرة بعد اذهى ناشئ * خرجت معطفة عليها مئزر

(العطاف الوشاح من النساء)

برزت عقيلة أربع هادينها * بيض الوجوه كأنهن العنقر

(العنقر أصول القصب يقال عنقر وعنقر) وفى هذا الشعر

ذهبت بعقلك ربطة مطوية * وهى التى تهدى بها لو تنشر

(قال أبو الحسن أنشدنيه ثعلب فى قوله لو تنشر تشعر)

فهممت ان أغشى اليها محجرا * ولمثلها يغشى اليه المحجر

وقوله سقتها غيولها الغيل ههنا الاجمة ومن هذا قولهم أسد غيل قال طرفة

أسد غيل فاذا ما شربوا * وهبوا كل أمون وطمر

وقد أملينا جميع ما فى الغيل والغيل وقوله تطول القصار والطوال تطولها طال يكون

على ضربين أحدهما تقديره فعل وهو ما يقع فى نفسه انتقالا لا يتعدى الى مفعول نحو ما كان

كريما فكرم وما كان وضيعا ولقد وضع وما كان شريفا ولقد شرف وكان الشئ صغيرا

فكبر وكذلك كان قصيرا فطال وأصله طول وقد أخبرنا بقصة الياء والواو اذا انفتح ما قبلهما

وهما متحركتان وعلى ذلك يقال فى الفاعل فعيل نحو شريف وكريم وطويل فاذا قلت طاولنى

فطلته أى فعاولته طولا فتقديره فعل نحو خاصمنى فخصمته وضاربنى فضربته وفاعله طائل

كقولك ضارب وخاصم وفى الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الربعة واذا

مشى مع الطوال طالهم وقال رياح بن سُنَيْح الزنجي مولى بني ناجية وكان فصيحا يجيب جريرا لما قال جرير

لا تطلبن خؤولة في تغلب * فالزنج أكرم منهم أخوالا

فتحرك رياح فذكر أكثر من ولدته الزنج من اشراف العرب في قصيدة مشهورة معروفة يقول فيها

والزنج لو لاقيتهم في صفهم * لاقيت ثم جحاجحا أبطالا

ما بال كلب بني كليب سبهم * ان لم يوازن حاجبا وعقالا

ان الفرزدق صخرة عادية * طالت فليس تنالها الأجبالا

يريد طالت الاجبال فليس تنالها ثم نعود الى ذكر الباب وقال مروان بن أبي حفصة وهو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة واسم أبي حفصة يزيد

ان الغواني طالما قتلننا * بعيونهن ولا يدين قتيلا

من كل آنسة كأن جمالها * ضمن أحور في الكناس كحيلا

أردين عروة والمرقش قبله * كلا أصيب وما أطاق ذهولا

ولقد تركن أبا ذؤيب هائما * ولقد تبلن كثيرا وجميلا

وتركن لابن أبي ربيعة منطقا * فيهن أصبح سائرا محمولا

الا أكن ممن قتلن فانني * ممن تركن فؤاده مخبولا

قوله ولا يدين قتيلا يقال ودى يدي وكل ما كان من فعل مما فاؤه واو ومضارعه يفعل فالواو ساقطة منه لوقوعها بين ياء وكسرة وكذلك ما كان منه على فعل يفعل لان العلة في سقوط الواو كسرة العين بعدها وقد مضى تفسير هذا ولكن في يدين علة أخرى وهي ان الياء التي هي لام الفعل بعد كسرة فهي تعتل اعتلال آخر رمى وأوله يعتل اعتلال واو يعد واحتمل علتين لان بينهما حاجزا ومثل ذلك وعى يعي ووقى يقي ووفى يفي ووشى يشي ووني في أمره يني وما أشبه

ذلك ويقع في فعل نحو ولي الامير الآن يلي فاذا أمرت كان الفعل على حرف واحد في الوصل لاتصاله بما بعده تقول يا زيد ع كلاما وش ثوبا وتقول ل عمرا يا زيد من وليت فاذا وقفت قلت له وشه وقه لا يكون الا ذلك لان الواو تسقط فتبتدئ بمتحرك فلا يحتاج الى ألف وصل فاذا وقفت احتجت الى ساكن تقف عليه فأدخلت الهاء لبيان الحركة في الاول ولم يجز الا ذلك ومن قال لك الفظ لي بحرف واحد غير موصول فقد سألك محالا لانك لا تبتدئ الا بمتحرك ولا تقف الا على ساكن فقد قال لك الفظ لي بساكن متحرك في حال وقوله ضمن يقال ضمن القبر زيدا وضمن القبر زيد كل صحيح فمن قال ضمن القبر زيدا فانما أراد جعل القبر ضمين زيد ومن قال ضمن زيد القبر فانما أراد جعل زيد في ضمن القبر وينشد هذا البيت على وجهين (لابي حية النميري)

وما غائب من غاب يرجى ايابه * ولكنه من ضمن اللحد غائب

ومن روى من ضمن اللحد غائب يريد من ضمنه اللحد وحذف الهاء من صلة من وهذا من الواضح الذي لا يحتاج الى تفسير وقوله أحور يعني ظبيا وأهل الغريب يذهبون الى أن الحور في العين شدة سواد سوادها وشدة بياض بياضها والذي عليه العرب انما هو نقاء البياض فعند ذلك يتضح السواد وقد فسرنا الحور والحواري والكناس حيث تكنس البقرة والظبية وهو أن تتخذ في الشجرة العادية كالبيت تأوي اليه وتبعر فيه فيقال ان رائحته أطيب رائحة لطيب ما ترتعي قال ذو الرمة

اذا استهلت عليه غبية أرجت * مرابض العين حتى يأرج الخشب
كأنه بيت عطار يضمنه * لطائم المسك يحويها وتنتهب

قوله غبية هي الدفعة من المطر وعند ذلك تتحرك الرائحة والأرج توهج الريح وانما يستعمل في الريح الطيبة والعين جمع عيناء يعني البقرة الوحشية وبها شبهت المرأة فقيل حور عين

واللطيمة الابل التي تحمل العطر والبز لا تكون لغير ذلك فيقول ضمن ظبيا أحور العين أكحل وجعل الجمال كالكناس وقال ابن عباس في قول الله جل وعز فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس قال أقسم ببقر الوحش لانها خنس الانوف والكنس التي تلزم الكناس وقال غيره أقسم بالنجوم التي تجري بالليل وتخنس بالنهار وهو الاكثر وقوله أردين يقول أهلكن والردى الهلاك والموت من ذا والذهول الانصراف يقال ذهل عن كذا وكذا اذا انصرف عنه الى غيره (قال الله عز وجل يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت أي تسلى وتنسى عنه الى غيره) قال كثير

صحا قلبه يا عز أو كاد يذهل * وأضحى يريد الصرم أو يتدلل

وقوله ولقد تبلن كثيرا وجبلا أصل التبل الترة يقال تبلني عند فلان قال حسان بن ثابت

تبلت فؤادك في المنام خريدة * تشفي الضجيع ببارد بسام

والخريدة الحيية وقوله ممن ترك فؤاده مخبولا يريد الخبل وهو الجنون ولو قال محبولا لكان حسنا يريد مصيدا واقعا في الحبالة كما قال الاعشى

فكلنا هائم في اثر صاحبه * دان وناء ومحبول ومحتبل

وخبرت أن رجلا جافيا عشق قينة حضرية فكلمها يوما على ظهر الطريق فلم تكلمه فظن أن ذلك حياء منها فقال يا خريدة قد كنت أحسبك عروبا فاذا انت عقد نوتشنتينا فقالت يا ابن الخبيثة أتجمشني بالهمز الخريدة الحيية والعروب الحسنة التبعل وفسر في القرآن على ذلك في قول عربا أترابا فقيل هن المحبات لازواجهن قال أوس بن حجر (ويقال عبيد ابن الابرص

وقد لهوت بمثل الرئم آنسة) * تصبي الحليم عروب غير مكلاح

وذكر الليثي أن رجلا أحب جارية ولم يكن يحسن مما يتوصل به الى النساء شيأ الا أنه كان

يحفظ القرآن فكان يتوصل اليها بالآية بعد الآية فكان ان وعدته واخلفته تحين وقت مرورها فقال يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وان خرجت خرجة ولم يعلم بها فينتظر تحينها فى أخرى فقال ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وان وشى به اليها واش كتب اليها يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة * وذكروا أن أبا القاسم بن بحر السقاء عشق جارية مدنية فبعث اليها ان اخوانا الى زاروني فابعثي الى برؤس حتى نأكلها ونصطبح على ذكرك ففعلت فلما كان اليوم الثاني بعث اليها ان القوم مقيمون لم نفترق فابعثي الى بقلية بجزورية وبقرية قديدية حتى نتغداها ونصطبح على ذكرك فلما كان فى اليوم الثالث بعث اليها انا لم نفترق فابعثي الى بسنبوسك حتى نصطبح اليوم على ذكرك فقالت لرسوله انى رأيت الحب يحل فى القلب ويفيض الى الكبد والأحشاء وان حب صاحبنا هذا ليس يجاوز المعدة وخبرت أن أبا العتاهية كان قد استأذن فى أن يطلق له أن يهدى الى أمير المؤمنين المهدى فى النيروز والمهرجان فأهدى فى أحدهما برنية ضخمة فيها ثوب ناعم مطيب قد كتب فى حواشيه

نفسى بشئ من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدى يكفيها
انى لأيأس منها ثم يطمعنى * فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهم بدفع عتبة اليه فجزعت وقالت يا أمير المؤمنين حرمتى وخدمتى أتدفعنى الى رجل قبيح المنظر بائع جرار ومكتسب بالعشق فأعفاها وقال املؤا هذه البرنية مالا فقال للكتاب أمر لى بدنانير فقالوا ما ندفع ذلك ولكن اذا شئت أعطيناك دراهم الى أن يفصح بما أراد فاختلف فى ذلك حولا فقالت عتبة لو كان عاشقا كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول فى التمييز بين الدراهم والدنانير وقد أعرض عن ذكرى صفحا ودعت أبا الحرث جميز واحدة كان يحبها فجلست تحادثه ولا تذكر الطعام فلما طال ذلك به قال جعلنى الله فداك لا أسمع للغداء ذكرا

قالت أما تستحي أما في وجهي ما يشغلك عن ذا قال لها جعلني الله فداك لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان شيأ لبزق كل واحد منهما في وجه صاحبه وافترقا وأنشدت لاعرابي

وقد رابني من زهدم أن زهدما * يشد على خبزي ويبكي على جمل

فلو كنت عذري العلاقة لم تكن * سمينا وأنساك الهوى كثرة الاكل

وقال أعرابي

ذكرتك ذكرة فاصطدت ضبا * وكنت اذا ذكرتك لا أخيب

وقال ذو الرمة

* ألم تعلمي يا مي أنا وبيننا * مهاو لطرف العين فيهن مطرح

ذكرتك ان مرت بنا أم شادن * أمام المطايا تشرئب وتسنح

من المؤلفات الرمل أدماء حرة * شعاع الضحى في لونها يتوضح

هي الشبه أعطافا وجيدا ومقلة * وميسة أبهى بعد منها وأملح

كأن البرى والعاج عيجت متونه * على عشر نهى به السيل أبطح

لئن كانت الدنيا علي كما أرى * تباريح من ذكراك للموت أروح

قوله مهاو واحدتها مهواة وهو الهواء بين الشيئين ويقال لفلان في داره مطرح اذا وصفها بالسعة يقال فلان يطرح بصره كذا مرة وكذا مرة وأنشد سيبويه

تظارة حين تعلو الشمس راكبها * طرحا بعيني لياح فيه تحديد

اللياح من البياض واللوح العطش واللوح الهواء والشادن الذي قد شدن أي تحرك وقوله تشرئب يقال اذا وقف ينظر كالمتحير قد اشرأب نحوي ويقال هو يسرح في المرعى وقوله من المؤلفات يقال آلفت المكان أولفه ايلافا ويقال ألفته الفا وفي القرآن لايلاف قريش ايلافهم وقرؤا الفهم على القصر وقوله الرمل النصب فيه أجود بالفعل ويجوز الخفض

على شئ نذكره بعد الفراغ من هذا الباب ان شاء الله وأصل الهجان الابيض والعطف ما انثنى من العنق قال ثانى عطفه و يقال للاردية العطف لانها تقع على ذلك الموضع وفى الحديث ان قوما يزعمون أنهم من قريش أتوا عمر بن الخطاب رحمه الله وكان قائفا ليثبتهم فى قريش فقال اخرجوا بنا الى البقيع فنظر الى أكفهم ثم قال اطرحوا العطف واحدها عطاف ثم أمرهم فأقبلوا وأدبروا ثم أقبل عليهم فقال ليست باكف قريش ولا شمائلها فاعطاهم فيمن هم منه والجيد العنق والبرى الخلاخيل واحدتها برة وهى من الناقة التى تقع فى مارن الانف والذى يقع فى العظم يقال له الخشاش والعاج كان يتخذ مكان الاسورة قال جرير

ترى العبس الحولى جونا بكوعها * لها مسكا من غير عاج ولا ذبل

العبس ما يتعلق من الابعار والبول باذناب الابل والوذح الذى يتعلق باطراف أليات الشاء و يكون العبس فى أذناب الابل من البول اذا خثروا الجون ههنا الاسود وهو الاغلب فيه والكوع رأس الزند الذى يلى الابهام والكرسوع رأسه الذى يلى الخنصر والمسكة السوار والذبل شئ يتخذ من القرون كالاسورة و يقال سوار وسوار واسوار قالت الخنساء

* كأنه تحت طى البرد اسوار * والعشر شجر بعينه والابطح ما انبطح من الوادى يقال أبطح و بطحاء يافتى وأبرق و برقاء وأمعز ومعزاء وهذا كثير والتباريح الشدائد يقال برح به وفى الحديث فأين أصحاب النهر قال لقوا برحا والعرب لا تعرفه الاساكن الراء قال جرير

ما كنت أول مشعوف أضربه * برح الهوى وعذاب غير تفتير

(قال أبو الحسن وقد سمعنا من غير أبى العباس يقال لقيت منك برحا بالفتح و يقال لقى منه البرحين أى الدواهى الشداد التى تبرح) قال أبو العباس فى المثل السائر قيل لرجل ما أخفى قال ما لم يكن وفى تفسير هذه الآية يعلم السر وأخفى قال ما حدثت به نفسك كما قال أو أكننتم

في أنفسكم وتقديره في العربية وأخفى منه والعرب تحذف مثل هذا فيقول القائل مررت بالفيل أو أعظم وانه لكالبقة أو أصغر ولو قال رأيت زيدا أو شبيها جاز لان في الكلام دليلا ولو قال رأيت الجمل أو را كبا وهو يريد عليه لم يجز لانه لا دليل فيه والاول انما قرّب شيأ من شيء وههنا انما ذكر شيأ ليس من شكل ما قبله فاما قوله جل ثناؤه وهو أهون عليه ففيه قولان أحدهما وهو المرضي عندنا انما هو وهو عليه هيّن لان الله جل وعز لا يكون عليه شيء أهون من شيء آخر وقد قال معن بن أوس

لعمرك ما أدري واني لأوجل * على أينا تغدو المنية أول

أراد واني لوجل وكذلك يتأوّل ما في الاذان الله أكبر الله أكبر أي الله كبير لانه انما يفاضل بين الشيئين اذا كانا من جنس يقال هذا أكبر من هذا اذا شاكله في باب فأما الله أجود من فلان والله أعلم بذلك منك فوجهه بيّن لانه من طريق العلم والمعرفة والبذل والاعطاء وقوم يقولون الله أكبر من كل شيء وليس يقع هذا على محض الرؤية لانه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء وكذلك قول الفرزدق

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

جائز أن يكون قال للذي يخاطبه من بيتك فاستغنى عن ذكر ذلك بما جرى من المخاطبة والمفاخرة وجائز أن تكون دعائمه عزيزة طويلة قال الراجز

قبحتم يا آل زيد نفرا * ألأم قوم أصغرا وأكبرا

يريد صغارا وكبارا فأما قول مالك بن نويرة في ذؤاب بن ربيعة حيث قتل عتيبة بن الحرث بن شهاب وتفخر بني أسد بذلك مع كثرة من قتلت بنو يربوع منهم

فخرت بنو أسد بمقتل واحد * صدقت بنو أسد عتيبة أفضل

فانما معناه أفضل ممن قتلوا على ذلك يدل الكلام وقد أبان ما قلنا في بيته الثاني بقوله

نخروا عقله ولا يوفى به * متى سرائهم الذين نقتل

والقول الثانى فى الآية وهو أهون عليه عندكم لان اعادة الشئ عند الناس أهون من ابتدائه حتى يجعل شيأ من لا شئ ثم نعود الى الباب قال زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * ولو خالها تخفى على الناس تعلم

فهذا مثل المثل الذى ذكرناه وقال عمرو بن العاص اذا أنا أفشيت سرى الى صديقى فأذاعه فهو فى حل فقيل له وكيف ذاك قال أنا كنت أحق بصيانته وقال امرؤ القيس

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخزان

وأحسن ما سمع فى هذا ما يعزى الى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقائل يقول هوله ويقول آخرون قاله متمثلا ولم يختلف فى أنه كان يكثر انشاده

فلا تفش سرك الا اليك * فان لكل نصيح نصيحا

وانى رأيت غواة الرجا * ل لا يتركون أديما صحيحا

وذكر العتبى أن معاوية أسر الى عثمان بن عنبسة بن أبى سفيان حديثا قال عثمان فجئت الى أبى فقلت ان أمير المؤمنين أسر الى حديثا أفأحدثك به قال لا انه من كتم حديثه كان الخيار اليه ومن أظهره كان الخيار عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد ان كنت مالكا فقلت له أو يدخل هذا بين الرجل وأبيه فقال لا ولكنى أكره أن تذلل لسانك بافشاء السر قال فرجعت الى معاوية فذكرت ذلك له فقال معاوية أعتقك أخى من رق الخطأ وقال معاوية أعنت على على رحمه الله بأربع كنت رجلا أكتم سرى وكان رجلا ظهرة وكنت فى أطوع جند وأصلحه وكان فى أخبث جند وأعصاه وتركته وأصحاب الجمل وقلت ان ظفروا به كانوا أهون على منه وان ظفر بهم اعتددت بها عليه فى دينه وكنت أحب الى قريش منه فيالك من جامع الى ومفرق عنه وعون لى وعون عليه وقال أردشير اذا فى كل

مكتوم وقال الاخطل

ان العداوة تلقاها وان قدمت * كالعر يكمن حيناً ثم ينتشر

وقال جميل

ولا يسمعن سري وسرك ثالث * ألا كل سر جاوز اثنين شائع

وقال آخر وهو مسكين الدارمي

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم * على سر بعض غير اني جاعها

يظلون في الارض الفضاء وسرهم * الى صخرة أعيا الرجال انصداعها

(لكل أمرئ شعب من القلب فارغ * وموضع نجوى لا يرام اطلاعها)

وقال آخر

سأكتمه سري وأحفظ سره * ولا غرني أني عليه كريم

حليم فينسى أو جهول يضيعه * وما الناس الا جاهل وحليم

وكان يقال أصبر الناس من صبر على كتمان سره ولم يبده لصديقه فيوشك أن يصير عدوا فيذيعه وقال آخر

ولي صاحب سري المكتم عنده * مخاريق نيران بليل تحرق

عطفت على أسراره فكسوتها * ثيابا من الكتمان لا تتخرق

فمن تكن الاسرار تطفو بصدره * فأسرار صدري بالاحاديث تغرق

فلا تودعن الدهر سرك أحمقا * فانك ان أودعته منه أحمق

وحسبك في ستر الاحاديث واعظا * من القول ما قال الاريب الموفق

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر أضيق

وقال كعب بن سعد الغنوي

ولستُ بِعَبدٍ للرجال سريرتي * وما أنا عن أسرارهم بسَؤول

(ولا أنا بوما للحديث سمعتُه * الى ههنا من ههنا بنقول)

وقد ذكرنا قول العباس بن عبد المطلب رحمه الله لابنه عبد الله ان هذا الرجل قد اختصك من دون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحفظ عني ثلاثا لا يجربنّ عليك كذبا ولا تفشينّ له سرا ولا تغتب عنده أحدا فقيل لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف دينار فقال كل واحدة منهن خير من عشرة آلاف وقال بعض المحدثين

لي حيلة فيمن ينم * وليس في الكذاب حيله

من كان يخلق ما يقو * ل فحيلتي فيه قليله

وقال آخر (قال أبو الحسن هو أبو العباس المبرد)

ان النموم أغطي دونه خبري * وليس لي حيلة في مفتري الكذب

وقال بعض المحدثين

كتمت الهوى حتى اذا نطقت به * بوادر من دمع تسيل على خدي

وشاع الذي أضمرت من غير منطق * كأن ضمير القلب يرشح من جلدي

وقال جميل بن عبد الله بن معمر العذري

اذا جاوز الاثنين سر فانه * بنث وافشاء الحديث قمين

وتأويل قمين وحقيق وجدير وخليق واحد أي قريب من ذلك هذه حقيقته يقال قمن وقمين في معنى قال الحرث بن خالد المخزومي

من كان يسأل عنا اين منزلنا * فالاقحوانة منا منزل قمن

وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من باع دارا أو عقارا فلم يردد ثمنه في مثله

فذلك مال قَنْ ألا يبارَكَ فيه وقال الرقاشيّ

اذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق * كلاماً تكلّمنا بأعيننا سرا

فنقضي ولم نعلم بنا كل حاجة * ولم نكشف النجوى ولم نهتك الستْرا

وقال معاوية لعبّاش بن صحار العبدي ما أقرب الاختصار قال لمحة دالّة وقيل خير الكلام ما أغنى اختصاره عن اكثاره وقيل النمام سهم قاتل وقال بعض المحدثين

لا أكتم الاسرار لكن أنمّها * ولا أدع الاسرار تغلي على قلبي

وان أحق الناس بالسخف لامرؤ * تقلّبه الاسرار جنبا الى جنب

وقال آخر

وأمنع جاري من كل خير * وامشي بالنميمة بين صحبي

ويقال للنمام القتّات وفي الحديث لا يراح القتّات رائحة الجنة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله المثلث فقيل يا رسول الله ومن المثلث فقال الذي يسعى بصاحبه الى سلطانه فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه وقال معاوية للاحنف بن قيس في شيء بلغه عنه فانكر ذلك الاحنف فقال له معاوية بلّغني عنك الثقة فقال له الاحنف يا أمير المؤمنين ان الثقة لا يبلغ وقال أحد الماضين (وهو طريح بن اسمعيل الثقفي)

ان يسمعوا الخير يخفوه وان سمعوا * شرا أذيع وان لم يسمعوا كذبوا

وقال المهلب بن أبي صفرة أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر اليه ويقال النكاح السر على غير وجهه وليس هذا من الباب الذي كنا فيه ولكن يذكر الشيء بالشيء وهذا حرف يغلط فيه لان قوما يجعلون السر الزنى وقوم يجعلونه الغشيان وكلا القولين خطأ انما هو الغشيان من غير وجهه قال الله تبارك وتعالى ولكن لا تواعدوهن

سرًّا الآن تقولوا قولا معروفا فليس هذا موضع الزنى وقال الحطيئة

ويحرم سرّ جارتهم عليهم * ويأكل جارهم أنف القصاع

وقال الأعشى لسلامة ذى فائش الحميرى

وقومك ان يضمنوا جارة * وكانوا بموضع أنضادها

فلن يطلبوا سرّها للغنى * ولن يسلموها لازهادها

فى هذا قولان أحدهما انهم لا يطلبون اجترارها اليهم على رغم أوليائها من أجل مالها غصبا للجوار ولا يسلمونها اذا انقطع رجاؤهم من الثواب والمكافأة والآخر انهم لا يرغبون فى ذوات الأموال وانما يرغبون فى ذوات الأحساب اختيارا للأولاد وصيانة للأصهار أن يطمع فيهم من لا حسب له وقول الحطيئة * ويأكل جارهم أنف القصاع * انما يريد المستأنف الذى لم يؤكل قبل منه شئ يقال روضة أنف اذا لم ترع وكأس أنف اذا لم يشرب منها شئ قبل قال لقيط بن زرارة

ان الشواء والنشيل والرغف * والقينة الحسناء والكأس الأنف

* للطاعنين الخيل والخيل خنف *

قال أبو العباس وهذا باب اشترطنا ان نخرج فيه من حزن الى سهل ومن جد الى هزل ليستريح اليه القارئ ويدفع عن مستمعه الملال ونحن ذاكرون ذلك ان شاء الله تعالى قال بكر بن النطاح فى كلمة له يمدح فيها مالك بن على الخزاعى

عرضت عليها ما أرادت من المنى * لترضى فقالت قم فجئنا بكوكب

فقلت لها هذا التعنت كله * كمن يتشهى لحم عنقاء مغرب

فلو اننى أصبحت فى جود مالك * وعزته ما نال ذلك مطلبى

فتى شقيت أمواله بسماحه * كما شقيت قيس بأرماح تغلب

وقال الخليع في كلمة له يمدح بها عاصما الغساني

أقول ونفسي بين شوق وحسرة * وقد شخصت عيني ودمعي على خدي
أيرضى بقتلي من تركت فؤاده * بلحظته بين التأسف والجهد
فقالت عذاب في الهوى قبل ميتة * وموت اذا أقرحت قلبك من بعدي
لقد فطنت للجور فطنة عاصم * لصنع الأيادي الغر في طلب الحمد
سأشكوك في الاشعار غير مقصر * الى عاصم ذي المكرمات وذي المجد
لعل فتى غسان يجمع بيننا * فتأمن نفسي منكم لوعة الصد

وقال اسمعيل بن القاسم

ان السلام وان البشر من رجل * في مثل ما أنت فيه ليس يكفيني
هذا زمان ألح الناس فيه على * زهو الملوك وأخلاق المساكين
أما علمت جزاك الله صالحة * عني وزادك خيرا يا ابن يقطين
أني أريدك للدنيا وعاجلها * ولا أريدك يوم الدين للدين

وقال يزيد بن محمد بن المهلب المهلبي في كلمة يمدح بها اسحق بن ابراهيم

ان أكن مهديا لك الشعر اني * لابن بيت تهدى له الاشعار
غير أني أراك من أهل بيت * ما على المرء أن يسوده عار

وقال أيضا في كلمة أخرى

واذا جدت فكل شيء نافع * واذا حددت فكل شيء ضائر
واذا أتاك مهلبي في الوغى * والسيف في يده فنعم الناصر

وقال عبد الله بن الزبير لما أتاه قتل مصعب بن الزبير أشهده المهلب بن أبي صفرة قالوا لا كان المهلب في وجوه الخوارج قال أفشهده عباد بن الحصين الحبطي قالوا لا قال أفشهده عبد الله

ابن خازم السلمي قالوا الا قتمتل عبد الله بن الزبير فقال

فقلت لها عيثي جعار وجرري * بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

جعار اسم من أسماء الضبع وهي صفة غالبة لانه يقال لها جاعرة فهذا في بابه كفساق ولكاع وحلاق للمنية وقد فسرنا هذا الباب مستقصى على وجوهه الاربعة ويروى ان ابنة جارية لهمام بن مرة بن ذهل بن شيبان قالت له يوما

أهمام بن مرة حن قلبي * الى اللائي يكن مع الرجال

فقال يا فساق أردت صفيحة ماضية فقالت

أهمام بن مرة حن قلبي * الى صلعاء مشرفة القذال

فقال يا فجار أردت بيضة حصينة فقالت

أهمام بن مرة حن قلبي * الى اير أشد به مبالي

قال فقتلها قال أبو العباس قال أبو الشمقمق وهو مروان بن محمد وزعم التوزي عن أبي عبيدة قال أبو الشمقمق ومنصور بن زياد ويحيى بن سليم الكاتب من أهل خراسان من بخارية عبيد الله بن زياد (وبخارية اسم قرية من قرى خراسان وبها كان عبيد الله بن زياد) وكان أبو الشمقمق ربما لحن ويهزل كثيرا ويجد فيكثر صوابه قال يمدح مالك بن علي الخزاعي ويذم سعيد بن سلم الباهلي

قد مررنا بمالك فوجدنا * مجوادا الى المكارم ينمي

ما يبالي أتاه ضيف بخف * أم أتته يأجوج من خلف ردم

فانتهينا الى سعيد بن سلم * فاذا ضيفه من الجوع يرمي

واذا خبزه عليه سيكفيكهم الله ما بدا ضوء نجم

واذا خاتم النبي سليما * ن بن داود قد علاه بختم

فارتحلنا من عند هذا بحمد * وارتحلنا من عند هذا بذم

وقال عبد الصمد بن المعذل يرثي سعيد بن سلم

كم صغير جبرته بعد يتم * وفقير نعشته بعد عدم

كلما عضت الحوادث نادى * رضي الله عن سعيد بن سلم

وقال سعيد بن سلم عرض لي اعرابي فمدحني فبلغ فقال

الا قل لساري الليل لا تخش ضلة * سعيد بن سلم ضوء كل بلاد

لنا سيد اربى على كل سيد * جواد حثا في وجه كل جواد

قال فتأخرت عن بره قليلا فهجاني فبلغ فقال

لكل أخي مدح ثواب يعده * وليس لمدح الباهلي ثواب

مدحت ابن سلم والمديح مهزة * فكان كصفوان عليه تراب

وقال أبو الشمقمق

قال لي الناس زر سعيد بن سلم * قلت للناس لا أزور سعيدا

وأميري فتى خزاعة بالبصـ * ـرة قد عمها سماحا وجودا

ولنعم الفتى سعيد ولكن * مالك أكرم البرية عودا

فقال سعيد لوددت انه لم يكن ذكرني مع مالك وانه أخذ مني أمنيته وقال أبو الشمقمق أيضا

هيهات تضرب في حديد بارد * ان كنت تطمع في نوال سعيد

والله لو ملك البحار بأسرها * وأتاه سلم في زمان مدود

يبغيه منها شربة لطهوره * لأبى وقال تيممن بصعيد

(ومثله قول الآخر

لو ان قصرك يا ابن يوسف كله * ابر يضيق بها فضاء المنزل

وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * ليخيط قد قميصه لم تفعل

وقال مسلم بن الوليد

دونك لا يقضي الزمان غريمها * وبخلك بخل الباهلي سعيد

سعيد بن سلم ألأم الناس كلهم * وما قومه من بخله ببعيد

يزيد له فضل ولكن مزيدا * تدارك منا مجده بيزيد

خزيمة لا بأس به غير انه * لمطبخه قفل وباب حديد

وقال عبد الصمد بن المعذل يرثي عمرو بن سعيد بن سلم وكان عمرو هلك بعد سعيد بيسير

رزينا أبا عمرو فقلنا لنا عمرو * سيكفيك ضوء البدر غيبوبة البدر

وكان أبو عمرو معارا حياته * بعمرو فلما مات مات أبو عمرو

وقال أمير المؤمنين الرشيد يوما لسعيد بن سلم يا سعيد من بيت قيس في الجاهلية قال يا أمير المؤمنين بنو فزارة قال فمن بيتهم في الاسلام قال يا أمير المؤمنين من شرفتموه قال صدقت أنت وقومك وحدثني علي بن القاسم بن علي بن سليمان الهاشمي قال حدثني رجل من أهل مكة قال رأيت في مناحي سعيد بن سلم في حياته وفي نعمته وكثرة عدد ولده وحسن مذهبه وكمال مروته قال فقلت في نفسي ما أجل ما أعطيه سعيد بن سلم فقال لي قائل وما ذخره الله له في الآخرة أكثر وكان سعيد بن سلم اذا استقبل السنة التي يستأنف فيها عدد سنيه أعتق نسمة وتصدق بعشرة آلاف درهم فقيل للمديني ان سعيد بن سلم يشتري نفسه من ربه بعشرة آلاف درهم فقال اذا لا يبيعه وقال أحمد بن يوسف الكاتب لولد سعيد بن سلم

أبني سعيد انكم من معشر * لا يعرفون كرامة الاضياف

قوم لباهلة بن يعصر ان هم * نسبوا حسبتهم لعبد مناف

قرنوا الغداء الى العشاء وقربوا * زادا لعمرك ابيك ليس بكاف

وكأنني لما حططت اليهم * رحلي نزلت بأرق العزاف

بينا كذلك أتاهم كبراؤهم * يلحون في التبذير والاسراف

وأنشدني المازني

سل الله ذا المن من فضله * ولا تسألن أبا وائله

فما سأل الله عبد له * فخاب ولو كان من باهله

(قال أبو الحسن وزادني بعض أصحابنا

ترى الباهلي على خبزه * اذا رامه آكل آكله)

وأنشد أبو العباس لرجل من عبد القيس

أباهل ينبحني كلبكم * وأسدكم ككلاب العرب

ولو قيل للكلب يا باهلي * عوى الكلب من لؤم هذا النسب

وحدثني علي بن القاسم قال حدثني أبو قلابة الجرمي قال حججنا مرة مع أبي جزء بن عمرو بن سعيد قال وكنا في ذراه وهو اذ ذاك بهي وضي فجلسنا في المسجد الحرام الى أقوام من بني الحرث ابن كعب لم تر أفصح منهم فرأوا هيئة أبي جزء واعظامنا اياه مع جماله فقال قائل منهم له أمن أهل بيت الخليفة أنت قال لا ولكن رجل من العرب قال ممن الرجل قال رجل من مضر قال أعرض ثوب الملبس من أيها عافاك الله قال رجل من قيس قال أين يراد بك صر الى فصيلتك التي تؤويك قال رجل من بني سعد بن قيس قال اللهم غفرا من أيها عافاك الله قال رجل من بني يعصر قال من أيها قال رجل من باهلة قال قم عنا قال أبو قلابة فاقبلت على الحارثي فقلت أتعرف هذا قال ذكر انه باهلي فقلت هذا أمير ابن أمير ابن أمير ابن أمير ابن أمير قال حتى عددت خمسة ثم قلت هذا أبو جزء أمير ابن عمرو وكان أميرا ابن سعيد وكان أميرا ابن سلم وكان أميرا ابن قتيبة وكان أميرا فقال الحارثي الامير اعظم أم الخليفة فقلت بل الخليفة

قال أفا لخليفة أعظم أم النبي قلت بل النبي قال والله لو عددت له في النبوة أضعاف ما عددت له في الامارة ثم كان باهليا ما عبأ الله به شيأ قال فكادت نفس أبي جزء تخرج فقلت انهض بنا فان هؤلاء أسوأ الناس آدابا (قال أبو الحسن يقال للرجل اذا سئل عن شئ فأجاب عن غيره أعرض ثوب الملبس أي أبدى غير ما راد منه) وحدثت أن أعرابيا لقي رجلا من الحاج فقال له ممن الرجل قال باهلي قال أعيذك بالله من ذلك قال اي والله وأنا مع ذلك مولى لهم فأقبل الاعرابي يقبل يديه و يتمسح به قال له الرجل ولم تفعل ذاك قال لاني أثق بان الله عز وجل لم يبتلك بهذا في الدنيا الا وأنت من أهل الجنة ويزعم الرقاشي أن قتيبة ابن مسلم لما فتح سمرقند أفضى الى أثاث لم ير مثله والى آلات لم يسمع بمثلها فاراد أن يرى الناس عظيم ما فتح الله عليه و يعرفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم فأمر بدار ففرشت وفي صحنها قدور يرتقى بالسلالم فاذا بالحضين بن المنذر بن الحرث بن وعلة الرقاشي قد أقبل والناس جلوس على مراتبهم والحضين شيخ كبير فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لقتيبة ائذن لي في معاتبته قال لا ترده فانه خبيث الجواب فأبي عبد الله الا أن يأذن له وكان عبد الله يضعف وكان قد تسور حائطا الى امرأة قبل ذاك فأقبل على الحضين فقال أمن الباب دخلت يا أبا ساسان قال أجل أسن عمك عن تسور الحيطان قال أرأيت هذه القدور قال هي أعظم من أن لا ترى قال ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل ولا عيلان ولو كان رآها سمي شبعان ولم يسم عيلان قال له عبد الله يا أبا ساسان أتعرف الذي يقول

عزلنا وأمرنا وبكر بن وائل * تجر خصاها تبتغي من تحالف

قال أعرفه وأعرف الذي يقول

وخيبة من يخيب على غني * وباهلة بن يعصر والركاب

(يريد يا خيبة من يخيب) قال أتعرف الذي يقول

كأنَّ فقاحَ الازدِ حولَ ابنِ مِسمعٍ * وقد عرِقَت أفواه بكرِ بنِ وائل

قال أعرف هذا وأعرف الذي يقول

قومٌ قتيبةُ أمُّهم وأبوهُمُ * لولا قتيبةُ أصبحوا في مجهلِ

قال أما الشعر فأراك ترويه ولكن هل تقرأ من القرآن شيأ قال أقرأ منه الاكثر الاطيب هل أتى على الانسان حينٌ من الدهر لم يكن شيأ مذكورا قال فأغضبه فقال والله لقد بلغني أن امرأة الحُضَين حُمِلَت اليه وهي حُبْلَى من غيره قال فما تحرك الشيخ عن هيئته الاولى ثم قال على رِسْله وما يكون تلدُ غلاما على فراشي فيقال فلان بن الحضين كما يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبةُ على عبد الله فقال لا يُبْعِدُ الله غيرَك هذا الحضين بن المنذر بن الحرث بن وعلة وكان الحضين بيده لواءُ عليّ بن أبي طالب رحمه الله على رَبيعةَ وله يقول القائل

لمن رايةٌ سوداءُ يخفقُ ظلُّها * اذا قيل قدِّمها حضينُ تقدّما

والحرث بن وعلة يقول الاعشى وكان قصده فلم يحمَدْه وعرّج عنه الى هَوْذَةَ بن على ذي التاج وهوذةُ من بني حنيفة بن لُجَيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل والحرثُ بن وعلةَ من بني رَقاش وهي امرأة وأبوهم مالك بن شَيْبانَ بن ذُهل بن ثَعْلبةَ بن عُكابةَ بن صعب بن على بن بكر ابن وائل فقال الاعشى يذكر الحرث بن وعلة وهوذةَ بن على

أتيتُ حُرَيثًا زائرا عن جَنابةٍ * فكان حُرَيثٌ عن عطائي جامدا

اذا ما رأى ذا حاجةٍ فكأنما * يرى أسَدًا في بيته وأساودا

لَعَمْرُك ما أشبهتَ وعلةَ في النَّدَى * شمائلَه ولا أباه مُجالدا

وانَّ امرأً قد زرته قبل هذه * بجَوٍّ لخيرٌ منك نفسا ووالدا

تضيّفته يوما فقرّب مجلسي * وأصفدني على الزمانة قائدا

وأمتعني على العَشا بوليدةٍ * فأُبتُ بخيرٍ منك يا هوذَ حامدا

فتى لو يبارى الشمس ألقت قناعها * أو القمر السارى لألقى المقالدا

يرى جمع مادون الثلاثين قصرة * ويعدو على جمع الثلاثين واحدا

وهى كلمة قوله أتيت حريثا يريد الحرث وتصغيره على لفظه حويرث وهذا التصغير الآخر يقال له تصغير الترخيم وهو أن تحذف الزوائد من الاسم ثم تصغر حروفه الاصلية فتقول فى تصغير أحمد حميد لانه من الحمد وفى الحرث حريث لانه من الحرث وفى غضبان غضيب لانه من الغضب لان الالف والنون زائدتان وكذلك ذوات الاربعة تقول فى تصغير قنديل على لفظه قنيديل فان صغرته مرخما حذفت الياء فقلت قنيدل فعلى هذا مجرى الباب وقوله عن جنابة يقول عن غربة وبعد يقال هم نعم الحى لجارهم جار الجنابة أى الغربة يقال رجل جنب ورجل جانب أى غريب قال الله جل وعز والجار الجنب وقال الحطيئة

والله ما معشر لاموا امرأ جنبا * فى آل لأى بن شماس بأكياس

وقال علقمة بن عبدة

فلا تحرمنى نائلا عن جنابة * فانى امرؤ وسط القباب غريب

فمن قال للواحد جنب قال للجميع أجناب كقولك عنق وأعناق وطنب وأطناب ومن قال للواحد جانب قال للجميع جناب كقولك راكب وركاب وضارب وضراب قالت الخنساء

أبكى أخاك لايتام وأرملة * وابكى أخاك اذا جاورت أجنابا

وان كان من الجنابة التى تصيب الرجل قلت رجل جنب ورجلان جنب وكذلك المرأة والجميع وقد يجوز وليس بالوجه رجلان جنبان وامرأة جنبة وقوم أجناب وقوله يرى أسدا فى بيته وأساودا يريد جمع أسود سالخ وأسود ههنا نعت ولكنه غالب فلذلك جرى ههنا مجرى الاسماء لانه يدل على الحية وأفعل اذا كان نعتا بنفسه فجمعه فعل نحو أحمر وحمر وأسود وسود واذا كان نعتا فاجرى مجرى الاسماء فجمعه أفاعل نحو أساود وأجادل وأداهم اذا

أردت القَيْسَد لانه نعت غالب يجرى مجرى الاسماء وان أردت أدْهَم الذى هو نعت محض قلت دُهْم قال الأشهب بن رُمَيْلة

أسودُ شَرى لاقتْ أسودَ خفيّة * تساقوا على حَرْدٍ دماء الاساود

فاجراه مُجرى الاسماء نحو الأصاغر والأكابر والأحامد وقوله لعمرك ما أشبهت وعلة فى الندى شمائله فانه جعل شمائله بدلا من وعلة والتقدير ما أشبهت شمائل وعلة والبدل على أربعة أضْرب فواحد منها أن يُبدَل أحدُ الاسمين من الآخر اذا رجعا الى واحد ولا تُبالى أمعرفتين كانا أم معرفة ونكرة وتقول مررتُ بأخيك زيد لان زيدا هو الاخ وكذلك مررت برجل عبد الله فهذا واحد وآخر أن يُبْدَل بعضُ الشئ منه نحو ضربت زيدا رأسه لمّا قلت ضربت زيدا أردت أن تُبين موضع الضرب منه فمثلُ الاول قول الله تبارك وتعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم وقوله وانك لتَهْدى الى صراط مستقيم صراط الله ولنَسْفعًا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة ومثلُ البدل الثانى قوله ولله على الناس حِجُّ البيت مَنْ استطاع اليه سبيلا مَنْ فى موضع خفض لانها بدل من الناس ومثلُه الا أنه أعيد حرف الخفض قال الذين استكبروا للذين استُضعفوا لمن آمن منهم والبدَلُ الثالث مثل ما ذكرنا فى البيت أبدل شمائله منه وهى غيره لاشتمال المعنى عليها ونظير ذلك أسألتك عن زيد أمْره لان السؤال عن الامر وتقول على هذا سُلب زيدٌ ثوبُه فالثوب غيره ولكن به وقع الاستلاب كما وقعت المسئلة عن خبر زيد ونظير ذلك من القرآن يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه لان المسئلة انما كانت عن القتال هل يكون فى الشهر الحرام قال الشاعر (وهو الأخطل)

انّ السيوفَ غدوّها ورواحَها * تَرَكتْ هَوازنَ مثلَ قرنِ الاعضب

وبدَلٌ رابع لا يكون مثلُه فى القرآن ولا فى الشعر وهو أن يَغلَطَ المتكلم فيَستدركَ غلطه أو ينسى فيذكر فيرجع الى حقيقة ما يقصد له وذلك قولك مررتُ بالمسجد دار زيد أراد أن

يقول مررت بدار زيد فأمانسى وأما غلط فاستدرك فوضع الذى قصد له فى موضع الذى غلط فيه وقوله بجوفه هى قصبة اليمامة وقوله تضيفته يوما انما هو تفعلته من الضيافة يقال ضفت الرجل أى نزلت به وأضافنى أى أنزلنى وقوله وأصفدنى يقول أعطانى وهو الاصفاد والصفد الاسم والإصفاد المصدر قال النابغة * فلم أعرض أبيت اللعن بالصفد * ويقال صفدت الرجل فهو مصفود من القيد ولا يقال فى القيد أصفدت ولكن صفدته صفدا واسم القيد الصفد قال الله جل وعز مقرنين فى الأصفاد كقولك جمل وأجمال وصنم وأصنام وقوله فتى لو يبارى الشمس يقول يعارض يقال انبرى لى فلان أى اعترض لى فى هذا المعنى وفلان يبارى الريح من هذا أى يعارض الريح بجوده فهذا غير مهموز فأما بارأت الكرى فهو مهموز لانه من أبرأنى وأبرأته ويقال برأ فلان من مرضه وبرئ يا فتى والمصدر منهما البرء فاعلم وبريت القلم غير مهموز والله البارئ المصور ويقال ما برأ الله مثل فلان مهموز وقولك البرية أصله من الهمز ويختار فيه تخفيف الهمز ولفظ التخفيف والبدل واحد وكذلك يختار فى النبى التخفيف ومن جعل التخفيف لازما قال فى جمعه أنبياء كما يفعل بذوات الياء والواو وتقول وصى وأوصياء وتقى وأتقياء وشقى وأشقياء ومن همز الواحد قال فى الجميع نبآء لانه غير معتل كما تقول حكيم وحكماء وعليم وعلماء وأنبياء لغة القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم وقال العباس بن مرداس السلمى

يا خاتم النبآء انك مرسل * بالحق كل هدى السبيل هداكا

وقوله أو القمر الساري لألقى المقالدا فأسكن الياء ضرورة وانما جاز ذلك لان هذه الياء تسكن فى الرفع والخفض فاذا احتاج الشاعر الى اسكانها فى النصب قاس هذه الحركة على الحركتين الضمة والكسرة الساقطتين فشبهها بهما فجعلها كالالف التى فى مثنى التى هى على هيئة واحدة فى جميع الاعراب قال النابغة

ردت عليه أقاصيه ولبده * ضرب الوليدة بالمسحاة في الثأد

فأسكن الياء في أقاصيه وقال رؤبة

كأن أيديهن بالقاع القرق * (أيدي جوار يتعاطين الورق)

وقال * سوّى مساحيهن تقطيط الحقق * (ويروى تقطيط بالنصب وهو أجود لان بعده * تفليل ما قارعن من سمر الطرق * والطرق جمع طرقة) وقال آخر

كفى بالنأي من أسماء كاف * وليس لحبها ما عشت شاف

وأما قوله وأمنعني على العشا ولبدة * فابت بخير منك يا هوذ حامدا

فانه كان يحدث عنه ثم أقبل عليه يخاطبه وترك تلك المخاطبة والعرب تترك مخاطبة الغائب الى مخاطبة الشاهد ومخاطبة الشاهد الى مخاطبة الغائب قال الله جل وعز حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة كانت المخاطبة للأمة ثم انصرفت الى النبي صلى الله عليه وسلم اخبارا عنهم وقال عنترة

شطت مزار العاشقين فاصبحت * عسرا علي طلابك ابنة مخرم

فكان يحدث عنها ثم خاطبها ومثل ذلك قول جرير

وترى العواذل يبتدرن ملامتي * فاذا أردن سوى هواك عصينا

وقال الآخر

فدى لك والدي وسراة قومي * ومالي انه منه أتاني

وهذا كثير جدا وقوله يرى جمع ما دون الثلاثين قصرة أي قليلا من الاقتصار ويروى ويغمد ويعد وجميعا وكان هوذة بن علي ذا قدر عال وكانت له خرزات تنظم فتجعل على رأسه تشبها بالملوك وحدثني التوزي عن أبي عبيدة قال ما تتوج معدي قط انما كانت التيجان لليمن قال فسألته عن قول الاعشى

من يرهوذة يسجد غير متئب * اذا تعمم فوق التاج أو وضعا

قال انما كانت خرزات تنظم له وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة كما كتب الى الملوك وكانت بنو حنيفة بن لجيم أصحاب اليمامة ويقول بعض النسابين ان عبيد بن حنيفة كان أتى اليمامة وهي صحراء فاختطها فجعل يركض حواليها ويخط برمحه في الارض على ما أصاب من النخل وأنهم أكلوا ما أصابوا تحته من التمر فلما طلع لهم التمر بعد لم يهتدوا الصعود النخل فاقبلوا يجدونه حتى فكروا فاعدوا له السلالم فلما عمرت اليمامة جعلت العرب تنتجعهم لموضع التمر فيجاورون العز بمنهم وكان يقال لمن دخلها من هؤلاء السواقط ممن كانوا ويقال ان اليمامة والبحرين والقريتين ومواضع هنالك كانت لطسم وجديس والخبر في ذلك مشهور بزرقاء اليمامة وقد ذكر ذلك الاعشى في قوله

(ما نظرت ذات أشفار كنظرتها * حقا كما نطق الذئبي اذ سجعا)

قالت أرى رجلا في كفه كتف * أو يخصف النعل لهفي أية صنعا

وكذبوها بما قالت فصبحهم * ذو آل غسان يزجي الموت والشرعا

وحدثني التوزي عن أبي عبيدة والاصمعي عن أبي عمرو قال قال لي رجل من أهل القريتين أصبت ههنا دراهم وزن الدرهم ستة دراهم وأربعة دوانيق من بقايا طسم وجديس نخفت السلطان فاخفيتها وقد ذكر ذلك زهير في قوله

عهدي بها يوم باب القريتين وقد * زال الهماليج بالفرسان واللجم

فاستبدلت بعدنا دارا يمانية * ترعى الخريف فادنى دارها ظلم

وقال جرير يهجو بني حنيفة

هجا في الناس مل أحياء كلهم * حتى حنيفة تفسو في مناحيها

(تعير بنو حنيفة بالفسولان بلادهم بلاد نخل فيأكلونه ويحدث في أجوافهم الرياح

والقراقير)

أصحاب نخل وحيطان ومزرعة * سيوفهم خشب فيها مساحيها

ذلت وأعطت يد السلم صاغرة * من بعد ما كاد سيف الله يفنيها

صارت حنيفة أثلاثا فثلثهم * أضحوا عبيدا وثلث من مواليها

قوله مساحيها المنحاة مقام السانية على الحوض والحائط البستان وقوله من بعد ما كاد سيف الله يفنيها يعني خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم في وقعته بمسيلمة الكذاب وللنسابين بعد هذا قول منكر وقال جرير

أبني حنيفة نهنهوا سفهاءكم * اني أخاف عليكم أن أغضبا

أبني حنيفة انني ان أهجكم * أدع اليمامة لا توارى أرنبا

وقال عمارة بن عقيل

بل أيها الراكب الماضي لطيته * بلغ حنيفة وانشر فيهم الخبرا

أكان مسيلمة الكذاب قال لكم * ان تذكروا المجد حتى تغضبوا مضرا

مهلا حنيفة ان الحرب ان طرحت * عليكم بركها أمر عيشكم الضجرا

البرك الصدر اذا فتحت الباء ذكرت وان أردت التأنيث كسرت الباء قلت بركة قال الجعدي

ولوحا ذراعين في بركة * الى جؤجؤ رهل المنكب

وزعم الاصمعي أن زيادا كان يقال له أشعر بركا لانه كان أشعر الصدر وغير الاصمعي يزعم أن هذا كان يقال للوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية وذكروا أن عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي قال يوما ألا تعجبون لهذا أشعر بركا يولى مثل هذا المصر والله ما يحسن أن يقضي في تمرتين فبلغ ذلك الوليد فقال على المنبر أنشد الله رجلا سماني أشعر بركا الا قام فقام عدي بن حاتم فقال أيها الامير ان الذي يقوم فيقول أنا سميتك أشعر بركا لجري‌ء

فقال اجلس ياأبا ظريف فقد برّأك الله منها فجلس وهو يقول والله ما برّأني الله منها وكانت أمُّ الوليد بن عقبة أم عثمان بن عفانَ رحمهما الله وهي أرْوَى بنت كرَيز ابن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وأمها البيضاء بنت عبد المطلب ابن هاشم ومن ثم قال الوليد لعلي بن أبي طالب رحمه الله أنا ألق رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمي من حيث تلقاه بأبيك وكان يقال للبيضاء بنت عبد المطلب قُبّةُ الديباج واسمها أم حكيم ولذلك قيل لعثمان أو للوليد يا ابن أرْوَى ويا ابن أم حكيم وقال الوليد لبني هاشم لهذا السبب حين قُتِلَ عثمان رحمه الله :

بني هاشم رُدُّوا سلاح ابنْ أختكم ولا تنهبوا مالا تحـــلُّ مناهبه

بني هاشم كيف الهوادة بيننـــا وعنــد علىّ دِرْعه ونجـــائبه

هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما غدرَت يوما بكسرى مرازبه

وهذا القول باطل وكان عروة بن الزبير إذا ذكر مَقتل عثمان يقول كان علي أتقى لله من أن يعين في قتل عثمان وكان عثمان أتقى لله من أن يعين في قتل علي وقال الوليد بن عقبة :

ألا إن خير النـاس بعد ثلاثة قتيل التجُوبي الذي جاء من مصر

ومالي لا أبكي وتبكي أقاربي وقد حجبت عنا فضول أبي عمرو

وقال ليلى الأخيَلية أنشدنيه الرياشي عن الأصمعي :

أبعد عثمان ترجو الخيرَ أمته وكان آمنَ مَن يمشي على ساقِ

خليفـــة الله أعطاهم وخـــولهم ماكان من ذهب جم وأوراق

فلا تُكذّب بوعد الله وارضَ به ولا توكل على شيء بإشفـــاق

ولا تقولن لشيء سوف أفعله قد قدّر الله ما كل امرئ لاق

وقال آخر :

ألا قل لقوم شاربي كأس علقمِ بقتــلِ إمام بالمدينة مُحرِم

قتلتم آمين الله في غير ردّة * ولا حدّ إحصان ولا قتل مسلم
تعالوا فقاتوا بافات كان قتله * لواحدة منها تحلّ لكم دمي
وإلّا فاعظم بالذي قد أتيتم * ومن يأت ما لم يرضه الله يظلم
فلا يهنئنّ الشامتين مصابه * لحظهم من قتله حرب جرهم

وأنشدني الرياشي عن الأصمعي (قال أبو الحسن هذا الشعر لابن الغريرة الضبي)

لعمر أبيك فلا تذهلن * لقد ذهب الخير إلا قليلا
وقد فتن الناس في دينهم * وخلّى ابن عفّان شرّا طويلا

ومثله قول الراعي

قتلوا ابن عفّان الخليفة محرما * ودعا فلم أر مثله مخذولا
فتفرّقت من بعد ذاك عصاهم * شققا وأصبح سيفهم مفلولا

قوله محرما يريد في الشهر الحرام وكان قتل في أيام التشريق رحمه الله وقال أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي وكانت له صحبة

تفاقد الذابحو عثمان ضاحية * أيّ قتيل حرام ذبّحوا ذبحوا
ضحّوا بعثمان في الشهر الحرام ولم * يخشوا على مطمح الكف الذي طمحوا
فأيّ سنّة جور سنّ أوّلهم * وباب جور على سلطانهم فتحوا
ماذا أرادوا أضلّ الله سعيهم * من سفح ذاك الدم الزاكي الذي سفحوا
فاستوردتهم سيوف المسلمين على * تمام ظمء كما يستورد النضح
إن الذين تولّوا قتله سفها * لاقوا أثاما وخسرانا فما ربحوا

الظمء ما بين الشربتين وقوله ضحّوا بعثمان إنما أصله فعل في الضحى قال زهير

ضحّوا قليلا على كثبان أسنمة * ومنهم بالقسوميّات معترك

أى نزلوه ضحى و يقال بيتوا اذا ذلك أى فعلوه ليلا قال الله جل وعز اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وأنشد أبو عبيدة

أتونى فلم أرض ما بيتوا * وكانوا أتونى بأمر نكر

لأنكح أيمهم منذرا * وهل ينكح العبد حر لحر

وقوله فى سفح ذاك الدم الزاكى الذى سفحوا أى فى صب ذاك الدم يقال سفحت دمه وسفكت دمه قال الله تبارك وتعالى الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا وقوله على غمام ظمء فهذا مثل وأصل الظمء أن تشرب الابل يوما ثم تغب يوما لا ترد الماء فما بين الشرب تسمى ظمء فيكون الظمء يومين فيقال له الربع كما يقال فى الحمى لانهم يعتدون بيومى شربها والخمس أن تظمأ ثلاثة أيام والنضح الحوض والاثام الهلاك قال الله عز ذكره ومن يفعل ذلك يلق أثاما ثم فسر فقال يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا فجزم يضاعف لانه بدل من قوله يلق أثاما اذ كان اياه فى المعنى وأنشدنى أبو عبيدة

جزى الله ابن عروة اذ لحقنا * عقوقا والعقوق من الاثام

وقوله على مطمح الكف يقول على رفعها وابعادها يقال طمح بصره اذا ارتفع وأبعد النظر قال امرؤ القيس

لقد طمح الطماح من بعد أرضه * ليلبسنى من دائه ما تلبسا

٤٧ - باب

قال أبو العباس وهذا باب طريف نصل به هذا الباب الجامع الذى ذكرناه وهو بعض ما مر للعرب من التشبيه المصيب والمحدثين بعدهم فاحسن ذلك ما جاء باجماع الرواة ما مر لامرئ القيس فى كلام مختصر أى بيت واحد من تشبيه شئ فى حالتين بشيئين مختلفين وهو قوله

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

فهذا مفهوم المعنى فان اعترض معترض فقال فهلا فصل فقال كانه رطبا العناب وكانه يابسا الحشف قيل له العربى الفصيح الفطن اللقن يرمى بالقول مفهوما ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيا قال الله جل وعز وله المثل الاعلى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله علما بان المخاطبين يعرفون وقت السكون ووقت الاكتساب ومن عجيب تمثيل امرئ القيس قوله

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

ومن ذلك قوله

اذا ما الثريا فى السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح المفصل

وقد أكثر الناس فى الثريا فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى ولا بما يقارب سهولة هذه الالفاظ

ومن أعجب التشبيه قول النابغة

فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت أن المنتأى عنك واسع

وقوله خطاطيف حجن فى حبال متينة * تمد بها أيد اليك نوازع

وقوله فانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ومن عجيب التشبيه قول ذى الرمة

وردت اعتسافا والثريا كأنها * على قمة الرأس ابن ماء محلق

وقوله فجاءت بنسج العنكبوت كأنه * على عصويها سابرى مشبرق

ونأويل هذا أنه يصف ماء قديما لا عهد له بالواردة فقد اصفر واسود فقال

وماء قديم العهد بالانس آجن * كأن الدبى ماء الغضا فيه تبصق

وقد أجاد علقمة بن عبدة الفحل فى وصف الماء الآجن حيث يقول

اذا وردت ماء كان جمامه * من الآجن حناء معا وصبيب

فقال ذو الرمة فى وصف هذا الماء فقرن بتغيره بعد مطلبه

فادلى غلامى دلوه يبتغى بها * شفاء الصدى والليل أدهم أبلق

يريد أن الفجر قد تجم فيه جاءت يعنى الدلو بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابرى مشبرق والسابرى الرقيق من الثياب والدروع والمشبرق الممزق وأنشد أبو زيد

لهونا بسربال الشباب ملاوة * فأصبح سربال الشباب شبارقا

ومن التشبيه العجيب قول ذى الرمة فى صفة الظليم

شخت الجزارة مثل البيت سائره * من المسوح خدب شوقب خشب

الشخت الضئيل اليابس الضعيف والجزارة القوائم وقوله مثل البيت سائره من المسوح يعنى اذا مد جناحيه وانما أخذه من قول علقمة بن عبدة

صعل كان جناحيه وجؤجؤه * بيت أطافت به خرقاء مهجوم

الصعل الصغير الرأس والخرقاء التى لا تحسن شيأ فهى تفسد ما عرضت له قال الحطيئة

هم صنعوا لجارهم وليست * يد الخرقاء مثل يد الصناع

والمهجوم المهدوم وفى الخبر أنه لما قتل بسطام بن قيس لم يبق بيت فى بكر بن وائل الا هجم أى هدم والخدب الضخم والشوقب الطويل والخشب الذى ليس يلين على من نزل به ومن التشبيه المصيب قوله فى صفة روضة

قرحاء حواء أشراطية وكفت * فيها الذهاب وحفتها البراعيم

قرحاء يريد الأنوار وقوله حواء يقول تضرب الى السواد لشدة ريها وخضرتها وكذلك المفسرون يقولون فى قول الله جل وعز مدهامتان تضربان الى الدهمة لشدة خضرتهما وريهما وقوله أشراطية ليس مما قصد ناله ولكنه مما يجرى فيفسر ومعناه أنها مطرت

بنوءِ الشرطين وحدثنى الزيادى قال سمعت الاصمعى وسئل بحضرتى أو سألته عن قوله أشراطية فقال بأسنه واست عزمه وذاك أن الاصمعى كان لا ينشد ولا يفسر ما كان فيه ذكر الانواء لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرت النجوم فامسكوا الان الخبر فى هذا بعينه مطرنا بنوء كذا وكذا وكان لا يفسر ولا ينشد شعرا فيه هجاء وكان لا يفسر شعرا يوافق تفسيره شيأ من القرآن هكذا يقول أصحابه وسئل عن قول الشماخ

طوى ظمأها فى بيضة الصيف بعدما * جرى فى عنان الشعريين الاماعز

فابى أن يفسر فى عنان الشعريين وأما قوله الذهاب فهى الامطار اللينة الدائمة ويقال انها أنجع المطر فى النبت وكذلك العهاد وأنشد الاصمعى

أميرٌ عمّ بالنعماء حتى * كأنّ الارض جللها العهادُ

والبراعيم واحدتها برعومة وهى أكمة الروض قبل أن تتفتق يقال لواحدها كم وكمام فمن قال كمام فجمعه أكمة مثل صمام وأصمة وزمام وأزمة ومن قال كم فاجماعه أكمام قال الله عز وجل والنخل ذات الاكمام ومن ذلك قول الآخر أحسبه توبة بن الحمير (قال أبو الحسن يقال انه لمجنون بنى عامر وهو الصواب)

كأن القلب ليلة قيل يغدى * بليلى العامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فباتت * تعالجه وقد علق الجناح
(لها فرخان قد غلقا بوكر * فعشهما تصفقه الرياح
فلا بالليل نالت ما ترجى * ولا بالصبح كان لها براح)

ويروى تجاذبه فهذا غاية الاضطراب وقد قال الشعراء قبلهم وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار وقال الشيبانى للحجاج

هلا برزت الى غزالة فى الوغى * بل كان قلبك فى جناحى طائر

فهذا يجوز أن يكون فى الخفقان وفى الذهاب البتة ومن التشبيه المحمود قول الشاعر

طليق الله لم يمنن عليه * أبو داود وابن أبى كثير
ولا الحجاج عينى بنت ماء * تقلب طرفها حذر الصقور

وهذا غاية فى صفة الجبان ونصب عينى بنت ماء على الذم وتأويله أنه اذا قال جاءنى عبد الله الفاسق الخبيث فليس يقول الا وقد عرفه بالخبث والفسق فنصبه بأعنى وما أشبهه من الافعال نحو أذكر وهذا أبلغ فى الذم أن يقيم الصفة مقام الاسم وكذلك المدح وقول الله تبارك وتعالى والمقيمين الصلاة بعد قوله لكن الراسخون فى العلم منهم انما هو على هذا ومن زعم أنه أراد ومن المقيمين الصلاة فمخطئ فى قول البصريين لانهم لا يعطفون الظاهر على المضمر المخفوض ومن أجازه من غيرهم فعلى قبح كالضرورة والقرآن انما يحمل على أشرف المذاهب وقرأ حمزة الذى تساءلون به والأرحام وهذا مما لا يجوز عندنا الا أن يضطر اليه شاعر كما قال

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا * فاذهب فما بك والايام من عجب

وقرأ عيسى بن عمر وامرأته حمالة الحطب أراد وامرأته فى جيدها حبل من مسد فنصب حمالة على الذم ومن قال ان امرأته مرتفعة بقوله سيصلى نارا ذات لهب فهو يجوز وليس بالوجه أن يعطف المظهر المرفوع على المضمر حتى يؤكد نحو اذهب أنت وربك فقاتلا واسكن أنت وزوجك الجنة فأما قوله لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانه لما طال الكلام وزادت فيه لا احتمل الحذف وهذا على قبحه جائز أعنى ذهبت وزيد وأذهب وعمرو وقال جرير

ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه * مالم يكن وأب له لينالا

وقال ابن أبى ربيعة

قلت اذ أقبلت وزهر تهادى * كنعاج الملا تعسفن رملا

ومما ينصب على الذم قول النابغة

لَعَمْرِي وما عَمْرِي عليَّ بِهَيِّنٍ * لقد نَطَقَتْ بُطْلاً عليَّ الأقارعُ

أقارعُ عوفٍ لا أُحاوِلُ غيرها * وُجُوهَ قُرُودٍ تَبْتَغِي مَنْ تُخادِعُ

وقال عُرْوَةُ بن الوَرْدِ العَبْسِيُّ

سَقَوْنِي الخَمْرَ ثم تَكَنَّفُونِي * عُداةَ اللهِ من كَذِبٍ وزُورِ

والعرب تُنْشِدُ قول حاتم الطائيّ رفعا ونصبا

ان كُنْتِ كارِهَةً مَعِيشَتَنا * هاتا فَحُلِّي في بَنِي بَدْرِ

الضاربين لَدَى أَعِنَّتِهِمْ * والطاعنين وخيلُهُم تَجْرِي

وانما خفضوهما على النعت وربما رفعوهما على القطع والابتداء وكذلك قول الخرنق بنت هفّان القيسيّة من بني قيس بن ثعلبة

لا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الذين هُمُ * سُمُّ العُداةِ وآفَةُ الجُزُرِ

النازلين بكلّ مُعْتَرَكٍ * والطَّيِّبِينَ مَعاقِدَ الأُزُرِ

وكلُّ ما كان من هذا على هذا أكثر انشاده وان لم يُرِدْ مَدْحا ولا ذمّا قد استقرّ له فوجهه النعت وقرأ بعض القراء فتبارك اللهَ أحسنَ الخالقين وأكثر ما تنشد العرب بيت ذي الرُّمّة نصبا لانه لما ذكر ما يَحِنُّ اليه ويصبو الى قربه أشاد بذكر ما قد كان يَبْغِي فقال

دِيارَ مَيَّةَ اذْ مَيٌّ تُساعِفُنا * ولا يَرَى مِثْلَها عُجْمٌ ولا عَرَبُ

وفي هذه القصيدة من التشبيه المصيب قوله

بَيْضاءُ في دَعَجٍ صَفْراءُ في نَعَجٍ * كأنّها فِضَّةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ

وفيها من التشبيه المصيب

تَشْكُو الخَشاشُ ومَجْرَى النَّسْعَتَيْنِ كما * أَنَّ المَرِيضُ الى عُوّادِهِ الوَصِبُ

الخشاش ما كان فى عظم الانف وما كان فى المارن فهو برة يقال أبريت الناقة فهى مبراة

قال الشماخ وهذا من التشبيه العجيب

فقربت مبراة تخال ضلوعها * من الماسخيات القسي الموترا

وماسخة من بنى نصر من الأزد واليهم نسبت القسي الماسخية وأحسن ماقيل فى صفة

الضلوع واشتباكها قول الراعى

وكأنما انتطحت على أثباجها * قدر بشابة قد تممن وعولا

الفادر المسن من الوعول وذو الرمة أخذ ذلك المعنى من قول المثقب العبدى

اذا ماقمت أرحلها بليل * تأوه آهة الرجل الحزين

ومن التشبيه المستحسن قول علقمة بن عبدة

كأن ابريقهم ظبى على شرف * مفدم بسبا الكتان ملثوم

فهذا حسن جدا وقال أبو الهندى وهو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شبث بن ربعى الرياحى

من بنى رياح بن يربوع وكان شبث سيد بنى يربوع بالكوفة

مفدمة قزا كأن رقابها * رقاب بنات الماء أفزعها الرعد

وكان أبو الهندى قد غلب عليه الشراب على كرم منصبه وشرف أسرته حتى كاد يبطله

وكان عجيب الجواب فجلس اليه رجل مرة يعرف ببرزين المناقير وكان أبوه صلب فى خرابة

والخرابة عندهم سرق الابل خاصة فأقبل يعرض لابى الهندى بالشراب فلما أكثر عليه

قال أبو الهندى أحدهم يرى القذاة فى عين أخيه ولا يرى الجذع فى است أبيه وفى الخرابة

يقول الراجز

والخارب اللص يحب الخاربا * وتلك قربى مثل أن تناسبا

* أن تشبه الضرائب الضرائبا *

وقال الآخر

أنب الطريق واجتنب أرماما * ان بها أكتل أو رزاما

* خوير بين ينقفان انهاما *

(زاد أبو الحسن * لم يترك المسلم طعاما *) نصب خويرين على أعني لا يكون غير ذلك لانه انما أثبت أحدهما بقوله أو ومر نصر بن سيار الليثى بأبى الهندى وهو قتيل سكرا فقال له أفسدت شرفك فقال أبو الهندى لولم أفسد شرفى لم تكن أنت والى خراسان وحج به نصر بن سيار مرة فلما وردا الحرم قال له نصر انك بفناء بيت الله ومحل وفوده فدع لى الشراب حتى ينفر الناس واحتكم على ففعل فلما كان يوم النفر أخذ الشراب فوضعه بين يديه وأقبل يشرب ويبكى ويقول

رضيع مدام فارق الراح روحه * فظل عليها مستهل المدامع

أديرا على الكاس انى فقدتها * كما فقد المفطوم در المراضع

وكان يشرب مع قيس بن أبى الوليد الكنانى وكان أبو الوليد ناسكا فاستعدى عليه وعلى ابنه فهربا منه وقال أبو الهندى

قل للسرى أبى قيس أتوعدنا * ودارنا أصبحت من داركم صددا

أبا الوليد أما والله لو عملت * فيك الشمول لما حرمتها أبدا

ولا نسيت حمياها ولذتها * ولا عدلت بها مالا ولا ولدا

ثم نرجع الى التشبيه وربما عرض الشئ والمقصود غيره فنذكر للفائدة تقع فيه ثم نعاد الى أصل الباب قال أبو العباس وقال عروة بن حزام العذرى

كأن قطاة علقت بجناحها * على كبدى من شدة الخفقان

ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فآية ذلك أن تكون عند قربه منها مرتدة النظر

عنه كأنما تنظر الى انسان من ورائه واذا كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه واذا نهض نظرت من ورائه الى شخصه حتى يزول عنها فقال رجل أردت أن أعلم كيف حالى عند امرأتى فالتفت وقد نهضت من بين يديها فاذا هى تكلم فى قفاى وقال الفرزدق فى هذا المعنى والنوار تخاصمه عند عبد الله بن الزبير

فدونكها يا ابن الزبير فانها * مولعة يوهى الحجارة قيلها

اذا جلست عند الامام كأنها * ترى رفقة من خلفها تستحيلها

قوله مولعة يقول مولعة بالنظر مرة ههنا ومرة ههنا وقوله ترى رفقة يقال رفقة ورفقة ومعنى تستحيلها تتبين حالاتها قال حميد بن ثور

مروعة تستحيل الشخوص * من الخوف تسمع مالا ترى

(قوله مروعة يقول كل شئ يدنيني من الظفر بها يروعها وينفرها)

ومن عجيب التشبيه قول جرير فيما يكنى عن ذكره

ترى الصيبان عاكفة عليها * كعنفقة الفرزدق حين شابا

ويقال ان الفرزدق حين أنشد النصف الاول ضرب بيده الى عنفقته توقعا لعجز البيت ومن التشبيه الحسن قول جرير فى صفة الخيل

يشتفن للنظر البعيد كأنما * ارنانها ببوائن الاشطان

قوله يشتفن ويتشوفن فى معنى واحد وقوله كأنما ارنانها ببوائن الاشطان أراد شدة صهيلها يقول كأنما يصهلن فى آبار واسعة تبين أشطانها عن نواحيها ونظير ذلك قول النابغة الجعدى

ويصهل فى مثل جوف الطوى * صهيلا يبين للمعرب

المعرب العالم بالخيل العراب ومن حسن التشبيه قول عنترة

غادرت نضلة في معرك * يجر الاسنة كالمحتطب

يقول طعن وغودرت الرماح فيه فظل يجرها كأنه حامل حطب ومن التشبيه المتجاوز المفرط قول الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

فجعلت المهتدي يأتم به وجعلته كنار في رأس علم والعلم الجبل قال جرير

* اذا قطعن علما بدا علم * وقال الله جل ثناؤه وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام

ومن هذا الضرب من التشبيه قول العجاج * تقضي البازي اذا البازي كسر *

والتقضي الانقضاض وانما أراد سرعتها والعرب تبدل كثيرا الياء من أحد التضعيفين

فيقولون تظنيت والاصل تظننت لانه تفعلت من الظن وكذلك تقضيت من الانقضاض أي

تقضضت وكذلك تسريت ومثل هذا كثير ومن تشبيه المحدثين المستطرف قول بشار

كأن فؤاده كرة تنزى * حذار البين ان نفع الحذار

(يروعه السرار بكل أمر * مخافة أن يكون به السرار)

وفي هذه القصيدة

جفت عيني عن التغميض حتى * كأن جفونها عنها قصار

أقول وليلتي تزداد طولا * أما لليل بعدهم نهار

وقال الحسن بن هانئ في صفة الخمر

فاذا ما لمستها فهباء * تمنع اللمس ما تبيح العيونا

درس الدهر ما تجسم منها * وتبقى لبابها المكنونا

فهي بكر كأنها كل شيء * يتمنى مخير أن يكونا

في كؤوس كأنهن نجوم * جاريات بروجها أيدينا

طالعات مع السقاة علينا * فاذا ماغربن يغربن فينا

فهذه قطعة من التشبيه غاية على سخف كلام المحدثين وقال الحنفى وهو اسحق بن خلف في صفة السيف

ألقى بجانب خصره * أمضى من الأجل المتاح

فكأنما ذر الهبا * ء عليه أنفاس الرياح

وقال مسلم بن الوليد الانصارى فى مدحه يزيد بن مزيد

تمضى المنايا كما تمضى أسنته * كأن فى سرجه بدرا وضرغاما

وقال دعبل بن على فى صفة مصلوب

لم أر صفا مثل صف الزط * تسعين منهم صلبوا فى خط

من كل عال جذعه بالشط * كأنه فى جذعه المشتط

أخو نعاس جد فى التمطى * قد خامر النوم ولم يغط

(وقال آخر فى صفة مصلوب وهو يزيد المهلبى

قام ولما يستعن بساقه * ألف مثواه على فراقه

* كأنما يضحك فى أشداقه *

أراد بياض الشريط فى فيه) وقال أعرابى فى صفة مصلوب (وهو الاخطل قال أبو الحسن الاخطل الذى يعنى رجل محدث من أهل البصرة و يعرف بالاخيطل و يلقب ببرقوقا وذكر أبو الحسن أن أبا العباس كان يدلس به)

كأنه عاشق قد مد صفحته * يوم الفراق الى توديع مرتحل

أو قائم من نعاس فيه لوثته * مواصل لتمطيه من الكسل

(وقال مسلم بن الوليد

وضعته حيث ترتاب الرياح به * وتحسد الطير فيه أضبع البلد)

وقال حبيب بن أوس (قال أبو الحسن يعني به اسحق بن ابراهيم الطاهري)

قد قلصت شفتاه من حفيظته * فخيل من شدة التعبيس مبتسما

وقال أيضا في رجل ينسبه الى الدعوة (وهو اسحق بن ابراهيم الطاهري)

وتنقل من معشر في معشر * فكأن أمك أو أباك الزئبق

يقال زئبق وزئبر مهموزان ودرهم مزأبق وثوب مزأبر ومن افراط التشبيه قول أبي خراش الهذلي يصف سرعة ابنه في العدو

كأنهم يسعون في اثر طائر * خفيف المشاش عظمه غير ذي مخض

يبادر جنح الليل فهو مهابذ * يحث الجناح بالتبسط والقبض

وقال أوس بن حجر (قال أبو الحسن أهل الكوفة يروونها لعبيد بن الأبرص)

كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت * من ماء أدكن في الحانوت نضاح

أو من معتقة ورهاء نشوتها * أو من أنابيب رمان وتفاح

وقال ابن عبدل يهجو رجلا بالبخر

نكهت على نكهة أخدري * شتيم شابك الانياب ورد

وفي هذا الشعر

فما يدنو الى فيه ذباب * ولو طليت مشافره بقند

يرين حلاوة ويخفن موتا * وشيكا ان هممن له بورد

الذباب الواحد من الذبان وأدنى العدد فيه أذبة والكثير الذبان ولكنه ذكر واحدا ثم خبر عن سائر الجنس والأسد أنتن السباع فأما الصقر أنتن الطير فأما قال بعض المحدثين في رجل يهجوه والمهجو داود بن بكر وكان ولي الأهواز وفارس والشعر لأبي الشمقمق

وله لحيــة تيسٍ   وله منقــار نسر
وله نكهــةُ ليث   خالطت نكهة صقر

وقال عبد الرحمن بن أبى عبد الرحمن ابن عائشة :

من يكنِ ابطه كآباط ذا الخلــقِ فإبطاىَ فى عِـداد الفقاحِ
لِىَ إبطانِ يرميان جليسى   بشبيه السلاحِ أو بالسـلاح
فكأنى من نتن هـذا وهـذا   جالسٌ بين مصعب وصباح

يعنى مصعبَ بن عبد الله الزبيرى وصباح بن خاقان المنقرى وكانا جليسين لا يكادان يفترقان وصديقين متواصلين لا يكادان يتصارمان فحدثت أن أحمد ابن هشام لقيهما يوم فقال أما سمعتما ماقال فيكما هذا يعنى إسحق بن الموصلى فقالا ماقال فينا إلا خيراً قال قال :

لامَ فيها مُصْعَبٌ وصباح   فعصينا مُصْعباً وصباحا
وأبينا غير سعى إليها   فاسترحنا منهما واستراحا

قالا ما قال إلا خيراً والمكروه ماقال فيك إذ يقول :

وصافية تعشى العيون رقيقة   رهينة عامٍ فى الدنان وعام
أدرنا بها الكأسَ الروية موهنا   من الليل حتى انجابَ كل الظلام
فما ذر قرن الشمس حتى كأننا   من العى نحكى أحمد بن هشام

واعلم أن للتشبيه حداً فالأشياء تشابه من وجوه وتباين من وجوه فإنما ينظر إلى التشبيه من حيث وقعَ فإذا شبه الوجه بالشمس فإنما يراد الضياء والرونق ولا يراد العظم والإحراق قال الله عز وجل كأنهن بيض مكنون والعرب تشبه النساء ببيض النعام تريد نقاء ونعمة لونه قال الراعى :

كأن بيضَ نعام فى ملاحفها   إذا اجتلاهن قيظٌ ليله ومدُ

وقيل للاوسية وهى امرأة حكيمة من العرب بحضرة عمر بن الخطاب رحمه الله أى منظر أحسن فقالت قصور بيض فى حدائق خضر فأنشد عمر بن الخطاب لعدى بن زيد

كدمى العاج فى المحاريب أو كالـ ـبيض فى الروض زهره مستنير

وقال الآخر

كالبيض فى الأدحى يلمع بالضحى * فالحسن حسن والنعيم نعيم

وقال جرير

ما استوصف الناس عن شئ يروقهم * الا رأوا أم نوح فوق ما وصفوا

كأنها مزنة غراء رائحة * أو درة لا يوارى لونها الصدف

المزنة السحابة البيضاء خاصة وجمعها مزن قال الله جل وعز أأنتم أنزلتموه من المزن فالمرأة تشبه بالسحابة لتهاديها وسهولة مرها قال الأعشى

كان مشيتها من بيت جارتها * مر السحابة لا ريث ولا عجل

الريث الابطاء فهذا ما تلحقه العين منها فأما الخفة فهى كاسرع ما روان خفى ذلك على البصر قال الله جل وعز وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب والعرب تشبه المرأة بالشمس والقمر والغصن والغزال والبقرة الوحشية والسحابة البيضاء والدرة والبيضة وانما تقصد من كل شئ الى شئ قال ذو الرمة

ومية أحسن الثقلين جيدا * وسالفة وأحسنهم قذالا

فلم أر مثلها نظرا وعينا * ولا أم الغزال ولا الغزالا

تريك بياض غرتها ووجها * كقرن الشمس أفتق ثم زالا

أصاب خصاصة فبدا كليلا * كلا وانغل سائره انغلالا

الجيد العنق والسالفة ناحية العنق والقذال ناحيتا القفا من الرأس وقوله أفتق ثم

زالا يقال أفتق السحاب اذا انكشف انكشافة فكانت فيه فرجة يسيرة بين السحابتين تقول العرب دام علينا الغيم ثم أفتقنا واذا نظر الى الشمس والقمر من فتق السحاب فهو أحسن مايكون وأشده استنارة وقوله كلا بريد فى مسرعة مابدا ثم غاب وقال الله عز وجل كأنهن الياقوت والمرجان وقال تبارك وتعالى كأمثال اللؤلؤ المكنون والمكنون المصون يقال كننت الشئ اذا صنته وأكننته اذا أخفيته فهذا المعروف قال الله تبارك وتعالى أو أكننتم فى أنفسكم وقد يقال كننته أخفيته وقد قال جرير فى يزيد بن عبد الملك وأمه عاتكة بنت يزيد ابن معاوية بن أبى سفيان

الحزم والجود والايمان قد نزلوا * على يزيد أمين الله فاختلفوا

ضخم الدسيعة والايمان غرته * كالبدر ليلة كاد الشهر ينتصف

وقال ذو الرمة

فيا ظبية الوعساء بين جلاجل * وبين النقا آ أنت أم أم سالم

وقال ابن أبى ربيعة

أبصرتها ليلة ونسوتها * يمشين بين المقام والحجر

يرفلن فى الريط والمروط كما * تمشى الهوينا سواكن البقر

فهذه تشبيهات غريبات مفهومة وقال أبو عبد الرحمن العطوى

قد رأينا الغزال والغصن والنجـ * ـمين شمس الضحى وبدر الظلام

فوحق البيان يعضده البر * هان فى مأقط ألد الخصام

ما رأينا سوى المليحة شيأ * جمع الحسن كله فى نظام

فهى تجرى مجرى الأصالة فى الرأ * ى ومجرى الأرواح فى الأجسام

البرهان الحجة قال الله عز وجل قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين أى حجتكم والمأقط موضع

الحرب فضرب به مثلا لموضع المناظرة والمحاجة والألد الشديد الخصومة قال الله تبارك وتعالى لتنذر به قوما لدا وقال وهو ألد الخصام وقالت ليلى الأخيلية

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * بنجد ولم يطلع مع المتغور

ولم يقدع الخصم الألد وملأ الشيفان سديفا يوم نكباء صرصر

السديف شقق السنام والنكباء الريح بين الريحين لان الرياح أربع وما بين كل ريحين نكباء فهي ثمان في المعنى فما بين مطلع سهيل الى مطلع الفجر جنوب وانما تأتي الجنوب من قبل اليمن قال جرير

وحبذا نفحات من يمانية * أتيك من قبل الريان أحيانا

واذا هبت من تلقاء الفجر فهي الصبا تقابل القبلة فالعرب تسميها القبول قال الشاعر

اذا قلت هذا حين أسلو يهيجني * نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

واذا أتت من قبل الشام فهي شمال قال الفرزدق

مستقبلين شمال الشام تضربنا * بحاصب كنديف القطن منثور

وهي تقابل الجنوب وكذلك قال امرؤ القيس

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها * لما نسجتها من جنوب وشمأل

واذا جاءت من دبر البيت الحرام فهي الدبور وهي تهب بشدة والعرب تسميها محوة عن أبي زيد لانها تمحو السحاب ومحوة معرفة لا تنصرف فاما الاصمعي فزعم ان محوة من أسماء الشمال وأنشدا جميعا

قد بكرت محوة بالعجاج * فدمرت بقية الرجاج

الرجاج حاشية الابل وضعافها وقال الأعشى

لها زجل كحفيف الحصا * د صادف بالليل ريحا دبورا

ولهذه الرياح أسماء كثيرة وأحكام في العربية لأن بعضهم يجعلها نعوتا وبعضهم يجعلها أسماء وكذلك مصادرها تحتاج الى الشرح والتفسير ونحن ذاكرون ذلك في عقب هذا الباب ان شاء الله يقال جنبت الريح جنوبا وشملت شمولا ودبرت دبورا وصبت صبوا وسمت سموما وحرت حرورا مضمومات الاوائل فاذا أردت الاسماء فتحت أوائلها فقلت جنوب وشمول وسموم ودبور وحرور ولم يأت من المصادر شئ مفتوح الاول الا أشياء يسيرة قالوا توضأت وضوأ حسنا وتطهرت طهورا وأولعت بالشئ ولوعا وان عليه لقبولا ووقدت النار وقودا وأكثرهم يجعل الوقود الحطب والوقود المصدر ويقال الشمال على لغات ست يقال شمال وشأمل وشمأل وشمل وشمل وشامل غير مهموز ويقال للشمال الجربياء قال ابن أحمر

بهجر من قساء ذفر الخزامى * تداعى الجربياء به الحنينا

ويقال للجنوب الأزيب ويقال للصبا القبول وبعضهم يجعله للجنوب وهو في الصبا أشهر بل هو القول الصحيح والاير والهير والأير والهير قال الشاعر

* مطاعيم أيسار اذا الهير هبت * فهذا يدل على أنه الصبا وذلك أنهم انما يتمدحون بالاطعام في المشتاة وشدة الزمان كما قال طرفة

نحن في المشتاة ندعو الجفلى * لاترى الآدب فينا ينتقر

الجفلى العامة والنقرى الخاصة والآدب صاحب المأدبة يقال مأدبة ومأدبة للدعوة وفي الحديث ان القرآن مأدبة الله قال أهل العلم معناه مدعاة الله وليس من الأدب وأكثر المفسرين قالوا القول الاول وكلاهما في العربية جائز ويدل على القول الاول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا الجفنة الغراء أي التي يجتمع الناس عليها ويدعون اليها ويقال في الدعوة أدبه يأدبه أدبا اذا دعاه قال الشاعر

وما أصبح الضحاك الا كثالج * عصا نافا أرسلنا المنية تأدبه

وقولنا في الرياح انها تكون أسماء ونعوتا نفسره ان شاء الله يقول أكثر العرب هذه ريح جنوب وريح شمال وريح دبور فتجعل جنوبا وشمالا ودبورا وسائر الرياح نعوتا قال الاعشى

لها زجل كحفيف الحصا * د صادف بالليل ريحا دبورا

وقال زهير

مكلل باصول النبت تنسجه * ريح شمال لضاحي مائه حبك

وقال جرير * ريح خريق شمال أو يمانية * فهذا يكون على النعت أجود لانه أوضحه يمانية ولا تكون اليمانية الا نعتا لانها منسوبة فاما الخريق فهي الشديدة من كل ريح قال حميد بن ثور

يمشى حرام والمطى كانه * قنا مسند هبت لهن خريق

والبليل الباردة من كل الرياح وأصل ذلك الشمال قال جرير يعير بني مجاشع بخذلانهم الزبير بن العوام في كلمة يقول فيها

انى تذكرنى الزبير حمامة * تدعو بأعلى الابكتين هديلا

يا لهف نفسي اذ يغرك حبلهم * هلا اتخذت على القيون كفيلا

قالت قريش ما اذل مجاشعا * جارا واكرم ذا القبيل قبيلا

أفبعد متركهم خليل محمد * ترجو القيون مع الرسول سبيلا

أفتى الندى وفتى الطعان غررتم * وأخا الشمال اذا تهب بليلا

ويروى أن أحيحة بن الجلاح الانصاري وكان يخل اذا هبت الصبا طلع من أطمه فنظر الى ناحية هبوبها ثم يقول لها هبي هبوبك فقد أعددت لك ثلثمائة وستين صاعا من عجوة أدفع الى الوليد منها خمس تمرات فيرد على منها ثلاثا لأى لصلابتها بعد جهد ما يلوك منها اثنتين وكان لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب شريفا في الجاهلية والاسلام قد

نذر أن لا تهب الصبا الا نحر وأطعم حتى تنقضي فهبت بالاسلام وهو بالكوفة مقتر مملق فعلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان واليها لعثمان بن عفان وكان أخاه لامه وأمهما أروى ابنة كريز بن حبيب بن ربيعة ابن عبد شمس وأم أروى البيضاء بنت عبد المطلب فخطب الناس وقال انكم قد عرفتم نذر أبي عقيل وما وكد على نفسه فأعينوا أخاكم ثم نزل فبعث اليه بمائة ناقة (وأبيات يقول فيها

أرى الجزار تشحذ مديتاه * اذا هبت رياح أبي عقيل

طويل الباع أبيض جعفري * كريم الجد كالسيف الصقيل

وفى ابن الجعفري بما لديه * على العلات والمال القليل

فلما أتته قال جزى الله الامير خيرا قد عرف الامير أني لا أقول شعرا ولكن اخرجي يا بنيتي فخرجت خماسية فقال لها أجيبي الامير فأقبلت وأدبرت) وبعث الناس فقضى نذره ففي ذلك تقول ابنة لبيد

اذا هبت رياح أبي عقيل * دعونا عند هبتها الوليدا

(طويل الباع أبيض عبشميا * أعان على مروته لبيدا

بامثال الهضاب كأن ركبا * عليها من بني حام قعودا

أبا وهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا

فعد ان الكريم له معاد * وظني بابن أروى أن يعودا

قال لها لبيد أحسنت يا بنيتي لولا أنك سألت فقالت ان الملوك لا يستحى من مسئلتهم فقال لها يا بنيتي وأنت في هذا أشعر) ومن جعل الشمال والجنوب أسماء لم يصرفها اذا سمي بشيء منها رجل لانك اذا سميت رجلا مذكرا باسم مؤنث على أربعة أحرف فصاعدا لاعلامة للتأنيث

فيه لم تصرفه فى المعرفة وصرفته فى النكرة نحو عَناق وأتان وعقرب وان كان نعتا انصرف لانك اذا سميت رجلا مذكرا بنعت مؤنث لا علامة فيه صرفته لانه مذكر نُعِتَ به المؤنث نحو حائض وطالق ومُتئِم ومُرضِع واذا ذكرنا من الباب شيأ فالم نذكره منه فعلى مجراه ومنهاجه قال الشاعر فجعل ما وصفنا اسماء

حالت وحيل بها وغيّر آيها * طولُ البِلَى تجرى به الريحان

ريحُ الشمال مع الجنوب وتارةً * رِهَمُ الربيع وصائبُ التهْتان

وقد أنشدوا بيت زهير * ريحُ الجَنوب لضاحى مائه حُبُكُ * وقولنا لا علامة فيه للتأنيث لتعرف كيف حكم علامات التأنيث لان ذلك انما يكون على ضربين فما كانت فيه ألف التأنيث مقصورة أو ممدودة فغير منصرف فى معرفة ولا نكرة لمذكر كان أو مؤنث فالمقصور نحو حبلى وسُكْرى وما أشبه ذلك والممدود نحو حمراء وصفراء وصحراء وما أشبه ذلك فان كانت ممدودة لغير التأنيث انصرف اذا كان لمذكر فى المعرفة والنكرة زائدا كان أو أصليا فالاصلى نحو سقاء وغذاء وحذاء ورداء والزائدة نحو علباء وحِرباء وقُوباء يا فتى ومن قال قُوباءُ يا فتى أنَّث ولم يصرف لان الاولى مُلحقة وهذه للتأنيث فأما الالف المقصورة التى لغير التأنيث فان كانت أصلية انصرفت فى المذكر نحو مَلْهَى ومَغْزَى ومُشْتَرَى وان كانت زائدة لغير التأنيث انصرفت فى النكرة ولم تنصرف فى المعرفة نحو أرْطَى وعَلْقَى فمن جعل الواحدة عَلقاةً وأما ما كانت فيه هاء التأنيث فهو منصرف فى النكرة وغير منصرف فى المعرفة لمذكر كان أو مؤنث عربيا كان أو أعجميا فهذه جملة هذا الباب فاما قياسه وشرحه فقد أتينا عليه فى الكتاب المقتضب وتقول فى أكثر الكلام هبّتْ جنوبًا وهبت شمالا فتستغنى عن ذكر الريح وهذا انما يؤكد أنها نعوت لان الحال انما بابها أن تقع فيما يكون نعتا قال جرير

هبت شمالا فذكرى ما ذكرتكم * عند الصفاة التى شرقى حورانا

وقال الآخر

فأى حى اذا هبت شآمية * واستدفأ الكلب بالمأسور ذى الذئب

المأسور يعنى قتبا وانما الاسر الشد بالقد حتى يحكم وانما قيل الاسير من ذا لانه كان يشد بالقد ثم قالت العرب لكل محكم شديد الاسر قال الله تبارك وتعالى نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وقوله ذى الذئب يعنى الفضول التى وسعته وأسبغته يقال غبيط مذأب أى ذو ذئب أى موسع والغبيط مركب من مراكب النساء وقال أوس بن حجر فى شدة البرد وغلبة الشمال يرثى فضالة بن كلدة الاسدى

والحافظ الناس فى قحوط اذا * لم يرسلوا تحت عائذ ربعا

وعزت الشمأل الرياح وقد * أمسى كميع الفتاة ملتفعا

وكانت الكاعب المنعمة الحسناء فى زاد أهلها سبعا

قحوط وقحوط وكحل وجحرة أسماء للسنة الجدبة والعائذ الحديثة النتاج فتنحر أولادها فى السنة الجدبة ابقاء على ألبانها وشحومها والربع الذى ينتج فى الربيع والهبع الذى ينتج فى الصيف يقال ماله هبع ولا ربع وانما سمى هبعا لان الربع أسن منه فيمشى مع أمهاتها ولا يلحقهن الهبع الا باجتهاد فيستعين بعنقه فى المشى يقال اذا فعل ذلك هبع يهبع ويقال للريح الشمال نسع ومسع قال الهذلى

قد حال دون دريسيه مؤوبة * نسع لها بعضاه الارض تهزيز

الدريسان ثوبان خلقان ومؤوبة مفعلة من التأويب وهو سير النهار لا تعريج فيه قال أبو عبيدة هو سير النهار والاساد سير الليل لا تعريس فيه وأنشد لسلامة بن جندل

يومان يوم مقامات وأندية * ويوم سير الى الاعداء تأويب

وانما يعنى ريحا وقوله نسع أى شمال والعضاه شجرة ضخمة فبعض العرب يقول للواحدة عضاهة والجميع عضاه على وزن دجاجة ودجاج وبعضهم يقول للواحدة عضة فيقول فى الجمع عضوات وعضهات فتكون من الواو ومن الهاء قال الشاعر

هذا طريق يأزم المآزما * وعضوات تقطع اللهازما

ونظير عضة سنة على أن الساقط الهاء فى قول بعض العرب والواو فى قول بعضهم تقول فى جمعها سنوات وسانيت الرجل وبعضهم يقول سنهات وأكريته مسانهة وهذا الحرف فى القرآن يقرأ على ضروب فمن قرأ لم يتسنه وانظر فوصل بالهاء فهو مأخوذ من سانهت التى هى سنيهة ومن جعله من الواو وقال فى الوصل لم يتسن وانظر فاذا وقف قال لم يتسنه فكانت الهاء زائدة لبيان الحركة بمنزلة الهاء فى قوله فبهداهم اقتده وكتابيه وحسابيه والمعنى واحد وتأويله لم تغيره السنون ومن لم يقصد الى السنة قال لم يتأسن والآسن المتغير قال الله جل وعز فيها أنهار من ماء غير آسن ويقال أسن فى هذا المعنى كما يقال رجل حاذر وحذر ويقال للريح الجنوب النعامى قال أبو ذؤيب

مرته النعامى فلم يعترف * خلاف النعامى من الشأم ريحا

ومعنى مرته استدرته وفى الحديث ما هبت الريح الجنوب الا أسال الله بها واديا وقال رجل يمدح رجلا

فتى خلقت أخلاقه مطمئنة * له نفحات ريحهن جنوب

يريد أن الجنوب تأتى بالمطر والندى والعرب تكره الدبور وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقلما يكون بالدبور المطر لأنها تجفل السحاب ويكون فيها الرهج والغبرة ولا تهب الا أقل ذاك الا بشدة فتكاد تقلع البيوت وتأتى على الزروع وقال رجل يهجو رجلا

لو كنت ريحا كانت الدبورا * أو كنت غيما لم تكن مطيرا

أو كنت ماء لم تكن طهورا * أو كنت مخا كنت مخا ريرا

* أو كنت بردا كنت زمهريرا *

الريرا لمخ الرقيق يقال مخ رير ورار في معنى واحد وقال السليك

* يصيدك قافلا والمخ رار * والشيء يذكر بالشيء وقال آخر

لو كنت ماء لم تكن بعذب * أو كنت سيفا كنت غير عضب

أو كنت لحما كنت لحم كلب * أو كنت عيرا كنت غير ندب

فأما قول السليك فانه يرثي فرسه وكان يقال له النحام فقال

كأن قوائم النحام لما * تحمل صحبتي أصلا محار

على قرماء عالية شواه * كأن بياض غرته خمار

وما يدريك ما فقري اليه * اذا ما القوم ولوا أو أغاروا

ويحضر فوق جهد الحضر نصا * يصيدك قافلا والمخ رار

قوله كأن قوائم النحام محار المحارة الصدفة يريد الملاسة وانه قد ارتفعت قوائمه للموت والأصل جمع أصيل والأصيل العشي يقال أصيل وأصل مثل قضيب وقضب وجمع أصل آصال وهو جمع الجمع وتقديره عنق وأعناق وطنب وأطناب ويقال في جمع أصيلة أصائل مثل خليفة وخلائف قال الأعشى * ولا بأحسن منها اذ دنا الأصل * وقال أبو ذؤيب

لعمري لأنت البيت أكرم أهله * وأقعد في أفيائه بالأصائل

وقرماء ممدودة اسم موضع وشواه قوائمه وقد فسرناه قبل هذا وقوله ولوا أو أغاروا اذا طلبوا أو هربوا وقوله يصيدك أي يصيد لك يقال صدتك ظبيا قال الله عز وجل واذا كالوهم أو

وزنوهم يخسرون أى كالوا لهم أو وزنوا لهم يقال كلتك ووزنتك لانه قد قال تعالى أو لا اذا اكتالوا على الناس يستوفون فاما ما جاء فى الحديث من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الهبوب اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فان العرب تقول لا تلقح السحاب الا من رياح وتصديق ذلك قول الله عز وجل الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا وقول النبى صلى الله عليه وسلم اذا هبت بحرية ثم تذاءبت قال الشاعر * تسح اذا تذاءبت الرياح * يقول اذا تقابلت يقال تذاءبت الرياح وتناوحت أى تقابلت وتناوح الشجر اذا قابل بعضه بعضا وانما سميت النائحة نائحة لانها تقابل صاحبتها فاذا اخلصت الريح عندهم دبورا فهى من جنس البوار واذا اخلصت شمالا لا شتوية فهى من آيات الجدب ومن ثم تقول العرب فلان يطعم فى الشمال كما تقول يطعم فى المحل قال أوس بن حجر * وعزت الشمال الرياح * أى غلبتها فكانت أقوى منها فلم تدع لها موضعا وقوله تعالى وعزنى فى الخطاب أى غلبنى فى المخاطبة والخصومة ومن أمثال العرب من عزبزنا ويله من غلب سلب قالت الخنساء

كأن لم يكونوا حمى يتقى * اذ الناس اذ ذاك من عزبزا

قال أبو العباس وحدثنى عمرو بن بحر الجاحظ قال رأيت رجلا من غنى يفاخر رجلا من بنى فزارة ثم أحد بنى بدر بن عمرو وكان الغنوى متمكنا من لسانه وكان الفزارى بكيا فقال الغنوى مائنا ما بين الرقم الى كذا وهم جيراننا فيه فنحن أقصر منهم رشاء وأعذب منهم ماء لنا ريف السهول ومعاقل الجبال وأرضهم سبخة ومياههم أملاح وأرشيتهم طوال والعرب اذ ذاك من عزبز فبعزنا ما تخيرنا عليهم وبذلهم ما رضوا عنا بالضيم قوله كان الفزارى بكيا يقول غير قادر على الكلام وأصل ذلك فى الحلب يقال ناقة غزيرة وناقة بكئ وهى ضد الغزيرة أى قليلة اللبن ودهين وصمرد فى معنى يقال بكأت الشاة والناقة وبكؤت قال الشاعر

فاذا اما ماردت أو بكؤت * فض عن خاتم أخرى طينها

وقال سلامة بن جندل الطهوي

يقول محبسها أدنى لمرتعها * وان تداعى ببلّ كل محلوب

يقول ان تحبس الابل على ضرّ ونقاتل عنها فهو أدنى بأن تعز فترتع فيما تستقبل وان ذهبت ألبانها الا أنا ان طردناها وهو بناطمع فينا واستذللنا ويقال فى الكلام رجل عيى بكى قال أبو العباس وهذا الغنوى اذا حاول بقبيلته آل بدر فقد أعظم الفرية وبلغ فى البهت وأشمت العدو بجمهور قيس وصار بهم الى ما قال الاخطل

وقد سرنى من قيس عيلان أننى * رأيت بنى العجلان سادوا بنى بدر

وكان زياد يقول وهو الغاية فى السياسة أوصيكم بثلاثة بالعالم والشريف والشيخ فوالله لا أوتى بوضيع سب شريفا أو شاب وثب بشيخ أو جاهل امتهن عالما الا عاقبت وبالغت وقال عمارة لبنى أسد بن خزيمة

يا أيها السائلى عمدا لأخبره * بذات نفسى وأيدى الله فوق يدى

ان تستقم أسد ترشد وان شغبت * فلا يلم لائم الا بنى أسد

انى رأيتكم يعصى كبيركم * وتكنعون الى ذى الفجرة النكد

فباعد الله كل البعد داركم * ولا شفاكم من الاضغان والحسد

فرأى عصيانهم الكبير من أقبح العيب وأدله على ضغن بعضهم لبعض وحسد بعضهم بعضا والوضيع ينقلب الى الشريف لانه يرى مقاولته فخرا والاجتراء عليه ربما كان مقاولة الشريف للئيم ذل وضعة وقال الشاعر

اذا أنت قاولت اللئيم فانما * يكون عليك العتب حين تقاوله

ولست كمن يرضى بما غيره الرضا * ويمسح رأس الذئب والذئب آكله

وسنشبع فى هذا المعنى ان شاء الله وفى هذا الشعر بيت يقدم فى باب القلب وهو

فلا تقربن أمر الصريمة بامرئ * اذا رام أمرا عوقته عواذله

(وقل للفؤاد ان نزى بك نزوة * من الروع أفرخ أكثر الروع باطله)

الصريمة العزيمة وقد امتنع قوم من الجواب تنبلا ومواضعهم تنبئ عن ذلك وامتنع قوم عيا بلا اعتلال وامتنع قوم عجزوا واعتلوا بكراهة السفه وبعضهم معتل برفعة نفسه عن خصمه وبعضهم كان يسبه الرجل الركيك من العشيرة فيعرض ويسب سيد قومه وكانت الجاهلية ربما فعلته في الذحول قال الراجز

ان بجيلا كلما هجاني * ملت على الاغطش اوأبان

أوطلحة الخير فتى الفتيان * أولاك قوم شأنهم كشاني

ما نلت من أعراضهم كفاني * وان سكت عرفوا احساني

وقال أحد المحدثين

انى اذا أهر كلب الحي قلت له * اسلم وربك مخنوق على الجرد

قوله اسلم فاستأنف بألف الوصل لان النصف الاول موقوف عليه قال الشاعر

ولا يبادر في الشتاء وليدها * القدر ينزلها بغير جعال

الجعال الذي يوضع فيه البرمة وربما توقيت به حرارتها قال الراجز

لا نسب اليوم ولا خلة * اتسع الخرق على الراقع

وهذا كثير غير معيب وفي مثل اختيار القتيل لتكافؤ الاعراض قول الاخطل

شفى النفس قتلى من سليم وعامر * ولم يشفها قتلى غني ولا جسر

ولا جشم شر القبائل انها * كبيض القطا ليسوا بسود ولا حمر

ولو ببني ذبيان بلت رماحنا * لقرت بهم عيني وباء بهم وتري

وقال رجل من المحدثين وهو حمدان بن أبان اللاحقي

أليس من الكبائر أن وغدا * لآل محمد يهجو سدوسا
هجاء عرضا لهم غضا جديدا * وأهدف عرض والده اللبيسا

وقال آخر

اللؤم أكرم من وبر ووالده * واللؤم أكرم من وبر وما ولدا
قوم اذا جر جانى قومهم أمنوا * من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا
اللؤم داء لوبر يقتلون به * لا يقتلون بداء غيره أبدا

وقال أحد المحدثين (هو دعبل)

أما الهجاء فدق عرضك دونه * والمدح عنك كما علمت جليل
فاذهب فأنت عتيق عرضك انه * عرض عززت به وأنت ذليل

وقال آخر

نبئت كلبا هاب رميى له * ينبحنى من موضع نائى
لو كنت من شئ هجوناك أو * لونلت للشائع والرائى
فعد عن شتمى فانى امرؤ * حلمنى قلة أكفائى

وقال آخر (هو دعبل)

فلو أنى بليت بهاشمى * خؤولته بنو عبد المدان
صبرت على عداوته ولكن * تعالى فانظرى بمن ابتلانى

ووقف رجل عليه مقطعات على الاحنف بن قيس يسبه وكان عمرو بن الأهتم جعل له ألف درهم على أن يسفه الاحنف فجعل لا يألو أن يسبه سبا يغضب والاحنف مطرق صامت فلما رآه لا يكلمه أقبل الرجل يعض ابهاميه ويقول ياسوأتاه والله ما يمنعه من جوابى الا هوانى عليه وفعل ذلك آخر فأمسك عنه الاحنف فأكثر الرجل الى أن أراد الاحنف القيام

للغداء فاقبل على الرجل فقال له يا هذا ان غداءنا قد حضر فانهض بنا اليه ان شئت فانك مذ اليوم تخد وتجمل ثقال والثقال من الابل البطىء الثقيل الذى لا يكاد ينبعث وعدت على الاحنف سقطة فى هذا الباب وهو أن عمرو بن الاهتم دس اليه رجلا ليسفهه فقال له أبا بحر ما كان أبوك فى قومه قال كان من أوسطهم لم يسدهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانية ففطن الاحنف أنه من قبل عمرو فقال ما كان مال أبيك فقال كانت له صرمة يمنح منها ويقرى ولم يك أهتم سلاحا وجعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمه ولم تكن فى موضع مرضى فأتاه الرجل وهو بمصر أمير عليها فقال أردت أن أعرف أم الامير فقال نعم كانت من عنزة ثم من بنى جلان تسمى ليلى وتلقب النابغة اذهب وخذ ما جعل لك وقال له مرة المنذر بن الجارود أى رجل أنت لولا أمك قال فانى أحمد الله اليك انى فكرت فى هذا البارحة فأقبلت أنقلها فى قبائل العرب فما خطرت لى عبد القيس على بال ودخل عمرو مكة فرأى قوما من قريش قد جلسوا حلقة فلما رأوه رموه بأبصارهم فعدل اليهم فقال أحسبكم كنتم فى شىء من ذكرى قالوا أجل كنا نمثل بينك وبين أخيك هشام أيكما أفضل فقال عمرو ان لهشام على أربعة أمه ابنة هشام بن المغيرة وأمى من قد عرفتم وكان أحب الى أبيه منى وقد عرفتم معرفة الوالد بالولد وأسلم قبلى واستشهد وبقيت وقد أكثر الناس فى الباب الذى ذكرناه وانما نذكر من الشىء وجوهه ونوادره قال رجل لرجل من آل الزبير كلاما أقذع له فيه فأعرض الزبيرى عنه ثم دار كلام فسب الزبيرى على بن الحسين فأعرض عنه فقال له الزبيرى ما يمنعك من جوابى فقال على ما منعك من جواب الرجل وقد روى قول القائل لو قلت واحدة لسمعت عشرا فقال له الرجل ولكنك لو قلت عشرا ما سمعت واحدة وقال الشاعر

ولقد أمر على اللئيم يسبنى * فأجوز ثم أقول لا يعنينى

وقال رجل لرجل وسبه فلم يلتفت اليه اياك أعنى فقال له الرجل وعنك أعرض فأما قول

الشعبي للرجل ماقال فمن غير هذا الباب وانما اخرجه الديانة وذلك أن رجلا سب الشعبي بأمور قبيحة نسبه اليها فقال الشعبي ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لي وقال أبو العباس قال رجل لابي بكر الصديق رحمه الله لأسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال معك والله يدخل لامعي (ويحدث ابن عائشة عن أبيه أن رجلا من أهل الشام دخل المدينة فقال رأيت رجلا على بغلة لم أر أحسن وجها ولا أحسن لباسا ولا أفره مركبا منه فسألت عنه فقيل لى الحسن بن على بن أبي طالب فامتلأت له بغضا فصرت اليه فقلت أأنت ابن أبي طالب فقال أنا ابن ابنه فقلت له فيك وبك وبأبيك أسبهما فقال أحسبك غريبا قلت أجل فقال ان لنا منزلا واسعا ومعونة على الحاجة ومالا نواسي منه فانطلقت وما أجد على وجه الارض أحب الى منه) ويتصل بهذا الباب ذكر من رغب برجل عن إرث رجل لا يشاكله وولاية رجل لا يشابهه قال الشاعر

بكت دار بشر شجوها أن تبدلت * هلال بن قعقاع ببشر بن غالب
وماهي الا كالعروس تنقلت * على رغمها من هاشم في محارب

وقال الفرزدق حين ولي العراق عمر بن هبيرة الفزاري بعقب مسلمة بن عبد الملك

راحت بمسلمة البغال عشية * فارعي فزارة لاهناك المرتع
ولقد علمت اذا فزارة أمرت * أن سوف يطمع في الامارة أشجع
فأرى الامور تنكرت أعلامها * حتى أمية عن فزارة تنزع
عزل ابن بشر وابن عمرو قبله * وأخو هراة لمثلها يتوقع

فلما ولي خالد بن عبد الله القسري على عمر بن هبيرة قال رجل من بني أسد يجيب الفرزدق

عجب الفرزدق من فزارة أن رأى * عنها أمية بالمشارق تنزع
فلقد رأى عجبا وأحدث بعده * أمر تضج له القلوب وتفزع

بكت المنابر من فزارة شجوها * فاليوم من قسر تذوب وتجزع

وملوك خندف أسلمونا للعدى * لله در ملوكنا ما تصنع

كانوا كتاركة بنيها جانبا * سفها وغيرهم تصون وترضع

قال أبو العباس وكان الفرزدق هجاء لعمر بن هبيرة عند ولايته العراق وفى ذلك يقول ليزيد ابن عبد الملك بن مروان

أمير المؤمنين وأنت بر * أمين لست بالطبع الحريص

أأطعمت العراق ورافديه * فزاريا أحذ يد القميص

تفهق بالعراق أبو المثنى * وعلم قومه أكل الخبيص

ولم يك قبلها راعى مخاض * ليأمنه على وركى قلوص

قوله لست بالطبع الحريص فالطبع الشديد الطمع الذى لا يفهم لشدة طمعه وانما أخذ هذا من طبع السيف يقال طبع السيف يا فتى وهو سيف طبع إذا ركبه الصدأ حتى يغطى عليه والمثل من هذا فى الذى طبع على قلبه انما هو تغطية وحجاب يقال طبع الله على قلب فلان كما قال جل وعز طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم هذا الوقف ثم قال وعلى أبصارهم غشاوة وكذلك رين على قلبه وغين على قلبه فالرين يكون من أشياء تألف عليه فتغطيه قال الله جل وعز كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وأما غين على قلبه فهى غشاوة تعتريه والغينة القطعة من الشجر الملتف تغطى ما تحتها قال الشاعر

كأنى بين خافيتى عقاب * أصاب حمامة فى يوم غين

وقال بعضهم أراد فى التفاف من الظلمة وقال آخرون أراد فى يوم غيم فأبدل من الميم نونا لاجتماع الميم والنون فى الغنة كما يقال للحية أيم وأين واستجازت الشعراء أن تجمع الميم والنون فى القوافى لما ذكرت لك من اجتماعهما فى الغنة قال الراجز

بُنَيّاتُ البرشيّ هَيِّنٌ * المنطقُ اللّيِّنُ والطُّعَيْمُ

وقال آخر

ما تنقِمُ الحربُ العوانُ منّي * بازلُ عامَيْنِ حديثٌ سِنّي

* لمثلِ هذا ولدتني أمّي *

والعراقان البصرة والكوفة والرافدان دجلةُ والفراتُ وقوله أحذ يدا القميص الاحذّ الخفيف قال طرفة * وأتلعُ نهّاضٌ أحذُّ مُلَملَمٌ * وانما نسبه بالخفة في يده الى السرق وقوله تفهق أي امتلاء ماء يقال بئر تفهقُ وغدير يفهقُ اذا امتلأ ماء قال الراجز

لا ذنبَ لي قد قلتُ للقوم استقوا * والقومُ في عُرُضٍ غديرٍ يَفهَقُ

وقال الاعشى في مدحه المُحلَّق بن حنتم أحد بني أبي بكر بن كلاب

نفى الذمَّ عن رهط المُحلَّق جفنةٌ * كجابيةِ الشيخِ العراقيِّ تفهقُ

هكذا رواية ابي عبيدة وقوله

ولم يكُ قبلها راعي مخاضٍ * ليأمنه على وركي قلوص

كانت بنو فزارة تُرمى بغشيان الابل ولذلك قال ابن دارة

لا تأمنن فزاريا خلوتَ به * على قلوصك واكتبها بأسيار

فلما عزل ابن هُبَيرة وحبسه خالد بن عبد الله القسريّ قال الفرزدق

لعمري لئن نابت فزارةَ نوبةٌ * لمن حدث الايام تحسبها قسر

لقد حبس القسريُّ في سجن واسطٍ * فتى شيظميا ما ينهنهه الزجرُ

فتى لم تربّبه النصارى ولم يكن * غذاءً له لحمُ الخنازير والخمرُ

الشيظمي الطويل قال ذو الرمة

اذا مار منا رمية في مفازة * عراقيبها بالشيظمي المواشك

يريد حاديا يسوقها وقوله مايهنهه الزجر يقول مايحركه وقوله فتى لم تربيه النصارى ينبه به على أم خالد وكانت نصرانية رومية وكان أبوه استلبها في يوم عيد للروم فاولدها خالدا وأسدا ولذلك يقول الفرزدق

ألا قطع الرحمن ظهر مطية * أتتنا تهادى من دمشق بخالد
وكيف يؤم الناس من كانت امه * تدين بان الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها النصارى لامه * ويهدم من كفر منار المساجد

وقال

عليك أمير المؤمنين بخالد * وأصحابه لا طهر الله خالدا
بنى بيعة فيها الصليب لامه * ويهدم من بغض الصلاة المساجدا

وكان سبب هدم خالد منار المساجد حتى حطها عن دور الناس أنه بلغه شعر لرجل من الموالى موالى الانصار وهو

ليتنى فى المؤذنين حياتى * انهم يبصرون من فى السطوح
فيشيرون أو تشير اليهم * بالهوى كل ذات دل مليح

فحطها عن دور الناس ويروى عنه فيما روى من عتوه أنه استعفى من بيعة بناها لامه فقال لملا من المسلمين قبح الله دينهم ان كان شرا من دينكم وقال الفرزدق لابن هبيرة حيث نقب له السجن وهرب وسار تحت الارض هو وابنه حتى نفذا

لما رأيت الارض قد سد ظهرها * ولم يبق الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونس بعدما * ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا
فاصبحت تحت الارض قد سرت سيرة * وما سار سار مثلها حيث أدلجا
خرجت ولم يمنن عليك طلاقة * سوى ربذ التقريب من آل أعوجا

فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجانى أميرا ومدحنى أسيرا قوله حيث أدلجا

تقول أدلجت اذا سرت من أول الليل وادّلجت اذا سرت من آخره في السحر قال زهير

بكرن بكوراً وادّلجن بسحرة * فهنّ لوادي الرس كاليد للفم

وأعوج فرس كان لغني وقالوا كان لبني كلاب ولا ينكر هذا لان حبيبة بنت رياح الغنوية ولدت بني جعفر بن كلاب فلعله أن يكون صار الى بني جعفر بن كلاب من غني والعرب تنسب الخيل الجياد الى أعوج والى الوجيه ولاحق والغراب والصموم وما أشبه هذه الخيل من المتقدمات قال زيد الخيل

جلبنا الخيل من أجإ وسلمى * تخبّ نزائعاً خبب الذئاب

جلبنا كل طرف أعوجيّ * وسلهبة تكافئه العقاب

ثم نرجع الى التشبيه المصيب قال امرؤ القيس في طول الليل

كأن الثريا علقت في مصامها * بأمراس كتّان الى صمّ جندل

فهذا في ثبات الليل واقامته والمصام المقام وقيل للممسك عن الطعام صائم لثباته على ذلك ويقال صام النهار اذا قامت الشمس قال امرؤ القيس

فدعها وسلّ الهم عنك بجسرة * ذمول اذا صام النهار وهجّرا

وقال النابغة

خيل صيام وخيل غير صائمة * تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

والأمراس جمع مرس وهو الحبل قال أبو زبيد يرثي غلامه وتعرض للعرب فقتل

اما تعلّق بك الرماح فلا * أبكيك الا للدلو والمرس

وقال في ثبات الليل

فيالك من ليل كأنّ نجومه * بكل مغار الفتل شدّت بيذبل

المغار الشديد الفتل يقال أغرت الحبل اذا شددت فتله ويذبل جبل بعينه وقال أيضا

كأن أبانا في أفانين ودقه * كبير أناس في بجاد مزمل

أبان جبل وهما أبانان أبان الاسود وأبان الابيض قال مهلهل وكان نزل في آخر حربهم حرب البسوس في جنب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك وهو مذحج وجنب حي من أحيائهم وضيع نخطبت ابنته ومهرت أدما فلم يقدر على الامتناع فزوجها وقال

أنكحها فقدها الاراقم في * جنب وكان الحباء من أدم

لو بأبانين جاء يخطبها * ضرج ما أنف خاطب بدم

وقوله في أفانين ودقه يريد ضروبا من ودقه والودق المطر قال الله تبارك وتعالى فترى الودق يخرج من خلاله وقال عامر بن جوين الطائي

فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

وقوله كبير أناس في بجاد مزمل يريد مزملا بثيابه قال الله تبارك وتعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا وهو المتزمل والتاء مدغمة في الزاي وانما وصف امرؤ القيس الغيث فقال قوم أراد أن المطر قد خنق الجبل فصار له كاللباس على الشيخ المتزمل وقال آخرون انما أراد ما كساه المطر من خضرة النبت وكلاهما حسن وذكر الودق لان تلك الخضرة من عمله وقال الراجز يصف غيما

أقبل في المستن من ربابه * أسنمة الآبال في سحابه

أراد أن ذلك السحاب ينبت ما يأكله الابل فتصير شحومها في أسنمتها والرباب سحاب دون المعظم من السحاب قال المازني

كأن الرباب دوين السحاب * نعام تعلق بالارجل

وقوله جل وعز اني أراني أعصر خمرا أي أعصر عنبا فيصير الى هذه الحال وقال زهير

كأن فتات العهن في كل منزل * نزلن به حب الفنا لم يحطم

القنا شجر بعينه يثمر ثمراً أحمر ثم ينفرق فى هيئة النَّبق الصغار فهذا من أحسن التشبيه وانما وصف ما يسقط من أنماطهن اذا نزلن والعهن الصوف الملون فى قول أكثر أهل اللغة وأما الاصمعى فقال كل صوف عهن وكذلك قال أهل اللغة الحَنْتَمُ الخزف الاخضر وقال الاصمعى كل خزف حنتم قال القرشى

مَنْ مُبلغ الحسناء أن حليلها * بميسان يُسقى فى زجاج وحنتم

وقال جرير

مافى مقام ديار تغلب مسجدٌ * وبها كنائس حنتم ودنان

والتشبيه جار كثير فى كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يَبْعُد قال الله عز وجل وله المثل الاعلى الزجاجة كأنها كوكب درى وقال طلعها كأنه رؤس الشياطين وقد اعترض معترض من الجهلة الملحدين فى هذه الآية فقال انما يمثّل الغائب بالحاضر ورؤس الشياطين لم نرها فكيف يقع التمثيل بها وهؤلاء فى هذا القول كما قال الله جل وعز بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وهذه الآية قد جاء تفسيرها فى ضربين أحدهما أن شجراً يقال له الاستن منكر الصورة يقال لثمره رؤس الشياطين وهو الذى ذكره النابغة فى قوله

* تحيد من أستن سود أسافله * وزعم الاصمعى أن هذا الشجر يسمى الصوم والقول الآخر وهو الذى يسبق الى القلب أن الله جل ذكره شنّع صورة الشياطين فى قلوب العباد وكان ذلك أبلغ من المعاينة ثم مثّل هذه الشجرة بما تنفر منه كل نفس وحُدّثت فى اسناد متصل أن أبا النجم العجلى أنشد هشام بن عبد الملك * والشمس قد صارت كعين الاحول * لما ذهب به الروى عن الفكر فى عين هشام فأغضبه فأمر بطرده فأمّل أبو النجم رجعته وكان يأوى المساجد فأرق هشام ليلة فقال لحاجبه ابغنى رجلا عربيا فصيحا يحادثنى وينشدنى فطلب له ما طلب فوقف على أبى النجم فأتى فلما دخل به اليه قال أين تكون منذ

أقصيناك قال بحيث ألفتني رسلك قال فمن كان أبا مثواك قال رجلين كلبيا وتغلبيا أتغدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر فقال له مالك من الولد قال ابنتان قال أزوجتهما قال زوجت احداهما قال فبم أوصيتها قال قلت لها ليلة أهديتها

سبي الحماة وابهتي عليها * وان أبت فازدلفي اليها
ثم اقرعي بالود مرفقيها * وجددي الحلف به عليها
* لا تخبري الدهر بذاك ابنيها *

قال أفما أوصيتها بغير هذا قال نعم قلت

أوصيت من برة قلبا حرا * بالكلب خيرا والحماة شرا
لا تسأمي نهكا لها وضرا * والحي عميهم بشر طرا
وان كسوك ذهبا ودرا * حتى يروا حلو الحياة مرا

فقال هشام ما هكذا أوصى يعقوب ولده قال أبو النجم ولا أنا كيعقوب ولا بنتي كولده قال فما حال الاخرى قال قد درجت بين بيوت الحي ونفعتنا في الرسالة والحاجة قال فما قلت فيها قال قلت

كأن ظلامة أخت شيبان * يتيمة ووالداها حيان
الرأس قمل كله وصئبان * وليس في الرجلين الا خيطان
* فهي التي يذعر منها الشيطان *

قال فقال هشام لحاجبه ما فعلت الدنانير المختومة التي أمرتك بقبضها قال ها هي عندي ووزنها خمسمائة قال فادفعها الى أبي النجم ليجعلها في رجل ظلامة مكان الخيطين أفلا تراه قال * فهي التي يذعر منها الشيطان * وان لم يره لما تقرر في القلوب من نكارته وشناعته وقال آخر

وفى البقل ان لم يدفع الله شره * شياطين يعدو بعضهن على بعض

وزعم أهل اللغة أن كل متمرد من جن أو انس يقال له شيطان وأن قولهم تشيطن انما معناه تخبث وتنكر وقد قال الله جل وعز شياطين الانس والجن قال الراجز

أبصرتها تلتهم الثعبانا * شيطانة تزوجت شيطانا

وقال امرؤ القيس

أتوعدني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

والغول لم يخبر صادق قط أنه رآها ثم نرجع الى تفسير قول أبى النجم قوله سبى الحماة وابهتي عليها انما يريد ابهتيها فوضع ابهتى فى موضع اكذبى فمن ثم وصلها بعلى والذى يستعمل فى صلة الفعل اللام لانها لام الاضافة تقول لزيد ضربت ولعمرو أكرمت والمعنى عمرا أكرمت فانما تقديره اكرامى لعمرو وضربى لزيد فأجرى الفعل مجرى المصدر وأحسن ما يكون ذلك اذا تقدم المفعول لان الفعل انما يجىء وقد عملت اللام كما قال الله جل وعز ان كنتم للرؤيا تعبرون وان أخر المفعول فعربى حسن والقرآن محيط بكل اللغات الفصيحة قال الله جل وعز وأمرت لان أكون أول المسلمين والنحويون يقولون فى قوله جل ثناؤه قل عسى أن يكون ردف لكم انما هو ردفكم وقال كثير

أريد لأنسى ذكرها فكأنما * تمثل لى ليلى بكل سبيل

وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض اذا وقع الحرفان فى معنى فى بعض المواضع قال الله جل ذكره ولاصلبنكم فى جذوع النخل أى على ولكن الجذوع اذا أحاطت دخلت فى لانها للوعاء يقال فلان فى النخل أى قد أحاط به قال الشاعر

هم صلبوا العبدى فى جذع نخلة * فلا عطست شيبان الا بأجدعا

وقال الله جل وعز أم لهم سلم يستمعون فيه أى عليه وقال تبارك وتعالى له معقبات من بين

يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله أي بأمر الله وقال ابن الطثرية

غدت من عليه تنفض الطل بعدما * رأت حاجب الشمس استوى فترفعا

وقال الآخر

غدت من عليه بعدما تم خمسها * تصل وعن قيض بزيزاء مجهل

أى من عنده وقال العامرى

اذا رضيت علىّ بنو قشير * لعمر الله أعجبنى رضاها

وهذا كثير جدا وقوله وان أبت فازدلفى اليها يقول تقربى ومن ذا سميت المزدلفة قال العجاج

ناج طواه الأين مما وجفا * طىّ الليالى زلفا فزلفا

* سماوة الهلال حتى احقوقفا *

تقول زلفة وزلف كقولك غرفة وغرف وقوله بالكلب خيرا والحماة شرا كلام معيب عند النحويين وبعضهم لا يجيزه وذلك أنه عطف على عاملين بالباء وعلى الفعل ومن قال هذا قال ضربت زيدا فى الدار والحجرة عمرا وكان أبو الحسن الاخفش يراه ويقرأ واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات فعطف على انّ وعلى فى وقال عدى بن زيد

أكل أمرئ تحسبين امرأ * ونار توقد بالليل نارا

فعطف على كلّ وعلى الفعل وأما قوله غدت من عليه بعد ما تم خمسها فالخمس ظمء من أظمائها وهو أن ترد ثم تغب ثلاثا ثم ترد فيعتد بيومى وردها مع ظمئها فيقال خمس والربع كذلك الربع وقوله تصل أى تسمع لاجوافها صليلا من يبس العطش يقال المسمار يصل فى الباب اذا أكره فيه قال جرير يخاطب الزبير بن العوام يعير الفرزدق

لو كنت حين غررت بين بيوتنا * لسمعت من وقع الحديد صليلا

ويقال للحمار المصلصل اذا أخرج صوته من جوفه حاداً خفياً قال الأعشى

عنتريس تعدو اذا حرك السو * ط كعدو المصلصل الجوال

وقال المفسرون فى قول الله عز وجل من صلصال من حمأ مسنون قالوا هو الطين الذى قد جف فاذا قرعه شئ كان له صليل وتفسير ذلك عند العرب التقن الذى يذهب عنه الماء فى الغدران فيتشقق ثم ييبس والقيض قشر البيضة الاعلى والذى يلبس البيضة فيكون مابينها وبين قشرها الاعلى يقال له الغرقئ يقال ثوب كأنه غرقئ بيض والزيزاء ما ارتفع من الارض وهو ممدود منصرف فى المعرفة والنكرة اذا كان لمذكر كالعلباء والحرباء وسنذكر هذا فى غير هذا الموضع مفسرا ان شاء الله تعالى على أنا قد استقصيناه فى الكتاب المقتضب والمجهل الصحراء التى يجهل فيها فلا يهتدى لسبيلها ويقال للشئ اذا غب وتغيرت رائحته صل وأصل فهو صال ومصل ويقال نتن وأنتن ويقال خم وأخم وذلك اذا كان مستورا حتى يفسد ويقال اذا اعتق اللحم فتغير خنز وخزن وبيت طرفة أحسن ما ينشد عليه

ثم لا يخنز فينا لحمها * انما يخنز لحم المدخر

ويقال لرب البيت وربة البيت اللذين ينزل بهما الضيف هى أم مثواه وهو أبو مثواه وأنشد أبو عبيدة

من أم مثوى كريم قد نزلت بها * ان الكريم على علاته يسع

وفى كتاب الله جل وعز أكرمى مثواه معناه عند العرب اضافته ومن التشبيه المطرد على ألسنة العرب ما ذكروا فى سير الناقة وحركة قوائمها قال الراجز

كأنها ليلة غب الأزرق * وقد مددنا باعها للسوق

* خرقاء بين السلمين ترتقى *

قوله ليلة غب الازرق انما يعنى موضعا وأحسبه ماء لانهم يقولون نطفة زرقاء وهى الصافية

قال زهير

فلما وردنا الماء زرقا جمامه * وضعن عصى الحاضر المتخيم

وقال آخر

فألقت عصا التسيار عنها وخيمت * بأرجاء عذب الماء زرق محافره

وقوله وقد مددنا باعها للسوق يقول استفرغنا ما عندها من السير يقال تبوعت وانباعت اذا مدت باعها وقوله خرقا بين السلمين ترتقى يقول لكثرة حركة الخرقاء وقلة حذقها بالصعود

وقال الآخر

كأنها نائحة تفجع * تبكي لشجو وسواها الموجع

وقال الشماخ

كأن ذراعيها ذراعا مدلة * بعيد السباب حاولت أن تعذرا

من البيض أعطافا اذا اتصلت دعت * فراس بن غنم أو لقيط بن يعمرا

بها شرق من زعفران وعنبر * أطارت من الحسن الرداء المحبرا

تقول وقد بل الدموع خمارها * أبى عفتي ومنصبي أن أعيرا

كأن بذفراها مناديل فارقت * أكف رجال يعصرون الصنوبرا

كأن ابن آوى موثق تحت غرضها * اذا هو لم يكلم بنابيه ظفرا

شبه يديها بيدى مدلة بجمال ومنصب قد سابت وأقبلت تعتذر وتشير بيديها فوصف جمالها الذي به تدل ومنصبها المتصل عن ذكرته وقوله أطارت من الحسن الرداء المحبرا يقول هى مدلة بجمالها فلا تختمر فتستر شيأ عن الناظر لانها تبتهج بكل ما في وجهها ورأسها وقد كشف هذا المعنى عمر بن أبي ربيعة المخزومي حيث يقول

فلما تواقفنا وسلمت أقبلت * وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

تبالهن بالعرفان لما عرفتني * وقلن امرؤ باغ أكلّ فأوضعا

وقربن أسباب الهوى لمتيّم * يقيس ذراعا كلما قسن اصبعا

(فقلت لمطريهن ويحك انما * ضررت فهل تستطيع نفعا فتنفعا)

قوله كأن بذفراها مناديل فارقت * أكف رجال يعصرون الصنوبرا

يقول لسواد الذفرى وهذا من كرمها قال أوس بن حجر

كأن كحيلا معقدا أو عنية * على رجع ذفراها من الليت واكف

(الكحيل القطران والعنية ضرب منه) وهذا معنى يسئل عنه لان الليتين صفحتا العنق والذفرى في أعلى القفا فكيف يكف على الذفرى من الليت والمعنى انما هو كأن كحيلا معقدا أو عنية واكف على رجع ذفراها وقوله من الليت كقولك كموضع دجلة من بغداد انما هو البعد بينهما لا أنه وكف من شيء على شيء وأما قوله

كأن ابن آوى موثق تحت غرضها * اذا هو لم يكلم بنابيه ظفرا

يقول ليست تستقر فكأن ابن آوى يكلمها بنابيه أو يخلبها بظفره فهي لا تستقر وقال أوس بن حجر

كأن هرا جنيبا تحت غرضتها * والتف ديك بحقويها وخنزير

والغرض والغرضة واحد وهو حزام الرحل وقال آخر

كأن ذراعيها ذراعا بذية * مفجعة لاقت خلائل عن عفر

سمعن لها واستفرغت في حديثها * فلا شيء يفري باليدين كما تفري

(قال أبو العباس أنشدنيهما عبد الصمد بن المعذل وأنشدنيهما سعيد بن سلم) ولو قيل ان هذا من أبلغ ما قيل في هذا الوصف ما كان ذلك بعيدا وصفها بأنها بذية وقد فجعت بما أجمعت ونيل منها ولقيت خلائلها بعد زمان وتلك الشكوى كامنة فيها وأصغين اليها يسمعن والفري

الشق يقال فرى أوداجه أى قطع وفريت الاديم واذا قلت أفريت فمعناه أصلحت وقول الحجاج انى والله ما أهم الا مضيت ولا أخلق الا فريت يقول اذا قدرت قطعت يقال فريت القربة والمزادة فهما مفريتان قال ذو الرمة * كأنه من كلى مفرية سرب * وقال امرؤ القيس

كأن الحصى من خلفها وأمامها * اذا نجلته رجلها خذف أعسرا

كأن صليل المرو حين تشذه * صليل زيوف ينتقدن بعبقرا

قوله خذف أعسر يريد أنه يذهب على غير قصد وقوله صليل زيوف يقال ان الزيف شديد الصوت صافيه وقال آخر

كأن يديها اذا أمانح * أتى يوم ورد لغيب زرودا

يخاف العقاب وفى نفسه * اذا هو أخطأ ألا يعودا

يقول هذا الساقى يخاف العقاب ان قصر ولا عودة له اليه ثانية فهى تسقى سقية فى مرة واحدة وقد أكثروا فى هذا فى الافراط فى السرعة قول ذى الرمة

كأنه كوكب فى اثر عفرية * مسوم فى سواد الليل منقضب

يقال عفريت وعفرية فى معنى واحد والتاء فى عفريت زائدة وهو ملحق بقنديل يقال فلان (عفرية زبنية والزبنية المنكر وجمعه زبانية وأصله من الحركة يقال زبنه اذا دفعه ويقال) عفرية نفرية على التوكيد (وعفريت نفريت ويقال عفاريت لم يتبع بنفارية) ومن الافراط قول الحطيئة

وان نظرت يوما بمؤخر عينها * الى علم بالغور قالت له ابعد

ومن الافراط قوله

بأرض ترى فرخ الحبارى كأنه * بها راكب موف على ظهر قردد

ومن ذلك قوله

وكادت على الأطواء أطواء ضارج * تساقطني والرحل من صوت هدهد

وقال آخر

مروح برجليها اذا هي هجرت * ويمنعها من أن تطير زمامها

وقال الشماخ

مروح تغتلي في البيد حرف * تكاد تطير من رأي القطيع

وكذلك الاعرابي الذي يقول * لو يرسل الريح لجئنا قبلها * وقد مضى خبره وأملح ماقيل في هذا المعنى وأجوده قول امرئ القيس

وقد أغتدي والطير في وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل

فجعله للوحش كالقيد وحدثت أن رجلا نظر الى ظبية ترود فقال له أعرابي أتحب أن تكون لك قال نعم قال فأعطني أربعة دراهم حتى أردها اليك ففعل فخرج يمحص في اثرها فجدت وجد حتى أخذ بقرنيها فجاء بها وهو يقول

وهي على البعد تلوي خدها * تريغ شدي وأريغ شدها

* كيف ترى عدو غلام ردها *

قال أبو العباس ومن حلو التشبيه وقريبه وصريح الكلام قول ذي الرمة

ورمل كأوراك العذارى قطعته * وقد جللته المظلمات الحنادس

الحندس اشتداد الظلمة وهو توكيد لها يقال ليل حندس وليل أليل مظلم وقال الشماخ في صفة الفرس

مفج الحوامي عن نسور كأنها * نوى القسب ترت عن جريم ملجلج

قوله مفج الحوامي يريد مفرق الحوامي فالحوامي نواحي الحافر والنسور واحدها نسر وهي

نكتبه في داخل الحافر ويحمد الفرس اذا صلب ذلك منه ولذلك شبه بنوى القسب وترث سقطت والجريم المصروم والمجلج الذي قد لجلج مضغا في الفم ثم قذف لصلابته وقوله مفج ليس يريد الذي هو شديد التفرقة ولكن الانفصال عن التشمر فانه ان اتسع واستوى أسفله فذلك الرح وهو مذموم في الخيل وكذلك ان ضاق وصغر قيل له مصطر وكان عيبا قبيحا قال حميد الارقط

لا رح فيها ولا اصطرار * ولم يقلم أرضها البيطار
(* ولا لحبليه بها حبار *

الحبار الاثر) ويروى ولم يقلب وتأويل ذلك أن حوافرها لا تتشعث فيقلمها البيطار لانها اذا كانت كذلك ذهب منها شيء بعد شيء فحيفها وقال علقمة بن عبدة

لا في شظاها ولا أرساغها عنت * ولا السنابك أفناهن تقليم

وانما يحمد الحافر المقعب وهو الذي هيئته كهيئة القعب وان كان كذلك قيل حافر وأب قال ابن الخرع

لها حافر مثل قعب الوليد * يتخذ الفأر فيه مغارا

يريد لو دخل الفأر فيه لصلح كقول القائل فأتى بجفنة يقعد عليها عشرة أي لو قعد عليها عشرة لصلح وقال الراجز * وأب حت نسوره الاوقارا * (يقال حافر موقور وهو أن يصيبه داء يشبه الرهصة) وفي كل حافر حامبتان وهما حرفاه عن يمين وشمال ومقدمه السنبك ومؤخره الدابرة ومثل قوله عن جريم ملجلج قول علقمة بن عبدة

سلاءة كعصا النهدي غل بها * ذو فيئة من نوى قران معجوم

شبهها بالشوكة من شوك النخل لان الفرس الانثى يحمد منها أن يدق صدرها ثم ينخرط على امتلاء الى مؤخرها والجام يحمد منهن أن يعرض الصدر ثم ينخرط الى ذنبه ضمورا فيقال في

صفته كأنه جلم وقوله كعصا النهدي يريد في الصلابة كما قال * وكل كميت كالهراوة صلدم *

وقوله ذو فيئة من نوى قران يقول ذو رجعة يقول مضغته الابل فلم تكسره ثم بعرته صحاحا

ومعجوم ممضوغ يقال عجمته أعجمه اذا مضغته فالعجم المضغ ويقال للنوى من كل شيء العجم

متحرك العين قال الاعشى * وجذعانها كلقيط العجم * وقال النابغة

وظل يعجم أعلى الروق منقبضا * في حالك اللون صدق غير ذي أود

ومثل البيت الاول قول عقبة بن سابق العنبري

له بين حواميه * نسور كنوى القسب

فهذا تشبيه مقارب جدا ومن التشبيه الحسن قول الشاعر (هو الشماخ)

كأن المتن والشرخين منه * خلاف النصل سيط به مشيج

يريد سهما رمي به فأنفذ الرمية وقد اتصل به دمها والمتن متن السهم وشرخ كل شيء حده فأراد

شرخي الفوق وهما حرفاه والمشيج اختلاط الدم بالنطفة هذا أصله قال الشماخ

طوت أحشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين

وقال الله جل وعز من نطفة أمشاج نبتليه وفي الحديث اقتلوا ما أن المشركين واستبقوا

شرخهم أي الشباب لان الشرخ الحد قال حسان

ان شرخ الشباب والشعر الاسود ما لم يعاص كان جنونا

وأنشدنا عمرو بن مرزوق قال أنشدنا شعبة قال أنشدنا سماك بن حرب في هذا الحديث

ان شرخ الشباب تألفه البيض وشيب القذال شيء زهيد

فأما قول الشنفرى

كأن لها في الارض نسيا تقصه * على أمها وان تحدثك تبلت

فانما أراد شدة استحيائها يقول لا ترفع رأسها كأنها تطلب شيأ في الارض والنسي على

ضرب بين أحدهما ما تقادم عهده حتى ينسى والآخر ما أصله أهله فيطلب و يطمع فيه وتقصه تتبعه قال الله جل وعز وقالت لاخته قصيه أي اتبعي أثره والأم القصد وقوله وان تحدثك تبلت تقطع الحديث لاستحيائها وأنشد بشار بن برد الأعمى قول كثير

ألا انما ليلى عصا خيزرانة * اذا غمزوها بالأكف تلين

قال فقال لله أبو صخر جعلها عصا ثم يعتذر لها والله لو جعلها عصا من مخ أو زبد لكان قد هجنها بالعصا ألا قال كما قلت

وبيضاء المحاجر من معد * كأن حديثها قطع الجنان

اذا قامت لسبحتها تثنت * كأن عظامها من خيزران

والخيزرانة كل غصن لين يتثنى و يقال للمردي خيزرانة اذا كان يتثنى اذا اعتمد عليه قال النابغة

يظل من خوفه الملاح معتصما * بالخيزرانة بعد الأين والنجد

الاين الاعياء والنجد العرق وقد عاب بعض الناس قول كثير

فما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

بمنخرق من بطن واد كأنما * تلاقت به عطارة وتجارها

بأطيب من أردان عزة موهنا * وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

وحكى الزبيريون أن امرأة مدينية عرضت لكثير فقالت أأنت القائل هذين البيتين قال نعم قالت فض الله فاك أرأيت لو أن زنجية بخرت أردانها بمندل رطب أما كانت تطيب ألا قلت كما قال امرؤ القيس

ألم تر أني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

قوله جثجاثها وعرارها الجثجاث ريحانة طيبة الريح برية من أحرار البقل قال جرير يهجو

خالد العبدي

كم عمة لك يا خليد وخالة * خضر نواجذها من الكراث

نبتت عنده فطاب لريحها * ونأت من القيصوم والجثجاث

وانما هجاه بالكراث لان عبد القيس يسكنون البحرين والكراث من أطعمتهم والعامة يسمونه الركل والركال قال أحد العبديين

ألا حبذا الاحساء وطيب ترابها * وركالها غادٍ علينا ورائح

وقول كثير وعرارها فالعرار البهار البري وهو حسن الصفرة طيب الريح قال الاعشى

بيضاء ضحوتها وصفـ * ـراء العشية كالعراره

وقوله موهنا يريد بعد هدء يقال أتانا بعد هدء من الليل وبعد وهن أي بعد دخولنا في الليل وأنشد أبو زيد

هبت تلومك بعد وهن في الندى * بسل عليك ملامتي وعتابي

والمندل العود يقال له المندل والمندلي قال الشاعر

أمن زينب ذي النار * قبيل الصبح ما تخبو

اذا ما خمدت يلقى * عليها المندل الرطب

قال أبو العباس ذي معناه ذه يقال ذا عبد الله وذي أمة الله وذه أمة الله وته أمة الله وتا أمة الله فاذا قلت هذا عبد الله فالاسم ذا وها للتنبيه وعلى هذا تقول هذي أمة الله وان شئت أسكنت في الوصل فقلت هذه أمة الله واذا قلت هذهي أمة الله فالياء زائدة لان هذه الهاء لما كانت في لفظ المضمر شبهوها به في زيادة الياء نحو مررت بهي يا فتى لا يجوز أن تضم الهاء في هذه على قول من قال مررت بهو لان هاء الاضمار أصلها الضم تقول رأيتهو يا فتى ورأيتهم يا فتى وهذه الهاء ليست من هذه انما هي مشبهة وتقول هاته هند وهاتي هند وها تا هند على

زيادة ها للتنبيه قال جرير

هذي التي جدعت تيما معاطسها * ثم اقعدي بعدها يا تيم أو قومي

وقال عمران بن حطان

وليس لعيشنا هذا مهاهٌ * وليست دارنا هاتا بدار

قال أبو العباس النحويون يثبتون الهاء في الوصل فيقولون مهاهٌ وتقديره فعالٌ ومعناه اللمع والبهاء يقال وجه له مهاه يا فتى والاصمعي يقول مهاة تقديرها حصاة يجعل الهاء زائدة وتقديرها في قوله فعلةٌ والمهاةُ البلّورة والمهاة البقرة الوحشية وجمعها المها (حكى يعقوب بن السكيت مهاة من أسماء الشمس وأنشد

ثم يجلوا الظلام ربٌّ رحيمٌ * بمهاة ضياؤها منشور).

واذا اصغرت ذه قلت تيّا كانك صغرت تا ولا تصغر ذه على لفظها الا انك اذا اصغرت ذا قلت ذيّا فلو صغرت ذي فقلت ذيّا لالتبس المؤنث بالمذكر فصغروا اما يخالف فيه المؤنث المذكر وهذه المبهمة تخالف تصغيرها تصغير سائر الاسماء وسنذكر ذلك في باب نفرده له ان شاء الله تعالى ❁ عاد القول الى التشبيه أنشدتني أمّ الهيثم في صفة جمل

كأن صوت نابه بنابه * صرير خطّاف على كلّابه

أرادت الصريف وهو أن يحكّ أحد نابيه بالآخر وقوله صرير خطاف على كلابه فالخطاف ماندور عليه البكرةُ والكلاب ماوليه وقد قال النابغة

مقذوفة بدخيس النحض بازلها * له صريفٌ صريف القعو بالمسد

القعو ماندور عليه البكرة اذا كان من خشب فان كان من حديد فهو خطاف وان دارت على حبل فذلك الحبل يسمى الدركَ وقوله مقذوفة يقول مرمية باللحم والدخيس الذي قد ركب بعضهُ بعضا والنحض اللحم وبازلها نابها ومعنى بزل وفطر واحد وهو أن ينشق الناب

قال ذو الرمة

كأنّ على أنيابها كلّ سُدفة * صياحَ البوازي من صريف اللوائك

يقول مما تلوكه ويقال في الغضب تركت فلانا يصرف نابه عليك ويحرّق ويحرّق وراينه يعض عليك الأرَّم قال زهير في مدحه حصن بن حذيفة (بن بدر الفزاري)

أبى الضيم والنعمان يحرّق نابه * عليه فأفضى والسيوف معاقله

وقال آخر

نبئت أحماء سليمى إنما * ظلّوا غضابا يعلكون الأرَّما

وقال بعض النحويين يعني الشفاه وقال بعضهم يعني الاصابع فأما قولهم عض على ناجذه وهو آخر الاسنان فيكون على وجهين أحدهما انه قال قد احتنك وبلغ والآخران يكون للاطراق والتشدد وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه انه كان يقول اذا لقيتم القوم فاجمعوا القلوب وعضّوا على النواجذ فان ذلك ينبي السيوف عن الهام ۞ ثم نعود الى التشبيه قال الراجز (وهو أبو النجم)

كأنها حين تناهى الباسُ * جنّيةٌ في رأسها أمراسُ

بها سكون وبها شماسُ * يخرج منها الحجرُ الكُباسُ

عمرٌ لا يحبسه حبّاسُ * لا نافذُ الطعن ولا تَرّاسُ

يصف المنجنيق والامراس الحبال الواحد مرسة والكُباس الضخم يقال هامة كبساء في ورأس أكبس والحبّاس الذي من شأنه ان يحبس يقال رجل ضارب للذي يضرب كثيرا كان منه ذلك أو قليلا فاذا قلت ضرّاب وقتّال فانما يكثر الفعل ولا يكون للقليل قال الراجز

أخضرمن معدن ذي قساس * كأنه في الحيد ذي الاضراس

* يرمى به في البلد الدهاس *

يصف معولاً وذو فساس معدن للحديد الجيد وهو يقرب من بلاد بني أسد والحيد ما أشرف من الجبل أو غير ذلك يقال للطنف حيد وهو الذي يسميه أهل الحضر الافريز يقال طنف حائطك ويقال للنانئ وسط الكتف حيد وعير وكذا النانئ في القدم وقوله ذي الاضراس يريد الموضع الضرس الخشن ذا الحجارة فيقول هذا المعول لحدته يقع في الخشونة فيهدمها كما يهدم الدهاس والدهاس ما لان من الرمل قال دريد بن الصمة في يوم حنين ابن مجتلد القوم فقالوا بأوطاس فقال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا لين دهس وقال العجاج يصف حمارا

كأن في فيه اذا ما شحجا * عودا دوين اللهوات مولجا

هذا يوصف به العير الوحشي اذا أسن تراه لا يشتد نهيقه وكأنه يعالجه علاجا قال الشماخ

اذا رجع التعشير مجا كأنه * بناجذه من خلف قارحه شجي

فأما قول عنترة

بركت على ماء الرداع كأنما * بركت على قصب أجش مهضم

فانما يصف الناقة ويذكر حنينها يقال انه يخرج منها كأنه صوت فانما شبهه بالزمير وأراد القصب الذي يزمر به قال الاصمعي هو الذي يقال له بالفارسية ناي قال الراعي يصف الحادي

زجل الحداء كأن في حيزومه * قصبا ومقنعة الحنين عجولا

المقنع الرافع رأسه في هذا الموضع ويقال في غيره الذي يحط رأسه استخذاء وندما قال الله جل وعز مقنعي رؤسهم ومن قال هو الرافع رأسه فتأويله عندنا أنه يتطاول فينظر ثم يطأطئ رأسه فهو بعد يرجع الى الاغضاء والانكسار والبعير يحن كأشد الحنين الى الآفه اذا أخذ من القطيع قال وأكثر ما يحن عند العطش قال الشاعر

(وتفرقوا بعد الجميع لنية * لا بد أن يتفرق الجيران)

لا تصبر الابل الجلاد تفرقت * بعد الجميع و يصبر الانسان

وقال آخر

وهل ريبة فى أن تحن نجيبة * الى الفها أو أن يحن نجيب

واذا رجعت الحنين كان ذلك أحسن صوت يهتاج له المفارقون كما يهتاجون لنوح الحمام ولالتياح البروق وقال عوف بن محلم وسمع نوح حمامة

ألا يا حمام الايك الفك حاضر * وغصنك مياد ففيم تنوح

أفق لا تنح من غير شئ فاننى * بكيت زمانا والفؤاد صحيح

ولوعا فشطت غربة دار زينب * فها أنا أبكى والفؤاد قريح

وكل مطوقة عند العرب حمامة كالدبسى والقمرى والورشان وما أشبه ذلك قال حميد بن ثور

وما هاج هذا الشوق الا حمامة * دعت ساق حر ترحة وترنما

اذا شئت غنتنى بأجزاع بيشة * أو النخل من تثليث أو بيلملما

مطوقة خطباء تسجع كلما * دنا الصيف وانجال الربيع فأنجما

محلاة طوق لم يكن من تميمة * ولا ضرب صواغ بكفيه درهما

تغنت على غصن عشاء فلم تدع * لنائحة فى شجوها متلوما

اذا حركته الريح أو مال ميلة * تغنت عليه مائلا ومقوما

عجبت لها أنى يكون غناؤها * فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما

فلم أر مثلى شاقه صوت مثلها * ولا عربيا شاقه صوت أعجما

وقال ابن الرقاع وذكر حمامة

(ومما شجانى أننى كنت نائما * أعلل من برد الكرى بالتنسم

الى أن بكت ورقاء فى غصن أيكة * تردد مبكاها بحسن الترنم)

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلى فهاج لى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

اما قول حيد دعت ساق حر فانما حكى صوتها و يقال للواحد ذكرا كان أو أنثى حمامة والجمع الحمام والحمامات فاذا كان ذكرا قلت هذا حمامة واذا كانت أنثى قلت هذه حمامة وكذلك هذا بطة وهذه بطة ويقال بقرة للذكر والانثى ودجاجة لهما فاذا قلت ثورا وديك بينت الذكر واستغنيت عن تقديم التذكير و يقال للحمامة تغنت وناحت وذلك أنه صوت حسن غير مفهوم فيشبه مرة بهذا ومرة بهذا قال قيس بن معاذ

ولولم يشقنى الظاعنون لشاقنى * حمائم ورق فى الديار وقوع

تجاوبن فاستبكين من كان ذاهوى * نوائح ما تجرى لهن دموع

وقوله وانجال الربيع يقال انجال عنا أى أقلع ومثل ذلك أنجم عنا وان قلت أنجم فمعناه لزم ووقع فهو خلاف أنجم وان قلت انجاب فمعناه انشق يقال المجوب للحديدة التى يثقب بها العيب و يقال جبت البلاد أى دخلتها وطوفتها وفى القرآن وثمود الذين جابوا الصخر بالواد أى شقوه وقوله لم يكن من تميمة التميمة المعاذة وقد مضى هذا وقوله ولم تفغر عنطقها فما يقول لم تفتح يقال فغر فاه اذا فتحه (حكى ثعلب فغر فاه وفغر نفسه وكذلك شحا فاه وشحا نفسه) وقوله ولا عربيا شاقه صوت أعجما يقول لم أفهم ما قالت ولكنى استحسنت صوتها واستحزنته ففتنت به و يروى أن بعض الصالحين كان يسمع الفارسية تنوح ولا يدرى ما تقول فيبكيه ذلك و يرققه و يذكر به غير ما قصدت له وحدثت أن بعض المحدثين سمع غناء بخراسان بالفارسية فلم يدر ما هو غير أنه شوقه لشجاه وحسنه فقال فى ذلك

حمدت لليلة شرفت وطابت * أقام سهادها ومضى كراها

سمعت بها غناء كان أولى * بأن يقتاد نفسى من غناها

الغناء الاول الممدود من الصوت والذي ذكره بعد في القافية من المال مقصور

ومسمعة تحار السمع فيها * ولا تصممه لا يصمم صداها

مرت أوتارها فشفت وشاقت * فلو يستطيع حاسدها فداها

ولم أفهم معانيها ولكن * ورت كبدي فلم أجهل شجاها

فكنت كأنني أعمى معنى * بحب الغانيات وما يراها

(وقال عبد بني الحسحاس

وراهن ربي مثل ماقد ورينني * وأحمى على أكبادهن المكاويا)

قال أبو العباس والشيء يذكر بالشيء وان كان دونه فنجري لاحتواء الباب والمعنى عليهما وفي شعر حميد هذا ما هو أحكم مما ذكرنا وأوعظ وأحرى ان يتمثل به الاشراف وتسود به الصحف وهو قوله

أرى بصري قد رابني بعد صحة * وحسبك داء أن تصح وتسلما

ولا يلبث العصران يوم وليلة * اذا طلبا أن يدركا ما تيمما

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كفى بالسلامة داء ثم نرجع الى التشبيه والعرب تشبه على أربعة أضرب فتشبيه مفرط وتشبيه مصيب وتشبيه مقارب وتشبيه بعيد يحتاج الى التفسير ولا يقوم بنفسه وهو أخشن الكلام فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للسخي هو كالبحر وللشجاع هو كالاسد وللشريف سما حتى بلغ النجم ثم زادوا فوق ذلك فمن ذلك قول بعضهم (وهو بكر بن النطاح يقوله لابي دلف القاسم بن عيسى)

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر

له راحة لو أن معشار جودها * على البر صار البر أندى من البحر

ولو أن خلق الله في مسك فارس * وبارزه كان الخلي من العمر

وقد قيل ان امرأة عمران بن حطان قالت له أما زعمت أنك لم تكذب فى شعر قط قال أو فعلت قالت أنت القائل

فهناك مجزأة بن ثو * ر كان أشجع من أسامه

أفيكون رجل أشجع من الاسد قال فقال انا رأيت مجزأة فتح مدينة والاسد لا يفتح مدينة ومن عجيب التشبيه فى افراط غير أنه خرج فى كلام جيد وعنى به رجل جليل فخرج من باب الاحتمال الى باب الاستحسان ثم جعل بجودة ألفاظه وحسن رصفه واستواء نظمه فى غاية ما يستحسن قول النابغة يعنى حصن بن حذيفة (بن بدر بن عمرو الفزارى)

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم * وكيف بحصن والجبال جنوح
ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل * نجوم السماء والاديم صحيح
فعما قليل ثم جاء نعيه * فظل ندى الحى وهو ينوح

ومن تشبيههم المتجاوز الجيد النظم ما ذكرناه وهو قول أبى الطمحان

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

و يروى عن الاصمعى أنه رأى رجلا يختال فى أزيرق يوم قر فى مشيته فقال له ممن أنت يا مقرور فقال أنا ابن الوحيد أمشى الخيزلى ويدفئنى حسبى وقيل لآخر فى هذه الحال أما يوجعك البرد فقال بلى والله ولكنى أذكر حسبى فأدفأ وأصوب منهما قول العريان الذى سئل فى يوم قر عما يجد فقال ما على منه كبير مؤنة وقيل وكيف فقال دام بى العرى فاعتاد بدنى ما تعتاده وجوهكم ومن التشبيه الفاسد الصحيح قول النابغة

وعيد أبى قابوس فى غير كنهه * أتانى ودونى راكس فالضواجع
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع
يسهد من نوم العشاء سليمها * لحلى النساء فى يديه قعاقع

تنازرها الراقون من سوء سمها * تطلقه طورا وطورا تراجع

فهذه صفة الخائف المهموم ومثل ذلك قول الآخر

تبيت الهموم الطارقات يعدننى * كما تعترى الأوصاب رأس المطلق

والمطلق هو الذى ذكره النابغة فى قوله * تطلقه طورا وطورا تراجع * وذلك أن المنهوش اذا ألح الوجع به تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يوأس من برئه واغا ذكر خوفه من النعمان وما يعتريه من لوعة فى اثر لوعة والفترة بينهما والخائف لا ينام الاغرارا فلذلك شبهه بالملدوغ المسهد وقوله لحلى النساء فى يديه قعاقع لانهم كانوا يعلقون حلى النساء على الملدوغ يزعمون أن ذلك من أسباب البرء لانه يسمع تقعقعها فيمنعه النوم فلا ينام فيدب فيه السم ويسهد لذلك وقال الآخر

كأن فجاج الارض وهى عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل

يؤدى اليه أن كل ثنية * تيممها ترمى اليه بقاتل

يقال لكل مستطيل كفة يقال كفة الثوب لحاشيته وكفة الحابل اذا كانت مستطيلة ويقال لكل شئ مستدير كفة ويقال ضعه فى كفة الميزان فهذه جملة هذا وكفة الحابل يعنى صاحب الحبالة التى ينصبها للصيد وأما التشبيه البعيد الذى لا يقوم بنفسه فكقوله

بل لو رأتنى أخت جيراننا * اذ أنا فى الدار كأنى حمار

فانما أراد الصحة فهذا بعيد لان السامع انما يستدل عليه بغيره وقال الله جل وعز وهذا البين الواضح كمثل الحمار يحمل أسفارا والسفر الكتاب وقال مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار فى أنهم قد تعاموا عنها وأضربوا عن حدودها وأمرها ونهيها حتى صاروا كالحمار الذى يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها وهجا مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة قوما من رواة الشعر بأنهم لا يعلمون ما هو على كثرة استكثارهم من روايته فقال

زوامل للاشعار لا علم عندهم * بجيدها الا كعلم الاباعر

لعمرك ما يدري البعير اذا غدا * بأوساقه أو راح ما في الغرائر

والتشبيه كما ذكرنا من أكثر كلام الناس وقد وقع على ألسن الناس من التشبيه المستحسن عندهم وعن أصل أخذوه أن شبهوا عين المرأة والرجل بعين الظبي أو البقرة الوحشية والانف بحد السيف والفم بالخاتم والشعر بالعناقيد والعنق بابريق فضة والساق بالجمار فهذا كلام جار على الألسن وقد قال سراقة بن مالك بن جعشم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وساقاه باديتان في غرزه كأنهما جمارتان فأردته فوقعت في مقنب من خيل الانصار فقرعوني بالرماح وقالوا أين تريد وقال كعب بن مالك الانصاري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر تبلج وجهه فصار كأنه البدر وعين الانسان مشبهة بعين الظبي والبقرة في كلامهم المنثور وشعرهم المنظوم من جاري ما تكلمت به العرب وكثر في أشعارها قال

فعيناك عيناها وجيدك جيدها * ولكن عظم الساق منك دقيق

(وقال ذو الرمة

أرى فيك من خرقاء يا ظبية اللوى * مشابه جنبت اعتلاق الحبائل

فعيناك عيناها وجيدك جيدها * ولونك الا انها غير عاطل)

وقال الآخر

فلم تر عيني مثل سرب رأيته * خرجن علينا من زقاق ابن واقف

طلعن بأعناق الظباء وأعين الـ * ـجآذر وامتدت بهن الروادف

ويقال للخطيب كأن لسانه مبرد فهذا الجاري في الكلام كما يقال للطويل كأنه رمح ويقال للمهتز للكرم كأنه غصن تحت بارح ومن مليح التشبيه قول القائل

لعينيك يوم البين أسرع واكفا * من الفنن الممطور وهو مروح

وذلك أن الغصن يقع المطر في ورقه فيصير منها في مثل المداهن فاذا هبت به الريح لم تلبثه ان تقطره ۞ ثم نذكر بعد هذا طرائف من تشبيه المحدثين وملاحاتهم فقد شرطناه في أول الباب ان شاء الله قال أبو العباس ومن أكثرهم تشبيها لاتساعه في القول وكثرة تفننه واتساع مذاهبه الحسن بن هانئ قال في مديحه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك

وكنا اذا ما الحائن الجد غره * سنى برق غاو وضجيج رعاد

تردى له الفضل بن يحيى بن خالد * بماضى الظبى أزهاه طول نجاد

أمام خميس أرجوان كأنه * قميص محول من قنا وجياد

فما هو الا الدهر يأتى بصرفه * على كل من يشقى به ويعادى

قوله الحائن الجد يقال حان الرجل اذا دنا موته ويقال رجل حائن والمصدر الحين والجد الحظ والجد والجدة مفتوحان فاذا أردت المصدر من جددت في الامر قلت أجد جدا مكسور الجيم ويقال جددت النخل أجده جدا اذا صرمته ويقال جذذته جذا وتركت الشئ جذاذا اذا قطعته قطعا ويروى هذا البيت لجرير على وجهين

آل المهلب جد الله دابرهم * أضحوا رمادا فلا أصل ولا طرف

ويروى جذ وقرأ بعض القراء عطاء غير مجذوذ فأما قوله فجعلهم جذاذا فلم يقرأ بغيره ويقال كم جداذ نخلك أى كم تصرم منها ويروى في قول الله جل وعز وأنه تعالى جد ربنا عن أنس بن مالك غنى ربنا وقرأ سعيد بن جبير جد ربنا ولو قرأ قارئ جدا ربنا على معنى جد ربنا لم يقرأ به لتغير الخط وكذا قراءة سعيد مخالفة الخط وهذا الشعر ينشد بالكسر

أجدك لم تغمض ليلة * فترقدها مع رقادها

ومثله (قول الاعشى)

أجدك لم تسمع وصاة محمد * رسول الاله حين أوصى وأشهدا

لان معناه أجدًّا منك على التوقيف وتقديره فى النصب أتجدُّ جدًّا ويقال امرأة جدّاء اذا كانت لاتُدِرّ لها فكأنه قُطِع منها لان أصل الجَدّ القطع ويقال بلدة جدّاء اذا لم تكن بها مياه قال الشاعر

وجدَّاء ما يُرجى بها ذو هَوادة * لعُرف ولا يَخشى السُّماةَ ربيبُها

(القرابةُ والهَوادةُ فى المعنى واحد قال أبو الحسن السُّماةُ هم الصادةُ نصفَ النهار وروى من بعض أصحابنا عن المازنى قال اعمامُتى ساميًا بالمسْماة وهو خف يلبسهُ لئلا يسمع الوحش وطأه وهو عندى من سَما للصيد) ويُنشَدُ هذا البيت

أبى حبي سَلْمى أن يبيدا * وأصبح حبلُها خلقًا جديدا

يقول أصبح خَلَقًا مقطوعا لان جديدا فى معنى مجدود أى مقطوع كما تقول قتيل ومقتول وجريح ومجروح ويقال فى غير هذا المعنى رجل مجدود اذا كان ذا حَظٍّ أى حظ وفى الدعاء ولا ينفعُ ذا الجَدّ منك الجَدُّ أى من كان له حظ فى دنياه لم يدفعْ ذلك عنه ما يريد الله به ولو قال قائل ولا ينفع ذا الجِدّ منك الجِدُّ يريد الاجتهاد لكان وجها وقوله سنى برق غاو والسنى من الضياء مقصور قال الله جل وعز يكاد سَنَى برقه يذهب بالابصار والسَّناء من المجد ممدود وقال الشاعر

وهم قوم كرامُ الحيّ طُرًّا * لهم خُولٌ اذا ذُكر السَّناء

وضربه الحسن ههنا مثلًا وجمع الرَّصَد فقال رِصاد كقولك كلْب وكلاب وكَعْب وكعاب وقوله بماضى الظُّبى ظُبةُ كل شئ حدُّه يقال وخزه بظُبةِ السيف يراد بذلك حدُّ طرفه وقوله أزهاه طول نجاد النجاد حمائل السيف وأزهاه رفعه وأعلاه والرجل يُمدح بالطول فلذلك يُذكر طول حمائله قال مروان بن أبى حفصة يمدح المهدى

قصرت حمائله عليه فقلصت * ولقد تأنّق قينُها فأطالها

وقال الحسن بن هانئ يمدح محمدا الامين

سبط البنان اذا احتبى بنجاده * غمر الجماجم والسماط قيام

وقال جرير للفرزدق

تعالوا فقاضونا فني الحكم مقنع * الى الغر من أهل البطاح الاكارم

فانى لارضى عبد شمس وماقضت * وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

وقال الآخر

لما التقى الصفان واختلف القنا * نهالا وأسباب المنايا نهالها

تبين لى أن القماءة ذلة * وأن أشداء الرجال طوالها

وقوله أمام خميس الخميس ههنا الجيش وكذلك قال ربيئة أهل خيبر لما أطل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم محمد والخميس أى والجيش وقال الشاعر وهو طرفة

وأى خميس لاأفأنا نهابه * واسيافنا يقطرن من كبشه دما

افأنا رددنا يقال أفاءه يفيء اذا رده والأرجوان الاحمر قال الشاعر

عشية غادرت خيلى حميدا * كأن عليه حلة أرجوان

والجياد الخيل وفى القرآن اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد ومن تشبيهه الجيد فى هذا الشعر الذى ذكرنا قوله

ترى الناس أفواجا الى باب داره * كأنهم رجلا دبى وجراد

فيوم لالحاق الفقير بذى الغنى * ويوم رقاب بوكرت لحصاد

ومن التشبيه الجيد قوله (أى أبى نواس الحسن بن هانئ)

فكأنى عما أزين منها * قعدى يزين التحكيما

وكان سبب هذا الشعر ان الخليفة تشدد عليه فى شرب الخمر وحبسه من أجل ذلك حبسا طويلا فقال

أيها الراغبان باللوم لوما * لا أذوق المدام الا شميما

نالني بالملام فيها امام * لا أرى لي خلافه مستقيما

فاصرفاها الى سواى فانى * لست الا على الحديث نديما

كبر حظى منها اذا هى دارت * أن أراها وأن أشم النسيما

فكأني بما أزين منها * قعدى يزين التحكيما

لم يطق حمله السلاح الى الحر * ب فأوصى المطيق الا يقيما

فهذا المعنى لم يسبقه اليه أحد قال وحدثت ان العماني الراجز أنشد الرشيد في صفة فرس

كأن أذنيه اذا تشوفا * قادمة أو قلما محرفا

فعلم القوم كلهم انه قد لحن ولم يهتد منهم أحد لاصلاح البيت الا الرشيد فانه قال له قل

* تخال أذنيه اذا تشوفا * والراجز وان كان لحن فقد أحسن التشبيه وروى أن جريرا

دخل الى الوليد وابن الرقاع العاملي عنده ينشده القصيدة التي يقول فيها

غلب المساميح الوليد سماحة * وكفى قريش المعضلات وسادها

قال جرير فحسدته على أبيات منها حتى أنشد في صفة الظبية

* تزجي أغن كأن ابرة روقه * قال فقلت في نفسي وقع والله ما يقدر أن يقول أو يشبه به

قال فقال * قلم أصاب من الدواة مدادها * قال فما قدرت حسدا له أن أقيم حتى انصرفت

ومن تشبيهه الحسن الذي نستطرفه قوله

تعاطيكها كف كأن بنانها * اذا اعترضتها العين صف مدارى

ومن التشبيه المليح قوله

وكأن سعدى اذ تودعنا * وقد اشرأب الدمع أن يكفا

رشأ تواصين القيان به * حتى عقدن بأذنه شنفا

(يقال اشرأبت لات بكلمتي اذا تهيأ للكلام واشرأب الدمع اذا تهيأ للوكف) وفي هذا الشعر من التشبيه

خبر فؤادك أو ستخبره * قسماً لتنتهين أو حلفا
الحب ظهر أنت راكبه * فاذا صرفت عنانه انصرفا

ومن التشبيه الجيد قوله

اليك رمت بالقوم خوص كأنما * جماجمها فوق الحجاج قبور

وله أيضا

سأرحل من قود المهارى شملة * مسخرة ما تستحث بحادي
مع الريح ما راحت فان هي أعصفت * تهوز برأس كالعلاة وهادي

العلاة السندان قال جرير

أيفخر بالمحمم قين ليلى * وبالكير المرقع والعلاة

وقال الحسن بن هانئ في صفة السفينة

بنيت على قدر ولاءم بينها * طبقان من قير ومن ألواح
فكأنها والماء ينطح صدرها * والخيزرانة في يد الملاح
جون من العقبان يبتدر الدجى * تهوي بصوت واصطفاق جناح

وقال في شعر آخر يصف الخمر ويذكر صفاءها ورقتها وضياءها واشراقها

اذا عب فيها شارب القوم خلته * يقبل في داج من الليل كوكبا

فأما قوله

بنينا على كسرى سماء مدامة * جوانبها محفوفة بنجوم
فلو رد في كسرى بن ساسان روحه * اذا لاصطفاني دون كل نديم

فانما كانت صورة كسرى فى الاناء وقوله جوانبها محفوفة بنجوم فانما يريد ما تطوق به من الزبد وقد قال فى أخرى (أول الشعر من غير الأم

ودار ندامى خلّفوها وأدلجوا * بها أثر منهم جديد ودارس

مساحب من جر الزقاق على الثرى * وأضغاث ريحان جنى ويابس

حبست بها صحبى فألفت شملهم * وانى على أمثال تلك لحابس)

أقمنا بها يوما ويوما وليلة * ويوما له يوم الترحل خامس

تدار علينا الراح فى عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفى جنباتها * مها تدريها بالقسى الفوارس

فللخمر ما زرّت عليه جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلانس

العسجدية منسوبة الى العسجد وهو الذهب وقال المثقب العبدى

قالت ألا لا تشترى ذاكم * الا بما شئنا ولم يوجد

الا بيدرى ذهب خالص * كل صباح آخر المسند

من مال من يجبى ويجبى له * سبعون قنطارا من العسجد

وقوله تدريها أى تختلها يقال دريت الصيد اذا ختلته قال الاخطل

وان كنت قد أقصدتنى اذ رميتنى * بسهمك والرامى يصيد وما يدرى

وقال الحسن بن هانئ

ما حطك الواشون من رتبة * عندى ولا ضرك ما اغتابوا

كأنهم أثنوا ولم يعلموا * عليك عندى بالذى عابوا

وهذا المعنى عندى مأخوذ من قول النعمان بن المنذر لجل بن نضلة وقد ذكر معاوية بن شكل فقال أبيت اللعن انه لقعو الاليتين مقبل النعلين أفجج الفخذين مشاء بأقراء تباع اماء قتال

ظباء فقال النعمان أردت أن تذعه فدهته قوله مقبل النعلين يقول لنعله قبال ينسبه الى الترفه وتباع اماء وقتال ظباء من ذلك والقعو ماتدور فيه البكرة اذا كان من خشب وقوله تذعه معناه تذمه يقال ذمه يذمه ذما وذامه يذيمه ذيما وذأمه يذأمه ذأما والمعنى واحد قال الله تبارك وتعالى اخرج منها مذؤما مدحورا وقال الحرث بن خالد المخزومي لعبد الملك

فعبتن اذ عيني عليها غشاوة * فلما انجلت قطعت نفسي أذيمها

وقوله فدهته يريد مدحته فأبدل من الحاء هاء لقرب المخرج وبنو سعد بن زيد مناة بن تميم كذلك تقول وتلحم ومن قاربها قال رؤبة

لله در الغانيات المده * سبحن واسترجعن من تألهي

يريد المدح وفي هذه الأرجوزة * براق أصلاد الجبين الأجله * يريد الاجلح والعرب تقول جلح الرجل يجلح جلحا وجله يجله جلها وجلى يجلى جلى والمعنى واحد قال العجاج

* مع الجلا ولائح القتير * ومثل بيت الحسن وكلام النعمان قول عمرو بن معديكرب

كأن محرشا في بيت سعدى * يعل بعيبها عندي شفيع

وفي قصيدة الحسن هذه

ان جئت لم تأت وان لم أجئ * جئت فهذا منك لي داب

كأنما أنت وان كنت لا * تكذب في الميعاد كذاب

وهذا كلام طريف ومن حسن تشبيه المحدثين قول بشار

وكأن تحت لسانها * هاروت ينفث فيه سحرا

وتخال ما جمعت عليه * ثيابها ذهبا وعطرا

وهذا التشبيه الجامع ونظيره في جمع شيئين لمعنيين ما ذكرت لك من قول مسلم بن الوليد

* كأنه في سرجه بدر وضرغاما * ومن حسن التشبيه من قول المحدثين قول عباس

ابن الاحنف

أُحْرَمُ منكم بما أقول وقد * نال به العاشقون من عشقوا

صرت كأنى ذبالة نُصبت * تضيءُ للناس وهى تحترق

فهذا حسن فى هذا جدًّا ومن حَسَنِ ما أتوا في التشبيه قول اسمعيل بن القاسم أبي العتاهية للرشيد

أمين الله أمنك خير أمن * عليك من التقى فيه لباس

تُساس من السماء بكل فضل * وأنت به تسوس كما تُساس

كأن الخلق رُكّب فيه روحٌ * له جسدٌ وأنت عليه راس

وقد أخذ هذا المعنى على بن جبلة فقال في مدحه حُميد بن عبد الحميد وزاد في الشرح والترتيب فقال

يرتق ما يفتق أعداؤه * وليس يأسو فتقه آسى

فالناس جسمٌ وامامُ الهدى * رأسٌ وأنت العين في الراس

والعرب تختصر في التشبيه وربما أومأت به ايماءً قال أحد الرُّجّاز

بتنا بحسان ومعزاه تئط * مازلت أسعى بينهم وألتبط

حتى اذا كان الظلامُ يختلط * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط

يقول في لون الذئب واللبن اذا جهد وخُلِط بالماء ضرب الى الغُبرة وأنشد الاصمعى

وتشرب محضا وتسقى عيالها * سجاجا كأقراب الثعالب أورقا

السجاج الرقيق الممذوق والقُربان الجنبان والواحد قُرْبٌ من ذلك قول عمر بن الخطاب رحمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شاور في رجل جنى جناية وجاء قومه يشفعون له فشفع له قوم آخرون فقال له عمر يارسول الله أرى أن توجع قُرْبيه فقال القوم يارسول الله

انك لن تشتد على أمتك بقول عمر فنزل اليه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال له ثلاثا يا محمد القول قول عمر شد الاسلام بعمر فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب الرجل والاورق لون بين الخضرة والسواد يقال جمل أورق بين الورقة وهو ألأم ألوان الابل عند العرب وأطيبها لحما ومن مليح التشبيه قول عبد الصمد بن المعذل فى صفة العقرب

تبرز كالقرنين حين تطلعه * ترحله مرا ومرا ترجعه
فى مثل صدر السبت خلق تقطعه * أعصل خطار تلوح شنعه
أسود كالسبجة فيه مبضعه * لا تصنع الرقشاء ما لا يصنعه

وفى هذه الارجوزة أيضا

بات بها حسين حبيش يتبعه * وبات جذلان وثيرا مضجعه
ذا سنة آمن ما يروعه * حتى دنت منه لحتف ترمعه
فاطت تجم سمها وتجمعه * يا بؤس للمودعه ما تودعه
فشرعت أم الحمام اصبعه * أقحمت عليه كالشهاب تلذعه
عطت سربال حرير تخلعه * فكل خل ظاهر تقبعه
يزداد من نفث الحمام جزعه * واليأس من تيسيره توقعه

وكذلك قال يزيد بن ضبة (أو العرجى قال أبو الحسن شك أبو العباس فى أنه لاحدهما أعنى هذا البيت)

ولكنهم بانوا ولم أدر بغتة * وأفظع شىء حين يفجؤك البغت

ومن أحسن التشبيه ومليحه قول رجل يهجو رجلا رثاثة الحال

يا أيها المتيم فى جبة مخرقة * أطول أعمار مثلها يوم
وطيلسان كالآل يلبسه * على قميص كأنه غيم

والتشبيه كثير وهو باب كأنه لا آخر له وإنما ذكرنا منه شيأ لئلا يخلو هذا الكتاب من شئ من المعانى ونختم ما ذكرنا من أشعار المحدثين ببيتين أو ثلاثة من الشعر الجيد ثم نأخذ فى غير هذا الباب ان شاء الله قال طُفَيْلٌ

تَقْرِيبُهُ المَرَطَى والجَوْزُ مُعْتَدِلٌ * كأنه سُبَدٌ بالماء مَغْسُولُ

السُبَدُ طائر بعينه وقد قالوا الخصفة التى توضع عند البئر وهو بالطائر أشبه وإنما أراد العَرَق فى هذا الوقت وخيرُ الخيل ما لم يُسْرِعْ عَرَقُهُ ولم يُبْطِئْ فإذا جاء فى وقته شمله قال الراجز

كأنه والطَرْفُ منه سام * مشتمل جاء من الحَمَّام

وقال الأعشى

يُعادى الخُوصَ ومِسْحَلَهَا * وعَفْوُهُمَا قبل أن يَسْتَحِمْ

الخوص جاعها خُصٌّ وهى التى لم تحمل فى عامها والمسحل العير والعفو الولد وجمعه عفاء وإنما وهو أسعى له إذا لم يكن لمامه و يستحم يعرق وفى حديث أم زرع مَضْجِعُهُ كَمَسَلِّ الشَطْبَةِ وتكفيه ذراعُ الجَفْرةِ ومعناه أنه خميص البطن وهذا ما تمدح به العربُ وتستحسنه فأما قول مُتَمِّمِ بن نُوَيْرَةَ * فى غَيْرِ مِبْطانِ العَشِيَّاتِ أَرْوَعا * فإنما أراد أنه لا يستعجل بالعشاء لانتظاره الضيف كما قال

وضَيْفٍ إذا أرغى طروقا بعيره * وعان ثَنَاهُ الوَفْدُ حتى تَكَنَّعا

وقالوا فى قول الخنساء

يُذَكِّرُنى طلوعُ الشمس صَخْرًا * وأذكُرُهُ لكل غروبِ شمس

قالوا أرادت بطلوع الشمس وقت الغارة وبغروب الشمس وقت الاضياف وقال رجل لابن له والله ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيدا ولا بأرسح فتكون فارسا وقال رجل من بنى أسد لرجل من قيس والله ما فُتِقَتْ فَتْقَ السادة ولا مُطِلْتَ مَطْلَ الفُرْسانِ فهذه كلها نعوت قد

عرفت لقوم حتى كأنها سمات لهم ينبغي للفارس أن يكون مهفهف الخصرين متوقد العينين خش الذراعين وأنشد الاصمعي * كأنما ساعداه ساعدا ذيب * قالوا ومن نعت السيد ان يكون ضخم الهامة جهير الصوت اذا خطا أبعد واذا تومل ملأ العين لان حقه أن يكون في صدر مجلس او ذروة منبر أو منفردا في موكب وكانوا يقولون في نعت السيد يملأ العين جمالا والسمع مقالا وقال أبو علي دعبل في رجل نسبه الى السودد بقوله لمعاذ بن جبل بن سعيد الحميري وهو من ولد حميد بن عبد الرحمن الفقيه

فاذا حاسنته صدرته * وتحيت له في الحاشيه
واذا سايرته قدمته * وتأخرت مع المستأنيه
واذا ياسرته صادقته * سلس الخلق سليم الناحيه
واذا عاسرته صادقته * شرس الرأي أبيا داهيه
فاحمد الله على صحبته * واسأل الرحمن منه العافيه

وهذا المعنى قد أجمله جرير في قوله

بشر أبو مروان ان عاسرته * عسر وعند يساره ميسور

٤٨- باب

تجتمع فيه طرائف من حسن الكلام وجيد الشعر وسائر الامثال ومأثور الاخبار ان شاء الله * كان الحجاج بن يوسف يستثقل زياد بن عمرو العتكي فلما أثنت الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك والحجاج حاضر قال زياد بن عمرو يا أمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذي لا ينبو وسهمك الذي لا يطيش وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن أحد بعد أخف على قلب الحجاج منه ولزياد يقول ابن قيس الرقيات في معاتبته المهلب بن أبي صفرة

أبلغا جاري المهلب عني * كل جار مفارق لا محاله
ان جاراتك اللواتي بشكر يشتت لتنبيذ رحلهن مقاله
لو تعلقن من زياد بن عمرو * بحبال لما ذممن حباله
غلبت أمه أباه عليه * فهو كالكابلي أشبه خاله
ولقد غالني يزيد وكانت * في يزيد خيانة ومقاله
عشكي كأنه ضوء بدر * يحمد الناس قوله وفعاله

وقال أسماء بن خارجة الفزاري لا أشاتم رجلا ولا أرد سائلا فانما هو كريم أسد خلته أو لئيم أشتري عرضي منه وقال سهل بن هرون يجب على كل ذي مقالة أن يبتدأ بحمد الله قبل استفتاحها كما يبدئ بالنعمة قبل استحقاقها وكان يقول عند التعزية التهنئة بآجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة وأراد رجل الحج فأتى شعبة بن الحجاج يودعه فقال له شعبة أما انك ان لم ترا الحلم ذلا والسفه أنفا سلم لك حجك وقال أوس القرني ان حقوق الله لم تترك عند مسلم درهما وقال دعبل بن علي الخزاعي يذم رجلا

رأيت أبا عمران يبذل عرضه * وخبز أبي عمران في أحرز الحرز
يحن الى جاراته بعد شبعه * وجاراته غرثى تحن الى الخبز

وقال آخر

قوم اذا أكلوا أخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار
لا يقبس الجار منهم فضل نارهم * ولا تكف يد عن حرمة الجار

(أظن تمامه

حتى اذا استنبح الأضياف كلبهم * قالوا لأمهم بولي على النار
قامت بأحرها تندى مشافره * كأنه ربقة في كف جزار)

وقال رجل من طيء وكان رجل منهم يقال له زيد من ولد عروة بن زيد الخيل قتل رجلا من بني أسد يقال له زيد ثم أقيد به بعد

علا زيدنا يوم الحمى رأس زيدكم * بأبيض مصقول الغرار يمان

فان تقتلوا زيدا بزيد فانما * أقادكم السلطان بعد زمان

(قال أبو الحسن وأنشدنا غيره

علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم * بأبيض من ماء الحديد يمان)

قال كلم شمعل التغلبي عبد الملك كلاما لم يرضه فرماه عبد الملك بالجرز فخدش وهشم فقال شمعل

أمن جذبة بالرجل مني تباشرت * عداتي فلا عيب علي ولا سخر

فان أمير المؤمنين وسيفه * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

وقال الحجاج البخل على الطعام أقبح من البرص على الجسد وقال زياد كفى بالبخيل عارا ان اسمه لم يقع في حمد قط وكفى بالجواد مجدا ان اسمه لم يقع في ذم قط وقال آخر

ألا ترين وقد قطعتني عذلا * ماذا من الفضل بين البخل والجود

لا يعدم السائلون الخير أفعله * اما نوالا واما حسن مردود

الا يكن ورق يوما أراح به * للخابطين فاني لين العود

قوله الا يكن ورق يريد المال وضربه مثلا ويقال أتى فلان فلانا يختبط ما عنده والاختباط ضرب الشجر ليسقط الورق فجعل الخابط الطالب والورق المال كما قال زهير

وليس مانع ذي قربى ولا رحم * يوما ولا معدما من خابط ورقا

ويروى أن ضيفا نزل بالحطيئة وهو يرعى غنما له وفي يده عصا فقال الضيف يا راعي الغنم فأومأ اليه الحطيئة بعصاه وقال عجراء من سلم فقال الرجل اني ضيف فقال الحطيئة للضيفان

أعددتها وقال دعبل

وابنُ عمران يبتغي عربيًّا * ليس يرضى البنات للاكفاء
ان بدت حاجة له ذكر الضيـ * ـف ويفساء عند وقت الغداء

وقال أيضا

أضيافُ سالم في خفض وفي دعة * وفي شراب ولحم غير ممنوع
وضيفُ عمرٍو وعمرٌو يسهران معا * عمرٌو لبطنته والضيفُ للجوع

وقال دعبل

ما يرحل الضيفُ عني بعد تكرمة * الا برفدٍ وتشييع ومعذرة

وقال أيضا

لم يطيقوا أن يسمعوا وسمعنا * وصبرنا على رحى الاسنان
صوتُ مضغ الضيوف أحسنُ عندي * من غناء القيان بالعيدان

وقال القرشي من بني أمية

اذا ما وترنا لم ننم عن تراتنا * ولم نكُ أوغالا نقيمُ البواكيا
ولكننا نغضي الجياد شوازبًا * فترمي بها نحو التراث المراميا

وقال جرير

ان الذي حرم الخلافة تغلبا * جعل النبوة والخلافة فينا
مُضَرٌ أبي وأبو الملوك فهل لكم * يا خُزرَ تغلبَ من أبٍ كأبينا
هذا ابنُ عمي في دمشق خليفةً * لو شئتُ ساقكُمُ اليَّ قطينا
ان الفرزدق اذ تحنّف كارها * أضحى لتغلب والصليب خدينا
ولقد جزعتَ الى النصارى بعدما * لقيَ الصليبُ من العذاب مهينا

هَلْ تَشْهَدُونَ من المَشاعِرِ مَشْعَراً * أَوْ تَسْمَعُونَ مِنَ الأَذانِ أَذِينا

قال أبو العباس حدثني عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال لما بلغ الوليدَ قوله

هذا ابنُ عمِّي في دِمَشْقَ خليفةٌ * لو شِئْتُ ساقَكُمُ الىَّ قَطِينا

قال الوليد أَمَا والله لو قال لو شاء ساقكم لفعلتُ ذاكَ به ولكنه قال لو شِئْتُ فجعلني شُرْطِيًّا له

ويروى أن بلالا قعد يوما ينظر بين الخصوم ورجلٌ منهم ناحيةً يَتَمَثَّلُ قولَ الأخطل على غير معرفة

وابنُ المَراغةِ حابِسٌ أَعْيارَهُ * مَرْمَى القَصِيَّةِ ما يَذُقْنَ بِلالا

فسمعه بلال فلما تقدم مع خصمه قال له بلال أَعِدْ انشادكَ فغمزه بعض الجلساء فقال الرجل اني والله ما أدري مَنْ قاله ولا فيمن قيل فقال بلال أَجَلْ هو أَشْبَرُ من ذاكَ هَلُمَّا فاخْتَجّا

وقال جرير

مَرَرْتُ على الديارِ فما رأينا * كدارٍ بين تَلْعَةَ والنَّظِيمِ

عَرَفْتُ المُنْتَأَى وعرفتُ منها * مَطايا القِدْرِ كالحِدَإِ الجُثُومِ

وقال آخر

لقد تَبِلَتْ فُؤادَكَ اذ تَوَلَّتْ * ولم تَخْشَ العُقُوبَةَ في التَّوَلِّي

عَرَفْتُ الدارَ يومَ وقفتُ فيها * بريحِ المِسْكِ تَنْفَحُ في المَحَلِّ

٤٩ ﴿باب من أخبار الخوارج﴾

قال أبو العباس ذكر أهل العلم من الصُّفْرِيَّة ان الخوارج لما عزموا على البيعة لعبد الله بن وَهْبٍ الراسبي من الأَزْدِ تكرَّه ذلكَ فأبوا من سواه ولم يريدوا غيره فلما رأى ذلك منهم قال يا قوم استَبِيتُوا الرأيَ أي دَعُوهُ يَغِبّ وكان يقول نعوذ بالله من الرأي الدَّبَرِيّ قوله استبيتوا الرأي

يقول دعوا رأيكم ثأت عليه ليلة ثم تعقبوه يقال بيت فلان كذا وكذا اذا فعله ليلا وفى القرآن اذ يبيتون ما لا يرضى من القول أى اداروا ذلك ليلا بينهم وأنشد أبو عبيدة

أتونى فلم أرض ما بيتوا * وكانوا أتونى بأمر نكر
لأنكح أيمهم منذرا * وهل ينكح العبد حر لحر

والرأى الدبرى الذى يعرض من بعد وقوع الشئ كما قال جرير

ولا يعرفون الشر حتى يصيبهم * ولا يعرفون الأمر الا تدبرا

وكان عبد الله بن وهب ذا رأى وفهم ولسان وشجاعة وانما لجؤا اليه وخلعوا معدان الايادى لقول معدان

سلام على من بايع الله شاريا * وليس على الحزب المقيم سلام

فبرئت منه الصفرية وقالوا اخالفت لانك برئت من القعد قال أبو العباس والخوارج فى جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ومن ذى المعصية الظاهرة وحدثت ان واصل بن عطاء أبا حذيفة أقبل فى رفقة فأحسوا الخوارج فقال واصل لاهل الرفقة ان هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعونى واياهم وكانوا قد أشرفوا على العطب فقالوا شأنك فخرج اليهم فقالوا ما أنت وأصحابك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويعرفوا حدوده فقالوا قد أجرناكم قال فعلمونا فجعلوا يعلمونه أحكامهم وجعل يقول قد قبلت أنا ومن معى قالوا فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال ليس ذلك لكم قال الله تبارك وتعالى وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه فأبلغونا مأمننا فنظر بعضهم الى بعض ثم قالوا ذاك لكم فساروا بأجمعهم حتى بلغوهم المأمن وذكر أهل العلم من غير وجه ان عليا رضى الله تعالى عنه لما وجه اليهم عبد الله بن عباس رحمة الله عليه ليناظرهم قال لهم ما الذى نقمتم على أمير المؤمنين قالوا قد كان للمؤمنين أميرا فلما حكم فى دين الله خرج من الايمان فليتب بعد اقراره

بالكفر نعدله فقال ابن عباس لا ينبغى لمؤمن لم تشب ايمانه شك ان يقر على نفسه بالكفر قالوا
انه قد حكّم قال ان الله عز وجل قد أمرنا بالتحكيم فى قتل صيد فقال عز وجل يحكم به ذوا عدل
منكم فكيف فى امامة قد أشكلت على المسلمين فقالوا انه قد حُكِم عليه فلم يرض فقال ان
الحكومة كالامامة ومتى فسق الامام وجبت معصيته وكذلك الحكمان لما خالفا نبذت
أقاويلهما فقال بعضهم لبعض لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم فان هذا من القوم الذين
قال الله عز وجل فيهم بل هم قوم خصمون وقال عز وجل وتنذر به قوما لدّا والشئ يذكر بالشئ
وجاء فى الحديث ان رجلا اعرابيا أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال انى أصبت ظبيا
وأنا محرم فالتفت عمر الى عبد الرحمن بن عوف فقال قل فقال عبد الرحمن يهدى شاة فقال
عمر أهد شاة فقال الاعرابى والله ما درى أمير المؤمنين ما فيها حتى استفتى غيره فخفقه عمر
رضوان الله عليه بالدرة وقال أتقتل فى الحرم وتغمص الفتيا ان الله عز وجل قال يحكم به
ذوا عدل منكم فانا عمر بن الخطاب وهذا عبد الرحمن بن عوف وفى هذا الحديث ضروب من
الفقه منها ما ذكروا ان عبد الرحمن بن عوف قال أولا ليكون قول الامام حكما قاطعا ومنها انه
رأى ان الشاة مثل الظبية كما قال الله عز وجل فجزاء مثل ما قتل من النعم وانه لم يسأله أخطأ
قتله أم عمدا وجعل الامرين واحدا ومنها انه لم يسأله أقتلت صيدا قبله وأنت محرم لان قوما
يقولون اذا أصاب ثانية لم يحكم عليه ولكنا نقول اذهب فاتق الله لقول الله تبارك وتعالى
ومن عاد فينتقم الله منه قال أبو العباس ومن طريف أخبار الخوارج قول قطرى ابن الفجاءة
المازنى لابى خالد القنانى وكان من قعد الخوارج

أبا خالد يا انفر فلست بخالد * وما جعل الرحمن عذرا لقاعد

أتزعم ان الخارجى على الهدى * وأنت مقيم بين لص وجاحد

فكتب اليه أبو خالد

لقد زاد الحياة الى حبا * بناتى انهن من الضعاف

أحاذر أن يرين الفقر بعدى * وأن يشربن رنقا بعد صاف

وان يعرين ان كسى الجوارى * فتنبو العين عن كرم عجاف

ولولا ذاك قد سومت مهرى * وفى الرحمن للضعفاء كاف

(أبانا من لنا ان غبت عنا * وصار الحى بعدك فى اختلاف)

وهذا خلاف ما قال عمران بن حطان أحد بنى عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل وقد كان رأس القعد من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم قال لما قتل أبو بلال وهو مرداس ابن أدية وهى جدته وأبوه حدير وهو أحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم قال عمران بن حطان

لقد زاد الحياة الى بغضا * وحبا للخروج أبو بلال

أحاذر أن أموت على فراشى * وأرجو الموت تحت ذرا العوالى

ولو أنى علمت بأن حتفى * كحتف أبى بلال لم أبال

فمن يك همه الدنيا فانى * لها والله رب البيت قال

وفيه يقول أيضا

يا عين بكى لمرداس ومصرعه * يا رب مرداس اجعلنى كمرداس

تركتنى هائما أبكى لمرزئتى * فى منزل موحش من بعد ايناس

أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه * ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

اما شربت بكاس دار أولها * على القرون فذاقوا جرعة الكاس

فكل من لم يذقها شارب عجلا * منها بانفاس ورد بعد انفاس

قال أبو العباس وكان من حديث عمران بن حطان فيما حدثنى العباس بن الفرج الرياشى

عن محمد بن سلام انه لما أطرده الحجاج كان ينتقل فى القبائل فكان اذا نزل فى حى انتسب نسبا يقرب منه ففى ذلك يقول

نزلنا فى بنى سعد بن زيد * وفى عك وعامر عوبثان

وفى لخم وفى أدد بن عمرو * وفى بكر وحى بنى العدان

ثم خرج حتى نزل عند روح بن زنباع الجذامى وكان روح يقرى الاضياف وكان مسامر العبد الملك بن مروان أسيرا عنده فانتمى له من الازد وفى غير هذا الحديث ان عبد الملك ذكروها فقال من أعطى مثل ما أعطى أبو زرعة أعطى فقه أهل الحجاز ودهاء أهل العراق وطاعة أهل الشام رجع الحديث وكان روح بن زنباع لا يسمع شعرا نادرا ولا حديثا غريبا عند عبد الملك فيسأل عنه عمران بن حطان الا عرفه وزاد فيه فذكر ذلك لعبد الملك فقال ان لى جارا من الازد ما أسمع من أمير المؤمنين خبرا ولا شعرا الا عرفه وزاد فيه فقال خبرنى ببعض أخباره فخبره وأنشده فقال ان اللغة عدنانية وانى لأحسبه عمران بن حطان حتى تذاكروا ليلة قول عمران بن حطان يمدح ابن ملجم لعنه الله

يا ضربة من تقى ما أراد بها * الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا

انى لأذكره حينا فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا

(قلبه الفقيه الطبرى فقال

يا ضربة من شقى ما أراد بها * الا ليهدم من ذى العرش بنيانا

انى لأذكره يوما فألعنه * ايها وألعن عمران بن حطانا

قال محمد بن أحمد الطبيب يرد على عمران بن حطان

يا ضربة من غدور صار ضاربها * أشقى البرية عند الله انسانا

اذا تفكرت فيه ظلت ألعنه * وألعن الكلب عمران بن حطانا)

فلم يدر عبد الملك لمن هو فرجع روح الى عمران بن حطان فسأله عنه فقال عمران هـذا يقوله عمران بن حطان يمدح به عبد الرحمن بن ملجم قاتل على بن أبي طالب فرجع روح الى عبد الملك فأخبره فقال له عبد الملك ضيفك عمران بن حطان اذهب فجئني به فرجع اليه فقال ان أمير المؤمنين قد أحب أن يراك قال عمران قد أردت أن أسألك ذلك فاستحييت منك فامض فاني بالأثر فرجع روح الى عبد الملك فأخبره فقال عبد الملك أما انك سترجع فلا تجده فرجع وقد ارتحل عمران وخلف رقعة فيها

يا روح كم من أخي مثوى نزلت به * قد ظن ظنك من لخم وغسان
حتى اذا خفته فارقت منزله * من بعد ما قيل عمران بن حطان
قد كنت جارك حولا ما تروعني * فيه روائع من انس ومن جان
حتى أردت بي العظمى فأدركني * ما أدرك الناس من خوف ابن مروان
فاعذر أخاك ابن زنباع فان له * في النائبات خطوبا ذات ألوان
يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدناني
لو كنت مستغفرا يوما لطاغية * كنت المقدم في سري واعلاني
لكن أبت لي آيات مطهرة * عند الولاية في طه وعمران

ثم ارتحل حتى نزل بزفر بن الحرث الكلابي أحد بني عمرو بن كلاب فانتسب له أوزاعيا وكان عمران يطيل الصلاة وكان غلمان من بني عامر يضحكون منه فأتاه رجل يوما ممن رآه عند روح بن زنباع فسلم عليه فدعاه زفر فقال من هـذا فقال رجل من الازد رأيته ضيفا لروح بن زنباع فقال له زفر يا هـذا أزديا مرة وأوزاعيا مرة ان كنت خائفا آمناك وان كنت فقيرا جبرناك فلما أمسى هرب وخلف في منزله رقعة فيها

ان التي أصبحت يعيى بها زفر * أعيت عياء على روح بن زنباع

قال أبو العباس أنشدنيه الرياشي * أعباً عياها على روح بن زنباع * وأنكره كما أنكرناه لأنه قصر الممدود وذلك في الشعر جائز ولا يجوز مد المقصور

مازال يسألني حولاً لأخبره * والناس من بين مخدوع وخداع
حتى اذا انقطعت عني وسائله * كف السؤال ولم يولع باهلاع
فاكفف كما كف عني انني رجل * اما صميم واما فقعة القاع
واكفف لسانك عن لومي ومسئلتي * ماذا تريد الى شيخ لأوزاع
أما الصلاة فاني غير تاركها * كل امرئ للذي يعنى به ساع
أكرم بروح بن زنباع وأسرته * قوم دعا أوليهم للعلى داع
جاورتهم سنة فيما أسر به * عرضي صحيح ونومي غير تهجاع
فاعمل فانك منعي بواحدة * حسب اللبيب بهذا الشيب من ناع

ثم ارتحل حتى أتى عمان فوجدهم يعظمون أمر أبي بلال ويظهرونه فأظهر أمره فيهم فبلغ ذلك الحجاج فكتب الى أهل عمان فارتحل عمران هاربا حتى أتى قوما من الأزد فلم يزل فيهم حتى مات وفي نزوله بهم يقول

نزلنا بحمد الله في خير منزل * نسر بما فيه من الانس والخفر
نزلنا بقوم يجمع الله شملهم * وليس لهم عود سوى المجد يعتصر
من الأزد ان الأزد أكرم معشر * يمانية طابوا اذا نسب البشر
فأصبحت فيهم آمنا لا كمعشر * أتوني فقالوا من ربيعة أو مضر
أم الحي قحطان فتلكم سفاهة * كما قال لي روح وصاحبه زفر
وما منهما الا يسر بنسبة * تقربني منه وان كان ذا نفر
فنحن بنو الاسلام والله واحد * وأولى عباد الله بالله من شكر

قوله يا روح كم من أخي مثوى نزلت به قدمي تفسيره يقال هذا أبو مثواي وللانثى هذه أم مثواي ومنزل الضيافة وما أشبهها المثوى وكذلك قال المفسرون في قول الله عز وجل أكرمي مثواه أي اضافته ويقال من هذا ثوى يثوي ثويا كقولك مضى يمضي مضيا ويقال ثواء ومضاء كما قال

طال الثواء على رسم بمؤود * أودى وكل جديد مرة مودي

وقوله فيه روائع من انس ومن جان الواحدة رائعة يقال راعني يروعني روعا أي أفزعني قال الله تعالى ذكره فلما ذهب عن ابراهيم الروع ويكون الرائع الجميل يقال جمال رائع يكون ذلك في الرجل والفرس وغيرهما وأحسب الاصل فيهما واحدا أنه يفرط حتى يروع كما قال الله جل ثناؤه يكاد سنى برقه يذهب بالابصار للافراط في ضيائه والرائع مهموز وكذلك كل فعل من الثلاثة مما عينه واو أو ياء اذا كانت معتلة ساكنة نقول قال يقول وباع يبيع وخاف يخاف وهاب يهاب يعتل اسم الفاعل فيهمز موضع العين نحو قائل وبائع وخائف وهائب فان صحت العين في الفعل صحت في اسم الفاعل نحو عور الرجل فهو عاور وصيد فهو صايد والصيد داء يأخذ في الرأس والعينين والشؤن وانما صحت في عور وحول وصيد لانه منقول من احول واعور وقد أحكمنا تفسير هذا في الكتاب المقتضب وقوله

يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدناني

يريد أنا يوما يمان ولولا أن الشعر لا يصلح بالنصب لكان النصب جائزا على معنى أنتقل يوما كذا ويوما كذا والرفع حسن جميل وهذا الشعر ينشد نصبا

أفي السلم أعيارا جفاء وغلظة * وفي الحرب أمثال النساء العوارك

العوارك هن الحوائض وكذلك قوله

أفي الولائم أولادا لواحدة * وفي المحافل أولادا لعلات

قال العلات سميت لان الواحدة تعل بعد صاحبتها وهو من العلل وهو الشرب الثانى أى يختلفون و يتحولون فى هذه الحالات ومن كلام العرب أتميميا مرة وقيسيا أخرى وكذلك ان لم تستفهم وأخبرت قلت تميميا مرة علم الله وقيسيا أخرى أى تتنقل ومن ثم قال له زفر بن الحرث أزديا مرة وأوزاعيا أخرى والرفع على أنت جيد بالغ وقوله

* لوكنت مستغفرا يوما لطاغية * يكون على وجهين لنفس طاغية والآخر للمذكر وزاد الهاء للتوكيد والمبالغة كما يقال رجل راوية وعلامة ونسابة وكلاهما وجه و يقال جاءت طاغية الروم يراد الجماعة الطاغية كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتلك الفئة الباغية وقوله عند الولاية اذا فتحت فهو مصدر الولي وفى القرآن العظيم مالكم من ولايتهم من شئ والولاية مكسورة نحو السياسة والرياضة والايالة وهى الولاية واصله من الاصلاح يقال آله يؤله أولا اذا أصلحه قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قد ألنا وايل علينا أو بل ذلك قد ولينا وولى علينا وهذه كلمة جامعة يقول قد ولينا فعلنا ما يصلح الوالى وولى علينا فعلمنا ما يصلح الرعية وقوله * حتى اذا ما انقضت منى وسائله * الوسائل واحدها وسيلة وهى الذريعة والسبب يقال قد توسلت الى فلان قال رؤبة بن العجاج

والناس ان فصلتهم فصائلا * كل الينا يبتغى الوسائلا

وقوله ولم يولع باهلاعى أى بافزاعى وترويعى والهلع من الجبن عند ملاقاة الاقران يقال نعوذ بالله من الهلع و يقال رجل هلوع اذا كان لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل فى كل واحد منهما غير الحق قال الله عز وجل ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وقال الشاعر

ولى قلب سقيم ليس يصحو * ونفس ما تفيق من الهلاع

وقوله * اما صميم وأما فقعة القاع * الصميم الخالص من كل شئ يقال فلان من صميم

قومه أي من خالصهم وقال جرير لهشام بن عبد الملك

وتنزل من أمية حيث تلقى * شؤون الرأس مجتمع الصميم

وقوله واما ققعة القاع يقال لمن لا أصل له هو ققعة بقاع وذلك لان الققعة لا عروق لها ولا أغصان والققعة الكمأة البيضاء ويقال حمام ققيع لبياضه ومن ذا قول الشاعر

قوم اذا نسبوا يكون أبوهم * عند المناسب ققعة فى قرقر

وقال بعض القرشيين

اذا ما كنت متخذا خليلا * فلا تجعل خليلك من تميم

بلوت صميمهم والعبد منهم * فما أدنى العبيد من الصميم

وقوله نستر بما فيه من الأنس والخفر فاصل الخفر شدة الحياء يقال امرأة خفرة اذا كانت مستترة لاستحيائها قال ابن نمير الثقفي

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت * به زينب فى نسوة خفرات

وقوله ان الازد أكرم أسرة يقول عصابة وقبيلة ويقال للرجل من أى أسرة أنت وأصل هذا من الاجتماع يقال للقتب مأسور وقد مضى تفسيره وينشد * عمانية قربوا اذا نسب البشر * يريد قربوا وهذا جائز فى كل شئ مضموم أو مكسور اذا لم يكن من حركات الاعراب تقول فى الاسماء فى فخذ فخذ وفى عضد عضد وتقول فى الافعال كرم عبد الله أى كرم وقد علم الله أى علم الله قال الاخطل

فان أهجه يضجر كما ضجر بازل * من الابل دبرت صفحتاه وكاهله

وقال آخر

عجبت لمولود وليس له أب * وذى ولد لم يلده أبوان

ولا يجوز فى ضرب ولا فى جمل ان يسكن لخفة الفتحة وقوله أتونى فقالوا من ربيعة أو مضر

يقول أمن ربيعة أم من مضر ويجوز في الشعر حذف ألف الاستفهام لان أم التي جاءت بعدها تدل عليها قال ابن أبي ربيعة

لعمرك ما أدري وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

يريد أبسبع وقال التميمي

لعمرك ما أدري وان كنت داريا * شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر

الرواية على وجهين أحدهما أمن ربيعة أم مضر أم الحي قحطان يريد أذا أم ذا والاصلح في الرواية من ربيعة أو مضر أم الحي قحطان لان ربيعة أخو مضر فأراد من أحد هذين أم الحي قحطان لانه اذا قال أزيد عندك أم عمرو فالجواب نعم أو لا لان أحد هذين عندك ومعنى الاول أيهما عندك وروى وحدثنيه المازني أن صفية بنت عبد المطلب أتاها رجل فقال لها أين الزبير قالت وما تريد اليه قال أريد أن أباطشه فقالت ها هو ذاك فصار الى الزبير فباطشه فغلبه الزبير فمر بها مغلولا فقالت صفية

كيف رأيت زبرا * أأقطا أو تمرا * أم قرشيا صقرا

لم تشكك بين الاقط والتمر فتقول أيهما هو ولكنها أرادت أرأيته طعاما أم قرشيا صقرا أي أأحد هذين رأيته أم صقرا ولو قالت أأقطا أم تمرا كان محالا على هذا الوجه وقوله وما منهما الا يسر بنسبة معناه وما منهما واحد فحذف لعلم المخاطب قال الله جل اسمه وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته أي وان أحد ومعنى ان معنى ما قال الشاعر

وما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح

يريد فمنهما تارة وقوله

فنحن بنو الاسلام والله واحد * وأولى عباد الله بالله من شكر

يقول انقطعت الولاية الاولى ولاية الاسلام لان ولاية الاسلام قد قاربت بين الغرباء وقال الله

عز وجل انما المؤمنون اخوة وقال عز وجل فباعد به بين القرابة انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح وقال نهار بن توسعة البشكري

دعي القوم ينصر مدعيه * ليلحقه بذي الحسب الصميم

أبي الاسلام لا أب لي سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

ويقال فيما روي من الاخبار أن أول من حكم عروة ابن أدية وأدية جدة له جاهلية وهو عروة ابن حدير أحد بني ربيعة بن حنظلة وقال قوم بل أول من حكم رجل يقال له سعيد من بني محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ولم يختلفوا في اجماعهم على عبد الله بن وهب الراسبي وأنه امتنع عليهم وأومأ الى غيره فلم يقنعوا الا به فكان امام القوم وكان يوصف بالرأي فأما أول سيف سل من سيوف الخوارج فسيف عروة ابن أدية وذلك انه أقبل على الاشعث فقال ما هذه الدنية يا أشعث وما هذا التحكيم أشرط أوثق من شرط الله عز وجل ثم شهر عليه السيف والاشعث مول فضرب به عجز البغلة فشبت البغلة فنفرت اليمانية وكانوا جل أصحاب علي صلوات الله عليه فلما رأى ذلك الاحنف قصد هو وجارية بن قدامة ومسعود بن فدكي بن أعبد وشبث بن ربعي الرياحي الى الاشعث فسألوه الصفح ففعل وكان عروة ابن أدية نجا من حرب النهروان فلم يزل باقيا مدة من خلافة معاوية ثم أتي به زياد ومعه مولى له فسأله عن أبي بكر وعمر فقال خيرا ثم سأله فقال ما تقول في أمير المؤمنين عثمان بن عفان وأبي تراب علي بن أبي طالب فتولى عثمان ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر وفعل في أمر علي مثل ذلك الى أن حكم ثم شهد عليه بالكفر ثم سأله عن معاوية فسبه سبا قبيحا ثم سأله عن نفسه فقال أولك لزنية وآخرك لدعوة وأنت بعد عاص لربك ثم أمر به فضربت عنقه ثم دعا مولاه فقال صف لي أموره فقال أأطنب أم اختصر فقال بل اختصر فقال ما أتيته بطعام بنهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط وكان سبب تسميتهم الحرورية أن

عليا لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله اياهم فكان مما قال لهم ألا تعلمون أن
هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم ان هذه مكيدة ووهن وانهم لو قصدوا الى حكم
المصاحف لم يأتوني ثم سألوني التحكيم أفعلمتم انه كان منكم أحد أكره لذلك مني قالوا اللهم نعم
قال فهل علمتم انكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتكم اليه فاشترطت أن حكمهما نافذ
ما حكما بحكم الله عز وجل فان خالفاه فانا وأنتم من ذلك برآء وأنتم تعلمون أن حكم الله
لا يعدوني قالوا اللهم نعم وفيهم في ذلك الوقت ابن الكوّاء وهذا من قبل أن يذبحوا عبد الله بن
خبّاب فانما ذبحوه بكسكر في الفرقة الثالثة فقالوا حكّمت في دين الله برأينا ونحن مقرّون بانا
قد كفرنا ونحن تائبون فأقرر بمثل ما أقررنا وتب ننهض معك الى الشام فقال أما تعلمون ان الله
جل ثناؤه قد أمر بالتحكيم في شقاق بين رجل وامرأة فقال تبارك وتعالى فابعثوا حكما من أهله
وحكما من أهلها وفي صيد أصيب في الحرم كأرنب يساوي ربع دينار فقال عز وجل يحكم به
ذوا عدل منكم فقالوا ان عمرا لما أبى عليك أن تقول في كتابك هذا ما كتبه عبد الله علي
أمير المؤمنين محوت اسمك من الخلافة وكتبت علي بن أبي طالب فقال لهم رضي الله عنه لي
برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حيث أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب هذا كتاب
كتبه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو فقال لو أقررنا بأنك رسول الله ما خالفناك ولكني
أقدمك لفضلك ثم قال اكتب محمد بن عبد الله فقال لي يا علي امح رسول الله فقلت يا رسول الله
لا تسخو نفسي بمحو اسمك من النبوة فقال عليه السلام قفني عليه فمحاه بيده صلى الله عليه
وسلم ثم قال اكتب محمد بن عبد الله ثم تبسم الي فقال يا علي أما انك ستسام مثلها فتعطي فرجع
معه منهم ألفان من حروراء وقد كانوا تجمعوا بها فقال لهم علي صلوات الله عليه ما نسميكم ثم
قال أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء والنسب الى مثل حروراء حروراوي فاعلم وكذلك كل
ما كان في آخره ألف التأنيث الممدودة ولكنه نسب الى البلد بحذف الزوائد فقيل الحروري

وقال الصلتان العبدي في كلمة له

أرى أمة شهرت سيفها * وقد زيد في سوطها الاصبحي
بنجدية وحرورية * وأزرق يدعو الى أزرقي
فملتنا أننا المسلمون * على دين صديقنا والنبي

وفي هذا الشعر مما يستحسن قوله

أشاب الصغير وأفنى الكبير * مرور الليالي وكر العشي
اذا ليلة هرمت يومها * أتى بعد ذلك يوم فتي
نروح ونغدو لحاجاتنا * وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجاته * وتبقى له حاجة ما بقي

قوله وقد زيد في سوطها الاصبحي فانه تسمى هذه السياط التي يعاقب بها السلطان الاصبحية وتنسب الى ذي أصبح الحميري وكان ملكا من ملوك حمير وهو أول من اتخذها وهو جد مالك ابن أنس الفقيه رضي الله عنه والنجدية تنسب الى نجدة بن عويمر وهو عامر الحنفي وكان رأسا ذا مقالة منفردة من مقالات الخوارج وقد بقي من أهلها قوم كثير وكان نجدة يصلي بمكة بحذاء عبد الله بن الزبير في جمعه في كل جمعة وعبد الله يطلب الخلافة فيمسكان عن القتال من أجل الحرم قال الراعي يخاطب عبد الملك

اني حلفت على يمين برة * لا أكذب اليوم الخليفة قيلا
ما ان أتيت أبا خبيب وافدا * يوما أريد لبيعتي تبديلا
ولا أتيت نجيدة بن عويمر * أبغي الهدى فيزيدني تضليلا
من نعمة الرحمن لا من حيلتي * أني أعد له على فضولا

وفي هذه القصيدة

أخذوا العريف فقطّعوا حيزومه * بالأصبحية قائماً مغلولا

قوله وأزرق يدعو الى أزرقي يريد من كان من أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي وكان نافع شجاعاً مقدّماً في فقه الخوارج وله ولعبيد الله بن عباس مسائل كثيرة وسنذكر جملة منها في هذا الكتاب ان شاء الله وقوله على دين صديقنا والنبي فالعرب تفعل هذا وهو في الواو جائز أن تبدأ بالشيء وغيره المقدّم قال الله عز اسمه هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقال يا معشر الجن والإنس وقال واسجدي واركعي مع الراكعين وقال حسان بن ثابت

بهاليل منهم جعفر وابن أمّه * عليٌّ ومنهم أحمد المتخيَّر

يعني بني هاشم ومن كلام العرب ربيعة ومضر وقيس وخندف وسليم وعامر وأصحاب نافع ابن الأزرق هم ذوو الحدّ والجدّ وهم الذين أحاطوا بالبصرة حتى ترحّل أكثر أهلها منها وكان الباقون على الترحل فقلّد المهلّب حربهم فهزمهم الى الفرات ثم هزمهم الى الأهواز ثم أخرجهم عنها الى فارس ثم أخرجهم الى كرمان وفي ذلك يقول شاعر منهم في هذه الحرب التي صاحبها صاحب الزنج بالبصرة يرثي البلد ويذكر المنقبة التي كانت لهم (قال الأخفش أنشدنيه يزيد المهلّبي لنفسه)

سقى الله مصراً خفّ أهلوه من مصر * وماذا الذي يبقى على عقب الدهر

ولو كنت فيه اذ أبيح حريمه * لمتّ كريماً أو صدرت على عذر

أبيح فلم أملك له غير عبرة * تهيب بها أن حاردت لوعة الصدر

ونحن رددنا أهلها اذ ترحّلوا * وقد نظمت خيل الأزارق بالجسر

ومن نخشى أطراف المنايا فإننا * لبسنا لهن السابغات من الصبر

فان كريه الموت عذب مذاقه * اذا ما مزجناه بطيب من الذكر

وما رزق الانسان مثل منيّة * أراحت من الدنيا ولم تخز في القبر

وفى هذا الشعر

يشكر بنو العباس نعمى تجددت * فقد وعد الله المزيد على الشكر
لقد جنبتكم أسرة حسدتكم * فسلت على الاسلام سيفا من الكفر
وقد نغصتهم جولة بعد جولة * يبيتون فيها المسلمين على ذعر

وقال عبد الله بن قيس الرقيات

ألا طرقت من أهل بيبة طارقه * على أنها معشوقة الدل عاشقه
تبيت وأرض السوس بينى وبينها * وسولاف رستاق حمته الأزارقه
اذا نحن شئنا صادفتنا عصابة * حرورية أضحت من الدين مارقه

وكان مقدار من أصاب على صلوات الله عليه منهم بالنهروان ألفين وثمانى مائة فى أصح الاقاويل وكان عددهم ستة آلاف وكان منهم بالكوفة زهاء ألفين ممن يسر أمره ولم يشهد الحرب فخرج منهم رجل بعد أن قال على رضوان الله عليه ارجعوا وادفعوا الينا قاتل عبد الله بن خباب فقالوا كلنا قتله وشرك فى دمه ثم حمل منهم رجل على صف على وقد قال على لا تبدؤهم بقتال فقتل من أصحاب على ثلاثة وهو يقول

أقتلهم ولا أرى عليا * ولو بدا أوجرته الخطيا

فخرج اليه على صلوات الله عليه فقتله فلما خالطه السيف قال حبذا الروحة الى الجنة فقال عبد الله بن وهب ما أدرى أالى الجنة أم الى النار فقال رجل من سعد انما حضرت اغترارا بهذا وأراه قد شك فانخزل بجماعة من أصحابه ومال ألف الى ناحية أبى أيوب الانصارى وكان رحمه الله على ميمنة على وجعل الناس يتسللون وقد قال على وقيل له انهم يريدون الجسر فقال لن يبلغوا النطفة وجعل الناس يقولون له فى ذلك حتى كادوا يشكون ثم قالوا قد رجعوا يا أمير المؤمنين فقال والله ما كذبت ولا كذبت ثم خرج اليهم فى أصحابه وقد قال

انهم انه والله ما يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة فقتل من أصحابه تسعة وأفلت منهم ثمانية ﴿قال أبو العباس وقيل أول من حكم ولفظ بالحكومة ولم يشذ بها رجل من بنى سعد ابن زيد مناة بن تميم بن مر من بنى صريم يقال له الحجاج بن عبد الله ويعرف بالبرك وهو الذى ضرب معاوية على أليته فانه لما سمع بذكر الحكمين قال أيحكم فى دين الله لا حكم الا لله فسمعه سامع فقال طعن والله فأنفذ وأول من حكم بين الصفين رجل من بنى يشكر بن بكر بن وائل فانه كان فى أصحاب على فحمل على رجل منهم فقتله غيلة ثم مرق بين الصفين فحكم وحمل على أصحاب معاوية فكثروه فرجع الى ناحية على صلوات الله عليه فحمل على رجل منهم فخرج اليه رجل من همدان فقتله فقال شاعر همدان

ما كان أغنى اليشكرى عن التى * تصلى بها جمرا من النار حاميا

غداة ينادى والرماح تنوشه * خلعت عليا باديا ومعاويا

وجاء فى الحديث أن عليا رضى الله عنه تلى بحضرته قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقال على أهل حروراء منهم وروى عن على صلوات الله عليه أنه خرج فى غداة يوقظ الناس للصلاة فى المسجد فمر بجماعة تتحدث فسلم وسلموا عليه فقال وقبض على لحيته ظننت أن فيكم أشقاها الذى يخضب هذه من هذه وأومأ بيده الى هامته ولحيته ومن شعر على بن أبى طالب الذى لا اختلاف فيه أنه قاله وانه كان يردده أنهم لما سامره أن يقر بالكفر ويتوب حتى يسيروا معه الى الشام فقال

أبعد صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفقه فى الدين أرجع كافرا

يا شاهد الله على فاشهد * أنى على دين النبى أحمد

* من شك فى الله فانى مهتدى *

ويروى * أنى توليت ولى أحمد * ويروى أن رجلا اسود شديد بياض الثياب وقف على

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنائم خيبر ولم تكن الا لمن شهد الحديبية فأقبل ذلك الاسود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عدلت منذ اليوم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رؤى الغضب فى وجهه فقال عمر بن الخطاب ألا أقتله يارسول الله فقال رسول الله انه سيكون لهذا ولاصحابه نبأ وفى حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ويحك فمن يعدل اذا لم أعدل ثم قال لابى بكر اقتله فمضى ثم رجع فقال يارسول الله رأيته راكعا ثم قال لعمر اقتله فمضى ثم رجع فقال يارسول الله رأيته ساجدا ثم قال لعلى اقتله فمضى ثم رجع فقال يارسول الله لم أره فقال رسول الله لو قتل هذا ما اختلف اثنان فى دين الله قال أبو العباس وحدثنى ابراهيم بن محمد التيمى قاضى البصرة فى اسناد ذكره أن عليا رضى الله عنه وجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهبة من اليمن فقسمها أرباعا فأعطى ربعا للاقرع بن حابس المجاشعى وربعا لزيد الخيل الطائى وربعا لعيينة بن حصن الفزارى وربعا لعلقمة بن علاثة الكلابى فقام اليه رجل مضطرب الخلق غائر العينين ناتئ الجبهة فقال لقد رأيت قسمة ما أريد بها وجه الله فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورد خداه ثم قال أيأمننى الله عز وجل على أهل الارض ولا تأمنونى فقام اليه عمر فقال ألا أقتله يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم انه سيكون من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية تنظر فى النصل فلا ترى شيأ وتنظر فى الرصاف فلا ترى شيأ وتتمارى فى الفوق قوله صلى الله عليه وسلم من ضئضئ هذا أى من جنس هذا يقال فلان من ضئضئ صدق ومن محتد صدق وفى مركب صدق وقال جرير الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبى عقيل وهو ابن عم الحجاج وكان عامله على البصرة

أقبلن من نهلان أو وادى خيم * على قلاص مثل خيطان السلم

اذا قطعن علما بدا علم * حتى أنخناها الى باب الحكم

خَلِيفَةِ الحَجَّاجِ غَيْرِ المُتَّهَمْ * فِي ضِئْضِئِ المَجْدِ وَبُحْبُوحِ الكَرَمْ

ويقال مَرَقَ السهم من الرمية اذا انفذ منها واكثر ما يكون ذلك أن لا يَعْلَقَ به من دمها شئ وأقطع ما يكون السيف اذا سبق الدم قال امرؤ القيس بن عابس الكندي

وقد اختلس الضربة لا يدمى لها نصلي

فاما ما وضعه الاصمعي في كتاب الاختيار فعلى غلط وضع وذكر الاصمعي أن الشعر لاسحق ابن سُوَيْدٍ الفقيه وهو لا عرابي لا يَعْرِفُ المقالات التي يَمِيلُ اليها أهلُ الأهْواء أنشد الاصمعي

بَرِئْتُ من الخوارج لَسْتُ منهم * من الغَزَّالِ منهم وابن بابِ

ومن قومٍ اذا ذكروا عليًّا * يَرُدُّونَ السَّلامَ على السَّحابِ

ولكني أُحِبُّ بكل قلبي * وأعلم أن ذاكَ من الصَّوابِ

رسولَ الله والصدّيقَ حُبًّا * به أرجو غدًا حُسْنَ الثَّوابِ

فان قوله من الغزال منهم يعني واصلَ بن عطاء وكان يُكْنَى أبا حُذَيْفة وكان معتزليا ولم يكن غزالا ولكنه كان يلقب بذلك لانه كان يَلْزَمُ الغَزَّالِينَ لِيَعْرِفَ المُتَعَفِّفاتِ من النساء فيجعل صَدَقَتَهُ لهنَّ وكان طويلَ العُنُقِ ويروى عن عمرو بن عُبَيْدٍ أنه نظر اليه من قبل أن يكلمه فقال لا يُفْلِحُ هذا ما دامتْ عليه هذه العنق وقال بَشَّارُ بنُ بُرْدٍ يهجو واصلَ ابن عطاء

ماذا مُنِيتُ بغَزَّالٍ له عُنُقٌ * كنِقْنِقِ الدَّوِّ انْ وَلَّى وان مَثَلا

عُنْقَ الزَّرافة ما بالي وبالُكُمُ * تُكَفِّرُونَ رجالًا أكْفَرُوا رَجُلا

ويروى لا بل كانه لا يشكّ فيه ان بشارا كان يتعصب للنار على الارض ويصوّب رأي ابليس لعنه الله في امتناعه من السجود لآدم عليه السلام ويروى له

الارض مظلمة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار

فهذا ما بر و به المتكلمون وقتله المهدي على الالحاد وقد روى قوم أن كتبه فتشت فلم يصب فيها شئ مما كان يرمى به وأصيب له كتاب فيه انى أردت هجاء آل سليمان بن على فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسكت عنهم (الا انى قلت

دينار آل سليمان ودرهمهم * كبابليين حفا بالعفاريت

لا يرجيان ولا يرجى نوالهما * كما سمعت بهاروت وماروت)

وحدثنى المازنى قال قال رجل لبشار أتأكل اللحم وهو مباين لديانتك يذهب الى أنه ثنوى قال فقال بشار ليسوا يدرون أن اللحم يدفع عنى شر هذه الظلمة وكان واصل بن عطاء أحد الأعاجيب وذلك أنه كان ألثغ قبيح اللثغة فى الراء فكان يخلص كلامه من الراء ولا يفطن بذلك لاقتداره وسهولة ألفاظه ففى ذلك يقول شاعر من المعتزلة يمدحه باطالته الخطب واجتنابه الراء على كثرة ترددها فى الكلام حتى كانها ليست فيه

عليم بابدال الحروف وقامع * لكل خطيب يغلب الحق باطله

وقال آخر

ويجعل البر قمحا فى تصرفه * وخالف الراء حتى احتال للشعر

ولم يطق مطرا والقول يعجله * فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر

ومما يحكى عنه قوله وذكر بشارا أما لهذا الاعمى المكتنى بابى معاذ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت اليه من يبعج بطنه على مضجعه ثم لا يكون الا سدوسيا أو عقيليا فقال هذا الاعمى ولم يقل بشارا ولا ابن برد ولا الضرير وقال من أخلاق الغالية ولم يقل المغيرية ولا المنصورية وقال لبعثت اليه ولم يقل لارسلت اليه وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه ولا مرقده وقال يبعج ولم يقل يبقر وذكر بنى عقيل لان

بشارا كان يتوالى اليهم وذكر بنى سدوس لانه كان نازلا فيهم واجتناب الحروف شديد
قال ولما سقطت ثنايا عبد الملك قال والله لولا الخطبة والنساء ما حفلت بها قال وخطب الجمحى
وكان منزوع احدى الثنيتين وكان يصفر اذا تكلم فأجاد الخطبة وكانت لنكاح فرد عليه
زيد بن على بن الحسين كلاما جيدا الا انه فضله بتمكن الحروف وحسن مخارج الكلام فقال
عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يذكر ذلك

صحت مخارجها وتم حروفها * فله بذاك مزية لا تنكر

المزية الفضيلة واما قوله وابن باب فانه عمرو بن عبيد بن باب وكان مولى بنى العدوية من
بنى مالك بن حنظلة فهذان معتزليان وليسا من الخوارج ولكن قصد اسحق بن سويد الى أهل
البدع والأهواء ألا تراه ذكر الرافضة معهما فقال

ومن قوم اذا ذكروا عليا * أشاروا بالسلام على السحاب

ويروى * يردون السلام على السحاب * ثم نرجع الى ذكر الخوارج قال فلما قتل على أهل
النهروان وكان بالكوفة زهاء ألفين من الخوارج ممن لم يخرج مع عبد الله بن وهب وقوم
ممن استأمن الى أبى أيوب الانصارى فتجمعوا وأمروا عليهم رجلا من طيئ فوجه اليهم على
صلوات الله عليه رجلا وهم بالنخيلة فدعاهم ورفق بهم فأبوا فعاودهم فأبوا فقتلوا جميعا
فخرجت طائفة منهم نحو مكة فوجه معاوية من يقيم للناس حجهم فناوشه هؤلاء الخوارج
فبلغ ذلك معاوية فوجه بسر بن أرطاة أحد بنى عامر بن لؤى فتوافقوا وتراضوا بعد الحرب
بان يصلى بالناس رجل من بنى شيبة لئلا يفوت الناس الحج فلما انقضى نظرت الخوارج فى
أمرها فقالوا ان عليا ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الامة فلو قتلناهما لعاد الامر الى حقه
وقال رجل من أشجع والله ما عمرو دونهما وانه لأصل هذا الفساد فقال عبد الرحمن بن ملجم
انا أقتل عليا فقالوا وكيف لك به قال أغتاله فقال الحجاج بن عبد الله الصريمى وهو البرك وأنا

أقتل معاويه وقال زاذويه مولى بني العنبر بن عمرو بن تميم وأنا أقتل عمرا فأجمع رأيهم على
أن يكون قتلهم في ليلة واحدة فجعلوا تلك الليلة ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان
فخرج كل واحد منهم الى ناحيته فأتى ابن ملجم الكوفة فأخفى نفسه وتزوج امرأة يقال لها
قطام بنت علقمة من تيم الرباب وكانت ترى رأي الخوارج والاحاديث تختلف وانما نؤثر
صحيحها ويروى في بعض الاحاديث أنها قالت لا أقنع منك الا بصداق اسميه لك وهو ثلاثة
آلاف درهم وعبد وأمة وأن تقتل عليا فقال لها لك ما سألت فكيف لي به قالت تروم ذلك
غيلة فان سلمت أرحت الناس من شر وأقمت مع أهلك وان أصبت سرت الى الجنة ونعيم
لا يزول فانعم لها وفي ذلك يقول

ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب علي بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من علي وان غلا * ولا قتل الا دون قتل ابن ملجم

وقد ذكروا أن القاصد الى معاويه يزيد بن ملجم والقاصد الى عمرو آخر من بني ملجم وأن
أباهم نهاهم فلما عصوه قال استعدوا للموت وأن أمهم حضتهم على ذلك والخبر الصحيح
ما ذكرت لك أول مرة فأقام ابن ملجم فيقال ان امرأته قطام لامته وقالت ألا تمضي لما
قصدت لشد ما أحببت أهلك قال اني قد وعدت صاحبي وقتا بعينه وكان هنالك رجل من
أشجع يقال له شبيب فواطأه عبد الرحمن ويروى أن الاشعث نظر الى عبد الرحمن متقلدا
سيفا في بني كندة فقال يا عبد الرحمن أرني سيفك فأراه فرأى سيفا حديدا فقال ما تقلدك
السيف وليس بأوان حرب فقال اني أردت أن أنحر به جزور القرية فركب الاشعث بغلته
وأتى عليا صلوات الله عليه تخبره وقال له قد عرفت بسالة ابن ملجم وفتكه فقال علي ما قتلني
بعد ويروى أن عليا رضوان الله عليه كان يخطب مرة ويذكر أصحابه وابن ملجم تلقاء المنبر
فسمع وهو يقول والله لأريحنهم منك فلما انصرف علي صلوات الله عليه الى بيته أتي به

ملبّياً فأشرف عليهم فقال ما تريدون نخبروه بما سمعوا فقال ما قتلني بعد فخلّوا عنه ويروى أن عليا كان يتمثل اذا رآه ببيت عمرو بن معدي كرب في قيس بن مكشوح المرادي والمكشوح هبيرة واغا سمي بذلك لانه ضرب على كشحه

أريد حياءه ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مراد

فينتهي من ذلك حتى أكثر عليه فقال له المرادي ان قضي شئ كان فقيل لعلي كأنك قد عرفته وعرفت ما يريد بك أفلا تقتله فقال كيف أقتل قاتلي فلما كان ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان خرج ابن ملجم وشبيب الاشجعي فاعتورا الباب الذي يدخل منه علي رضي الله عنه وكان مغلّسا ويوقظ الناس للصلاة فخرج كما كان يفعل فضربه شبيب فأخطأه وأصاب سيفه الباب وضربه ابن ملجم على صلعته فقال علي فزت ورب الكعبة شأنكم بالرجل فيروى عن بعض من كان بالمسجد من الانصار قال سمعت كلمة علي ورأيت بريق السيف فأما ابن ملجم فحمل على الناس بسيفه فأفرجوا له وتلقاه المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بقطيفة فرمى بها عليه واحتمله فضرب به الارض وكان المغيرة أيدا فقعد على صدره وأما شبيب فانتزع السيف منه رجل من حضرموت وصرعه وقعد على صدره وكثر الناس فجعلوا يصيحون عليكم صاحب السيف فخاف الحضرمي أن يكبوا عليه ولا يسمعوا عذره فرمى بالسيف وانسلّ شبيب بين الناس فدخل على علي رضوان الله عليه فأمر فيه فاختلف الناس في جوابه فقال علي ان أعش فالامر الي وان أصب فالامر لكم فان آثرتم أن تقتصوا فضربة بضربة وأن تعفوا أقرب للتقوى وقال قوم بل قال وان أصبت فاضربوه ضربة في مقتله فأقام علي يومين فسمع ابن ملجم الرنة من الدار فقال له من حضره أي عدو الله انه لا بأس على أمير المؤمنين فقال أعلى من تبكي أم كلثوم أعلي أما والله لقد اشتريت سيفي بألف درهم وما زلت أعرضه فما يعيبه أحد الا أصلحت ذلك العيب ولقد أسقيته السم حتى لفظه ولقد

ضربته ضربة لو قسمت على من بالمشرق لأتت عليهم ومات على صلوات الله ورضوانه عليه ورحمته فى آخر اليوم الثالث فدعا به الحسن رضى الله عنه فقال ان لك عندى سرا فقال الحسن رضوان الله عليه أتدرون ما يريد يريد أن يقرب من وجهى فيعض أذنى فيقطعها فقال أما والله لو أمكننى منها لاقتلعتها من أصلها فقال الحسن كلا والله لأضربنك ضربة تؤديك الى النار فقال لو علمت أن هذا فى يديك ما اتخذت الها غيرك فقال عبد الله بن جعفر يا ابا محمد ادفعه الى أشف نفسى منه فاختلفوا فى قتله فقال قوم أحمى له ميلين وكحله بهما فجعل يقول انك يا ابن أخى لتكحل بملمول مضاضين وقال قوم بل قطع يديه ورجليه وقال قوم بل قطع رجليه وهو فى ذلك يذكر الله عزوجل ثم عمد الى لسانه فشق ذلك عليه فقيل له لم تجزع من قطع يديك ورجليك ونراك قد جزعت من قطع لسانك فقال نعم أحببت أن لا يزال فى بذكر الله رطبا ثم قتله ويروى أن عليا رضى الله عنه أتى بابن ملجم وقيل له انا قد سمعنا من هذا كلاما فلا نأمن قتله لك فقال ما أصنع به ثم قال على رضوان الله عليه

اشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت * اذا حل بواديكا

والشعر انما يصح بأن تحذف اشدد فتقول

حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا

ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما عليه المعنى ولا يعتدون به فى الوزن ويحذفون من من الوزن علما بان المخاطب يعلم ما يريدونه فهو اذا قال حيازيمك للموت فقد أضمر اشدد فأظهره ولم يعتد به قال وحدثنى أبو عثمان المازنى قال فصحاء العرب ينشدون كثيرا

لسعد بن الضباب اذا غدا * أحب الينا منك فافرس حمر

وانما الشعر * لعمرى لسعد بن الضباب اذا غدا * وأما الحجاج بن عبد الله الصرعى

وهو البرك فإنه ضرب معاوية مصليا فأصاب ما أمكنه وكان معاوية عظيم الأوراك فقطع منه عرقا يقال عرق النكاح فلم يولد لمعاوية بعد ذلك ولد فلما أخذ قال الأمان والبشارة قتل علي في هذه الصبيحة فاستوثق به حتى جاء الخبر فقطع معاوية يده ورجله فأقام بالبصرة فبلغ زيادا أنه قد ولد له فقال أيولد له وأمير المؤمنين لا يولد له فقتله هذا أحد الخبرين ويروى أن معاوية قطع يديه ورجليه وأمر باتخاذ المقصورة فقيل لابن عباس بعد ذلك ما أول المقصورة فقال يخافون أن يبهظهم الناس وأما ذاذويه فإنه أرصد لعمرو واشتكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة وخرج خارجة وهو رجل من بني سهم بن عمرو بن هصيص رهط عمرو بن العاصي فضربه ذاذويه فقتله فلما أدخل به على عمرو فرآهم يخاطبونه بالامرة قال أوما قتلت عمرا قيل لا إنما قتلت خارجة فقال أردت عمرا والله أراد خارجة وقال أبو زبيد الطائي يرثي علي بن أبي طالب صلوات الله عليه

إن الكرام على ما كان من خلق * رهط امرئ خاره للدين مختار
طب بصير باضغان الرجال ولم * يعدل بحبر رسول الله أحبار
وفطرة فطرت اذحان موعدها * وكل شيء له وقت ومقدار
حتى تنصلها في مسجد طهر * على امام هدى ان معشر جاروا
حمت ليدخل جنات أبو حسن * وأوجبت بعده للقاتل النار

قوله خاره إنما هو اختاره وهو فعله واختاره افتعله كما تقول قدر عليه واقتدر عليه وقوله بصير باضغان الرجال فهي أسرارها ومخبآتها قال الله تعالى فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم والحبر العالم ويروى أن عليا رضوان الله عليه مر بيهودي يسأل مسلما عن شيء من أمر الدين فقال له علي اسألني ودع الرجل فقال له يا أمير المؤمنين أنت حبر أي عالم قال علي أن تسأل عالما أجدى لك وقوله حتى تنصلها يريد استخرجها وقوله حمت معناه قدرت قال الكميت

والوصيُّ الذى أمالَ التَّجوبيُّ به عرشَ أُمَّةٍ لانهدام

قتلوا يوم ذاك اذ قتلوه * حكمًا لا كغابر الحُكَّام

الإمامَ الزكيَّ والفارسَ المُعْلَم تحت العَجاج غير الكَهام

راعيًا كان مُسْجِحًا ففقدنا * هُ وفَقْدُ المسيم هُلْكُ السَّوام

قوله الوصى فهذا شيء كانوا يقولونه ويكثرون فيه قال ابن قيس الرُّقيَّات

نحنُ منا النبيُّ أحمدُ والصديقُ منا التَّقيُّ والحكماء

وعليٌّ وجعفرٌ ذو الجناحين هُناكَ الوصيُّ والشُّهداءُ

وقال كُثيِّر لما حبس عبدُ الله بن الزبير محمدَ بن الحنفيَّة فى خمسة عشر رجلا من أهله فى سجن عارم

تُخبِّر مَنْ لاقيتَ أنكَ عائذٌ * بل العائذُ المحبوسُ فى سجن عارم

وصيُّ النبيِّ المصطفى وابنُ عمِّه * وفكَّاكُ أعناقٍ وقاضى مغارم

أراد ابن وصيِّ النبيِّ والعربُ تُقيمُ المضافَ اليه فى هذا الباب مُقامَ المضاف كما قال الآخر

صبحنَ من كاظمةَ الخُصَّ الخَرِبْ * يحملنَ عبَّاسَ بنَ عبد المُطَّلبْ

يريد ابن عباس رضى الله عنه وقال الفرزدق لسليمان بن عبد الملك

ورثتم ثيابَ المجدِ فهى لَبوسُكم * عن ابنَى منافٍ عبدِ شمسٍ وهاشم

يريد ابنى عبد مناف وقال أبو الأسود

أُحبُّ محمدًا حبًّا شديدًا * وعبَّاسًا وحمزةَ والوصيَّا

أُحبُّهمُ لحبِّ الله حتى * أجيءَ اذا بُعثتُ على هَوِيَّا

هوًى أُعطيتُه منذ استدارت * رحى الإسلام لم يعدل سَوِيَّا

(الهوى والسواء الذى قد سوَّى الله خَلْقَه لا زمانةَ به ولا داء وفى القرآن بَشَرًا سَوِيًّا وتقول

سارت ذلك بهذا الامر أى جعلته مثلا له)

يقول الارذلون بنو قشير * طوال الدهر ما تنسى عليا
بنو عم النبي واقربوه * أحب الناس كلهم اليا
فان يك حبهم رشدا أصبه * وليس بمخطئ ان كان غيا

(ويروى ولست) وكان بنو قشير عثمانية وكان أبو الاسود نازلا فيهم فكانوا يرمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاه مرة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم والله لو كان الله يرميني لما أخطأني (قال وكان نقش خاتمه

يا قائلى حسبك من غالب * ارحم على بن أبى طالب)

وقوله غير الكهام فالكهام الكليل من الرجال والسيوف يقال سيف كهام وقوله

راعيا كان مسجحا ففقدنا * ه وفقد المسيم هلك السوام

فالمسيم الذى يسيم ابله أو غنمه ترعى وكذلك كل شئ من الماشية فجعل الراعى للناس كصاحب الماشية الذى يسيمها ويسوسها ويصلحها ومتى لم يرجع أمر الناس الى واحد فلا نظام لهم ولا اجتماع لامورهم قال ابن الرقيات

أيها المشتهى فناء قريش * بيد الله عمرها والفناء
ان تودع من البلاد قريش * لا يكن بعدهم لحى بقاء
لو تقفى ويترك الناس كانوا * غنم الذئب غاب عنها الرعاء

وقال الحميرى يعنى عليا رضوان الله عليه

كان المسيم ولم يكن الا لمن * لزم الطريقة واستقام مسيما

ولما سمع على صلوات الله عليه نداءهم لا حكم الا لله قال كلمة عادلة يراد بها جور انما يقولون لا امارة ولا بد من امارة برة أو فاجرة ورووا أن عليا رضى الله عنه لما أوصى الى الحسن فى وقف

أمواله وأن يجعل فيها ثلاثة من مواليه وقف فيها عين أبي نيزر والبغيبغة وهذا غلط لأن
وقفه لهذين الموضعين لسنتين من خلافته حدثنا أبو محلم محمد بن هشام في اسناد ذكره آخره
أبو نيزر وكان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الأعاجم قال وصح عندي بعد أنه من ولد النجاشي
فرغب في الاسلام صغيرا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وكان معه في بيوته فلما
توفي رسول الله صار مع فاطمة وولدها عليه السلام قال أبو نيزر جاءني علي بن أبي طالب وأنا
أقوم بالضيعتين عين أبي نيزر والبغيبغة فقال لي هل عندك من طعام فقلت طعام لا أرضاه
لأمير المؤمنين قرع من قرع الضيعة صنعته باهالة سنخة فقال علي به فقام الى الربيع وهو
جدول فغسل يده ثم أصاب من ذلك شيأ ثم رجع الى الربيع فغسل يديه بالرمل حتى أنقاهما
ثم ضم يديه كل واحدة منهما الى أختها وشرب بهما حسا من ماء الربيع ثم قال يا أبا نيزر ان
الأكف أنظف الآنية ثم مسح ندى ذلك الماء على بطنه وقال من أدخله بطنه النار فأبعده
الله ثم أخذ المعول وانحدر في العين فجعل يضرب وأبطأ عليه الماء فخرج وقد تفضج جبينه
عرقا فانتكف العرق عن جبينه ثم أخذ المعول وعاد الى العين فأقبل يضرب فيها وجعل يهمهم
فانثالت كأنها عنق جزور فخرج مسرعا فقال أشهد الله أنها صدقة علي بدواة وصحيفة قال
فعجلت بهما اليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين
تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل
ليقي الله بهما وجهه حر النار يوم القيامة لا تباعا ولا توهبا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين
الا أن يحتاج اليهما الحسن أو الحسين فهما طلق لهما وليس لأحد غيرهما قال محمد بن هشام
فركب الحسين رضي الله عنه دين فحمل اليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار فأبى
أن يبيع وقال انما تصدق بها أبي ليقي الله بها وجهه حر النار ولست بائعها بشيء وتصدقت
الزبيريون أن معاوية كتب الى مروان بن الحكم وهو والي المدينة أما بعد فان أمير المؤمنين

أحب أن يرد الألفة ويسل السخيمة ويصل الرحم فإذا وصل اليك كتابي فاخطب الى عبد الله
ابن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد ابن أمير المؤمنين وارغب له في الصداق فوجه مروان
الى عبد الله بن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية وأعلمه بما في رد الألفة من صلاح ذات البين
واجتماع الدعوة فقال عبد الله ان خالها الحسين بينبع وليس ممن يفتات عليه بأمر فأنظرني
الى أن يقدم وكانت أمها زينب بنت على بن أبي طالب صلوات الله عليه فلما قدم الحسين ذكر
ذلك له عبد الله بن جعفر فقام من عنده فدخل الى الجارية فقال يا بنية ان ابن عمك القاسم
ابن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحق بك ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد نحلتك البغيبغات
فلما حضر القوم للإملاك تكلم مروان بن الحكم فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحم
وجمع الكلمة فتكلم الحسين فزوجها من القاسم فقال له مروان أغدراً يا حسين فقال أنت
بدأت خطب أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام عائشة بنت عثمان بن عفان واجتمعنا
لذلك فتكلمت أنت فزوجتها من عبد الله بن الزبير فقال مروان ما كان ذلك فالتفت الحسين
الى محمد بن حاطب فقال أنشدك الله أكان ذلك قال اللهم نعم فلم تزل هذه الضيعة في يدي بني
عبد الله بن جعفر من ناحية أم كلثوم يتوارثونها حتى ملك أمير المؤمنين المأمون فذكر ذلك
له فقال كلا هذا وقف على بن أبي طالب صلوات الله عليه فانتزعها من أيديهم وعوضهم
عنها وردها الى ما كانت عليه ۞ قال أبو العباس رجع الحديث الى ذكر الخوارج وأمر
علي بن أبي طالب قال يروى أن علياً في أول خروج القوم عليه دعا صعصعة بن صوحان
العبدي وقد كان وجهه اليهم وزياد بن النضر الحارثي مع عبد الله بن العباس فقال لصعصعة
بأي القوم رأيتهم أشد اطافة فقال بيزيد بن قيس الأرحبي فركب علي اليهم الى حروراء فجعل
يتخللهم حتى صار الى مضرب يزيد بن قيس فصلى فيه ركعتين ثم خرج فاتكأ على قوسه وأقبل
على الناس ثم قال هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة أنشدكم الله أعلمتم أحداً منكم كان

أكره الحكومة منى قالوا اللهم لا قال أفعلمتم أنكم أكرهتمونى حتى قبلتها قالوا اللهم نعم قال
فعلام خالفتمونى ونابذتمونى قالوا انا أتينا ذنبا عظيما فتبنا الى الله فتب الى الله منه واستغفره
نعدلك فقال على انى أستغفر الله من كل ذنب فرجعوا معه وهم ستة آلاف فلما استقروا
بالكوفة أشاعوا أن عليا رجع عن التحكيم ورآه ضلالا وقالوا انما ينتظر أمير المؤمنين أن
يسمن الكراع ويجبى المال فينهض الى الشام فأتى الاشعث بن قيس عليا عليه السلام فقال
يا أمير المؤمنين ان الناس قد تحدثوا انك رأيت الحكومة ضلالا والاقامة عليها كفرا فخطب
على الناس فقال من زعم أنى رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالا فهو أضل
فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت فقيل لعلى انهم خارجون عليك فقال لا أقاتلهم حتى
يقاتلونى وسيفعلون فوجه اليهم عبد الله بن العباس فلما صار اليهم رحبوا به وأكرموه فرأى
منهم جباها قرحة لطول السجود وأيديا كثفنات الابل عليهم قمص مرحضة وهم مشمرون
فقالوا ما جاء بك يا أبا العباس فقال جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن
عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه ومن عند المهاجرين والانصار قالوا انا أتينا عظيما حين حكمنا
الرجال فى دين الله فان تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا فقال ابن عباس نشدتكم الله
الا ما صدقتم أنفسكم أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال فى أرنب تساوى ربع درهم تصاد
فى الحرم وفى شقاق رجل وامرأته فقالوا اللهم نعم فقال فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبية قالوا نعم ولكن عليا
محا نفسه من امارة المسلمين قال ابن عباس ليس ذلك بمزيلها عنه وقد محا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اسمه من النبوة وقد أخذ على على الحكمين أن لا يجورا وان يجورا فعلى أولى من
معاوية وغيره قالوا ان معاوية يدعى مثل دعوى على قال فأيهما رأيتموه أولى فولوه قالوا
صدقت قال ابن عباس متى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما قال فاتبعه منهم

آلاف وبقي أربعة آلاف فصلى بهم صلواتهم ابن الكواء وقال متى كانت حرب فرئيسكم شبث ابن ربعي الرياحي فلم يزالوا على ذلك يومين حتى أجمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي قال ومضى القوم إلى النهروان وكانوا أرادوا المضيّ إلى المداين (قال الاخفش كذا كان يقول المبرد النهروان بكسر النون والراء وانما هو النَّهْرَوان بالفتح وانشد للطرماح

*قلّ في شطّ نهروان

قاضي) قال أبو العباس فمن طريف أخبارهم أنهم أصابوا مسلما ونصرانيا فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني فقالوا احفظوا ذمة نبيكم ولقيهم عبد الله بن خباب وفي عنقه مصحف ومعه امرأته وهي حامل فقالوا ان هذا الذي في عنقك ليأمرنا أن نقتلك قال ما أحيا القرآن فأحيوه وما أماته فأميتوه فوثب رجل منهم على رطبة فوضعها في فيه فصاحوا به فلفظها تورعا وعرض لرجل منهم خنزير فضربه الرجل فقتله فقالوا هذا فساد في الارض فقال عبد الله بن خباب ما علي منكم بأس انى لمسلم قالوا له حدثنا عن أبيك قال سمعت أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسي مؤمنا ويصبح كافرا فكن عبد الله المقتول ولا تكن القاتل قالوا فما تقول في أبي بكر وعمر فأثنى خيرا فقالوا فما تقول في علي قبل التحكيم وفي عثمان ست سنين فأثنى خيرا قالوا فما تقول في الحكومة والتحكيم قال أقول ان عليا أعلم بكتاب الله منكم وأشد توقيا على دينه وأنفذ بصيرة قالوا انك لست تتبع الهدى انما تتبع الرجال على أسمائها ثم قربوه الى شاطئ النهر فذبحوه فامذقرّ دمه أي جرى مستطيلا على دقة وساموا رجلا نصرانيا بنخلة له فقال هي لكم فقالوا ما كنا لنأخذها الا بثمن قال ما أعجب هذا أتقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا جنى نخلة ومن طريف أخبارهم أن غيلان بن خرشة الضبي سمر ليلة عند زياد ومعه جماعة فذكر أمر الخوارج فانحى عليهم غيلان ثم انصرف بعد ليل الى منزله فلقيه أبو بلال مرداس ابن أدية فقال له يا غيلان قد بلغني ما كان منك الليلة عند هذا الفاسق من

ذكر هؤلاء القوم الذين شروا أنفسهم وباعوا آخرتهم بدنياهم ما يؤمنك أن يقال رجل منهم أحرص والله على الموت منك على الحياة فينفذ حضنيك برمحه فقال غيلان لن يبلغك أني ذكرتهم بعد الليلة ومرداس تنتحله جماعة من أهل الأهواء لتقشفه وبصيرته وصحة عبادته وظهور ديانته وبيانه تنتحله المعتزلة وتزعم أنه خرج منكرا لجور السلطان داعيا الى الحق وتحتج له بقوله لزياد حيث قال على المنبر والله لآخذن المحسن منكم بالمسيء والحاضر منكم بالغائب والصحيح بالسقيم فقام اليه مرداس فقال قد سمعنا ما قلت أيها الانسان وما هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه ابراهيم عليه السلام اذ يقول وابراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاصي ثم خرج في عقب هذا اليوم والشيع تنتحله وتزعم أنه كتب الى الحسين بن علي صلوات الله عليه اني لست أرى رأي الخوارج وما أنا الا على دين أبيك وهذا رأي قد اشتهى جماعة من الأشراف يروى أن المنذر بن الجارود كان يرى رأي الخوارج وكان يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف يراه وكان صالح بن عبد الرحمن صاحب ديوان العراق يراه وكان عدة من الفقهاء ينسبون اليه منهم عكرمة مولى ابن عباس وكان يقال ذلك في مالك بن أنس ويروي الزبيريون أن مالك بن أنس المدني كان يذكر عثمان وعليا وطلحة والزبير فيقول والله ما اقتتلوا الا على الثريد الأعفر فأما أبو سعيد الحسن البصري فانه كان ينكر الحكومة ولا يرى رأيهم وكان اذا جلس فتمكن في مجلسه ذكر عثمان فترحم عليه ثلاثا ولعن قتلته ثلاثا ويقول لو لم نلعنهم للعنا ثم يذكر عليا فيقول لم يزل أمير المؤمنين علي رحمه الله يتعرفه النصر ويساعده الظفر حتى حكم فلم تحكم والحق معك الا تمضي قدما لا أبا لك وأنت على الحق ۞ قال أبو العباس وهذه كلمة فيها جفاء والعرب تستعملها عند الحث على أخذ الحق والاغراء وربما استعملتها الجفاة من الأعراب عند

المسئلة والطلب فبقول القائل للامير والخليفة انظر فى أمر رعيتك لا أبالك وسمع سليمان ابن عبد الملك رجلا من الاعراب فى سنة جدبة يقول

رَبَّ العباد مالنا ومالكا * قد كنت تسقينا فما بدا لكا

* أنزل علينا الغيث لا أبا لكا *

فأخرجه سليمان أحسن مخرج فقال أشهد أنه لا أبا له ولا ولد ولا صاحبة وأشهد أن الخلق جميعا عباده وقال رجل من بنى عامر بن صعصعة أبعد من هذه الكلمة لبعض قومه

أبنى عقيل لا أبا لابيكم * أبى وأى بنى كلاب أكرم

وقال رجل من طيئ أنشده أبو زيد الانصارى

يا قرط قرط حيى لا أبا لكم * يا قرط انى عليكم خائف حذر

أأن روى من قش واصطاف أعنزه * من التلاع التى قد جادها المطر

قلتم له اهج تميما لا أبا لكم * فى كف عبدكم عن ذاكم قصر

فان بيت تميم ذو سمعت به * فيه تنمت وأرست عزها مضر

قوله يا قرط قرط حيى نصبهما معا أكثر على ألسنة العرب وتأويلهما أنهم أرادوا يا قرط حيى فأقحموا قرطا الثانى توكيدا وكذلك لجرير

يا تيم تيم عدى لا أبا لكم * لا يلقينكم فى سوأة عمر

ومثله لعمر بن لجأ

يا زيد زيد اليعملات الذبل * تطاول الليل عليك فانزل

فان لم ترد التوكيد والتكرير لم يجز الا رفع الاول يا زيد زيد اليعملات ويا تيم تيم عدى كما تقول يا زيد أخا عمرو على النعت ومثل الاول فى التوكيد يا بؤس للحرب أراد يا بؤس الحرب فأقحم اللام توكيدا لانها توجب الاضافة وعلى هذا جاء لا أبا لك ولا أبا لزيد ولولا الاضافة لم تثبت

الالف فى الاب لانك تقول رأيت أباك فاذا أفردت قلت هذا أب صالح وانما كانت لا أبالك

كما قال الشاعر

أبالموت الذى لابد أنى * ملاق لا أباك تخوفينى

وقال آخر

وقد مات شماخ ومات مزرد * وأى كريم لا أباك يخلد

وقوله آن روى من قش من رحل وروى استنق لاهله يقال فلان راوية أهله اذا كان يستنق لاهله والتى على البعير والحمار مزادة فاذا كبرت وعظمت وكانت من ثلاثة آدمة فهى المثلثة وأصغر منها السطيحة وأصغر هن الطبع وقوله واصطاف أعنزه يريد قتملت من الصيف أى أصابت البقل فيه والتلعة ما ارتفع من الارض فى مستقر المسيل اذا تجافى السيل عن متنه وجمعه تلاع وقوله ذو سمعت به يريد الذى وكذلك تفعل طيئ تجعل ذو فى معنى الذى قال زيد الخيل لبنى فزارة وذكر عامر بن الطفيل فقال

* انى أرى فى عامر ذو ترون * وقال عارق الطائى

فان لم تغير بعض ما قد فعلتم * لانتحين للعظم ذو أنا عارقه

يريد الذى ومن ظرفاء المحدثين اليمانية من يعمل هذا اعتمادا الايثار لغة قومه قال الحسن ابن هانئ الحكمى

حب المدامة ذو سمعت به * لم يبق فى لغيرها فضلا

وقال حبيب بن أوس الطائى

أنا ذو عرفت فان عرتك جهالة * فأنا المقيم قيامة العذال

وقال الحسن بن وهب الحارثى

هلا التى بذكرها علاتنى * واسقيانى أولا فلن تسقيانى

أنا إذ لم يزل يهون على النـ * ـدمان أن عزّ جانب النـدمان

ويكون العزيز في ساعة الرو * ع بصدق الطعان يوم الطعان

ثم عاد الحديث الى ذكر الخوارج قال أبو العباس وكان في جملة الخوارج لدد واحتجاج على كثرة خطبائهم وشعرائهم ونفاذ بصيرتهم وتوطين أنفسهم على الموت فمنهم الذي طعن فأنفذه الرمح فجعل يسعى فيه الى قاتله وهو يقول وعجلت اليك رب لترضى وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما وصفهم قال سيماهم التحليق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم علامتهم رجل مخدج اليد وفي حديث عبد الله بن عمرو رجل يقال له عمرو ذو الخويصرة أو الخنيصرة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نظر الى رجل ساجد الى أن صلى النبي عليه السلام فقال ألا رجل يقتله فحسر أبو بكر عن ذراعه وانتضى السيف وصمد نحوه ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أأقتل رجلا يقول لا اله الا الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا رجل يفعل ففعل عمر مثل ذلك فلما كان في الثالثة قصد له علي بن أبي طالب عليه السلام فلم يره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قتل لكان أول فتنة وآخرها وروى عن أبي مريم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه ذكر المخدج عند النبي عليه السلام فقال أبو مريم والله ان كان معنا لفي المسجد وكان فقيرا وكان يحضر طعام علي اذا وضعه للمسلمين ولقد كسوته برنسا لي فلما خرج القوم الى حروراء قلت والله لا نظرن الى عسكرهم فجعلت أتخللهم حتى صرت الى ابن الكواء وشبث بن ربعي ورسل علي تناشدهم حتى وثب رجل من الخوارج على رسول لعلي فضرب دابته بالسيف فحمل الرجل سرجه وهو يقول انا لله وانا اليه راجعون ثم انصرف القوم الى الكوفة فجعلت أنظر الى كثرتهم كأنما ينصرفون من عيد فرأيت المخدج وكان مني قريبا فقلت أكنت مع القوم فقال أخذت سلاحي أريدهم فاذا بجماعة من الصبيان قد عرضوا لي فأخذوا سلاحي وجعلوا يتلاعبون بي فلما كان يوم

النهر قال علي أطلبوا المُخْدَج فطلبوه فلم يجدوه حتى ساء ذلك عليا وحتى قال رجل لا والله يا أمير المؤمنين ما هو فيهم فقال علي والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ فجاء رجل فقال قد أصبناه يا أمير المؤمنين فخر علي ساجدا وكان اذا أتاه ما يُسَرُّ به من الفتوح سجد وقال لو أعلم شيأ أفضلَ منه لفعلته ثم قال سيماه أن يده كالثدي عليها شعرات كشارب السِّنَّوْرِ ايتوني بيده المُخْدَجة فأتوه بها فنصبها ويروى عن أبي الجلد أنه نظر الى نافع بن الازرق الحنفي والى نظره وتوغُّله وتعمُّقه فقال اني لاجد لجهنم سبعةَ أبواب وانَّ أشدَّها حرًّا للخوارج فاحذرْ أن تكون منهم قال وكان نافع بن الازرق يتتبَّعُ عبد الله بن العباس فيسأله فله عنه مسائل من القرآن وغيره قد رجع اليه في تفسيرها فقبله وانتحله ثم غلبتْ عليه الشقوةُ ونحن ذاكرون منها صدرا ان شاء الله حدَّثَ أبو عبيدة معمر بن المُثَنَّى التَّيْمِيُّ النَّسَّابةُ عن أسامةَ ابن زيد عن عكرِمةَ قال رأيت عبد الله بن العباس وعنده نافع بن الازرق وهو يسأله ويطلب منه الاحتجاج باللغة فسأله عن قول الله جل ثناؤه والليل وما وَسَقَ فقال ابن عباس وما جمع فقال أتعرفُ ذلك العربُ قال ابن عباس أما سمعتَ قول الراجز

انَّ لنا قلائصًا حقائقا * مُسْتَوْسِقاتٍ لو يجدْنَ سائقا

هذا قول ابن عباس وهو الحق الذي لا يَقْدَحُ فيه قادح ويَعْرِضُ القولُ فيحتاج المبتدئُ الى أن يزداد في التفسير قوله حقائقا انما يعني الحِقَّةَ من الابل وهي التي قد استحقت أن يُحْمَلَ عليها على فعيلة مثل حقيقة ولذلك جمعها على حقائق ويقال اسْتَوْسَقَ القومُ اذا اجتمعوا وروى أبو عبيدة في هذا الاسناد وروى ذلك غيره ومعناه من غير وجه أنه سأله عن قوله عز وجل قد جَعَلَ ربُّكِ تحتكِ سريا فقال ابن عباس هو الجدولُ فسأله عن الشاهد فأنشده

سَلْمًا ترى الدالجَ منها أزْوَرا * اذا يَعُبُّ في السَّرِيِّ هَرْهَرا

السَّلْمُ الدلو الذي له عروةٌ واحدة وهو دلو السَّقَّائين وهو الذي ذكره طَرَفَةُ فقال

لهامرفقان أفتلان كأنما * أمرا بسلمى دالج متشدد

والدالج الذى يمشى بالدلو بين البئر والحوض وأصحاب الحديث ينشدون ترى الدالى منه أزورا وهذا خطأ لا وجه له وروى أبو عبيدة وغيره أن نافعا سأل ابن عباس عن قوله عتل بعد ذلك زنيم ما الزنيم قال هو الدعى الملزق أما سمعت قول حسان بن ثابت

زنيم تداعاه الرجال زيادة * كما زيد فى عرض الاديم الاكارع

ويزعم أهل اللغة أن اشتقاق ذلك من الزنمة التى بحلق الشاة كما يقولون لمن دخل فى قوم ليس منهم زعنفة (الام زعنفة بالكسر) والجمع زعانف والزعنفة الجناح من أجنحة السمك (قال أبو الحسن الاخفش كذا قال زعنفة والناس كلهم يقولون زعنفة بكسر الزاى وهو الوجه) وروى عن غير أبى عبيدة أنه سأله عن قوله جل اسمه والتفت الساق بالساق قال الشدة بالشدة فسأله عن الشاهد فأنشده

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

قال أبو العباس وقرأت على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قصيدة جرير التى يهجو فيها آل المهلب بن أبى صفرة ويمدح هلال بن أحوز المازنى ويذكر الوقعة التى كانت لهم عليهم بالهند فى سلطان يزيد بن عبد الملك بسبب خروج يزيد بن المهلب عليه

أقول لها من ليلة ليس طولها * كطول الليالى ليت صبحك نورا

أخاف على نفس ابن أحوز انه * جلا حمما فوق الوجوه فأسفرا

(قال الشيخ أبو يعقوب الذى رويت فى شعر جرير

حذارا على نفس ابن أحوز انه * جلا كل وجه من معد فأسفرا

وقوله عدى يعنى عدى بن أرطاة الفزارى قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط وكان

عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله)

جعلت لقبر للخيار ومالك * وقبر عدي في المقابر أقبرا

(و يروى الخيار وواسط الخيار موضع بعمان فيه قبر الخيار بن سبرة المجاشعي وواسط بها قبر عدي بن أرطاة الفزاري)

وأطفأت نيران المزون وأهلها * وقد حاولوها فتنة أن تسعرا

(المزون عمان بالفارسية)

فلم تبق منهم راية يعرفونها * ولم تبق من آل المهلب عسكرا

ألا رب سامي الطرف من آل مازن * اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

فهذا نظير ذلك والمزون عمان قال الكميت

فأما الازد أزد أبي سعيد * فأكره أن أسميها المزونا

وقال آخر يعني الحرب

فان شمرت لك عن ساقها * فويها حذيف ولا تسأم

(تقول ويها لزيد اذا زجرته عن الشيء فأغريته به وواهاله اذا تعجبت منه وحذيف يريد حذيفة فرخم) و يروى عن أبي عبيدة من غير وجه أن نافع بن الازرق سأل ابن عباس فقال أرأيت نبي الله سليمان صلى الله عليه وسلم مع ما خوله الله وأعطاه كيف عني بالهدهد على قلته وضؤولته فقال له ابن عباس انه احتاج الى الماء والهدهد قناء الارض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فسأل عنه لذلك قال ابن الازرق قف ياوقاف كيف يبصر ما تحت الارض والفخ يغطى له بمقدار اصبع من تراب فلا يبصره حتى يقع فيه فقال ابن عباس ويحك يا ابن الازرق أما علمت أنه اذا جاء القدر عشي البصر ومما سأله عنه لم ذلك الكتاب فقال ابن عباس تأويله هذا القرآن هكذا جاء ولا أحفظ عليه شاهدا عن ابن عباس وأنا أحسبه أنه لم يقبله

الا بشاهد وتقدير عند النحويين اذا قال ذلك الكتاب أنهم قد كانوا وعدوا كتابا هكذا التفسير كما قال جل ثناؤه فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به يعني بذلك اليهود وقال يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فمعناه هذا الكتاب الذي كنتم تتوقعونه وبيت خفاف ابن ندبة على ذلك يصح معناه وكان من خبره أنه غزا مع معاوية بن عمرو أخي خنساء مرة وفزارة فعمدا بنا حرملة دريد وهاشم المريان عمد معاوية فاستطرد له أحدهما فحمل عليه معاوية فطعنه وحمل الآخر على معاوية فطعنه متمكنا وكان صميم الخيل فلما تنادوا قتل معاوية قال خفاف ابن ندبة وهي أمه وكانت حبشية وأبوه عمير أحد بني سليم بن منصور قتلني الله ان رمت حتى أثأر به فحمل على مالك بن حمار وهو سيد بني شمخ بن فزارة فطعنه فقتله فقال خفاف ابن ندبة

ان تك خيلي قد أصيب صميمها * فعمدا على عيني تيممت مالكا

وقفت له علوى وقد خام صحبتي * لأبني مجدا أو لأثأر هالكا

أقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انني أنا ذلكا

يريد أنا ذلك الذي سمعت به هذا تأويل هذا وقوله يأطر متنه أي يثني يقال أطرت القوس آطرها أطرا وهي مأطورة وعلوى فرسه ومما سأله عنه قوله عز وجل لهم أجر غير ممنون فقال ابن عباس غير مقطوع فقال هل تعرف ذلك العرب فقال قد عرفه أخو بني يشكر حيث يقول

وترى خلفهن من سرعة الرجـ * ـع منينا كأنه اهباء

قال أبو العباس منين يعني الغبار وذلك أنها تقطعه قطعا وراءها والمنين الضعيف المؤذن بانقطاع أنشدني التوزي عن أبي زيد

يا ريها ان سلمت يميني * وسلم الساقي الذي يليني

* ولم تخني عقد المنين *

يريد الجبل الضعيف فهذا هو المعروف ويقال منين ومَمنون كقتيل ومقتول وجريح ومجروح وذكر التوّزى فى كتاب الاضداد أن المَنين يكون القوىّ يجعله فعيلا من المُنّة والمعروف هو الاول وقال غير ابن عباس لهم أجر غير ممنون لا يمنّ عليهم فيكدّر عندهم وروى من غير وجه أن ابن الازرق أتى ابن عباس فجعل يسائله حتى أملّه فجعل ابن عباس يُظهر الضجر وطلع عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة على ابن عباس وهو يومئذ غلام فسلم وجلس فقال له ابن عباس ألا تنشدنا شيئا من شعرك فأنشده

أمن آل نُعم أنت غادٍ فمبكر * غداة غدٍ أم رائح فمهجر
بحاجة نفسٍ لم تقل فى جوابها * فتبلغ عذرا والمقالة تعذر
تهيم الى نُعم فلا الشمل جامع * ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر
ولا قرب نُعم ان دنت لك نافع * ولا نأيها يسلى ولا أنت تصبر
وأخرى أتت من دون نُعم ومثلها * نهى ذا النهى لو يرعوى أو يفكر
اذا زرت نُعما لم يزل ذو قرابة * لها كلما لاقيته يتنمر
عزيز عليه أن ألمّ ببابها * يسرّ لى الشحناء والبغض مظهر
ألكنى اليها بالسلام فانه * يُشهَّر المامى بها وينكَّر
بآية ما قالت غداة لقيتها * بمدفع أكنان أهذا المشهر
قفى فانظرى يا أسم هل تعرفينه * أهذا المغيرىّ الذى كان يذكر
أهذا الذى أطريت نعتا فلم أكن * وعيشك أنساه الى يوم أقبر
فقالت نعم لا شك غيّر لونه * سرى الليل يحيى نصّه والتهجر
لئن كان اياه لقد حال بعدنا * عن العهد والانسان قد يتغير
رأت رجلا أمّا اذا الشمس عارضت * فيضحى وأما بالعشىّ فيخصر

حتى أتمها وهى ثمانون بيتا فقال له ابن الأزرق لله أنت يا ابن عباس أنضرب إليك أكباد الابل نسألك عن الدين فتعرض ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفها فتسمعه فقال تالله ما سمعت سفها فقال ابن الأزرق أما أنشدك :

رأيت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيخزى وأما بالعشى فيخسر

فقال ما هكذا قال إنما قال فيضحى وأما بالعشى فيخصر قال أو تحفظ الذى قال قال والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه ولو شئت أن أردها لرددتها قال فارددها فأنشده إياها وروى الزبير بن أن نافعا قال له ما رأيت أروى منك قط فقال له ابن عباس ما رأيت أروى من عمر ولا أعلم من على وقوله فيضحى يقول يظهر للشمس ويخصر يقول فى البردين فاذا ذكر العشى فقد دل على عقيب العشى قال الله تبارك وتعالى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى والضح الشمس وليس من ضحيت يقال جاء فلان بالضح والريح يراد به الكثرة قال علقمة :

أغر أبرزه للضح راقبه مقلد قضب الريحان مفغوم

له فغمة أى رائحة طيبة يعنى ابريقا فيه شراب وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توجه إلى تبوك جاء أبو خيثمة وكانت له امرأتان وقد أعدت كل واحدة منهما من طيب ثمر بستانه ومهدت له فى ظل فقال أظل ممدود وثمرة طيبة وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله فى الضح والريح ما هذا بخير فركب ناقته ومضى فى أثره وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر تخلفوا أبو خيثمة أحدهم فجعل لا يذكر له أحد منهم إلا قال دعوه فان يرد الله به خيرا يلحقه بكم فقيل ذات يوم يا رسول الله نرى رجلا يرفعه الآل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فكان هو وإذا انبسطت الشمس فهو الضحى مقصور فاذا امتد النهار وبينهما مقدار ساعة أو نحو ذلك فذلك الضحاء ممدود مفتوح الأول وذكرت الرواة أن الحجاج أتى بامرأة من الخوارج وبحضرته يزيد بن أبى مسلم مولاه وكان يستسر برأى الخوارج

فكلّم الحجاج المرأة فأعرضت عنه فقال لها يزيد بن أبي مسلم الامير ويلك يكلمك فقالت بل الويل والله لك يا فاسق الردىّ والردىّ عند الخوارج هو الذي يعلم الحق من قولهم ويكتمه وذكروا أن عبد الملك بن مروان أُتي برجل منهم فبحثه فرأى منه ماشاء فهما وعلما ثم بحثه فرأى ماشاء أربا ودهيا فرغب فيه واستدعاه الى الرجوع عن مذهبه فرآه مستبصرا محققا فزاده في الاستدعاء فقال له لتُغنك الاولى عن الثانية وقد قلتَ فسمعتُ فاسمع أقل قال له قل فجعل يبسط له من قول الخوارج ويزين له من مذهبهم بلسان طلق وألفاظ بينة ومعان قريبة فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته لقد كاد يوقع في خاطرى أن الجنة خلقت لهم وأنى أولى بالجهاد منهم ثم رجعتُ الى ماثبّت الله علىّ من الحجة وقرّر في قلبي من الحق فقلت له لله الآخرة والدنيا وقد سلطني الله في الدنيا ومكّن لنا فيها وأراك لست تجيب بالقول والله لأقتلنّك ان لم تطع فانا في ذلك اذ دخل على بابني مروان (قال أبو العباس) كان مروان أخا يزيد لامه أمهما عاتكة بنت يزيد بن معاوية وكان أبيا عزيز النفس فدخل به في هذا الوقت على عبد الملك باكيا لضرب المؤدب اياه فشق ذلك على عبد الملك فاقبل عليه الخارجي فقال له دعه يبك فانه أرحب لشدقه وأصحّ لدماغه وأذهب لصوته وأحرى أن لا تأبى عليه عينه اذا حضرته طاعة ربه فاستدعى عبرتها فأعجب ذلك من قوله عبد الملك فقال له متعجبا أما يشغلك ما أنت فيه ويعرضه عن هذا فقال ما ينبغي أن يشغل المؤمن عن قول الحق شيء فأمر عبد الملك بحبسه وصفح عن قتله وقال بعد يعتذر اليه لولا أن تفسد بالفاظك أكثر رعيتي ماحبستك ثم قال عبد الملك من شككني ووهّمني حتى مالت بي عصمة الله فغير بعيد أن تستهوي من بعدي وكان عبد الملك من الرأى والعلم بموضع وتزعم الرواة أن رجلا من أهل الكتاب وفد على معاوية وكان موصوفا بقراءة الكتب فقال له معاوية أتجد نعتي في شيء من كتب الله قال اى والله لو كنت في أمة لوضعت يدي عليك من

بينهم قال فكيف تجدني قال أجدك أول من يحول الخلافة ملكا والخشنة لينا ثم ان ربك من بعدها لغفور رحيم قال معاوية فسرى عنى ثم قال لا تقبل هذا منى ولكن من نفسك فاخبر هذا الخبر قال ثم يكون ماذا قال ثم يكون منك رجل شراب للخمر سفاك للدماء يحتجن الاموال ويصطنع الرجال ويجنب الخيول ويبيح حرمة الرسول قال ثم ماذا قال ثم تكون فتنة تتشعب باقوام حتى يفضى الامر بها الى رجل أعرف نعته يبيع الآخرة الدائمة بحظ من الدنيا مخسوس فيجتمع عليه من آلك وليس منك لا يزال لعدوه قاهرا وعلى من ناواه ظاهرا ويكون له قرين مبين لعين قال أفتعرفه ان رأيته قال شدما فأراه من بالشام من بنى أمية فقال ما أراه ههنا فوجه به الى المدينة مع ثقات من رسله فاذا عبد الملك يسعى مؤتزرا فى يده طائر فقال للرسل هاهو ذا ثم صاح به الى أبو من قال أبو الوليد قال يا أبا الوليد ان بشرتك ببشارة تسرك ما تجعل لى قال وما مقدارها من السرور حتى نعلم مقدارها من الجعل قال أن تملك الارض قال مالى من مال ولكن أرأيتك ان تكلفت لك جعلا أأنال ذلك قبل وقته قال لا قال فان حرمتك أتؤخره عن وقته قال لا قال فحسبك ما سمعت فذكروا أن معاوية كان يكرم عبد الملك ليجعلها يدا عنده يجازيه بها فى مخلفيه فى وقته وكان عبد الملك من أكثر الناس علما وأبرعهم أدبا وأحسنهم فى شبيبته ديانة فقتل عمرو بن سعيد وتسمى بالخلافة فسلم عليه بها أول تسليمة والمصحف فى حجره فأطبقه وقال هذا فراق بينى وبينك قال أبو العباس وحدثنى ابن عائشة عن حماد بن سلمة فى اسناد ذكره أن عبد الملك كان له صديق وكان من أهل الكتاب يقال له يوسف فأسلم فقال له عبد الملك يوما وهو فى عنفوان نسكه وقد مضت جيوش يزيد بن معاوية مع مسلم بن عقبة المرى من مرة غطفان يريد المدينة ألا ترى خيل عدو الله قاصدة لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يوسف جيشك والله الى حرم رسول الله أعظم من جيشه فنفض عبد الملك ثوبه ثم قال معاذ الله قال له يوسف ما قلت شاكا ولا مرتابا

وانى لأجدك بجميع أوصافك قال له عبد الملك ثم ماذا قال ثم يتداولها رهطك قال الى متى قال الى أن تخرج الرايات السود من خراسان قال وحدثت عن ابن جعدبة قال كنت عند أمير المؤمنين المنصور في اليوم الذى أتاه فيه خروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن قال فغمه ذلك حتى امتنع من الغداء في وقته وطال عليه فكره فقلت يا أمير المؤمنين أحدثك حديثا كنت مع مروان بن محمد وقد قصده عبد الله بن على فأنا ليكذلك اذ نظر الى الاعلام السود من بعد فقال ماهذه الجثث المجللة قلت هذه أعلام القوم قال فمن تحتها قلت عبد الله بن على ابن عبد الله بن العباس قال وأيهم عبد الله فقلت الفتى المعروق الطويل الخفيف العارضين الذى رأيته فى وليمة كذا يأكل فيجيد فسألتنى عنه فنسبته لك فقلت ان هذا الفتى لتلقامة قال قد عرفته والله لوددت أن على بن أبى طالب مكانه قال فقال لى المنصور آلله لسمعت هذا من مروان بن محمد قلت والله لقد سمعته منه قال يا غلام هات الغداء ۞ قال أبو العباس وكان أهل النخيلة جماعة بعد أهل النهروان ممن فارق عبد الله بن وهب وممن لجأ الى راية أبى أيوب وممن كان أقام بالكوفة فقال لا أقاتل عليا ولا أقاتل معه فتواصوا فيما بينهم وتعاضدوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم فقام منهم قائم يقال له المستورد من بنى سعد بن زيد مناة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدل تخفق راياته معلنا مقالته مبلغا عن ربه ناصحا لامته حتى قبضه الله مخيرا مختارا ثم قام الصديق فصدق عن نبيه وقاتل من ارتد عن دين ربه وذكر أن الله عز وجل قرن الصلاة بالزكاة فرأى أن تعطيل احداهما طعن على الاخرى لا بل على جميع منازل الدين ثم قبضه الله اليه موفورا ثم قام الفاروق ففرق بين الحق والباطل مسويا بين الناس فى اعطائه لا مؤثرا لاقاربه ولا محكما فى دين ربه وها أنتم تعلمون ما حدث والله يقول وفضل الله المجاهد بن على القاعدين أجرا عظيما فكل أجاب وبايع فوجه اليهم على بن أبى طالب عبد الله بن العباس

داعيا فأبوا فسار اليهم فقال له عفيف بن قيس يا أمير المؤمنين لا تخرج في هذه الساعة فانها ساعة نحس لعدوك عليك فقال له علي توكلت على الله وحده وعصيت رأى كل متكهن أنت تزعم انك تعرف وقت الظفر من وقت الخذلان اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم ثم سار اليهم فطحنهم جميعا لم يفلت منهم الا خمسة منهم المستورد وابن جوين الطائي وفروة بن شريك الأشجعي وهم الذين ذكرهم الحسن البصري فقال دعاهم الى دين الله فجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا فسار اليهم أبو حسن فطحنهم طحنا وفيهم يقول عمران بن حطان

اني أدين بما دان الشراة به * يوم النخيلة عند الجوسق الخرب

وقال الحميري يعارض هذا المذهب

اني أدين بما دان الوصي به * يوم النخيلة من قتل المحلينا

وبالذي دان يوم النهروان به * وشاركت كفه كفي بصفينا

تلك الدماء معا يارب في عنقي * ومثلها فاسقني آمين آمينا

وكان أصحاب النخيلة قالوا لابن عباس اذ كان علي على حق لم يشكك فيه وحكم مضطرا فما باله حيث ظفر لم يسب فقال لهم ابن عباس قد سمعتم الجواب في التحكيم فأما قولكم في السباء أفكنتم سابين أمكم عائشة فوضعوا أصابعهم في آذانهم وقالوا أمسك عنا غرب لسانك يا ابن عباس فانه طلق ذلق غواص على موضع الحجة ثم خرج المستورد بعد ذلك بمدة على المغيرة ابن شعبة وهو والي الكوفة فوجه اليه معقل بن قيس الرياحي فدعاه المستورد الى المبارزة وقال له علام يقتل الناس بيني وبينك فقال له معقل النصف سألت فأقسم عليه أصحابه فقال ما كنت لآبى عليهم فخرج اليه فاختلفا ضربتين خر كل واحد منهما ميتا وكان المستورد كثير الصلاة شديد الاجتهاد وله آداب يوصي بها وهي محفوظة عنه كان يقول اذا أفضيت

بسري الى صديق فأفشاه لم ألمه لأني كنت أولى بحفظه وكان يقول لا تفش الى أحد سرا وان كان مخلصا الا على جهة المشاورة وكان يقول كن أحرص على حفظ سر صاحبك منك على حقن دمك وكان يقول أول ما يدل عليه عائب الناس معرفته بالعيوب ولا يعيب الا معيب وكان يقول المال غير باق عليك فاشتر من الحمد ما يبقى عليك وكان يقول بذل المال في حقه استدعاء للمزيد من الجواد وكان يكثر أن يقول لو ملكت الارض بحذافيرها ثم دعيت الى أن أستفيد بها خطيئة ما فعلت قال وخرجت الخوارج واتصل خروجها وانما نذكر منهم من كان ذا خبر طريف واتصلت به حكم من كلام وأشعار فأول من خرج بعد قتل علي عليه السلام حوثرة الأسدي فانه كان متنحيا بالبندنيجين فكتب الى حابس الطائي يسأله أن يتولى أمر الخوارج حتى يسير اليه بجمعه فيتعاضدا على مجاهدة معاوية فأجابه فرجعا الى موضع أصحاب النخيلة ومعاوية بالكوفة حيث دخلها مع الحسن بن علي صلوات الله عليه بعد أن بايعه الحسن والحسين عليهما السلام وقيس بن سعد بن عبادة ثم خرج الحسن يريد المدينة فوجه اليه معاوية وقد تجاوز في طريقه يسأله أن يكون المتولي لمحاربتهم فقال الحسن والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين وما أحسب ذلك يسعني أفأقاتل عنك قوما أنت والله أولى بالقتال منهم فلما رجع الجواب اليه وجه اليهم جيشا أكثرهم من أهل الكوفة ثم قال لابيه أبي حوثرة اكفني أمر ابنك فصار اليه أبوه فدعاه الى الرجوع فأبى فأداره فصمم فقال له يا بني أجيئك بابنك فلعلك تراه فتحن اليه فقال يا أبت انا والله الى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق مني الى ابني فرجع الى معاوية فأخبره فقال يا أبا حوثرة عتا هذا جدا فلما نظر حوثرة الى أهل الكوفة قال يا أعداء الله أنتم بالامس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه واليوم تقاتلون مع معاوية لتشدوا سلطانه فخرج اليه أبوه فدعاه الى البراز فقال يا أبت لك في غيري مندوحة ولي في غيرك عنك مذهب ثم حمل على القوم وهو يقول

اكرر على هذى الجموع حوزه * فمن قليل ما تنال المغفره

فحمل عليه رجل من طيئ فقتله فرأى أثر السجود قد لوح جبهته فندم على قتله ثم انهزم القوم جميعا وأنا أحسب أن قول القائل

وأجرأ من رأيت بظهر غيب * على عيب الرجال ذوو العيوب

انما أخذه من كلام المستورد قال رجل للمستورد أريد أن أرى رجلا عيابا قال التمسه بفضل معايب فيه وقال العباس بن الاحنف يعاتب من اتهمه بافشاء سره

تعتبت تطلب ما أستحق * به الهجر منك ولا تقدر

وماذا يضرك من شهرتى * اذا كان سرك لا يشهر

أمنى تخاف انتشار الحديث * وحظى فى ستره أوفر

ولو لم تكن فى بقيا عليك * نظرت لنفسى كما تنظر

و يروى من حديث محمد بن كعب القرظى قال قال عمار بن ياسر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات العشيرة فلما قفلنا نزلنا منزلا فخرجت أنا وعلى بن أبى طالب صلوات الله عليه ننظر الى قوم يعملون فنعسنا فنمنا فسفت علينا الريح التراب فما أنبهنا الا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعلى يا أبا تراب لما عليه من التراب أتعلم من أشقى الناس فقال خبرنى يا رسول الله فقال أشقى الناس اثنان أحمر ثمود الذى عقر الناقة وأشقاها الذى يخضب هذه ووضع يده على لحيته من هذا ووضع يده على قرنه و يروى عن عياض بن خليفة الخزاعى قال تلقانى على صلوات الله عليه فى الغلس فقال لى من أنت قلت عياض بن خليفة الخزاعى فقال ظننتك أشقاها الذى يخضب هذه من هذا ووضع يده على لحيته وعلى قرنه و يروى أنه كان يقول كثيرا قال أبو العباس أحسبه عند الضجر بأصحابه ما يمنع أشقاها أن يخضب هذه من هذا و يروى عن رجل من ثقيف انه قال خرج الناس يعلفون دوابهم بالمداين

وأراد علي المسير الى الشأم فوجه معقل بن قيس الرياحي ليرجعهم اليه وكان ابن عم لي في آخر من خرج فأتيت الحسن بن علي عليه السلام ذات عشية فسألته أن يأخذ لي كتاب أمير المؤمنين الى معقل بن قيس في الترفيه عن ابن عمي فانه في آخر من خرج فقال تغدو علينا والكتاب مختوم ان شاء الله تعالى فبت ليلتي ثم أصبحت والناس يقولون قتل أمير المؤمنين الليلة فأتيت الحسن واذا به في دار علي عليه السلام فقال لولا ما حدث لقضينا حاجتك ثم قال حدثني أبي عليه السلام البارحة في هذا المسجد فقال يا بني اني صليت ما رزق الله ثم نمت نومة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت اليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابي وقلة رغبتهم في الجهاد فقال ادع الله أن يريحك منهم فدعوت الله قال الحسن ثم خرج الى الصلاة فكان ما قد علمت وحدثت من غير وجه أن عليا لما ضرب ثم دخل منزله اعترته غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين فقال أوصيكما بتقوى الله والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا ولا تأسفا على شيء فاتكما منها اعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا فقال أما سمعت ما أوصيت به أخويك قال بلى قال فاني أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمرا دونهما ثم أقبل عليهما فقال أوصيكما به خيرا فانه شقيقكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان أن أباكما كان يحبه فأحباه فلما قضى علي كرم الله وجهه قالت أم العريان

وكنا قبل مهلكه زمانا * نرى نجوى رسول الله فينا

قتلتم خير من ركب المطايا * وأكرمهم ومن ركب السفينا

ألا أبلغ معاوية بن حرب * فلا قرت عيون الشامتينا

وروي أن عبد الرحمن بن ملجم بات تلك الليلة عند الأشعث بن قيس بن معدي كرب وأنه حجر بن عدي سمع الأشعث يقول له فضحك الصبح فلما قالوا قتل أمير المؤمنين قال حجر بن عدي للأشعث أنت قتلته يا أعور وروي أن الذي سمع ذاك أخو الأشعث عفيف بن قيس

وانه قال لاخيه عن أمرك كان هذا يا أموز ﴿ واخبار الخوارج كثيرة طويلة وليس كتابنا مفردا لهم لكنا نذكر من أمورهم ما فيه معنى وأدب أو شعر مستطرف أو كلام من خطبة معروفة مختارة ﴿ خرج قريب بن مرة الازدي وزحاف الطائي وكانا مجتهدين بالبصرة في أيام زياد واختلف الناس في أمورهما أيهما كان الرئيس فاعترضا الناس فلقيا شيخا ناسكا من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار فقتلاه وكان يقال له رؤبة الضبعي وتنادى الناس فخرج رجل من بني قطيعة من الازد وفي يده السيف فناداه الناس من ظهور البيوت الحرورية الحرورية انج بنفسك فنادوه لسنا حرورية نحن الشرط فوقف فقتلوه وبلغ أبا بلال خبرهما فقال قريب لا قربه الله من الخير وزحاف لا عفا الله عنه ركباها عشواء مظلمة يريد اعتراضهما الناس ثم جعلا لا يمران بقبيلة الا قتلا من وجدا حتى مرا ببني علي بن سود من الازد وكانوا رماة وكان فيهم مائة يجيدون الرمي فرموهم رميا شديدا فصاحوا يا بني علي البقيا لا رماء بيننا فقال رجل من بني علي

لا شئ للقوم سوى السهام ﴿ مشحوذة في غلس الظلام

فهرب عنهم الخوارج وخافوا الطلب فاشتقوا مقبرة بني يشكر حتى نفذوا الى مزينة ينتظرون من يلحق بهم من مضر وغيرها فجاءهم ثمانون وخرجت اليهم بنو طاحية بن سود وقبائل مزينة وغيرها فاستقتل الخوارج فقتلوا عن آخرهم ثم غدا الناس الى زياد فقال ألا ينهى كل قوم سفهاءهم يا معشر الازد لولا أنكم أطفأتم هذه النار لقلت انكم أرثثموها فكانت القبائل اذا أحست بخارجية فيهم شدتهم وأتت بهم زيادا فكان هذا أحد ما يذكر من صحة تدبيره وله أخرى في الخوارج أخرجوا معهم امرأة فظفر بها فقتلها ثم عراها فلم تخرج النساء بعد على زياد وكن اذا دعين الى الخروج قلن لولا التعرية لسارعنا ولما قتل مصعب بن الزبير بنت النعمان بن بشير الانصارية امرأة المختار وليس هذا من أخبار الخوارج أنكره الخوارج

غاية الانكار ورأوه قد أتى بقتل النساء أمرا عظيما لانه أتى ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سائر نساء المشركين وللخواص منهن أخبار فقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة

انّ من أعظم الكبائر عندى * قتلَ حسناء غادة عُطْبول

قُتلتْ باطلا على غير ذنب * ان لله درّها من قتيل

كُتب القتلُ والقتالُ علينا * وعلى المحصنات جرّ الذيول

قال وكانت الخوارج أيام ابن عامر أخرجوا معهم امرأتين يقال لاحداهما كُحَيْلة والاخرى قَطام فجعل أصحاب ابن عامر يعيّرونهم ويصيحون بهم يا أصحاب كحيلة وقطام يعرّضون لهم بالفجور فتناديهم الخوارج بالدفع والردع ويقول قائلهم لا تقف ما ليس لك به علم ويروى عن ابن عباس فى هذه الآية والذين لا يشهدون الزور واذا مرّوا باللغو مرّوا كراما قال أعياد المشركين وقال ابن مسعود الزور الغناء فقيل لابن عباس أوما هذا فى الشهادة بالزور فقال لا انما آية شهادة الزور ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا عاد الحديث الى أمر الخوارج وكان من المجتهدات من الخوارج ولو قلت من المجتهدين وأنت تعنى امرأة كان أفصح لانك تريد رجالا ونساء هى احداهم كما قال الله عز وجل وصدّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين وقال جل ثناؤه الا عجوزا فى الغابرين منهم البلجاء وهى امرأة من بنى حرام بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم من رهط سجاح التى كانت تنبّأت وسنذكر خبرها فى موضعه ان شاء الله وكان مرداس بن حُدَير أبو بلال وهو أحد بنى ربيعة بن حنظلة تعظمه الخوارج وكان مجتهدا كثير الصواب فى لفظه فلقيه غيلان بن خرشة الضبّى فقال يا أبا بلال انى سمعت الامير البارحة عبيد الله بن زياد يذكر البلجاء وأحسبها ستؤخذ فمضى اليها أبو بلال فقال لها ان الله قد وسّع على المؤمنين فى التقيّة فاستترى فان هذا المسرف على نفسه الجبار العنيد قد ذكرك قالت ان يأخذنى فهو

أشقى بي فأما أنا فما أحب أن يعنت انسان بسببي فوجه اليها عبيد الله بن زياد فأتي بها فقطع يديها ورجليها ورمى بها في السوق فمر أبو بلال والناس مجتمعون فقال ما هذا فقالوا البلجاء فعرج اليها فنظر ثم عض على لحيته وقال لنفسه لهذه أطيب نفسا عن بقية الدنيا منك يا مرداس ثم ان عبيد الله تتبع الخوارج فحبسهم وحبس مرداسا فرأى صاحب السجن شدة اجتهاده وحلاوة منطقه فقال له اني أرى لك مذهبا حسنا واني لأحب أن أوليك معروفا أفرأيت ان تركتك تنصرف ليلا الى بيتك أتدلج الي قال نعم فكان يفعل ذلك به ولج عبيد الله في حبس الخوارج وقتلهم فكلم في بعض الخوارج فلج وأبى وقال أقمع النفاق قبل أن ينجم لكلام هؤلاء أسرع الى القلوب من النار الى اليراع فلما كان ذات يوم قتل رجل من الخوارج رجلا من الشرط فقال ابن زياد ما أدري ما أصنع بهؤلاء كلما أمرت رجلا بقتل رجل منهم فتكوا بقاتله لأقتلن من في حبسي منهم فأخرج السجان مرداسا الى منزله كما كان يفعل وأتى مرداسا الخبر فلما كان السحر تهيأ للرجوع فقال له أهله اتق الله في نفسك فانك ان رجعت قتلت فقال اني ما كنت لألقى الله غادرا فرجع الى السجان فقال اني قد علمت ما عزم عليه صاحبك فقال أعلمت ورجعت ويروى أن مرداسا مر بأعرابي يهنأ بعيرا له فهرج البعير فسقط مرداس مغشيا عليه فظن الأعرابي انه قد صرع فقرأ في أذنه فلما أفاق قال له الأعرابي قرأت في أذنك فقال له مرداس ليس بي ما خفته علي ولكني رأيت بعيرك هرج من القطران فذكرت به قطران جهنم فأصابني ما رأيت فقال لا جرم والله لا فارقتك أبدا وكان مرداس قد شهد صفين مع علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وأنكر التحكيم وشهد النهر ونجا فيمن نجا فلما خرج من حبس ابن زياد ورأى جد ابن زياد في طلب الشراة عزم على الخروج فقال لأصحابه انه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجري علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفصل والله ان الصبر على هذا لعظيم وان تجريد السيف واخافة السبيل لعظيم

ولكنا نتنبذ عنهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل الا من قاتلنا فاجتمع اليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلا منهم حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمي فأرادوا أن يولوا أمرهم حريثا فأبى فولوا أمرهم مرداسا فلما مضى بأصحابه لقيه عبد الله بن رباح الانصاري وكان له صديقا فقال له أين تريد قال أريد أن أهرب بديني وأديان أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة فقال له أعلم بكم أحد قال لا قال فارجع قال أو تخاف علي مكروها قال نعم وأن يؤتى بك قال فلا تخف فاني لا أجرد سيفا ولا أخيف أحدا ولا أقاتل الا من قاتلني ثم مضى حتى نزل آسك وهو ما بين رامهرمز وأرجان فمر به مال يحمل لابن زياد وقد قارب أصحابه الاربعين فحط ذلك المال فأخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه ورد الباقي على الرسل وقال قولوا لصاحبكم انما قبضنا أعطياتنا فقال بعض أصحابه فعلام ندع الباقي فقال انهم يقسمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم ولابي بلال أشعار في الخروج اخترت منها قوله

أبعد ابن وهب ذي النزاهة والتقى * ومن خاض في تلك الحروب المهالكا

أحب بقاء أو أرجي سلامة * وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا

فيارب سلم نيتي وبصيرتي * وهب لي التقى حتى ألاقي أولئكا

قوله وقد قتلوا ولم يذكر أحدا فانما فعل ذلك لعلم الناس أنه يعني مخالفيه وانما يحتاج الضمير الى ذكر قبله ليعرف فلو قال رجل صربته لم يجز لانه لم يذكر أحدا قبل ذكره الهاء ولو رأيت قوما يلتمسون الهلال فقال قوم هذا هو لم يحتج الى تقدمة الذكر لان المطلوب معلوم وعلى هذا قال علقمة بن عبدة في افتتاح قصيدته

هل ما علمت وما استودعت مكتوم * أم حبلها اذ نأتك اليوم مصروم

لانه قد علم أنه يريد حبيبته وقوله حتى ألاقي ولم يحرك الياء فقد مضى شرحه مستقصى ويروى أن رجلا من أصحاب ابن زياد قال خرجنا في جيش نريد خراسان فمررنا بآسك فاذا نحن

بهم ستة وثلاثين رجلا فصاح بنا أبو بلال أقاصدون لقتالنا أنتم وكنت أنا وأخي قد دخلنا زربا فوقف أخي ببابه فقال السلام عليكم فقال مرداس وعليكم السلام فقال لاخي أجئتم لقتالنا فقال له لا انما نريد خراسان قال فأبلغوا من لقيكم أنا لم نخرج لنفسد في الارض ولا لنروع أحدا ولكن هربا من الظلم ولسنا نقاتل الا من يقاتلنا ولا نأخذ من الفيء الا أعطياتنا ثم قال أندب الينا أحد قلنا نعم أسلم بن زرعة الكلابي قال فتى ترونه يصل الينا قلنا يوم كذا وكذا فقال أبو بلال حسبنا الله ونعم الوكيل وجهز عبيد الله أسلم بن زرعة في أسرع وقت ووجهه اليهم في ألفين وقد تتام أصحاب مرداس أربعين رجلا فلما صار اليهم أسلم صاح به أبو بلال اتق الله يا أسلم فانا لا نريد قتالا ولا نحتجن فيأ فما الذي تريد قال أريد أن أردكم الى ابن زياد قال مرداس اذا يقتلنا قال وان قتلكم قال تشركه في دمائنا قال اني أدين بأنه محق وانكم مبطلون فصاح به حريث بن حجل أهو محق وهو يطيع الفجرة وهو أحدهم ويقتل بالظنة ويخص بالفيء ويجور في الحكم اما علمت انه قتل بابن سعاد أربعة برآء وانا أحد قتلته ولقد وضعت في بطنه دراهم كانت معه ثم حملوا عليه حملة رجل واحد فانهزم هو وأصحابه من غير قتال وكان معبد أحد الخوارج قد كاد يأخذه فلما ورد على ابن زياد غضب عليه غضبا شديدا وقال ويلك أتمضي في ألفين فتنهزم لحملة أربعين وكان أسلم يقول لأن يذمني ابن زياد حيا أحب الي من أن يمدحني ميتا وكان اذا خرج الى السوق أومر بصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك وربما صاحوا به يا معبد خذه حتى شكا ذلك الى ابن زياد فأمر ابن زياد الشرط أن يكفوا الناس عنه ففي ذلك يقول عيسى بن فاتك من بني تيم اللات بن ثعلبة في كلمة له

فلما أصبحوا صلوا وقاموا * الى الجرد العتاق مسومينا

فلما استجمعوا حملوا عليهم * فظل ذوو الجعائل يقتلونا

بقية يومهم حتى أتاهم * سواد الليل فيه يراوغونا

يقول بصيرهم لما أتاهم * بأن القوم ولوا هاربينا
أألفا مؤمن فيما زعمتم * ويهزمهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم * ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك * على الفئة الكثيرة ينصرونا

ثم ندب لهم عبيد الله بن زياد الناس فاختار عباد بن اخضر وليس بابن أخضر هو عباد بن علقمة المازني وكان أخضر زوج أمه فغلب عليه فوجهه في أربعة آلاف فنهد لهم ويزعم أهل العلم ان القوم قد كانوا تنحوا عن درابجرد من أرض فارس فصار اليهم عباد وكان التقاؤهم في يوم جمعة فناداه أبو بلال اخرج الي يا عباد فاني أريد أن أحاورك فخرج اليه فقال ما الذي تبغي قال ان آخذ بأقفائكم فأردكم الى الامير عبيد الله بن زياد قال أوغير ذلك قال وما هو قال أن ترجع فانا لانخيف سبيلا ولا نذعر مسلما ولا نحارب الا من حاربنا ولا نجبي الا ما حمينا فقال له عباد الامر ما قلت لك فقال له حريث بن حجل أتحاول ان ترد فئة من المسلمين الى جبار عنيد قال لهم أنتم أولى بالضلال منه وما من ذاك بد وقدم القعقاع بن عطية الباهلي من خراسان يريد الحج فلما رأى الجمعين قال ما هذا قالوا الشراة فحمل عليهم ونشبت الحرب فأخذ القعقاع أسيرا فأتي به أبو بلال فقال ما أنت قال لست من أعدائك وانما قدمت للحج فجهلت وغررت فأطلقه فرجع الى عباد فأصلح من شأنه ثم حمل عليهم ثانية وهو يقول

أقاتلهم وليس علي بعث * نشاطا ليس هذا بالنشاط
أكر على الحروريين مهري * لأحملهم على وضح الصراط

فحمل عليه حريث بن حجل السدوسي وكهمس بن طلق الصريمي فأسراه فقتلاه ولم يأتيا به أبا بلال فلم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت الصلاة صلاة يوم الجمعة فناداهم أبو بلال ياقوم هذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلي وتصلوا قالوا لك ذاك فرمى القوم أجمعون

أسلحتهم وعمدوا الصلاة فأسرع عباد ومن معه والحرورية مبطلون فهم من بين راكع وقائم وساجد في الصلاة وقاعد حتى مال عليهم عباد ومن معه فقتلوهم جميعا وأتى برأس أبي بلال وتروي الشراة ان مرداسا أبا بلال لما عقد على أصحابه وعزم على الخروج رفع يديه وقال اللهم ان كان ما نحن فيه حقا فأرنا آية فرجف البيت وقال آخرون فارتفع السقف فروى أهل العلم أن رجلا من الخوارج ذكر ذلك لابي العالية الرياحي يتعجبه من الآية ويرغبه في مذهب القوم فقال أبو العالية كاد الخسف ينزل بهم ثم أدركتهم نظرة الله فلما فرغ من أولئك الجماعة أقبل بهم فصلبت رؤسهم وفيهم داود بن شبث وكان ناسكا وفيهم حبيبة النصري من قيس وكان مجتهدا فيروى عن عمران بن حطان أنه قال قال لي حبيبة لما عزمت على الخروج فكرت في بناتي فقلت ذات ليلة لامسكن عن تفقدهن حتى أنظر فلما كان في جوف الليل استسقت بنية لي فقالت يا أبت اسقني فلم أجبها فأعادت فقامت أخية لها أسن منها فسقتها فعلمت ان الله عز وجل غير مضيعهن فأتممت عزمي وكان في القوم كهمس وكان من أبر الناس بامه فقال لها يا أمه لولا مكانك لخرجت فقالت يا بني قد وهبتك لله ففي ذلك يقول عيسى بن فاتك الحبطي

ألا في الله لا في الناس شالت * بداود واخوته الجذوع
مضوا قتلا وتمزيقا وصلبا * تحوم عليهم طير وقوع
اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الامن في الدنيا هجوع

وقال عمران بن حطان

يا عين بكي لمرداس ومصرعه * يا رب مرداس اجعلني كمرداس
تركتني هائما أبكي لمرزئتي * في منزل موحش من بعد ايناس

أنكرتُ بعدكَ من قد كنتُ أعرفُهُ * ما الناسُ بعدكَ يامِرداسُ بالناسِ

اما شربتَ بكأس دارَ أوّلُها * على القرونِ فذاقوا جُرعةَ الكاسِ

فكلُّ من لم يذقها شاربٌ عجِلاً * منها بانفاس وِردٍ بعد أنفاسِ

ثم ان عباد بن أخضر المازني لبث دهرا في المصر محمودا موصوفا بما كان منه فلم يزل على ذلك حتى ائتمر به جماعة من الخوارج أن يفتكوا به فذمر بعضهم بعضا على ذلك فجلسوا له في يوم جمعة وقد أقبل على بغلة له وابنه رديفه فقام اليه رجل منهم فقال أسألك عن مسئلة قال قل قال أرأيت رجلا قتل رجلا بغير حق وللقاتل جاه وقدر وناحية من السلطان ألولي ذلك المقتول أن يقتله به ان قدر عليه قال بل يرفعه الى السلطان قال ان السلطان لا يعدي عليه لمكانه منه وعظيم جاهه عنده قال أخاف عليه ان قتله به قتله به السلطان قال دع ما تخافه من ناحية السلطان أتلحقه تبعة فيما بينه وبين الله قال لا قال فحكّموا هو وأصحابه وخبطوه بأسيافهم ورمى عباد ابنه فنجا وتنادى الناس قُتل عباد فاجتمع الناس فأخذوا أفواه الطُرق وكان مقتل عباد في سكة بني مازن عند مسجد بني كليب فجاء معبد بن أخضر اخو عباد وهو معبد بن علقمة وأخضر زوج أمهما في جماعة من بني مازن فصاحوا بالناس دعونا وثأرنا فأحجم الناس وتقدم المازنيون فحاربوا الخوارج حتى قتلوهم جميعا لم يفلت منهم أحد الا عبيدة بن هلال فانه خرق خصا ونفذ منه ففي ذلك يقول الفرزدق

لقد أدركَ الأوتارَ غيرَ ذميمةٍ * اذا ذمَّ طُلّابُ التِراتِ الأخاضرُ

هم جرّدوا الأسيافَ يومَ ابنِ أخضرٍ * فنالوا التي ما فوقَها نالَ ثائرُ

أقادوا به أُسداً لها في اقتحامها * اذا برزت نحو الحروب بصائرُ

ثم ذكر بني كليب لانه قتل بحضرة مسجدهم ولم ينصروه فقال في كلمته هذه

كفعلِ كُليبٍ اذ أخلّت بجارها * ونصرُ اللئيمِ معتمٌ وهو حاضرُ

ومالكليب حين تذكر أول * ومالكليب حين تذكر آخر

وقال معبد بن أخضر

سأحمى دماء الاخضر بين انه * أبى الناس الا ان يقولوا ابن أخضرا

وكان مقتل صياد وعبيد الله بن زياد بالكوفة وخليفته على البصرة عبيد الله بن أبى بكرة فكتب اليه يأمره أن لا يدع أحدا يعرف بهذا الرأى الا حبسه وجد فى طلبه ممن تغيب منهم فجعل عبيد الله بن أبى بكرة يتتبعهم فيأخذهم فاذا شفع اليه فى أحد منهم كفله الى ان يقدم ابن زياد حتى أتى بعروة بن أدية فأطلقه وقال انا كفيلك فلما قدم عبيد الله بن زياد أخذ من فى السجن منهم فقتلهم جميعا وطلب الكفلاء بمن كفلوا به منهم فكل من جاء بصاحبه أطلقه وقتل الخارجى ومن لم يأت بمن كفل به منهم قتله ثم قال لعبيد الله بن أبى بكرة هات عروة ابن أدية قال لا أقدر عليه قال اذا والله أقتلك فانك كفيله فلم يزل يطلبه حتى دل عليه فى سرب العلاء بن سوية المنقرى فكتب بذلك الى عبيد الله بن زياد فقرأ عليه الكاتب انا أصبناه فى شرب فتهانف به عبيد الله بن زياد وكان كثير المحاورة عاشقا للكلام الجيد مستحسنا للصواب منه لا يزال يبحث عن عذره واذا سمع الكلمة الجيدة غرج عليها ويروى انه قال فى عقب مقتل الحسين بن على عليه السلام لزينب بنت على رحمها الله تعالى وكانت أسن من حمل اليه منهن وقد كلمته فأفصحت وأبلغت وأخذت من الحجة حاجتها فقال لها ان تكونى بلغت من الحجة حاجتك فقد كان أبوك خطيبا شاعرا فقالت ما للنساء والشعر وكان مع هذا ألكن يرتضخ لغة فارسية وقال لرجل مرة واتهمه برأى الخوارج أهرورى منذ اليوم * رجع الحديث فقال للكاتب صحفت والله ولؤمت انما هو فى سرب العلاء بن سوية ولوددت أنه كان ممن يشرب النبيذ فلما أقيم عروة بن أدية بين يديه حاوره وقد اختلف الناس فى خبره وأصحه عندنا انه قال له جهزت أخاك على فقال والله لقد كنت به ضنينا وكان لى عزا ولقد أردت له

ما أريده لنفسي فعزم عزما فقضى عليه وما أحب لنفسي الا المقام وترك الخروج قال له أفأنت على رأيه قال كلنا نعبد ربا واحدا قال أما لأمثلن بك قال اختر لنفسك من القصاص ما شئت فأمر به فقطعوا يديه ورجليه ثم قال كيف ترى قال أفسدت على دنياي وأفسدت عليك آخرتك ثم أمر به فقتل ثم صلب على باب داره ثم دعا مولاه فسأله عنه فأجابه جوابا مضى ذكره قوله فتهانف حقيقته تضاحك به ضحك هزء وقال ابن أبي ربيعة المخزومي

ولقد قالت لجارات لها * وتعرت ذات يوم تبترد

أكما ينعتني تبصرنني * عمركن الله أم لا يقتصد

فتهانفن وقد قلن لها * حسن في كل عين من تود

حسد حملنه من أجلها * وقديما كان في الناس الحسد

وكان عبيد الله لا يلبث الخوارج يحبسهم تارة ويقتلهم تارة وأكثر ذلك يقتلهم ولا يتغافل عن أحد منهم وسبب ذلك أنه كان أطلقهم من حبس زياد لما ولي بعده فخرجوا عليه فأما زياد فكان يقتل المعلن ويستصلح المسر ولا يجرد السيف حتى تزول التهمة ووجه يوما بجبينة بن كبيش الاعرجي الى رجل من بني سعد يرى رأي الخوارج فجاءه بجبينة فأخذه فقال انى أريد أن أحدث وضوأ للصلاة فدعني أدخل الى منزلي قال ومن لي بخروجك قال الله عز وجل فتركه فدخل فأحدث وضوأ ثم خرج فأتى به بجبينة زيادا فلما مثل بين يديه ذكر الله زياد ثم صلى على نبيه ثم ذكر أبا بكر وعمر وعثمان بخير ثم قال قعدت عني فأنكرت ذلك فذكر الرجل ربه فحمده ووحده ثم ذكر النبي عليه السلام ثم ذكر أبا بكر وعمر بخير ولم يذكر عثمان ثم أقبل على زياد فقال انك قد قلت قولا فصدقه بفعلك وكان من قولك ومن قعد عنا لم نهجه فقعدت فأمر له بصلة وكسوة وحملان فخرج الرجل من عند زياد وتلقاه الناس يسألونه فقال ما كلكم أستطيع أن أخبره ولكني دخلت على رجل لا يملك ضرا ولا نفعا لنفسه ولا موتا ولا

حياة ولا نشوزا فرزق الله منه ما ترون وكان زياد يبعث الى الجماعة منهم فيقول ما أحسب الذى يمنعكم من اتيانى الا الرجلة فيقولون أجل فيحملهم ويقول اغشونى الآن واسمروا عندى فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال قاتل الله زيادا جمع لهم كما تجمع الذرة وحاطهم كما تحوط الأم البرة وأصلح العراق بأهل العراق وترك أهل الشأم فى شأمهم وجبى العراق مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف قال أبو العباس وبلغ زيادا عن رجل يكنى أبا الخير من أهل البأس والنجدة انه يرى رأى الخوارج فدعاه فولاه جندى سابور وما يليها ورزقه أربعة آلاف درهم فى كل شهر وجعل عمالته فى كل سنة مائة ألف فكان أبو الخير يقول ما رأيت شيأ خيرا من لزوم الطاعة والتقلب بين أظهر الجماعة فلم يزل واليا حتى أنكر منه زياد شيأ فتنمر لزياد فحبسه فلم يخرج من حبسه حتى مات وقال الزهين وكان رجلا من مراد وكان لا يرى القعود عن الحرب وكان فى الدهاء والمعرفة والشعر والفقه يقول الخوارج بمنزلة عمران ابن حطان وكان عمران بن حطان فى وقته شاعر قعد الصفرية ورئيسهم ومفتيهم وللزهين المرادى ولعمران بن حطان مسائل كثيرة من أبواب العلم فى القرآن والآثار وفى السير والسنن وفى الغريب والشعر نذكر منها طريفها ان شاء الله قال المرادى

يا نفس قد طال فى الدنيا مراوغتى * لا تأمنن لصرف الدهر تنغيصا

انى لبائع ما يفنى لباقية * ان لم يعقنى رجاء العيش تربيصا

وأسأل الله بيع النفس محتسبا * حتى ألاقى فى الفردوس حرقوصا

(قال الاخفش حرقوص ذو الثدية)

وابن المنيح ومرداسا واخوته * اذ فارقوا زهرة الدنيا مخاميصا

قال أبو العباس وهذه كلمة له وله أشعار كثيرة فى مذاهبهم وكان زياد ولى شيبان بن عبد الله الاشعرى صاحب مقبرة بنى شيبان باب عثمان وما يليه فجد فى طلب الخوارج وأخافهم

وكانوا كثروا فلم يزل كذلك حتى أتاه ليلة وهو متكئ بباب داره رجلان من الخوارج فضرباه بأسيافهما فقتلاه وخرج بنو ربه للاغاثة فقتلوا ثم قتلهما الناس فأُتي زياد بعد ذلك برجل من الخوارج فقال اقتلوه متكئا كما قُتل شيبان متكئا فصاح الخارجي يا عدلاه يهزأ به

فأما قول جرير

ومنا فتى الفتيان والباس معقلٌ * ومنا الذى لاقى بدجلة مَعقلا

فانه أراد معقل بن قيس الرياحي ورياحُ ابنُ يربوع وجريرٌ من كُليب بن يربوع وقوله ومنا الذى لاقى بدجلة معقلا يريد المستورد التيمي وهو من تيم بن عبد مناة بن أُدّ وتميم ابن مُرّ بن أد

وأما قول ابن الرُقيّات

والذى نَغّصَ ابنَ دَومةَ ما تو * حى الشياطينُ والسيوفُ ظماءُ

فأباح العراقَ يضربهم بالسيف صَلتًا وفى الضراب غلاءُ

فانما يريد بابن دَومةَ المختارَ بن أبي عبيد الثقفيّ والذى نغّصه مُصعبُ بن الزبير وكان المختار لا يوقف له على مذهب كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار رافضيا فى ظاهره وقوله ما توحى الشياطين فان المختار كان يدعى أنه يلهم ضربا من السجاعة لامور تكون ثم يحتال فيوقعها فيقول للناس هذا من عند الله عز وجل فمن ذلك قوله ذات يوم لتنزلنّ من السماء نار دهماء فلتحرقنّ دار أسماء فذكر ذلك لاسماء بن خارجة فقال أقد سجع بى أبو اسحق هو والله محرق دارى فتركه والدار وهرب من الكوفة وقال فى بعض سجعه أما والذى شرع الاديان وجنّب الاوثان وكرّه العصيان لاقتلن أزد عمان وجلّ قيس عيلان وتميما أولياء الشيطان حاشا النجيب [illegible] فكان [illegible] يقول لم أزل فى عمر المختار أتقلب آمنا ويروى ان المختار ابن أبي عبيد [illegible] واليا لابن الزبير على الكوفة اتهمه ابن الزبير فولّى رجلا من قريش [illegible] قال [illegible] من أهلها اخرجوا الى هذا المغرور فردوه فخرجوا اليه فقالوا

أين تريدوالله لئن دخلت الكوفة ليقتلنك المختار فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير ان صاحبك جاءنا فلما قاربنا رجع فما أدرى ما الذى رده فغضب ابن الزبير على القرشى وعجزه ورده الى الكوفة فلما سار فيها قال المختار اخرجوا الى هذا المغرور فردوه فخرجوا اليه فقالوا انه والله قاتلك فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير بمثل كتابه الاول فلام القرشى فلما كان فى الثالثة فطن ابن الزبير وعلم بذلك المختار وكان ابن الزبير قد حبس محمد بن الحنفية مع خمسة عشر رجلا من بنى هاشم فقال لتبايعن أو لاحرقنكم فأبوا بيعته وكان السجن الذى حبسهم فيه يدعى سجن عارم ففى ذلك يقول كثير

تخبر من لاقيت انك عائذ * بل العائذ المظلوم فى سجن عارم

ومن يلق هذا الشيخ بالخيف من منى * من الناس يعلم انه غير ظالم

سمى النبى المصطفى وابن عمه * وفكاك أغلال وقاضى مغارم

وكان عبد الله بن الزبير يدعى العائذ لانه عاذ بالبيت ففى ذلك يقول ابن الرقيات يذكر مصعبا

بلد تأمن الحمامة فيه * حيث عاذ الخليفة المظلوم

وكان عبد الله يدعى المحل لاحلاله القتال فى الحرم ففى ذلك يقول رجل فى رملة بنت الزبير

ألا من لقلب معنى غزل * بذكر المحلة أخت المحل

وكان عبد الله بن الزبير يظهر البغض لابن الحنفية الى بغض أهله وكان يحسده على أيده ويقال ان عليا استطال درعا فقال لينقص منها كذا وكذا حلقة فقبض محمد بن الحنفية باحدى يديه على ذيلها وبالاخرى على فضلها ثم جذبها فقطعها من الموضع الذى حده أبوه فكان ابن الزبير اذا حدث بهذا الحديث غضب واعتراه له أفكل فلما رأى المختار أن ابن الزبير قد فطن لما أراد كتب اليه من المختار بن أبى عبيد الثقفى خليفة الوصى محمد بن على أمير المؤمنين الى عبد الله بن أسماء ثم ملأ الكتاب بسبه وسب أبيه وكان قبل ذلك فى وقت

اظهاره طاعة ابن الزبير يدس الى الشيعة ويعلمهم موالاته اياهم ويخبرهم أنه على رأيهم وجحد مذاهبهم وأنه سيظهر ذلك عما قليل ثم وجه جماعة تسير الليل وتكمن النهار حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بنى هاشم ثم ساروا بهم الى مأمنهم وكان من عجائب المختار أنه كتب الى ابراهيم بن مالك الأشتر يسأله الخروج الى الطلب بدم الحسين بن على رضى الله عنهما فأبى عليه ابراهيم الا أن يستأذن محمد بن على بن أبى طالب فكتب اليه يستأذنه فعلم محمد ان المختار لا عقد له فكتب محمد الى ابراهيم بن الاشتر انه ما يسوءنى أن يأخذ الله بحقنا على يدى من يشاء من خلقه فخرج معه ابراهيم بن الاشتر فتوجه نحو عبيد الله بن زياد وخرج يشيعه ماشيا فقال له ابراهيم اركب يا أبا اسحق فقال انى أحب أن تغبر قدماى فى نصرة آل محمد صلى الله عليه وسلم فشيعه فرسخين ودفع الى قوم من خاصته حماما بيضا ضخاما وقال ان رأيتم الامر لنا فدعوها وان رأيتم الامر علينا فارسلوها وقال للناس ان استقمتم فبنصر الله وان حصتم حيصة فانى أجد فى محكم الكتاب وفى اليقين والصواب ان الله مؤيدكم بملائكة غضاب تأتى فى صور الحمام دوين السحاب فلما صار ابن الاشتر بخازر وبها عبيد الله بن زياد قال من صاحب الجيش قيل له ابن الاشتر قال أليس الغلام الذى كان يطير الحمام بالكوفة قالوا بلى قال ليس بشئ وعلى ميمنة ابن زياد حصين بن نمير السكونى من كندة ويقال السكونى والسكونى والسدوسى والسدوسى كذا كان أبو عبيدة يقول (قال أبو الحسن السكونى أكثر) وعلى ميسرته عمير بن الحباب فارس الاسلام فقال حصين بن نمير لابن زياد ان عمير بن الحباب غير ناس قتلى المرج وانى لا أثق لك به فقال ابن زياد أنت لى عدو وقال حصين بن سنعلم قال ابن الحباب فلما كان فى الليلة التى نريد أن نواقع ابن الاشتر فى صبيحتها خرجت اليه وكان لى صديقا ومعى رجل من قومى فصرت الى عسكره فرأيته وعليه قميص هروى وملاءة وهو متوشح السيف يجوس عسكره فيأمر فيه وينهى فالتزمته من ورائه فوالله ما التفت الى ولكن قال من هذا

فقلت عمير بن الحباب فقال من حبا بأبي المُغَلِّس كن بهذا الموضع حتى أعود اليك فقلت لصاحبي أرأيت أشجع من هذا قط يحتضنه رجل من عسكر عدوه ولا يدري من هو فلا يلتفت اليه ثم عاد الى وهو فى أربعة آلاف فقال ما الخبر فقلت القوم كثير والرأى أن تناجزهم فانه لا صبر بهذه العصابة القليلة على مطاولة هذا الجمع الكثير فقال نُصبح ان شاء الله ثم نحاكمهم الى ظُبات السيوف وأطراف القنا فقلت انا مُنخزلٌ عنك بثلث الناس غدا فلما التقوا كانت على أصحاب ابراهيم فى أول النهار فأرسل أصحاب المختار الطير فتصايح الناس الملائكة فتراجعوا ونكّس عمير بن الحباب رايته ونادى يا لثأرات المرج وانخزل بالميسرة كلها وفيها قيس فلم يعصوه واقتتل الناس حتى اختلط الظلام وأسرع القتل فى أصحاب عبيد الله بن زياد ثم انكشفوا ووضع السيف فيهم حتى أُفنوا فقال ابن الاشتر لقد ضربت رجلا على شاطئ هذا النهر فرجع الى سيفى ومنه رائحة المسك ورأيت اقداما وجراة فصرعته فذهبت يداه قبل المشرق ورجلاه قبل المغرب فانظروه فأتوه بالنيران فاذا هو عبيد الله بن زياد وقد كان عند المختار كرسيٌّ قديمُ العهد فغشّاه بالديباج وقال هذا الكرسي من ذخائر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فضعوه فى براكاء الحرب وقاتلوا عليه فان محله فيكم محلُّ السكينة فى بنى اسرائيل ويقال انه اشترى ذلك الكرسى بدرهمين من نجار وقوله فى براكاء القتال يقال بَراكاءُ وبَروكاءُ وهو موضع اصطدام القوم قال الشاعر

وليس بُنْقِذك منه الا * بَراكاءُ القتال أو الفرارُ

٥٠ ﴿هذا باب اللام التى للاستغاثة والتى للاضافة﴾

اذا استغثت بواحد أو بجماعة فاللام مفتوحة تقول يا لَلرجال و يا لَلقوم و يا لَزيد اذا كنت تدعوهم وانما فتحتها لتفصل بين المدعو والمدعو له ووجب أن تفتحها لان أصل اللام

الخافضة انما كان الفتح فكسرت مع المظهر ليفصل بينها و بين لام التوكيد تقول ان هذا لزيد اذا أردت ان هذا زيد وتقول ان هذا الزيد اذا أردت انه في ملكه ولو فتحت لالتبستا فان وقعت اللام على مضمر فتحتها على أصلها فقلت ان هذا لك وان هذا لأنت اذا أردت لام التوكيد لانه ليس ههنا لبس وذلك أن الاسماء المضمرة على غير لفظ المظهرة فلهذا أجريتها على الاصل والاستغاثة تردها الى أصلها من أجل اللبس والمدعو له في بابه فاللام معه مكسورة تقول يالَلرجال للماء ويالَلرجال للعجب ويالَزيد للخطب الجليل قال الشاعر

يالَلرجال ليوم الاربعاء أما * ينفك يبعث لى بعد النهى طربا

وقال آخر

تكنفني الوشاة فأزعجونى * فيالَلناس للواشى المطاع

وفي الحديث لما طعن العلج أو العبد عمر بن الخطاب رضوان الله عليه صاح يالَله يالَلمسلمين وتقول يالَلعجب اذا كنت تدعو اليه و يالِلغير العجب كأنك قلت يالَلناس للعجب و ينشد هذا البيت

يا لعنة الله والاقوام كلهم * والصالحين على سمعان من جار

فيا لغير اللعنة كأنه قال ياقوم لعنة الله والاقوام كلهم وزعم سيبويه أن هذه اللام التي للاستغاثة دليل بمنزلة الالف التي تبين بالهاء في الوقف اذا أردت أن تسمع بعيدا فانما هي للاستغاثة بمنزلة هذه اللام وذلك قولك ياقوماه على غير الندبة ولكن للاستغاثة ومد الصوت والقول كما قال محلهما عند العرب محل واحد فان وصلت حذفت الهاء لانها زيدت في الوقف لخفاء الالف كما تزاد لبيان الحركة فاذا وصلت أغنى ما بعدها عنها تقول ياقوما تعالوا و يازيدا لا تفعل ولا يجوز أن تقول يا زيد وهو مقبل عليك وكذلك لا يجوز أن تقول يا زيداه وهو معك انما يقال ذلك للبعيد أو ينبه به النائم فان قلت يالزيد ولعمرو كسرت اللام في عمرو

وهو مدعو لانك انما فتحت اللام في زيد لتفصل بين المدعو والمدعو اليه فلما عطفت على زيد استغنيت عن الفصل لانك اذا عطفت عليه شيأ صار في مثل حاله ونظير ذلك الحكاية يقول الرجل رأيت زيدا فتقول من زيدا وانما حكيت قوله ليعلم انك انما تستفهمه عن الذي ذكر بعينه ولا تسأله عن زيد غيره والموضع موضع رفع لانه ابتدا وخبر فان قلت ومن زيد أو فمن زيد لم يكن الا رفعا لانك عطفت على كلامه فاستغنيت عن الحكاية لان العطف لا يكون مستأنفا ونظير هذا الذي ذكرت لك في اللام قول الشاعر

يبكيك ناء بعيد الدار مغترب * يا للكهول وللشبان للعجب

فقد أحكمت لك كل ما في هذا الباب ۞ ثم نعود الى ذكر الخوارج قال وذكر لعبيد الله ابن زياد رجل من بني سدوس يقال له خالد بن عباد أو ابن عبادة وكان من نساكهم فوجه اليه فأخذه فأتاه رجل من آل ثور فكذب عنه وقال هو صهري وهو في ضمني فخلى عنه فلم يزل الرجل يتفقده حتى تغيب فأتى ابن زياد فأخبره فبعث الى خالد بن عباد فأخذ فقال عبيد الله بن زياد أين كنت في غيبتك هذه قال كنت عند قوم يذكرون الله ويذكرون أئمة الجور فيتبرؤن منهم قال دلني عليهم قال اذن يسعدوا وتشقى ولم أكن لأروعهم قال فما تقول في أبي بكر وعمر قال خيرا قال فما تقول في أمير المؤمنين عثمان أتتولاه وأمير المؤمنين معاوية قال ان كانا وليين لله فلست أعاديهما فأراغه مرات فلم يرجع فعزم على قتله فأمر باخراجه الى رحبة تعرف برحبة الزينبي فجعل الشرط يتفادون من قتله ويروغون عنه توقيا لانه كان شاسفا عليه أثر العبادة حتى أتى المثلم بن مسروح الباهلي وكان من الشرط فتقدم فقتله فائتمر به الخوارج ليقتلوه وكان مغرما باللقاح يتتبعها فيشتريها من مظانها وهم في تفقده فدسوا اليه رجلا في هيئة الفتيان عليه ردع زعفران فلقيه

بالمربد وهو يسأل عن لقيمة صيق فقال له الفتى ان كنت تبلغ فعندى ما يغنيك عن غيره فامض معي فمضى المثلم على فرسه والفتى أمامه حتى أتى به بنى سعد فدخل دارا وقال له ادخل على فرسك فلما دخل وتوغل فى الدار أغلق الباب وثارت به الخوارج فاعتوره حريث بن جحل وكهمس بن طلق الصريمى فقتلاه وجعلا دراهم كانت معه فى بطنه ودفناه فى ناحية الدار وحكا آثار الدم وخليا فرسه فى الليل فأصيب من الغد فى المربد وتحسس عنه الباهليون فلم يروا له أثرا فاتهموا به بنى سدوس فاستعدوا عليهم السلطان وجعل السدوسيون يحلفون فتحامل ابن زياد مع الباهليين فأخذ من السدوسيين أربع ديات وقال ما أدرى ما أصنع بهؤلاء الخوارج كلما أمرت بقتل رجل منهم اغتالوا قاتله فلم يعلم بمكانه حتى خرج مرداس فلما واقفهم ابن زرعة الكلابى صاح بهم حريث بن جحل أههنا من باهلة أحد قالوا نعم قال يا أعداء الله أخذتم بالمثلم أربع ديات وأنا قاتله وجعلت دراهم كانت معه فى بطنه وهو فى موضع كذا مدفون فلما انهزموا صاروا الى الدار فأصابوا أشلاءه والدراهم ففى ذلك يقول أبو الاسود الدؤلى

آليت لا أغدو الى رب لقحة * أساومه حتى يئوب المثلم

ثم خرجت خوارج لاذكر لهم كلهم قتل حتى انتهى الامر الى الازارقة ومن ههنا افترقت الخوارج فصارت على أربعة أضرب الاباضية وهم أصحاب عبد الله بن اباض والصفرية واختلفوا فى تسميتهم فقال قوم سموا بابن صفار وقال آخرون وأكثر المتكلمين عليه هم قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم ومنهم البيهسية وهم أصحاب أبى بيهس ومنهم الازارقة وهم أصحاب نافع بن الازرق الحنفى وكانوا قبل على رأى واحد لا يختلفون الا فى الشئ الشاذ من الفروع كما قال صخر بن عروة انى كرهت قتال على بن أبى طالب رضى الله عنه لسابقته وقرابته فأما الآن فلا يسعنى الا الخروج وكان اعتزل عبد الله بن وهب

يوم النهر فضلالته الخوارج بامتناعه من قتال علي فكان أول أمرهم الذي نستاقه أن جماعة من الخوارج منهم نجدة بن عامر الحنفي عزموا على أن يقصدوا مكة لما توجه مسلم ابن عقبة يريد المدينة لوقعة الحرة فقالوا هذا ينصرف عن المدينة الى مكة ويجب علينا أن نمنع حرم الله منه ونختص ابن الزبير فان كان على رأينا بايعناه فمضوا لذلك فكان أول أمرهم أن أبا الوازع الراسبي وكان من مجتهدي الخوارج كان يذم نفسه ويلومها على القعود وكان شاعرا وكان يفعل ذلك باصحابه فأتى نافع بن الازرق وهو في جماعة من أصحابه يصف لهم جور السلطان وكان ذا لسان عضب واحتجاج وصبر على المنازعة فأتاه أبو الوازع فقال يا نافع لقد أعطيت لسانا صارما وقلبا كليلا فلوددت أن صرامة لسانك كانت لقلبك وكلال قلبك كان للسانك أتحض على الحق وتقعد عنه وتقبح الباطل وتقيم عليه فقال الى أن تجمع من أصحابك من تنكي به عدوك فقال أبو الوازع

لسانك لا تنكي به القوم انما * تنال بكفيك النجاة من الكرب
فجاهد أناسا حاربوا الله واصطبر * عسى الله أن يخزي غوي بني حرب

ثم قال والله لا ألومك ونفسي ألوم ولأغدون غدوة لا أنثني بعدها أبدا ثم مضى فاشترى سيفا وأتى صيقلا كان يذم الخوارج ويدل على عوراتهم فشاوره في السيف فحمده فقال اشحذه فشحذه حتى اذا رضيه حكم وخبط به الصيقل وحمل على الناس فتهاربوا منه حتى أتى مقبرة بني يشكر فدفع عليه رجل حائط السترة فكرهت ذلك بنو يشكر خوفا أن تجعل الخوارج قبره مهاجرا فبلغ رأى ذلك نافع وأصحابه جدوا وخرج في ذلك جماعة فكان ممن خرج عيسى ابن فاتك الشاعر الخطي من تيم اللات بن ثعلبة ومقتله بعد خروج الازارقة فمضى نافع وأصحابه من الحرورية قبل الاختلاف الى مكة ليمنعوا الحرم من جيش مسلم بن عقبة فلما صاروا الى ابن الزبير عرفوه أنفسهم فأظهر لهم أنه على رأيهم حتى أتاهم مسلم بن عقبة

وأهل الشام فدافعوهم الى أن يأتي رأي يزيد بن معاوية ولم يبايعوا ابن الزبير ثم تناظروا فيما بينهم فقالوا ندخل الى هذا الرجل فننظر ما عنده فان قدّم أبا بكر وعمر وبرئ من عثمان وعلي وكفّر أباه وطلحة بايعناه وان تكن الاخرى ظهر لنا ما عنده فتشاغلنا بما يجدي علينا فدخلوا على ابن الزبير وهو متبذل وأصحابه متفرقون عنه فقالوا انا جئناك لتخبرنا رأيك فان كنت على الصواب بايعناك وان كنت على غيره دعوناك الى الحق ما تقول في الشيخين قال خيرا قالوا فما تقول في عثمان الذي أحمى الحمى وآوى الطريد وأظهر لاهل مصر شيأ وكتب بخلافه وأوطأ آل أبي معيط رقاب الناس وآثرهم بفيء المسلمين وفي الذي بعده الذي حكّم في دين الله الرجال وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم وفي أبيك وصاحبه وقد بايعا عليا وهو امام عادل مرضي لم يظهر منه كفر ثم نكثا بعرض من أعراض الدنيا وأخرجا عائشة تقاتل وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرن في بيوتهن وكان لك في ذلك ما يدعوك الى التوبة فان أنت قلت كما نقول فلك الزلفة عند الله والنصر على أيدينا ونسأل الله لك التوفيق وان أبيت الا نصر رأيك الاول وتصويب أبيك وصاحبه والتحقيق بعثمان والتولي في السنين الست التي أحلت دمه ونقضت وأفسدت امامته خذلك الله وانتصر منك بايدينا فقال ابن الزبير ان الله أمر وله العزة والقدرة في مخاطبة أكفر الكافرين وأعتى العتاة بأرأف من هذا القول فقال لموسى ولاخيه صلى الله عليهما في فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذوا الاحياء بسب الموتى فنهى عن سب أبي جهل من أجل عكرمة ابنه وأبو جهل عدو الله وعدو الرسول والمقيم على الشرك والجاد في المحاربة والمتبغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة والمحارب له بعدها وكفى بالشرك ذنبا وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذي سميتم فيه طلحة وأبي أن تقولوا أتبرأ من الظالمين فان كانا منهم دخلا في غمار الناس وان لم

يكونا منهم لم تحفظونى بسب أبى وصاحبه وأنتم تعلمون أن الله جل وعز قال للمؤمن فى أبويه
وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا وقال
جل ثناؤه وقولوا للناس حسنا وهذا الذى دعوتم اليه أمر له ما بعده وليس ينفعكم الا التوقيف
والتصريح ولعمرى ان ذلك لأحرى بقطع الحجج وأوضح لمنهاج الحق وأولى بأن يعرف كل
صاحبه من عدوه فروحوا الى من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه ان شاء الله فلما كان
العشى راحوا اليه فخرج اليهم وقد لبس سلاحه فلما رأى ذلك نجدة قال هذا خروج منابذ
لكم فجلس على رفع من الارض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم
ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر ثم ذكر عثمان فى السنين الاوائل من خلافته ثم وصلهن بالسنين
التى أنكروا سيرته فيها فجعلها كالماضية وخبر أنه آوى الحكم بن أبى العاص باذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح وأن القوم استعتبوه من أمور
وكان له ان يفعلها أولا مصيبا ثم أعتبهم بعد محسنا وان أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا أنه
منه بعد أن ضمن لهم العتبى ثم كتب لهم ذلك الكتاب بقتلهم فدفعوا الكتاب اليه فحلف أنه
لم يكتبه ولم يأمر به وقد أمر بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقته مع ما اجتمع له من صهر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومكانه من الامامة وان بيعة الرضوان تحت الشجرة انما كانت
بسببه وعثمان الرجل الذى لزمته يمين لو حلف عليها لحلف على حق فافتداها بمائة ألف ولم
يحلف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله
فليرض فعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه وأنا ولى وليه وعدو عدوه وأبى وصاحبه صاحبا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله يقول عن الله تعالى يوم أحد لما قطعت اصبع
طلحة سبقته الى الجنة وقال أوجب طلحة وكان الصديق اذا ذكر يوم أحد قال ذاك يوم كله
أو جله لطلحة والزبير حوارى رسول الله وصفوته وقد ذكر أنهما فى الجنة وقال جل وعز لقد

رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وما أخبرنا بعد أنه سخط عليهم فان يكن ما نقموا فيه حقا فأهل ذلك هم وان يكن زلة ففى عفو الله عنهم وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيهم صلى الله عليه وسلم ومهما ذكرتموهما به فقد بدأتم بأمكم عائشة رضى الله عنها فان أبى آب أن تكون له أما نبذ اسم الايمان عنه قال الله جل ذكره وقوله الحق النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم فنظر بعضهم الى بعض ثم انصرفوا عنه وكان سبب وضع الحرب بين ابن الزبير وبين أهل الشأم بعد ان كان حصين بن نمير قد حصر ابن الزبير انه أتاهم موت يزيد بن معاوية فتوادع الناس وكان أهل الشأم ضجروا من المقام على ابن الزبير وحنقت الخوارج فى قتالهم فى ذلك يقول رجل من قضاعة

يا صاحبى ارتحلا ثم املسا * لا تحبسا الذى الحصين محبسا

* ان لدى الاركان ناسا بؤسا *

(قال الاخفش حفظى بأسا أبؤسا)

وبارقات يختلسن الانفسا * اذا الفتى حكم يوما كلسا

قوله ثم املسا يريد تخلصا تخلصا سهلا وكلس أى حمل وجد ولما سمع ابن الزبير للخوارج فى القول وأظهر انه منهم قال رجل يقال له قيس بن همام من رهط الفرزدق

يا ابن الزبير أتهوى عصبة قتلوا * ظلما أباك ولما تنزع الشكك

ضحوا بعثمان يوم النحر ضاحية * ما أعظم الحرمة العظمى التى انتهكوا

فقال ابن الزبير لو شايعتنى الترك والديلم على قتال أهل الشأم لشايعتها الشكك جمع شكة وهى السلاح قال الشاعر

ومدجج يسعى بشكته * محمرة عيناه كالكلب

فتفرقت الخوارج عن ابن الزبير لما تولى عثمان فصارت طائفة الى البصرة وطائفة الى اليمامة

وكان رجاء النميرى وهو الذى كان جمعهم للمدافعة عن الحرم فكان فيمن صار الى البصرة نافع ابن الازرق الحنفى و بنو الماحوز السليطيون ورئيسهم حسان بن بحدج فلما صاروا الى البصرة نظروا فى أمورهم فأمّروا عليهم نافعا ويروى أن ابا الجلد اليشكرى قال لنافع يوما يا نافع ان لجهنم سبعة أبواب وان أشدها حرا الباب الذى أعد للخوارج فان قدرت أن لا تكون منهم فافعل فأجمع القوم على الخروج فمضى بهم نافع الى الاهواز فى سنة أربع وستين فأقاموا بها لا يهيجون أحدا ويناظرهم الناس وكان سبب خروجهم الى الاهواز أنه لما مات يزيد بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد وكان فى السجن يومئذ أربعمائة رجل من الخوارج وضعف أمر ابن زياد فكلم فيهم فأطلقهم فأفسدوا البيعة عليه وفشوا فى الناس يدعون الى محاربة السلطان ويظهرون ما هم عليه حتى اضطرب على عبيد الله أمره فتحول عن دار الامارة الى الازد ونشأت الحرب بسببه بين الازد وربيعة وبين بنى تميم فاعتزلهم الخوارج الا نفرا منهم من بنى تميم معهم عبس بن طلق الصريمى أخو كهمس فانهم أعانوا قومهم فكان عبس الطعان فى سعد والرباب فى القلب بحذاء الازد وكان حارثة بن بدر اليربوعى فى حنظلة بحذاء بكر بن وائل وفى ذلك يقول حارثة بن بدر للاحنف وهو صخر بن قيس

سيكفيك عبس أخو كهمس * مواقفة الازد بالمربد

وتكفيك عمرو على رسلها * لكيز بن أفصى وما عددوا

لكيز هو عبد القيس

وتكفيك بكر اذا أقبلت * بضرب يشيب له الامرد

فلما قتل مسعود بن عمرو المعنى وتكاف الناس أقام نافع بن الازرق بموضعه بالاهواز ولم يعد الى البصرة وطردوا عمال السلطان عنها وجبوا الفئ ولم يزالوا على رأى واحد يتولون أهل النهروم دا سا ومن خرج معه حتى جاء مولى لبنى هاشم الى نافع فقال له ان أطفال المشركين

فى النار وان من خالفنا مشرك فدماء هؤلاء الاطفال لنا حلال قال له نافع كفرت وأذللت بنفسك قال له ان لم آتك بهذا من كتاب الله فاقتلنى قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فهذا أمر الكافرين وأمر أطفالهم فشهد نافع انهم جميعا فى النار ورأى قتلهم وقال الدار دار كفر الا من أظهر ايمانه ولا يحل أكل ذبائحهم ولا تناكحهم ولا توارثهم ومتى جاء منهم جاء فعلينا أن نمتحنه وهم ككفار العرب لا نقبل منهم الا الاسلام أو السيف والقعد بمنزلتهم والتقية لا تحل فان الله تعالى يقول اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقال عز وجل فيمن كان على خلافهم يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فنفر جماعة من الخوارج عنه منهم نجدة بن عامر واحتج عليه بقول الله عز وجل الا أن تتقوا منهم تقاة وبقوله عز وجل وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه فالقعد منا والجهاد اذا أمكن أفضل لقوله جل وعز وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ثم مضى نجدة بأصحابه الى اليمامة ونفروا فى البلدان فلما تتابع نافع فى رأيه وخالف أصحابه وكان أبو طالوت سالم بن مطر بالخضارم فى جماعة قد بايعوه فلما انخزل نجدة خلعوا أبا طالوت وصاروا الى نجدة فبايعوه ولقى نجدة وأصحابه قوما من الخوارج بالعرمة والعرمة كالسكر وجمعها عرم وفى القرآن المجيد فأرسلنا عليهم سيل العرم وقال النابغة الجعدى

من سبأ الحاضرين مأرب اذ * يبنون من دون سيله العرما

فقال لهم أصحاب نجدة ان نافعا قد كفر القعد ورأى الاستعراض وقتل الاطفال فانصرفوا مع نجدة فلما صار باليمامة كتب الى نافع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان عهدى بك وأنت لليتيم كالاب الرحيم وللضعيف كالاخ البر لا تأخذك فى الله لومة لائم ولا ترى معونة ظالم كذلك كنت أنت وأصحابك أما تذكر قولك لولا أنى أعلم أن للامام العادل مثل أجر جميع

رعيته ما توليت أمر رجلين من المسلمين فلما شريت نفسك فى طاعة ربك ابتغاء رضوانه وأصبت من الحق فصه وركبت مره تجرد لك الشيطان ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك ومن أصحابك فاستمالك واستهواك واستغواك وأغواك فغويت فأكفرت الذين عذرهم الله فى كتابه من قعد المسلمين وضعفتهم فقال جل ثناؤه وقوله الحق ووعده الصدق ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ثم سماهم أحسن الاسماء فقال ما على المحسنين من سبيل ثم استحللت قتل الاطفال وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم وقال الله عز ذكره ولا تزر وازرة وزر أخرى وقال فى القعد خيرا وفضل الله من جاهد عليهم ولا يدفع منزلة أكثر الناس عملا منزلة من هو دونه أوما سمعت قوله عز وجل لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر فجعلهم الله من المؤمنين وفضل عليهم المجاهدين بأعمالهم ورأيت ألا تؤدى الامانة الى من خالفك والله يأمر أن تؤدى الامانات الى أهلها فاتق الله وانظر لنفسك واتق يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ فان الله عز ذكره بالمرصاد وحكمه العدل وقوله الفصل والسلام

فكتب اليه نافع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد أتانى كتابك تعظنى فيه وتذكرنى وتنصح لى وتزجرنى وتصف ما كنت عليه من الحق وما كنت أوثره من الصواب وأنا أسأل الله جل وعز أن يجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وعبت على ما دنت به من اكفار القعد وقتل الاطفال واستحلال الامانة فسأفسر لك لم ذلك ان شاء الله أما هؤلاء القعد فليسوا كمن ذكرت ممن كان بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون الى الهرب سبيلا ولا الى الاتصال بالمسلمين طريقا وهؤلاء قد تفقهوا فى الدين وقرؤا القرآن والطريق لهم نهج واضح وقد عرفت ما قال الله عز وجل فيمن كان مثلهم اذ قالوا كنا مستضعفين فى الارض فقيل لهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقال

فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وقال وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم نخبر
بمعاذيرهم وأنهم كذبوا الله ورسوله وقال سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم فانظر الى
أسمائهم وسماتهم وأما أمر الاطفال فان نبي الله نوحا عليه السلام كان أعلم بالله يا نجدة
مني ومنك فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا
١ يلدوا الا فاجرا كفارا فسماهم بالكفر وهم أطفال وقبل أن يولدوا فكيف كان ذلك في قوم
نوح ولا نكون نقوله في قومنا والله يقول أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر وهؤلاء
كمشركي العرب لا نقبل منهم جزية وليس بيننا وبينهم الا السيف أو الاسلام وأما استحلال
أمانات من خالفنا فان الله عز وجل أحل لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم فدماؤهم حلال طلق
وأموالهم فيء للمسلمين فاتق الله وراجع نفسك فانه لا عذر لك الا بالتوبة ولن يسعك خذلاننا
والقعود عنا وترك ما نهجنا لك من طريقتنا ومقالتنا والسلام على من أقر بالحق وعمل
به وكتب نافع الى عبد الله بن الزبير يدعوه الى أمره أما بعد فاني أحذرك من الله يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم
الله نفسه فاتق الله ربك ولا تتول الظالمين فان الله يقول لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء
من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء وقد حضرت عثمان يوم قتل فلعمري
لئن كان قتل مظلوما لقد كفر قاتلوه وخاذلوه ولئن كان قاتلوه مهتدين وانهم لمهتدون لقد كفر
من يتولاه وينصره ويعضده ولقد علمت أن أباك وطلحة وعليا كانوا أشد الناس عليه
وكانوا في أمره من بين قاتل وخاذل وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان وكيف ولاية قاتل
متعمد ومقتول في دين واحد ولقد ملك علي بعده فنفى الشبهات وأقام الحدود وأجرى
الاحكام مجاريها وأعطى الامور حقائقها فيما عليه وله فبايعه أبوك وطلحة ثم خلعاه ظالمين له
وان القول فيك وفيهما لكما قال ابن عباس ان يكن علي في وقت معصيتكم ومحاربتكم له

كان مؤمنا أما لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل ولئن كان كافرا كما زعمتم وفي الحكم جائرا لقد بؤتم بغضب من الله لفراركم من الزحف ولقد كنت له عدوا ولسيرته عائبا فكيف توليته بعد موته فاتق الله فانه يقول ومن يتولهم منكم فانه منهم وكتب نافع الى من بالبصرة من المحكمة بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون والله انكم لتعلمون أن الشريعة واحدة والدين واحد ففيم المقام بين أظهر الكفار ترون الظلم ليلا ونهارا وقد ندبكم الله الى الجهاد فقال وقاتلوا المشركين كافة ولم يجعل لكم في التخلف عذرا في حال من الحال فقال انفروا خفافا وثقالا وانما عذر الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون ومن كانت اقامته لعلة ثم فضل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله فلا تغتروا ولا تطمئنوا الى الدنيا فانها غرارة مكارة لذتها نافدة ونعمتها بائدة حفت بالشهوات اغترارا وأظهرت حبرة وأضمرت عبرة فليس آكل منها أكلة تسره ولا شارب شربة تؤنقه الا دنا بها درجة الى أجله وتباعد بها مسافة من أمله وانما جعلها الله دارا لمن تزود منها الى النعيم المقيم والعيش السليم فلن يرضى بها حازم دارا ولا حليم بها قرارا فاتقوا الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى والسلام على من اتبع الهدى فورد كتابه عليهم وفي القوم يومئذ أبو بيهس هيصم بن جابر الضبعي وعبد الله بن اباض المري من بني مرة بن عبيد فأقبل أبو بيهس على ابن اباض فقال ان نافعا غلا فكفر وانك قصرت فكفرت تزعم ان من خالفنا ليس بمشرك وانما هم كفار النعم لتمسكهم بالكتاب واقرارهم بالرسول وتزعم أن مناكحهم ومواريثهم والاقامة فيهم حل طلق وأنا أقول ان أعداءنا كأعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم تحل لنا الاقامة فيهم كما فعل المسلمون في اقامتهم بمكة وأحكام المشركين تجري فيها وأزعم أن مناكحهم ومواريثهم تجوز لانهم منافقون يظهرون الاسلام وان حكمهم عند الله حكم

المشركين فصاروا في هذا الوقت على ثلاثة أقاويل قول نافع في البراءة والاستعراض واستحلال الامانة وقتل الاطفال وقول أبي بيهس الذي ذكرناه وقول عبد الله بن اباض وهو أقرب الاقاويل الى السُنّة من أقاويل الضُلّال والصُفرية والنَجْدية في ذلك الوقت يقولون بقول ابن اباض وقد قال ابن اباض ما ذكرنا من مقالته وأنا أقول ان عدونا كعدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني لا أُحَرّم مناكحهم ومواريثهم لان معهم التوحيد والاقرار بالكتاب والرسول عليه السلام فأرى معهم دَعْوَة المسلمين تجمعهم وأراهم كُفّار النِعَم وقالت الصفرية أَلْيَن من هذا القول في أمر القَعَد حتى صار عامتهم قَعَدًا واختلفوا فيهم وقد ذكرنا ذلك فقال قوم سُمّوا صُفْرية لانهم أصحاب ابن صَفّار وقال قوم انما سُمّوا بصُفْرة عَلَتْهُم وتصديق ذلك قولُ ابن عاصم الليثي وكان يَرى رأي الخوارج فتركه وصار مُرجئا

فارقتُ نجدة والذين تَزَرّقوا * وابنَ الزبير وشيعة الكَذّاب

والصُفرَ الاذان الذين تَخَيّروا * دينا بلا ثقــة ولا بكتاب

خَفّف الهمزة من الآذان ولولا ذلك لانكسر الشعرُ وقال أبو بيهس الدار دار كفر والاستعراضُ فيها جائز وان أُصيبَ من الاطفال فلا حرج الى ههنا انتهت المقالة ❁ وتفرقت الخوارج على الاضرب الاربعة التي ذكرنا وأقام نافع بالاهواز يستعرض الناس ويقتل الاطفال فاذا أُجيب الى المقالة جَبا الخراج وفَشَا عُمّاله في السواد فارتاع لذلك أهلُ البصرة فاجتمعوا الى الاحنف بن قيس فشكوا ذلك اليه وقالوا ليس بيننا وبين العدو الا ليلتان وسيرتُهم ما ترى فقال الاحنف ان فعلهم في مصركم ان ظفروا به كفعلهم في سوادكم فجِدّوا في جهاد عدوكم فاجتمع اليه عشرةُ آلاف فأتى عبدَ الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وهو بَبّة فسأله أن يؤمّر عليهم فاختار لهم ابن عُبيس بن كُرَيز وكان دَيّنا شجاعا فأمّره عليهم وشَيّعه فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس فقال اني ما خرجت لامتياز ذهب

ولا فضة وانى لا حارب قوما ان ظفرت بهم فما وراءهم الا سيوفهم ورماحهم فمن كان شأنه الجهاد فلينهض ومن أحب الحياة فليرجع فرجع نفر يسير ومضى الباقون معه فلما صاروا بدولاب خرج اليهم نافع فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتل وتضاربوا بالسيوف والعمد فقتل فى المعركة ابن عبيس ونافع بن الازرق وكان ابن عبيس تقدم الى أصحابه فقال ان أصبت فأميركم الربيع بن عمرو الاجذم الغدانى فلما أصيب ابن عبيس أخذ الربيع الراية وكان نافع قد استخلف عبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطى فكان الرئيسان من بنى يربوع رئيس المسلمين من بنى غدانة بن يربوع ورئيس الخوارج من بنى سليط بن يربوع فاقتتلوا قتالا شديدا وادعى قتل نافع سلامة الباهلى وقال لما قتلته وكنت على برذون ورد اذا برجل على فرس وأنا واقف فى خمس قيس ينادى يا صاحب الورد هلم الى المبارزة فوقفت فى خمس بنى تميم فاذا به يعرضها على وجعلت أتنقل من خمس الى خمس وليس يزايلنى فصرت الى رحلى ثم رجعت فرآنى فدعانى الى المبارزة فلما أكثر خرجت اليه فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته فنزلت لسلبه وأخذ رأسه فاذا امرأة قد رأتنى حين قتلت نافعا فخرجت لتثأر به فلم يزل الربيع الاجذم يقاتلهم نيفا وعشرين يوما حتى قال يوما أنا مقتول لا محالة قالوا وكيف قال لانى رأيت البارحة كان يدى التى أصيبت بكابل انحطت من السماء فاستشلتنى فلما كان الغد قاتل الى الليل ثم غاداهم فقتل فتدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب اذ لم يكن لهم رئيس ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحميرى فأباها فقيل له ألا ترى أن رؤساء العرب بالحضرة وقد اختاروك من بينهم فقال مشؤمة ما يأخذها أحد الا قتل ثم أخذها فلم يزل يقاتل الخوارج بدولاب والخوارج أعد بالآلات والدروع والجواشن فالتقى الحجاج بن باب وعمران بن الحرث الراسبى وذلك بعد أن اقتتلوا زهاء شهر فاختلفا ضربتين فسقطا ميتين فقالت أم عمران ترثيه

الله أيد عمراناً وطهره * وكان عمران يدعو الله فى السحر
يدعوه سراً واعلاناً ليرزقه * شهادة بيدى ملحادة غدر
ولى صحابته عن حر ملحمة * وشد عمران كالضرغامة الهصر

قول الربيع استشلتنى أى أخذتنى اليها واستنقذتنى يقال استشلاه واشتلاه وفى الحديث ان السارق اذا قطع سبقته يده الى النار فان تاب استشلاها قال رؤبة

* ان سليمان اشتلانا ابن على * وقول الناس أشليت كلبى أى أغريته بالصيد خطأ انما يقال آسدته وأشليته دعوته وقولها بيدى ملحادة مفعال من الالحاد كما تقول رجل معطاء يافتى ومحسان ومكرام وأدخلت الهاء للمبالغة كما تدخل فى راوية وعلامة ونسابة وغدر فعل من الغدر ولفعل باب نذكره فى عقب هذه القصة اذا فرغنا من خبر هذه الوقعة والضرغامة من أسماء الاسد والهصر الذى يهصر كل شئ أى يثنيه قال امرؤ القيس

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت * هصرت بغصن ذى شماريخ ميال

ولذكرنا الصفرية والازارقة والبيهسية والاباضية تفسير لم تنسب الى ابن الازرق بالازارقة والى أبى بيهس بالكنية المضاف اليها ونسبت الى صفر ولم تنسب الى واحد هم ونسب الى ابن اباض فجعل النسب الى أبيه وهذا نذكره بعد باب فعل ﴿ ومما قيل من الشعر فى يوم دولاب قول قطرى

لعمرك انى فى الحياة لزاهد * وفى العيش مالم ألق أم حكيم
من الخفرات البيض لم ير مثلها * شفاء لذى بث ولا لسقيم
لعمرك انى يوم ألطم وجهها * على نائبات الدهر جد لئيم
ولو شهدتنى يوم دولاب أبصرت * طعان فتى فى الحرب غير ذميم
غداة طفت علماء بكر بن وائل * وعجنا صدور الخيل نحو تميم

وكان لعبد القيس أول جدها * وأحلافها من يحصب وسليم

وظلت شيوخ الأزد في حومة الوغى * تعوم وظلنا في الجلاد نعوم

فلم أر يوما كان أكثر مقعصا * يمج دما من فائظ وكليم

وضاربة خدا كريما على فتى * أغر نجيب الأمهات كريم

أصيب بدولاب ولم تك موطنا * له أرض دولاب ودير حميم

فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا * تبيح من الكفار كل حريم

رأت فتية باعوا الاله نفوسهم * بجنات عدن عنده ونعيم

قوله ولو شهدتنا يوم دولاب فلم ينصرف دولاب فانما ذاك لانه أراد البلدة ودولاب أعجمى معرب وكل ما كان من أسماء الاعجمية نكرة بغير الالف واللام فاذا دخلته الالف واللام فقد صار معربا وصار على قياس الاسماء العربية لا يمنعه من الصرف الا ما يمنع العربى فدولاب فوعال مثل طومار وسولاف وكل شئ لا يخص واحدا من الجنس من غيره فهو نكرة نحو رجل لان هذا الاسم يلحق كل ما كان على بنيته وكذلك جمل وجبل وما أشبه ذلك فان وقع الاسم فى كلام العجم معرفة فلا سبيل الى ادخال الالف واللام عليه لانه معرفة فلا معنى لتعريف آخر فيه فذلك غير منصرف نحو فرعون وقارون وكذلك اسحق وابراهيم ويعقوب وقوله غداة طفت علماء بكر بن وائل وهو يريد على الماء فان العرب اذا التقت فى مثل هذا الموضع لامان استجازوا حذف احداهما استثقالا للتضعيف لان ما بقى دليل على ما حذف يقولون علماء بنو فلان كما قال الفرزدق

وما سبق القيسى من ضعف حيلة * ولكن طفت علماء قلفة خالد

وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة فانهم يجيزون معه حذف النون التى فى قولك بنو الحرث لقرب مخرج النون من اللام وذلك قولك فلان من بلحرث وبلعنبر وبلهجيم

وقال آخر من الخوارج

يرى من جاء ينظر من دُجَيل * شيوخَ الأزدِ طافيةً لحاها

وقال رجل منهم

شمت ابن بدر والحوادث جمة * والجائرون بنافع بن الأزرق

والموت حتم لا محالة واقع * من لا يصبحه نهارا يطرق

فلئن أميرَ المؤمنين أصابه * ريبُ المنون فمن يصبه يغلق

نصب بعد ان لان حرف الجزاء للفعل فانما اراد فلئن أصاب أمير المؤمنين فلما حذف هذا الفعل واضمر ذكر أصابه ليدل عليه ومثله قول النمر بن تولب

لا تجزعي ان منفسا أهلكته * واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي

وقال ذو الرمة

اذا ابنَ أبي موسى بلالا بلغته * فقام بفأس بين وصليك جازر

لان اذا لا يليها الا الفعل وهي به أولى

(٥١) هذا باب فُعَل

اعلم ان كل اسم على مثال فُعَل فهو مصروف في المعرفة والنكرة اذا كان اسما أصليا أو نعتا فالاسماء نحو صُرَد ونُغَر وجُعَل وكذلك ان كان جمعا نحو ظُلَم وغُرَف وان سميت بشيء من هذا رجلا انصرف في المعرفة والنكرة وأما النعت فنحو رجل حُطَم كما قال

* قد لفها الليل بسواق حطم * وكذلك مال لُبَد وهو الكثير من قوله جل جلاله أهلكت مالا لُبَدا فان كان الاسم على فُعَل معدولا عن فاعل لم ينصرف اذا كان اسم رجل في المعرفة وينصرف في النكرة وذلك نحو عُمَر وقُثَم لانه معدول عن عامر وهو الاسم الجاري على الفعل

فهذا اسما معرفته قبل نكرته واذا أريد به مذهب المعرفة جاز أن تبنيه في النداء من كل فعل
لان المنادى مشار اليه وذلك قولك يافُسَقُ ويا خُبَثُ تريد يافاسق ويا خبيث واغا قال الشاعر يدى
ملحادة غُدَرَ في غير النداء للضرورة فنقلته معرفة من النداء ثم جعلته نكرة لخروجه عن
الاشارة فنعتت به ملحادة كما قال الحطيئة

أُجَوِّلُ ما أُجَوِّلُ ثم آوي * الى بيتٍ قعيدتُهُ لَكَاعِ

وهذا لا يقع الا في النداء ولكن الشاعر نقله نكرة ونقله معرفة على حد ما كان له في النداء
فيلحق قولها غُدَرُ بقوله رجل حُطَمٌ ومال لُبَدٌ وما أشبهه وفَعالِ في المؤنث بمنزلة فُعَلَ في المذكر
ولو سميت رجلا حُطَماً لصرفته من قولك هذا سائق حُطَمٌ لانه قد وقع نكرة غير معدول فهو
في النعوت بمنزلة صُرَدٍ في الاسماء

٥٢ ﴿هذا باب النسب الى المضاف﴾

اعلم انك اذا نسبت الى عَلَمٍ مضاف فالوجه أن تنسب الى الاسم الاول وذلك قولك في عبد
القيس عَبْدِيٌّ وكذلك في عبد الله بن دارم فان كان الاسم الثاني أشهر من الاول جاز النسب
اليه لئلا يقع في النسب التباسٌ من اسم باسم وذلك قولك في النسب الى عَبْدِ مَنافٍ مَنافِيٌّ والى
أبي بَكْرِ بن كلاب بَكْرِيٌّ وقد يجوز وهو قليل أن تبنى له من الاسمين اسما على مثال الاربعة
لينتظم النسبُ وذلك قولك في النسب الى عبد الدار بن قُصَيٍّ عَبْدَرِيٌّ وفي النسب الى عبد
القيس عَبْقَسِيٌّ فان كان المضاف غير عَلَمٍ فالنسب الى الثاني على كل حال وذلك قولك في النسب
الى ابن الزبير زُبَيْرِيٌّ لان ابن الزبير انما صار معرفة بالزبير وكذلك النسب الى ابن رَأْلانَ
رَأْلانِيٌّ فلذلك قالوا في النسب الى ابن الازرق أَزْرَقِيٌّ والى أبي بيهس بَيْهَسِيٌّ فأما قولهم صُفْرِيٌّ
فانما أرادوا الصُّفْرَ الالوان فنسبوا الى الجماعة وحقُّ الجماعة اذا نُسب اليها أن يقع النسب الى

واحدها كقولك مهلبي ومسمعي ولكن جعلوا صفرا اسما للجماعة ثم نسبوا اليه ولم يقولوا أصفري فينسب الى واحدها وانما كان ذلك لانهم جعلوا الصفرا اسما للجماعة كما تسمى القبيلة بالاسم الواحد ألا ترى أن النسب الى الانصار أنصاري لانه كان علما للقبيلة وكذلك مدائني وتقول في النسب الى الأبناء من بني سعد أبناوي لانه اسم للجماعة فأما قولهم الأزارقة فهذا باب من النسب آخر وهو أن يسمى كل واحد منهم باسم الأب اذا كانوا اليه ينسبون ونظيره المهالبة والمسامعة والمناذرة ويقولون جاءني النميرون والاشعرون جعل كل واحد منهم نميرا وأشعر فهذا يتصل في القبائل على ما ذكرت لك وقد تنسب الجماعة الى الواحد على رأي أو دين فيكون له مثل نسب الولادة كما قالوا أزرقي لمن كان على رأي ابن الازرق كما تقول تميمي وقيسي لمن ولده تميم وقيس ومن قرأ سلام على الياسين فانما يريد الياس عليه السلام ومن كان على دينه كما قال * قدني من نصر الخبيبين قدي * يريد أبا خبيب ومن معه وقد يجتمع الرجل مع الرجل في التثنية اذا كان مجازهما واحدا في أكثر الامر على لفظ أحدهما فمن ذلك قولهم العمران لابي بكر وعمر رضي الله عنهما ومن ذلك قولهم الخبيبان لعبد الله ومصعب وقد مضى تفسيره ۞ عاد القول في الخوارج قال والازارقة لا تكفر أحدا من أهل مقالتها في دار الهجرة الا القاتل رجلا مسلما فانهم يقولون المسلم حجة الله والقاتل قصد لقطع الحجة ويروى أن نافعا مر بمالك بن مسمع في الحرب التي كانت بين الأزد وربيعة وبني تميم ونافع متقلد سيفا فقام اليه مالك فضرب بيده الى حمالة سيفه وقال ألا تنصرنا في حربنا هذه فقال لا يحل لي قال فما بال مؤمني بني تميم ينصرون كفارهم في هذه الحرب فأمسك عنه وخرج بعد ذلك بأيام الى الأهواز فلما قتل من قتل ممن يختار من الخوارج في أيام ابن الماحوز كره بقية القتال وأقام حارثة بن بدر الغداني بازاء الخوارج يناوشهم على غير ولاية وكان يقول ما عذرنا عند اخواننا من أهل البصرة ان وصل اليهم الخوارج ونحن

دونهم.

دونهم فكتب أهل البصرة الى ابن الزبير يخبرونه بقعود بة ويسألونه أن يولي واليا فكتب الى أنس بن مالك أن يصلي بالناس فصلى بهم أربعين يوما وكتب الى عمر بن عبيد الله بن معمر فولاه البصرة فلقيه الكتاب وهو يريد الحج وهو في بعض الطريق فرجع فأقام بالبصرة وولى أخاه عثمان محاربة الازارقة فخرج اليهم في اثني عشر ألفا ولقيه حارثة فيمن كان معه وعبيد الله بن الماحوز في الخوارج بسوق الاهواز فلما عبروا اليهم دجيلا نهض اليهم الخوارج وذلك قبيل الظهر فقال عثمان بن عبيد الله لحارثة بن بدر أما الخوارج الا ما أرى فقال له حارثة حسبك بهؤلاء فقال لا جرم والله لا أتغدى حتى أناجزهم فقال له حارثة ان هؤلاء لا يقاتلون بالتعسف فأبق على نفسك وجندك فقال أبيتم أهل العراق الا جبنا وأنت يا حارثة ما علمك بالحرب أنت والله بغير هذا أعلم يعرض له بالشراب فغضب حارثة فاعتزل وحاربهم عثمان يومه الى ان غابت الشمس فأجلت الحرب عنه قتيلا وانهزم الناس وأخذ حارثة الراية وصاح بالناس أنا حارثة بن بدر فثاب اليه قومه فعبر بهم دجيلا وبلغ قتل عثمان البصرة وخاف الناس الخوارج خوفا شديدا وعزل ابن الزبير عمر بن عبيد الله وولى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقباع أحد بني مخزوم وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي الشاعر فقدم البصرة فكتب اليه حارثة بن بدر يسأله الولاية والمدد فأراد أن يوليه فقال له رجل من بكر بن وائل ان حارثة ليس بذلك انما هو صاحب شراب وفيه يقول رجل من قومه

ألم تر أن حارثة بن بدر * يصلي وهو أكفر من حمار
ألم تر أن للفتيان حظا * وحظك في البغايا والقمار

فكتب اليه القباع تكفى حربهم ان شاء الله فأقام حارثة يدافعهم فقال شاعر من بني تميم يذكر عثمان بن عبيد الله بن معمر ومسلم بن عبيس وحارثة بن بدر

مضى ابن عيس صابرا غير عاجز * وأعقبنا هذا الحجازى عثمان

فأرعد من قبل اللقاء ابن معمر * وأبرق والبرق اليمانى خوان

فضحت قريشا غثها وسمينها * وقيل بنو تيم بن مرة عزلان

فلولا ابن بدر للعراقين لم يقم * بما قام فيه للعراقين انسان

اذا قيل من حامى الحقيقة أومأت * اليه معد بالانوف وقحطان

قوله فأرعد زعم الاصمعى أنه خطأ وأن الكميت أخطأ فى قوله

أرعد وأبرق يايزيـ ـد فما وعيدك لى بضائر

وزعم أن هذا البيت الذى يروى لمهلهل مصنوع محدث وهو قوله

أنبضوا معجس القسى وأبرقـ ـنا كما توعد الفحول الفحولا

وانه لا يقال الا رعد وبرق اذا أوعد وتهدد وهو يرعد ويبرق وكذا يقال رعدت السماء وبرقت وأرعدنا نحن وأبرقنا اذا دخلنا فى الرعد والبرق قال الشاعر

* فقل لابى قابوس ماشئت فارعد * وروى غير الاصمعى أرعد وأبرق على ضعف وقوله والبرق اليمانى خوان يريد والبرق اليمانى يخون وأجود النسب الى اليمن يمنى ويجوز يمان بتخفيف الياء وهو حسن وهو فى أكثر الكلام تكون الالف عوضا من احدى الياءين ويجوز يمانى فاعلم تكون الالف زائدة وتشدد الياء قال العباس بن عبد المطلب

ضربناهم ضرب الاحامس غدوة * بكل يمانى اذا هز صمما

ثم ان حارثة لما تفرق الناس عنه أقام بنهر تيرى فعبرت اليه الخوارج فهرب وأصحابه يركض حتى أتى دجيلا فجلس فى سفينة واتبعه جماعة من أصحابه فكانوا معه وأتاه رجل من بنى تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه وقد توسط حارثة فصاح به يا حارث ليس مثلى يضيع فقال للملاح قرب فقرب الى جرف ولا فرضة هنالك فطفر بسلاحه فى السفينة فساخت بالقوم

جميعا وأقام ابن الماحوز يجبي كور الاهواز ثلاثة أشهر ثم وجه الزبير بن علي نحو البصرة ففزع الناس الى الاحنف فأتى القباع فقال أصلح الله الامير ان هذا العدو قد غلبنا على سوادنا وفيئنا فلم يبق الا ان يحصرنا في بلدنا حتى نموت هزلا قال فسموا رجلا فقال الاحنف الرأى لا يخيل ما أرى لها الا المهلب بن أبي صفرة فقال أو هذا رأى جميع أهل البصرة اجتمعوا الى في غد وجاء الزبير حتى نزل الفرات وعقد الجسر ليعبر الى ناحية البصرة فخرج أكثر أهل البصرة اليه وقد اجتمع للخوارج أهل الاهواز وكورها رغبة ورهبة فأتاه البصريون في السفن وعلى الدواب ورجالة فاسودت بهم الارض فقال الزبير لما رآهم أبى قومنا الا كفرا فقطعوا الجسر وأقام الخوارج بالفرات بازائهم واجتمع الناس عند القباع وخافوا الخوارج خوفا شديدا وكانوا ثلاث فرق فسمى قوم المهلب وسمى قوم مالك بن مسمع وسمى قوم زياد بن عمرو بن الاشرف العتكي فصرفهم ثم اختبر ما عند مالك وزياد فوجدهما متثاقلين عن ذلك وعاد اليه من أشار بهما وقالوا قد رجعنا عن رأينا ما نرى لها الا المهلب فوجه الحرث اليه فأتاه فقال له يا أبا سعيد قد ترى ما رهقنا من هذا العدو وقد اجتمع أهل مصرك عليك وقال الاحنف يا أبا سعيد انا والله ما آثرناك بها ولكنا لم نر من يقوم مقامك فقال له الحرث وأومأ الى الاحنف ان هذا الشيخ لم يسمك الا ايثارا للدين وكل من في مصرك ماد عينه اليك راج أن يكشف الله عز وجل هذه الغمة بك فقال المهلب لا حول ولا قوة الا بالله اني عند نفسي لدون ما وصفتم ولست آبيا ما دعوتم اليه على شروط أشترطها قال الاحنف قل قال على أن أنتخب من أحببت قال ذلك لك قال ولي امرة كل بلد أغلب عليه قال وذلك لك قال ولي فيء كل بلد أظفر به قال الاحنف ليس ذلك لك ولا لنا انما هو فيء المسلمين فان سلبتهم اياه كنت عليهم كعدوهم ولكن لك ان تعطي أصحابك من فيء كل بلد تغلب عليه ما شئت وتنفق على محاربة عدوك فما فضل عنكم كان للمسلمين فقال المهلب فمن لي بذلك قال

الاحنف نحن وأميرك وجماعة أهل مصرك قال قد قبلت فكتبوا بذلك كتابا ووضع على يدى الصلت بن حريث بن جابر الحنفى وانتخب المهلب من جميع الاخماس فبلغت نخبته اثنى عشر ألفا ونظروا ما فى بيت المال فلم يكن الا مائتى ألف درهم فعجزت فبعث المهلب الى التجار ان تجارتكم مذ حول قد كسدت عليكم بانقطاع مواد الاهواز وفارس عنكم فهلم فبايعونى واخرجوا معى أوفكم ان شاء الله حقوقكم فتاجروه فأخذ من المال ما يصلح به عسكره واتخذ لاصحابه الخفاتين والرانات المحشوة بالصوف ثم نهض وأكثر أصحابه رجالة حتى اذا صار بحذاء القوم أمر بسفن فأحضرت وأصلحت فما ارتفع النهار حتى فرغ منها ثم أمر الناس بالعبور الى الفرات وأمر عليهم ابنه المغيرة فخرج الناس فلما قاربوا الشاطئ خاضت اليهم الخوارج فحاربهم المغيرة ونضحهم بالسهام حتى تنحوا فصار هو وأصحابه على الشاطئ فحاربوهم فكشفوهم وشغلوهم حتى عقد المهلب الجسر وعبر والخوارج منهزمون فنهى الناس عن اتباعهم ففى ذلك يقول شاعر من الازد

ان العراق وأهله لم يخبروا * مثل المهلب فى الحروب فسلموا

أمضى وأيمن فى اللقاء نقيبة * وأقل تهليلا اذا ما أحجموا

التهليل التكذيب والانهزام وأبلى مع المغيرة يومئذ عطية بن عمرو العنبرى وكان من فرسان بنى تميم وشجعانهم فقال عطية

يدعى رجال للعطاء وانما * يدعى عطية للطعان الاجرد

وقال الشاعر

وما فارس الا عطية فوقه * اذا الحرب أبدت عن نواجذها الفما

به هزم الله الازارق بعد ما * أباحوا من المصرين حلا ومحرما

فأقام المهلب أربعين يوما يجبى الخراج بكور دجلة والخوارج بنهر تيرى والزبير بن على منفرد

بعسكره عن عسكر ابن الماحوز فقضى المهلب التجار وأعطى أصحابه فأسرع اليه الناس رغبة فى مجاهدة الخوارج ولما فى الغنائم والتجارات فكان فيمن أتاه محمد بن واسع الازدي وعبد الله بن رياح ومعاوية بن قرة المزنى وكان يقول يعنى معاوية لو جاء الديلم من ههنا والحرورية من ههنا لحاربت الحرورية وأبو عمران الجونى وكان يقول كان كعب يقول قتيل الحرورية يفضل قتيل غيرهم بعشرة أنوار ثم نهض المهلب اليهم الى نهر تيرى فتنحوا عنه الى الاهواز وأقام المهلب يجبى ما حواليه من الكور وقد دس الجواسيس الى عسكر الخوارج فأتوه بأخبارهم ومن فى عسكرهم فاذا حشوة ما بين قصار وصباغ وداعر وحداد فخطب المهلب الناس فذكر من هنالك وقال للناس أمثل هؤلاء يغلبونكم على فيئكم فلم يزل مقيما حتى فهمهم وأحكم أمره وقوى أصحابه وكثرت الفرسان فى عسكره وتتام اليه زهاء عشرين ألفا ثم مضى يؤم سوق الاهواز فاستخلف أخاه المعارك بن أبى صفرة على نهر تيرى وفى مقدمته المغيرة بن المهلب حتى قاربهم المغيرة فناوشوه فانكشف عنه بعض أصحابه وثبت المغيرة بقية يومه وليلته يوقد النيران ثم غاداهم القتال فاذا القوم قد أوقدوا النيران فى ثقل متاعهم وارتحلوا عن سوق الاهواز فدخلها المغيرة وقد جاءت أوائل خيل المهلب فأقام بسوق الاهواز وكتب بذلك الى الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانا منذ خرجنا نؤم هذا العدو فى نعم من الله متصلة علينا ونقمة من الله متتابعة عليهم نقدم ويحجمون ونحل ويرتحلون الى ان حللنا سوق الاهواز والحمد لله رب العالمين الذى من عنده النصر وهو العزيز الحكيم فكتب اليه الحرث هنيأ لك أخا الازد الشرف فى الدنيا والذخر فى الآخرة ان شاء الله فقال المهلب لاصحابه ما أجفى أهل الحجاز أما ترونه يعرف اسمى واسم أبى وكنيتى وكان المهلب يبث الاحراس فى الامن كما يبثهم فى الخوف ويذكى العيون فى الامصار كما يذكيها فى الصحارى ويأمر أصحابه بالتحرز ويخوفهم

البيات وان بعد منهم العدو ويقول احذروا أن تكادوا كما تكيدون ولا تقولوا هزمنا وغلبنا
فان القوم خائفون وجلون والضرورة تفتح باب الحيلة ثم قام فيهم خطيبا فقال يا أيها الناس
انكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج وأنهم ان قدروا عليكم فتنوكم في دينكم وسفكوا
دماءكم فقاتلوهم على ما قاتل عليه أولهم علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فقد لقيهم قبلكم
الصابر المحتسب مسلم بن عبيس والعجل المفرط عثمان بن عبيد الله والمعصي المخالف حارثة
ابن بدر فقتلوا جميعا وقتلوا فالقوهم بجد وحد فانما هم مهنتكم وعبيدكم وعار عليكم ونقص
في أحسابكم وأديانكم أن يغلبكم هؤلاء على فيئكم ويطؤا حريمكم ثم سار يريدهم وهم بمناذر
الصغرى فوجه عبيد الله بن بشير بن الماحوز رئيس الخوارج رجلا يقال له واقد مولى لآل
أبي صفرة من سبي الجاهلية في خمسين رجلا فيهم صالح بن مخراق الى نهر تيرى وبها المعارك
ابن أبي صفرة فقتلوه وصلبوه فنمى الخبر الى المهلب فوجه ابنه المغيرة فدخل نهر تيرى وقد
خرج واقد منها فاستنزله ودفنه وسكن الناس واستخلف بها ورجع الى أبيه وقد حل
بسولاف والخوارج بها فواقعهم وحمل على بني تميم الحريش بن هلال فخرج رجل من أصحاب
المهلب يقال له عبد الرحمن الاسكاف فجعل يحض الناس وهو على فرس له صفراء فجعل يأتي
الميمنة والميسرة والقلب فيحض الناس ويهون أمر الخوارج ويختال بين الصفين فقال رجل
من الخوارج لاصحابه يا معشر المهاجرين هل لكم في فتكة فيها أريحية فحمل جماعة منهم
على الاسكاف فقاتلهم وحده فارسا ثم كبا به فرسه فقاتلهم راجلا قائما وباركا ثم كثرت به
الجراحات فذبب بسيفه وجعل يحثو التراب في وجوههم والمهلب غير حاضر ثم قتل رحمه الله
وحضر المهلب فأخبر فقال للحريش وعطية العنبري أأسلمتما سيد أهل العسكر لم تعيناه ولم
تستنقذاه حسدا له لانه رجل من الموالي ووبخهما وحمل رجل من الخوارج على رجل من
أصحابه فقتله فحمل عليه المهلب فطعنه فقتله ومال الخوارج بأجمعهم على العسكر فانهزم

الناس وقتلوا سبعين رجلا وثبت المهلب وأبلى المغيرة يومئذ وعرف مكانه ويقال حاص المهلب يومئذ حيصة وتقول الأزد بل كان يرد المنهزمة ويحمي أدبارهم فقال رجل من بني منقر بن عبيد بن الحرث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم

بسولاف أضعت دماء قومي * وطرت على مواشكة درور

قوله مواشكة يريد سريعة ويقال نحن على وشك رحيل ويقال ذميل مواشك اذا كان سريعا قال ذو الرمة

اذا مار تمنا رمية في مفازة * عراقيبها بالشيظمي المواشك

ودرور فعول من در الشيء اذا تتابع وقال رجل من بني تميم آخر

تبعنا الاعور الكذاب طوعا * يزجي كل أربعة حمارا

فيا ندمي على تركي عطائي * معاينة وأطلبه ضمارا

اذا الرحمن يسرلي قفولا * فحرق في قرى سولاف نارا

قوله الاعور الكذاب يعني المهلب ويقال عارت عينه بسهم كان أصابها وقال الكذاب لان المهلب كان فقيها وكان يعلم ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله كل كذب يكتب كذبا الا ثلاثة الكذب في الصلح بين الرجلين وكذب الرجل لامرأته يعدها وكذب الرجل في الحرب يتوعد ويتهدد وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل فخذل عنا فانما الحرب خدعة وقال عليه السلام في حرب الخندق لسعد بن عبادة وسعد بن معاذ وهما سيدا الحيين الخزرج والأوس ائتيا بني قريظة فان كانوا على العهد فأعلنا بذلك وان كانوا قد نقضوا ما بيننا فالحنا الي لحنا أعرفه ولا تفتا في أعضاد المسلمين فرجعا بغدر القوم فقالا يا رسول الله عضل والقارة قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين أبشروا فان الامر ما تحبون (قال الاخفش سألت المبرد عن قولهما عضل والقارة فقال هذان حيان كانا في نهاية

العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرادتهم في الانحراف عنه والغدر به كهاتين القبيلتين) قال أبو العباس فكان المهلب ربما صنع الحديث ليشدّ به من أمر المسلمين ويُضعّف من أمر الخوارج فكان حيٌّ من الأزد يقال لهم النَّدَبُ اذا رأوا المهلب راح اليهم قالوا قد راح المهلب ليكذب وفيه يقول رجل منهم

أنتَ الفتى كلُّ الفتى * لو كنتَ تَصدُقُ ما تقول

فبات المهلب في ألفين فلما أصبح رجع بعض المنهزمة فصار في أربعة آلاف فخطب أصحابه فقال والله ما بكم من قلة وما ذهب عنكم الا أهل الجُبْن والضَّعْف والطمع والطَّبَع فان يمسسكم قرحٌ فقد مسّ القوم قرحٌ مثلُه فسيروا الى عدوكم على بركة الله فقام اليه الحَرِيشُ بن هلال فقال أنشُدُكَ اللهَ أيها الأمير أن تقاتلهم الآن يقاتلوك فان بالقوم جراحا وقد أثخنتهم هذه الجولة فقَبِلَ منه ومضى المهلب في عشرة فأشرف على عسكر الخوارج فلم يَرَ منهم أحدا يتحرك فقال له الحريشُ ارتحل عن هذا الموضع فارتحل فعبر دُجَيلا وصار الى عاقول لا يؤتى الا من وجه واحد فأقام به واستراح الناسُ ثلاثا وقال ابن قيس الرُّقيَّات

ألا طَرَقَتْ من آل بيبة طارقَهْ * على أنها معشوقةُ الدَّلِّ عاشِقَهْ

تَبِيتُ وأرضُ السُّوسِ بيني وبينها * وسُولافُ رُسْتاقٌ حَمَتْهُ الأزارِقه

اذا نحن شئنا صادفتْنا عصابةٌ * حَرُوريَّةٌ أضحتْ من الدين مارقه

أجازتْ الينا العسكرين كليهما * فباتتْ لنا دون اللحاف مُعانِقَهْ

وقد ذكرنا الضِّمار ومعناه الغائبُ وأصله من قولك أضمرتُ الشيءَ أي أخفيتُه عنك ويقال مالٌ عَيْنٌ للحاضر ومالٌ ضِمارٌ للغائب قال الأعشى

ومَن لا تضيع له ذمّةٌ * فيجعلها بعد عَيْنٍ ضِمارا

وقال أيضا

ترانا اذا أضمرتك البلا * دتجفى وتقطع منا الرحم

والفعل من هذا أضمر يضمر والمفعول به مضمر والفاعل مضمر والضمار اسم للفعل فى معنى الاضمار وأسماء الافعال تشرك المصادر فى معانيها تقول أعطيته عطاء فيشرك العطاء الاعطاء فى معناه ويسمى به المفعول وتقول كلمته تكليما وكلاما فى معناه والمصدر ينعت به الفاعل فى قولك رجل عدل ورجل كرم ورجل نوم ويوم غم وغيم وينعت به المفعول فى قولك رجل رضا وهذا درهم ضرب الامير وجاء فى الخلق تغنى المخلوقين وقال رجل من الخوارج فى ذلك اليوم

وكائن تركنا يوم سولاف منهم * أسارى وقتلى فى الجحيم مصيرها

قوله وكائن معناه كم وأصله كاف التشبيه دخلت على أى فصارتا بمنزلة كم ونظير ذلك له كذا وكذا درهما انما هى ذا دخلت عليها الكاف والمعنى له كهذا العدد من الدراهم فاذا قال له كذا كذا درهما فهو كناية عن أحد عشر درهما الى تسعة عشر لانه ضم العددين فاذا قال كذا وكذا فهو كناية عن أحد وعشرين الى ماجاز فيه العطف بعده ولكن كثرت كأى فخففت والتثقيل الاصل قال الله تعالى وكأى من قرية أمليت لها وهى ظالمة وكأى من نبى قاتل معه ربيون كثير وقد قرئ بالتخفيف كما قال الشاعر

وكائن رددنا عنكم من مدجج * يجىء أمام الالف يردى مقنعا

وقال آخر

وكائن ترى يوم الغميصاء من فتى * أصيب ولم يجرح وقد كان جارحا

قال أبو العباس وهذا أكثر على ألسنتهم لطلب التخفيف وذلك الاصل وبعض العرب يقلب فيقول كىء يافتى فيؤخر الهمزة لكثرة الاستعمال قال الشاعر

وكىء فى بنى دودان منهم * غداة الروع معروفا كمىّ

فأقام المهلب في ذلك العاقول ثلاثة أيام ثم ارتحل والخوارج بسلى وسلبرى (قال الاخفش سلى وسلبرى بفتح السين فيهما موضعان بالاهواز وسلى بكسر السين موضع بالبادية وهكذا ينشد هذا البيت

كان غديرهم بجنوب سلى * نعام قاق في بلد قفار)

فنزل قريبا منهم فقال ابن الماحوز لاصحابه ما تنتظرون بعدوكم وقد هزمتموهم بالامس وكسرتم حدهم فقال له واقد مولى أبي صفرة يا أمير المؤمنين انما تفرق عنهم أهل الضعف والجبن وبقي أهل النجدة والقوة فان أصبتهم لم يكن ظفرا هنيأ لاني أراهم لا يصابون حتى يصيبوا فان غلبوا ذهب الدين فقال أصحابه نافق واقد فقال ابن الماحوز لا تعجلوا على أخيكم فانه انما قال هذا نظرا لكم ثم توجه الزبير بن علي الى عسكر المهلب لينظر ما حالهم فأتاهم في مائتين فحزرهم ورجع وأمر المهلب أصحابه بالتحارس حتى اذا أصبح ركب اليهم على تعبية صحيحة فالتقوا بسلى وسلبرى فتصافوا فخرج من الخوارج مائة فارس فركزوا رماحهم بين الصفين واتكئوا عليها وأخرج اليهم المهلب عدادهم ففعلوا مثل ما فعلوا لا يريمون الا لصلاة حتى أمسوا فرجع كل قوم الى معسكرهم ففعلوا هذا ثلاثة أيام ثم ان الخوارج تطاردوا لهم في اليوم الثالث فحمل عليهم هؤلاء الفرسان يجولون ساعة ثم ان رجلا من الخوارج حمل على رجل فطعنه فحمل عليه المهلب فطعنه فحمل الخوارج باجمعهم كما صنعوا يوم سولاف فضعضعوا الناس وفقد المهلب وثبت المغيرة في جمع أكثرهم أهل عمان ثم نجم المهلب في مائة فارس وقد انغمست كفاه في الدم وعلى رأسه قلنسوة مربعة فوق المغفر محشوة قزا وقد تمزقت وان حشوها ليتطاير وهو يلهث وذلك في وقت الظهر فلم يزل يحاربهم الى الليل حتى كثر القتل في الفريقين فلما كان الغد غاداهم وقد كان وجه بالامس رجلا من طاحية بن سود ابن مالك بن فهم بن الازد يرد المنهزمين فمر به عامر بن مسمع فرده فقال ان الامير أذن لي فبعث

الى المهلب فأعلمه فقال دعه فلا حاجة لى فى مثله من أهل الجُبن والضعف وقد تفرق أكثر الناس فغاداهم المهلب فى ثلاثة آلاف وقال لاصحابه ما بكم من قلة أيعجز أحدكم أن يرمى برمحه ثم يتقدم فيأخذه ففعل ذلك رجل من كندة يقال له عياش وقال المهلب لاصحابه أعدّوا مخالى فيها حجارة وارموا بها فى وقت الغفلة فانها تصدّ الفارس وتصرع الراجل ففعلوا ثم أمر مناديا ينادى فى أصحابه يأمرهم بالجدّ والصبر ويطمعهم فى العدوّ ففعل حتى مر ببنى العدوية من بنى مالك بن حنظلة فضربوه فدعا المهلب بسيدهم وهو معاوية بن عمرو فجعل يركله برجله وهذا معروف فى الازد فقال أصلح الله الامير أعفنى من أم كيسان والركبة تسميها الازد أم كيسان ثم حمل المهلب وحملوا فاقتتلوا قتالا شديدا فجهد الخوارج فنادى مناديهم ألا ان المهلب قد قتل فركب المهلب برذونا قصيرا أشهب وأقبل يركض بين الصفين وان احدى يديه لفى القباء وما يشعر بها وهو يصيح أنا المهلب فسكن الناس بعد أن كانوا قد ارتاعوا وظنوا أن أميرهم قد قتل وكلّ الناس مع العصر فصاح المهلب بابنه المغيرة تقدّم ففعل وصاح بذكوان مولاه قدّم رايتك ففعل فقال له رجل من ولده انك تغرر بنفسك فذمره ثم صاح يا بنى تميم آمركم فتعصوننى فتقدم وتقدم الناس واجتلدوا أشدّ جلاد حتى اذا كان مع المساء قتل ابن الماحوز وانصرف الخوارج ولم يشعر المهلب بقتله فقال لاصحابه ابغونى رجلا جلدا يطوف فى القتلى فأشاروا عليه برجل من جرم وقالوا انا لم نر رجلا قط أشد منه فطوف ومعه النيران فجعل اذا مر بجريح من الخوارج قال كافر ورب الكعبة فأجهز عليه واذا مر بجريح من المسلمين أمر بسقيه وحمله وأقام المهلب فى عسكره يأمرهم بالاحتراس حتى اذا كان نصف الليل وجه رجلا من اليحمد (قال الاخفش اليحمد من الازد والجليل من بطن منهم يقال لهم الفراهيد والفرهود فى الاصل الحمل فان نسبت الى الحى قلت فراهيدى وان نسبت الى الحملان قلت فرهودى لاغير) فى عشرة فصاروا الى عسكر

الخوارج فاذا القوم قد قصدوا الى أرَّجان فرجع الى المهلب فأعلمه فقال أتاهم الساعة أشدُّ خوفا فاحذروا البياتَ قال أبو العباس ويروى عن شُعْبةَ بن الحجاج أن المهلب قال لاصحابه يوما ان هؤلاء الخوارج قد يئسوا من ناحيتكم الا من جهة البيات فان كان ذلك فاجعلوا شعاركم حم لا ينصرون فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بها ويُروى أنه كان شعارَ أصحاب علي بن أبي طالب صلواتُ الله عليه فلما أصبح المهلب غدا على القتلى فأصاب ابنَ الماحوز فيهم ففي ذلك يقول رجل من الخوارج

بِسِلَّى وسِلَّبْرَى مَصارعُ فتيةٍ * كرامٍ وجرحَى لم تُوَسَّدْ خدودُها

وقال آخر

بسلى وسلبرى مصارعُ فتيةٍ * كرامٍ وعَقْرَى من كُمَيْتٍ ومن وَرْدِ

وقال رجل من موالي المهلب لقد صرعتُ يومئذ بحجر واحد ثلاثة رميت به رجلا فأصبتُ أصل أذنه فصرعته ثم أخذتُ الحجر فضربت به آخرَ على هامته فصرعته ثم صرعت به ثالثا

وقال رجل من الخوارج

أتانا بأحجارٍ ليقتلنا بها * وهل تُقتَلُ الأبطالُ ويحَكَ بالحَجَرْ

وقال رجل من أصحاب المهلب في يوم سلى وسلبرى وقتل ابن الماحوز

ويومَ سلى وسلبرى أحاط بهم * منا صواعقُ ما تُبقي ولا تَذَرُ

حتى تركنا عُبيدَ الله منجدلا * كما تجدَّل جِذعٌ مالَ مُنْقَعِرُ

قال أبو العباس تقول العرب صاعقة وصواعقُ وهو مذهب أهل الحجاز وبه نزل القرآن وبنو تميم يقولون صاقعة وصواقع والمنقعر المنقلع من أصله قال الله أصدق القائلين كأنهم أعجاز نخل منقعر ويروى أن رجلا من الخوارج يوم سلى حمل على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فلما خالطه الرمح صاح يا أُمَّتاه فصاح به المهلب لا كَثَّرَ اللهُ منك المسلمين فضحك

الخارجي وقال

أمُنَّ خيرٌ لكَ منى صاحبا * تَسْقيك مَحْضاً وتعُلُّ رائبا

وكان المغيرةُ بن المهلب اذا نظر الى الرماح قد تشاجرت فى وجهه نكس على قربوس سرجه وحمَلَ من تحتها فبراها بسيفه وأثْرَى أصحابها حتى تخرمت الميمنة من أجله وكان أشدّ ما تكون الحرب أشدّ ما يكون تبسما فكان المهلب يقول ماشهد معى حربا قط الا رأيتُ البُشْرى فى وجهه وقال رجل من الخوارج فى هذا اليوم

فان تكُ قتلى يوم سلى تتابعتْ * فكم غادرتْ أسيافُنا من قُماقم

غداة نكُرُّ المشرفيَّةَ فيهم * بسولاف يوم المازق المتلاحم

المازق هو يوم تضايق الحرب والمتلاحمُ نعت له والمشرفية السيوف نسبت الى المشارف من أرض الشام وهو الموضع الملقب مُوتَةَ الذى قُتل به جعفرُ بن أبى طالب وأصحابه (قال الاخفش كان المبرد لايهمز موتة ولم أسمعها من علمائنا الا بالهمز) قال أبو العباس فكتب المهلب الى الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة القُباع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانا لقينا الازارقة المارقة بجدّ وجدّ فكانت فى الناس جَوْلةٌ ثم ثاب أهلُ الحفاظ والصبر بنيات صادقة وأبدان شداد وسيوف حداد فأعقب الله خيرَ عاقبة وجاوز بالنعمة مقدارَ الأمل فصاروا دَريئةَ رماحنا وضرائبَ سيوفنا وقتلَ اللهُ أميرهم ابنَ الماحوز وأرجو أن يكون آخرُ هذه النعمة كأوّلها والسلام فكتب اليه القُباعُ قد قرأتُ كتابك ياأخا الأزد فرأيتك قد وَهبَ الله لك شرف الدنيا وعزّها وذخر لك ثواب الآخرة ان شاء الله وأجرها ورأيتك أوثقَ حُصون المسلمين وهادَّ أركان المشركين وأخا السياسة وذا الرياسة فاستدم الله بشكره يُتمم عليك نعمتَهُ والسلام وكتب اليه أهل البصرة يهنؤنه ولم يكتب اليه الاحنف ولكن قال أقرؤا عليه السلام وقولوا له أنا لك على ما فارقتك عليه فلم يزل يقرأ الكتب ويلتمس فى

أضعافها كتاب الاحنف فلما لم يره قال لاصحابه أما كتب الينا فقال له الرسول حملني اليسك رسالة وأبلغه فقال هذه أحب الي من هذه الكتب واجتمعت الخوارج بأرجان فبايعوا الزبير ابن علي وهو من بني سليط بن يربوع من رهط ابن الماحوز فرأى فيهم انكسارا شديدا وضعفا بينا فقال لهم اجتمعوا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليهم فقال ان البلاء للمؤمنين تمحيص وأجر وهو على الكافر بن عقوبة وخزي وان يصب منكم أمير المؤمنين فما صار اليه خير مما خلف وقد أصبتم منهم مسلم بن عبيس وربيعا الاجذم والحجاج بن باب وحارثة بن بدر وأشجيتم المهلب وقتلتم أخاه المعارك والله يقول لاخوانكم من المؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس فيوم سلى كان لكم بلاء وتمحيصا ويوم سولاف كان لهم عقوبة ونكالا فلا تغلبن على الشكر في حينه والصبر في وقته وثقوا بأنكم المستخلفون في الارض والعاقبة للمتقين ثم تحمل لمحاربة المهلب فنفحهم المهلب نفحة فرجعوا فأكمن للمهلب في غمض من غموض الارض يقرب من عسكره مائة فارس ليغتالوه فسار المهلب يوما يطوف بعسكره ويتفقد سواده فوقف على جبل فقال ان من التدبير لهذه المارقة ان تكون قد أكمنت في سفح هذا الجبل كمينا فبعث عشرة فوارس فاطلعوا على المائة فلما علموا انهم قد علموا بهم قطعوا القنطرة ونجوا وكسفت الشمس فصاحوا بهم يا أعداء الله لو قامت القيامة لجددنا في جهادكم ثم يئس الزبير من ناحية المهلب فضرب الى ناحية أصبهان ثم كر راجعا الى ارجان وقد جمع جموعا وكان المهلب يقول كأني بالزبير وقد جمع جموعا فلا ترهبوهم فتخبث قلوبكم ولا تغفلوا الاحتراس فيطمعوا فيكم فجاءه من ارجان فألفوه مستعدا آخذا بأفواه الطرق فحاربوه فظهر عليهم ظهورا بينا ففي ذلك يقول رجل من بني تميم أحسبه من بني رياح بن يربوع

سقى الله المهلب كل غيث * من الوسمي ينتحر انتحارا

فيا وهن المهلب يوم جاءت * عوابس خيلهم تبغى الغوارا

وقال المهلب يومئذ ما وقعت في أمر ضيق من الحرب الا رأيت أمامي رجالا من بني الهجيم ابن عمرو بن تميم يجالدون وكأن لحاهم أذناب العقاعق وكانوا صبروا معه في غير موطن وقال رجل من بني تميم من بني عبشمس بن سعد

ألا يا من لصب مستجن * قريح القلب قد صحب المزونا

لهان على المهلب ما لقينا * اذا ما راح مسرورا بطينا

يجر السابري ونحن شعث * كأن جلودنا كسيت طحينا

المزون عمان وهو اسم من أسمائها قال الكميت

فأما الأزد أزد أبي سعيد * فأكره أن أسميها المزونا

وقال جرير

وأطفأت نيران المزون وأهلها * وقد حاولوها فتنة أن تسعرا

وحمل يومئذ الحريش بن هلال على قيس الاكاف وكان قيس من أنجد فرسان الخوارج فطعنه فدق صلبه وقال

قيس الاكاف غداة الروع يعلمني * ثبت المقام اذا لاقيت أقراني

وقد كان قتل المهلب يوم سلى وسليرى صاروا الى البصرة فذكروا أن المهلب أصيب فهم أهل البصرة بالنقلة الى البادية حتى ورد كتابه بظفره فأقام الناس وتراجع من كان ذهب منهم فعند ذلك يقول الاحنف بن قيس البصرة بصرة المهلب وقدم رجل من كندة يقال له فلان ابن أرقم فنعى ابن عم له وقال رأيت رجلا من الخوارج وقد مكن رمحه من صلبه فقدم المنعى فقيل له ذلك فقال صدق ابن أرقم لما أحسست برمحه بين كتفي صحت البقية فرفعه عني وتلا بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين ووجه المهلب بعقب هذه الوقعة رجلا من الأزد برأس

عبيد الله بن بشير بن الماحوز الى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة القباع فلما صار بكربج دينار لقيه حبيب وعبد الملك وعلى بنو بشير بن الماحوز فقالوا له ما الخبر ولا يعرفهم فقال قتل الله المارق ابن الماحوز وهذا رأسه معي فوثبوا عليه فقتلوه وصلبوه ودفنوا الرأس فلما ولي الحجاج دخل عليه على بن بشير وكان وسيما جسيما فقال من هذا فخبر فقتله ووهب ابنه الازهر وابنته لاهل الازدي المقتول وكانت زينب بنت بشير لهم مواصلة فوهبوهما لها فلم يزل المهلب يقاتل الخوارج في ولاية الحرث القباع حتى عزل الحرث وولي مصعب بن الزبير فكتب اليه أن اقدم علي واستخلف ابنك المغيرة ففعل فجمع الناس فقال لهم اني قد استخلفت عليكم المغيرة وهو أبو صغيركم رقة ورحمة وابن كبيركم طاعة وبرا وتبجيلا وأخو مثله مواساة ومناصحة فلتحسن له طاعتكم وليلن له جانبكم فوالله ما أردت صوابا قط الا سبقني اليه ثم مضى الى مصعب وكتب مصعب الى المغيرة بولايته وكتب اليه انك لم تكن كابيك فانك كاف لما وليتك فشمر واتزر وجد واجتهد ثم شخص المصعب الى المذار فقتل أحمر بن شميط ثم أتى الكوفة فقتل المختار بن أبي عبيد وقال للمهلب أشر علي برجل أجعله بيني وبين عبد الملك فقال أذكرك واحدا من ثلاثة محمد بن عمير بن عطارد الدارمي أو زياد بن عمرو ابن الاشرف العتكي أو داود بن قحذم فقال أو تكفيني قال أكفيك ان شاء الله فولاه الموصل فشخص المهلب اليها وصار مصعب الى البصرة فسأل من يكفي أمر الخوارج ويفد الى أخيه فشاور الناس فقال قوم ول عبيد الله بن أبي بكرة وقال قوم ول عمر بن عبيد الله بن معمر وقال قوم ليس لهم الا المهلب فاردده اليهم وبلغت المشورة الخوارج فأداروا الامر بينهم فقال قطري بن الفجاءة المازني ان جاءكم عبيد الله بن أبي بكرة أتاكم سيد سمح جواد كريم مضيع لعسكره وان جاءكم عمر بن عبيد الله أتاكم شجاع بطل فارس جاد يقاتل لدينه وملكه وبطبيعة لم أر مثلها لاحد فقد شهدته في وقائع فما نودي في القوم

طرب الا كان أول فارس يطلع حتى يشد على قرنه فيضربه وان رد المهلب فهو من قد
عرفتموه ان أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر يمده اذا أرسلتموه و يرسله اذا مددتموه
لا يبدؤكم الا أن تبدؤه الا أن يرى فرصة فينتهزها فهو الليث المبر والثعلب الرواغ والبلاء
المقيم فولى عليهم عمر بن عبيد الله وولاه فارس والخوارج بأرجان وعليهم الزبير بن علي
السليطي فشخص اليهم فقاتلهم وألح عليهم حتى أخرجهم عنها فألحقهم بأصبهان فلما بلغ
المهلب أن مصعبا ولى عمر بن عبيد الله قال رماهم بفارس العرب وفتاها فجمعوا له وأعدوا
واستعدوا ثم أتوا سابور فسار اليهم حتى نزل منهم على أربعة فراسخ فقال له مالك بن حسان
الأزدي ان المهلب كان يذكي العيون ويخاف البيات ويرتقب الغفلة وهو على أبعد من
هذه المسافة منهم فقال له عمر اسكت خلع الله قلبك أتراك تموت قبل أجلك فأقام هنالك
فلما كان ذات ليلة بيتته الخوارج فخرج اليهم فحاربهم حتى أصبح فلم يظفروا منه بشيء فأقبل
على مالك بن حسان فقال كيف رأيت قال قد سلم الله عز وجل ولم يكونوا يطمعون من المهلب
بمثلها فقال أما انكم لو ناصحتموني مناصحتكم المهلب لرجوت أن أنفي هذا العدو ولكنكم
تقولون قرشي حجازي بعيد الدار خيره لغيرنا فتقاتلون معي تعذيرا ثم زحف الى الخوارج
من غد ذلك اليوم فقاتلهم قتالا شديدا حتى ألجأهم الى قنطرة فتكاثف الناس عليها حتى
سقطت فأقام حتى أصلحها ثم عبروا وتقدم ابنه عبيد الله بن عمر وأمه من بني سهم بن عمرو
ابن هصيص بن كعب فقاتلهم حتى قتل فقال قطري لا تقاتلوا عمر اليوم فانه موتور ولم يعلم
عمر بقتل ابنه حتى أفضى الى القوم وكان مع ابنه النعمان بن عباد فصاح به يا نعمان أين
ابني فقال احتسبه فقد استشهد رحمه الله صابرا مقبلا غير مدبر فقال انا لله وانا اليه
راجعون ثم حمل على الناس حملة لم ير مثلها وحمل أصحابه بحملته فقتلوا في وجههم ذلك تسعين
رجلا من الخوارج وحمل على قطري فضربه على جبينه ففلقه وانهزمت الخوارج وانتهبها

فلما استقروا قال لهم قطرى أما أشرت عليكم بالانصراف فجعلوا وجوههم حتى خرجوا من فارس وتلقاهم فى ذلك الوقت الفزر بن مهزم العبدى فسألوه عن خبره وأرادوا قتله فأقبل على قطرى فقال انى مؤمن مهاجر فسأله عن أقاويلهم فأجاب اليها فخلوا عنه ففى ذلك يقول فى كلمة له

وشدوا وثاقى ثم ألجوا خصومتى * الى قطرى ذى الجبين المفلق

وحاججتهم فى دينهم وحججتهم * وما دينهم غير الهوى والتخلق

ثم انهم تراجعوا وتكانفوا (قال الاخفش تكانفوا أعان بعضهم بعضا واجتمعوا وصار بعضهم فى كنف بعض) وعادوا الى ناحية أرجان فسار اليهم عمر وكتب الى مصعب أما بعد فانى قد لقيت الأزارقة فرزق الله عبيد الله بن عمر الشهادة ووهب له السعادة ورزقنا عليهم الظفر فتفرقوا شذر مذر وبلغتنى عنهم عودة فيممتهم وبالله أستعين وعليه أتوكل فسار اليهم ومعه عطية بن عمرو ومجاعة بن سعيد فالتقوا فألح عليهم حتى أخرجهم وانفرد من أصحابه فعمد له أربعة عشر رجلا منهم من مذكوريهم وشجعانهم وفى يده عمود فجعل لا يضرب رجلا منهم ضربة الا صرعه فركض اليه قطرى على فرس طمر وعمر على مهر فاستعلاه قطرى بقوة فرسه حتى كاد يصرعه فبصر به مجاعة فأسرع اليه فصاحت الخوارج بقطرى يا أبا نعامة ان عدو الله قد رهقك فانحط قطرى عن قربوسه فطعنه مجاعة وعلى قطرى درعان فهتكهما وأسرع السنان فى رأس قطرى فكشط عنه جلدة ونجا وارتحل القوم الى اصطخر فأقاموا برهة ثم رجعوا الى الاهواز وقد ارتحل عمر بن عبيد الله الى اصطخر فأمر مجاعة فجبى الخراج أسبوعا فقال كم جبيت قال تسعمائة ألف فقال هى لك فقال يزيد بن الحكم الثقفى لمجاعة

ودعاك دعوة مرهق فأجبته * عمر وقد نسى الحياة وضاعا

فرددت عادية الكتيبة عن فتى * قد كاد يترك لحمه أوزاعا

وعزل مصعب بن الزبير وولى حمزة بن عبد الله بن الزبير فوجه المهلب اليهم فحاربهم فأخرجهم عن الاهواز ثم رد مصعب والمهلب بالبصرة والخوارج بأطراف أصبهان والوالى عليها عتاب بن ورقاء الرياحي فأقام الخوارج هنالك شيأ يجبون القرى ثم أقبلوا الى الاهواز من من ناحية فارس فكتب مصعب الى عمر بن عبيد الله ما أنصفتنا أقمت بفارس تجبي الخراج ومثل هذا العدو يحاربك والله لو قاتلت ثم هربت لكان أعذر لك وخرج مصعب من البصرة يريدهم وأقبل عمر بن عبيد الله يريدهم فتنحى الخوارج الى السوس ثم أتوا المدائن فقتلوا أحمر طيئ وكان شجاعا وكان من فرسان عبيد الله بن الحر ففي ذلك يقول الشاعر

تركتم فتى الفتيان أحمر طيئ * بساباط لم يعطف عليه خليل

ثم خرجوا عامدين الى الكوفة فلما خالطوا سوادها والبها الحرث بن عبد الله القباع فتثاقل عن الخروج وكان جبانا فذمه ابراهيم بن الاشتر ولامه الناس فخرج متحاملا حتى أتى النخيلة ففي ذلك يقول الشاعر

ان القباع سار سيرا نكرا * يسير يوما ويقيم شهرا

وجعل يعد الناس بالخروج ولا يخرج والخوارج يعيثون حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها وكانت جميلة ثم أرادوا قتلها فقالت أتقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فقال قائل منهم دعوها فقالوا قد فتنتك ثم قدموها فقتلوها ثم قربوا أخرى وهم بحذاء القباع والجسر معقود بينهما فقطعه القباع وهو في ستة آلاف والمرأة تستغيث به وتقول علام تقتلونني فوالله ما فسقت ولا كفرت ولا ارتددت والناس يتفلتون الى الخوارج والقباع يمنعهم فلما خاف أن يعصوه أمر عند ذلك بقطع الجسر فأقام بين دباها ودبيرى خمسة أيام والخوارج بقربه وهو يقول للناس في كل يوم اذا لقيتم العدو غدا فأثبتوا أقدامكم

واصبروا فان أول الحرب الترامي ثم اشراع الرماح ثم السلة فشكلت رجلا أمه فر من الزحف فقال بعضهم لما أكثر عليهم أما الصفة فقد سمعناها فبي بقع الفعل وقال الراجز

ان القباع سار سيرا ملسا * بين دباها ودبيري خمسا

فأخذ الخوارج حاجتهم وكان شأن القباع التحصن منهم ثم انصرفوا ورجع الى الكوفة وصاروا من فورهم الى أصبهان فبعث عتاب بن ورقاء الى الزبير بن علي أنا ابن عمك ولست أراك تقصد في انصرافك من كل حرب غيري فبعث اليه الزبير ان أدنى الفاسقين وأبعدهم من الحق سواء وانما سمي الحرث بن عبد الله القباع لانه ولي البصرة فغير على الناس مكاييلهم فنظر الى مكيال صغير في مرآة العين وقد أحاط بدقيق استكثره فقال ان مكيالكم هذا القباع والقباع الذي يخفي أو يخفى ما فيه يقال انقبع الرجل اذا استتر ويقال للقنفذ القبع وذلك أنه يخنس رأسه وأقام الخوارج يغادون عتاب بن ورقاء القتال ويراوحونه حتى طال عليهم المقام ولم يظفروا منه بكبير فلما كثر ذلك عليهم انصرفوا لا يمرون بقرية بين أصفهان والأهواز الا استباحوها وقتلوا من فيها وشاور المصعب الناس فأجمع رأيهم على المهلب فبلغ الخوارج مشورته فقال لهم قطري ان جاءكم عتاب بن ورقاء فهو فاتك يطلع في أول المقنب ولا يظفر بكبير وان جاءكم عمر بن عبيد الله ففارس يقدم فاما له واما عليه وان جاءكم المهلب فرجل لا يناجزكم حتى تناجزوه ويأخذ منكم ولا يعطيكم فهو البلاء اللازم والمكروه الدائم وعزم المصعب على توجيه المهلب وان يشخص هو لحرب عبد الملك فلما أحس به الزبير بن علي خرج الى الري وبها يزيد بن الحرث بن رؤيم فحاربه ثم حصره فلما طال عليه الحصار خرج اليه فكان الظفر للخوارج فقتل يزيد بن رؤيم ونادى يومئذ ابنه حوشبا ففر عنه وعن أمه لطيفة وكان علي بن أبي طالب عليه السلام دخل على الحرث بن رؤيم يعود ابنه يزيد فقال له عندي جارية لطيفة الخدمة أبعث بها اليك فسماها يزيد لطيفة فقتلت معه يومئذ

فنى ذلك يقول الشاعر

مواقفنا فى كل يوم كريهة * أسر وأشفى من مواقف حوشب

دعاه يزيد والرماح شوارع * فلم يستجب بل راغ تزواغ ثعلب

ولو كان شهم النفس أوذا حفيظة * رأى ما رأى فى الموت عيسى بن مصعب

وقد مر خبر عيسى بن مصعب مستقصى وقال آخر

نجى حليلته وأسلم شيخه * نصب الأسنة حوشب بن يزيد

وقال ابن حوشب لبلال بن أبى بردة يعيره بأمه وبلال مشدود عند يوسف بن عمر يا ابن حوراء فقال بلال وكان جلدا ان الأمة تسمى حوراء وجبداء ولطيفة وزعم الكلبى أن بلالا كان جلدا حيث ابتلى قال الكلبى ويعجبنى أن أرى الأسير جلدا قال وقال خالد بن صفوان له بحضرة يوسف الحمد لله الذى أزال سلطانك وهدّ ركنك وغير حالك فوالله لقد كنت شديد الحجاب مستخفا بالشريف مظهرا للعصبية فقال له بلال انما طال لسانك يا خالد لثلاث معك هن على الأمر عليك مقبل وهو عنى مدبر وأنت مطلق وأنا مأسور وأنت فى طينتك وأنا فى هذا البلد غريب وانما جرى الى هذا لانه يقال ان أصل آل الأهتم من الحيرة وأنهم أشابة دخلت فى بنى منقر من الروم ثم انحط الزبير بن على على أصفهان فحصر بها عتاب بن ورقاء الرياحى سبعة أشهر وعتاب يحاربه فى بعضهن فلما طال به الحصار قال لأصحابه ما تنتظرون والله ما تؤتون من قلة وانكم لفرسان عشائركم ولقد حاربتوهم مرارا فانتصفتم منهم وما بقى مع هذا الحصار الا أن تفنى ذخائركم فيموت أحدكم فيدفنه أخوه ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفنه فقاتلوا القوم وبكم قوة من قبل أن يضعف أحدكم عن أن يمشى الى قرنه فلما أصبح الغد صلى بهم الصبح ثم خرج الى الخوارج وهم غارون وقد نصب لواء لجارية له يقال لها ياسمين فقال من أراد البقاء فليلحق بلواء ياسمين ومن أراد الجهاد فليخرج معى فخرج فى ألفين

وسبعمائة فارس فلم يشعر بهم الخوارج حتى غشوهم فقاتلوهم بجد لم ير الخوارج مثله فعقروا منهم خلقا وقتلوا الزبير بن علي وانهزمت الخوارج فلم يتبعهم عتاب ففي ذلك يقول الشاعر

ويوم يحيى تلافيته * ولولاك لاصطلم العسكر

قال أبو العباس نفسر قوله ولولاك في آخر هذا الخبر ان شاء الله وقال رجل من بني ضبة في تلك الوقعة

خرجت من المدينة مستميتا * ولم أك في كتيبة يامينا

أليس من الفضائل أن قومي * غدوا مستلئمين مجاهدينا

وتزعم الرواة أنهم في أيام حصارهم كانوا يتواقفون ويحمل بعضهم على بعض وربما كانت مواقفة بغير حرب وربما اشتدت الحرب بينهم وكان رجل من أصحاب عتاب يقال له شريح ويكنى أبا هريرة اذا تحاجز القوم مع المساء نادى بالخوارج وبالزبير بن علي

يا ابن أبي الماحوز والأشرار * كيف ترون يا كلاب النار

شد أبي هريرة الهرار * يهركم بالليل والنهار

ألم تروا جيا على المضمار * تمسي من الرحمن في جوار

فغاظهم ذلك منه فكمن له عبيدة بن هلال فضربه واحتمله أصحابه فظنت الخوارج أنه قد قتل فكانوا اذا تواقفوا نادوهم ما فعل الهرار فيقولون ما به من بأس حتى أبل من علته فخرج اليهم فصاح يا أعداء الله أترون بي بأسا فصاحوا به قد كنا نرى أنك لحقت بأمك الهاوية في النار الحامية ﴿ قال أبو العباس نفسر أشياء من العربية تحتاج الى الشرح من ذلك قوله ولولاك ومنه قوله ألم تروا جيا ومنه قوله يهركم بالليل والنهار أما قوله لولاك فان سيبويه يزعم أن لولا تخفض المضمر ويرتفع بعدها الظاهر بالابتداء فيقال اذا قلت لولاك

فما الدليل على أن الكاف مخفوضة دون أن تكون منصوبة وضمير النصب كضمير الخفض فتقول انك تقول لنفسك لولاى ولو كانت منصوبة لكانت النون قبل الياء كقولك رمانى وأعطانى قال يزيد بن الحكم الثقفى

وكم موطن لولاى طحت كما هوى * بأجرامه من قلة النيق منهوى

النيق أعلى الجبل وجرم الانسان خلقه فيقال له الضمير فى موضع ظاهره فكيف يكون مختلفا وان كان هذا جائزا فلم لا يكون فى الفعل وما أشبهه نحو ان وما كان معها فى الباب وزعم الاخفش سعيد أن الضمير مرفوع ولكن وافق ضمير الخفض كما يستوى الخفض والنصب فيقال فهل هذا فى غير هذا الموضع قال أبو العباس والذى أقوله أن هذا خطأ لا يصلح الا أن تقول لولا أنت كما قال الله عز وجل لولا أنتم لكنا مؤمنين ومن خالفنا يزعم أن الذى قلناه أجود ويدعى الوجه الآخر فيجيزه على بعده وأما حجى فالاجود فيها أن تقول

* ألم تروا حجى على المضمار * فلا تنون لانها مدينة والاسم أعجمى والمؤنث اذا سمى باسم أعجمى على ثلاثة أحرف لم ينصرف اذا كان مؤنثا وان كان أوسطه ساكنا نحو جور وحمص وما كان مثل ذلك ولو كان اسما المذكر لانصرف فان صرفته جعلته اسما البلد وان لم تصرفه جعلته اسما البلدة أو المدينة ألا ترى أنك تصرف نوحا ولوطا وهما أعجميان وكذلك لو كان على ثلاثة أحرف كلها متحرك لانك تصرف قدما لو سميت به رجلا فالاعجمى بمنزلة المؤنث لان امتناعهما واحد وأما قوله يهركم فان كل ما كان من المضاعف على ثلاثة أحرف وكان متعديا فان المضارع منه على يفعل نحو شده يشده وزره يزره ورده يرده وحله يحله وجاء منه حرفان على يفعل ويفعل فيهما جيد هره يهره اذا كرهه ويهره أجود وعله بالحناء يعله ويعله أجود ومن قال حببته قال يحبه لا غير وقرأ أبو رجاء العطاردى فاتبعونى يحبكم الله وذلك أن بنى تميم تدغم فى موضع الجزم وتحرك أواخره لالتقاء الساكنين ۞ رجع الحديث ثم

ان الخوارج أداروا أمرهم بينهم فأرادوا تولية عبيدة بن هلال فقال أدلكم على من هو خير لكم مني من يطاعن في قبل ويحمي في دبر عليكم قطري بن الفجاءة المازني فبايعوه فوقف بهم فقالوا يا أمير المؤمنين امض بنا الى فارس فقال ان بفارس عمر بن عبيد الله بن معمر ولكن نصير الى الاهواز فان خرج مصعب بن الزبير من البصرة دخلناها فأتوا الاهواز ثم ترفعوا عنها الى ايذج وكان مصعب قد عزم على الخروج الى باجميرا فقال لاصحابه ان قطريا قد أطل علينا وان خرجنا عن البصرة دخلها فبعث الى المهلب فقال اكفنا هذا العدو فخرج اليهم المهلب فلما أحس به قطري يمم نحو كرمان فأقام المهلب بالاهواز ثم كر قطري عليه وقد استعد فكان الخوارج في جميع حالاتهم أحسن عدة ممن يقاتلهم بكثرة السلاح وكثرة الدواب وحصانة الجنن فحاربهم المهلب فنفاهم الى رام هرمز وكان الحرث بن عميرة الهمداني قد صار الى المهلب مراغما لعتاب بن ورقاء يقال انه لم يرضه عن قتله الزبير بن علي وكان الحرث بن عميرة هو الذي تولى قتله وحاص اليه أصحابه في ذلك يقول أعشى همدان

ان المكارم أكملت أسبابها * لابن الليوث الغر من قحطان
للفارس الحامي الحقيقة معلما * زاد الرفاق الى قرى نجران
الحرث بن عميرة الليث الذي * يحمي العراق الى قرى كرمان
ود الازارق لو يصاب بطعنة * ويموت من فرسانهم مائتان

(ويروى زاد الرفاق وفارس الفرسان) وتأويله أن الرفقة اذا صحبها أغناها عن التزود كما قال جرير وأراد ابن له سفرا وفي ذلك السفر يحيى بن أبي حفصة فقال لابيه زودني فقال جرير

أزادا سوى يحيى تريد وصاحبا * ألا ان يحيى نعم زاد المسافر
فما تنكر الكوماء ضربة سيفه * اذا أرملوا أو خف ما في الغرائر

وقوله ويموت من فرسانهم يكون على وجهين مرفوعا ومنصوبا فالرفع على العطف ويدخل في التمني والنصب على الشرط والخروج من العطف وفي مصحف ابن مسعود ودّوا لو تُدهِنُ فيُدهنوا والقراءة فيدهنون على العطف وفي الكلام ودّ لو تأتيه فتحدّثُه وان شئت نصبت الثاني وخرج مصعب بن الزبير الى باجُميرا ثم أتى الخوارجَ خبرُ مقتله بمَسْكِن ولم يأت المهلب وأصحابه فتوافقوا يوما على الخندق فناداهم الخوارجُ ما تقولون في المصعب قالوا امامُ هُدًى قالوا فما تقولون في عبد الملك قالوا ضالٌّ مُضلٌّ فلما كان بعد يومين أتى المهلبَ قتلُ مُصعب وأن أهل الشام اجتمعوا على عبد الملك وورد عليه كتاب عبد الملك بولايته فلما توافقوا ناداهم الخوارجُ ما تقولون في مصعب قالوا لا نخبركم قالوا فما تقولون في عبد الملك قالوا امامُ هُدًى قالوا يا أعداء الله بالامس ضالٌّ مُضلٌّ واليوم امامُ هُدًى يا عَبيدَ الدنيا عليكم لعنةُ الله ووَلِيَ خالدُ بن عبد الله بن أسيد فقدِمَ فدخل البصرة فأراد عزل المهلب فأشير عليه بأن لا يفعل وقيل له انما أمِنَ أهلُ هذا المصر بأنّ المهلب بالاهواز وعُمَرَ بن عبيد الله بفارسَ فقد تَنحّى عمرُ وان نحّيتَ المهلبَ لم تأمن على البصرة فأبى الا عزلَهُ فقدم المهلب البصرة وخرج خالد الى الاهواز فأشخصه فلما صار بكُرْبُجِ دينارٍ لقيه قطريٌّ فمنعه حطّ أثقاله وحاربه ثلاثين يوما ثم أقام قطري بازائه وخندق على نفسه فقال المهلب ان قطريا ليس بأحق بالخندق منك فعبر دجيلا الى شقّ نهر تيرى واتبعه قطريٌّ فصار الى مدينة نهر تيرى فبنى سورها وخندق عليها فقال المهلبُ لخالد خندقْ على نفسك فاني لا آمَنُ عليك البياتَ فقال يا أبا سعيد الامر أعجل من ذلك فقال المهلبُ لبعض ولده انى أرى أمرا ضائعا ثم قال لزياد بن عمرو خندقْ علينا فخندق المهلب وأمر بسُفُنه فَفُرِّغَتْ وأبى خالدٌ أن يفرّغ سُفُنَهُ فقال المهلب لفيروز حُصَين صِرْ معنا فقال يا أبا سعيد الحزمُ ما تقول غير أني أكره أن أفارق أصحابي قال فكُنْ بقربنا قال أما هذه فنعم وقد كان عبدُ الملك كتب الى بشر بن مروان يأمره أن يُمِدّ خالدا

بجيش كثيف أميره عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ففعل فتقدم عليه عبد الرحمن فأقام قطري يغاديهم القتال ويراوحهم أربعين يوما فقال المهلب لمولى لابي عيينة انتبذ الى ذلك الناوس فبت عليه في كل ليلة فتى أحسست خبرا من الخوارج أو حركة أو صهيل خيل فاعجل الينا فجاءه ليلة فقال قد تحرك القوم فجلس المهلب بباب الخندق وأعد قطري سفنا فيها حطب فأشعلها نارا وأرسلها على سفن خالد وخرج في أدبارها حتى خالطهم فجعل لا يمر برجل الا قتله ولا بدابة الا عقرها ولا بفسطاط الا هتكه فأمر المهلب يزيد فخرج في مائة فارس فقاتل وأبلى يومئذ وخرج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فأبلى بلاء حسنا وخرج فيروز حصين في مواليه فلم يزل يرميهم بالنشاب هو ومن معه فأثرا أثرا جميلا فصرع يزيد بن المهلب يومئذ وصرع عبد الرحمن فحامى عنهما أصحابهما حتى ركبا وسقط فيروز حصين في الخندق فأخذ بيده رجل من الازد فاستنقذه فوهب له فيروز حصين عشرة آلاف درهم وأصبح عسكر خالد كأنه حرة سوداء فجعل لا يرى الا قتيلا أو صريعا فقال للمهلب يا أبا سعيد كدنا نفتضح فقال تخندق على نفسك فان لا تفعل عادوا اليك فقال اكفني أمر الخندق فجمع له الاخماس فلم يبق شريف الا عمل فيه فصاح بهم الخوارج والله لولا هذا الساحر المزوني لكان الله قد دمر عليكم وكانت الخوارج تسمي المهلب الساحر لانهم كانوا يدبرون الامر فيجدونه قد سبق الى نقض تدبيرهم فقال أعشى همدان لابن الاشعث في كلمة طويلة

ويوم أهوازك لا تنسه * ليس الثنا والذكر بالداثر

وقد ذكرنا في قصر الممدود من أن مد المقصور لا يجوز ما يغني عن اعادته ۞ ونذكر فيروز حصين لما مر من ذكره وكان فيروز حصين رجلا جيد البيت في العجم كريم المحتد مشهور الآباء فلما أسلم والى حصينا وهو حصين بن عبد الله العنبري من بني العنبر بن عمرو بن تميم ثم من ولد طريف بن تميم وكان فيروز حصين شجاعا جوادا نبيل الصورة جهير الصوت وتروي الرواة

أن رجلا من العرب كانت أمه فتاة فقاول بني عم له فسبوه بالعجمية ومر فيروز حصين فقال هذا خالي فمن منكم له خال مثله وظن أن فيروز لم يسمعها وسمعها فيروز فلما صار الى منزله بعث الى الفتى فاشترى له منزلا وجارية ووهب له عشرة آلاف درهم ومن مآثره المعروفة أن الحجاج لما واقف ابن الاشعث برستقاباذ نادى منادي الحجاج من أتى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم فخرج فيروز من الصف فصاح بالناس من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فأنا فيروز حصين وقد عرفتم مالي ووفائي من أتى برأس الحجاج فله مائة ألف فقال الحجاج والله لقد تركني أكثر التلفت واني لبين خاصتي فأتي به الحجاج فقال له أأنت الجاعل في رأس أميرك مائة ألف قال قد فعلت فقال والله لأمهدنك ثم لاحملنك أين المال قال عندي فهل الى الحياة من سبيل قال لا قال فأخرجني الى الناس حتى أجمع لك المال فلعل قلبك يرق علي ففعل الحجاج فخرج فيروز فأحل الناس من ودائعه وأعتق رقيقه وتصدق بماله ثم رد الى الحجاج فقال شأنك الآن فاصنع ما شئت فشد في القصب الفارسي ثم سل حتى شرح ثم نضح بالخل والملح فما تأوه حتى مات ۞ ومضى قطري الى كرمان فانصرف خالد الى البصرة فأقام قطري بكرمان أشهرا ثم عمد لفارس وخرج خالد الى الاهواز وندب للناس رجلا فجعلوا يطلبون المهلب فقال خالد ذهب المهلب بحظ هذا المصر اني قد وليت أخي قتال الازارقة فولى أخاه عبد العزيز واستخلف المهلب على الاهواز في ثلثمائة ومضى عبد العزيز في ثلاثين ألفا والخوارج بدرابجرد فجعل عبد العزيز يقول في طريقه يزعم أهل البصرة أن هذا الامر لا يتم الا بالمهلب فسيعلمون قال صعب بن زيد فلما خرج عبد العزيز عن الاهواز جاءني كردوس حاجب المهلب فقال أجب الامير فجئت الى المهلب وهو في سطح وعليه ثياب هروية فقال يا صعب أنا ضائع كأني أنظر الى هزيمة عبد العزيز وأخشى أن توافيني الازارقة ولا جند معي فابعث رجلا من قبلك يأتيني بخبرهم سابقا به الي فوجهت رجلا يقال له عمران بن فلان

فقلت اصحب عسكر عبد العزيز واكتب الى بخبر يوم يوم فجعلت اورده على المهلب فلما
قاربهم عبد العزيز وقف وقفة فقال له الناس هذا يوم صالح فينبغى أن تترك أيها الامير حتى
نطمئن ثم نأخذ أهبتنا فقال كلا الا الامر قريب فنزل الناس على غير أمره فلم يستتم النزول
حتى ورد عليهم سعد الطلائع فى خمسمائة فارس كأنهم خيط ممدود فناهضهم عبد العزيز
فواقفوه ساعة ثم انهزموا عنه مكيدة فاتبعهم فقال له الناس لا تتبعهم فانا على غير تعبئة
فأبى فلم يزل فى آثارهم حتى اقتحموا عقبة فاقتحمها وراءهم والناس ينهونه ويأبى وكان قد
جعل على بنى تميم عبس بن طلق الصريمى الملقب عبس الطعان وعلى بكر بن وائل مقاتل
ابن مسمع القيسى وعلى شرطته رجلا من بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار فنزلوا عن العقبة ونزل
خلفهم وكان لهم فى بطن العقبة كمين فلما صاروا وراءها خرج عليهم الكمين وعطف سعد
الطلائع فترجل عبس بن طلق فقتل وقتل مقاتل بن مسمع وقتل الضبيعى صاحب الشرطة
وانحاز عبد العزيز واتبعهم الخوارج على فرسخين يقتلونهم كيف شاؤا وكان عبد العزيز
قد خرج معه بأم حفص ابنة المنذر بن الجارود امرأته فسبوا النساء يومئذ وأخذوا أسرى
لا تحصى فقذفوهم فى غار بعد أن شدوهم وثاقا ثم سدوا عليهم بابه حتى ماتوا فيه وقال رجل
حضر ذلك اليوم رأيت عبد العزيز وان ثلاثين رجلا لبـ[illegible]ـونه بأسيافهم وما تحيك فى جسده
يقال ما أحاك فيه السيف وما يحيك فيه وما حسد الامر فى صدرى وما حكى فى صدرى
وما احتكى فى صدرى ويقال حاك الرجل فى مشيته يحيك اذا تبختر ونودى على السبى يومئذ
فغولى بأم حفص فبلغ بها رجل سبعين ألفا وذلك الرجل من مجوس كانوا أسلموا ولحقوا
بالخوارج ففرض لكل واحد منهم خمسمائة فكاد يأخذها فشق ذلك على قطرى وقال
ما ينبغى لرجل مسلم أن يكون عنده سبعون ألفا ان هذه فتنة فوثب اليها أبو الحديد العبدى
فقتلها فأتى به قطرى فقال يا أبا الحديد مهيم فقال يا أمير المؤمنين رأيت المؤمنين قد تزايدوا

فى هذه المشركة خشيت عليهم الفتنة فقال قطرى قد أصبت وأحسنت فقال رجل من الخوارج

كفانا فتنة عظمت وجلت * بحمد الله سيف أبى الحديد

أهاب المسلمون بها وقالوا * على فرط الهوى هل من مزيد

فزاد أبو الحديد بنصل سيف * رقيق الحد فعل فتى رشيد

قوله أهاب يريد أعلن يقال أهبت به اذا دعوته مثل صوت قال الشاعر

أهاب بأحزان الفؤاد مهيب * وماتت نفوس للهوى وقلوب

وقوله مهيم حرف استفهام معناه ما الخبر وما الامر فهو دال على ذلك محذوف الخبر وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بعبد الرحمن بن عوف ردع خلوق فقال مهيم فقال تزوجت يا رسول الله فقال أولم ولو بشاة وكان تزوج على نواة وأصحاب الحديث يروونه على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم وهذا خطأ وغلط العرب تقول نواة فتعنى بها خمسة دراهم كما تقول النش لعشرين درهما والأوقية لاربعين درهما فانما هو اسم لهذا المعنى وكان العلاء بن مطرف السعدى ابن عم عمرو القنا وكان يحب أن يلقاه فى تلك الحروب مبارزة فلحقه عمرو القنا وهو منهزم فضحك عمرو وقال متمثلا

تمنانى ليلقانى لقيط * أعام لك ابن صعصعة بن سعد

ثم صاح به انج أبا المصدى وكان عمرو القنا يكنى أيضا أبا المصدى وهذا البيت الذى تمثل به عمرو لتزيد بن عمرو بن الصعق الكلابى يقوله يعنى لقيط بن زرارة وكان يطلبه وقوله أعام لك يريد يا عامر فرخم واعاير بذا الحى تعجبا أى لكم أعجب من غنيه للقائى فقد ابنى عامر بن صعصعة وهم بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ويقال ان عامر بن صعصعة هو ابن سعد بن زيد مناة بن تميم لا ابن معاوية وأنهم نافلة فى قيس ولذلك غنمت بنو سعد من محاربتهم

مع بني تميم يوم جبلة واذلك أنذرهم كرب بن صفوان وهذا البيت وضعه سيبويه في باب النداء الذي معناه معنى التعجب وشبيه به قول الصلتان العبدي

فيا شاعراً لا شاعر اليوم مثله * جرير ولكن في كليب تواضع

على معنى قوله فلله دره شاعراً وكان العلاء بن مطرف قد حل معه امرأتين له احداهما من بني ضبة يقال لها أم جميل والاخرى بنت عمه وهي فلانة بنت عقيل فطلق الضبية وتخلص بهما يومئذ وحمل الضبية أولاً ففي ذلك يقول

ألست كريماً اذ أقول لفتيتي * قفوا فاحملوها قبل بنت عقيل

ولو لم يكن عودي نضاراً لاصبحت * تجر على المتنين أم جميل

قال الصعب بن يزيد بعثني المهلب لآتيه بالخبر فصرت الى قنطرة أربك على فرس اشتريته بثلاثة آلاف درهم فلم أحس خبراً فسرت مهجراً الى أن أمسيت فلما أظلمنا سمعت كلام رجل عرفته من الجهاضم فقلت ما وراءك فقال الشر قلت فأين عبد العزيز قال أمامك فلما كان من آخر الليل اذا أنا بزهاء خمسين فارساً معهم لواء فقلت من هذا فقالوا هذا لواء عبد العزيز فتقدمت اليه فسلمت وقلت أصلح الله الامير لا يكبرن عليك ما كان فانك كنت في شرذمة قليلة وأخبته قال لي أوكنت معنا قلت لا ولكن كأني شاهد أمرك قال كأنك كنت معنا قلت أرسلني المهلب لآتيه بخبرك ثم تركته وأقبلت الى المهلب فقال لي ما وراءك قلت ما يسرك قد هزم وقتل جيشه فقال ويحك وما يسرني من هزيمة رجل من قريش وقتل جيش من المسلمين قلت قد كان ذلك ساءك أو سرك فوجه رجلاً الى خالد يخبره قال الرجل فلما أخبرت خالداً قال كذبت ولؤمت ودخل رجل من قريش فكذبني وقال لي خالد والله لهممت أن أضرب عنقك قلت أصلح الله الامير ان كنت كاذباً فاقتلني وان كنت صادقاً فأعطني مطرف هذا المتكلف فقال خالد لبئسما اخطرت به ومك فما برحت حتى دخل بعض الفل

وقدم عبد العزيز سوق الاهواز فاكرمه المهلب وكساه وقدم معه على خالد واستخلف ابنه حبيبا وقال له تحسّس عن الاخبار فان احسست بخبر الازارقة قريبا منك فانصرف الى البصرة فلم يزل حبيب مقيما والازارقة تدنو منه حتى بلغوا قنطرة أرْبُك فانصرف الى البصرة على نهر تيرى فلما دخلها أُعلم خالد فغضب عليه واستتر حبيب فى بنى هلال بن عامر بن صعصعة فتزوج هناك فى استتاره الهلالية أم عبّاد بن حبيب وقال الشاعر لخالد يُفيّل رأيه أى يخطئه

بعثت غلاما من قريش فروقة * وتترك ذا الرأى الاصيل المهلّبا
أبى الذم واختار الوفاء وأحكمت * قواه وقد ساس الامور وجرّبا

وقال الحرث بن خالد المخزومى

فرّ عبدُ العزيز لما رأى الابطال بالسفح نازلوا قطريّا

ويروى

فر عبدُ العزيز اذ راء عيسى * وابن داود نازلا قطريا
عاهد الله ان نجا ملمنايا * ليعودن بعدها حرميا
يسكن الخلّ والصفاح فغرّا * ن وسلعا وتارة نجديا
حيث لا يشهد القتال ولا يسمع يوما لكرّ خيل دويّا

قوله اذ راء عيسى الاصل رأى ولكنه قلب فقدم الالف واخر الهمزة كما قال كُثيّر

وكلّ خليل راءنى فهو قائل * من اجلك هذا هامة اليوم أو غد

والقلب كثير فى كلام العرب وسنذكر منه شيأ فى موضعه ان شاء الله وقوله ملمنايا يريد من المنايا ولكنه حذف النون لقرب مخرجها من اللام فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظ فيحذف أحدهما ومن كلام العرب أن يحذفوا النون اذا لقيت لام المعرفة ظاهرة

فيقولون فى بنى الحرث و بنى العنبر وما أشبه ذلك بلحرث و بلعنبر و بلهجيم كما يقولون علماء بنو فلان فيحذفون احدى اللامين وقوله ليعودن بعدها حرميا العرب تنسب الى الحرم فيقولون حرمى وحرمى على قولهم حرمة البيت وحرمة البيت وقال النابغة الذبيانى

من قول حرمية قالت وقد رحلوا * هل فى مخفيكم من يشترى أدما

والخل ههنا موضع وأصله الطريق فى الرمل وكتب خالد الى عبد الملك بعذر عبد العزيز وقال للمهلب ما ترى عبد الملك صانعا بى قال يعزلك قال أتراه قاطعا رحمى قال نعم أتته هزيمة أمية أخيك من البحرين وتأتيه هزيمة أخيك عبد العزيز من فارس قال أبو العباس فكتب عبد الملك الى خالد . أما بعد فانى كنت حددت لك حدا فى أمر المهلب فلما ملكت أمرك نبذت طاعتى واستبددت برأيك فوليت المهلب الجباية ووليت أخاك حرب الازارقة فقبح الله هذا رأيا أتبعث غلاما غرا لم يجرب الحروب وتترك سيدا شجاعا مدبرا حازما قد مارس الحروب تشغله بالجباية أما لو كافأتك على قدر ذنبك لاتاك من نكيرى ما لا بقية لك معه ولكن تذكرت رحمك فلفتتنى عنك وقد جعلت عقوبتك عزلك وولى بشر بن مروان وهو بالكوفة وكتب اليه أما بعد فانك أخو أمير المؤمنين يجمعك واياه مروان بن الحكم وان خالدا لا يجتمع له مع أمير المؤمنين دون أمية فانظر المهلب فوله حرب الازارقة فانه سيد بطل مجرب فأمدده من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجل فشق عليه ما أمره فى المهلب وقال والله لاقتلنه فقال له موسى بن نصير ان للمهلب حفاظا وبلاء ووفاء وخرج بشر بن مروان يريد البصرة فكتب موسى وعكرمة الى المهلب أن يتلقاه لقاء لا يعرفه به فتلقاه المهلب على بغل فسلم عليه فى غمار الناس فلما جلس بشر مجلسه قال ما فعل أميركم المهلب قالوا قد تلقاك أيها الامير وهو شاك فهم بشر أن يولى حرب الازارقة عمر بن عبيد الله فقال له أسماء بن خارجة انما ولاك أمير المؤمنين لترى رأيك فقال له عكرمة بن ربعى اكتب الى أمير المؤمنين

وأعلمه علة المهلب فكتب اليه يعلمه علة المهلب وأن بالبصرة من يغني غناءه ووجه بالكتاب
مع وفد أوفدهم اليه رئيسهم عبد الله بن حكيم المجاشعي فلما قرأ الكتاب خلا بعبد الله بن
حكيم فقال ان لك دينا ورأيا وحزما فمن لقتال هؤلاء الازارقة قال المهلب قال انه عليل قال
ليست علته بمانعته قال عبد الملك أراد بشر أن يفعل مافعل خالد فكتب يعزم عليه أن يولي
المهلب فوجه اليه قال المهلب أنا عليل ولا يمكنني الاختلاف فأمر بشر بحمل الدواوين اليه
فجعل ينتخب فاعترض بشر عليه واقتطع أكثر نخبته ثم عزم أن لا يقيم بعد ثالثة وقد أخذت
الخوارج الاهواز وخلفوها وراء ظهورهم وصاروا بالفرات فخرج اليهم المهلب حتى صار
الى شهارطاق فأتاه شيخ من بني تميم فقال أصلح الله الامير ان سني ماترى فهبني لعيالي قال
على أن تقول للامير اذا خطب فحثكم على الجهاد كيف تحثنا على الجهاد وأنت تحبس
أشراف أهل النجدة عندك فقال الشيخ ذلك فقال له بشر ما أنت وذاك قال لاشيء وأعطى
المهلب رجلا ألف درهم على أن يأتي بشرا فيقول له أيها الامير أعن المهلب بالشرطة
والمقاتلة ففعل الرجل ذلك فقال له بشر ما أنت وذاك قال نصيحة للامير والمسلمين ولا أعود
الى مثلها فأمده بالشرطة والمقاتلة وكتب بشر الى خليفته بالكوفة أن يعقد لعبد الرحمن
ابن مخنف على ثمانية آلاف من كل ربع ألفين ويوجه به مددا الى المهلب فلما أتاه الكتاب
بعث الى عبد الرحمن بن مخنف الازدي فعقد له واختار له من كل ربع ألفين فكان على ربع
أهل المدينة بشر بن جرير البجلي وعلى ربع تميم وهمدان عبد الرحمن بن سعيد بن قيس
الهمداني وعلى ربع كندة وربيعة محمد بن اسحق بن الاشعث الكندي وعلى مذحج وأسد
زحر بن قيس المذحجي فقدموا على بشر فخلا بعبد الرحمن بن مخنف فقال له قد عرفت رأيي
فيك وثقتي بك فكن عند ظني انظر هذا المزوني فخالفه في أمره وأفسد عليه رأيه فخرج
عبد الرحمن بن مخنف وهو يقول ما أعجب ما طمع مني فيه هذا الغلام يأمرني أن أصغر شيخا

من مشايخ أهل وسيداً من ساداتهم فلحق بالمهلب فلما أحسّ الازارقة بدنوه منهم انكشفوا عن الفرات فاتّبعهم المهلب الى سوق الاهواز فنفاهم عنها ثم تبعهم الى رام هُرمُز فهزمهم منها فدخلوا فارس وأبلى يزيد ابنه في وقائعه هذه بلاءً حسناً تقدم فيه وهو ابن احدى وعشرين سنة فلما صار القوم بفارس وجّه اليهم ابنه المغيرة فقال له عبد الرحمن بن صُبح أيها الأمير ليس برأي قتل هذه الاكلب ولئن والله قتلتهم لتقعدن في بيتك ولكن طاولهم وكُل بهم فقال ليس هذا من الوفاء فلم يلبث برام هرمز الا اشهرا حتى أتاه موت بشر فاضطرب الجند على ابن مخنف فوجّه الى محمد بن اسحق بن الاشعث وابن زحر واستحلفهما أن لا يبرحا خلفاءه ولم يفيا فجعل الجند من أهل الكوفة يتسللون حتى اجتمعوا بسوق الاهواز وأراد أهل البصرة الانسلال من المهلب فخطبهم فقال انكم لستم كأهل الكوفة انما تذبّون عن مصركم وأموالكم وحرمكم فأقام منهم قوم وتسلّل منهم ناس كثير وكان خالد بن عبد الله خليفة بشر بن مروان فوجّه مولى له بكتاب منه الى من بالاهواز يحلف فيه بالله مجتهدا لئن لم يرجعوا الى مراكزهم وانصرفوا عصاة لا يظفر بأحد منهم الا قتله فجاء مولاه فجعل يقرأ الكتاب عليهم ولا يرى في وجوههم قبوله فقال اني لارى وجوها ما القبول من شأنها فقال له ابن زحر أيها العبد اقرأ ما في الكتاب وانصرف الى صاحبك فانك لا تدري ما في أنفسنا وجعلوا يستعجلونه في قراءته ثم قصدوا واقصدوا الكوفة فنزلوا النخيلة وكتبوا الى خليفة بشر يسألونه أن يأذن لهم في الدخول فأبى فدخلوها بغير اذن فلم يزل المهلب ومن معه من قوّاده وابن مخنف في عدد قليل فلم ينشبوا أن ولي الحجاج العراق فدخل الكوفة قبل البصرة وذلك في سنة خمس وسبعين فخطبهم وتهددهم وقد ذكرنا الخطبة متقدما ثم نزل فقال لوجوه أهلها ما كانت الولاة تفعل بالعصاة فقالوا كانت تضرب وتحبس فقال الحجاج ولكن ليس لهم عندي الا السيف ان المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون ولو ساغت المعصية

لأهلها ما قوتل عدو ولا جبي فيء ولا عز دين ثم جلس لتوجيه الناس فقال قد أجلتكم ثلاثا وأقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن مخنف بعدها ولا من أهل الثغور إلا قتلته ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطه إذا مضت ثلاثة أيام فاتخذا سيوفكما عصيا فجاءه عمير بن ضابئ البرجمي بابنه فقال أصلح الله الأمير إن هذا أنفع لكم مني وهو أشد بني تميم أيدا وأجمعهم سلاحا وأربطهم جأشا وأنا شيخ كبير عليل واستشهد جلساءه فقال الحجاج إن عذرك لواضح وإن ضعفك لبين ولكني أكره أن يجترئ بك الناس علي وبعد فأنت ابن ضابئ صاحب عثمان ثم أمر به فقتل فاحتمل الناس وإن أحدهم ليتبع بزاده وسلاحه ففي ذلك يقول ابن الزبير الأسدي

أقول لعبد الله يوم لقيته * أرى الأمر أمسى منصبا متشعبا
تخير فإما أن تزور ابن ضابئ * عميرا وإما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من الثلج أشهبا
فما إن أرى الحجاج يغمد سيفه * يد الدهر حتى يترك الطفل أشيبا
فأضحى ولو كانت خراسان دونه * رآها مكان السوق أو هي أقربا

وهرب سوار بن المضرب السعدي من الحجاج وقال

أقاتلي الحجاج إن لم أزر له * دراب وأترك عند هند فؤاديا

وقد مرت هذه الأبيات وخرج الناس عن الكوفة وأتى الحجاج البصرة فكان عليهم أشد إلحاحا وقد كان أتاهم خبره بالكوفة فتحمل الناس قبل قدومه فأتاه رجل من بني يشكر وكان شيخا كبيرا أعور وكان يجعل على عينه العوراء صوفة فكان يلقب ذا الكرسفة فقال أصلح الله الأمير إن بي فتقا وقد عذرني بشر وقد رددت العطاء فقال إنك عندي لصادق ثم أمر به فضربت عنقه ففي ذلك يقول كعب الأشقري أو الفرزدق

لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربة * تقرقر منها بطن كل عريف

وروى عن ابن هبيرة قال انا لنتغدى معه يوما اذ جاء رجل من سليم برجل يقوده فقال أصلح الله الامير ان هذا عاص فقال له الرجل أنشدك الله أيها الامير فى دمى فوالله ماقبضت ديوانا قط ولا شهدت عسكرا وانى لحائك أخذت من تحت الحف فقال اضربوا عنقه فلما أحس بالسيف سجد فلحقه السيف وهو ساجد فأمسكنا عن الطعام فأقبل علينا الحجاج فقال مالى أراكم صفرت أيديكم واصفرت وجوهكم وحد نظركم من قتل رجل واحد ان العاصى يجمع خلالا يخل بمركزه ويعصى أميره ويغر المسلمين وهو أجير لهم وانما يأخذ الاجرة لما يعمل والوالى مخير فيه ان شاء قتل وان شاء عفا ثم كتب الحجاج الى المهلب أما بعد فان بشرا رحمه الله استكره نفسه عليك وأراك غناءه عنك وأنا أريك حاجتى اليك فأرنى الجد فى قتال عدوك ومن خفته على المعصية ممن قبلك فاقتله فانى قاتل من قبلى ومن كان عندى من ولى من هرب عنك فأعلمنى مكانه فانى أرى أن آخذ الولى بالولى والسمى بالسمى فكتب اليه المهلب ليس قبلى الا مطيع وان الناس اذا خافوا العقوبة كبروا الذنب واذا أمنوا العقوبة صغروا الذنب واذا يئسوا من العفو أكفرهم ذلك فهب لى هؤلاء الذين سميتهم عصاة فانما هم فرسان أبطال أرجو أن يقتل الله بهم العدو ونادم على ذنبه فلما رأى المهلب كثرة الناس عليه قال اليوم قوتل هذا العدو ولما رأى ذلك قطرى قال انهضوا بنا نريد السردان فنتحصن فيها فقال عبيدة بن هلال أو نأتى سابور وخرج المهلب فى آثارهم فأتى أرجان وخاف أن يكونوا قد تحصنوا بالسردان وليست بمدينة ولكن جبال محدقة منيعة فلم يصب بها أحدا فخرج نحوهم فعسكر بكازرون واستعدوا للقتال وخندق على نفسه ثم وجه الى عبد الرحمن بن مخنف خندق على نفسك فوجه اليه خنادقنا سيوفنا فوجه اليه المهلب انى لا آمن عليك البيات فقال ابنه جعفر ذاك أهون علينا من ضرطة جمل فأقبل

المهلب على ابنه المغيرة فقال لم يصيبوا الرأى ولم يأخذوا بالوثيقة فلما أصبح القوم غادوه الحرب فبعث الى ابن مخنف يستمده فأمده بجماعة وجعل عليهم ابنه جعفرا فجاؤا وعليهم أقبية بيض جدد فقاتلوا يومئذ حتى عُرف مكانهم وجاربهم المهلب وأبلى بنوه يومئذ كبلاء الكوفيين أو أشد ثم نظر الى رئيس منهم يقال له صالح بن مخراق وهو ينتخب قوما من جلة العسكر حتى بلغوا أربعمائة فقال لابنه المغيرة ما يُعدّ هؤلاء الا الليالى وانكشف الخوارج والامر للمهلب عليهم وقد كثر فيهم القتل والجراح وقد كان الحجاج فى كل يوم يتفقد العصاة ويوجه الرجال فكان يحبسهم نهارا ويفتح الحبس ليلا فينسل الناس الى ناحية المهلب وكان الحجاج لا يعلم فاذا رأى اسراعهم تمثّل

ان لها لسائقا عشنزرا * اذا ونين ونية تغشمرا

العشنزر الصلب والتغشمر ركوب الرأس والمتغشمر الجاد على ما خيّلت وكتب الى المهلب من قبل الوقعة أما بعد فانه بلغنى أنك أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو وانى وليتك وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعى وعباد بن حصين الحبطى واخترتك وأنت من أهل عمان ثم رجل من الأزد فالقهم يوم كذا فى مكان كذا والا أشرعت اليك صدر الرمح فشاور بنيه فقالوا انه أمير فلا تغلظ عليه فى الجواب فكتب اليه المهلب ورد على كتابك تزعم أنى أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز وزعمت أنك وليتنى وأنت ترى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعى وعباد ابن حصين الحبطى ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك فى فضلهما وغنائهما وبطشهما واخترتنى وأنا رجل من الأزد ولعمرى ان شرا من الأزد لقبيلة تنازعها ثلاث قبائل لم تستقر فى واحدة منهن وزعمت أنى ان لم ألقهم فى يوم كذا فى مكان كذا أشرعت الىّ صدر الرمح فلو فعلت لقلبت اليك ظهر المجن والسلام ثم كانت الوقعة فلما انصرف الخوارج قال

المهلب لابنه المُغيرة انى أخاف البياتَ على بنى تميم فانهَضْ اليهم فكُنْ فيهم فأتاهم المغيرة
فقال له الحَريشُ بن هلال يا أبا حاتم أيخاف الاميرُ أن يُؤْتَى من ناحيتنا قُل له فليَبِتْ آمنا
فانا كافوه ما قِبَلَنا ان شاء الله فلما انتصف الليل وقد رجع المغيرةُ الى أبيه سَرَى صالح بن
مِخْراق فى القوم الذين أعَدَّهم الى ناحية بنى تميم ومعه عَبيدةُ بن هلال وهو يقول

انى لَمُذْكٍ للشُراة نارَها * ومانعٌ ممن أتاها دارَها
* وغاسلٌ بالطعن عنها عارَها *

فوجد بنى تميم أيقاظا متحارسين فخرج اليهم الحريش بن هلال وهو يقول

لقد وجدتم وُقُرا أنجادا * لا كُشُفا مِيلا ولا أوغادا
هيهاتَ لا تُلْقُوننا رُقّادا * لا بل اذا صِيحَ بنا آسادا

ثم حَمَلَ على القوم فرجعوا عنه فاتبعهم وصاح بهم الى أين يا كلابَ النار فقالوا انما أُعِدَّت
النارُ لك ولأصحابك فقال الحريشُ كل مملوكٍ لى حُرٌّ ان لم تدخلوا النار ان دخلها مجوسى
فيما بين سَفَوانَ وخُراسانَ قوله وجدتم وُقُرا جمع وَقور والنَجْدُ ضد البليد وهو المتيقظ
الذى لا كسل عنده ولا فُتورَ والاَمْيَلُ فيه قولان قالوا الذى لا يستقر على الدابة وقالوا
هو الذى لا سيف معه والاكشف الذى لا تُرْسَ معه والأَجَمُّ الذى لا رمح معه والحاسرُ
الذى لا درع عليه والأعزلُ الذى لا يتقوم على ظهر الدابة والوَغْدُ الضعيف ثم قال بعضهم
لبعض نأتى عسكر ابن مخنف فانه لا خَنْدَقَ عليهم وقد تعب فرسانهم اليوم مع المهلب وقد
زعموا أنا أهون عليهم من ضَرطة جمل فأتوهم فلم يشعر ابن مخنف وأصحابه بهم الا وقد
خالطوهم فى عسكرهم وكان ابن مخنف شريفا يقول رجل من غامد لرجل يعاتبه ويضرب
بابن مخنف المثل

تروح وتغدو كل يوم معظما * كأنك فينا مخنفٌ وابن مخنف

فترجل عبد الرحمن بن مخنف فجالدهم فقتل وقتل معه سبعون من القراء فيهم نفر من أصحاب علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ونفر من أصحاب ابن مسعود وبلغ الخبرُ المهلبَ وجعفرُ بن عبد الرحمن بن مخنف عند المهلب فجاءهم مُغيثاً فقاتلهم حتى ارتُثّ وصُرع ووجّهَ المهلب اليهم ابنه حبيباً فكشفهم ثم جاء المهلبُ حتى صَلّى على ابن مخنف وأصحابه رحمهم الله وصار جنده في جند المهلب فضمهم الى ابنه حبيب فعيرهم البصريون فقال رجل لجعفر بن عبد الرحمن

تركتَ أصحابنا تَدمَى نُحورُهم * وجئتَ تسعى الينا خَضْفَةَ الجَمَلِ

قوله خضفة الجمل يريد ضرطة الجمل يقال خَضَفَ البعير وأنشد في الرياشي لاعرابي يذم رجلا اتخذ وليمة

انا وجدنا خلفا بئس الخلف * أغلق عنا بابه ثم حلف

لا يُدخل البوابُ الا من عرف * عبدُ اذا ما ناء بالحمل خَضَف

يقال ناء بحمله اذا حمله في ثقل وتكلف وفي القرآن ما انَّ مفاتحه لتنوءُ بالعُصْبة أولى القوة والمعنى أن العصبة تنوء بالمفاتح وقد مضى تفسير هذا (وتقول العرب حبج الرجلُ وحبق وخضف وردم كل ذلك اذا ضرط) فلامهم المهلب وقال بئسما فعلتم والله ما فرّوا ولا جبُنوا ولكنهم خالفوا أميرهم أفلا تذكرون فراركم يوم دُولاب وفراركم بدارس عن عثمان وفراركم عني ووجّه الحجاج البراء بن قبيصة الى المهلب يستحثُّه في مُناجزة القوم وكتب اليه انك تحب بقاءهم لتأكل بهم فقال المهلبُ لاصحابه حركوهم فخرج فرسان من أصحابه اليهم فخرج اليهم من الخوارج جمعٌ فاقتتلوا الى الليل فقال لهم الخوارج ويلكم أما تملّون فقالوا الاحتى تملّوا قالوا فمن أنتم قالوا تميم قالت الخوارج ونحن بنو تميم فلما أمسَوا افترقوا فلما كان الغد خرج عشرة من أصحاب المهلب وخرج اليهم عشرة من الخوارج فاحتفر كل واحد منهم

حفيرة وأثبت قدمه فيها فكلما قتل رجل جاء رجل من أصحابه فاجتره ووقف مكانه حتى أعتقوا فقال لهم الخوارج ارجعوا فقالوا بل ارجعوا أنتم فقالوا ويلكم من أنتم فقالوا تميم قالوا ونحن تميم فرجع البراء بن قبيصة الى الحجاج فقال له مه قال رأيت قوما لا يعين عليهم الا الله وكتب اليه المهلب انى منتظر بهم احدى ثلاث موت ذريع أو جوع مضر أو اختلاف من أهوائهم وكان المهلب لا يتكل فى الحراسة على أحد كان يتولى ذلك بنفسه ويستعين بولده وبمن يحل محلهم فى الثقة عنده وقال أبو حرملة العبدى يهجو المهلب

عدمتك يا مهلب من أمير * اما تندى يمينك للفقير
بدولاب أضعت دماء قوم * وطرت على مواشكة درور

فقال المهلب ويحك والله انى لأقيكم بنفسى وولدى قال جعلنى الله فداء الامير فذاك الذى نكره منك ما كلنا يحب الموت قال ويحك وهل عنه محيص قال لا ولكنا نكره التعجيل وأنت تقدم عليه اقداما قال المهلب أما سمعت قول الكلحبة اليربوعى

فقلت لكأس ألجميها فانما * نزلنا الكثيب من زرود لنفزعا

قال بلى والله قد سمعته ولكن قولى أحب الى منه

فلما وقفتم غدوة وعدوكم * الى مهجتى وليت أعداءكم ظهرى
وطرت ولم أحفل مقالة عاجز * يساق المنايا بالردينية السمر

فقال المهلب بئس حشو الكتيبة والله أنت فان شئت أذنت لك فانصرفت الى أهلك فقال بل أقيم معك أيها الامير فوهب له المهلب وأعطاه فقال يمدحه

يرى حقا عليه أبو سعيد * جلاد القوم فى أولى النفير
اذا نادى الشراة أبا سعيد * مشى فى رفل محكمة القتير

الرفل الذيل وقال المهلب ما يسرنى أن فى عسكرى ألف شجاع بدل بيهس بن صهيب فيقال

له أيها الامير بهس ليس بشجاع فيقول أجل ولكنه سديد الرأى محكم العقل وذو الرأى حذر رسول فأنا آمن ان يقتفل فلو كان مكانه ألف شجاع قلت انهم يتشامون حتى يحتاج اليهم ومطرت السماء ليلة مطرا شديدا وهم بساور وبين المهلب وبين الشراة عقبة فقال المهلب من يكفيناهذه العقبة الليلة فلم يقم أحد فلبس المهلب سلاحه وقام الى العقبة واتبعه ابنه المغيرة فقال رجل من أصحابه يقال له عبد الله دعانا الامير الى ضبط العقبة والحظ فى ذلك لنا فلم نطعه فلبس سلاحه واتبعه جماعة من أهل العسكر فصاروا اليه فاذا المهلب والمغيرة لا ثالث لهما فقالوا انصرف أيها الامير فنحن نكفيك ان شاء الله فلما أصبحوا اذا بالشراة على العقبة فخرج اليهم غلام من أهل عمان على فرس فجعل يحمل وفرسه يزلق ويلقاه مدرك بن المهلب فى جماعة معه حتى ردهم فلما كان يوم النحر والمهلب على المنبر يخطب الناس اذا الشراة قد تألبوا فقال المهلب سبحان الله أفى مثل هذا اليوم يا مغيرة اكفنيهم فخرج اليهم المغيرة بن المهلب وأمامه سعد بن نجد القردوسى وكان سعد شجاعا متقدما فى شجاعته وكان المهلب اذا ظن برجل أن نفسه قد أعجبته قال له لو كنت سعد بن نجد القردوسى ما عدا (وقردوس من الازد) فخرج أمام المغيرة وتبع المغيرة جماعة من فرسان المهلب فالتقوا وأمام الخوارج غلام جامع السلاح مديد القامة كريه الوجه شديد الحملة صحيح الفروسية فأقبل يحمل على الناس وهو يقول

نحن صبحناكم غداة النحر * بالخيل أمثال الوشيج تجرى

فخرج اليه سعد بن نجد القردوسى من الازد ثم تجاولا ساعة فطعنه سعد فقتله والتقى الناس فصرع يومئذ المغيرة فحامى عليه سعد بن نجد وذبيان السختيانى وجماعة من الفرسان حتى ركب وانكشف الناس عند سقطة المغيرة حتى صاروا الى أبيه المهلب فقالوا اقتل المغيرة ثم أتاه ذبيان السختيانى فأخبره بسلامته فأعتق كل مملوك كان بحضرته ووجه الحجاج

الجرّاح بن عبد الله الى المهلب يستبطئه فى مناجزة القوم وكتب اليه أما بعد فانك جبيت الخراج بالعلل وتحصنت بالخنادق وطاولت القوم وأنت أعز ناصراً وأكثر عدداً وما أظن بك مع هذا معصية ولا جبناً ولكنك اتخذت أكلاً وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم فناجزهم والا أنكرتنى والسلام فقال المهلب للجرّاح يا أبا عقبة والله ما تركت حيلة الا احتلتها ولا مكيدة الا أعملتها وما العجب من ابطاء النصر وتراخى الظفر ولكن العجب أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره ثم ناهضهم ثلاثة أيام يغاديهم القتال ولا يزالون كذلك الى العصر وينصرف أصحابه وبهم قرح وبالخوارج قرح وقتل فقال له قد أعذرت فكتب المهلب الى الحجاج أتانى كتابك تستبطئنى فى لقاء القوم على أنك لا تظن بى معصية ولا جبنا وقد عاتبتنى معاتبة الجبان وأوعدتنى وعيد العاصى فاسأل الجرّاح والسلام فقال الحجاج للجراح كيف رأيت أخاك قال والله ما رأيت ايها الامير مثله قط ولا ظننت أن أحدا يبقى على مثل ما هو عليه ولقد شهدت أصحابه أياما ثلاثة يغدون الى الحرب ثم ينصرفون عنها وهم بها يتطاعنون بالرماح ويتجالدون بالسيوف ويتخابطون بالعمد ثم يروحون كأن لم يصنعوا شيأ رواح قوم تلك عادتهم وتجارتهم فقال الحجاج لشدّ ما مدحته أبا عقبة قال الحق أولى وكانت ركب الناس قديما من الخشب فكان الرجل يضرب ركابه فينقطع فاذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له معتمد فأمر المهلب فضربت الركب من الحديد وهو أول من أمر بطبعها ففى ذلك يقول عمران بن عصام العنزى

ضربوا الدراهم فى امارتهم * وضربت للحدثان والحرب

حلقاً ترى منها مرافقهم * كمناكب الجمالة الجرب

وكتب الحجاج الى عتاب بن ورقاء الرياحى من بنى رياح بن يربوع بن حنظلة وهو والى أصبهان يأمره بالمسير الى المهلب وأن يضم اليه جند عبد الرحمن بن مخنف فكل بلد تدخلانه من فتوح

أهل البصرة فالمهلب أمير الجماعة فيه وأنت على أهل الكوفة فاذا دخلتم بلداً فتحه لأهل الكوفة فأنت أمير الجماعة والمهلب على أهل البصرة فقدم عتاب فى احدى جمادين من سنة ست وسبعين على المهلب وهو بسابور وهى من فتوح أهل البصرة فكان المهلب أمير الناس وعتاب على أصحاب ابن مخنف والخوارج فى أيديهم كرمان وهم بازاء المهلب بفارس يحاربونه من جميع النواحى فوجّه الحجاج الى المهلب رجلين يستحثّانه بمناجزة القوم أحدهما يقال له زياد بن عبد الرحمن من بنى عامر بن صعصعة والآخر من آل أبى عقيل جدّ الحجاج فضمّ زياداً الى ابنه حبيب وضمّ الثقفىّ الى يزيد ابنه وقال لهما خذا يزيد وحبيباً بالمناجزة فغادوا الخوارج فاقتتلوا أشدّ قتال فقتل زياد بن عبد الرحمن وفُقد الثقفىّ ثم باكروهم فى اليوم الثانى وقد وُجد الثقفىّ فدعا به المهلب ودعا بالغداء فجعل النبل يقع قريباً منهم والثقفى يعجب من أمر المهلب فقال الصلتان العبدىّ

ألا يا اصبحانى قبل عوق العوائق * وقبل اخترا القوم مثل العقائق

غداة حبيب فى الحديد يقودنا * نخوض المنايا فى ظلال الخوافق

حرونٌ اذا ما الحرب طار شرارها * وهاج عجاج الحرب فوق البوارق

فمن مبلغ الحجاج أن أمينه * زياداً أطاحته رماح الازارق

قوله وقبل اختراط القوم مثل العقائق يعنى السيوف والعقائق جمع عقيقة يقال سيف كأنه عقيقة برق أى كأنه لمعة برق ويقال انعقّ البرق اذا انبسم وللعقيقة مواضع يقال فلان بعقيقة الصبىّ أى بالشعر الذى وُلد به لم يحلقه ويقال عققت الشئ أى قطعته ومن ذا فلان يعقّ أبويه وكذا عققتُ عن الصبى اذا ذبحت عنه وقال أعرابى

ألم تعلمى يا دار بلجاء أننى * اذا أجدبت أو كان خصباً جنابها

أحبُّ بلاد الله ما بين مشرف * الى وسلمى أن يصوب سحابها

بلادٌ بها عقّ الشبابُ تمائمي * وأول أرضٍ مسّ جلدي ترابُها

فلم يزل عتّابُ بن ورقاء مع المهلب ثمانية أشهر حتى ظهر شبيب فكتب الحجاج الى عتاب يأمره بالمصير اليه ليوجهه الى شبيب وكتب الى المهلب بأن يَرزُقَ الجُند فرزق المهلبُ أهل البصرة وأبى ان يرزق أهل الكوفة فقال له عتاب ما أنا ببارح حتى ترزق أهل الكوفة فأبى فجرت بينهما غلاظة فقال عتاب قد كان يبلغني انك شجاع فرأيتك جبانا وكان يبلغني انك جواد فرأيتك بخيلا فقال له المهلب يا ابن اللخناء فقال له عتاب لكنك معمٌّ مخولٌ فغضبت بكر ابن وائل للمهلب للحلف ووثب ابن نعيم بن هبيرة بن أخي مصقلة على عتاب فشتمه وقد كان المهلب كارها للحلف فلما رأى نصرة بكر بن وائل له سرّه الحلف واغتبط به ولم يزل يؤكده فغضبت تميمُ البصرة لعتاب وغضبت أزدُ الكوفة للمهلب فلما رأى ذلك المغيرةُ بن المهلب مشى بين أبيه وبين عتاب فقال لعتاب يا أبا ورقاء ان الامير يصير لك الى كل ما تحب وسأل أباه ان يرزق أهل الكوفة فأجابه فصلح الامر فكانت تميم قاطبة وعتّاب بن ورقاء يحمدون المُغيرة بن المهلب وقال عتاب اني لاعرف فضله على أبيه وقال رجل من الازد من بني اياد بن سُود

الا أبلغ بني ورقاء عنا * فلولا أننا كنا غضابا

على الشيخ المهلب اذ جفانا * لأَلْقَت خيلكم منا ضرابا

وكان المهلب يقول لبنيه لا تبدؤهم بقتال حتى يبدؤكم فيبغوا عليكم فانهم اذا بغوا نُصرتم عليهم فشخص عتّابُ بن ورقاء الى الحجاج في سنة سبع وسبعين فوجهه الى شبيب فقتله شبيبٌ وأقام المهلب على حربهم فلما انقضى من مُقامه ثمانية عشر شهرا اختلفوا وكان سبب اختلافهم أن رجلا حدادا من الازارقة كان يعمل نصالا مسمومة فيرمي بها أصحابُ المهلب فرفع ذلك الى المهلب فقال أنا أكفيكموه ان شاء الله فوجّه رجلا من أصحابه بكتاب

وألف درهم الى عسكر قطري فقال ألق هذا الكتاب في عسكر قطري واحذر على نفسك وكان الحداد يقال له أبزى فمضى الرسول وكان في الكتاب أما بعد فان نصالك قد وصلت الى وقد وجهت اليك بالف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال فوقع الكتاب والدراهم الى قطري فدعا بأبزى فقال ما هذا الكتاب قال لا أدري قال فهذه الدراهم قال ما أعلم علمها فأمر به فقتل فجاءه عبد ربه الصغير مولى بني قيس بن ثعلبة فقال له أقتلت رجلا على غير ثقة ولا تبين فقال له ما حال هذه الدراهم قال يجوز أن يكون أمرها كذبا ويجوز أن يكون حقا فقال له قطري قتل رجل في صلاح الناس غير منكر وللامام أن يحكم بما رآه صلاحا وليس للرعية أن تعترض عليه فتنكر له عبد ربه في جماعة ولم يفارقوه فبلغ ذلك المهلب فدس اليه رجلا نصرانيا فقال له اذا رأيت قطريا فاسجد له فاذا نهاك فقل انما سجدت لك ففعل النصراني فقال له قطري انما السجود لله فقال ما سجدت الا لك فقال له رجل من الخوارج قد عبدك من دون الله وتلا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فقال قطري ان هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم فما ضر ذلك عيسى شيأ فقام رجل من الخوارج الى النصراني فقتله فأنكر ذلك عليه وقال أقتلت ذميا فاختلفت الكلمة فبلغ ذلك المهلب فوجه اليهم رجلا يسألهم عن شيء تقدم به اليه فأتاهم الرجل فقال أرأيتم رجلين خرجا مهاجرين اليكم فمات أحدهما في الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة ما تقولون فيهما فقال بعضهم أما الميت فمؤمن من أهل الجنة وأما الآخر الذي لم يجز المحنة فكافر حتى يجيزها وقال قوم آخرون بل هما كافران حتى يجيزا المحنة فكثر الاختلاف فخرج قطري الى حدود اصطخر فأقام شهرا والقوم في اختلافهم ثم أقبل فقال لهم صالح بن مخراق يا قوم انكم قد أقررتم أعين عدوكم وأطمعتموهم فيكم لما ظهر من اختلافكم فعودوا الى سلامة القلوب واجتماع الكلمة وخرج عمرو القنا فنادى يا أيها

المُلوّن هل لكم في الطراد فقد طال العهد به ثم قال

ألم ترأنا مذ ثلاثون ليلة * قريب وأعداء الكتاب على خفض

فتهايج القوم وأسرع بعضهم الى بعض فأبلى يومئذ المغيرة بن المهلب وصار في وسط الازارقة فجعلت الرماح تحطه وترفعه واعتورت رأسه السيوف وعليه ساعد حديد فوضع يده على رأسه فجعلت السيوف لا تعمل فيه شيأ واستنقذه فرسان من الازد بعد ان صرع وكان الذي صرعه عبيدة بن هلال وهو يقول

أنا ابن خير قومه هلال * شيخ على دين أبي بلال

* وذاك ديني آخر الليالي *

فقال رجل للمغيرة كنا نعجب كيف تصرع والآن نعجب كيف تنجو وقال المهلب لبنيه ان سرحكم لغار ولست آمنهم عليه أفوكلتم به أحدا قالوا لا فلم يستتم الكلام حتى أتاه آت فقال ان صالح بن مخراق قد أغار على السرح فشق ذلك على المهلب وقال كل أمر لا آليه بنفسي فهو ضائع وتذمر عليهم فقال له بشر بن المغيرة أرح نفسك فان كنت انما تريد مثلك فوالله لا يعدل أحد نا شسع نعلك فقال خذوا عليهم الطريق فثار بشر بن المغيرة ومدرك والمفضل ابنا المهلب فسبق بشر الى الطريق فاذا رجل أسود من الازارقة يشل السرح أي يطرده وهو يقول

نحن قعدنا لكم بشل السرح * وقد نكأنا القرح بعد القرح

الشل الطرد ويقال نكأت القرحة مهموز ونكيت العدو غير مهموز من النكاية ونكأت القرحة نكأ قال ابن هرمة

ولا أراها تزال ظالمة * تحدث لي قرحة وتنكؤها

ولحقه المفضل ومدرك فصاح رجل من طيء اكفنا الاسود فاعتوره الطائي وبشر بن

المقبرة فقتلاه وأسرا رجلا من الازارقة فقال له المهلب ممن الرجل قال رجل من همدان قال انك لشين همدان وخلى سبيله وكان عياش الكندى شجاعا بئيسا فأبلى يومئذ ثم مات على فراشه بعد ذلك فقال المهلب لا وألت نفس الجبان بعد عياش وقال المهلب مارأيت كهؤلاء كلما ينقص منهم يزيد فيهم ووجه الحجاج الى المهلب رجلين أحدهما من كلب والآخر من سليم يستحثانه بالقتال فقال المهلب متمثلا

ومستعجب مما يرى من أناتنا * ولو زبنته الحرب لم يترمرم

الشعر لأوس بن حجر وقوله زبنته يقول دفعته ولم يترمرم أى لم يتحرك يقال قيل له كذا وكذا فما ترمرم وقال ليزيد حركهم فحركهم فتهايجوا وذلك فى قرية من قرى اصطخر فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فشك فخذه بالسرج فقال المهلب للسلمى والكلبى كيف نقاتل قوما هذا طعنهم وحمل يزيد عليهم وقد جاء الرقاد وهو من فرسان المهلب وهو أحد بنى مالك بن ربيعة على فرس له أدهم وبه نيف وعشرون جراحة وقد وضع عليها القطن فلما حمل يزيد ولى الجمع وحماهم فارسان فقال يزيد لقيس الخشنى مولى العتيك من لهذين قال أنا فحمل عليهما فعطف عليه أحدهما فطعنه قيس الخشنى فصرعه وحمل عليه الآخر فعانقه فسقطا جميعا الى الارض فصاح قيس الخشنى اقتلونا جميعا فحملت خيل هؤلاء وخيل هؤلاء فحجزوا بينهما فاذا معانقه امرأة فقام قيس مستحييا فقال له يزيد أما أنت فبارزتها على أنها رجل فقال أرأيت لو قتلت أما كان يقال قتلته امرأة وأبلى يومئذ ابن المنجب السدوسى فقال له غلام له يقال له خلاج والله لوددنا أنا فضضنا عسكرهم حتى أصير الى مستقرهم فأستلب مما هناك جاريتين فقال له مولاه وكيف تمنيت اثنتين قال لاعطيك احداهما وآخذ الاخرى فقال ابن المنجب

أخلاج انك لن تعانق طفلة * شرقا بها الجادى كالتمثال

حتى تلاقى فى الكتيبة مُعلماً * عمرو القنا وعبيدة بن هلال

وترى المقعطر فى الكتيبة مقدماً * فى عصبة قسطوا مع الضلال

أو ان تعلّمك المهلب غزوةً * وترى جبالا قد دنت لجبال

قوله طَفْلة يقول ناعمة واذا كسرت الطاء فقلت طِفلة فهى الصغيرة والجادىّ الزعفران والكتيبة الجيش وانما سمى الجيش كتيبة لانضمام أهله بعضهم الى بعض وبهذا سمى الكتاب ومنه قولهم كتبت البغلة والناقة وكتبت القربة اذا خرزت ذلك الموضع منها والمُعلِم الذى قد شهر نفسه بعلامة اما بعمامة صبيغ واما بشهرة واما بغير ذلك وكان حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه مُعلماً يوم بدر بريشة نعامة فى صدره وكان أبو دجانة وهو سماك بن خرشة الانصارىّ يوم أحد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ سيفى هذا بحقه قالوا وما حقه يا رسول الله قال أن تضرب به فى العدو حتى ينحنى فقال أبو دجانة أنا فدفعه اليه فلبس مشهرة فأعلم بها وكان قومه يعلمون لما بلوا منه أنه اذا لبس تلك المشهرة لم يبق فى نفسه غاية ففعل وخرج يمشى بين الصفين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها المشية يبغضها الله عز وجل الا فى مثل هذا الموضع ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع عليا صلوات الله عليه يقول لفاطمة ورمى اليها بسيفه فقالت هاك حميدا واغسلى عنه الدم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدقه معك سماك ابن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وفى بعض الحديث وقيس بن الربيع وكل هؤلاء من الانصار ۞ عاد الحديث الى ذكر الخوارج وعمرو القنا من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم وعبيدة بن هلال من بنى يشكر بن بكر بن وائل والذى طعن صاحب المهلب فى نخاعه فشكها مع السرج من بنى تميم قال ولا أدرى أعمرو هو أم غيره والمقعطر من عبد القيس وقوله قسطوا أى جاروا يقال قسط يقسط فهو قاسط اذا جار وقال الله جل ثناؤه وأما القاسطون

فكانوا لجهنم حطبا ويقال أقسط يقسط فهو مقسط اذا عدل قال الله تعالى ان الله يحب المقسطين وكان بَدْر بن الهذيل شجاعا وكان لحانة فكان اذا أحس بالخوارج نادى ياخيل الله اركبى وله يقول القائل

واذا طلبت الى المهلب حاجة * عرضت توابع دونه وعبيد

العبد كردوس وعبد مثله * وعلاج باب الأحمرين شديد

كردوس رجل من الازد وكان حاجب المهلب وقوله وعلاج باب الاحمرين شديد العرب تسمي العجم الحمراء وقد مر تفسير ذا وقوله توابع أراد به الرجال فجاز في الشعر واتمار رده الى أصله للضرورة وما كان من النعوت على فاعل فجمعه فاعلون لئلا يلتبس بجمع فاعلة التي هي نعت وقد قلنا في هذا ولم قالوا فوارس وهالك في الهوالك وكان بشر بن المغيرة أبلى يومئذ بلاء حسنا عرف مكانه فيه وكانت بينه وبين بني المهلب جفوة فقال لهم يابني عم اني قد قصرت عن شكاة العاتب وجاوزت شكاة المستعتب حتى كأني لا موصول ولا محروم فاجعلوا لي فرجة أعش بها وهبوني امرأ رجوتم نصره أو خفتم لسانه فرجعوا له ووصلوه وكلموا فيه المهلب فوصله وولى الحجاج كردما فارس فوجهه الحجاج اليها والحرب قائمة فقال رجل من أصحاب المهلب

ولو رآها كردم لكردما * كردمة العير أحس الضيغما

الضيغم الاسد والكردمة النفور فكتب المهلب الى الحجاج يسأله أن يتجافى له عن اصطخر ودرابجرد لارزاق الجند ففعل وكان قطري هدم مدينة اصطخر لان أهلها كانوا يكاتبون المهلب بأخباره وأراد مثل ذلك بمدينة فسا فاشتراها منه آزاذمرد بن الهربذ بمائة ألف درهم فلم يهدمها فواقعه المهلب فهزمه ونفاه الى كرمان واتبعه ابنه المغيرة وقد كان دفع اليه سيفا وجه به الحجاج الى المهلب وأقسم عليه أن يتقلده فدفعه الى المغيرة

بعد ما نفاذ به فرجع به المغيرة اليه وقد دماه فسر المهلب بذلك وقال ما يسرني ان اكون كنت وفيته الى غيرك من ولدي اكفني جباية خراج هاتين الكورتين وضم اليه الرقاد فجعلا يجبيان ولا يعطيان الجند شيأ ففي ذلك يقول رجل منهم واحسبه من بني تميم في كلمة له

ولو علم ابن يوسف ما نلاقي * من الآفات والكرب الشداد

لفاضت عينه جزعاً علينا * واصلح ما استطاع من الفساد

ألا قل للامير جزيت خيرا * أرحنا من مغيرة والرقاد

فما رزقا الجنود بها قفيزا * وقد ساست مطامير الحصاد

يقال ماس الطعام واساس اذا وقع فيه السوس وداد واداد من الدود وروى ابو زيد ديد فهو مدود ودق هذا المعنى فغار بهم المهلب بالسيرجان حتى نفاهم عنها الى جيرفت واتبعهم فنزل قريبا منهم واختلفت كلمتهم وكان سبب ذلك ان عبيدة بن هلال اليشكري اتهم بامرأة رجل حداد رأوه مرارا يدخل منزله بغير اذن فأتوا قطريا فذكروا ذلك له فقال لهم ان عبيدة من الدين بحيث علمتم ومن الجهاد بحيث رأيتم فقالوا انا لا نقاره على الفاحشة فقال انصرفوا ثم بعث الى عبيدة فأخبره وقال انا لا نقار على الفاحشة فقال بهتوني يا امير المؤمنين فما ترى قال اني جامع بينك وبينهم فلا تخضع خضوع المذنب ولا تتطاول تطاول البري فجمع بينهم فتكلموا فقام عبيدة فقال بسم الله الرحمن الرحيم ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم الآيات فبكوا وقاموا اليه فاعتنقوه وقالوا استغفر لنا ففعل فقال لهم عبد ربه الصغير مولى بني قيس بن ثعلبة والله لقد خدعكم فبايع عبد ربه منهم ناس كثير لم يظهروا ولم يجدوا على عبيدة في اقامة الحد ثبتا وكان قطري قد استعمل رجلا من الدهاقين فظهرت له اموال كثيرة فأتوا قطريا فقالوا ان عمر بن الخطاب لم يكن يقار عماله على مثل هذا فقال قطري اني استعملته وله ضياع وتجارات فأوغر ذلك صدورهم

وبلغ ذلك المهلب فقال ان اختلافهم أشد عليهم مني وقالوا لقطري ألا تخرج بنا الى عدونا فقال لا ثم خرج فقالوا قد كذب وارتد فاتبعوه يوما فأحس بالشر فدخل دارا مع جماعة من أصحابه فصاحوا به يا دابة اخرج الينا فخرج اليهم فقال رجعتم بعدي كفارا فقالوا أولست دابة قال الله عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ولكنك قد كفرت بقولك انا قد رجعنا كفارا فتب الى الله عز وجل فشاور عبيدة فقال ان تبت لم يقبلوا منك ولكن قل انما استفهمت فقلت أرجعتم بعدي كفارا فقال ذلك لهم فقبلوه منه فرجع الى منزله وعزم أن يبايع المقعطر العبدي فكرهه القوم وأبوه فقال له صالح بن مخراق عنه وعن القوم ابغ لنا غير المقعطر فقال قطري أرى طول العهد قد غيركم وأنتم بصدد عدوكم فاتقوا الله واقبلوا على شأنكم واستعدوا للقاء القوم فقال له صالح بن مخراق ان الناس قبلنا ساموا عثمان بن عفان أن يعزل عنهم سعيد بن العاصي ففعل و يجب على الامام أن يعفي الرعية مما كرهت فأبى قطري أن يعزله فقال له القوم انا خلعناك وولينا عبد ربه الصغير وانفصل الى عبد ربه أكثر من الشطر وجلهم الموالي والعجم وكان هنالك منهم ثمانية آلاف وهم القراء ثم ندم صالح بن مخراق فقال لقطري هذه نفثة من نفثات الشيطان فأعفنا من المقعطر وسر بنا الى عدوك فأبى قطري الا المقعطر فحمل فتى من العرب على صالح بن مخراق فطعنه فأنفذه وأجره الرمح فقتله ومعنى أجره الرمح طعنه وترك الرمح فيه قال عنترة

وآخر منهم أجررت رمحي * وفي البجلي معبلة وقيع

فتشبت الحرب بينهم فتهايجوا ثم انحاز كل قوم الى صاحبهم فلما كان الغد اجتمعوا فاقتتلوا قتالا شديدا فأجلت الحرب عن ألفي قتيل فلما كان الغد باكروهم القتال فلم ينتصف النهار حتى أخرجت العجم العرب من المدينة وأقام عبد ربه بها وصار قطري خارجا من مدينة جيرفت بازائهم فقال له عبيدة يا أمير المؤمنين ان أقمت لم آمن هذه العبيد عليك الا أن

خندق تخندق على باب المدينة وجعل يناوشهم وارتحل المهلب فكان منهم على ليلة ورسول الحجاج معه يستحثه فقال له أصلح الله الامير ما خلفهم قبل ان يصطلحوا فقال المهلب انهم لن يصطلحوا ولكن دعهم فانهم سيصيرون الى حال لا يفلحون معها ثم دس رجلا من أصحابه فقال ائت عسكر قطري فقل انى لم أزل أرى قطريا يصيب الرأى حتى نزل منزله هذا فبان خطؤه أتقيم بين المهلب وعبد ربه يغاديه هذا القتال ويراوحه هذا فنمى الكلام الى قطري فقال صدق تنحوا بنا عن هذا الموضع فان اتبعنا المهلب قاتلناه وان أقام على عبد ربه رأيتم فيه ما تحبون فقال له الصلت بن مرة يا أمير المؤمنين ان كنت تريد الله فاقدم على القوم وان كنت تريد الدنيا فاعلم أصحابك حتى يستأمنوا وأنشأ الصلت يقول

قل للمحلين قد قرت عيونكم * بفرقة القوم والبغضاء والهرب

كنا أناسا على دين ففرقنا * طول الجدال وخلط الجد باللعب

ما كان أغنى رجالا ضل سعيهم * عن الجدال وأغناهم عن الخطب

انى لأهونكم في الارض مضطربا * مالى سوى فرسي والرمح من نشب

ثم قال أصبح المهلب يرجو منا ما كنا نطمع فيه منه فارتحل قطري وبلغ ذلك المهلب فقال لهريم بن عدي بن أبي طحمة المجاشعي انى لا آمن ان يكون قطري كادنا بترك موضعه فاذهب فتعرف الخبر فمضى هريم في اثنى عشر فارسا فلم ير في العسكر الا عبدا وعلجا فسألهما عن قطري وأصحابه فقالا مضوا يرتادون غير هذا المنزل فرجع هريم الى المهلب فأخبره فارتحل المهلب حتى نزل خندق قطري فجعل يقاتلهم أحيانا بالغداة وأحيانا بالعشي ففي ذلك يقول رجل من سدوس يقال له المعنق وكان فارسا

ليت الحرائر بالعراق شهدننا * ورأيننا بالسفح ذي الاجبال

فتىً كمن أهل الحفيظة من فرساننا * والضارِبين جماجم الأبطال

ووجه المهلب يزيد الى الحجاج يخبره أنه قد نزل منزل قطري وأنه مقيم على عبد ربه ويسأله أن يوجه في أثر قطري رجلاً جلداً في جيش فسر ذلك الحجاج سروراً أظهره ثم كتب الى المهلب يستحثه مع عُبَيد بن موهب وفي الكتاب أما بعد فانك تتراخى عن الحرب حتى يأتيك رسلي فترجع بعذرك وذلك أنك تمسك حتى تبرأ الجراح وتنسى القتلى ويجم الناس ثم تلقاهم فتحتمل منهم مثل ما يحتملون منك من وحشة القتل وألم الجراح ولو كنت تلقاهم بذلك الجد لكان الداء قد حُسم والقرن قد قُصم ولعمري ما أنت والقوم سواء لان من ورائك رجالا وأمامك أموالا وليس للقوم الا ما معهم ولا يدرك الوجيف بالدبيب ولا الظفر بالتعذير فقال المهلب لاصحابه ان الله عز وجل قد أراحكم من أقران أربعة قطري بن الفجاءة وصالح بن مخراق وعبيدة بن هلال وسعد الطلائع وانما بين أيديكم عبد ربه في خشار من خشار الشيطان تقتلونهم ان شاء الله فكانوا يتغادون القتال ويتراوحون فتصيبهم الجراح ثم يتحاجزون كأنما انصرفوا من مجلس كانوا يتحدثون فيه فيضحك بعضهم الى بعض فقال عبيد بن موهب للمهلب قد بان عذرك وأنا مخبر الامير فكتب المهلب اليه أما بعد فاني لم أعط رسلك على قول الحق أجراً ولم أحتج منهم مع المشاهدة الى تلقين ذكرت أني أجم القوم ولا بد من راحة يستريح فيها الغالب ويحتال فيها المغلوب وذكرت أن في ذلك الجمام ما ينسي القتلى وتبرأ منه الجراح وهيهات أن ينسى ما بيننا وبينهم تأبى ذلك قتلى لم تجن وقروح لم تتقرف ونحن والقوم على حالة وهم يرقبون منا حالات ان طمعوا حاربوا وان ملوا وقفوا وان يئسوا انصرفوا وعلينا أن نقاتلهم اذا قاتلوا ونتحرز اذا وقفوا ونطلب اذا هربوا فان تركتني والرأي كان القرن مقصوما والداء باذن الله محسوما وان أعجلتني لم أطعك ولم أعص وجعلت وجهي الى بابك وأنا أعوذ بالله من سخط الله ومقت الناس ولما اشتد الحصار على عبد ربه قال

لاصحابه لاتنفروا الى من ذهب عنكم من الرجال فان المسلم لا يفتقر مع الاسلام الى غيره والمسلم اذا صح توحيده عزّ به وقد أراحكم الله من غلظة قطري وعجلة صالح بن مخراق ونخوته واختلاط عبيدة بن هلال ووكلكم الى بصائركم فالقوا عدوكم بصبر ونية وانتقلوا عن منزلكم هذا من قُتِل منكم قُتل شهيداً ومن سلم من القتل فهو المحروم وقدم في هذا الوقت على المهلب عبيدُ بن أبي ربيعة بن أبي الصلت الثقفي يستحثه بالقتال ومعه أمينان فقال له خالفت وصية الامير وآثرت المدافعة والمطاولة فقال له المهلب ما تركتُ جهداً فلما كان العشيُّ خرج الازارقة وقد حملوا حرمهم وأموالهم وخفّ متاعهم لينتقلوا فقال المهلب لاصحابه الزموا مصافّكم وأشرعوا رماحكم ودعوهم والذهاب فقال له عبيد هذا العمري أيسر عليك فقال للناس ردّوهم عن وجههم وقال لبنيه تفرقوا في الناس وقال لعبيد بن أبي ربيعة كن مع يزيد فخذه بالمحاربة أشدّ الاخذ وقال لاحد الامينين كن مع المغيرة ولا ترخص له في الفتور فاقتتلوا قتالا شديدا حتى عقرت الدواب وصرع الفرسان وقتلت الرجال فجعلت الخوارج تقاتل على القدح يؤخذ منها والسوط والعلق الخسيس أشد قتال وسقط رمح لرجل من مراد من الخوارج فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل وذلك مع المغرب والمرادي يقول

الليلُ ليلٌ فيه ويلٌ ويلٌ * وسال بالقوم الشراة السيلُ

* ان جاز للاعداء فينا قولُ *

فلما عظم الخطبُ فيه بعث المهلب الى المغيرة خلّ عن الرمح عليهم لعنهم الله فخلوا لهم عنه ثم مضت الخوارج حتى نزلوا على أربعة فراسخ من جيرفت ودخلها المهلبُ وأمر بجمع ما كان لهم فيها من المتاع وما خلفوه من رقيق وختم عليه هو والثقفيّ والامينان ثم اتبعهم فاذا هم قد نزلوا على عين لا يشرب منها الاقوى يأتي الرجل بالدلو قد شدّها في طرف رمحه فيستقي

بها وهنالك قرية فيها أهلها فغاداهم القتال وضمّ الثقفيّ الى يزيد وأحد الامينين الى المغيرة واقتتل القوم الى نصف النهار فقال المهلب لابي علقمة العبدى وكان شجاعا ماتيا أمدد بخيل اليحمد وقل لهم فليعيرونا جماجمهم ساعة فقال له ان جماجمهم ليست بفخّار فتعار وليست أعناقهم كرادى فتنبت (قال أبو الحسن الاخفش تقول العرب لاعذاق النخل كراد وهو فارسى أعرب) وقال حبيب بن أوس كرّ على القوم فلم يفعل وقال

يقول لى الامير بغير علم * تقدّم حين جدّ به المراس

فمالى ان أطعتك من حياة * ومالى غير هذا الراس راس

نصب غير لانه استثناء مقدّم وقد مضى تفسيره وقال المعن بن المغيرة بن أبي صفرة احمل فقال لا الا أن تزوجنى أمّ مالك بنت المهلب ففعل فحمل على القوم فكشفهم وطعن فيهم وقال

ليت من يشترى الغداة بمال * هلكه اليوم عندنا فيرانا

نصل الكرّ عند ذاك بطعن * ان للموت عندنا ألوانا

ثم جال الناس جولة عند حملة حملها عليهم الخوارج فالتفت عند ذلك المهلب الى المغيرة فقال مافعل الامين الذى كان معك قال قتل وكان الثقفيّ قد هرب وقال ليزيد مافعل عبيد بن أبي ربيعة قال لم أره منذ كانت الجولة فقال الامين الآخر للمغيرة أنت قتلت صاحبى فلما كان العشيّ رجع الثقفيّ فقال رجل من بنى عامر بن صعصعة

ما زلت يا ثقفيّ تخطب بيننا * وتغمنا بوصية الحجّاج

حتى اذا ما الموت أقبل زاخرا * وسما لنا صرفا بغير مزاج

وليت يا ثقفيّ غير مناظر * تنساب بين أحزة وفجاج

ليست مقارعة الكماة لدى الوغى * شرب المدامة فى اناء زجاج

قوله بين أجزة هو جمع جزيز وهو متن ينقاد من الارض ويغلظ والفجاج الطرق واحدها فج

وقال المهلب للامين الآخر ينبغي أن تتوجه مع ابن حبيب في ألف رجل حتى تبيتوا

عسكرهم فقال ماتريد أيها الامير الا أن تقتلني كما قتلت صاحبي قال ذاك اليك وضحك

المهلب ولم تكن للقوم خنادق فكان كل حذرا من صاحبه غير أن الطعام والعدة مع المهلب

وهم في زهاء ثلاثين ألفا فلما أصبح أشرف على واد فاذا هو برجل معه رمح مكسور وقد خضبه

بالدماء وهو ينشد

جزاني دوائي ذو الخمار وصنعتي * اذا بات أطواء بني الاصاغر

أخادعهم عنه ليغبق دونهم * وأعلم غير الظن أني مغاور

كأني وأبدان السلاح عشية * يمر بنا في بطن فيحان طائر

فدعاه المهلب فقال أتميمي أنت قال نعم قال أحنظلي قال نعم قال أيربوعي قال نعم قال أثعلبي قال

نعم قال أمن آل نويرة قال نعم أنا من ولد مالك بن نويرة وسبحان الله أيها الامير أيكون مثلي

في عسكرك لا تعرفه قال عرفتك بالشعر قوله ذو الخمار يعني فرسا وكان ذو الخمار فرس

مالك بن نويرة قال جرير يهجو الفرزدق

بيربوع فخرت وآل سعد * فلا مجدي بلغت ولا افتخاري

بسير بوع فوارس كل يوم * يواري شمسه رهج الغبار

عتيبة والاحيمر وابن عمرو * وعتاب وفارس ذي الخمار

قوله أطواء يقال رجل طوي البطن أي منطو يخبر أنه كان يؤثر فرسه على ولده فيشبعه وهم

جياع وذلك قوله * أخادعهم عنه ليغبق دونهم * والغبوق شرب آخر النهار وهذا

شيء تفتخر به العرب قال الاسعر الجعفي

لكن قعيدة بيتنا مجفوة * باد جناجن صدرها ولها غنى

نُقيّ بعيشة أهلها وثابةٍ * أو جرشعا نهد المراكل والشوى

قال فمكثوا أياما على غير خنادق يتمارسون ودوابهم مسرجة فلم يزالوا على ذلك حتى ضعف الفريقان فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها عبد ربه جمع أصحابه وقال يا معشر المهاجرين ان قطريا وعبيدة هربا طلب البقاء ولا سبيل اليه فالقوا عدوكم فان غلبوكم على الحياة فلا يغلبنكم على الموت فتلقوا الرماح بنحوركم والسيوف بوجوهكم وهبوا أنفسكم لله في الدنيا يهبها لكم في الآخرة فلما أصبحوا غادوا المهلب فقاتلوه قتالا شديدا أنسي به ما كان قبله فقال رجل من الأزد من أصحاب المهلب من يبايعني على الموت فبايعه أربعون رجلا من الازد وغيرهم فصرع بعضهم وقتل بعض وجرح بعض وقال عبد الله بن رزام الحارثي لاصحاب المهلب احملوا فقال المهلب أعرابي مجنون وكان من أهل نجران فحمل وحده فاخترق القوم حتى نجم من ناحية أخرى ثم رجع ثم كرّ ثانية ففعل فعلته الاولى وتهايج الناس فترجلت الخوارج وعقروا دوابهم فناداهم عمرو القنا ولم يترجل هو وأصحابه من العرب وكانوا زهاء أربعمائة موتوا على ظهور دوابكم ولا تعقروها فقالوا انا اذا كنا على الدواب ذكرنا الفرار فاقتتلوا ونادى المهلب بأصحابه الارض الارض وقال لبنيه تفرقوا في الناس ليروا وجوهكم ونادى الخوارج ألا ان العيال لمن غلب فصبر بنو المهلب وصبر يزيد بين يدي أبيه وقاتل قتالا شديدا أبلى فيه فقال له أبوه يا بني اني أرى موطنا لا ينجو فيه الا من صبر وما مر بي يوم مثل هذا منذ مارست الحروب وكسرت الخوارج أجفان سيوفها وتجاولوا فأجلت جولتهم عن عبد ربه مقتولا فهرب عمرو القنا وأصحابه واستأمن قوم وأجلت الحرب عن أربعة آلاف قتيل وجريح كثير من الخوارج فأمر المهلب بأن يدفع كل جريح الى عشيرته وظفر بعسكرهم فحوى ما فيه ثم انصرف الى جيرفت فقال الحمد لله الذي ردنا الى الخفض والدعة فما كان عيشنا بعيش ثم نظر الى قوم في عسكره لم يعرفهم فقال ما أشد عادة السلاح ناولوني

درعي فلبسها ثم قال خذوا هؤلاء فلما صيّر بهم اليه قال ما أنتم قالوا نحن قوم جئنا لنطلب غرّتك لنقتلك فأمر بهم فقتلوا ووجه المهلب كعب بن معدان الأشقري ومرّة بن تليد الأزدي من أزد شنوءة فوفدا على الحجاج فلما طلعا عليه تقدم كعب فأنشده

ياحفص اني عداني عنكم السفر * (وقد سهرت فأردى نومي السهر)

فقال له الحجاج أشاعر أم خطيب قال كلاهما ثم أنشده القصيدة ثم أقبل عليه فقال له أخبرني عن بني المهلب قال المغيرة فارسهم وسيدهم وكفى بيزيد فارسا شجاعا وجوادهم وسخيهم قبيصة ولا يستحيي الشجاع أن يفر من مدرك وعبد الملك سمّ ناقع وحبيب موت زعاف ومحمد ليث غاب وكفاك بالمفضل نجدة قال فكيف خلفت جماعة الناس قال خلفتهم بخير قد أدركوا ما أمّلوا وأمنوا ما خافوا قال فكيف كان بنو المهلب فيكم قال كانوا حماة السرح نهارا فاذا أليلوا ففرسان البيات قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها قال فكيف كنتم أنتم وعدوكم قال كنا اذا أخذنا عفونا واذا أخذوا يئسنا منهم واذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم فقال الحجاج ان العاقبة للمتقين كيف أفلتكم قطري قال كدناه ببعض ما كادنا به فصرنا منه الى الذي نحب قال فهلا اتبعتموه قال كان الحد عندنا آثر من الفل قال فكيف كان لكم المهلب وكنتم له قال كان لنا منه شفقة الوالد وله منا بر الولد قال فكيف اغتباط الناس قال فشا فيهم الأمن وشملهم النفل قال أكنت أعددت لي هذا الجواب قال لا يعلم الغيب الا الله قال فقال هكذا تكون والله الرجال المهلب كان أعلم بك حيث وجهك وكان كتاب المهلب الى الحجاج بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الكافي بالاسلام فقد ما سواه الذي حكم بأن لا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده أما بعد فقد كان من أمرنا ما قد بلغك وكنا نحن وعدونا على حالين مختلفين يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم على اشتداد شوكتهم فقد كان علا أمرهم حتى ارتاعت له الفتاة

وقوم به الرضيع فانتهزت منهم الفرصة فى وقت امكانها وأدنيت السواد من السواد حتى تعارفت الوجوه فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فكتب اليه الحجاج أما بعد فان الله عز وجل قد فعل بالمسلمين خيرا وأراحهم من حد الجهاد وكنت أعلم بما قبلك والحمد لله رب العالمين فاذا ورد عليك كتابى هذا فاقسم فى المجاهدين فيئهم ونفل الناس على قدر بلائهم وفضل من رأيت تفضيله وان كانت بقيت من القوم بقية فخلف خيلا تقوم بازائهم واستعمل على كرمان من رأيت وول الخيل شهما من ولدك ولا ترخص لاحد فى اللحاق بمنزله دون أن تقدم بهم على وعجل القدوم ان شاء الله فولى المهلب ابنه يزيد كرمان وقال له يا بنى انك اليوم لست كما كنت انما لك من مال كرمان ما فضل عن الحجاج ولن تحتمل الا على ما احتمل عليه أبوك فأحسن الى من معك وان أنكرت من انسان شيأ فوجهه الى وتفضل على قومك وقدم المهلب على الحجاج فأجلسه الى جانبه وأظهر اكرامه وبره وقال يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب ثم قال أنت والله كما قال لقيط الايادى

وقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لا يطعم النوم الا ريث يبعثه * هم يكاد حشاه يقصم الضلعا

لا مترفا ان رخاء العيش ساعده * ولا اذا عض مكروه به خشعا

ما زال يحلب هذا الدهر أشطره * يكون متبعا طورا ومتبعا

حتى استمرت على شزر مريرته * مستحكم الرأى لا قحما ولا ضرعا

فقام اليه رجل فقال أصلح الله الامير والله لكأنى أسمع الساعة قطريا وهو يقول المهلب كما قال لقيط الايادى ثم أنشد هذا الشعر فسر الحجاج حتى امتلأ سرورا قوله نفل أى اقسم بينهم والنفل العطية التى تفضل كذا كان الاصل وانما تفضل الله عز وجل بالغنائم على

عبادة قال لبيد

ان تقوى ربنا خير نفل * (وباذن الله ريث وعجل)

وقال جل جلاله يسالونك عن الانفال ويقال نفلتك كذا وكذا اى اعطيتك ثم صار النفل لازما واجبا وقول الايادى رحب الذراع فالرحب الواسع وانما هذا مثل يريد واسع الصدر متباعد ما بين المنكبين والذراعين وليس المعنى على تباعد الخلق ولكن على سهولة الامر عليه قال الشاعر

رحيب الذراع بالتى لا تشينه * وان فيلت الفوراء ضاق بها ذرعا

وكذلك قوله جل وعز يجعل صدره ضيقا حرجا وقوله مضطلعا انما هو مفتعل من الضليع وهو الشديد يريد انه قوى على امر الحرب مستقل بها وقوله يكون متبعا طورا ومتبعا اى قد اتبع الناس فعلم ما يصلح به امر الناس واتبع فعلم ما يصلح الرئيس كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد اتلنا وايل علينا اى قد اصلحنا امور الناس واصلحت امورنا وقوله على شزر مريرته فهذا مثل يقال شزرت الحبل اذا كررت فتله بعد استحكامه راجعا عليه والمريرة الحبل والضرع الصغير الضعيف والقحم الشيخ قال العجاج

رأين قحما شاب واقلحما * طال عليه الدهر واسلهما

والمقلحم مثل القحم وهو الجافى ويقال للصبى مقلحم اذا كان سيئ الغذاء او ابن هرمين ويقال رجل انقحل وامرأة انقحلة اذا اسن حتى ييبس والمسلهم الضامر قال الشاعر

* لما رأتنى خلقا انقحلا * ويقال فى معنى قحم قحر ويقال بعير قحارية فى هذا المعنى وقوله لا يطعم النوم الا ريث يبعثه هم فريثه وحوش ههنا اسمان الى الافعال وتأويله انه لا يطعم النوم الا يسيرا حتى يبعثه الهم فمعناه مقدار ذلك وربما يضاف الى الافعال اسماء الزمان كقوله عز ذكره هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فاسماء الزمان كلها تضاف الى الفعل

نحو قولك آتيتك يوم يخرج زيد وجئتك يوم قام عبد الله وما كان منها في معنى الماضي جاز أن يضاف الى الابتداء والخبر فتقول جئتك يوم زيدٌ أميرٌ ولا يجوز ذلك في المستقبل وذلك لان الماضي في معنى اذ وأنت تقول جئتك اذ زيدٌ أميرٌ والمستقبل في معنى اذا فلا يجوز أن تقول أجيئك اذا زيد أمير فلذلك لا يجوز أجيئك يوم زيدٌ أمير فأما الافعال في اذا واذ فهي بمنزلة واحدة تقول جئتك اذ قام زيد وأجيئك اذا قام زيد فهذا واضح بين ومما يضاف الى الفعل ذو في قولهم افعل ذلك بذي تسلمُ وافعلاه بذي تسلمان معناه بالذي يسلمكما ومن ذلك آية في قوله

بآيةِ تُقدِمون الخيلَ شُعثًا * كأنّ على سنابكها مُداما

والنحو يتصل ويتسع فتركنا الاستقصاء لانه موضعُ اختصار فقال المهلب انا والله ما كنا أشد على عدونا ولا أحد ولكن دمغ الحقُّ الباطلَ وقهرت الجماعةُ الفتنةَ والعاقبةُ للتقوى وكان ما كرهناه من المطاولة خيرا مما أحببناه من العجلة فقال له الحجاج صدقتَ اذكر لي القوم الذين أبلوا وصف لي بلاءهم فأمر الناس فكتبوا ذلك للحجاج فقال لهم المهلب ما ذخر الله لكم خيرٌ لكم من عاجل الدنيا ان شاء الله ثم ذكرهم للحجاج على مراتبهم في البلاء وتفاضلهم في الغناء وقدم بنيه المغيرة ويزيد ومدركا وحبيبا وقبيصة والمفضل وعبد الملك ومحمد وقال ايم الله لو تقدمهم أحد في البلاء لقدمته عليهم ولولا أن أظلمهم لأخرتهم قال الحجاج صدقتَ وما أنت بأعلم بهم مني وان حضرتَ وغبتُ انهم لسيوفٌ من سيوف الله ثم ذكر معن بن المغيرة بن أبي صفرة والرُّقاد وأشباههما فقال الحجاج أين الرقاد فدخل رجل طويل أجنأ فقال المهلب هذا فارسُ العرب فقال الرُّقاد أيها الامير اني كنتُ أقاتل مع غير المهلب فكنت كبعض الناس فلما صرت مع من يلزمني الصبر ويجعلني أسوة نفسه وولده ويجازيني على البلاء صرتُ أنا وأصحابي فرسانا فأمر الحجاج بتفضيل قوم على قوم على قدر

بلائهم وزاد ولد المهلب الفتين وفعل بالرقاد وجماعة شبيها بذلك قال يزيد ابن حبناء من الأزارقة

ذري اللوم ان العيش ليس بدائم * ولا تعجلي باللوم يا أم عاصم
فاذ عجلت منك الملامة فاسمعي * مقالة معني بحقك عالم
ولا تعذلينا في الهدية انما * تكون الهدايا من فضول المغانم
فليس بمهد من يكون نهاره * جلادا ويمسي ليله غير نائم
يريد ثواب الله يوما بطعنة * غموس كشدق العنبري بن سالم
أبيت وسربالي دلاص حصينة * ومغفرها والسيف فوق الحيازم
حلفت برب الواقفين عشية * لدى عرفات حلفة غير آثم
لقد كان في القوم الذين لقيتهم * بسابور شغل عن بزوز اللطائم
توقد في أيديهم زاعبية * ومرهفة تفري شؤون الجماجم

قوله من يكون نهاره جلادا او يمسي ليله غير نائم يريد يمسي هو في ليله ويكون هو في نهاره ولكنه جعل الفعل لليل والنهار على السعة وفي القرآن بل مكر الليل والنهار والمعنى بل مكركم في الليل والنهار وقال رجل من أهل البحرين من اللصوص

أما النهار ففي قيد وسلسلة * والليل في جوف منحوت من الساج

وقال آخر

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى * ونمت وما ليل المطي بنائم

ولو قال من يكون نهاره جلادا او يمسي ليله غير نائم لكان جيدا وذلك أنه أراد من يكون نهاره يجالد جلادا كما تقول انما أنت سيرا وانما أنت ضربا تريد تسير سيرا او تضرب ضربا فأضمر لعلم المخاطب أنه لا يكون هو سيرا ولو رفعه على أن يجعل الجلاد في موضع المجالد على قوله أنت

سيراً أي أنت سائر كما قالت الخنساء * فإنما هي إقبالٌ وإدبارُ * وفي القرآن قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غوراً أي غائراً وقد مضى تفسير هذا بأكثر من هذا الشرح ولو قال وعيسى ليله غير نائم لجاز تصيّر اسمه في عيسى وتجعل ليله ابتداء وغير نائم خبره على السعة التي ذكرنا وقوله عموس يريد واسعة محيطة والعنبري بن سالم رجل منهم كان يقال له الأشدق واللطائم واحدتها لطيمة وهي الابل التي تحمل البزّ والعطر وقوله توقد في أيديهم زاعبية يعني الرماح والتوقد للأسنّة والزاعبية منسوبة الى زاعب وهو رجل من الخزرج كان يعمل الرماح وتفرى تقدّ يقال فرى اذا قطع وأفرى اذا أصلح وقال حبيب بن عوف من قوّاد المهلب

أباسعيد جزاك الله صالحة * فقد كفيت ولم تعنف على أحد

داويت بالحلم أهل الجهل فانقمعوا * وكنت كالوالد الحاني على الولد

وقال عبيدة بن هلال في هربهم مع قطري

مازالت الأقدار حتى قذفنني * بقومس بين الفرخان وصول

ويروى أن قاضي قطري وهو رجل من بني عبد القيس سمع قول عبيدة بن هلال

علا فوق عرش فوق سبع ودونه * سماء ترى الأرواح من دونها تجري

فقال له العبدي كفرت الآن تأتي بمخرج قال نعم روح المؤمن تعرج الى السماء قال صدقت

وقال يذكر رجلا منهم

يهوي ويرفعه الرماح كأنه * شلو تنشّب في مخالب ضاري

فثوى صريعاً والرماح تنوشه * ان الشراة قصيرة الأعمار

تنوشه تأخذه وتتناوله قال الله عز وجل وأنّى لهم التناوش من مكان بعيد أي التناول ومثل بيته هذا قول حبيب الطائي

فيم الشماتة أعلانا بأسد وغى * أفناهم الصبر إذ أبقاكم الجزع

وقال أيضا فى شبيه بهذا المعنى

ان يتخل حدثان الموت أنفسكم * ويسلم الناس بين الحوض والعطن

فالماء ليس عجيبا أن أعذبه * يفنى ويبقى عمرا الآجن الآسن

وقال أيضا

عليك سلام الله وقفا فاننى * رأيت الكريم الحر ليس له عمر

وقال القاسم بن عيسى

أحبك يا جنان فأنت منى * مكان الروح من بدن الجبان

ولو أنى أقول مكان روحى * لخفت عليك بادرة الزمان

لاقدامى اذا ما الحرب جاشت * وهاب حماتها حر الطعان

وقال معاوية بن أبى سفيان فى خلاف هذا المعنى

أكان الجبان يرى أنه * يدافع عنه الفرار الأجل

فقد تدرك الحادثات الجبان * ويسلم منها الشجاع البطل

رجع الحديث وقال رجل من عبد القيس من أصحاب المهلب

سائل بنا عمرو القنا وجنوده * وأبا نعامة سيد الكفار

أبو نعامة قطرى وقال المغيرة ابن حبناء الحنظلى من أصحاب المهلب

انى امرؤ كفنى ربى وأكرمنى * عن الامور التى فى رعيها وخم

وانما أنا انسان أعيش كما * عاشت رجال وعاشت قبلها أمم

ما عاقنى عن قفول الجند اذ قفلوا * عنى بما صنعوا عجز ولا بكم

ولو أردت قفولا ما تجهمنى * اذن الامير ولا الكتاب اذ رقوا

إن المهلب إن أشتق لرؤيته * أو أمتدحه فإن الناس قد علموا

أن الأريب الذي ترجى نوافله * والمشعات الذي تجلى به الظلم

القائل الفاعل الميمون طائره * أبو سعيد إذا ما عدت النسم

أزمان أزمان إذ عض الحديد بهم * وإذ تمنى رجال أنهم هزموا

قال أبو العباس وهذا الكتاب لم نبتدئه لتتصل فيه أخبار الخوارج ولكن ربما اتصل شيء بشيء والحديث ذو شجون ويفترح المقترح ما يفسخ به عزم صاحب الكتاب ويصده عن سننه ويزيله عن طريقه ونحن راجعون إن شاء الله إلى ما ابتدأناه هذا الكتاب فإن مر من أخبار الخوارج شيء مر كما مر غيره ولو نسقناه على ما جرى من ذكرهم لكان الذي يلي هذا الخبر نجدة وأبي فديك وعمارة الرجل الطويل وشبيب ولكان يكون الكتاب للخوارج مخلصا

٥٣ باب في اختصار الخطب والتحميد والمواعظ

كان الحسن يقول الحمد لله الذي كلفنا ما لو كلفنا غيره لصرنا فيه إلى معصيته وآجرنا على ما لا بد لنا منه يقول كلفنا الصبر ولو كلفنا الجزع لم يمكنا أن نقيم عليه وآجرنا على الصبر ولا بد لنا من الرجوع إليه وكان علي بن أبي طالب صلوات الله عليه يقول عند التعزية عليكم بالصبر فإن به يأخذ الحازم وإليه يعود الجازع وقال للأشعث بن قيس إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت موزور وقال الخريمي

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وفي هذا الشعر وإن لم يكن من هذا الباب

وأعددته ذخرا لكل ملمة * وسهم المنايا بالذخائر مولع

وخطب أبو طالب بن عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى تزوجه خديجة بنت خويلد رحمة الله عليها فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخى من لا يوازن به فتى من قريش الا رجح عليه برا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا وان كان فى المال قل فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعلى وهذه الخطبة من أقصد خطب الجاهلية ومن جيد محاورات العرب ما رويناه عن يحيى بن عروة عن أبيه عن جده قال أقحمت السنة علينا النابغة الجعدى فلم يشعر به ابن الزبير حين صلى الفجر حتى مثل بين يديه يقول

حكيت لنا الصديق حين وليتنا * وعثمان والفاروق فارتاح معدم

وسويت بين الناس فى العدل فاستووا * فعاد صباحا حالك الليل مظلم

أتاك أبو ليلى يشق به الدجى * دجى الليل جواب الفلاة عثمثم

لترفع منه جانبا ذعذعت به * صروف الليالى والزمان المصمم

فقال له ابن الزبير هون عليك أبا ليلى فأيسر وسائلك عندنا الشعر أما صفوة أموالنا فلبنى أسد وأما عفوتها فلآل الصديق ولك فى بيت المال حقان حق لصحبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق بحقك فى المسلمين ثم أمر له بسبع قلائص وراحلة رحيل ثم أمر بأن توقر له حبا وتمرا فجعل أبو ليلى يأخذ التمر فيستجمع به الحب فيأكله فقال له ابن الزبير لشد ما بلغ منك الجهد يا أبا ليلى فقال النابغة أما على ذلك لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما استرحمت قريش فرحمت وسئلت فأعطت وحدثت فصدقت ووعدت فأنجزت فأنا والنبيون على الحوض فراط القادمين قوله أقحمت السنة يكون على وجهين يقال اقحم اذا دخل قاصدا وأكثر ما يقال من غير أن يدخل ويكون من القحمة وهى السنة الشديدة وهو أشبه

الوجهين والآخر حسن والسنة الجدب يقال أصابتهم سنة أي جدب ومن ذا قوله جل وعز ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين أي بالجدب وقوله صفوة فهي في معنى الصفو وأكثر ما يستعمل الكسر والباب في المصادر للحال الدائمة الكسر كقولك حسن الجلسة والركبة والمشية والنيمة كأنها خلقة والعفوة إنما هو ما عفا أي ما فضل وخذ العفو قالوا الفضل وكذلك قوله جل اسمه ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله عثمثم يريد الموثق الخلق الشديد وذعذعت أي أذهبت ماله وفرّقت حاله وقوله راحلة رحيل أي قوية على الرحلة معوّدة لها ويقال فحل فحيل أي مستحكم في الفحلة وفي الحديث أن ابن عمر قال لرجل اشتر لي كبشا للأضحى به أملح واجعله أقرن فحيلا وقوله فأنا والنبيون على الحوض فراط لقادمين الفارط الذي يتقدم القوم فيصلح لهم الدلاء والأرشية وما أشبه ذلك من أمرهم حتى ومن ذلك قول المسلمين في الصلاة على الطفل اللهم اجعله لنا سلفا وفرطا وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض وكان يقال يكفيك من قريش أنها أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبا ومن بيت الله بيتا ويقال ان دار أسد بن عبد العزى كان يقال لها رضيع الكعبة وذلك أنها كانت تبنى عليها الكعبة صباحا وتبنى على الكعبة عشيا وان كان الرجل من ولد أسد ليطوف بالبيت فينقطع شسع نعله فيرمي بنعله في منزله فتصلح له فإذا عاد في الطواف رمي بها اليه وفي ذلك يقول القائل

لهاشم وزهير فضل مكرمة * بحيث حلت نجوم الكبش والاسد

مجاور البيت ذي الاركان بيتهما * مادونهم في جوار البيت من أحد

وقال آخر

سمين قريش مانع منك لحمه * وغث قريش حيث كان سمين

وقال آخر

وإذا ما أصبت من قريش * هاشمياً أصبت قصد الطريق

وقال حرب بن أمية لأبي مطر الحضرمي يدعوه الى حلفه ونزول مكة

أبا مطر هلم الى صلاح * فتكتنف كالندامى من قريش

وتأمن وسطهم وتعيش فيهم * أبا مطر هديت لخير عيش

وتسكن بلدة عزت قديماً * وتأمن أن يزورك رب جيش

صلاح اسم من أسماء مكة وكانت مكة بلداً لقاحاً واللقاح الذي ليس في سلطان ملك وكانت لا تغزى تعظيماً لها حتى كان أمر الفجار وإنما سمي الفجار لفجورهم إذ قاتلوا في الحرم وكانت قريش تعز الحليف وتكرم المولى وتكاد تلحقه بالصميم وكانت العرب تفعل ذلك ولقريش فيه تقدم ودخل سديف مولى أبي العباس السفاح على أبي العباس أمير المؤمنين وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أدناه وأعطاه يده فقبلها فلما رأى ذلك سديف أقبل على أبي العباس وقال

لا يغرنك ما ترى من أناس * ان تحت الضلوع داء دويا

فضع السيف وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

فأقبل عليه سليمان فقال قتلتني أيها الشيخ قتلك الله وقام أبو العباس فدخل فإذا المنديل قد ألقي في عنق سليمان ثم جر فقتل ودخل شبل بن عبد الله مولى بني هاشم على عبد الله ابن علي وقد أجلس ثمانين رجلاً من بني أمية على سمط الطعام فمثل بين يديه فقال

أصبح الملك ثابت الآساس * بالبهاليل من بني العباس

طلبوا وتر هاشم فشفوها * بعد ميل من الزمان وياس

لا تقيلن عبد شمس عثاراً * واقطعن كل رقلة وأواسي

ذلها أظهر التودد منها * وبها منكم كحز المواسي

ولقد غاظني وغاظ سوائي * قربهم من نمارق وكراس

أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والاتعاس

واذكروا مصرع الحسين وزيدا * وقتيلا بجانب المهراس

والقتيل الذي بحران أضحى * ثاويا بين غربة وتناس

نعم شبل الهراش مولاك شبل * لو نجا من حبائل الافلاس

فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد وبسطت عليهم البسط وجلس عليها ودعا بالطعام وانه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا وقال لشبل لولا أنك خلطت كلامك بالمسئلة لاغنمتك جميع أموالهم ولعقدت لك على جميع موالي بني هاشم قوله الاساس واحدها أس وتقديرها فعل وأفعال وقد يقال للواحد أساس وجمعه أسس والبهاول الضحاك وقوله بعد ميل من الزمان وياس يقال فيك ميل علينا وفي الحائط ميل وكذلك كل منتصب وقوله واقطعن كل رقلة الرقلة النخلة الطويلة ويقال اذا وصف الرجل بالطول كأنه رقلة والاواسي ياؤه مشددة في الاصل وتخفيفها يجوز ولو لم يجز في الكلام لجاز في الشعر لان القافية تقتطعه وكل مثقل فتخفيفه في القوافي جائز كقوله

أصحوت اليوم أم شاقتك هر * (ومن الحب جنون مستعر)

وواحدها آسية وهي أصل البناء بمنزلة الاساس وقوله وغاظ سوائي تقول ما عندي رجل سوى زيد فتقصر اذا كسرت أوله فاذا فتحت أوله على هذا المعنى مددت قال الاعشى

تجانف عن جو اليمامة ناقتي * وما قصدت من أهلها لسوائكا

والسواء ممدود في كل موضع وان اختلفت معانيه فهذا واحد منه والسواء الوسط منه قوله عز وجل فرآه في سواء الجحيم وقال حسان

يا ويح أنصار النبي ورهطه * بعد المغيب في سواء الملحد

والسواء العدل والاستواء ومنه قوله عز وجل الى كلمة سواء بيننا وبينكم ومن ذلك عمرو وزيد سواء والسواء التمام يقال هذا درهم سواء وأصله من الاول وقوله عز وجل فى أربعة أيام سواء للسائلين معناه تماما ومن قرأ سواء فانما وضعه فى موضع مستويات والنمارق واحدتها نمرقة وهى الوسائد قال الفرزدق

وانا لتجرى الكاس بين شروبنا * وبين أبى قابوس فوق النمارق

وقال نصيب

اذا ما بساط اللهو مد وقربت * للذاته أنماطه ونمارقه

وقوله مصرع الحسين وزيد يعنى زيد بن على بن الحسين كان خرج على هشام بن عبد الملك وقتله يوسف بن عمر الثقفى وصلبه بالكناسة عريانا هو وجماعة من أصحابه ويروى الزبيريون أنه كان بين يوسف بن عمر وبين رجل احنة فكان يطلب عليه علة فلما ظفر بزيد بن على وأصحابه أحسوا بالصلب فأصلحوا من أبدانهم واستحدوا فصلبوا عراة وأخذ يوسف عدوه ذلك فجعله أنه كان من أصحاب زيد فقتله وصلبه ولم يكن استعد لانه كان عند نفسه آمنا وكان بالكوفة رجل معتوه عقده التشيع فكان يجىء فيقف على زيد وأصحابه فيقول صلى الله عليك يا ابن رسول الله فقد جاهدت فى الله حق جهاده وأنكرت الجور ودافعت الظالمين ثم يقبل عليهم رجلا رجلا فيقول وأنت يا فلان يجزاك الله خيرا فقد جاهدت فى الله حق جهاده وأنكرت الجور ونصرت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقف على عدو يوسف فيقول فأما أنت يا فلان فوفور عانتك يدل على أنك برىء مما قرفت به وقال حبيب بن جدرة ويقال جذرة وهى السلعة الهلالى (قال الاخفش الصحيح عندنا ابن خدرة بالخاء وكسرها وقال المبرد لم أسمعه الا جدرة ويقال جذرة) وهو من الخوارج يعنى زيد بن على

يا با حسين لو شراة عصابة * صحبوك كان لورد هم اصدار

يا باحسين والجديد الى بلى * أولاد درزة أسلموك وطاروا

تقول العرب للسفلة والسقاط أولاد درزة وتقول لمن تسبه ابن فرتنى وأولاد فرتنى وتقول للصوص بنو غبراء وفي هذا الباب ويروى أن شاعر البنى أمية قال معارضا للشيع في تسميتهم زيدا المهدى والشاعر هو الأعور الكلبي

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة * ولم نر مهديا على الجذع يصلب

ونظر بعد زمين الى رأس زيد ملقى في دار يوسف وديك ينقره فقال قائل من الشيعة

اطردوا الديك عن ذؤابة زيد * طال ما كان لا تطاه الدجاج

وقوله وقتيلا بجانب المهراس يعنى حمزة بن عبد المطلب والمهراس ماء بأحد ويروى في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عطش يوم أحد فجاءه على في درقته بماء من المهراس فعافه فغسل به الدم من وجهه وقال ابن الزبعرى في يوم أحد

ليت أشياخى ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل

فاسأل المهراس من ساكنه * بعد أبدان وهام كالحجل

وانما نسب شبل قتل حمزة الى بنى أمية لان أبا سفيان بن حرب كان قائد الناس يوم أحد والقتيل الذى بحران هو ابراهيم بن محمد بن على وهو الذى يقال له الامام وكان يقال ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء وضحى بنو مروان بالمروءة يوم العقر فيوم كربلاء يوم الحسين بن على بن أبى طالب وأصحابه ويوم العقر يوم قتل يزيد بن المهلب وأصحابه وانما ذكرنا هذا لتقدم قريش في اكرام مواليها ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش مؤتة زيدا مولاه وقال ان قتل فأميركم جعفر وأمر رسول الله أسامة بن زيد فبلغه أن قوما قد طعنوا فى امارته وكان أمره على جيش فيه جلة المهاجرين والانصار فقال عليه السلام ان طعنتم فى امارته لقد طعنتم فى امارة أبيه قبله ولقد كان لها أهلا وان أسامة لها لأهل وقالت عائشة لو كان زيد حيا

ما استخلف رسولُ الله غيرهُ وقال عبد الله بن عمر لابيه لم فضّلت أسامة عليّ وأنا وهو سيّان فقال كان أبوه أحبّ الى رسول الله من أبيك وكان أحبّ الى رسول الله منك وأوصى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعض أزواجه لتميط عن أُسامة أذى من مخاط أو لعاب فكأنها تكرهته فتولى منه ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال له يوما لم يكن أسامة من أجل الناس لو كنت جارية لنطلناك وحليناك حتى يرغب الرجال فيك وفي بعض الحديث أنه قال أسامة من أحب الناس اليّ وكان صلى الله عليه وسلم أدّى الى بني قريظة مكاتبة سلمان فكان سلمانُ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي بن أبي طالب عليه السلام سلمانُ منا أهل البيت وروى أن المهديّ نظر اليه ويدُ عمارة بن حمزة في يده فقال له رجل من هذا يا أمير المؤمنين فقال أخي وابن عمي عمارةُ بن حمزة فلما ولّى الرجل ذكر ذلك المهديُّ كالممازح لعمارة فقال له عمارة انتظرتُ ان تقول ومولاي فأنفض والله يدك من يدي فتبسم أميرُ المؤمنين المهديُّ ولم يكن الاكرام للموالي في جفاة العرب زعم الليثي انه كانت بين جعفر بن سليمان وبين مسمع بن كردين منازعة وبين يدي مسمع مولى له له بهاء ورواء ولسن فوجه جعفر الى مسمع مولًى له لينازعه ومجلسُ مسمع حافلٌ فقال ان أنصفني والله جعفر أنصفته وان حضر حضرتُ معه وان عند عن الحق عندتُ عنه وان وجّه الى مولى مثل هذا وأومأ الى مولى جعفر فقال مولًى مثل هذا عاضّ لما يكره وجهتُ اليه وأومأ الى مولاه فعجب أهل المجلس من وضعه مولاه ذلك الذي نهى عنه العرب وقد قيل الرجلُ لابيه والمولى من مواليه وفي بعض الاحاديث ان المُعتق من فضل طينة المُعتِق ويروى ان سلمان أخذ من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرة من تمر الصدقة فوضعها في فيه فانتزعها منه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله انما يحل لك من هذا ما يحل لنا ويروى ان رجلا من موالي بني مازن يقال له عبد الله بن سليمان وكان من جلّة الرجال نازع

عمرو بن هدّاب المازنىّ وهو فى ذلك الوقت سيد بنى تميم قاطبة فظهر عليه المولى حتى أذن له فى هدم داره فأدخل الفعلة دار عمرو فلما قلع من سطحه سافًا كفّ عنه ثم قال يا عمرو قد أرتك القدرة وسأريك العفو وقد كان فى قريش من فيه جفوة ونبوة كان نافع بن جبير أحد بنى نوفل بن عبد مناف اذا مرّ عليه بالجنازة سأل عنها فان قيل قرشىّ قال واقوماه وان قيل عربى قال واماداتاه وان قيل مولى أو عجمى قال اللهم هم عبادك تأخذ منهم من شئت وتدع من شئت ويروى أن ناسكا من بنى الهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول فى قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالى عامة فأما العجم فهم عبيدك والامر اليك وزعم الاصمعى قال سمعت اعرابيا يقول لآخر أترى هذه العجم تنكح نساءنا فى الجنة قال أرى ذلك والله بالاعمال الصالحة قال توطأ والله رقابنا قبل ذلك وهذا باب لم نكن ابتدأنا ذكره ولكن الحديث يجرّ بعضه بعضا ويحمل بعضه على لفظ بعض ۞ ثم نعود الى ما ابتدأناه ان شاء الله وهو ما نختاره من مختصرات الخطب وجميل المواعظ والزهد فى الدنيا المتصل بذلك وبالله التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم قد ذكرنا فى صدر كتابنا هذا أنا نذكر فيه خطبا ومواعظ فمما نذكره من ذلك أمر التعازى والمراثى فانه باب جامع وقد قيل انه لم يقل فى شئ قطّ كما قيل فى هذا الباب لان الناس لا ينفكون من المصايب ومن لم يثكل أخاه ثكله أخوه ومن لم يقدّم نفيسا كان هو المقدّم دون النفيس وحقّ الانسان الصبر على النوائب واستشعار ما صدّرناه اذ كانت الدنيا دار فراق ودار بوار لا دار استواء وعلى فراق المألوف حرقة لا تدفع ولوعة لا تردّ وانما يتفاضل الناس بصحة الفكر وحسن العزاء والرغبة فى الآخرة وجميل الذكر فقد قال أبو خراش الهذلىّ وهو أحد حكماء العرب يذكر أخاه عروة بن مرّة

تقول أراه بعد عروة لاهيا ✻ وذلك رزء لو علمت جليل

فلا تحسبى أنى تناسيت عهده ✻ ولكنّ صبرى يا أميم جميل

وقال عمرو بن معدى كرب

كم من أخ لى حازم * وأنه بيدى غدا

أعرضت من تذكاره * وخلقت يوم خلقت جلدا

وكان يقال من حدث نفسه بالبقاء ولم يوطنها على المصائب فعاجز الرأى وعزى رجل رجلا عن ابنه فقال أكان يغيب عنك قال كانت غيبته أكثر من حضوره قال فانزله غائبا عنك فانه ان لم يقدم عليك قدمت عليه وقال ابراهيم بن المهدى يذكر ابنه

وانى وان قدمت قبلى لعالم * بانى وان أبطأت منك قريب

وان صباحا نلتقى فى مسائه * صباح الى قلبى الغداة حبيب

وكفى باليأس معزيا او بانقطاع الطمع زاجرا كما قال الشاعر

أبا عمرو لم أصبر ولى فيك حيلة * ولكن دعانى اليأس منك الى الصبر

تصبرت مغلوبا وانى لموجع * كما صبر العطشان فى البلد القفر

وقال بعض المحدثين (قال الاخفش هو حبيب الطائى) وليس بناقصه حظه من الصواب انه محدث بقوله لرجل رثاه

عجبت لصبرى بعده وهو ميت * وقد كنت أبكيه دما وهو غائب

على انها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

وحدثت أن عمر بن عبد العزيز لما مات ابنه عبد الملك خطب الناس فقال الحمد لله الذى جعل الموت حتما واجبا على عباده فسوى فيه بين ضعيفهم وقويهم ورفيعهم ودنيهم فقال تبارك وتعالى كل نفس ذائقة الموت فليعلم ذوو النهى منهم أنهم صائرون الى قبورهم مفردون بأعمالهم واعلموا أن لله مسئلة فاحصة قال الله تبارك وتعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وله يقول القائل

تعز أمير المؤمنين فانه * لما قد ترى يغذى الصغير ويولد

هل ابنك الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وقال رجل من قريش يرثي ابنه (قال أبو الحسن هو العتبي)

بأبي وأمي من عبأت حنوطه * بيدي وودعني بماء شبابه

كيف السلو وكيف صبري بعده * واذا دعيت فانما أكنى به

وقال ابن لعمر بن عبد العزيز يرثي عاصم بن عمر

فان يك حزن أو تجرع غصة * أمار اتجيعا من دم الجوف منقعا

تجرعته في عاصم واحتسيته * لأعظم منه ما احتسى وتجرعا

وقال أبو سعيد اسحق بن خلف يرثي ابنة أخته وكان تبناها وكان حدبا عليها كلفا بها

أمست أميمة معمورا بها الرجم * لقى صعيد عليها الترب مرتكم

ياشقة النفس ان النفس والهة * حرى عليك ودمع العين منسجم

قد كنت أخشى عليها أن تقدمني * الى الحمام فيبدى وجهها العدم

فالآن نمت فلا هم يؤرقني * يهدا الغيور اذا ما أودت الحرم

للموت عندي أياد لست أنكرها * أحيا سرورا وبي مما أتى ألم

وهذه المرثية ليست مما تقع مع الجزع القراح والحزن المفرد ولكنه باب للمراثي يجمع افراط الجزع وحسن الاقتصاد والميل الى التشكي والركون الى التعزي وقول من كان له واعظ من نفسه أو مذكر من ربه ومن غلبت عليه الجساوة وكان طبعه الى القساوة فقد استلط كل بكل وقال رجل من المحدثين يرثي أخاه

تجل رزيات وتعرو مصايب * ولا مثل ما أبقت علينا يد الدهر

لقد عرّكتنا للزمان ملمّة ❊ أذمّت بمحمود البلادة والصبر

فهذا يحسن من قائله أن الرزء كان جليلا بإجماع فللقائل أن يتفسّح في القول فيه وهذا يقوله عبد العزيز بن عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وكان عبد الرحيم من جلّة أهله لسنًا ونعمةً وسنًّا وولايةً ومات معزولا عن اليمن في حبس الخليفة وأمّ جعفر ابن سليمان أمّ حسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم فلذلك يقول عبد العزيز في هذه القصيدة

عزوتك يا عبد الرحيم بن جعفر ❊ تفاحش صدع الدين عن الأمم الكسر

فيا ابن النبيّ المصطفى وابن بنته ❊ ويا ابن علي والقواطم والحبر

ويا ابن اختيار الله من آل آدم ❊ أبا فأبا طهرًا يؤدّي الى طهر

ويا ابن سليمان الذي كان ملجأً ❊ لمن ضاقت الدنيا به من بني فهر

ومن ملأ الدنيا سماحًا ونائلا ❊ وروّى حياضا بالمُدعثة القفر

لعزّ علينا أن ترى من رزيئة ❊ عزوتك محبوسًا على صاحب القبر

فإن تُمسِ في حبس الخليفة ثاويًا ❊ أبيًّا لما يُعطي الذليل على القسر

لكم من عدوّ للخليفة قد هوى ❊ بكفّك أو أعطى المقادة عن صغر

فوا حزنا لو في الوغى كان موته ❊ بكينا عليه بالردينيّة السمر

وكنا وقيناه القنا بنحورنا ❊ ولكن كذا في غير هيج ولا نفر

وحُدّثت أن عمر بن الخطاب لما ولّى كعب بن سور الأزدي قضاء البصرة أقام عاملا له عليها الى أن استُشهد على أنه كان قد عزله ثم ردّه فلما قام عثمان بن عفان أقرّه فلما كان يوم الجمل خرج مع اخوة له قالوا ثلاثة وقالوا أربعة وفي عنقه مصحف فقتلوا جميعا فجاءت أمهم حتى وقفت عليهم فقالت

يا عين جودي بدمع سَرِبْ * على فتية من خيار العرب

وما لهم غيرَ حين النفو * س أيُّ أميرَي قريش غلب

هذه الرواية سَرِب وقالوا معناه جارٍ في طريقه من قولهم انْسَرَبَ في حاجته وبيت ذي الرُّمّة يُختار فيه الفتح * كأنه من كُلَى مَفْرِيَّة سَرَبُ * لانه اسم والاول المكسور نعت ويقبح وضع النعت في موضع المنعوت غير المخفوض (قال أبو الحسن حق النعت أن يأتي بعد المنعوت ولا يقع في موقعه حتى يدلّ عليه فيكون خاصًّا له دون غيره تقول جاءني انسانٌ طويلٌ فان قلتَ جاءني طويلٌ لم يجز لان طويلا أعمّ من قولك انسان فلا يدل عليه فان قلت جاءني انسانٌ متكلمٌ ثم قلت بعدُ جاءني متكلمٌ جاز لانك تَدُلُّ به على الانسان فهذا شرح قوله المخصوص) وقولها غير حين النفوس نصب على الاستثناء الخارج من أول الكلام وقد ذكرناه مشروحا والمراثي كثيرة كما وصفنا وانما نكتب منها المختار والنادر والمتمثَّل به السائر فمن مليح ما قيل قول رجل يرثي أباه (قال أبو الحسن يقال انه ابن لابي العتاهية)

قلب يا قلب أوجعك * ما تعدّى فضعضعك

يا أبي ضمّك الثرى * وطوى الموت أجمعك

ليتني يوم متّ صر * ت الى تربة معك

رحم الله مصرعك * برّد الله مضجعك

وقال ابراهيم بن المهدي يرثي ابنه وكان مات بالبصرة

نأى آخر الايام عنك حبيبُ * فللعين سحٌّ دائم وغروبُ

دعته نوًى لا يرتجى أوبة لها * فقلبك مسلوبٌ وأنت كئيب

يؤوب الى أوطانه كلُّ غائب * وأحمدُ في الغُيّاب ليس يؤوب

تبدّل دارا غير داري وجيرة * سواي وأحداثُ الزمان تنوب

أقام بها مستوطنا غير انه * على طول أيام المقام غريب
كأن لم يكن كالغصن في منبت الضحى * سقاه الندى فاهتز وهو رطيب
كأن لم يكن كالدر يلمع نوره * بأصدافه لما تشنه ثقوب
كأن لم يكن زين الفناء ومعقل الـ * ـنساء اذا يوم يكون عصيب
وريحان صدري كان حين أشمه * ومؤنس قصري كان حين أغيب
وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت * بحمد الهي وهي منه سليب
قليلا من الايام لم يرو ناظري * بها منه حتى أعلقته شعوب
كظل سحاب لم يقم غير ساعة * الى أن أطاحته فطاح جنوب
أو الشمس لما من غمام تحسرت * مساء وقد ولت وحان غروب
سأبكيك ما أبقت دموعي والبكى * بعيني ماء يا بني يجيب
وما غار نجم أو تغنت حمامة * أو اخضر في فرع الاراك قضيب
حياتي ما دامت حياتي فان أمت * ثويت وفي قلبي عليك ندوب
وأضمر ان أنفدت دمعي لوعة * عليك لها تحت الضلوع وجيب
دعوت أطباء العراق فلم يصب * دواءك منهم في البلاد طبيب
ولم يملك الآسون دفعا لمهجة * عليها لأشراك المنون رقيب
قصمت جناحي بعد ما هد منكبي * أخوك فرأسي قد علاه مشيب
فأصبحت في الهلاك الا حشاشة * تذاب بنار الحزن فهي تذوب
تولیتما في حقبة فتركتما * صدى يشرئي تارة ويثوب
فلا ميت الا دون رزئك رزؤه * ولو فتتت حزنا عليه قلوب
واني وان قدمت قبلي لعالم * بأني وان أبطأت منك قريب

وانّ صباحا نلتقي في مسائه * صباحٌ الى قلبي الغداة حبيبُ

وقال أبو عبد الرحمن العتبي وتتابع له بنون

كلّ لساني عن وصف ما أجدُ * وذقتُ ثُكلًا ما ذاقه أحد

وأوطنت حرقةً حشاي فقد * ذاب عليها الفؤاد والكبد

ما عالج الحزن والحرارة في الـ ـشكل حشاءُ من لم يمُت له ولدُ

فقدتُ باثنين ليس بينهما * الا ليالٍ ليست لها عددُ

فكلّ حزن يبلى على قدم الـ ـدهر وحزني يجدّه الأبدُ

وذكر بعض الرواة أن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان عاملا لعليّ بن أبي طالب على اليمن فشخص الى عليّ واستخلف على اليمن عمرو بن أراكة الثقفي فوجه معاوية الى اليمن ونواحيها بسر بن أرطاة أحد بني عامر بن لؤيّ فقتل عمرو بن أراكة فجزع عليه عبد الله أخوه جزعا شديدا فقال أبوه

لعمري لئن أتبعت عينيك ما مضى * به الدهر أو ساق الحمام الى القبر

لتستنفدن ماء الشؤون بأسره * ولو كنت تمريهن من ثبج البحر

لعمري لقد أردى ابنُ أرطاة فارسا * بصنعاء كالليث الهزبر أبي أجر

وقلتُ لعبد الله اذ حنّ باكيا * تعزّ وماء العين منهمر يجري

تبيّن فان كان البكا ردّ هالكا * على أهله فاشدد بكاك على عمرو

ولا تبك ميتا بعد ميت أجنّة * عليّ وعباس وآل أبي بكر

قوله من ثبج البحر فثبج كل شيء وسطه ويروى في الحديث كنت اذا فاتحت الزهري فتقت منه ثبج البحر وقوله تمريهن هو مثل يقال مريت الناقة اذا مسحت ضرعها لتدرّ فانما هو استخراج اللبن ويقال مريت برجلي الأرض اذا مسحتها والاصل ذلك فانما أراد ولو كنت تستخرج

الدموع من نيج البحر وكان بسر بن أرطاة في تلك الحروب أُرشد على ابنين لعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما طفلان وأمهما من بني الحرث بن كعب فوارتهما فيقال انه أخذهما من تحت ذيلها فقتلهما ففي ذلك تقول الحارثية

الا من بين الاخوين أمهما هي الثكلى

تسائل من رأى ابنيها * وتستبقي فما تبقى

وفي ذلك تقول أيضا

يا من أحس بنيي اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف

يا من أحس بنيي اللذين هما * سمعي وطرفي فطرفي اليوم مختطف

يا من أحس بنيي اللذين هما * مخ العظام فمخي اليوم مزدهف

نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا * من قولهم ومن الافك الذي اقترفوا

أنحى على ودجي طفلي مرهفة * مشحوذة وعظيم الافك يقترف

من دل والهة حرى مفجعة * على صبيين غابا اذ مضى السلف

ويروى أن معاوية لما أتاه موت عتبة تمثل

اذا سار من خلف امرئ وأمامه * وأوحش من أصحابه فهو سائر

فلما أتاه موت زياد تمثل

وأفردت سهما في الكنانة واحدا * سيرمى به أو يكسر السهم كاسر

وماتت امرأة للفرزدق بجمع ومعي جمع ولدها في بطنها (وان شئت قلت جمع يا فتى) فقال

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح * عليه ولم أبعث عليه البواكيا

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة * لو ان المنايا أنسأته لياليا

وهذا من البغي في الحكم والتقدم وقال رجل من المحدثين في ابنين لعبد الله بن طاهر أصيبا

في يوم واحد وهما طفلان شيئاً بهذا ولكنه اعتذر فحسن قوله وصح معناه باعتذاره وهو الطائي

لهفي على تلك الشواهد فيهما * لو أمهلت حتى تكون شمائلا
ان الهلال اذا رأيت نموه * أيقنت أن سيكون بدراً كاملا

وقال الفرزدق يرثي حدراء الشيبانية

يقول ابن صفوان بكيت ولم تكن * على امرأة عيني اخال لتدمعا
يقولون زر حدراء والترب دونها * وكيف بشيء عهده قد تقطعا
ولست وان عزت علي بزائر * تراباً على مرموسة قد تضعضعا
وأهون مفقود اذا الموت ناله * على المرء من أصحابه من تقنعا
وما مات عند ابن المراغة مثلها * ولا تبعته ظاعناً يوم ودعا

وقال جرير يرثي امرأته

لولا الحياء لهاجني استعبار * ولزرت قبرك والحبيب يزار
نعم الخليل وكنت علق مضنة * ولدى منك سكينة ووقار
لن يلبث القرناء أن يتفرقوا * ليل يكر عليهم ونهار
صلى الملائكة الذين تخيروا * والصالحون عليك والأبرار
أقام حزرة يا فرزدق عبتم * غضب المليك عليكم الجبار

وقال رجل من خزاعة وينحله كثير يرثي عمر بن عبد العزيز بن مروان (قال أبو الحسن الذي صح عندنا أن هذا الشعر لقطرب النحوي

أما القبور فانهن أوانس * بجوار قبرك والديار قبور)
جاءت رزيته فعم مصابه * فالناس فيه كلهم مأجور

(ردت صنائعه اليه حياته * فكأنه من نشرها منشور)

والناس مأتمهم عليه واحد * في كل دار رنة وزفير

يثني عليك لسان من لم توله * خيرا لانك بالثناء جدير

ومثله قول عمارة يمدح خالد بن يزيد بن مزيد

أرى الناس طرا حامدين لخالد * وما كلهم افضت اليه صنائعه

ولن يترك الاقوام أن يمدحوا الفتى * اذا كرمت اخلاقه وطبائعه

فتى أمعنت ضراؤه في عدوه * وخصت وعمت في الصديق منافعه

ومن قوله والناس مأتمهم عليه واحد أخذ الطائي في مرثيته

لئن أبغض الدهر الخؤن لفقده * لعهدي به حيا يحب به الدهر

لئن عظمت فيه مصيبة طيئ * لما عريت منها تميم ولا بكر

وقال القرشي

قد كنت أبكي على من فات من سلفي * وأهل ودي جميع غير أشتات

فاليوم اذ فرقت بيني وبينهم * نوى بكيت على أهل المروآت

وما بقاء امرئ كانت مدامعه * مقسومة بين أحياء وأموات

ويروى أن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه تمثل عند قبر فاطمة عليها السلام

(لكل اجتماع من خليلين فرقة * وان الذي دون الفراق قليل)

وان افتقادي واحدا بعد واحد * دليل على أن لا يدوم خليل

وقال عقيل بن علفة المري من غطفان

لعمري لقد جاءت قوافل خبرت * بأمر من الدنيا علي ثقيل

وقالوا ألا تبكي لمصرع هالك * أصاب سبيل الله خير سبيل

كأن المنايا تبتغي في خيارنا * لها ترة أو تهتدي بدليل

لئن آلت المنايا حيث شاءت فإنها * محللة بعد الفتى ابن عقيل

فتى كان مولاه يحل بنجوة * فحل الموالي بعده بمسيل

وتمثلت عائشة عند قبر عبد الرحمن بن أبي بكر بقول متمم بن نويرة

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا * أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ومات صديق لسليمان بن عبد الملك يقال له شراحيل فتمثل عند قبره

وهون وجدي عن شراحيل أنني * اذا شئت لاقيت امرأ مات صاحبه

وقال أعرابي

ألا لهف الأرامل واليتامى * ولهف الباكيات على قصي

لعمرك ما خشيت على قصي * متالف بين نجر والسلي

ولكني خشيت على قصي * جريرة رمحه في كل حي

فتى الفتيان محلول ممر * وأمار بارشاد وغي

فهذا الشعر من أجفى أشعار العرب ينبئ صاحبه أن تصدره في المرثي أن تكون منيته قتلا ويتأسف من موته حتف أنفه ويقول في مدحه * وأمار بارشاد وغي * وشبيه بهذا قول لبيد في أخيه أربد لما أصابته الصاعقة وأصابت عامر الغدة بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر بن الطفيل صار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أربد فقال لاربد أنا أشغله لك واضربه أنت بالسيف من ورائه فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام على ان يجعل له أعنة الخيل فقال عامر ومن عنعها اليوم مني ولكن اتـ

شئت فلك المدر ولى الوبر أولى المدر ولك الوبر فأعرض عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال فاجعل لى هذا الامر بعدك فأعلمه النبي أن ذلك ليس بكائن قال فأبشر بخيل أولها عندك وآخرها عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأبى الله ذلك وابنا قيلة يعنى الأوس والخزرج ويروى أن سعد بن عبادة قال يا رسول الله غلام يتعتب هذا الاعرابي لسانه عليك دعني أقتله ويروى أن عامرا قال للنبي عليه السلام لأغزونك على ألف أشقر وألف شقراء فلما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيهما ويروى قيس أنه قال اللهم ان لم تهد عامرا فاكفنيه وقال عامر لاربد قد شغلته عنك مرارا فألا ضربته قال أربد أردت ذلك مرتين فاعترض لى فى احداهما حائط من حديد ثم رأيتك الثانية بيني وبينه أفأقتلك فلم يصل واحد منهما الى منزله أما عامر فغدق فى ديار بنى سلول بن صعصعة فجعل يقول أغدة كغدة البعير وموتا فى بيت سلولية وأما أربد فارتفعت له سحابة فرمته بصاعقة فأحرقته وكان أخا لبيد لامه فقال يرثيه

أخشى على أربد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والأسد
ما ان تعري المنون من أحد * لا والد مشفق ولا ولد
فجعني الرعد والصواعق بالفارس يوم الكريهة النجد
يا عين هلا بكيت أربد اذ * قمنا وقام العدو فى كبد

وقال أيضا

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الأجرب
يتحدثون مخانة وملاذة * ويعاب قائلهم وان لم يشغب
يا أربد الخير الكريم جدوده * غادرتني أمشي بقرن أعضب
ان الرزية لا رزية مثلها * فقدان كل أخ كضوء الكوكب

قوله في خَلْف يقال هو خَلْفُ فلان لمن يَخْلُفُه من رهطه وهؤلاء خَلْفُ فلان اذا قاموا مقامه من غير أهله وقلما يستعمل خَلْفٌ الا في الشر وأصله ماذكرنا والخيانة مصدر من الخيانة والمَلُوذُ الذي لا يصدق في مودته يقال رجل مَلُوذٌ ومَلَّاذٌ ومَلاذَةٌ مصدره والأعضب المقطوع وفي الحديث لا يضحى بعضباء ويروى أن رجلا قال لمعن بن زائدة في مرضه لولا ما منّ الله به من بقائك لكنا كما قال لبيد

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم * وبقيت في خَلْف كجلد الأجرب

فقال له معن اغا نذكرني سُدْتُ حين ذهب الناس هلا قلت كما قال نهار بن توسعة

قلدته عرى الامور نزار * قبل أن تهلك السراة البحور .

ثم نرجع الى ذكر المراثي وقال أعرابي

لعمري لقد نادى بأرفع صوته * نَعِيُّ حَبِيٍّ أن سيدكم هوى

أجل صادقا والقائل الفاعل الذي * اذا قال قولا أنبط الماء في الثرى

فتى قبل لم تعنس السن وجهه * سوى وضح في الرأس كالبرق في الدجى

أشارت له الحرب العوان فجاءها * يقعقع بالأقراب أول من أتى

ولم يجنها لكن جناها وليه * فآسى وآداه فكان كمن جنى

ويروى أن عائشة رضي الله عنها نظرت الى الخنساء وعليها صدار من شعر فقالت يا خنساء أتلبسين الصدار وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقالت لم أعلم بنهيه ولكن لهذا الصدار سبب فقالت وما هو قالت لها كان زوجي رجلا متلافا فأملق فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتي أخي صخرا فاسأله فأتيته فشاطرني ماله فأتلفه زوجي فعدت له فعاد لي بمثل ذلك فأتلفه زوجي فعدت له فلما كان في الثالثة أو الرابعة قالت له امرأته ان هذا المال متلف فامنحها شرارها فقال صخر

واللهِ لا آمنحها شرارَها * ولو هلكتُ خرقتُ خمارَها

* واتخذتُ من شعرٍ صدارَها *

فلما هلك اتخذت هذا الصدار وكان صخر أخا الخنساء لابيها فقط وروى عن بعض نساء بني سُليم انها نظرت اليها في صدار وهي تصنع طيبا لابنتها لتنقلها الى زوجها فقاولتها في شئ كرهته الخنساء فقالت لها اسكتي فوالله لقد كنتُ أبسطَ منك عرَقا وأطيبَ منك ورَسا وأحسنَ منك عُرسا وأرقَّ منك نعلا وأكرمَ منك بعلا وكان بشار يقول لم تقل امرأة شعرا قط الا تبيّن الضعفُ فيه فقيل له أوكذلك الخنساءُ فقال تلك كان لها أربع خُصًى وقال القرشي وتتابع له بنون

أَسُكّانَ بطنِ الارضِ لو يُقبَلُ الفدا * فُدِيتُم وأعطينا بكم ساكني الظَّهرِ

فياليتَ مَن فيها عليها وليتَ مَن * عليها ثَوَى فيها مقيما الى الحشرِ

فباتوا كأن لم يعرفِ الموتُ غيرَهم * فثُكلٌ على ثُكلٍ وقبرٌ على قبرِ

لقد شمتَ الاعداءُ بي وتغيّرتْ * عيونٌ أراها بعد موت أبي عمرو

تجرّى علىَّ الدهرُ لما فقدتُه * ولو كان حيًّا لاجترأتُ على الدهرِ

وقاسمني دهري بنيَّ مُشاطرا * فلما تَوَفَّى شطرَه مال في شطري

وحدثني العباس بن الفرج الرياشي قال قدم رجل من البادية فلما صار بجبلي سنام مات له بنون فدفنهم هناك وقال

دفنتُ الدافعينَ الضيمَ عني * برابيةٍ مجاورةٍ سَناما

أقول اذا ذكرتُ المهدَ منهم * بنفسي تلك أصداءٌ وهاما

فلم أرَ مثلهم ماتوا جميعا * ولم أرَ مثل هذا العامِ عاما

(قال أبو الحسن الاخفش وفيها عن غير أبي العباس

قلبت سهامی واذا [illegible] ن لنا حاما

قال أبو العباس ويروى أن رجلا كان له بنون سبعة يروى ذلك أبو الحسن المدائنى قال أبو العباس فاختلف علينا [illegible] فقال قوم أتت عليهم حائط وقال قوم آخرون بل حلب لهم فى علبة فسم فيها أفعى فب[illegible] شربوها فماتوا جميعا والرجل يقال له الحرث بن عبد الله [illegible] وهلكت لجار له شاة فجعل يعلن بالبكاء عليها فقال قائل

يا أيها الباكى على شاته * يبكى جهارا غير اسرار

ان الزيات وأمثالها * علق الحرث فى الدار

دعا بنى معن واخوانهم * فكلهم بعد و بمفار

قال أبو العباس والمصائب ما عظم منها وما صغر تقع على ضربين فالحزم التسلى عما لا يغنى الغم فيه والاحتيال لدفع ما يدفع بالحيلة ومن أحسن القول فى هذا المعنى فى الاسلام قول على ابن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام جاءت ابنه فلم ير منه جزع فسئل عن ذلك فقال أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره وفى هذه زيادة تنتظر وفضل تسليم لقضاء الله عز وجل والعرب تقول الحذر أشد من الوقيعة وقال رجل من الحكماء انما الجزع والاشفاق قبل وقوع الامر فاذا وقع فالرضا والتسليم ومن هذا قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله اذا استأثر الله بشىء فاله عنه يقال لهيت عن الامر ألهى اذا أضربت عنه ولهوت ألهو من اللعب ومن أقدم ما قيل فى هذا المعنى قول أوس بن حجر الاسيدى من بنى أسيد بن عمرو بن تميم يرثى فضالة بن كلدة أحد بنى أسد بن خزيمة

أيتها النفس أجملى جزعا * ان الذى تحذرين قد وقعا

ان الذى جمع السماحة والنجدة والحزم والقوى جمعا

(أودى فما تنفع الاساءة من * شئ لمن قد تحاول البدعا)

الالمعي الذي يظن لك الظن كان قد رأى وقد سمعا
المخلف المتلف المرزأ لم * يمتع بضعف ولم يمت طبعا
والحافظ الناس في تحوط اذا * لم يرسلوا تحت عائذ ربعا
وعزت الشمأل الرياح وقد * أمسى كميع الفتاة ملتفعا
وشبه الهيدب العبام من الاقوام سقبا ملبسا فرعا
وكانت الكاعب المنعمة الحسناء في زاد أهلها سبعا
ليبكك الشرب والمدامة والفتيان طرا وطامع طمعا
وذات هدم عار نواشرها * تصمت بالماء تولبا جدعا

وفيها زيادة لكنا اخترنا قوله الالمعي الحديد اللسان والقلب وقد أبانه بقوله الذي يظن لك الظن كان قد رأى وقد سمعا وقوله المخلف المتلف أراد أنه يتلف ماله كرما ويخلفه نجدة كما قال

ناقته ترفل في النقال * متلف مال ومفيد مال

وقال آخر * فأتلف ذلك متلاف كسوب * والمرزأ الذي تناله الرزيئات في ماله لما يعطي ويسئل والامتاع الاقامة فيقول لم يقم وهو ضعيف والطبع أسوأ الطمع وأصله أن القلب يعتاد الخلة الدنية فتركبه كالحائل بينه وبين الفهم لقبح ما يظهر منه وهذا مثل وأصله في السيف وما أشبهه يقال طبع السيف اذا ركبه صدأ يستر حديدته وطبع الله على قلوبهم من ذا وتحوط وقحوط اسمان للسنة الجدبة كما يقال مجرة وكحل وقوله لم يرسلوا تحت عائذ ربعا فالعائذ الحديثة النتاج والربع الذي نتج في الربيع ومن شأنهم في سنة الجدب ان ينحروا الفصال لئلا ترضع فتضر بالامهات وقوله وعزت الشمأل الرياح يقول غلبتها وذلك علامة الجدب وذهاب الامطار ومن ذلك قولهم من عز بز أي من غلب استلب وفي القرآن وعزني

في الخطاب أي غلبني بالمخاطبة وقوله وقد أمسى كميع الفتاة فالكميع الضجيع وهو الكميع قال الراجز * ومشهوذ الغرار يبيت كمعي * يعني السيف أي يبيت مضاجعي ملتفعا يقال تلفع في مطرفه وفي كسائه اذا التفف وتزمل فيه فيقول من شدة الضر يلتفع به دون ضجيعه والكاعب التي كعب ثديها يقول تصير كالسبع في زاد أهلها بعد أن كانت تعاف طيب الطعام وقوله وذات هدم يعني امرأة ضعيفة والهدم الكساء الخلق الرث وقوله عار نواشرها النواشر عروق الساعد والتولب الصغير والجدع السيء الغذاء وهو الجحن والقمين وقال أعرابي

خليلي عوجا بارك الله فيكما * على قبر أهبان سقته الرواعد
فذاك الفتى كل الفتى كان بينه * وبين المزجي نفنف متباعد
اذا نازع القوم الاحاديث لم يكن * عييا ولا عبأ على من يقاعد

وقالت ليلى الاخيلية

دعا قابضا والمرهفات ينشنه * فقبحت مدعوا ولبيك داعيا
فليت عبيد الله كان مكانه * صريعا ولم أسمع لتوبة ناعيا

وكان سبب هذا الشعر أن توبة بن حمير العقيلي ثم الخفاجي غزا فغنم ثم انصرف فعرض في طريقه فأمن فقال فندت فرسه فأحاط به عدوه ومعه عبيد الله أخوه وقابض مولاه فدعاهما فذبب عبيد الله شيأ وانهزما وقتل توبة ففي ذلك تقول ليلى الاخيلية

أعيني ألا فابكي على ابن حمير * بدمع كفيض الجدول المتفجر
لتبك عليه من خفاجة نسوة * بماء شؤون العبرة المتحدر
سمعن بهيجا أزحفت فذكرنه * وقد يبعث الاحزان طول التذكر
كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * بنجد ولم يطلع مع المتغور

ولم يرد المياه السدام اذا بدا * سنا الصبح فى أعقاب أخضر مدبر

ولم يقدع الخصم الألد وبلا الشجعان سديقا يوم نكباء صرصر

الا رب مكروب أجبت ونائل * أبوت ومعروف لديك ومنكر

فيا نوب للمولى ويا نوب الندى * ويا نوب للمستنبح المتنور

قولها التبسك عليسه من خفاجة نسوة تعنى خفاجة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة والهجاء تمد وتقصر وقد مر هذا وقولها بنجد ولم يطلع مع المتغور فالنجد كل ما أشرف من الارض والغور كل ما انخفض ويقال ماء سدام ومياه سدم وهى المندفنة المندفقة

قال الشاعر

وعلى بأسدام المياه فلم تزل * قلائص تخدى فى طريق طلائح

وسنا الصبح ضوءه وهو مقصور واذا أردت الحسب مددت والاخضر الذى ذكرت الليل والعرب تسمى الاسود أخضر وقولها ولم يقدع الخصم الالد فالالد الشديد الخصام والسديف شقق السنام والنكباء الريح بين الريحين الشديدة الهبوب والصرصر الشديدة الصوت والمستنبح الذى يسرى فلا يعرف مقصدا فينبح لتجيبه الكلاب فيقصدها والمتنور الذى يلتمس ما يلوح له من النار فيقصده قال الاخطل يعير جريرا

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لأمهم بولى على النار

فيقال ان جريرا توجع من هذا البيت وقال جمع بهذه الكلمة ضروبا من الهجاء والشتم منها البخل الفاحش ومنها عقوق الام فى ابتذالها دون غيرها ومنها تقذير الفناء ومنها السوءة التى ذكرها من الوالدة وقال آخر

وانى لأطوى البطن من دون ملئه * لمختبط فى آخر الليل نابح

وان امتلاء البطن فى حسب الفتى * قليل الغناء وهو فى الجسم صالح

وقالت ليلى الاخيلية

تَطُرتُ وركنٌ من بُوانة دوننا * وأركانُ حِسْمَى أىَّ نظرةِ ناظرِ

الى الخيل أجلى شاؤها عن عقيرة * لعاقرها فيها عقيرةُ عاقرِ

كأنّ فتى الفتيان توبة لم ينخ * قلائص يفحصن الحصى بالكراكر

ولم يبن أبرادًا رقاقًا الفتية * كرام ويرحل قبل فى الهواجر

فتى لا تخطّاه الرفاقُ ولا يرى * لقدر عيالا دون جار مجاور

وكنت اذا مولاك خاف ظلامة * دعاك ولم يقنع سواك بناصر

قولها أىّ نظرة ناظر يصلح فيه الرفع والنصب على قوله نظرت أىّ نظرة وأيّة نظرة وأيّما نظرة وأيّما نظرة كما تقول مررت برجل أيّما رجل وتأويله مررت برجل كامل فأيّما فى موضع كامل وتقول مررت بزيد أيّما رجل على الحال ومن قال أىُّ نظرة ناظر فعلى القطع والابتداء والمخرج مخرج استفهام وتقديره أىُّ نظرة هى كما تقول سبحان الله أىُّ رجل زيد وهذا البيت ينشد على وجهين

فأومأت ايماء خفيا لحبتر * ولله عينا حبتر أيّما فتى

وأيّما ان شئت على ما فسرنا وقولها الى الخيل أجلا شاؤها عن عقيرة شاؤها طلقها وقولها لعاقرها فيها عقيرة عاقر أى قد أصابوا عقيرة نفيسة كقول القائل نعم غنيمة المغتنم وكقولهم عقيرةٌ وكما تكون وهذا نظير قوله

ولما أصابوا انفس عمرو بن عامر * أصابوا به وترا بنيم ذوى الوتر

يقال ثأر منيم اذا أصابه المثئر هدا أو استقر لانه أصاب كفؤا وهذا خلاف قول الآخر

قوم اذا جرّ جانى قومهم أمنوا * للؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

وخلاف قول الحرث بن عباد

لا يجيرُ أُفَيَّ قَتِيلاً ولا رَهْطُ كُلَيْبٍ تَزاجروا عن ضلال

ولكن كما قال دُرَيْدُ بن الصِّمَّة

قتلت بعبد الله خير لداته * ذُؤاباً فلم أَفخر بذاك وأجزعا

وكما قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمي من بني تَيْم اللات بن ثعلبة حيث قَتَلَ مُصْعَب بن الزبير بأخيه النابي بن زياد

ان عُبَيْدَ الله ما دام سالما * لَسارٍ على رغم العدوّ وغادى

ونحن قتلنا ابن الزبير ورأسه * حَزَزْنا برأس النابِي بن زياد

كسر الباء على الاصل كما قال ابن قيس الرُّقَيَّات

لا بارك الله في الغواني هل * يُصْبِحْنَ الا لهنّ مُطَّلَبُ

ومن أخذه من نبأت على القوم أي طلعت عليهم فلا علة فيه ولا ضرورة (قال الاخفش المعروف فيه الهمز والمبرد لم يهمزه فانما أخذه من نَبا يَنْبو فصار مثل رامٍ وقاضٍ وما أشبههما)

وقال أبو الاسد مولى خالد بن عبد الله القسري لما قتلوا الوليد بن يزيد بن عبد الملك بخالد ابن عبد الله

فان تقتلوا منا كريما فاننا * قتلنا أمير المؤمنين بخالد

وان تشغلونا عن ندانا فاننا * شغلنا وليدا عن غناء الولائد

تركنا أمير المؤمنين بخالد * مكبّا على خيشومه غير ساجد

وقال الخزاعي بعد

قتلنا بالفتى القسري منهم * وليدهم أمير المؤمنينا

(ومروا نا قتلنا عن يزيد * كذاك قضاؤنا في المعتدينا

وبابن السبط منا قد قتلنا * محمد ابن هرون الامينا)

فحسن بك تقتله سوقانا * جعلنا مقتل الخلفاء دينا

وقولها او برحل قيل في الهواجر تريد أنه متيقظ ظعان والمولى في قولها اذا مولاك خاف ظلامه يحتمل ضروبا فالمولى ابن العم وقوله عز وجل وانى خفت الموالى من ورائى يريد بنى العم قال الفضل بن العباس

مهلا بنى عمنا مهلا موالينا * لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

ويكون المولى المعتق ويكون المولى من قوله جل ثناؤه وان الكافرين لا مولى لهم ويكون المولى الذى هو أحق وأولى منه قوله مأواكم النار هى مولاكم أى أولى بكم والمولى المالك وقولها ولم يبن أبرادا تريد الخيام ۞ قال أبو العباس وكانت الخنساء وليلى بائنتين فى أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول ورب امرأة تتقدم فى صناعة وقلما يكون ذلك والجملة ما قال الله عز وجل أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع عوجاء وانك ان ترد اقامتها تكسرها فدارها تعش بها فمن ندر من النساء فى باب من الابواب أم أيوب الانصارية وأم الدرداء ورابعة القيسية ومعاذة العدوية فان هؤلاء النسوة تقدمن فى الفضل والصلاح على تقدم بعضهن بعضا حدثنى الجاحظ عن ابراهيم بن السندى قال كانت تصير الى هاشمية جارية حمدونة فى حاجات صاحبتها فأجمع نفسى لها وأطرد الخواطر عن فكرى وأحضر ذهنى جهدى خوفا من أن تورد على مالا أفهمه لبعد غورها واقتدارها على ان تجرى على لسانها ما فى قلبها وكذلك ما يؤثر عن خالصة وعتبة جاريتى ريطة بنت أبى العباس فأما النساء الاشراف فان القول فيهن كثير متسع فما ندر من شعر الخنساء قولها ترثى صخرا

يا صخر وراد ماء قد تناذره * أهل المياه وما فى ورده عار

مشى السبنتى الى هيجاء معضلة * له سلاحان أنياب وأظفار

وما عجول على بوٍّ تحن له * لها حنينان اعلان واسرار
ترتع ما غفلت حتى اذا ادّكرت * فانما هي اقبال وادبار
يوما بأوجع مني يوم فارقني * صخر وللعيش احلاء وأمرار
وان صخرا لوالينا وسيدنا * وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار
لم تره جارة يمشي بساحتها * لريبة حين يخلي بيته الجار

قولها

ياصخر وراد ماء قد تناذره * أهل المياه وما في ورده عار

تعني الموت أي لاقدامه على الحرب والسبنتي والسبندى واحد وهو الجريء الصدر وأصله في النمر والعجول التي فارقها ولدها والبوّ قد مضى تفسيره وكذلك فانما هي اقبال وادبار وقد شرحنا كيف مذهبه في الصدر وقولها الى هيجاء معضلة تعني الحرب وقولها كأنه علم في رأسه نار فالعلم الجبل قال الله جل وعز وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام وقال جرير

* اذا قطعن علما بدا علم * ومن حسن شعرها قولها

أعينيّ جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجريء الجميل * ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العما * د ساد عشيرته أمردا
اذا القوم مدوا بأيديهم * الى المجد مد اليه يدا
فنال الذي فوق أيديهم * من المجد ثم مضى مصعدا
يكلفه القوم ما عالهم * وان كان أصغرهم مولدا
ترى المجد يهوي الى بيته * يرى أفضل الكسب أن يحمدا

قولها طويل النجاد والنجاد حمائل السيف تريد بطول نجاده طول قامته وهذا مما يمدح به الشريف قال جرير

فانى لارضى عبد شمس وما قضت * وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

وقال مروان للمهدى

قصرت حمائله عليه فقلصت * ولقد تأنق قينها فأطالها

وقال رجل من طىّ

جدير أن يفلّ السيف حتى * ينوس اذا تعلّق فى النجاد

وقال الحكمى أبو نواس

سبط البنان اذا احتبى بنجاده * غمر الجماجم والسماط قيام

وقال عنترة

بطل كأن ثيابه فى سرحة * يحذى نعال السبت ليس بتوأم

وقولها رفيع العماد اعا تريد بذلك يقال رجل معمد أى طويل ومنه قوله عز وجل ارم ذات العماد أى الطوال وقولها ماعالهم أى نابهم ونزل بهم تقول العرب ما عالك فهو عائل أى ما نابك فهو نائب ومن ذا قول كثير

يا عين بكى للذى عالنى * منك بدمع مسبل هامل

ومن جيد قولها

أبعد ابن عمرو من ال الشريد حلت به الارض أثقالها

لعمر أبيك لنعم الفتى * اذا النفس أعجبها مالها

فان تك مرة أودت به * فقد كان يكثر تقتالها

فخر الشوامخ من قتله * وزلزلت الارض زلزالها

هَمَمْتُ بنفسى كُلَّ الهموم * فَأَوْلَى لنفسى أَوْلَى لها

لاحمل نفسى على آلة * فَإِمَّا عليها وإِمَّا لها

قولها حلتْ به الارضُ أثقالها حلت من الحَلْى تقول زينتْ به الارضُ الموتى وقال المفسرون فى قول الله عزوجل وأخرجت الارض أثقالها قالوا الموتى وقولها النسم الفتى اذا النفس أعجبها مالها تقول يجودُ بما هوله فى الوقت الذى يُؤثرهُ أهلهُ على الحمد والشوامخُ الجبال والشامخ العالى ويقال للمتكبر شمخ بأنفه وقولها على آلة أى على حالة وعلى خُطَّة هى الفيصلُ فإمّا ظفرتُ وإمّا هلكت وقولها فأولى لنفسى أولى لها يقول الرجل اذا حاول شيأ فأفلته من بعدما كاد يصيبه أولى له واذا أفلتَ من عظيمة قال أولى لى ويروى عن ابن الحنفية أنه كان يقول اذا مات ميت فى جواره أوفى داره أولى لى كدتُ والله أكونُ السوادَ المُخترمَ وقد مضى هذا مفسرا وأُنشد لرجل يقتنص فاذا أفلته الصيد قال أولى لك فكثر ذلك منه فقال

فلو كان أولى يُطعمُ القومَ صدتُهم * ولكنّ أولى يتركُ القومَ جوّعا

وقالت الخنساء ترثى أخاها معاوية بن عمرو وكان معاوية أخاها لابيها وأمها وكان صخرٌ أخاها لابيها وكان أحبهما اليها وكان صخر يستحق ذلك منها بأمور منها أنه كان موصوفا بالحلم ومشهورا بالجود ومعروفا بالتقدم فى الشجاعة ومحظوظا فى العشيرة

أَريقى من دموعك واستفيقى * وصبرًا ان أطقتِ ولن تُطيقى

وقولى ان خير بنى سليم * وفارسها بصحراء العقيق

ألا هل ترجعنّ لنا الليالى * وأيامٌ لنا بلوى الشقيق

واذ نحن الفوارسُ كلَّ يوم * اذا حضروا وفتيانُ الحقوق

واذ فينا معاوية بن عمرو * على أدماء كالجمل الفنيق

فبكيه فقد أودى حميدا * أمين الرأي محمود الصديق

فلا والله لا تنسلاك نفسي * لفاحشة أتيت ولا عقوق

ولكني رأيت الصبر خيرا * من النعلين والرأس الحليق

قولها أريقي من دموعك واستفيقي معناه أن الدمعة تذهب اللوعة وروى عن سليمان بن عبد الملك أنه قال عند موت ابنه أيوب لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة انى لأجد في كبدي جمرة لا تطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك الصبر فنظر الى رجاء بن حيوة كالمستريح الى مشورته فقال له رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس فقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال العين تدمع والقلب يوجع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فأرسل سليمان عينه فبكى حتى قضى أربا ثم أقبل عليهما فقال لولم أنزف هذه العبرة لانصدعت كبدي ثم لم يبك بعدها ولكنه غسل عند قبره لما دفنه وحثا على قبره التراب وقال يا غلام مد ابتي ثم وقف ملتفتا الى قبره فقال

وقفت على قبر مقيم بقفرة * متاع قليل من حبيب مفارق

رجعنا الى تفسير قولها وقولها وصبرا ان أطقت ولن تطيقي كقول القائل ان قدرت على هذا فافعل ثم أبانت عن نفسها فقالت ولن تطيقي وقولها فلا والله لا تسلاك نفسي تريد لا تسلو عنك كقوله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون أي كالوا لهم أو وزنوا لهم وقولها لفاحشة أتيت ولا عقوق معناه لا أجد فيك ما تسلو نفسي عنك له ثم اعتذرت من اقصارها بفضل الصبر فقالت

ولكني رأيت الصبر خيرا * من النعلين والرأس الحليق

تأويل النعلين أن المرأة كانت اذا أصيبت بحميم جعلت في يديها نعلين تصفق بهما وجهها

وصدرها قال عبد مناف بن ربع الهذلى

ماذا يغير ابنتى ربع عويلهما * لا ترقدان ولا بؤسى لمن رقدا

كلتاهما أبطنت أحشاؤها قصبا * من بطن حلية لا رطبا ولا نقدا

اذا تأوب نوح قامتا معه * ضربا أليما بسبت يلعج الجلدا

قوله ماذا يغير ابنتى ربع عويلهما يعنى أختيه يقول ماذا يرد عليهما العويل والسهر وقوله كلتاهما أبطنت أحشاؤها قصبا أراد لترديد النائحة صوتا كأنه زمير وانما يعنى بالقصب المزامير كما قال الراعى

زجل الحداء كأن فى حيزومه * قصبا ومقنعة الحنين عجولا

(قال الاخفش الزجل اختلاط الصوت الذى لصوته تطريب والحيزوم الصدر وقصبا يعنى زمارا شبه صوت الحادى بالمزمار ومقنعة أراد وصوت مقنعة يعنى ناقة ثم حذف الصوت وأقام مقنعة مقامه) وقال عنترة

بركت على ماء الرداع كأنما * بركت على قصب أجش مهضم

قال الاصمعى هو زمار وقوله لا رطبا ولا نقدا يقول ليس برطب لا يبين فيه الصوت ولا عؤتكل يقال نقدت السن اذا مسها ائتكال وكذلك القرن قال الشاعر

* يا أم قرنا أرومه نقد * وقوله بسبت يعنى النعل المجردة ويلعج يؤثر واحتاج الى تحريك الجلد فاتبع آخره أوله وكذلك يجوز فى الضرورة فى كل شىء ساكن وأما قول الفرزدق

خلعن حليهن فهن عطل * ويعتن به المقابلة التؤاما

يعنى اشترين النعال فليس هذا من هذا الباب انما يعنى فاشترين نعالا للتقدمة وكذلك

قوله

أخذن حريرات وأبدين مجلدا * ودارت عليهن المقشة الصفر

يعني القداح يقول سبين فاقتسمن بالقداح وانما قالت الخنساء هذا الشعر في معاوية أخيها قبل ان يصاب صخر أخوها فلما أصيب صخر نسيت به من كان قبله وكان معاوية فارسا شجاعا فأغار في جمع من بني سليم على غطفان وكان ضمم خيلهم فنذر به القوم فاختر بوا فلم يزل يطعن فيهم ويضرب فلما رأوا ذلك تهيأ له ابنا حرملة دريد وهاشم فاستطرد له أحدهما فحمل عليه معاوية فطعنه وخرج عليه الآخر وهو لا يشعر فقتله فتنادى القوم قتل معاوية فقال خفاف ابن ندبة قتلني الله ان رمت حتى أثأر به فحمل على مالك بن حار وهو سيد بني شمخ بن فزارة فقتله وقال

فان تك خيلي قد أصيب صميمها * فعمدا على عيني تيممت مالكا

وقفت له علوى وقد خام صحبتي * لأبني مجدا أو لأثأر هالكا

أقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انني أنا ذلكا

فلما دخلت الاشهر الحرم ورد عليهم صخر فقال أيكم قاتل أخي فقال أحد ابني حرملة للآخر خبره فقال استطردت له فطعنني هذه الطعنة وحمل عليه أخي فقتله فأينا قتلت فهو ثأرك أما انا لم نسلب أخاك قال فما فعلت فرسه السمي قال ها هي تلك فخذها فانصرف بها فقيل لصخر الا تهجوهم فقال ما بيني وبينهم أقذع من الهجاء ولو لم أمسك عن سبهم الا صيانة للساني عن الخنا لفعلت ثم خاف ان يظن به عي فقال

وعاذلة هبت بليل تلومني * ألا لا تلوميني كفى اللوم ما بيا

تقول ألا تهجو فوارس هاشم * ومالي اذ أهجوهم ثم ماليا

أبى الشتم أني قد أصابوا كريمتي * وأن ليس اهداء الخنا من شماليا

اذا ما امرؤ أهدى لميت تحية * فحياك رب العرش عني معاويا

وهوّن وجدى أننى لم أقل له * كذبت ولم أبخل عليه بماليا

قال أبو عبيدة فلما أصاب دريدًا زاد فيها

وذى إخوة قطّعت أرحام بينهم * كما تركونى واحدًا لا أخاليا

(قال أبو الحسن الأخفش وزادنى الأحول بعد قوله معاويا

لنعم الفتى أدنى ابن صرمة بزّه * إذا راح فحل الشول أحدب عاريا)

قال أبو العباس فلما انقضت الأشهر الحرم جمع لهم ليغير عليهم فنظرت غطفان إلى خيله عرضها فقال بعضهم لبعض هذا صخر بن الشريد على فرسه السّمى فقيل كلا السّمى غراء وكان قد حمم غرتها فأصاب فيهم وقتل دريد بن حرملة وأما هاشم فإن قيس بن الأسوار الجشمى من جشم بن بكر بن هوازن بن منصور والخنساء من بنى سليم بن منصور لقيهم منصرفين كل واحد منهم من وجهه فرآه وقد انفرد لحاجته فقال لا أطلب بمعاوية بعد اليوم فأرسل عليه سهما ففلق قحقحه فقالت الخنساء

فدى للفارس الجشمى نفسى * وأفديه بمن لى من حميم

فداك الحىّ حىّ بنى سليم * بظاعنهم وبالأنس المقيم

كما من هاشم أقررت عينى * وكانت لا تنام ولا تنيم

فأما صخر فسنذكر مقتله مع انقضاء ما نذكر من مراثى الخنساء إياه قالت الخنساء

ألا يا صخر إن أبكيت عينى * لقد أضحكتنى دهرا طويلا

بكيتك فى نساء معولات * وكنت أحق من أبدى العويلا

دفعت بك الجليل وأنت حىّ * فمن ذا يدفع الخطب الجليلا

إذا قبح البكاء على قتيل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وقالت أيضا

تعرّقني الدهر نهساً وحزّا * وأوجعني الدهر قرعاً وغمزا

وأفنى رجالي فبادوا معاً * فأصبح قلبي بهم مستفزا

كأن لم يكونوا حمى يتّقى * اذ الناس اذ ذاك من عزّ بزّا

وكانوا سراة بني مالك * وزين العشيرة مجداً وعزا

وهم في القديم سراة الأديم والكائنون من الخوف حرزا

وهم منعوا جارهم والنسا * ء يحفز أحشاءها الخوف حفزا

غداة لقوهم بملمومة * رداح تغادر للارض ركزا

وخيل تكدّس بالدارعين تحت العجاجة يجمزن جمزا

ببيض الصفاح وسمر الرماح * فبالبيض ضرباً وبالسمر وخزا

جززنا نواصي فرسانهم * وكانوا يظنون ألا تجزّا

ومن ظن ممن يلاقي الحروب * بأن لا يصاب فقد ظنّ عجزا

نعفّ ونعرف حق القرى * ونتخذ الحمد ذخراً وكنزا

وكان سبب قتل صخر بن عمرو بن الشريد أنه جمع جمعاً وأغار على بني أسد بن خزيمة فنذروا به فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً فارفضّ أصحاب صخر عنه وطعنه أبو ثور طعنة في جنبه استقل بها فلما صار الى أهله تعالج منها فنتأ من الجرح كمثل اليد فأضناه ذلك حولاً فسمع سائلاً يسأل امرأته وهو يقول كيف صخر اليوم فقالت لا ميت فينعى ولا صحيح فيرجى فعلم أنها قد برمت به ورأى تحرّق أمه عليه فقال

أرى أم صخر ما تجفّ دموعها * وملّت سليمى مضجعي ومكاني

وما كنت أخشى أن أكون جنازة * عليك ومن يغترّ بالحدثان

أهمّ [illegible] ر استطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

لعمري لقد أنبهت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان

فأي امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا في شقى وهوان

ثم عزم على قطع ذلك الموضع فلما قطعه يئس من نفسه فبكاها فقال

أيا جارتا ان الخطوب قريب * من الناس كل المخطئين تصيب

أيا جارتا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

كأني وقد أدنوا الى شفارهم * من الأدم مصقول السراة نكيب

قال أبو العباس ومن حلو المراثي وحسن التأبين شعر ابن مناذر فانه كان رجلا عالما مقدما شاعرا مفلقا وخطيبا مصقعا وفي دهر قريب فله في شعره شدة كلام العرب بروايته وأدبه وحلاوة كلام المحدثين بعصره ومشاهدته ولا يزال قد رمى في شعره بالمثل السائر والمعنى اللطيف واللفظ الفخم الجليل والقول المتسق النبيل وقصدته لها امتداد وطول وانما أملي منها ما اخترنا من نحو ما وصفنا قال يرثي عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي وكان به صبا واغتبط عبد المجيد لعشرين سنة من غير ماءة وكان من أجمل الفتيان وأدبهم وأظرفهم فذلك حيث يقول ابن مناذر

حين تمت آدابه وتردى * برداء من الشباب جديد

وسقاه ماء الشبيبة فاهتز اهتزاز الغصن الندي الأملود

وسمت نحوه العيون وما كا * ن عليه لزائد من مزيد

وكأني أدعوه وهو قريب * حين أدعوه من مكان بعيد

فلئن صار لا يجيب لقد كا * ن سميعا هشا اذا هو نودي

يا فتى كان للمقامات زينا * لا أراه في المحفل المشهود

لهف نفسي أما أراك وما عنـ * ـدك لي ان دعوت من مردود

كان عبد الحميد سم الاعادى * ملء عين الصديق رغم الحسود

ماد عبد الحميد رزأ وقد كا * ن رجاء لريب دهر كنود

خنتك الود لم أمت كمدا بعـ * ـدك انى عليك حق جليد

لو فدى الحى ميتا لفدت نفـ * ـسك نفسى بطارفى وتليدى

ولئن كنت لم أمت من جوى الحز * ن عليه لأبلغن مجهودى

لأقيمن مأتما كنجوم الليـ * ـل زهرا يلطمن حر الخدود

موجعات يبكين للكبد الحر * ى عليه وللفؤاد العميد

ولعين مطروفة أبدا قا * ل لها الدهر لا تقرى وجودى

كلما عزك البكاء فأنفد * ت لعبد الحميد مهلا فعودى

لفتى يحسن البكاء عليه * وفتى كان للامتداح القصيد

وأول هذا الشعر

كل حى لاقى الحمام فمودى * ما لحى مؤمل من خلود

لا تهاب المنون شيئا ولا تر * عى على والد ولا مولود

يقدح الدهر فى شماريخ رضوى * ويحط الصخور من هبود

ولقد تترك الحوادث والايام وهيا فى الصخرة الصيخود

وفى هذا الشعر مما استحسنته

أين رب الحصن الحصين بسورا * ء ورب القصر المنيف المشيد

شاد أركانه وبوبه با * بى حديد وحفه بجنود

كان يجبى اليه ما بين صنعا * ء فمصر الى قرى بيرود

وترى خلفه زرافات خيل * بافلات تعدو بشبل الأسود

فرمى شخصه فأقصده الدهر بسهم من المنايا سديد

ثم لم ينجه من الموت حصن * دونه خندق وباب حديد

وملوك من قبله عمروا الار * ض أعينوا بالنصر والتأييد

فلو ان الايام أخلدن حيا * لعلاء أخلدن عبد المجيد

ما درى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود

ويح أيد حثت عليه وأيد * دفنته ما غيبت فى الصعيد

ان عبد المجيد يوم تولى * هد ركنا ما كان بالمهدود

(وأرانا كالزرع يحصده الدهر فمن بين قائم وحصيد

وكأنا للموت ركب مخبو * ن سراعا لمنهل مورود)

هد ركنى عبد المجيد وقد كنت بركن أنوء منه شديد

(فبعبد المجيد تأمور نفسى * عثرت بى بعد انتعاش جدودى

وبعبد المجيد شلت يدى اليمنى وشلت به يمين الجود)

وفى هذا الشعر

فبرغمى كنت المقدم قبلى * وبكرهى دليت فى الملحود

كنت لى عصمة وكنت سماء * بك تحيا أرضى ويخضر عودى

قال أبو العباس وكانت العرب تقدم مراثى وتفضلها وترى قائلها بها فوق كل مؤبن وكانهم يرون ما بعدها من المراثى منها أخذت وفى كنفها تصلح فنها قصيدة أعشى باهلة ويكنى أبا قحافة التى يرثى بها المنتشر بن وهب الباهلى وكان أحد رجلى العرب (قال الاخفش هو منسوب الى الرجل) وهم السعاة السابقون فى سعيهم وكان من خبره أنه أسر صلاءة بن العنبر الحارثى فقال افتد نفسك فأبى فقال لاقطعنك أنملة أنملة وعضوا عضوا ما لم تفتد نفسك فجعل

يفعل ذلك به حتى قتله ثم هج من بعد ذلك المنتشر ذا الخلصة وهو بيت كانت خثعم تحجه زعم أبو عبيدة أنه بالعبلات وأنه مسجد جامعها قد دلت عليه بنو نفيل بن عمرو بن كلاب الحارثيين فقبضوا عليه فقالوا لنفعلن بك كما فعلت بصلاءة ففعلوا ذلك به فلقي راكب أعشى باهلة فقال له أعشى باهلة هل من جائبة خبر قال نعم أسرت بنو الحرث المنتشر وكانت بنو الحرث تسمى المنتشر مجدعا فلما صار في أيديهم قالوا لنقطعنك كما فعلت بصلاءة فقال أعشى باهلة يرثي المنتشر

إني أتتني لسان لا أسر بها * من علو لا عجب منها ولا سخر
فبت مرتفقا للنجم أرقبه * حيران ذا حذر لو ينفع الحذر
فجاشت النفس لما جاء جمعهم * وراكب جاء من تثليث معتمر
يأتي على الناس لا يلوي على أحد * حتى التقينا وكانت دوننا مضر
ينعى امرأ لا تغب الحي جفنته * إذا الكواكب أخطا نوءها المطر
من ليس في خيره شر يكدره * على الصديق ولا في صفوه كدر
طاوي المصير على العزاء منصلت * بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر
لا ننكر البازل الكوماء ضربته * بالمشرفي إذا ما اجلوذ السفر
وتفزع الشول منه حين تبصره * حتى تقطع في أعناقها الجرر
لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه * وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر
تكفيه فلذة كبد إن ألم بها * من الشواء ويكفي شربه الغمر
لا يتأرى لما في القدر يرقبه * ولا تراه أمام القوم يقتفر
لا يغمز الساق من أين ولا وصب * ولا يعض على شرسوفه الصفر
مهفهف أهضم الكشحين منخرق * عنه القميص لسير الليل محتقر

عشنا بذلك دهراً ثم فارقنا * كذلك الرمح ذو النصلين ينكسر
(فان جزعنا فقد هدّت مصيبتنا * وان صبرنا فانا معشر صبر
انى أشد حزيمى ثم يدركنى * منك البلاء ومن آلائك الذكر)
لا يأمن الناس ممساه ومصبحه * من كل أوب وان لم يأت ينتظر
اما يصبك عدوّ فى مناوأة * يوماً فقد كنت تستعلى وتنتصر
ولم تخنه تفيل وهى خائنة * ألم بالقوم ورد منه أو صدر
وراد حرب شهاب يستضاء به * كما يضئ سواد الظلمة القمر
اما سلكت سبيلا كنت سالكها * فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر
من ليس فيه اذا قاولته رهق * وليس فيه اذا ياسرته عسر

قوله انى أتتنى لسان يقال هو اللسان وهى اللسان فمن ذكر جمعه ألسنة ونظيره حمار وأحمرة وفراش وأفرشة وازار وآزرة ومن أنث قال لسان وألسن كما تقول ذراع وأذرع وكراع وأكرع لا تبالى أمضموم الاول كان أو مفتوحا أو مكسورا اذا كان مؤنثا ألا ترى أنك تقول شمال وأشمل قال أبو النجم * يأتى لها من أيمن وأشمل * وقال آخر أنشدنيه المازنى

فظلت تكوس على أكرع * ثلاث وكان لها أربع

وأراد باللسان ههنا الرسالة وقوله من عل يقول من فوق فاذا كان معرفة مفردا بنى على الضم كقبل وبعد واذا جعلته نكرة نونته وصرفته كما قال جرير

انى انصببت من السماء عليكم * حتى اختطفتك يا فرزدق من عل

والقوافى مجرورة وان شئت رددت ما ذهب منه وهى ألف منقلبة من واو لان بناءه فعل من علا يا فتى قال الراجز

وهى تنوش الحوض نوشا من علا * نوشا به تقطع أجواز الفلا

وقوله فبت مرتفقا وهو المتكئ على مرفقه وانما أراد السهر كما قال أبو ذؤيب

انى أرقت فبت الليل مرتفقا * كأن عينى فيها الصاب مذبوح

وقوله جاشت النفس يقول خبثت يكون ذلك من تذكرها التهوع ومن تجزعها منه وروى عن معاوية أنه قال اجعلوا الشعر أكثر همكم وأكثر آدابكم فان فيه مآثر أسلافكم ومواضع ارشادكم فلقد رأيتنى يوم الهرير وقد عزمت على الفرار فما ردنى الا قول ابن الاطنابة الانصارى

أبت لى عفتى وأبى بلائى * وأخذى الحمد بالثمن الربيح

واجشامى على المكروه نفسى * وضربى هامة البطل المشيح

وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى

يقال جشأت مهموز وجاشت غير مهموز وتثليث موضع بعينه وقوله لا يلوى على أحد يقال استقام فلان فما ألوى على أحد ويقال ألوى بالشئ اذا ذهب به وقوله اذا الكواكب أخطأن نوءها المطر فالنوء عندهم طلوع نجم وسقوط آخر وليس كل الكواكب لها نوء وانما كانوا يقولون هذا فى أشياء بعينها ويروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال اذا ذكرت النجوم فأمسكوا يعنى أمر الانواء لم يختلف فى ذلك المفسرون وعنه عليه السلام فى غب سماء أتدرون ما قال ربكم تبارك وتعالى قال أصبح عبادى مؤمنا بى وكافرا بالكواكب وكافرا بى ومؤمنا بالكواكب فأما المؤمن بى الكافر بالكواكب فهو الذى يقول مطرنا بنوء الرحمة والمؤمن بالكواكب الكافر بى الذى يقول مطرنا بنوء كذا والنوء مهموز وهو من قولك ناء بحمله أى استقل به فى تثاقل فالنوء مهموز وهو فى الحقيقة الطالع من الكواكب لا الغائر وكان الاصمعى لا يفسر من الشعر ما فيه ذكر الانواء بل كان لا يسمع ما كان فيه هجاء أو كان فيه ذكر النجوم ولا يفسر ما وافق تفسيره بعض ما فى القرآن الا ساهيا فيما يذكر

أصحابه عنده ويروى أنه سئل عن غير شيء من ذلك فأباه وزجر السائل وقوله طاوي المصير يقال لواحد المُصْران مَصيرٌ ونقديره قضيبٌ وقضبانٌ وكثيبٌ وكُثْبانٌ والعزّاء الامر الشديد يقال فلان صابر على العزّاء وكذلك اللأْواء وكذلك الجُلّى مقصور فأما العزّاء واللأْواء فممدودان وقوله منصلت يقال سيف مُنْصَلِتٌ وصَلْتٌ اذا جُرِّدَ من غمده وقوله ليلة لا ماء ولا شجر يريد القفر ووقت الصعوبة وقوله لا تنكر البازل الكوماء ضربته بالمشرفي يقول قد عوّد الابل ان ينحرها ومن شانهم ان يعرقبوها قبل النحر والمشرفي السيف وهو منسوب الى المشارف وقوله اجلوّذ امتد وأنشدني الزيادي لرجل من أهل الحجاز أحسبه ابن أبي ربيعة

ألا حبّذا حبذا حبذا * حبيبٌ تحملتُ منه الاذى

ويا حبذا بَرْدُ أنيابه * اذا أظلمَ الليلُ واجلوّذا

وقوله حتى تَقَطَّعَ في أعناقها الجُزُرُ يقول حتى اعتادت أن ينحرها فهي تَفْزَعُ منه حتى تقطّع جِرّتها ومثل هذا قول الخنوت

سأبكي خليلي عنترا بعد جفنة * وسيفي مرداسا قتيل قنان

قتيلان لا تبكي اللقاحُ عليهما * اذا شبعت من قرمل وأفان

يقول كانا ينحران الابل فهي لا تجزع لفقدهما وقرمل وأفان ضربان من النبت وشبيهٌ بهذا قوله حيث يقول

فلو كان سيفي باليمين ضربته * ضبابُ الملا من جمعهم بقتيل

يقول هؤلاء قوم كانوا يحترشون الضباب فكلما قُتِلَ منهم واحد سُرّت بذلك الضباب واستبشرت وقوله لا يتأرّى لما في القدر يرقبه يقول لا يحبس له ومن ذا سمي الآريُّ لانه يحبس الدابة وقوله ولا تراه أمام القوم يقفوهم يقول لا يسبقهم الى شيء من الزاد وقوله ولا

يعض على شرسوفه الصفر الشراسيف أطراف الضلوع والصفر ههنا حية البطن وله ولسع وقوله مهفهف يعني ضامرا وأهضم الكشحين توكيد له وقوله اما يصيبك عدو في مناوأة يقول في وتر يقال ناوأت فلانا بكذا كما قال مهلهل بؤ بشسع كليب أي هو ثأر بالشسع والطَّخية والطُّخية والطُّخمة ثلاث لغات شدة الظلمة وكان الذي أصاب به هند بن أسماء الحارثي ففي ذلك يقول

أصبت في حرم منا أخا ثقة * هند بن أسماء لا يهنئ لك الظفر

يقال هنأه ذلك وهنأ له كما تقول هنيأ لك قال الأخطل

الى امام تغادينا فواضله * أظفره الله فليهنئ له الظفر

وقوله وليس فيه اذا عاسرته عسر مدح شريف مثل قولهم اذا عز أخوك فهن وانما هذا فيمن لا يخاف استذلاله بأن يخرج صاحبه عند مساهلته الى باب الذل فأما من كان كذلك فعاسرته أحمد ومدافعته أمدح كما قال جرير

بشر أبو مروان ان عاسرته * عسر وعند يساره ميسور

قال أبو العباس ومن أشعار العرب المشهورة المتخيرة في المراثي قصيدة متمم بن نويرة في أخيه مالك وسنذكر منها أبياتا نختارها من ذلك قوله

أقول وقد طار السنا في ربابه * وغيث يسح الماء حتى تريعا
سقى الله أرضا حلها قبر مالك * ذهاب الغوادي المدجنات فأمرعا
وآثر سيل الواديين بديمة * ترشح وسميا من النبت خروعا
تحيته مني وان كان نائيا * وأضحى ترابا فوقه الارض بلقعا
فما وجد أظآر ثلاث روائم * رأين مجرا من حوار ومصرعا
يذكرن ذا البث الحزين ببثه * اذا حنت الاولى سجعن لها معا

بأوجع مني يوم فارقت مالكا * ونادى به الناعي الرفيع فأسمعا

وفيها

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا * أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا

فان تكن الايام فرقن بيننا * فقد بان محمودا أخي يوم ودعا

تقول ابنة العمري مالك بعدما * أراك حديثا ناعم البال أفرعا

فقلت لها طول الاسى اذ سألتني * ولوعة حزن تترك الوجه أسفعا

وفقد بني أم تداعوا فلم أكن * خلافهم أن أستكين وأضرعا

ولست اذا ما الدهر أحدث نكبة * ورزأ بزوار القرائب أخضعا

ولا فرح ان كنت يوما بغبطة * ولا جزع ان ناب دهر فأوجعا

ولكنني أمضي على ذاك مقدما * اذا بعض من لاقى الخطوب تكعكعا

فعمرك الا تسمعيني ملامة * ولا تنكئي قرح الفؤاد فييجعا

وعمرك اني قد شهدت فلم أجد * بكفي عنه للمنية مدفعا

فلو أن ما ألقى أصاب متالعا * أو الركن من سلمى اذا لتضعضعا

وفي هذه القصيدة

لقد كفن المنهال تحت ردائه * فتى غير مبطان العشيات أروعا

ولا برم تهدي النساء لعرسه * اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

لبيبا أعان اللب منه سماحة * خصيبا اذا ما راكب الجدب أوضعا

تراه كنصل السيف يهتز للندى * اذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

اذا ابتدر القومُ القداحَ وأوقدتْ * لهم نارُ أيسار كَفَى مَنْ تضجّعا

عَنَى الأيادى ثم لم تُلف مالكا * على الفرث يحمى اللحمَ أن يتمزّعا

قوله وقد طار السنا فى ربابه السنا الضوء وهو مقصور قال الله جل وعز يكاد سنا برقه يَذْهَبُ بالابصار والسناء من الحسب ممدود والرباب سحاب دون السحاب كالمتعلق بما فوقه قال المازنى

كأن الرباب دُوَيْنَ السحاب * نعامٌ تعلّق بالأرجل

وقوله يسح معناه يصب فاذا قلت يَسحو أو يسحى فمعناه يقشر ومن ذا سميت سحاءة القرطاس وسحايته ومنه قيل للحديدة التى يُقشر بها وجهُ الارض مسحاةٌ قال عنترة

سحًّا وسا حية فكل قرارة * يجرى عليها الماء لم يتصرّم

وقوله تريع أى كثر حتى جاء وذهب يقال راع يريعُ اذا رجع ومنه سمى ريعُ الطعام لانه يرجع بفضل قال مزرّد

خلطتُ بصاعَىْ عجوةٍ صاعَ حنطةٍ * الى صاعِ سمنٍ فوقه يتريّع

والذهابُ الامطار اللينة والمُدجنات من السحاب السود وهو مأخوذ من الدَّجْن والدُّجُنّة ومعناه إلباسُ الغيم وظلمته قال طرفةُ

وتقصيرُ يوم الدجن والدجنُ معجبٌ * ببهكنةٍ تحت الطراف المُمدّد

ويقال أمرع الوادى اذا أخصب من ذلك قول مولاة ابن الاجيسد عن أوفى بن دلهم قال أبو العباس حدثنى به ابن المهدىّ أحمد بن محمد النحوى يُحدّث به عن الاصمعى عن أبيه عن مولاة ابن الاجيسد عن أوفى قال فى النساء أربع فمنهن الصَّدَعُ تُفرّقُ ولا تجمعُ ومنهن من لها شيئها أجمع ومنهن غيثٌ وقع فى بلد فأمرع ومنهن التبع ترى ولا تسمع قال فذكرت ذلك لرجل فقال ومنهن القرثع قلت وماهى قال التى تكحل عينًا وتدعُ الاخرى وتلبس ثوبها مقلوبا

(قال الاخفش حدثني بذلك أبو العيناء عن الاصمعي وذكر نحو ذلك) وقوله وآثر سبل الواديين بديمة زعم الاصمعي وغيره من أهل العلم أن الديمة المطر الدائم أياما برفق وقوله ترشح وسميا أي تهيئه لذلك يقال فلان يرشح للخلافة والوسمي أول مطر يسم الارض والولي كل مطرة بعد مطرة فالثانية ولي للاخرى لانها تليها والخروع كل عود ضعيف وقوله فما وجد أظآر ثلاث روائم أظآر جمع ظئر وهي النوق تعطف على الحوار فتألفه وروائم واحدتها رؤم ومعنى ترأمه تشمه والحوار ولد الناقة ويقال له حيث يسقط من أمه سليل قبل أن تقع عليه الاسماء فان كان ذكرا فهو سقب وان كانت أنثى فهي حائل وهو في ذلك كله حوار سنة وقوله ندماني جذيمة يعني جذيمة الابرش الازدي وكان ملكا وهو الذي قتلته الزباء وهو أول من أوقد بالشمع ونصب المجانيق للحرب وله قصص تطول وقد شرحنا ذلك في كتاب الاخبار ونديماه يقال لهما مالك وعقيل ففي ذلك يقول أبو خراش الهذلي

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا * خليلا صفاء مالك وعقيل

والمثل يضرب بهما للطول ما نادماه كما يضرب باجتماع الفرقدين قال عمرو بن معدي كرب

وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

قال هذا من قبل أن يسلم وقال اسمعيل بن القاسم

ولم أر ما يدوم له اجتماع * سيفترق اجتماع الفرقدين

وقوله أرانا حديثا ناعم البال أفرعا الافرع التام شعر الرأس وقيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه الفرعان خير أم الصلعان فقال بل الفرعان وكان أبو بكر أفرع وكان عمر أصلع فوقع في نفسه أنه يسئل عنه وعن أبي بكر والاسفع الاسود يقال سفعته النار أي غيرت وجهه الى السواد وقوله فعمرك يقسم عليها ويقال عمرك الله أي أذكرك الله قال

عمرتك الله الا ما ذكرت لنا * هل كنت جارتنا أيام ذي سلم

وقوله غير مبطان العشيات يقول كان لا يأكل في آخر نهاره انتظار الضيف ويروى ان أن عمر بن الخطاب سأله فقال أكذبت في شيء مما قلته في أخيك فقال نعم في قولي غير مبطان وكان ذا بطن ويقال في غير هذا الحديث ان من سيما الرئيس السيد أن يكون عظيم البطن ضخم الرأس فيه طرش وقال رجل لفتى والله ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيدا ولا بأرسح فتكون فارسا وقال رجل لرجل والله ما فتقت فتق السادة ولا مطلت مطل الفرسان والاروع ذو الروعة والهيئة والبرم الذي لا يدخل مع الناس ولا يأخذ في الميسر ولا ينزع الا نكدا قال النابغة

هلا سألت بني ذبيان ما حسبي * اذا الدخان تغشى الأشمط البرما

وقوله اذا القشع وهو الجلد اليابس ويقال لكنا سة الحمام القشع قال أبو هريرة وكذبت حتى رميت بالقشع ۞ وحدثني العباس بن الفرج الرياشي عن محمد بن عبد الله الانصاري القاضي في اسناد ذكره قال صلى متمم مع أبي بكر الصديق الفجر في عقب قتل أخيه وكان أخوه خرج مع خالد مرجعه من اليمامة يظهر الاسلام فظن به خالد غير ذلك فأمر ضرار ابن الأزور الأسدي فقتله وكان مالك من أرداف الملوك ومن متقدمي فرسان بني يربوع قال فلما صلى أبو بكر قام متمم بحذائه واتكأ على سية قوسه ثم قال

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت * خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور

ولنعم حشو الدرع كنت وحاسرا * ولنعم مأوى الطارق المتنور

أدعوته بالله ثم غدرته * لو هو دعاك بذمة لم يغدر

وأومأ الى أبي بكر فقال والله ما دعوته ولا غدرته ثم أتم شعره فقال

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه * حلو شمائله عفيف المئزر

ثم بكى وانحط على سية قوسه وكان أعور دميما فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء فقام

اليه عمر بن الخطاب فقال لوددت أني رثيت أخي زيدا بمثل مارثيت به مالكا أخاك فقال له يا أبا حفص والله لو علمت أن أخي صار بحيث صار أخوك مارثيته فقال عمر ماعزاني أحد بمثل تعزيته وكان زيد بن الخطاب قتل شهيدا يوم اليمامة وكان عمر يقول اني لاهش للصبا لانها تأتينا من ناحية زيد ويروى عن عمر أنه قال لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخي كما رثيت أخاك ويروى أن متمما رثى زيدا فلم يجد فقال له عمر لم ترث زيدا كما رثيت أخاك مالكا فقال لانه والله يحركني لمالك مالا يحركني لزيد ومن طريف شعره

لعمري ومادهري بتأبين هالك * ولاجزع والموت يذهب بالفتى

لئن مالك خلى علي مكانه * لي أسوة ان كنت باغية الأسا

كهول ومرد من بني عم مالك * وأيفاع صدق قد تمليتهم رضا

سقوا بالعقار الصرف حتى تتابعوا * كدأب ثمود اذرغا سقبهم ضحى

اذا القوم قالوا من فتى لملمة * فما كلهم يدعى ولكنه الفتى

ومثل هذا الشعر قول النهشلي

لو كان في الالف منا واحد فدعوا * من فارس خالهم اياه يعنونا

وأول هذا المعنى لطرفة

اذا القوم قالوا من فتى خلت أنني * عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

وقال متمم أيضا في كلمة له يرثي بها مالكا

جميل المحيا ضاحك عند ضيفه * أغر جميع الرأي مشترك الرحل

وقور اذا القوم الكرام تقاولوا * فحلت حباهم واستطيروا من الجهل

وكنت الى نفسي أشد حلاوة * من الماء بالماذي من عسل النحل

وكل فتى في الناس بعد ابن أمه * كساقطة إحدى يديه من الخبل
وبعض الرجال نخلة لا جنى لها * ولا ظل إلا أن تعد من النخل

وقال له عمر بن الخطاب انك لجزل فأين كان أخوك منك فقال كان والله أخي في الليلة المظلمة ذات الأزيز والصراد يركب الجمل الثفال ويجنب الفرس الجرور وفي يده الرمح الثقيل وعليه الشملة الفلوت وهو بين المزادتين حتى يصبح فيصبح أهله متبسما الجمل الثفال البطيء الذي لا يكاد ينبعث والفرس الجرور الذي لا يكاد ينقاد مع من يجنبه انما يجر الحبل والشملة الفلوت التي لا تكاد تثبت على لابسها وذكرنا أن مالكا كان من أرداف الملوك وفي تصداق ذلك بقول جرير يفخر ببني يربوع

منهم عتيبة والمحل وقعنب * والحنتفان ومنهم الردفان

فأحد الردفين مالك بن نويرة اليربوعي والردف الآخر من بني رياح بن يربوع والردافة موضعان أحدهما ان يردفه الملك على دابته في صيد أو تريف أو ما أشبه ذلك من مواضع الانس والوجه الآخر أنبل وهو أن يخلف الملك اذا قام من مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده

٥٤- باب

قال أبو العباس لما احتضر ابراهيم النخعي رحمه الله جزع جزعا شديدا فقيل له في ذلك فقال وأي خطر أعظم من هذا انما أتوقع رسولا يرد على من ربي اما بالجنة واما بالنار ولما احتضر ابن سيرين جعل يقول نفسي والله أعز الأنفس على ولما احتضر حجر بن عدي ليقتل سأل أن يمهل حتى يصلي ركعتين وظهر منه جزع شديد فقال له قائل أتجزع فقال وكيف لا أجزع سيف مشهور وكفن منشور وقبر محفور ولست أدري أيؤدي بي الى جنة أم الى نار

(قال أبو الحسن ما يقوم بقتل حجر بن عدي شيء وانى لأعجب من قوله هذا ولست أدرى أيدنيني الى جنة أو الى نار وهو شهيد الشهداء رحمه الله) وقد ذكرنا موت عمرو بن العاصي وكلامه عند الموت ❁ وممن ظهرت منه عند الموت قسوة حلحلة الفزاري وسعيد بن أبان ابن عيينة بن حصن الفزاري فان عبد الملك لما أحضرهما ليقيد منهما قال لحلحلة صبراً حلحل فقال اى والله

أصبر من ذى ضاغط عركرك * ألقى بوانى زوره للمبرك

ثم قال لابن الاسود الكلبي أجد الضربة فانى والله ضربت أباك ضربة أسلحته فعددت النجوم فى سلحته ثم قال عبد الملك لسعيد بن أبان صبراً سعيد فقال اى والله

أصبر من عود بجنبيه الجلب * قد أثر البطان فيه والحقب

ومنهم وكيع بن أبى سود أحد بنى غدانة بن يربوع فانه لما يئس منه خرج الطبيب من عنده فقال له محمد ابنه ما تقول قال لا يصلى الظهر وكان محمد ناسكا فدخل الى أبيه فقال له أبوه وكيع ما قال لك المعلوج قال وعد أنك تبرأ قال أسألك بحقى عليك قال ذكر أنك لا تصلى الظهر قال ويلى على ابن الخبيثة والله لو كانت فى شدقى للكتها الى العصر وروى أن ابراهيم النخعى قال فى الحديث الذى ذكرناه والله لوددت أنها تلجلج فى حلقى الى يوم القيامة وفى وكيع بن أبى سود يقول الفرزدق

لقد رزئت بأساً وحزماً وسوددا * تميم بن مر يوم مات وكيع
وما كان وقافاً وكيع اذا دنت * سحائب موت وبلهن نجيع
اذا التفت الابطال أبصرت لونه * مضيئاً وأعناق الكماة خضوع
فصبراً تميم انما الموت منهل * يصير اليه صابر وجزوع

وقال أيضا

لتبلك وكيعا خيل ليلى مغيرة * تساقي المنايا بالردينية السمر
لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة * دعوها وكيعا والجياد بهم تجري

ومن الجفاة عند الموت هدبة بن خشرم العذري وكان قتل زيادة بن زيد العذري فلما حمل الى معاوية تقدم معه عبد الرحمن أخو زيادة بن زيد فادعى عليه فقال له معاوية ما تقول قال أتحب أن يكون الجواب شعرا أم نثرا قال بل شعرا فانه أمتع فقال هدبة

فلما رأيت أنما هي ضربة * من السيف أو اغضاء عين على وتر
عمدت لأمر لا يعير والدي * خزايته ولا يسب به قبري
رمينا فرامينا فصادف سهمنا * منية نفس في كتاب وفي قدر
وأنت أمير المؤمنين فما لنا * وراءك من معدى ولا عنك من قصر
فان تك في أموالنا لا نضق بها * ذراعا وان صبر فنصبر للصبر

فقال له معاوية أراك قد أقررت يا هدبة قال هو ذاك فقال له عبد الرحمن أقدني فكره ذاك معاوية وضن بهدبة عن القتل وكان ابن زيادة صغيرا فقال له معاوية أو ما عليك ان تشفي صدرك وتحرم غيرك ثم وجه به الى المدينة فقال يحبس الى أن يبلغ ابن زيادة فبلغ وكان والي المدينة سعيد بن العاصي فما وقف عليه من قسوته قوله

ولما دخلت السجن يا أم مالك * ذكرتك والاطراف في حلق سمر
وعند سعيد غير أن لم أبح به * ذكرتك ان الامر يذكر بالامر

فسئل عن هذا القول فقال لما رأيت ثغر سعيد وكان سعيد حسن الثغر جدا ذكرت به ثغرها ويقال انه عرض على ابن زيادة عشر ديات فأبى الا القود وكان ممن عرض الديات عليه ممن ذكرنا الحسين بن علي وعبد الله بن جعفر عليهما السلام وسعيد بن العاصي ومروان بن

الحكم وسائر القوم من قريش والانصار فلما خرج به ليقاد بالحرة جعل ينشد الاشعار فقالت له حبي المدينية ما رأيت أقسى قلبا منك أتنشد الاشعار وأنت يمضى بك لتقتل وهذه خلفك كأنها ظبي عطشان تولول تعنى امرأته فوقف ووقف الناس معه فأقبل على حبي فقال

ماوجدت وجدى بها أم واحد * ولا وجد حبي بابن أم كلاب

رأته طويل الساعدين شمردلا * كما انعتت من قوة وشباب

فأغلقت حبي الباب في وجهه وسبته وعرض له عبد الرحمن بن حسان فقال أنشدني فقال له أعلى هذه الحال قال نعم فأنشده

ولست بمفراح اذا الدهر سرني * ولا جازع من صرفه المتقلب

ولا أبتغي الشر والشر تاركي * ولكن متى أحمل على الشر أركب

وحربني مولاى حتى غشيته * متى ما يحربك ابن عمك تحرب

فلما قدم نظر الى امرأته قد خلته غيرة وقد كان جدع في حربهم فقال

فان يك أنفي بان منه جماله * فما حسبي في الصالحين بأجدعا

فلا تنكحي ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

فقالت قفوا عنه ساعة ثم مضت ورجعت وقد اصطلمت أنفها فقالت أهذا فعل من له في الرجال حاجة فقال الآن طاب الموت ثم أقبل على أبويه فقال

أبليان اليوم صبرا منكما * ان حزنا منكما اليوم لشر

ما أظن الموت الاهينا * ان بعد الموت دار المستقر

وقال

أذا العرش انى عائذ بك مؤمن * مقر بزلاتى اليك فقير
وانى وان قالوا أمير مسلط * وتجاب أبواب لهن صرير
لأعلم أن الامر أمرك ان تدن * فرب وان تغفر فأنت غفور

ثم قال لابن زيادة أثبت قدميك وأجد الضربة فانى أيتمتك صغيرا وأرملت أمك شابة ويزعم بعض أصحاب الاخبار انه قال ما أجزع من الموت وآية ذلك انى أضرب برجلى اليسرى بعد القتل ثلاثا وهو باطل موضوع ولكن سأل فك قيوده ففكت فذلك حيث يقول

فان تقتلونى فى الحديد فاننى * قتلت أخاكم مطلقا لم يقيد

قال أبو العباس ووقف جبار بن سلمى على قبر عامر بن الطفيل ولم يكن حضره فقال أنعم صباحا أبا على فوالله لقد كنت سريعا الى المولى بوعدك بطيأ عنه بايعادك ولقد كنت أهدى من النجم وأجرى من السيل ثم التفت اليهم فقال كان ينبغى ان تجعلوا قبر أبى على ميلا فى ميل وذكر الحرمازى ان الاحنف بن قيس لما مات وكان موته بالكوفة مشى المصعب بن الزبير فى جنازته بغير رداء وقال اليوم مات سيد العرب فلما دفن قامت امرأة على قبره أحسبها من بنى منقر فقالت لله درك من مجن فى جنن ومدرج فى كفن فنسأل الذى فجعنا بموتك وابتلانا بفقدك ان يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير دليلك وأن يوسع لك فى قبرك ويغفر لك يوم حشرك فوالله لقد كنت فى المحافل شريفا وعلى الارامل عطوفا ولقد كنت فى الحى مسودا والى الخليفة موفدا ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيك متبعين قال فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها ووقف رجل على قبر النجاشى فترحم وقال لولا أن القول لا يحيط بما فيك والوصف يقصر دونك لاطنبت بل لاسهبت ثم عقر ناقته على قبره وقال

عقرت على قبر النجاشى ناقتى * بأبيض عضب أخلصته صياقله

على قبر من لو أنني مت قبله * لهانت عليه عند قبري رواحله

وروى ابن دأب أن حسان بن ثابت الانصاري اجتاز بقبر ربيعة بن مكدم فأنشد

لا يبعدن ربيعة بن مكدم * وسقى الغوادي قبره بذنوب

نفرت قلوصي من حجارة حرة * نصبت على طلق اليدين وهوب

لا تنفري يا ناق منه فانه * شريب خمر مسعر لحروب

لولا السفار وطول قفر مهمه * لتركتها تحبو على العرقوب

نعم الفتى أدى نبيشة رحله * يوم الكديد نبيشة بن حبيب

وربيعة بن مكدم رجل من بني كنانة وكان قتله أهبان بن غادية الخزاعي وقيس تقول قتله نبيشة بن حبيب السلمي وكان أهبان أخا نبيشة لامه وكان أتاه زائرا وأغار ربيعة بن مكدم على بني سليم فخرج أهبان مع أخيه فحمل عليه فقتله وحمل أخو ربيعة على أهبان ففاته فلاته في بني سليم قال حسان * نفرت قلوصي من حجارة حرة * لان الحرة هنالك لبني سليم وفي تصداق ما تدعيه خزاعة يقول أهبان

ولقد طعنت ربيعة بن مكدم * يوم الكديد فخر غير موسد

في عارض شرق بنات فؤاده * منه بأحمر كالنقيع المجسد

ولقد وهبت سلاحه وجواده * لاخي نبيشة قبل لوم الحسد

وقال أخو ربيعة يجيبه

فات ابن غادية المنية بعدما * رفعت أسافل ذيله بالمطرد

قل لابن غادية المتاح لقتلنا * ما كان يقتلنا الوحيد المفرد

يريد أن أهبان مفرد من قومه في أخواله وقال أيضا

فان تذهب سليم بوتر قومي * فأسلم من منازلنا قريب

وقالت ليلى الاخيلية

آليت أبكي بعد توبة هالكا * وأحفل من دارت عليه الدوائر

لعمرك ما بالموت عار على الفتى * اذا لم تصبه في الحياة المعاير

فلا يبعدنك الله يا توب انما * لقاء المنايا دارعا مثل حاسر

وروى

فلا يبعدنك الله يا توب هالكا * أخا الحرب ان دارت عليه الدوائر

فكل جديد أو شباب الى بلى * وكل امرئ يوما الى الله صائر

وذكر المدائني أن رجلا عزى رجلا أفرط عليه الجزع على ابنه فقال يا هذا سررت به وهو حزن وفتنة وجزعت عليه وهو صلاة ورحمة فسري عنه وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعزوا عن مصائبكم بي وقال رجل لابن عمر أعظم الله أجرك فقال نسأل الله العافية معناه أنه لما قال له أعظم الله أجرك انما دعا بان يكثر ما يؤجر عليه ودل على انه من باب المصائب تعزيته اياه

﴿ وهذا باب طريف من أشعار المحدثين ﴾

قال مطيع بن اياس الليثي يرثي يحيى بن زياد الحارثي وكان صديقه وكانا متهمين جميعا بالخروج عن الملة

يا أهل بكوا لقلبي القرح * وللدموع الهوامل السفح

راحوا بيحيى الى مغيبة * في القبر بين التراب والصفح

راحوا بيحيى ولو تطاوعني الـ * ـأقدار لم يبتكر ولم يرح

يا خير من يحسن البكاء له * اليوم ومن كان أمس للمدح

وفي يحيى يقول مطيع لنبوة كانت بينهما

كنت ويحيى كيدي واحد * نرمي جميعا ونرامي معا

ان سره الدهر فقد سرني * أو حادث ناب فقد أقطعا

أو نام نامت أعين أربع * منا وان هب فلن أهجعا

حتى اذا ما الشيب في عارضي * لاح وفي مفرقه أسرعا

سعى وشاة طبن بيننا * فكاد حبل الوصل أن يقطعا

فلم ألم يحيى على حادث * ولم أقل خان ولا ضيعا

وقال أبو عبد الرحمن العتبي يرثي علي بن سهل بن الصباح وكان له صديقا

يا خير اخوانه وأعطفهم * عليهم راضيا وغضبانا

أمسيت حزنا وصار قربك لي * بعدا وصار اللقاء هجرانا

انا الى الله راجعون لقد * أصبح حزني عليك ألوانا

حزن اشتياق وحزن مرزئة * اذا انقضى عاد كالذي كانا

قوله يا خير اخوانه محال وباطل وذلك أنه لا يضاف أفعل الى شيء الا وهو جزء منه وقال أيضا

دعوتك يا أخي فلم تجبني * فردت دعوتي حزنا عليا

بموتك ماتت اللذات مني * وكانت حية اذ كنت حيا

فيا أسفي عليك وطول شوقي * اليك لو ان ذلك يرد شيا

وحدثني رجل من أصحابنا قال شهدت رجلا في طريق مكة معتكفا على قبر وهو يردد شيأ

ودموعه تكف من لحيته فدنوت اليه لاسمع ما يقول فجعلت العبرة تحول بينه وبين الابانة

فقلت له يا هذا فرفع رأسه الىّ وكأنما هبّ من رقدة فقال ما تشاء فقلت أعلى ابنك تبكي قال لا قلت فعلى أبيك قال لا ولا على نسيب ولا صديق ولكن على من هو أخصّ منهما قلت أو يكون أحد أخص ممن ذكرت قال نعم من أخبرك عنه ان هذا المدفون كان عدوّا لي من كل باب يسعى عليّ في نفسي وفي مالي وفي ولدي فخرج الى الصيد آيأس ما كنت من عطبه وأكمل ما كان من صحته فرمى ظبيا فأقصده فذهب ليأخذه فاذا هو قد أنفذه حتى نجم سهمه من صفحة الظبي فمرّ فتلقى بفؤاده ظبة السهم فلحقه أولياؤه فانتزعوا السهم وهو والظبي ميتان فنمى الىّ خبره فأسرعت الى قبره مغتبطا بفقده فاني لضاحك السنّ اذ وقعت عيني على صخرة فرأيت عليها كتابا فهلمّ فاقرأه وأومأ الى الصخرة فاذا عليها

وما نحن الا مثلهم غير أننا * أقمنا قليلا بعدهم وتقدّموا

قلت أشهد انك تبكي على من بكاؤك عليه أحق من النسيب وممّا استطرفنا من شعر المحدثين قول يعقوب بن الربيع في جارية طالبها سبع سنين يبذل فيها جاهه وماله واخوانه حتى ملكها فأقامت عنده ستة أشهر ثم ماتت فقال فيها أشعارا كثيرة اخترنا منها بعضها من ذلك قوله

لله أنسٌ فجعت بها * ما كان أبعدها من الدنس
أتت البشارة والنعيّ معا * يا قرب مأتمها من العرس
يا ملك ان الدهر فرّقنا * فرمى فؤادا غير محترس
كم من دموع لا تجفّ ومن * نفس عليك طويلة النفس
أبكيك ما ناحت مطوّقة * تحت الظلام تنوح في الغلس
يا ملك في قلبي لمعتبر * ومواعظ يوحشن ذا الانس
ما بعد فرقة بيننا أبدا * في لذة دول لملتمس

وأخذ ما في صدر هذا الكلام من قول القائل

رب مفروس يعاش به * فقدته كف مفترسه
وكذاك الدهر مأتمه * أقرب الاشياء من عرسه

وقريب من هذا قول امرأة شريفة ترثي زوجها ولم يكن دخل بها

أبكيك لا للنعيم والأنس * بل للمعالي والرمح والفرس
أبكي على فارس فجعت به * أرملني قبل ليلة العرس
يا فارسا بالعراء مطرحا * خانته قواده مع الحرس
من لليتامى اذا هم سغبوا * وكل عان وكل محتبس
أم من لبر أم من لفائدة * أم من لذكر الاله في الغلس

ومما استطرفه من شعر يعقوب قوله

ليت شعري بأي ذنب الملك * كان هجري لقبرها واجتنابي
ألذنب حقدته كان منها * أم لعلي بشغلها عن عتابي
أم لأمني لسخطها ورضاها * حين واريت وجهها في التراب
ما رقي في العباد حي لميت * بعد يأس منه له في الاياب

وفي هذا الشعر

انما حسرتي اذا ما تذكرت * تعنائي بها وطول طلابي
لم أزل في الطلاب سبع سنين * أتأتى لذاك من كل باب
فاجتمعنا على اتفاق وقدر * وتفانينا عن فرقة باصطحاب
أشهرا ستة صحبت لديها * كن كالحلم أو كلمع السراب

وآتانى النعى منك مع البشرى فيا قرب أوبة من ذهاب

ومن مليح شعره قوله يرثيها

حتى اذا افتر اللسان وأصبحت * للموت قد ذبلت ذبول النرجس

وتسهلت منها محاسن وجهها * وعلا الانين تحثه بتنفس

رجع اليقين مطامعى يأسا كما * رجع اليقين مطامع المتلمس

ومن مليح شعره أيضا قوله

فجعت بك وقد أينعت * وتمت فأعظم بها من مصيبه

فأصبحت مغتربا بعدها * وأمست بحلوان مثلك غريبه

أرانى غريبا وان أصبحت * منازل أهلى منى قريبه

خلفت على أختها بعدها * فصادفتها ذات عقل أديبه

فأقبلت أبكى وتبكى معى * بكاء كئيب بحزن كئيبه

وقلت لها مرحبا مرحبا * بوجه الحبيبة أخت الحبيبه

سأصفيك ودى حفاظا لها * فذاك الوفاء بظهر المغيبه

أراك كمثلك وان لم تكن * لمثلك من الناس عندى ضريبه

ومما اخترنا من مرثية يزيد المهلبى للمتوكل على الله قوله

لاحزن الا أراه دون ما أجد * وهل كمن فقدت عيناى مفتقد

لا يبعدن هالك كانت منيته * كما هوى عن غطاء الزبية الاسد

لا يدفع الناس ضيما بعد ليلتهم * اذ لا تمد الى الجانى عليك يد

لو أن سيفى وعقلى حاضران له * أبليته الجهد اذ لم يبله أحد

جاءت منيته والعين هاجعة * هلا أتته المنايا والقنا قصد
هلا أتته أعاديه مجاهرة * والحرب تسعر والابطال تجتلد
فخر فوق سرير الملك منجدلا * لم يحمه ملكه لما انقضى الامد
قد كان أنصاره يحمون حوزته * وللردى دون أرصاد الفتى رصد
وأصبح الناس فوضى يعجبون له * ليثا صريعا تنزى حوله النقد
علتك أسياف من لا دونه أحد * وليس فوقك الا الواحد الصمد
جاؤا بأعظم ما الدنيا تسعدون بها * فقد شقوا بالذى جاؤا وما سعدوا
ضجت نساؤك بعد العز حين رأت * خدا كريما عليه قارت جسد
أضحى شهيد بنى العباس موعظة * لكل ذى عزة فى رأسه صيد
خليفة لم ينل ما ناله أحد * ولم يضع مثله روح ولا جسد
كم فى أديمك من فوهاء هادرة * من الجوائف يغلى فوقها الزبد
اذا بكيت فان الدمع منهمل * وان رثيت فان القول مطرد
قد كنت أسرف فى مالى وتخلف لى * فعلمتنى الليالى كيف أقتصد
لما اعتقدتم أناسا لا حلوم لهم * ضعتم وضيعتم من كان يعتقد
ولو جعلتم على الاحرار نعمتكم * حمتكم السادة المذكورة الحشد
قوم هم الجذم والانساب تجمعهم * والمجد والدين والارحام والبلد
اذا قريش أرادوا شد ملكهم * بغير قحطان لم يبرح به أود
قد وتر الناس طرا ثم قد صمتوا * حتى كأن الذى نالوا به رشد
من الاولى وهبوا للمجد أنفسهم * فما يبالون ما نالوا اذا حمدوا

(قال أبو الحسن قوله قارت يقال قرت الدم يقرت قروتا ودم قارت قد يبس بين الجلد واللحم

ومسلنقات وهو أخفه وأجوده قال * يعل بقرات من المسلنقات * وقرات فعال وقات مسلنقات قد قتن قتونا أي يابس لانه وفيه)

٥٦ ﴿باب ذكر الأذواء من اليمن في الاسلام﴾

فأما في الجاهلية فيكثرون نحو ذي يزن وذي كلاع وذي نواس وذي رعين وذي أصبح وذي المنار وذي القرنين فأما في الاسلام فنهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أنصاري ومنهم قتادة بن النعمان الانصاري ذو العين كانت عينه أصيبت فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وكانت تعتل عينه الصحيحة فلا تعتل المردودة معها ومنهم أبو الهيثم بن التيهان الانصاري ذو السيفين كان يتقلد سيفين في الحرب ومنهم حباب بن المنذر بن الجموح ذو الرأي وهو صاحب المشورة يوم بدر أخذ برأيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت له آراء في الجاهلية مشهورة ومنهم سعد بن صفيح ذو السبال ومنهم ذو المشهرة وهو أبو دجانة سماك بن خرشة وكانت له مشهرة اذا لبسها وخرج يختال بين الصفين لم يبق ولم يذر وكل هؤلاء من الانصار ومن اليمن من غيرهم عبد الله بن الطفيل الازدي ثم الدوسي ذو النور أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نورا في جبينه ليدعو به قومه فقال يا رسول الله هذه مثلة فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوطه فلما ورد على قومه بالسراة جعلوا يقولون ان الجبل ليلتهب وكان أبو هريرة ممن اهتدى بتلك العلامة ومنهم ثم من خزاعة ذو اليدين سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا اليدين وكان قبل يدعى ذا الشمالين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الظهر فسلم في الركعة الثانية فقال ذو اليدين يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت فقال ما كان ذاك فقال بلى يا رسول الله فالتفت الى أصحابه فقال ما يقول ذو اليدين فقالوا

صدق يارسول الله فنهض فأتم ثم قال انى لا انسى او أنسى لاستن

﴿ وهذه تسمية من كان بينه وبين الملائكة سبب من اليمانية ﴾

منهم سعد بن معاذ الانصارى وهبط لموته سبعون ألف ملك لم يهبطوا الى الارض قبلها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجليه فى المشى لئلا يطأ على جناح ملك واهتز لموته عرش الله جل وعز وفى ذلك يقول حسان

وما اهتز عرش الله من موت هالك * سمعنا به الا لسعد أبى عمرو

وكبر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعا كما كبر على حمزة بن عبد المطلب وشم من تراب قبره رائحة المسك ومنهم حسان بن ثابت الانصارى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اهجهم وروح القدس معك وقال فى حديث آخر ان الله مؤيد حسانا بروح القدس ما نافح عن نبيه وقالت عائشة كان يوضع لحسان منبر فى مؤخر المسجد فينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم حنظلة بن أبى عامر الانصارى غسلته الملائكة وذلك أنه خرج يوم أحد فأصيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبكم هذا قد غسلته الملائكة فسئل عن ذلك فقالت امرأته كان منى على ما يكون الرجل مع امرأته فأعجلته حطمة بلغته فى المسلمين فخرج فأصيب ففى ذلك يقول الاحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح حمى الدبر وكان خال أبيه

غسلت خالى الملائكة الابـ ـرار ميتا أكرم به من صريع

وأنا ابن الذى حمت ظهره الدبـ ـر قتيل اللحيان يوم الرجيع

ومنهم حارثة بن النعمان رأى جبريل صلى الله عليه وسلم مرتين وأقرأه جبريل السلام ومنهم ثم من خزاعة عمران بن حصين كانت تصافحه الملائكة وتعوده ثم افتقدها فأتى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان رجالا كانوا يأتونني لم أر أحسن منهم وجوها ولا أطيب أرواحا ثم قد انقطعوا عني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابك جرح فكنت تكتمه فقال أجل قال ثم أظهرته قال قد كان ذلك قال أما لو أقمت على كتمانه لزارتك الملائكة الى أن تموت ومنهم جرير بن عبد الله البجلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم من هذا الفج خير ذي يمن عليه مسحة ملك ومنهم دحية بن خليفة الكلبي كان جبريل صلى الله عليه يهبط في صورته فمن ذلك يوم بني قريظة لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وهبط عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد أقد وضعتم سلاحكم ما وضعت الملائكة أسلحتها بعد ان الله يأمرك أن تسير الى بني قريظة وها أنا ذا سائر اليهم فمزلزل بهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ألا يصلوا العصر الا في بني قريظة فجعل يمر بالناس فيقول أمر بكم أحد فيقولون مر بنا دحية بن خليفة على بغلة عليها قطيفة خز نحو بني قريظة فيقول ذاك جبريل ثم مر دحية بعد ذلك وكان لا يزال عليه السلام في غير هذا اليوم ينزل في صورته كما ظهر ابليس في صورة الشيخ النجدي

٥٧ ﴿وهذا باب قد تقدم ذكرنا اياه ووعدنا استقصاءه﴾

اعلم أن كل شئ من الحيوان كان مما يخبر الناس عنه كما يخبرون عن أنفسهم ومما يقتنونه ويتخذونه فبهم حاجة الى الفصل بين معرفته ونكرته ومذكره ومؤنثه تقول جاءني رجل اذا لم تدر من هو بعينه أو دريت فلم ترد أن تبين ثم تعرفه لصاحبك اذا أردت ذلك اما بألف ولام واما باسم معروف أو اضافة أو غير ذلك وكذلك يفصل الناس بين الخيل بأسماء أو نعوت يعرفون بها بعضها من بعض وكذلك الشاء والكلاب والابل ولولا تمييز بعضها من بعض لم يستقم الاخبار عنها والاختصاص بما أريد منها فاذا كان الشئ ليس مما يتخذونه ولم

يحتاجوا الى التمييز بين بعضه وبعض يقول الرجل رأيت الاسد فليس يعني أسداً بعينه ولكن يريد الواحد من الجنس الذي قد عرفت وكذلك الذئب والعقرب والحية وما أشبه ذلك ألا ترى ان ابن عرس وسام أبرص وأم حبين وأبا الحرث وأبا الحصين معارف لا على أن تميز بعضها من بعض ولكن تعريف الجنس وقولك ابن مخاض وابن لبون وابن ماء نكرات لان هذا انما يتخذه الناس وابن ماء انما هو مضاف الى الماء الذي يعرف فاذا أردت التعريف من هذه النكرات أدخلت فيما أضيفت اليه الالف واللام أو لقبتها ألقاباً تعرف بها كزيد وعمرو واعلم أن كل جمع مؤنث لانك تريد معنى جماعة ولا تذكر من ذلك الا ما كان فعله يجري بالواو والنون في الجمع وذلك كل ما يعقل تقول مسلم ومسلمون كما تقول قوم يسلمون وتقول للجمال هي تسير وهن يسرن كما تقول للمؤنث لان أفعالها على ذلك وكذلك الموات قال الله عز وجل في الاصنام رب انهن أضللن كثيراً من الناس والواحد مذكر وقال المفسرون في قوله ان يدعون من دونه الا اناثاً قالوا الموات فكل ما خرج مما يعقل فجمعه بالتأنيث وفعله عليه لا يكون الا ذلك الا ما كان من باب المنقوص نحو سنين وعزين وليس هذا موضعه وجملته أنه لا يكون الا مؤنثاً فلهذا كان يقع على بعض هذا الضرب الاسم المؤنث فيجمع الذكر والانثى فمن ذلك قولهم عقرب فهو اسم مؤنث الا أنك ان عرفت الذكر قلت هذا عقرب وكذلك الحية تقول للانثى هذه حية وللذكر هذا حية قال جرير

انّ الحفافيث منكم يا بني لجأ ☆ يطرقن حيث يصول الحية الذكر

(قال الاخفش الحفافيث ضرب من الحيات يكون مستديراً لجرم يتقبض ويعظم وينفخ نفخاً شديداً الا انه لا ثائلة له) وتقول هذا بطة للذكر وهذه بطة للانثى وهذا نباجة وهذه دجاجة قال جرير

لما تذكرت بالديرين أرقني ☆ صوت الدجاج وقرع النواقيس

يريد رُقاءَ الديوك فالاسم الذي يجمعها دجاجة للذكر والانثى ثم يخص الذكر بأن يقال ديك وكذلك تقول هذا بقرة لهما جميعا وهذا حبارى ثم يخص الذكر فتقول ثور وتقول للذكر من الحبارى خَرَب فعلى هذا يجرى هذا الباب وكل مالم نذكره فهذا سبيله ﴿وقد كنا أرجأنا أشياء ذكرنا انا سنذكرها فى آخر هذا الكتاب منها خُطَب ومواعظ ورسائل ونحن ذاكرون ما تهيأ من ذلك ان شاء الله﴾ قال الاصمعى فيما بلغنى خطبنا أعرابى بالبادية فحمد الله واستغفره ووحَّده وصلى على نبيه فبلغ فى ايجاز ثم قال أيها الناس ان الدنيا دارُ بلاغ والآخرة دار قرار فخذوا من مفركم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم فى الدنيا كنتم ولغيرها خُلقتم أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم والمصلّى عليه رسولُ الله والمدعوّ له الخليفة والامير جعفرُ بن سليمن وحُدثت فى بعض الأسانيد أن عمر ابن عبد العزيز قال فى خطبة له أيها الناس انما الدنيا أمل مخترم وأجل منتقص وبلاغ الى دار غيرها وسيرٌ الى الموت ليس فيه تعريج فرحم الله امرأ فكّر فى أمره ونصح لنفسه وراقب ربه واستقال ذنبه ونوّر قلبه أيها الناس قد علمتم أن أباكم قد أُخرِجَ من الجنة بذنب واحد وأن ربكم وعدَ على التوبة فليكن أحدكم من ذنبه على وجل ومن ربه على أمل ويروى أن رجلا معروفا ذهب اسمه عنى قال أتيتُ ابن عمر فقلت أتجب الجنةُ لعامل بكل الخيرات وهو مُشرك فقال لا فقلت له أتجبُ النار لعامل بالشر كله وهو موحّد قال عش ولا تغتر قال وأتيت ابن عباس فسألته فأجابنى بمثل جوابه سواء وقال عش ولا تغتر قال وحدثنى بهذا الحديث القاضى (يعنى اسمعيل بن اسحق) وذكر العتبى أحسبه عن أبيه عن هشام بن صالح عن سعد القصير قال خَطَبَ الناس بالموسم عُتْبة فى سنة احدى وأربعين وعهدُ الناس حديث بالفتنة فاستفتح ثم قال أيها الناس انا قد ولينا هذا الموضع الذى يضاعف الله فيه للمحسن الاجرَ وعلى المسيء الوزرَ فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا فانها تنقطع دوننا وربّ متمنٍّ حتفه فى

أمنيته اقبلوا العافية ماقبلناها منكم وفيكم وايا كم ولوفقد أتعبت من كان قبلكم وان ترجع من بعدكم فاسألوا الله أن يعين كلا على كل فنعق به اعرابي من مؤخر المسجد فقال أيها الخليفة فقال لست به ولم تبعد قال فيا أخاه قال قد أسمعت فقل فقال والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير لكم من أن تسيؤا وقد أحسنا فان كان الاحسان لكم فما أحقكم باستتمامه وان كان لنا فما أحقكم بمكافأتنا رجل من بني عامر يمت اليكم بالعمومة و يختص اليكم بالخؤلة وقد وطئه زمان وكثرة عيال وفيه أجر وعنده شكر فقال عتبة استعيذ بالله منك وأستعينه عليك قد أمرت لك بغناك فليت اسراعنا اليك يقوم بابطائنا عنك وذكر العتبي ان عتبة خطب الناس بمصر عن موجدة فقال ياحاملي الأم آنف ركبت بين أعين اني انما قلمت أظفاري عنكم ليلين مسي لكم وسألتكم صلاحكم اذ كان فسادكم باقيا عليكم فأما اذ أبيتم الا الطعن على السلطان والتنقص للسلف فوالله لأقطعن بطون السياط على ظهوركم فان حسمت أدواءكم والا فان السيف من ورائكم فكم من حكمة منا لم تعها قلوبكم ومن موعظة منا صمت عنها آذانكم ولست أبخل عليكم بالعفو بةاذ جدتم بالمعصية ولا أويسكم من مراجعة الحسنى ان صرتم الى التي هي أبر وأتقى ثم نزل وذكر العتبي أو غيره ان داود بن علي بن عبد الله بن العباس خطب الناس في أول موسم ملكه بنو العباس بمكة فقال شكرا شكرا انا والله ماخرجنا لنحفر فيكم نهرا ولا لنبني فيكم قصرا أظن عدو الله ان لن نقدر عليه ان روخي له من خطامه حتى عثر في فضل زمامه فالآن حيث أخذ القوس باريها وعادت النبل الى النزعة ورجع الملك في نصابه في أهل بيت النبوة والرحمة والله لقد كنا نتوجع لكم ونحن في فرشنا أمن الاسود والاحمر لكم ذمة الله لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم ذمة العباس لا ورب هذه البنية وأومأ بيده الى الكعبة لا نهيج منكم أحدا قال وخطب الناس معاوية بن أبي سفيان فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال ايها الناس اني من زرع قد استحصد

ولن يأتيكم بعدى الامن أنا خير منه كما لم يكن قبلى الا من هو خير منى وفى غير هذا الخبر أنه قال لبناته عند وفاته قلبننى فقلبنه فقال ان تكن تقلبنه حولا قلبا ان وقى كبة النار ثم قال متمثلا

لا يبعدن ربيعة بن مكدم * وسقى الغوادى قبره بذنوب

وقال لابنته قرظة ابكينى فقالت

ألا ابكيه ألا ابكيه * ألا كل الفتى فيه

فلما مات دخل الناس على يزيد يعزونه بأبيه ويهنئونه بالخلافة فجعلوا يقولون حتى دخل رجل من ثقيف فقال السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته انك قد فجعت بخير الآباء وأعطيت جميع الاشياء فاصبر على الرزية واحمد الله على حسن العطية فلا أعطى أحد كما أعطيت ولا رزى كما رزئت فقام ابن همام السلولى فأنشده شعرا كأنما أوضعه الثقفى فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر بلاء الذى بالملك أصفاكا

أصبحت تملك هذا الخلق كلهم * فأنت ترعاهم والله يرعاكا

ما ان رزى أحد فى الناس نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

وفى معاوية الباقى لنا خلف * اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

الحول معناه ذو الحيلة والقلب الذى يقلب الامور ظهرا لبطن وقوله ان وقى كبة النار فكبة النار معظمها وكذلك كبة الحرب ويقال لقيته فى كبة القوم ويروى عن بعض الفرسان أنه طعن رجلا فى حرب فقال طعنته فى الكبة فوضعت رمحى فى اللبة وأخرجته من السبة والسبة الدبر ويروى ان خالد بن صفوان دخل على يزيد بن المهلب وهو يتغدى فقال ادن فكل يا أبا صفوان فقال أصلح الله الامير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت قال

أتيت ضبعتي لأبان الغراس وأوان العمارة فجلت فيها جولة حتى اذا ضحت الشمس وأزمعت بالركود ملت الى غرفة لي هفافة في حديقة قد فتحت أبوابها ونضح بالماء جوانبها وفرشت أرضها بألوان الرياحين من بين ضيمران نافح وسمسق فائح وأقحوان زاهر وورد ناضر ثم أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وسمك بنانى بيض البطون زرق العيون سود المتون عراض السرر غلاظ القصر ودقة وخاول ومرى وبقول ثم أتيت برطب أصفر صاف غير أكدر لم تبتذله الايدى ولم يهشمه كيل المكاييل فأكلت هذا ثم هذا فقال يزيد يا ابن صفوان لألف جريب من كلامك هذا مزروع خير من ألف جريب مذروع ﴿ ونحن ذاكرون الرسائل بين أمير المؤمنين المنصور وبين محمد بن عبد الله بن حسن العلوى كما وعدنا في أول الكتاب ونختصر ما يجوز ذكره منه ونمسك عن الباقي فقد قيل الراوية أحد الشاتمين قال لما خرج محمد بن عبد الله على المنصور كتب اليه المنصور بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعد فانما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم ولك عهد الله وذمته وميثاقه وحق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان تبت من قبل أن أقدر عليك أن أؤمنك على نفسك وولدك واخوتك ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك وان أعطيك ألف ألف درهم وأنزلك من البلاد حيث شئت وأقضي لك ما شئت من الحاجات وأن أطلق من في سجني من أهل بيتك وشيعتك وأنصارك ثم لا أتبع أحدا منكم بمكروه فان شئت ان تتوثق لنفسك فوجه الى من يأخذ لك من الميثاق والعهد والامان ما أحببت والسلام فكتب اليه محمد بن عبد الله بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله محمد المهدى أمير المؤمنين الى عبد الله بن محمد أما بعد طسم تلك آيات الكتاب

المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأنا أعرض عليك من الامان مثل الذى أعطيتنى وقد تعلم أن الحق حقنا وانكم انما طلبتموه بنا ونهضتم فيه بشيعتنا وحظيتموه بفضلنا وان أبانا عليا عليه السلام كان الوصى والامام فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء وقد علمت أنه ليس أحد من بنى هاشم يمت بمثل فضلنا ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا وسببنا وأنا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو فى الجاهلية دونكم وبنو ابنته فاطمة فى الاسلام من بينكم فأنا أوسط بنى هاشم نسبا وخيرهم أما وأبا لم تلدنى العجم ولم تعرق فى أمهات الاولاد وأن الله تبارك وتعالى لم يزل يختار لنا فولدنى من النبيين أفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه أقدمهم اسلاما وأوسعهم علما وأكثرهم جهادا على بن أبى طالب ومن نسائه أفضلهن خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله وصلى القبلة ومن بناته أفضلهن وسيدة نساء أهل الجنة ومن المولودين فى الاسلام الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ثم قد علمت ان هاشما ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد الحسن مرتين وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدنى مرتين من قبل جدى الحسن والحسين فما زال الله يختار لى حتى اختار لى فى النار فولدنى أرفع الناس درجة فى الجنة وأهون أهل النار عذابا فأنا ابن خير الاخيار وابن خير الاشرار وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار ولك عهد الله ان دخلت فى بيعتى أن أؤمنك على نفسك وولدك وكل ما أصبته الا حدا من حدود الله أو حقا لمسلم أو معاهد فقد علمت ما يلزمك فى ذلك فأنا أوفى بالعهد منك وأحرى لقبول الامان فأما أمانك الذى عرضت على فأى الامانات هو أأمان ابن

هنيدة أم أمات عمك عبد الله بن على أم أمات أبى مسلم والسلام فكتب اليه المنصور بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعد فقد أتانى كتابك وبلغنى كلامك فاذا جل فخرك بالنساء لتضل به الجفاة والغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة ولا الآباء كالعصبة والاولياء ولقد جعل العم أبا وبدأ به على الوالد الأدنى فقال جل ثناؤه عن نبيه عليه السلام واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ولقد علمت أن الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وعمومته أربعة فأجابه اثنان أحدهما أبى وكفر اثنان أحدهما أبوك فأما ما ذكرت من النساء وقراباتهن فلو أعطين على قرب الأنساب وحق الأحساب لكان الخير كله لآمنة بنت وهب ولكن الله يختار لدينه من يشاء من خلقه فأما ما ذكرت من فاطمة أم أبى طالب فان الله لم يهد أحدا من ولدها للاسلام ولو فعل لكان عبد الله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير فى الآخرة والأولى وأسعدهم بدخول الجنة غدا ولكن الله أبى ذلك فقال انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء فأما ما ذكرت من فاطمة بنت أسد أم على بن أبى طالب وفاطمة أم الحسن وأن هاشما ولد عليا مرتين وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين فخير الاولين والآخرين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة ولم يلده عبد المطلب الا مرة واحدة وأما ما ذكرت من أنك ابن رسول الله فان الله عز وجل أبى ذلك فقال ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ولكنكم بنو ابنته وانها لقرابة قريبة غير أنها امرأة لا تحوز الميراث ولا يجوز أن تؤم فكيف تورث الامامة من قبلها ولقد طلب بها أبوك بكل وجه فأخرجها تخاصم ومرضها سرا ودفنها ليلا فأبى الناس الا تقديم الشيخين ولقد حضر أبوك وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصلاة غيره ثم أخذ الناس رجلا رجلا فلم يأخذوا أباك فيهم ثم كان فى أصحاب الشورى فكل دفعه عنها بايع عبد الرحمن عثمان وقبلها عثمان وحارب

أباك طلحة والزبير ودعا سعدا الى بيعته فأغلق بابه دونه ثم بايع معاوية بعده وأفضى أمر
جدك الى أبيك الحسن فسلمه الى معاوية بخرق ودراهم وأسلم في يديه شيعته وخرج الى
المدينة فدفع الامر الى غير أهله وأخذ مالا من غير حله فان كان لكم فيها شيء فقد بعتموه فأما
قولك ان الله اختار لك في الكفر فجعل أباك أهون أهل النار عذابا فليس في الشر خيار ولا
من عذاب الله هين ولا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر بالنار وسترد فتعلم
وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وأما قولك انك لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات
الاولاد وانك أوسط بني هاشم نسبا وخيرهم أما وأبا فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طرا
وقدمت نفسك على من هو خير منك أولا وآخرا وأصلا وفصلا فخرت على ابراهيم ابن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده فانظر ويحك أين تكون من الله غدا وما ولد فيكم مولود
بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي بن الحسين وهو لأم ولد ولقد كان خيرا
من جدك حسن بن حسن ثم ابنه محمد بن علي خير من أبيك وجدته أم ولد ثم ابنه جعفر وهو
خير منك ولقد علمت أن جدك عليا حكم حكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكما
به فاجتمعا على خلعه ثم خرج عمك الحسين بن علي على ابن مرجانة فكان الناس الذين معه
عليه حتى قتلوه ثم أتوا بكم على الاقتاب بغير أوطية كالسبي المجلوب الى الشام ثم خرج منكم
غير واحد فقتلتكم بنو أمية وحرقوكم بالنار وصلبوكم على جذوع النخل حتى خرجنا عليهم
فأدركنا بثأركم اذ لم تدركوه ورفعنا أقداركم وأورثناكم أرضهم وديارهم بعد أن كانوا
يلعنون أباك في أدبار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة فعنفناهم وكفرناهم وبينا فضله
وأشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت أنا لما ذكرنا من فضل علي أنا قدمناه على
حمزة والعباس وجعفر كل أولئك مضوا سالمين مسلما منهم وابتلي أبوك بالدماء ولقد علمت أن
مآثرنا في الجاهلية سقاية الحجيج الاعظم وولاية زمزم وكانت للعباس دون اخوته فنازعنا

فيها أبوك الى عمر فقضى لنا عمر عليه وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حيا الا العباس فكان وارثه دون بني عبد المطلب وطلب الخلافة غير واحد من بني هاشم فلم ينلها الا ولده فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وبنوه القادة الخلفاء فقد ذهب بفضل القديم والحديث ولولا أن العباس أخرج الى بدر كرها لمات عماك طالب وعقيل جوعا أو يلحسا جفان عتبة وشيبة فأذهب عنهما العار والشنار ولقد جاء الاسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التي أصابتهم ثم فدى عقيلا يوم بدر فقد مناكم في الكفر وفديناكم من الاسر وورثنا دونكم خاتم الانبياء وحزنا شرف الآباء وأدركنا من ثأركم ما عجزتم عنه ووضعناكم بحيث لم تضعوا أنفسكم والسلام ۞ قال أبو العباس وقد ذكرنا رسالة هشام الى خالد بن عبد الله وانا سنذكرها بتمامها في غير هذا الموضع الذي ابتدأنا ذكرها أولا فيه وكان سبب هذه الرسالة افراط خالد في الدالة على هشام وانه أخذ ابن حسان النبطي فضربه بالسياط وكان يقال له هويل قال فبعث بقميصه الى أبيه وفيه آثار الدم فأدخله أبوه الى هشام مع ما قد أوغر صدر هشام عليه من الافراط الدالة واحتجان الاموال وكفر ما أسداه اليه من توليته اياه العراق فكتب هشام الى خالد بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين عنك أمر لم يحتمله لك الا لما أحب من رب الصنيعة قبلك واستتمام معروفه عندك وكان أمير المؤمنين أحق من استصلح ما فسد عليه منك فان تعد لمثل مقالتك وما بلغ أمير المؤمنين عنك رأى في معاجلتك بالعقوبة رأيه ان النعمة اذا طالت بالعبد ممتدة أبطرته فأساء حمل الكرامة واستقل العافية ونسب ما في يديه الى حيلته وحسبه وبيته ورهطه وعشيرته فاذا نزلت به الغير وانكشطت عنه عماية الغي والسلطان ذل منقادا وندم حسيرا وتمكن منه عدوه قادرا عليه قاهرا له ولو أراد أمير المؤمنين افسادك لجمع بينك وبين من شهد فلتات خطلك وعظيم زللك حيث تقول لجلسائك

والله مازادتني ولاية العراق شرفاً ولا ولاني أمير المؤمنين شيأ لم يكن من قبلي ممن هو دوني يلي
مثله ولعمري لو ابتليت ببعض مقاوم الحجاج في أهل العراق في تلك المضايق التي لقي لعلمت
أنك رجل من بجيلة فقد خرج عليك أربعون رجلاً فغلبوك على بيت مالك وخزائنك حتى
قلت أطعموني ماء دهشاً وبعلاً وجبناً فما استطعتهم الا بأمان ثم أخفرت ذمتك منهم رزين
وأصحابه ولعمري أن لو حاول أمير المؤمنين مكافأتك بخطائك في مجلسك وجحودك فضله اليك
وتصغيرما أنعم به عليك بحل العقدة ونقض الصنيعة وردك الى منزلة أنت أهلها كنت لذلك
مستحقاً فهذا جدك يزيد بن أسد قد حشد مع معاوية في يوم صفين وعرض له دينه ودمه
فما اصطنع الا عنده ولا ولاه ما اصطنع اليك أمير المؤمنين وولاك وقبله من أهل اليمن
وبيوتاتهم من قبيلة أكرم من قبيلتك من كندة وغسان وآل ذي يزن وذي كلاع وذي
رعين في نظرائهم من بيوتات قومهم كلهم أكرم أولية وأشرف اسلافاً من آل عبد الله
ابن يزيد ثم آثرك أمير المؤمنين بولاية العراق بلا بيت رفيع ولا شرف قديم وهذه البيوتات
تعلوك وتغمرك وتسكتك وتتقدمك في المحافل والمجامع عند بدأة الامور وأبواب الخلفاء
ولولا ما أحب أمير المؤمنين من رد غربك لعاجلك بالتي كنت أهلها وانها منك لقريب
مأخذها سريع مكروهها فيها ان أبقى الله أمير المؤمنين زوال نعمه عنك وحلول نقمه بك
فما ضيعت وارتكبت بالعراق من استعانتك بالمجوس والنصارى وتوليتهم رقاب المسلمين
وجبوة خراجهم وتسلطهم عليهم نزع بك الى ذلك عرق سوء فيهم من التي قامت عنك فبئس
الجنين أنت يا عدي نفسه وان الله عز وجل لما رأى احسان أمير المؤمنين اليك وسوء قيامك
بشكره قلب قلبه فأسخطه عليك حتى قبحت أمورك عنده وآيسه من شكرك ما ظهر من
كفرك النعمة عندك فأصبحت تنتظر سقوط النعمة وزوال الكرامة وحلول الخزي
فتأهب لنوازل عقوبة الله بك فان الله عليك أوجد ولما عملت أنكر فقد أصبحت وذنوبك

عند أمير المؤمنين أعظم من أن يسكتك الا رانبا بين يديه وعنده من يقرّرك بها ذنبا ذنبا و يبكّتك بما أتيت أمرا أمرا فقد نسيته وأحصاه الله عليك ولقد كان لأمير المؤمنين زاجر عنك فيما عرفك به من التسرّع الى حماقتك في غير واحدة منها القرشي الذى تناولته بالحجاز ظالما فضربك الله بالسوط الذى ضربته به مقتضا على رؤس رعيتك ولعل أمير المؤمنين يعود لك بمثل ذلك فان يفعل فأهله أنت وان يصفح فأهله هو ومن ذلك ذكرك زمزم وهى سقيا الله وكرامته لعبد المطلب وهذا الحيّ من قريش تسميها أمّ جعار فلا سقاك الله من حوض رسوله وجعل شرّكا لخير كالفداء ووالله أن لو لم يستدلل أمير المؤمنين على ضعف غائرك وسوء تدبيرك الا بقبالة دخانك وبطانتك وعمالك والغالبة عليك جاريتك الرائقة بائعة الفهود ومستعملة الرجال مع ما أتلفت من مال الله فى المبارك فانك ادعيت أنك أنفقت عليه اثنى عشر ألف ألف درهم والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان ما احتمل لك أمير المؤمنين ما أفسدت من مال الله وضيعت من أمور المسلمين وسلّطت من ولاة السوء على جميع أهل كورعملك تجمع اليك الدهاقين هدايا النيروز والمهرجان حابسا لاكثره رافعا لاقله مع خيانات مساويك التى قد أتى أمير المؤمنين تقريرك بها ومنا صبتك أمير المؤمنين فى مولاه حسان ووكيله فى ضياعه وأحوازه فى العراق واقدامك على ابنه بما أقدمت به وسيكون لأمير المؤمنين فى ذلك نبأ ان لم يعف عنك ولكنه يظن أن الله طالبك بامور أتيتها غير تاركك اتكشف عنها وحلك الاموال ناقصة من وظائفها التى جباها عمر بن هبيرة وتوجيهك أخاك أسد الى خراسان مظهرا العصبية بها متحاملا على هذا الحى من مضر قد أتت أمير المؤمنين بتصغيره بهم واحتقاره لهم وركوبه اياهم الثقات ناسيا لحديث زرتب وقصص الهجريين كيف كانت فى أسد بن كرز فاذا خلوت أو توسطت ملأ فاعرف نفسك وخف رواجع البغي عليك وعاجلات النقم قبلك واعلم أن ما بعد كتاب أمير المؤمنين هذا

أشدّ عليك وأفسد لك وقيل أمير المؤمنين خلف منك كثير في أحسابهم وبيوتاتهم وأديانهم وفيهم عوض منك والله من وراء ذلك وكتب عبد الله بن سالم سنة تسع عشرة ومائة

﴿هذا الكتاب قد وفّيناه جميع حقوقه ووفّينا بجميع شروطه الا ما أذهل عنه النسيان فانه قلما يخلى من ذلك ونحن خاتموه بأشعار طريفة وآخر ذلك الذي نختم به آيات من كتاب الله عز وجل بالتوقيف على معانيها ان شاء الله﴾

قال الشاعر

اذكر مجالس من بني أسد * بعدوا وحن اليهم القلب
الشرق منزلنا ومنزلهم * غرب وأنى الشرق والغرب
من كل أبيض جل زينته * مسك أحم وصارم عضب

وقال آخر

حباة أبي العوام زين لقومه * لكل امرئ قاس الامور وجربا
وتعتب أحيانا عليه ولو مضى * لكنا على الباقي من الناس أعتبا

وقال مسلم

حباك بها ابن سعدان بن يحيى * حباة للمكارم والمعالي
جلبت لك الثناء فجاء عفوا * ونفس الشكر مطلقة العقال
وترجعني اليك وان نأت بي * دياري عنك تجربة الرجال

وقيل في المثل المبالغة في النصيحة تقسع بك على عظيم الظنة وأنشدني العباس بن الفرج الرياشي

وكم سقت في آثاركم من نصيحة * وقد يستفيد الظنة المتنصح

وأنشدني الرياشي

اذا الامر أغنى عنك حنويه فاجتنب * معرة أمر أنت عنه بمعزل

وقال العتابي

لا ترج رجعة مذنب * خلط احتجاجا باعتذار

وقال أيضا

وقيت كل خليل ودنى غناً * الا المؤمل دولاتى وأيامى

وقيل للعتابي ما أقرب البلاغة قال ألا يؤتى السامع من سوء افهام القائل ولا يؤتى القائل من سوء فهم السامع وقال ابن يسير

اقدر لرجلك قبل الخطو منزلها * فمن علا زلقا عن غرة زلقا

وكان يقال اصمت لتفهم واذكر لتعلم وقل لتذلق ۞ ونذكر آيات من القرآن ربما غلط في مجازها النحويون قال الله عز وجل انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه مجاز الآية ان المفعول الاول محذوف ومعناه يخوفكم من أوليائه وفي القرآن فمن شهد منكم الشهر فليصمه والشهر لا يغيب عنه أحد ومجاز الآية فمن كان منكم شاهدا بلده في الشهر فليصمه والتقدير فمن شهد منكم أي فمن كان شاهدا في شهر رمضان فليصمه نصب الظروف لا نصب المفعول به وفي القرآن في مخاطبة فرعون فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فليس معنى ننجيك نخلصك ولكن نلقيك على نجوة من الارض ببدنك بدرعك التي يدل على ذلك لتكون لمن خلفك آية وفي القرآن يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم فالوقف يخرجون الرسول واياكم أي ويخرجونكم لان تؤمنوا بالله ربكم

وصلى الله على محمد خاتم النبيين ونستغفر الله

مما قلناه من عمد وقصد وزلل وخلل

فهرس

الجزء الثانى من الكامل

صفحة

صفحة

صفحة

٥٠ — باب

صفحة

٥١ — باب النسب إلى المضاف


Bibliotheca Alexandrina

0590984